

السنة السابعة عشرة

العدد الخامس والستون/ج ٢

مجلة

مركز دراسات الكوفة

مجلة فصلية محكمة تعنى بالدراسات الإنسانية

اقرأ في هذا العدد

مصر القديمة في المنهج المشولوجي

أثر البايوفيليا على علاقة الإنسان بالطبيعة

إدارة المشاريع وفق الأساليب الحديثة لنطاق تنفيذها



مجلة مركز دراسات الكوفة

ISSN :1993-7016 الترميم الدولي

ISSN : 2708 - 728X الترميم الالكتروني

رقم الايداع في دار الكتب ببغداد (١١١٣) لسنة (٢٠٠٨)

DOI prefix: ١٠,٣٦٣٢٢ ,Frequency: 4 Issues Per year

العدد ٦٥ / ج ٢ السنة السابعة عشرة ٢٠٢٢

العنوان البريدي: مركز دراسات الكوفة ، جامعة الكوفة ،

ص.ب ٢١ ، الكوفة ، محافظة النجف ، العراق

المراسلات

Website: www.ksc.uokufa.edu.iq

Email: kscjournal@uokufa.edu.iq

Mobile: 07819377794

جميع الحقوق محفوظة © مركز دراسات الكوفة



أعضاء هيئة التحرير

أ.د. جمال الدين بن عبد الجليل / جامعة لودفيغسبورغ / ألمانيا

أ.د. مهدي محمد القصاص / جامعة المنصورة / مصر

أ.د. إسماعيل نوري الربيعي / الجامعة الأهلية / البحرين

أ.د. محمد علي أدرشيب / مركز الحوار الفارسي / إيران

أ.د. خالد طحطاح / جامعة محمد الخامس / المغرب

أ.د. خليل حسين / الجامعة اللبنانية / لبنان

أ.د. إسماعيل طه الجابري / بيت الحكمة / بغداد

أ.د. حسن لطيف الزبيدي / جامعة الكوفة

أ.د. فاضل محسن الميالي / جامعة الكوفة

أ.د. إياد خلف العنبر / جامعة بغداد

أ.م.د. أنمار عبد الإله فاضل / جامعة بغداد

أ.م.د. قاسم فليح حسن / جامعة البصرة

أ.م.د. أحمد جعفر الأنصاري / جامعة الكوفة

أ.م.د. حسن هادي مهدي / جامعة الكوفة

رئيس التحرير:

أ.د. مجيد حميد الحدراوي

مدير التحرير:

أ.د. عقيل جاسم دهش

مسؤول الحسابات

السيدة ولاء فيصل محسن

الإخراج الفني:

المهندس أسامة عادل الشماع

التعليم والبحث

١. أن لا يكون البحث قد نشر أو قبل للنشر في مجلة أخرى.
٢. تقبل البحوث المكتوبة باللغة العربية فقط.
٣. يشترط في البحث المقدم للنشر أن يكون مراعيًا لقواعد البحث العلمي وأن يكون مرتبًا على النحو الآتي: عنوان البحث- اسم الباحث- درجته العلمية- خلاصة البحث باللغتين العربية والانجليزية -المقدمة- متن البحث-الخاتمة والنتائج- قائمة الهوامش-المصادر والمراجع.
٤. يرفق مع البحث السيرة الذاتية الموجزة للباحث التي تتضمن ما يأتي حصراً:
اسم الباحث ومكان عمله، واختصاصه العلمي ونتاجاته البحثية وأهم مشاركاته العلمية ووسيلة الاتصال به.
٥. يلزم ألا تزيد عدد صفحات البحث عن ٢٠ صفحة، وإذا زاد عدد الصفحات عن ذلك يستحصل مبلغ قدره ٣٠٠٠ دينار عن كل صفحة إضافية.
٦. يخضع البحث للتحكيم السري من الخبراء المختصين لتحديد صلاحيته للنشر ولا يعاد البحث إلى صاحبه سواء قبل للنشر أم لم يقبل، ولهية التحرير صلاحية نشر البحوث على وفق الترتيب الذي تراه مناسباً.
٧. تقدم البحوث مطبوعة باستخدام برنامج (Microsoft Word) بخط (Arabic Transparent) للغة العربية بحجم (١٦) للعنوان الرئيس و(١٤) للبحث و(١٢) للهوامش، وبخط (Time New Roman) للغة الانكليزية.
٨. تكون فقرة المسافات البادئة والتباعد قبل النص وبعده صفراً وتباعد الأسطر يكون (واحد ونصف).
٩. تنسق الأبيات الشعرية باستخدام الجداول.
١٠. تترك مسافة بمقدار (٢,٥) على الجوانب الأربعة للصفحة.
١١. تقدم البحوث مطبوعة بنسختين على ورق قياس (A4) مع قرص صلب (CD) مسجل عليه البحث على وفق المتطلبات.

| | | | |
|-----|-----------------------------------|----|---|
| ١ | أ.د. هاشم جعفر الموسوي | ١ | الافتزان وأثره في الاختصاص |
| | الباحث مرتضى سعد جاسم | | |
| ١٩ | أ.د. عبد الله حبيب التميمي | ٢ | فاعلية الحوار في رحلات ناجي جواد الساعاتي |
| | الباحث سامر وجيه فاضل | | |
| ٥٥ | أ.د. عمود حسين جبر | ٣ | إضاءات على غزوات النبي محمد (ص)- |
| | الباحثة زينب خليل جدوع | | الأسباب والنتائج |
| ٧١ | أ.د. عبد الكاظم علي جابر الطوي | ٤ | التحليل المكاني لإنتاج وإنتاجية محصولي |
| | الباحث محمد محمود محمد | | القمح والشعير في العراق للمدة ١٩٨٠- ٢٠١٨م |
| ٨٩ | أ.د. أسامة كاظم الطائي | ٥ | مصر القديمة في المنهج الميثولوجي في كتاب |
| | الباحثة زينب محمد عبيس | | كنز الدرر وجامع الغرر ٢٠١٩ |
| ١٠٩ | أ.د. ماجد محي عبد العباس الفتلاوي | ٦ | الدور السعودي في حل الخلاف المائي العراقي |
| | الباحث مرتضى حسين فريب | | السوري ١٩٧٥ |
| ١٢٥ | أ.د. عبد العزيز حيدر الموسوي | ٧ | الذاكرة الانفعالية لدى طلبة الجامعة |
| | الباحث حيدر قيصر الفتلاوي | | |
| ١٥٥ | أ.د. علاء أحمد عبد الواحد | ٨ | فاعلية استراتيجية ملخصات جيست Gist |
| | الباحث إحسان خضر عيدان | | Summary في التحصيل |
| ١٨٧ | أ.م.د. محمد ثابت الكرعواوي | ٩ | إدارة المشاريع وفق الأساليب الحديثة لنطاق |
| | الباحثة رسل سامي كاظم | | تنفيذها في إدارة المشاريع الحكومية لتنمية |
| | | | الأقاليم |
| ٢١١ | أ.م.د. صادق محمد علي الحسيني | ١٠ | الطبيعة القانونية للصالح في النطاق الإداري- |
| | الباحثة زينب ماجد محمد علي | | دراسة مقارنة |
| ٢٤٥ | أ.م.د. لؤي طه الملا حويش | ١١ | مؤشرات البايوفيليا وأثرها على علاقة الانسان |
| | الباحثة رسل سامي كاظم | | بالبيئة الطبيعية |

| | | | |
|-----|--|----|---|
| ٢٨١ | أ.م.د. زهراء نعمة حسن الباحثة فاطمة يونس عبید | ١٢ | بنية المكان في الموشح الأندلسي |
| ٣١٥ | أ.م.د. عباس يداللهي فارساني الباحث صفاء غني عبد الزهرة | ١٣ | المدح النبوي في شعر عبد الله بن أبي- الخصال الأندلسي |
| ٣٣٧ | أ.م.د. علي زهير الصراف | ١٤ | رؤاؤ مركز مشغرى العلمى فى جىل عامل |
| ٣٨١ | أ.م.د. أحمد بهاء الخفاجى الباحث تحسين عبد الإله سالم | ١٥ | إسماعيل الأزهرى ودوره فى مؤتمر الخرىجىن (١٩٣٨-١٩٤٢) |
| ٤٠٧ | أ.م. كاظم جواد المنذرى الباحث ماجد حمىد نهائى | ١٦ | رؤىة الدكتور حسن عيسى الحكىم للدراسات الاستشراقىة الاسلامىة |
| ٤١٩ | أ.م.د. فلاح رزاق جاسم | ١٧ | تداعى الحروف فى الحدىث النبوى الشرفى |
| ٤٥٥ | د. غسان طارق طاهر الباحث سلام هاشم محمد | ١٨ | السىولة المصرفىة وأثرها على الناتج المحلى الاجمالى |
| ٤٩٣ | د. سىد حسىن سىدى د. مصطفى كرم الموسوى الباحث أحمد عبود شنشول | ١٩ | السىمائىة بىن المفهوم والدلالة |
| ٥٠٧ | م.د. رزاق محسن محمد شرفى | ٢٠ | الفحص الطبى قبل الزواج مفاهىمه، إجابىاته وسلبىاته، من وجهة شرعىة |

الاقتران وأثره في الاختصاص

أ.د. هاشم جعفر الموسوي

الباحث مرتضى سعد جاسم

كلية التربية للعلوم الإنسانية / جامعة بابل

المقدمة:

إنَّ المُتَّبِعَ للمصنَّفات النَّحْوِيَّةِ يَجْدُ فيها جملَةً من المصطلحات والمفاهيم، والعبارات والأوصاف، التي تتعلَّق برصد تغيُّرات تطرأ على التَّركيب، يكون لها أثرٌ بيِّنٌ في توجيه دلالة الأحكام النَّحْوِيَّةِ، على أنَّ قسماً منها قد امتدَّت إليه أيادي الدارسين، فأحاطوا بتعريفها، وعرَّفوا بحدودها، وجمعوا شتات مسائلها، وخرجوا بنتائج تُعين على فهمها وإتقانها، ومن أمثلة هذه الدراسات التي سُمِّيت بعضها بالظواهر، نحو: الإجحاف، والافتراض، وإنَّ قسماً آخر ينتظر أن تمتدَّ إليه الفكر، وتسعى له الخواطر، ومن تلك المصطلحات الاقتران، والاقتران واحد من تلك الموصوفات التي ملأ لفظها- بتصاريفه المتنوعة- مصنَّفات النَّحْوِيِّين المتأخِّرين، فقد أكثروا من ذكره في أبواب النَّحو المختلفة، ونحن وقفنا على تعريف الاقتران ثم قسمنا البحث إلى ثلاثة مباحث هي الاختصاص بالاسم والاختصاص بالفعل، والاختصاص بالحرف.

والاقتران مصطلحٌ نحويٌّ قارٌّ، فقد عرَّفه الدكتور محمد سمير نجيب اللبدي في كتابه المختصِّ (معجم المصطلحات النحوية والصرفية)، بقوله: ((هو الاتِّصالُ، وكثيراً ما يُستعمل في التَّعبير عن اتِّصالِ الحروفِ بغيرها، كاقترانِ جوابِ القسم بـ(اللام)، وجوابِ الشَّرطِ بـ(الفاء)، وخبرِ (عسى) بـ(أنَّ)))^(١)، والاقتران - بتصاريفه المتنوعة- ملأ مصنَّفات النَّحْوِيِّين المتأخِّرين، ولاسيما ابن يعيش وابن الحاجب، وابن مالك، والرضي، واللاحقون لهم، فقد أكثروا من ذكره في أبواب النَّحو المختلفة، يصفون به طائفة كبيرة من المسائل، وتفرعاتها، وما يستتبع اقتران الكلمات فيها من تغيُّرٍ في الأحكام النَّحْوِيَّةِ، واستحداثٍ لمعانٍ، لم يكن لها أثرٌ قبل الاقتران، ذلك أنَّ اقترانَ كلمتين إنَّما كان من أجل معنًى، لم يكن حاصلًا عند التَّجريد، ومن تلك

الآثار الاختصاص، إذ يُعدُّ الاختصاص من الوسائل الكاشفة عن دلالات التَّركيب، والاقتران في أحيان كثيرة يكون وسيلة من وسائل الاختصاص، وقد تجمعت لديّ شواهد متنوعة في أبواب نحوية مختلفة، يظهر فيها أثر اقتران الأدوات في الدلالة على معنى الاختصاص.

المبحث الأول: الاختصاص بالاسم:

المسألة الأولى: اقتران (لام الابتداء) بضمير الفصل:

من المسائل التي يتبيّن فيها أثر الاقتران في الاختصاص ما في مسألتنا هذه، فيجدُر بنا أن نَقِفَ على وظيفة ضمير الفصل أو العِماد؛ لكي تتَّضح لنا أهمية اقتران (لام الابتداء) به، إذ إنَّ ضمير الفصل أو العِماد يأتي لوظيفة مهمّة، أمّا البصريون فيسمّون هذا الضمير (فصلاً)، ووظيفته أنه يفصل الاسم الذي قبله عن ما بعده، ليؤدّن أن ما بعده ليس من تمامه؛ أي ليس تابعاً له، فالاسم الأول قد تمّ معناه، وليس به حاجة إلى نعتٍ أو بدلٍ، بل يحتاج إلى الخبر؛ لتَمَامِ معناه؛ لأنّه ممّا ينتظره المُحدِّث ويتوقَّعه من المُتكلِّم، وهو رأي الخليل وسيبويه^(٢)، أو هو يأتي لبيان أن ما بعده معرفة، وهو رأي ابن السراج^(٣)، وذكر السيرافي أنَّ الرأي الجامع أنَّ الضمير جاء ليفصل بين معنى الخبر والصفة^(٤). وهذا الرأي هو الذي عليه المتأخرون^(٥).

وأوضح الرضي بأنَّ مؤدّى هذه الأقوال واحدٌ، ولكنَّ تقرير الخليل وسيبويه أحسن من تقرير المتأخرين^(٦)، ويبدو أنَّ تقرير الخليل وسيبويه أحسن من قبل أنَّ الضمير لا يفصل بين الاسم والخبر فحسب، بل هو أوسع من ذلك فيشمل البدل والتوكيد، فقد يُؤتى بالضمير ليفصل بين الاسم والبدل، أو عطف البيان؛ يقول السيرافي في بيان رأي سيبويه: ((أصل دخول الفصل إيذاناً للمخاطب المُحدِّث بأنَّ الاسم قديمٌ، ولم يبق منه نعتٌ، ولا بدلٌ، ولا شيءٌ من تمامه، وأنَّ الذي بقي من الكلام هو ما يلزم المُتكلِّم أن يأتي به، وهو الخبرُ، وهو الذي نحاه سيبويه))^(٧).

ويُفهم منه أنَّ الإتيان بالفصل للتنصيص على أنَّ المراد بالكلام معنى الإخبار، ومع التباس ذلك بمعنى البدل أو عطف البيان، نحو: (زيدٌ أبو عبد الله)، فقد يَظُنُّ المُحَدِّثُ أَنَّ (أبو عبد الله) بدلٌ من (زيد)، أو عطفٌ بيانٍ، فَيَنْتَظِرُ الخَبَرَ، فَجِيءَ بالضَّميرِ؛ لِئُبَعِدَ هذا الظَّنَّ، فقيل: (زيدٌ هو أبو عبد الله)، فتخصَّص بالخبر بالاقتران، وتقولُ في مَنْ حَرَبَ الأَرْضَ: (الحارثُ الحارثُ)، إذا كَانَ الاسمُ الأَوَّلُ علماً، فيكونُ الثاني مُحتمِلاً أَنْ يكونَ توكيداً لفظياً أو خبراً، فَيُؤْتَى بالضَّميرِ لِيُفصَلَهُ عن هذا معنى التَّوكيدِ، ويُمَحِّضُهُ للخبر، فيقولُ: (الحارثُ هو الحارثُ)، فيكونُ الاسمُ الثاني خبراً، لا غيرَ، وبهذا ذكر أبو حيان ((وقيل: الأولى أن يقال: فصلٌ به بين الخبر والتَّابع حتى يكون التابعُ أعَمُّ من النعت؛ إذ يقع الفصلُ بعد ما لا يُنعت، وقبل ما لا يُنعت به))^(٨) وبذلك يَتَبَيَّنُ أَنَّ تَقْرِيرَ الخَليلِ وسيبويه أفضلٌ؛ لأنَّه أشملٌ وأوسعُ.

أما الكوفيونَ فَيَسْمُونَهُ عِماداً؛ لأنَّه مُعْتَمِدُ الفائدةِ، في بيان أَنَّ الثاني ليس بتابعٍ للأول، يقولُ الفَرَّاءُ: ((وإذا جِئْتَ إلى الأسماءِ المَوْضُوعَةِ، مثلُ (عَمْرٍو، وَمُحَمَّدٍ)، أو إلى المُضَافَةِ، مثلُ (أبيكَ، وَأَخِيكَ) رَفَعْتَهَا، فقلت: (أظنُّ زيداَ هُوَ أخوك)، و(أظنُّ أخاك هُوَ زيدٌ)، فرفعتَ إذ لَمْ تَأْتِ بعلامةِ المَرَدودِ، وأتيتَ بِ(هو) التي هي علامةُ الاسمِ، وعلامةُ المَرَدودِ أَنْ يَرَجِعَ كُلُّ فِعْلٍ لَمْ تَكُنْ فِيهِ أَلْفٌ ولامٌ، بِأَلْفٍ ولامٍ، وَيَرَجِعَ عَلَيَّ الاسمِ فيكونُ (هُوَ) عِماداً للاسمِ، و(الألفُ واللامُ) عِماداً للفعلِ))^(٩)

و(العِمادُ) عِنْدَ الفَرَّاءِ العَلامةُ التي تَعوَدُ على الاسمِ، وَسَمَّاهُ عِماداً؛ لِأَنَّ الاسمَ يَعْتَمِدُ عَلَيْهِ في بيانِ أَنَّ ما بَعْدَهُ ليسَ مِنْ تَمَامِهِ، وَشَرطُهُ أَنْ يَكُونَ في الخَبَرِ (الألفُ واللامُ)، التي سَمَّاهَا- هي الأخرى- عِماداً للخَبَرِ، وتكونُ عائدةً على الاسمِ، وَيَشْتَرِطُ الفَرَّاءُ أيضاً أَنْ يَكُونَ مَوْضِعَ (العِمادُ) بَعْدَ الاسمِ، وَقَبْلَ الخَبَرِ^(١٠).

ونفهمُ مِنْ شُرُوطِهِ أَنَّ الاسمَ قَبْلَ الضَّميرِ، يَظُنُّهُ المُخَاطَبُ غيرَ تامٍّ، لِحَاجَتِهِ إلى ما بَعْدِهِ، فَيُؤْتَى بالضَّميرِ، لِيَعْتَمِدَ عَلَيْهِ الاسمُ في كونه غيرَ مُحتَاجٍ، و(الألفُ واللامُ) يَعْتَمِدُ عَلَيْهَا الخَبَرُ في أَنَّهُ راجِعٌ على المَبْتَدَأِ، مثالُ ذلك لو قُلنا: (زيدٌ قائمٌ)، لَمْ يَكُنْ نَمَّةً حَاجَةً إلى الضَّميرِ (العِمادِ)؛ لِأَنَّ الخَبَرَ ليسَ جُزءاً مُتَمِّماً للاسمِ، بل هو أَجْنَبِيٌّ عَنهُ. فإذا اعْتَمَدَ الخَبَرُ على (الألفُ واللامُ) أَي: (زيدٌ قائمٌ)، ظَنَّ المُخَاطَبُ أَنَّ (القائمُ) جُزءٌ

من الاسم؛ لأن فيه علامة المردود على الاسم وهي الألف واللام كما سماها الفراء، وبذلك احتاج الاسم إلى ما يبين تمامه، فيعتمد على الضمير في بيان ذلك، فصارت الجملة (زيد هو القائم).
وبذلك يتضح معنى (العماد) عند الكوفيين، ويتضح أيضاً سبب تسمية سيبويه الضمير فصلاً، إذ كل منهما نظر إلى الضمير من جهة الوظيفة، والفصل جيء به ليفصل الأول عن الثاني، والعماد لأن الأول يعتمد عليه في ذلك، ولو أن الدكتور أحمد مكي الأنصاري أنعم النظر في كلام الفراء لم يقع في خيرته حين سأل عن السبب الذي جعل الفراء يعتمد إلى تغيير مصطلح (الفصل) مع أن مؤداهما واحد^(١١).
ومهما يكن من أمر فضمير الفصل أو العماد يؤدي وظيفة خاصة، وهي بيان قصد المتكلم في أن ما بعد المبتدأ يكون هو الخبر لا التابع، وعلى الرغم من أهمية هذا الضمير فإنه يلتبس أحياناً بالبدل أو التوكيد، مما يستدعي قرينة جديدة تكشف قصد المتكلم، وهذه القرينة هي اقتران (لام الابتداء) بضمير الفصل أو العماد.

ومن تلك المواضع أن يكون الضمير مُرَدِّدًا بين الفصل والتوكيد، ما ورد في قوله تعالى: ﴿كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾^(١٢)، وقال: ﴿وَكُنَّا نَحْنُ الْوَرِثِينَ﴾^(١٣)، فقد ذكر ابن يعيش أن الضمير المرفوع يؤكد بالضمير المرفوع، وهو من جهة أخرى فصلاً^(١٤)، ويحتمل التوكيد والفصل والبدل في نحو: (أنت أنت الفاضل)، ونحو قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ﴾^(١٥)، إذ إن الضمير يتردد إعرابه بين هذه الثلاث.
فهذه المواضع ظلت مُرَدِّدَةً بين الفصل وغيره، على الرغم من أن الفصل أو العماد جيء به من أجل أن يرفع توهم إرادة أن ما بعد المبتدأ يكون تابعاً، فإذا بالضمير يكون محل تردّد، فما كان عماداً للاسم وفصلاً له عن ما بعده نجد في هذه المواضع يحتمل داليتين أو أكثر، فالمخاطب يفهم من الضمير إرادة الفصل وغيره، فإن كان قد فهم منه الفصل في نحو: (أنت أنت الفاضل) فيكون (الفاضل) خبراً للمبتدأ لا غير، وإن كان قد فهم من الضمير البدل أو التوكيد، يكون (الفاضل) مُحْتَمِلاً للخبر والصفة فيه، وبذلك يعود النص إلى الدلالة الاحتمالية.

وفي هذا الأمر يتبين لنا أثر الاقتران في تخصيص الضمير بأنه للفصل لا لغيره من الاحتمالات، فاقتران (اللام) بضمير الفصل يجعل الدلالة الاحتمالية دلالة قطعية، فلو قلنا: (أنت لأنت الفاضل) لارتفع توهم إرادة التوكيد والبدلية؛ لأن (اللام) تفصل بين التوكيد والمؤكد، كما تفصل بين البدل والمبدل منه، وهذا لا يجوز فيهما، ومعه تنتفي إرادة أن يكون ما بعد المبتدأ صفة، فتعين الفصل وتخصص، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَحْنُ الْعَلِيُّونَ﴾^(١٦)، فقوله: (الغالبون) خبر (إن)؛ لأن ضمير الفصل مقترن ب(لام الابتداء)، ومثله يقال في قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾^(١٧)، وفي هذا المعنى يقول ابن مالك عن خبر المبتدأ المفصول بالضمير: ((فإن نصبته، وقرن الضمير ب(اللام) المفتوحة تعينت الفصلية، ظاهراً كان ذو الخبر أو ضميراً، وإن نصبت الخبر، ولم يقرن الضمير ب(اللام) تعين الفصل، إن كان المخبر عنه ظاهراً، وجاز التوكيد و الفصلية إن كان المخبر عنه ضميراً))^(١٨)

ومن هنا يتبين سبب دخول (لام الابتداء) على (ضمير الفصل) في باب (إن وأخواتها)؛ إذ إن هذه (اللام) تدخل على الخبر أو معموله، أو على المبتدأ إذا تأخر عن الخبر، فدخوله على (ضمير الفصل) لأنه واقع موقع الخبر، فكأنه داخل على الخبر^(١٩)، وإنما وقعت موقع الخبر للعرض الذي ذكرناه، وهو رفع توهم أن ما بعد المبتدأ تابع، فهو عماد للاسم من جهة، وهو تقوية للخبر من جهة أخرى^(٢٠)، فيعد توطئة له، وتمهيداً، ولذلك جاز دخول هذه (اللام) عليه.

ومنه يتضح أن قول النحويين إن (ضمير الفصل) يفيد التوكيد^(٢١) قول غير محقق؛ ذلك أن معنى التوكيد في هذه المسألة معنى ثانوي؛ لأن التوكيد في النحو، إما أن يكون توكيداً لفظياً أو معنوياً، أما التوكيد المعنوي فله ألفاظ مخصوصة، وليس الضمير واحداً منها، وأما التوكيد اللفظي فإن الضمير لا يؤكد الظاهر^(٢٢)، ولقد أنكر سيويه ذلك إنكاراً شديداً، بقوله: ((....، وقد زعم ناس أن (هو) ها هنا صفة، فكيف يكون صفة، وليس من الدنيا عربي يجعلها ها هنا صفة للمظهر))^(٢٣)، وأراد بالصفة التوكيد، والرضي يذهب إلى أنه يحمل معنى التوكيد وإن كان لا يعرب توكيداً^(٢٤)، فهذا المعنى ليس هو الغرض الرئيس له،

بل الثابت أنّ الغرض هنا الإتيان بالضمير من أجل إزالة التوهّم المُستتبع لمعنى التوكيد بإثبات الخبر، وأمّا التوكيد فإنه أمر ثانويّ، ودلالة هامشية، والدلالة المركزيّة تكمن في إزالة اللبس ورفع التوهّم، ومع ذلك نجد من النحويين من وجّهوا عنايتهم إلى الدلالة الهامشية للضمير، حين ذكروا أنّ الغرض من الضمير التوكيد، ولذلك نرى أنّ ابن مالك كان على صواب حين ذكر الغرض من هذا الضمير، بقوله: ((لما كانت فائدة الفصلِ صونَ الخبرِ من توهّمِهِ تابعاً، لزم من ذلك الاستغناء عنه إذا قدّم الخبر))^(٢٥)، من هنا نصل إلى نتيجة مفادها أنّ اقتران (اللام) ب(ضمير الفصل أو العماد) من أجل رفع توهّم من يظن أنّ الضمير يكون توكيداً أو بدلاً، وإنّما هو مخصّص للفصل والعماد، سوّغ هذا الغرض دخول (لام الابتداء) على (ضمير الفصل) في غير المواضع المشهورة التي تدخل فيها هذه (اللام).

المبحث الثاني: الاختصاص بالفعل:

اقتران (أن) المصدرية بالفعل:

(أن) المصدرية، تقترن بالفعل المتصرف، سواءً ماضياً كان أم مضارعاً أم أمراً^(٢٦)، وقد ذكر السيرافي هذا الاقتران، في باب (تغيير الإعراب عن وجهه) في بيان قولهم: (ما تجلس عندهنا فتحدّثنا)، فقال: ((كأنّه قال: ما يكون منك جلوس، وقدّر في الثاني (أن) فنصب بها الفعل، ثم كره أن يكون الأول في لفظ الفعل، والثاني يقترن به ما يصيّر اسماً، وهو (أن) ((^(٢٧)، فقوله: (ما يصيّر اسماً)، إشارة مهمة إلى أثر هذا الاقتران، ذلك أنّ (أن) إن اقترنت بالفعل خصّصته بشيء، مفاده جعل الفعل في قوّة الاسم، فيعرب بإعرابه، ولا يكون ذلك للفعل لولا الاقتران.

فالفعل لا يقع مثلاً مُسنداً إليه، فلا تقول: (يعجبني تقوم)، قاصداً إسناد الفعل (تقوم) إلى الفعل (يعجب)، لكن إذا اقترن الفعل (تقوم) ب(أن) جاز ذلك، وصحّ المعنى فتقول: (يعجبني أن تقوم)، على تأويل المصدر المأخوذ من لفظ الفعل المُقترن ب(أن)، أي: (يعجبني قيامك)، والمصدر المؤوّل في معنى المصدر الصريح تماماً، يقول سيويه ((هذا باب من أبواب (أن) التي تكون والفعل بمنزلة مصدر، تقول: (أن تأتيني خير

لك)، كأنك قلت: (الإتيان خير لك)، ومثل ذلك قوله تبارك وتعالى: ﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ﴾^(٢٨)، يعني: الصَّومُ خَيْرٌ لَكُمْ^(٢٩)، فتركيب (أَنْ والفعل) يكون بقوة الاسم، ويجعله النحويون مصدرًا مؤولاً. والذي يظهر عندنا أنَّ تركيب (أَنْ والفعل) له حكمٌ خاص، يفرِّقه عن المصدرِ الصَّريح، إذ لا يصحُّ تأويلُ أحدهما في مكان الآخر، والدليلُ على ذلك ما يأتي:

١. الفارقُ الزَّمني بينهما، ذلك أنَّ المصدرَ الصَّريح يدلُّ على زمانٍ مُبهمٍ، وليس زماناً معيناً^(٣٠)، في حين أنَّ تركيب (أَنْ والفعل) يعطي معنى الزَّمانِ المُحدَّد، فلو تأملنا معنى الجملتين: (يعجبني أن تقوم، ويعجبني قيامك) نجدُ أنَّ الجملة الأولى تُخبرُ عن حدثِ الإتيان في الزمانِ المُستقبل؛ لأنَّ (أَنْ) للمُستقبل، فالفعل لم يحدث بعد، في حين أنَّ الجملة الثانية إخبارٌ عن حدوثِ القيام في زمانٍ مُبهمٍ، قد يكون في الماضي أو في الحاضر، فهو إخبار عن القيام من دون الإشارةِ إلى زمنه، بالنسبة لزمن فعل التَّعجب، فهناك فرقٌ بين الجملتين.

ويدلُّ على الفارقِ الزَّمني بينهما اقترانُ (أَنْ) بالصَّيغِ المُختلفة للفعل، فتقول: (يعجبني أن تقوم، ويعجبني أن قام)، ولو لم يكن الفرقُ ملحوظاً، لجازَ أن تقعَ كلُّ صيغةٍ مكانَ الأخرى، يقولُ الفراءُ: ((ألا ترى أنك تقول: (أمرتك أن تقوم)، ولا يصلحُ أمرتك أن قمت))^(٣١)؛ لأنَّ الفعل (أمر) يطلبُ المُستقبل، ولا يصلحُ معه الفعل الماضي^(٣٢)، فاختلافُ صيغِ الفعلِ المُقترنِ بـ(أَنْ) فيه دلالةٌ أخرى على أنَّ الزمانَ مُقترنٌ بالحدث. وما يزيدُ الأمرَ وضوحاً، ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ يقول أبو حيَّان: ((وفيه حُضٌّ على الصَّوم))^(٣٣)، فقوله (فيه حُضٌّ) يدلُّ على أنَّه أمرٌ مُستقبل، وأنَّ الصَّيامَ لم يقع؛ لأنَّ فيه دعوة له، ولذلك وردَ التَّركيبُ بـ(أَنْ) المُقترنة بالفعلِ المُضارع، ولو قال: (الصَّوم خيرٌ لكم) فلا يُعلم أ وقع الصَّوم أم لم يقع؛ لأنَّ المصدرَ مُبهمُ الزَّمان.

ومما يُستدلُّ به على الفرقِ بين المصدرِ الصَّريحِ وتركيبِ (أَنْ والفعل) ما ذكره ابنُ القَيِّم في تفسير قول الشاعر^(٣٤):

وَلَبَسُ عِبَاءَةً وَتَقَرَّرَ عَيْنِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ لِبْسِ الشُّفُوفِ

وفيه عطف الفعل المضارع المنصوب بـ(أن) المضمرة على المصدر الصريح، إذ يقول: ((المراد ما في المصدر من الدلالة على ثبوت نفس الحدث وتعليق الحكم به، دون تقييده بزمانٍ دون زمانٍ، فلو أتى الفعل المقيّد بالزمان لغات الغرض، ألا ترى أنّ قولها: (ولبسُ عباءةٍ وتقرّر عيني) المرادُ به حصولُ نفس اللبسِ مع كونها تقرّر عينها كلّ وقتٍ شيئاً، بعد شيءٍ، فقرّة العين مطلوبٌ تجدّدها بحسبِ تجدّدِ الأوقاتِ، وليس هذا مراداً في لبسِ العباءة))^(٣٥). بهذا المعنى يتضح الفرقُ جليناً بين الاستعمالين.

٢. إنَّ اقترنَ (أن) بالفعل له معنى غير ملحوظ في المصدر، وهو دلالته على الجزاء، فقولك: (أن تقوم بالأمر خيرٌ لنا)، كأنك قلت: (إن تقم فهو خيرٌ لنا)، وهذا المعنى أبرزه الفراء، بقوله: ((قوله: ﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾^(٣٦)، ﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ﴾ هو جزاء؛ المعنى: إن تصوموا فهو خيرٌ لكم^(٣٧)، فتأويلُ الآية الأولى على هذا القول: (إن تعفوا فهو أقرب للتقوى)، وهذا المعنى غير متوافر في المصدر.

٣. في بعض تراكيب الكلام يتعدّر تأويلُ الفعلِ المقترن بـ(أن) مصدراً صريحاً، من ذلك خبرُ (عسى) لا يكون إلا مقترناً بـ(أن)، تقول: (عسى زيدٌ أن يقوم)، فلا يجوزُ أن تقول: (عسى زيدٌ القيام)؛ لكي لا يُخبر بالمصدر عن الذات، وذلك يقول سيبويه: ((وسألته عن معنى قوله: (أريدُ لأن أفعل)، إنّما يريدُ أن يقول: إرادتي لهذا، كما قال عز وجل: ﴿وَأْمُرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾^(٣٨)، إنّما هو أمرٌ لهذا))^(٣٩). فلم يقل: أريدُ للفعل، ولا أمرتُ للكون.

وندرِكُ أيضاً سرَّ اختلافِ التعبيرِ بين المصدرِ المؤولِ، والمصدرِ الصريحِ في ما وردَ في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ ٢٠ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقُرُونَ ٢١ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتَلَفُ الْأَسْنَانِ وَاللُّغَاتِ ٢٢ وَمِنْ آيَاتِهِ لِقَوْمٍ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ

الْأَرْضُ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ٢٤ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرَجُونَ ﴿٤٠﴾.

إذ نلاحظ في هذه الآيات التنوع التعبيري بين المصدرِ الصريحِ تارةً، وبينَ (أن والفعل) تارةً أخرى، والأفعالِ المقترنة بـ(أن) جاءت ماضيةً ومضارعةً، ولولا الفروق الدلالية بين هذه التراكيب لما كان لهذا التغيير من وجه، يقول ابن عاشور: ((ومن بديع الاستعمال، تفنُّن هذه الآيات، في التعبير عن معاني المصدر، بأنواع صيغه الواردة في الاستعمال، من تعبير بصيغة صريح المصدر تارة، كقوله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾، وقوله: ﴿وَاتَّبَعْنَاكُمْ مِّنْ فَضْلِهِ﴾، وبالمصدر الذي ينسبُ من اقترانِ (أن) المصدرية بالفعل الماضي: ﴿أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ واقترانها بالفعل المضارع: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾، وباسم المصدر تارة: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾، ومرةً بالفعلِ المُجرَّدِ المؤول بالمصدر: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ﴾))^(٤١)

إذاً الفرقُ بين المصدرِ الصريحِ و(أن والفعل) يدعو إلى القول: إنَّ اقترانَ (أن والفعل) هو تركيبٌ يُخصِّصُ الفعلَ ويجعله في قوة الاسم من حيث إنَّه يقعُ في موقعه الإعرابي، وإنَّ هذا التركيبُ يخلقُ لنا استعمالاً خاصاً، نلمح منه دلالةً جديدةً لا نجدُها في المصدرِ الصريحِ، ولا في الفعلِ المُجرَّدِ عن (أن).

المبحث الثالث: الاختصاص بالحرف:

اقتران (لا) النافية بالواو العاطفة:

كثيراً ما يقترنُ العاطفُ بـ(لا) في النَّفي والنَّهي، وذلك لدواعي الكلام التي تقتضي ذلك، كما نجد في مواضع النَّجْرَدِ عن (لا)، سواءً في النَّفي أو النَّهي، تقول: (ما جاءني زيدٌ وعمرو)، كما تقول: (ما جاءني زيدٌ ولا عمرو)، وسيتضحُ من البحثِ اختلافُ النَّحويين في هذا الاقترانِ، فمنهم من لا يرى اختلافاً في المعنى، سواءً ذُكرتْ (لا) أو لم تُذكر، ومنهم من يرى أهميةً لهذا الاقترانِ، وقد أوضح ذلك ابنُ هشام بقوله: ((وكذلك (لا) المقترنة بالعاطف في نحو: (ما جاءني زيدٌ ولا عمرو) ويسمونها زائدةً، وليست بزائدة البتة، ألا ترى

أنه إذا قيل: (ما جاءني زيدٌ وعمرو) احتمل أن المراد نفي مجيء كليّ منهما على كلّ حال، وأن يُراد نفي اجتماعهما في وقت المجيء، فإذا جيء بـ(لا) صار الكلام نصّاً في المعنى الأول، نعم هي في قوله سبحانه: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾^(٤٢)، لمجرد التوكيد، وكذا إذا قيل (لا يستوي زيدٌ ولا عمرو) ((٤٣)).

وفي قول ابن هشام هذا بيان لـ(لا) من حيث الأصالة والزيادة، ولهذا علقه بمعناها وباقترانها، ولذلك سيكون كلامنا على تأصيلها، لتتضح أهمية الاقتران، واختصاصه بإحدى المحتملات من المعاني.

أما مسألة الأصالة، والزيادة، فقد نصّ ابن هشام على أن (لا) أصلية في نحو: (ما جاءني زيدٌ ولا عمرو)، وذلك لتعلق المعنى بها، ونفهم منه أن أصالة الحرف، وزيادته، مرتبطة بأهمية الحرف في الجملة، وتأثيره في المعنى، فإن كان الحرف لا يؤثر في المعنى عند حذفه، وكان دخوله كخروجه، فهو زائد للتوكيد، ومثال ذلك ما قاله سيبويه في زيادة (من): ((وقد تدخل في موضع، لو لم تدخل فيه، كان الكلام مستقيماً، ولكنها توكيد، بمنزلة (ما)، إلا أنها تجر؛ لأنها حرف إضافة، وذلك قولك: (ما أتاني من رجل)، و(ما رأيت من أحد)، ولو أخرجت (من) كان الكلام حسناً))^(٤٤)، فحرف الجر (من) عند سيبويه في الأمثلة التي ذكرها زائد؛ لأنه لو حذف لم يؤثر في المعنى، وهذا ما عليه كثير من النحويين، الذين يرون أن الزائد ما كان دخوله كخروجه^(٤٥)، ويقصدون بذلك أن الكلام لا يفتقر إليه، ولا يؤثر في المعنى إن حذف.

وعلى الرغم من أهمية (لا) هذه في المعنى، وكان دخولها ليس كخروجها، عدت زائدة عند كثير من النحويين^(٤٦)، ومعنى ذلك أن دخولها كخروجها، ولم تُعد سوى توكيد النفي، ولا أهمية لها غير ذلك، وأنها سواءً ذكرت أم لم تُذكر، فإنّ المعنى واحد.

والظاهر أن (لا) هذه ليست زائدة، وذلك أن الحرف، إنّما يُؤتى به لضرب من الاختصار، فإذا جاز حذفه، والاستغناء عنه، فسيؤدي إلى الحذف بعد الحذف، أو إلى الاختصار بعد الاختصار، وفي ذلك إجحاف لبنية الكلام^(٤٧)، و(لا) هذه جاءت اختصاراً من إعادة الفعل المنفي، فكأنك قلت: (ما جاء زيدٌ وما جاء

عمرو^(٤٨)، ولما كانت اختصاراً من الفعل، فعدها زائدة، وإمكانُ الاستغناء عنها اختصاراً للمختصر، ف(لا) لها غرضٌ تَوَدِّيهِ، ولها تأثيرٌ في المعنى، وجوازُ الاستغناء عنها، وطرحُها نقضٌ للغرض، وهو أمرٌ تتحاماها العرب، وتمتنعُ منه^(٤٩).

ولهذه السبب نرى أنَّ القولَ بأصالتها أولى من القول بالزيادة؛ وذلك لتوقفِ المعنى عليها، ومنه نُدرك استغرابَ الرّضِيِّ، وتعجُّبه، من القول بزيادة الحرف، على الرّغم من توقُّفِ المعنى عليه بقوله: ((والعجبُ أنّهم لا يرون تأثيرَ الحروف معنوياً، ك(التأكيد) في الباء، و(رفع الاحتمال) في (لا) هذه، وفي (من) الاستغراقية: مانعاً من كون الحروف زائدة، ويرون تأثيره لفظياً، ككونها كافة: مانعاً من زيادتها))^(٥٠).

فلما كانت (ما) الكافية، ليست بزائدة، عدَّ الرّضِيُّ (لا) الرافعة للاحتمال، أولى بأن تكون غير زائدة، وإذا اتّضح هذا، نُبيّن المسألة الأخرى، وهي أثرُ الاقتران، فاقترانُ (لا) بحرف العطف(الواو) أزال الاحتمال، وجعل المعنى مُختصّاً، فقولنا: (ما جاءني زيدٌ وعمرو)، احتُمل فيه احتمالات، أنّهما لم يأتيا في وقتٍ واحدٍ، مجتمعين، أو لم يأتيا متفرقين، أو احتمل مجيء أحدهما دون الآخر، وهذه الاحتمالات التي ذكرها ابن هشام قد سبقه إليها غير واحد من النحويين^(٥١)، فإن اقترنت (لا) بالعاطف، فإنّها تُخصِّص المعنى بنفي المجيء على أيِّ حال، وجعل منه قوله تعالى: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ﴾^(٥٢)، فباقترانِ (لا) عُلِمَ أنَّ التّقریب، لا يحصل في الأموال، و في الأولاد، لا مُجتمعين ولا مُتفرقين، ولو حُذفت (لا) لاحتمل نفي التّقریب عند الاجتماع دون الافتراق^(٥٣)؛ وذلك أنَّ الاجتماع يُفهم من (الواو) الدّالة عليه، وأمّا إن كان الاجتماع يُفهم من مضمون الجملة؛ أي أن يكون الفعل المنفي دالاً عليه، فالاقتران هنا لا يدلُّ على الاختصاص، وتكون (لا) هذه لتوكيد النفي فحسب، وهو ما ذكره ابن هشام في كلّ فعلٍ يدلُّ على الاشتراك، نحو: (استوى) و(اختصم) وتمثّل بقوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾، ف(لا) الثانية عنده، زائدة، لتوكيد النفي، كما تبين؛ وذلك لأنَّ (لا) هذه، لم يُؤت بها لإزالة احتمال، ولم تكن نصّاً في

تخصيص معنى دون غيره، ومثله قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءَ﴾^(٥٤).

وقد اشترط ابن مالك في (لا) هذه، التي تزيل الاحتمال، أن لا تكون الجملة دالة على الاستثناء، نحو: (قاموا إلا زيداً وعمراً)؛ وذلك لأنها في معنى: (قاموا لا زيداً ولا عمرو)^(٥٥)، ولا داعي لذكر هذا الشرط؛ لأن هذه الجملة، إن كانت تدل على النفي ضمناً، فلا وجود لـ(لا) أصلاً، وكلامنا عن (لا) إذا كانت في الكلام لفظاً لا تقديراً، فليست هذه كتلك.

ومثل (لا) الدالة على النفي، (لا) الدالة على النهي، فقد ذكر المبرّد: ((وتقول: (لا يقيم زيدٌ ولا يقعدُ عبدُ الله) إن عطفَ نهيًا على نهي، وإن شئت قلت: (لا يقيم زيدٌ ويقعدُ عبدُ الله) وهو بإعادتك (لا) أوضح؛ وذلك لأنك إذا قلت: (لا يقيم زيدٌ ولا يقعدُ عبدُ الله) تبين لك أنك قد نهيت كل واحدٍ منهما منفرداً عن الآخر، وإذا قلت: (ويقعدُ عبدُ الله) بغير (لا) فهذا وجهٌ، وقد يجوز أن يقع عند السامع أنك أردت لا يجتمع هذان، فإن قعدَ عبدُ الله، ولم يقيم زيدٌ، لم يكن المأمورُ مخالفاً))^(٥٦)، ففي أسلوب النهي ما يكون فيه أكثر من احتمال، كما ذكر في: (لا يقيم زيدٌ ويقعدُ عبدُ الله)، فإنه إن قعدَ عبدُ الله، لم يكن مخالفاً، لأمر المتكلم؛ لأن المعنى يحتمله، لكن إن اقترن بـ(لا) فإن المعنى يتخصّصُ بنهيهما كليهما، بأن لا يقيم زيدٌ ولا يقعدُ عبدُ الله، وقول المبرّد في بداية حديثه (لا يقيم زيدٌ ولا يقعدُ عبدُ الله) أنه عطفُ نهيٍ على نهيٍ، يشير إلى أنه يرى أن (لا) الثانية ليست زائدة، وإنما هي أصلية، وقد جعل الكلامَ عطفَ جملةٍ على جملةٍ، وهو الصحيح؛ وذلك لتوقّف الكلام عليها كما في النفي.

وبناءً على ما تقدّم ندرك أهمية اقتران (لا) بالعاطف؛ لذلك من أثرٍ في دلالة الجملة؛ إذ إن الاستعمالات التي تحتل أكثر من معنى يُخصّصُ الاقتران معناها، سواءً كان ذلك في النفي أو النهي.

الخاتمة:

عند دراسة أثر الاقتران في توجيه دلالة الاختصاص ثبت الآتي:

١. قد يؤثر الاقتران في زيادة معنى، لا يُدرك بيسر بل يفهم من سياق التركيب، وهذا المعنى يضاف على معنى الاختصاص المصرح به، فبين البحث أنّ الغرض من ضمير الفصل ليس التوكيد، للأسباب التي ذكرناها، وإنما الغرض هو الإتيان بالضمير من أجل إزالة التوهم المُستتبع لمعنى التوكيد بإثبات الخبر.
٢. قد يكشف الاقتران أنّ الأداتين المقترنتين مقصودتان في الاستعمال، إذ لا يصحّ ما يناظرهما في المعنى نفسه، على الرغم من أنّ النحويين أقرّوا التناوب بينهما، من ذلك التفريق بين استعمال المصدر الصريح والمصدر المؤول من (أن والفعل) وقد كشف الباحث عن أثر المصدر المؤول في توجيه دلالة الاختصاص في هذا الاستعمال.
٣. تبين من هذا البحث أن لا العاطفة ليست زائدة، فعدها زائدة، وإمكان الاستغناء عنها اختصاراً للمختصر، ف(لا) لها غرض تؤدّيه، ولها تأثير في المعنى، وجواز الاستغناء عنها، وطرحها نقض للغرض، وهو أمر تتحاهاه العرب كما أوضحنا.

-
- ١ - معجم المصطلحات النحوية والصرفية: ١٨٦.
 - ٢ - ينظر: كتاب سيبويه: ٣٨٩/٢، وشرح الرضي على الكافية: ٤٥٦/٢.
 - ٣ - ينظر: الأصول في النحو: ١٢٥/٢.
 - ٤ - ينظر: شرح كتاب سيبويه: ١٥٨/٣.
 - ٥ - ينظر: المفصل: ١٧٢، والبديع في العربية: ٦٠/١، وشرح المفصل لابن يعيش: ١١١/٣، وشرح التسهيل لابن مالك: ١٦٨/١، والتنزيل والتكميل: ٢٨٥/٢ ومغني اللبيب: ٤٩٦/٢، وتعليق الفرائد: ١٢٨/٢.
 - ٦ - ينظر: شرح الرضي على الكافية: ٤٥٦/٢.
 - ٧ - شرح كتاب سيبويه: ١٥٨/٣.
 - ٨ - التنزيل والتكميل: ٢٨٥/٢.

- ٩ - معاني القرآن: ٤٠٩/١-٤١٠.
- ١٠ - ينظر: معاني القرآن: ٥٠/١.
- ١١ - ينظر: أبو زكريا الفراء ومذهبه في النحو واللغة: ٤٤١.
- ١٢ - سورة الأنعام، من الآية: ١١٧.
- ١٣ - سورة القصص، من الآية: ٥٨.
- ١٤ - ينظر: شرح المفصل: ١١١/٣، ومغني اللبيب: ٤٩٧/٢.
- ١٥ - سورة المائدة، من الآيتين: ١٠٩، ١١٦.
- ١٦ - سورة الشعراء، من الآية: ٤٤.
- ١٧ - سورة هود، من الآية: ٨٧.
- ١٨ - شرح التسهيل: ١٦٩/١.
- ١٩ - ينظر: شرح الرضي على الكافية: ٣٥٩/٤.
- ٢٠ - ينظر: مجالس ثعلب: ٣٥٤، والمقاصد الشافية: ٣٥٧/٢.
- ٢١ - ينظر: المفصل: ١٧٢، والبدیع في العربية: ٦٠/١، وشرح المفصل لابن يعیش: ١١١/٣، وأمالی ابن الحاجب: ٣٠٣/١.
- ٢٢ - ينظر: أمالي ابن الحاجب: ٨١٢/٢.
- ٢٣ - كتاب سيبويه: ٣٩٠/٢.
- ٢٤ - ينظر: شرح الرضي على الكافية: ٤٥٧/٢.
- ٢٥ - شرح التسهيل: ١٦٨/١.
- ٢٦ - زعم ابن طاهر أن (أن) المصدرية المقترنة بالفعل الماضي غير المصدرية الداخلة على الفعل المضارع، وردّه ابن هشام، ينظر: مغني اللبيب: ٢٨/١، ٢٩.
- ٢٧ - شرح كتاب سيبويه: ٢٤٨/١.
- ٢٨ - سورة البقرة، من الآية: ١٨٤.
- ٢٩ - كتاب سيبويه: ١٥٣/٣، وينظر: المقتضب: ٣٦١/٢، والأصول في النحو: ١٣٩/١، وأمالی ابن الشجري: ١٥٢/٣.
- ٣٠ - ينظر: المرتجل في شرح الجمل: ١٤، وشرح المفصل لابن يعیش: ٨٢/١.

- ٣١ - معاني القرآن: ١/٢٦١.
- ٣٢ - المصدر نفسه: ١/٢٦١.
- ٣٣ - البحر المحيط: ٢/١٩٣.
- ٣٤ - لميسون بنت بحدل، ينظر: كتاب سيبويه: ٣/٤٥، والمقتضب: ٢/٢٧، والأصول في النحو: ٢/١٥٠.
- ٣٥ - بدائع الفوائد: ٢/٤٦٨.
- ٣٦ - سورة البقرة، من الآية: ٢٣٧.
- ٣٧ - ينظر: معاني القرآن: ١/١٧٩.
- ٣٨ - سورة الزمر، من الآية: ١٢.
- ٣٩ - كتاب سيبويه: ٣/١٦١.
- ٤٠ - سورة الروم، الآيات: ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥.
- ٤١ - التحرير والتنوير: ١٢/٧٨، ٧٩.
- ٤٢ - سورة الفاطر، من الآية: ٢٢.
- ٤٣ - مغني اللبيب: ١/٢٤٥.
- ٤٤ - كتاب سيبويه: ٤/٢٢٥.
- ٤٥ - ينظر: الأصول في النحو: ١/٢٣٢، والانتصار لسيبويه: ٧٨، ٢٥٧، وشرح كتاب سيبويه للسيرافي: ٢/٢٧٨، واللمع في العربية: ٧٣، والمرتل في شرح الجمل: ٣١٨، وشرح المفصل لابن يعيش: ٢/١٠١.
- ٤٦ - ينظر: المفصل: ٤٢٤، وأمالى ابن الشجري: ٢/٥٤١، والبديع في العربية: ٢/٤٢٧، وشرح الرضي على الكافية: ٤/٤٣٦، وحاشية الصبان: ٣/١٦٤.
- ٤٧ - ينظر: الخصائص: ٢/٢٧٥.
- ٤٨ - ينظر: شرح الرضي على الكافية: ٤/٣٨٤، وارتشاف الضرب: ٤/١٩٨٤.
- ٤٩ - ينظر: الخصائص: ٣/٢٣٥.
- ٥٠ - شرح الرضي على الكافية: ٤/٤٣٦.

- ٥١ - ينظر: المقتضب: ١٣٤/٢-١٣٥، وأمالي ابن الشجري: ٥٤١/٢، وشرح التسهيل: ٣٥١/٣، وشرح الرضي على الكافية: ٣٨٣/٤، وارتشاف الضرب: ١٩٨٤/٤.
- ٥٢ - سورة سبأ، من الآية: ٣٧.
- ٥٣ - ينظر: شرح التسهيل لابن مالك: ٣٥١/٣.
- ٥٤ - سورة الغافر، من الآية: ٥٨.
- ٥٥ - ينظر: شرح التسهيل: ٣٥١/٣.
- ٥٦ - المقتضب: ١٣٤/٢.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.

أولاً: الكتب المطبوعة:

١. أبو زكريا الفراء ومذهبه في النحو واللغة: د. أحمد مكي الأنصاري، مطبوعات المجلس الأعلى للرعاية والفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، القاهرة، ١٨٨٤هـ - ١٩٦٤م.
٢. ارتشاف الضرب من لسان العرب: أبو حيان الأندلسي محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين (ت ٧٤٥هـ)، تحقيق ودراسة: د. رجب عثمان محمد، ومراجعة: د. رمضان عبد التّوّاب، ط١، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
٣. الأصول في النحو: ابن السراج أبو بكر محمد بن السري بن سهل النحوي (ت ٣١٦هـ)، تحقيق: د. عبد الحسين الفتلي، ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
٤. أمالي ابن الحاجب: ابن الحاجب أبو عمرو عثمان بن عمر بن أبي بكر (ت ٦٤٦هـ)، دراسة وتحقيق: د. فخر صالح سليمان قداره، دار عمّار، عمّان - الأردن، ودار الجبل، لبنان، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
٥. أمالي ابن الشجري: ابن الشجري هبة الله بن علي بن محمد بن حمزة الحسني العلوي (ت ٥٤٢هـ)، تحقيق ودراسة: د. محمود محمد الطناحي، ط١، مكتبة الخانجي، القاهرة. مصر، ١٤١٣هـ - ١٩٩١م.
٦. الانتصار لسبويه على المبرد: ابن ولاد أبو العباس أحمد بن محمد التميمي (ت ٣٣٢هـ)، دراسة وتحقيق: د. زهير عبد المحسن سلطان، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

٧. البحر المحيط في التفسير: أبو حيان الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر - بيروت، ١٤٢٠هـ.
٨. بدائع الفوائد: ابن قيم الجوزية، تحقيق علي بن محمد العمران، ط١، دار عالم الفوائد - مكة المكرمة، ١٤٢٥ هـ.
٩. البديع في علم العربية: ابن الأثير أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري (ت٦٠٦هـ)، تحقيق ودراسة: د. فتحي أحمد علي الدين، ط١، جامعة أم القرى، مكة المكرمة - المملكة العربية السعودية، ١٤٢٠هـ.
١٠. التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، ابن عاشور محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي (ت١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.
١١. حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك: الصبان، أبو العرفان محمد بن علي الشافعي (ت١٢٠٦هـ)، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
١٢. الخصائص، ابن جني: تحقيق: محمد علي النجار، ط٤، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.
١٣. شرح التسهيل: ابن مالك، تحقيق: د. عبد الرحمن السيد، ود. محمد بدوي المختون، ط١، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
١٤. شرح الرضي على الكافية: الرضي، محمد بن الحسن الاستراباذي (ت ٦٨٦ هـ)، تحقيق وتصحيح وتعليق: د. يوسف حسن عمر، ط٢، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي - ليبيا، ١٩٩٦م.
١٥. شرح كتاب سيبويه: السيرافي، أبو سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان (ت ٣٦٨هـ) تحقيق: أحمد حسن مهدي، وعلي سيد علي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
١٦. شرح المفصل: ابن يعيش، أبو البقاء موفق الدين يعيش بن علي (ت ٦٤٣هـ)، صحح وعلق عليه حواشي نفيسة مشيخة الأزهر المعمور، عنيت بطبعه ونشره إدارة الطباعة المنيرية بمصر، (د.ت).
١٧. كتاب سيبويه: سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت ١٨٠هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، ط٣، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
١٨. اللمع في العربية: ابن جني، تحقيق: د. فائز فارس، دار الكتب الثقافية، الكويت، ١٩٧٢م.
١٩. مجالس ثعلب: ثعلب، شرح وتحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، مصر، ١٩٤٨م.

٢٠. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن الأندلسي (ت ٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢ هـ .
٢١. المرتجل في شرح الجمل: ابن الخشاب أبو محمد عبد الله بن أحمد (ت ٥٦٧هـ)، تحقيق ودراسة: علي حيدر، دمشق، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.
٢٢. معاني القرآن: الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور (ت ٢٠٧هـ)، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي، ومحمد علي النجار، وعبد الفتاح إسماعيل الشلبي، ط١، دار المصرية، القاهرة، ١٩٥٥م.
٢٣. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ابن هشام الأنصاري، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، منشورات مكتبة الصادق للمطبوعات، د. ت.
٢٤. المفصل في صناعة الإعراب: الزمخشري، تحقيق: د. علي بو ملح، ط١، مكتبة الهلال، بيروت، ١٩٩٣م.
٢٥. المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية: الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى (ت ٧٩٠هـ)، تحقيق: د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، وآخرين، ط١، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أمّ القرى - مكة المكرمة، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
٢٦. المقتضب، المبرد، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.
- ثانياً: الأطاريح والرسائل الجامعية:
٢٧. الاختصاص في النحو العربي بين القدماء والمحدثين، رسالة ماجستير للباحث عبد الله محمود سليم، كلية الآداب، جامعة أهل البيت، الأردن، ٢٠٠٩م.
٢٨. وسائل التخصيص في كتاب كامل الزيارات لابن قولويه القمي (ت ٣٦٧هـ)، رسالة ماجستير للباحث أسعد عقيل شهاب المحنّاء، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة بابل، ٢٠١٩م.

فاعليّة الحوار في رحلاتِ ناجي جواد السّاعاتي

أ.د عبد الله حبيب التميمي

الباحث سامر وجيه فاضل

كليّة التربية/ جامعة القادسيّة

المقدمة:

يختلفُ الحوارُ في المنظومة السردية عن بقية العناصر التي تتسجُّ بناء النص، وذلك على اعتبار أنّ الحوارَ ليس نقلاً للأعمالِ مثلَ السردِ، أو لصفاتٍ مثلَ الوصفِ، وإنّما هو نقلٌ للأقوال التي يؤديها الصوتُ داخلَ البناءِ السردِيّ، ويتكشفُ لنا بوساطة قرائنه التي تدلُّ عليه، وقد وجدناها في مدونة الرحلة السّاعاتيّة تعيّنَت في العلامات السردية المنعكسة فعلاً دلاليّاً قولياً له سمائهُ ووظائفهُ الخاصة.

من هنا جاءتْ أهميّة هذا البحث: (فاعليّة الحوار في رحلاتِ ناجي جواد السّاعاتي) التي تحاولُ الكشفَ عن مظهرات الحوار القوليّة وأهميتها الوظيفيّة داخل الرحلة، والكيفيّة التي تعامل معها السّاعاتي للتعبير عن الشخصية وما يعتريها من مشاعرٍ وأحاسيس، فجاءت حواراتهُ ملتزمةً للسمات الفنيّة الجيدة بأسلوب يحاكي الأساليب الشفويّة المشكّلة لبناء فعل القول، فحققَ وظائفهُ المرجوة في الرحلة مثل: الوظيفة الأسلوبية، والبنائية، والتعريفية، والتوجيه والبيانية فضلاً عن وظيفة البوح التي تركزت في الحوار الداخلي (المونولوجي) بقدرٍ كثيرٍ قياساً بالحوار الخارجي اللذين شكلا بنيتي الحوار النوعية لرحلاتِ ناجي جواد السّاعاتي، فأفرزت نتائج عملٍ سعى البحث حثيثاً في بيانها في مظانهِ.

وتأسيساً على ذلك كانتْ خطّة العملِ مبنيةً على محورين مَسبوقة بملخصٍ وأسعفتها خاتمة تكفلت في بيان أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

تناولتُ في المحور الأول: الحوار الخارجي، وقد تبينَ لنا أنه ليس مجردَ عباراتٍ لغويّة مُتبادلة بين طرفين أو أكثر، وإنّما يُعدُّ تقنيّةً عاليّة المستوى في الكشف عن معلوماتِ سرد الرحلة

أمّا المحور الثاني: فقد كان في الحوار الداخلي، وهو جزء مهم لا يتجزأ عن مكونات سرد الرحلة عند الساعاتي، يجعلها أكثر تجسيدا وحضوراً، كما أنه يلتزم بدفع حركة السرد والإسهام في بناء النص. وهذان المحوران في البحث قد اتخذا منهجاً فنياً تحليلياً يهدف إلى تقديم صورة حقيقية لطبيعة الشخصية المحاوره وما تشعر به، وهي تعكس صورة ثقافات مجتمعية مختلفة لشعوب العالم في رحلات الساعاتي.

بناء الحوار:

يعدّ الحوار عنصراً مهماً من عناصر السرد، وتقنيّة فنيّة من تقنيات بنائه، وصفة ملازمة لا تتفصل عن الشخصية، ووسيلة مهمة من وسائل الكاتب في اضاءة الجوانب المعتمة من الحدث، يهدف إلى تعريف المعلومات اللازمة وتقديمها للعناصر البنائية الأخرى التي تشكل بنية السرد.

ويقصد به " الأقوال المتبادلة بين شخصيتين فأكثر، منذ لحظة الالتقاء إلى لحظة الافتراق مع ما يصحب هذه الأقوال من هيئات، وإيماءات، وحركات، وكل ما يخبر عن ظروف التواصل ترد جميعها في شكل خطاب إسنادي"⁽¹⁾ ولا يشترط بالحوار أن يكون بين اثنين أو أكثر، فقد يكون حديث الأديب مع نفسه حواراً⁽²⁾.

ومن سمات الحوار الجيد: الاختصار، والوضوح، والإفصاح في التعبير، ويتمثل في حسن تراكيبه، والألفاظ المعبرة عن الشعور، والتعبير الملائم بما يتفق وطبيعة الشخصية وثقافتها، فإذا كان الحوار بين طرفين أو أكثر ظاهرياً فإنه يوجد طرف آخر هو المتلقي، وترفعه عن الزخرفة اللفظية، والأناقة في الكلام في سبيل المعنى، ويجب أن تكون الكلمة المحددة واضحة المعنى والدلالة، لذا يجب على الكاتب أن يكون متيقظاً، ولا يسمح بأيّة مفردة لفظية لا يكون لها دورها في سرد الأحداث، أو تصوير الشخصيات، فمما يعيب الحوار: الإطناب، وهو ترك شخصيات العمل الفني تتحدث كثيراً حديثاً لا طائفة من ورائه، مُدركاً أنّ الإيجاز في استعمال الكلمات هو أساس القوّة في الحوار⁽³⁾.

ويُمثّل الحوار الأساس الذي تقوم عليه بعض الأجناس الأدبية، إذ يكون في المسرحية مثلاً المهيم في الخطاب الأدبي قياساً بعناصر السرد الأخرى، فليس هناك وسيلة للتخاطب بين الشخصيات عدا الحوار، وفي الرواية والرحلة لا يقل أثر الحوار عن أي عنصر من عناصر البناء فيها، فهو جزء لا يتجزأ عن مكونات السرد، يجعلها أكثر تجسيدا وحضوراً، أمّا في القصة القصيرة والأقصوصة، فإنه يُعدّ وسيلة من وسائل السرد؛ نتيجة لقلّة المساحة الزمنية التي تشغلها هذه الأجناس. والحوار وسيلة يستعين بها الكاتب على لسان صوت الراوي أو أحد الشخصيات للتعبير عن واقعية الحياة^(٤).

وللحوار أسلوبٌ مخصوصٌ يحاكي الأسلوب الشفوي، فلّه بوصفه مُحادثَةً من الشفوي المرجعي خصائص كـ بعض عيوب النطق، والمُعجم العامي، والتنغيم والتكرار والصمت، ولّه بوصفه مُكوّنًا من مُكوّنات العمل القصصي خصائص تقربُه من المكتوب كالمُعجم الفصيح وسلامة التركيب^(٥).

وظائف الحوار:

يقوم الحوار بمجموعة من الوظائف الفنية في العمل الأدبي، يقع في مُقدمتها:

أولاً: الوظيفة الأسلوبية: تتمثل في كسر رتابة خطاب المؤلف، وتغيير نمط السرد من طريق التنوع في الصياغة الأسلوبية، وبالتالي يكون للحوار القدرة على التخفيف من رتابة السرد على المتلقي^(٦).

ثانياً: الوظيفة البنائية: يُسهّم الحوار في دفع حركة السرد وبناء الحكاية القصصية من خلال التمهد لأحداثها، أو بالارتداد، أو عن طريق الإشارة إلى ما لم يبلغه السرد، واستحضار الحلقات المفقودة منها^(٧).

ثالثاً: الوظيفة التعريفية: يتعرف المتلقي من خلالها على موقع الشخصية من الأحداث السردية وعالمها الروحي، فضلاً عن مُستواها الفكري، إذ يُسهّم الحوار بشكلٍ مباشرٍ في تصوير الحالة النفسية للشخصيات والتعريف بها^(٨).

رابعاً: وظيفة التوجيه والموازنة: كلُّ ما يُقال من جهة الكاتب، وما يُستنتج ضمناً من قبل المُتلقّي هو وسيلةٌ مباشرةٌ للتعريف وتوجيه القارئ إلى العِلْمِ والدَّرَائِةِ وإدراكِ ما أراد الكاتبُ قوله، فضلاً عن كونه وسيلةً من وسائل التّأويلِ عند المُتلقّي^(٩).

خامساً: الوظيفة البيانية: يقومُ الحوارُ بوظيفة التفرّيق بين شخصيات السرد، فيما إذا تشابهت هذه الشخصيات، من خلال العوامل الاجتماعية، أو الثقافية أو السياسية هذا من جهة، ومن جهة أخرى يستطيع المُتلقّي أن يفرق بين صوت الرّأوي وصوت الشخصية^(١٠). ويعتمدُ في ذلك على التنوع في الرّويّة، والشموليّة في أفق التفكير، فهو "سببٌ من أسباب حيويّة السرد وتدفعه"^(١١).

سادساً: وظيفة البوح: ويتمثل ذلك في قدرة الحوار على رفع الحجب عن عواطف الشخصية وبيان أحاسيسها المختلفة، وشعورها الباطن اتجاه الحوادث، أو الشخصيات الأخرى، وهو ما يُسمى عادةً بالاعتراف^(١٢).

أنواع الحوار:

يُقسّمُ النقادُ الحوارَ على قسمين رئيسين هما:

أولاً: الحوار الخارجي (المباشر)^(١٣):

هو الحوار الذي تتناوب فيه شخصيتان أو أكثر في مشهدٍ داخل السرد، تتكلّم فيه الشخصية بصوتها إلى المُتلقّي، ويهدف إلى تحقيق فكرةٍ ما، تبتُّ النشاط والحيويّة في سرد الأحداث، أو يسعى لتعميق علاقةٍ ما، تُساعد على تمثيل الحركة الأدبيّة تمثيلاً حياً، أو يتكفل في تأكيد مقولةٍ من المقولات داخل النصّ الأدبيّ، ويُعدُّ هذا اللون من أكثر أنواع الحوار تداولاً، وانتشاراً في النصوص الفنيّة والأدبيّة^(١٤).

وكان للحوار في رحلات الساعاتي مكانةً سامقةً، تُظهرها أهميّة الأحداث في الرّحلة، والأفكار التي تصوّر الواقع للمُشاهدات المرئيّة، بكلِّ ما يعتريها من هواجس وأحاسيس، تتكشف للمُتلقّي في أثناء مُتابعته الحوار ضمن سرد الرّحلة.

ففي رحلته إلى الهند يحاور الرَّحَّالَةَ امرأةً هنديةً فيقول: " راحَت تُحدثني عَن كلبِها الجميلِ ظناً مِنها إِنِّي أعجبتُ بِهِ كُلَّ الاعجابِ، وفاتها أَن أعجابي كَانَ مُنصرفاً على رقةِ أناملِها، وخفةِ حركاتِها على فراءِ كلبِها المُنعم.. فقالت ببساطةٍ تنمُ عَن طيبةِ قلبٍ وكرمِ خُلُقٍ: إِنني أهوى الكلابِ، وخاصةً هذا الصنفُ الذَّهبيُّ، فهو يمتازُ بصغرِ حجمه، وجمالِ وجهه، ونعومةِ فرائه فهل أنت تهواهُ مثلي؟ قلتُ: إِنَّهُ جميلٌ حقاً، ولكنَّ لَيْسَ لي الصَّبْرُ الكافي لأروضَ كلباً على طاعتي - وأنا الضعيفُ - فأجابَت مُبتسمةً، وكانَّ الكلماتُ تدوبُ رقةً وحلاوةً على مَبسمِها الأَنورِ، أمَّا أنا فأحُبُّهم بَعَدَ زوجي وولدي وكتابي، فهُم عنوانُ الوفاءِ وموضعُ التسليةِ إذا ما غابَ زوجي، وخَلَّتِ الدَّارُ مِن (بتيل).. فأجبتُها وأنا مقتنعٌ بصوابِ رأيها: أمَّا أنا فسلوتي أبنائي، وعملي، وأصدقائي، فأجابَت بحماسٍ ظاهرٍ: أمَّا عَمَلُكَ فأنا أقرُّكَ عليه؛ لأنَّه ركنٌ مُهمٌّ في بناءِ شخصيتك، ونشأةِ أبنائك، أمَّا الأصدقاءُ فلا أقرُّكَ عليهم، وأكادُ أنكرُ إنَّ هذا الشيبَ المنتشرَ بلمتِكَ قد التهبَ عَن تجاربِ، أو أنَّكَ طيبٌ لِحَدِّ الغفلةِ، فأجبتُها وأنا مُتخاذلٌ أمَّامَ شخصيتها الطاغيةِ، وصراحةِ آرائها، إِنني كشاربِ الخمرِ، يعلمُ أَنَّها مُفسدةٌ لِلمالِ وَالوقتِ، ولكنها سلوته.. فافتَرَّ ثغرها عَن ابتسامَةٍ عذبةٍ رقيقةٍ، ولمَّ أدركِ يومَها أهي ابتسامَةُ اعجابٍ أم استخفافٍ؟^(١٥).

لا شك في أَنَّ الأحداثَ اليوميَّةَ للعاداتِ والتقاليدِ الاجتماعيَّةِ عِنْدَ بعضِ الطبقاتِ المترفةِ التي تعيشُ في الهند كانَ لها أثرٌ في نسجِ هذا الحوارِ، الَّذي استندَ فيه الرَّحَّالَةُ على التقابلِ الحوارِيِّ بينَ الشخصيتينِ، مُعبِراً عَن طرائقِ تفكيرٍ كُلِّ واحدٍ مِنْهُما اتجاهِ الحياةِ، فالحوارُ كانَ عاملاً أساسياً، وعُنصراً هاماً في كشفِ أبعادِ الشخصيةِ، فضلاً عَن ارتباطِهِ بالحالةِ النفسيَّةِ، تجسَّدَ فيمَا تُحِبُّه وما تستبعدهُ، وهو حوارٌ جدليٌّ يعكسُ صراعَ الحياةِ، في ثنائِيَّةٍ مُختلفةٍ، تمثلتْ بالعزِّ والترفِ والغنى وحُبِّ الذاتِ مِن جهةٍ، وبينَ الواقعيَّةِ المُتجسدةِ في التَّفانِيِّ والعملِ والشعورِ بالمسؤولِيَّةِ مِن جهةٍ أُخرى، وهو صراعُ البقاءِ الدَّائمِ قديماً وحديثاً. وفي موضعٍ آخرٍ مِنَ الرِّحلةِ نفسِها يوظفُ الرَّحَّالَةُ الحوارَ في رويَّةٍ نقديَّةٍ ساخرةٍ يمتزجُ فيها التصريحُ بالكنائِيَّةِ الرَّمزيَّةِ، فتتسعُ البنيَّةُ السردِيَّةُ على عالمٍ مِنَ التصوراتِ والرؤى، ويتكى السَّاعاتيُّ فيها على

الأساليب الرمزية فيقول: " بينما كنتُ اجتاز باب الفندق التي عُرسَت على جانبيها شجرتان باسقتان من أشجار السرو، وكان بجانب أحدهما شابٌ هندي، فارغ الطولٍ وسيمٌ الوجه.. وقد تزيأ بزى درويش زاهد.. وماسكاً برمحٍ طويلٍ، فاجتزتُ البابَ مُحاذياً للرمح ولم يلفت نظري موقفه هذا، ولكنَّ صاحبي الظريف حينَ أدركَ بأنِّي لم أعرف سرَّ هذا الرمح، أبت عليه طبيعتهُ الهنديةُ الطيبةُ إلا أن يُداعبني، فقال لي على الفور: هل لك أن تصعدَ نظركَ إلى رأس هذا الرمح، فرفعتُ بصري، وهالني أن أرى أفعى كبيرةً، كيف أضاع هذا الشابُ عمره الثمين بترويض هذا الحيوان الشرس.. وبينما كنتُ امتعُ عيني وأنا مأخوذٌ بهذا المنظر الغريب، إذا بأحد الواقفين يرمي بقطعٍ من النقود الصغيرة، وكأنَّ الدرويشَ أراد أن يضاعفَ حماسَ المتفرجين ودهشتهم فأتى بابتِ عرسٍ وقربه من الأفعى الكبيرة فنشبتَ بينهما حربٌ عنيفةٌ؛ لأنها تمثل الصراع نحو البقاء.. فقال صاحبي: لا تعجبِ لطريقة معيشة هذا الشاب الغريبة القاسية فهذا جاهلٌ معذورٌ؛ لفقره وجهله، ولكن ما عذرُ الدولِ الرأسمالية التي تغمسُ لقمتهَا وملذاتها بدماءِ الشعوب، وتُصرفُ بضاعتها بتحريضهم على الحروب"^(١٦).

وفي رحلته إلى إسطنبول يعقدُ الرَّحالة حواراً سردياً متخيلاً، بين شخصيةِ السلطان: عبد الحميد وجاريتِهِ الشركسية، فيه يُعيدُ الساعاتي علينا أسلوبَ الحكاياتِ القديمة، حكاياتُ ألف ليلةٍ وليلة، في بنيةٍ نسقٍ سرديّةٍ جديدةٍ تعتمدُ على الرمزِ تارةً، والوصفِ تارةً ثانيةً، والمثل الشعبي العامي تارةً أخرى، فيقول: " وكانني بالسلطان يقفُ في شرفة قصره المُطلِ على البوسفور الخالدِ وبجانبِهِ جاريتُهُ الشركسية التي جمعتُ بين جمالِ الصورةِ وذكاءِ القلبِ، فراحتُ تلاحظُهُ وتداعبهُ فهي لَعوبٌ، تُحبُّ المزاحَ، وتتشوقُ للطرفة، وهي طروبٌ تهوى المرحَ، وتتطلبُ الضحكَ وتحسنتُ بذكاءِ المرأةِ العجيبِ والحساسيةِ المُرهفة.. وكما يحركُ المشي شهوةَ الطعامِ حركتُ هذه الملاحظة شهوةَ الكلامِ، فانطلقَ السلطانُ يحدثُ جاريتَهُ الذكيّة المصفيّة:

- بلغني أيُّها العزيزة (أَنْ حليمة رجعت إلى عَاديها القديمة) فأفندينا مدحت الذي عطفت عليه وَعَفوتُ عَنْهُ وَمَنحتُهُ ولايةَ سُوريا عادَ يصرفُ واردَ الجبايةِ والأوقافِ على المدارسِ والعمرانِ، وَيَبشُرُ بالمَدنيَّةِ وَيَدعو لِلتجددِ، كما فعلَ قبلاً في بلغاريا والصربِ وَبغدادِ.
- أَلَا تعلمُ يا سيدي السُلطانَ بأنَّ مدحت باشا تجولُ في أوربا وَزارَ باريسَ وَتَعلَمُ الافرنسيَّةَ، وَأدركَ أَنَّ القوانينَ شرعتْ لحمايةِ حُرِّيَّةِ الفردِ، والآلةُ سُخرتْ لِخدمةِ مَصالحِهِ.
- أنتِ عاطفيَّةٌ يا عزيزتي والعاطفةُ والسِّياسةُ لن يجتمعا..
- الآنَ فهمتُ..!
- ماذا فهمتِ..؟
- أنا أدركتُ ياسيدي السُلطانَ بأنَّكَ تخشى مدحت باشا..
- لا تعطي لقبَ باشا لهذا المتمرِدِ..
- أنا ياسيدي درستُ بأوروبا وَتَجلَّوتُ في مَدنيها كَثيراً، فَلَمْ أَرَ لِلأوربيِّ ما ليسَ لنا من حواسٍ وَمشاعرٍ، فَهُم يَجزعونَ كما نَجزعُ، وَيَبكونَ كما نَبكي، وَيضحكونَ كما نضحكُ وَتَشتهي معدتُهُم فتمضغُ أفواهُهُم، فالناسُ هُم النَّاسُ، لا فرقَ بينَ شريقيهم وَغريبهم.. فالأسدُ هُوَ الأسدُ أينما وُلدَ فسوفَ يرثُ صفاتَ الأسودِ، وَمَهما روضهُ رجالُ السَّيرِكِ وَجوعوه؛ كي يكونَ رهنَ الإِشارةِ، وَطوعَ البنانِ، وَلكن سيبقى مَرهوبَ الجانبِ حَتَّى من مُروزيهِ" (١٧).
- ينطلقُ السَّاعاتيُّ في حوارِهِ من واقعِ الحياةِ السِّياسيَّةِ، في بناءِ حوارٍ قصصيِّ قائمٍ على السَّردِ الحكواتيِّ، بالارتدادِ إلى الماضي، واستحضارِ شخصياته في بناءِ سرديِّ جديدٍ، يصوغُ فيه حلقاتَ الرِّحلةِ وَالتَمهيدِ لِلأحداثِ السَّرديةِ، واستكمالِ الحلقاتِ المفقودةِ عبرَ حوارٍ جدليِّ نجدُ فيه "هيمنةَ التقريرِ وَالدَّحضِ، أو الإثباتِ وَالنفيِّ، فإذا قرعتَ الحجَّةُ بالحجَّةِ، إلى أن يقنعَ الطرفُ الآخرَ" (١٨) كي يتوصلَ إلى فكرةٍ نهائيةٍ تجسدُ المرادَ من الجدَلِ في حقيقةِ الأشياءِ بصورتِها الواقعيَّةِ، والسَّاعاتيُّ هنا يتخذُ من الحوارِ وسيلةً لِنقدِ

الواقع المعيش الذي تتغشى فيه المصالح الذاتية على حساب الآخرين، وينطلق من بؤرة الحدث الرئيس المتمثلة بأصحاب السلطة، إذ لا يُولون الرعيّة أهمية كبيرة ويحرصون على تعليمها وتثقيفها وسد احتياجاتهم بقدر اهتمامهم بما يزيد من أرصدة أموالهم وارتفاع حساباتهم المصرفية التي يرون فيها وجودهم.

وقد يُسهّم الحوار في ولادة شخصية تدير أحداث الرحلة، وتكون حافظاً في مُسايرة الأحداث السردية، التي يُملئها واقع الحياة في البلدان التي يمرُّ بها الرَّحالة، ففي رحلته إلى أمستردام، يلتقي الساعاتي بسائح كندي، يتكفل حوارُه بقيادة سرد الأحداث، وتوجيه الرَّحالة إلى أماكن غريبة لم تكن ضمن إطار رحلته فيقول: " تمّ التعارف مع جارنا.. فسألته عن موطنه فقال: أنا من (كندا)، عشتُ هناك مع زوجي طيلة أيام صباي وشبابي كموظف.. وبدأت حياتنا فنظّمنا برنامج سفرتنا، أنا وزوجتي، وأشار إليها باحترام وقدمني إليها بأدب، كي نطلع على معالم البلدان، وننطلق مع الحياة، لذا فنحن لا نستقرُّ في بلدٍ أكثر من بضعة أيام، فغداً سوف نسافرُ إلى مدينة الأقرام، وقد أطرب سمعي هذا الاسم الغريب.. فسألته بلهفة الطفل المحروم:

- ما معنى مدينة الأقرام..؟ وأين تقع..؟

- ألا تعلم عن هذه المدينة الصغيرة، التي بناها قلبٌ كبيرٌ في مدينة (الهيك) قُرب لاهاي؟

- ليس لي علمٌ بها من قبل.

- فهل ترافقوننا غداً؟ ..

وفي الصباح الباكر من أيام أمستردام الناعمة الهانئة نزلتُ وزوجتي إلى صالة الطعام.. وفي الساعة العاشرة حضرا الصديقان^(١٩).

ونجدُ الحوارَ إطاراً بنائياً يشكلُ محوراً أساساً في تقديم السيرة لأيّ شخصيّة يرغبُ الرَّحالة تقديمها والحديث عنها، فيبدأ الكاتبُ بعدَ تطهيرها وبثها داخلَ السرد وبيان كينونتها وعالمها الروحي، ومستواها الفكري،

وبُعدَها الاجتماعي، يقصُّ سيرتها ويتجلى لنا ذلك فيما عقده الساعاتي من حوار سيري بين الرحالة ورفيق رحلته الأديب جعفر الخليلي مع الشاعر ميخائل نُعيمة في داره فيقول: "ولمَّا استقرَّ بنا المقامُ وتشعبَ الحديثُ عن الأدبِ القديمِ والحديثِ، راقَ لأستاذي (الخليلي) أن يطرحَ السؤالَ التالي: أستاذنا: هل تفكرون بمشروعٍ جديدٍ؟ فأجاب الأستاذ (نُعيمة) والابتسامة مرتسمة على مَحياءِ الوضيء: تلاحقني في الآونة الأخيرة أشباحٌ متعددةُ الوجوه والغايات، لم تتوضَّحْ ملامحها عندي، ولم تتكاملْ شخصها لناظري.. وهي دوماً تتوسلُ إليّ، وتلحفُ بالرجاء بأن اخرجها من القمقم لتتحرر وتطلق، ولا أخالني أستريح حتى أضغ قلمي.. بعد أن أكونَ جلوثَ معالمها، وأظهرتُ معانيها، وشرحتُ الغرضَ من ملاحظتها وتوسلاتها.. وأنا أستطيعُ القولُ بأنني على وشك أن اطلعَ على دُنيا الأدبِ بكتابٍ.. أمَّا ما سينطوي عليه الكتابُ، فهذا أمرٌ لا أستطيعُ التكهنُ به الآن" (٢٠).

وفي رحلته إلى الأندلس يوظفُ الرحالة الحوارَ في صورة الموازنة، التي تتجلى لنا من خلال ما يقوله الكاتبُ في حوارهِ، وما يستنتجهُ المُتلقي من أفكارٍ اجتماعيةٍ، ترسخت في معتقداتِ البلدان العالمية حتى أضحت جزءاً من وجودها وصورةً حقيقيةً في معيشتها، وثقافةً شعبيةً في ممارستها، فيقول: "كانت بجانبني في الملعب سيدهُ اسبانيةً جميلةً وأنيقةً، في حركاتها سحرٌ ورشاقةٌ، وكانت مُتحمسةً للمصارعةِ جداً.. والظاهرُ أنَّها على جانبٍ كبيرٍ من الذكاءِ والثقافةِ، ودقةِ الملاحظةِ، حيثُ استطاعتُ أن تقرأَ على وجهي دلائلَ الاشمئزازِ، وتمتعاتِ الرثاءِ للقتيل الذي لن يتخلى عن الكبرياءِ، فراحتُ تسألني بلطفٍ وتناقشني بظرفٍ:

- لم لا تصفق.. ألا تعجبك المصارعة؟

- فأجبتها دونَ أن تمنعني عقيدتي في حُبِّ الجمالِ، وتقديسه من مجاملتها بل جابقتها بالحقِّ، والحقُّ

لعمري وجهٌ نيرٌ من أوجهِ الجمالِ!

- لأيِّ ثورٍ أصفقُ..؟

- هناك ثورٌ واحدٌ في الحلبة..!
- عفواً سيدتي فقد خانني نظري..
- أتَهزأُ بـلعبتنا وأبطالنا؟!!
- لا أهزأُ ولكنني لا أستسيغها، ولئن أحببها.
- أهذه أول مرة تشاهدُها؟
- هذه الأولى وستكون الأخيرة بالنسبة لي يا سيدتي.. إذ لا يروقُ لعيني منظرَ الدماء.
- أنك إنسانٌ عاطفيٌّ جداً.
- وهل تعجبك؟
- أنا.. أعبُدُها.. إذ لا تقوتني مسابقة، ثم ماذا تلعبون في بلادكم؟ وأيَّة لعبةٍ تهوى؟
- هناك في بلادي لعبٌ كثيرةٌ كُلها تمتُ للرجولة والبطولة.. وأنا أهوى كرة القدم.
- إن زوجي وهو إيطاليٌّ يهواها مثلك.. ولكنني استغربُ كيف يتحمسُ الإنسانُ لكرة جامدة، ولا يتحمسُ للثور وهو روحٌ متحركة؟!!
- ألم يفز ذلك الثورُ على الفارسِ وصرعه..! إذا لم لا تعتبرونه فائزاً وتطلقون سراحه وتمنحوه حقَّه في الحياة - كبطلٍ مُنتصرٍ - وبعدها لا يريدُ منكم وساماً ولا تكريماً، هل من روح الفروسيةِ وشهامَةِ الأبطالِ في شيءٍ أن يجهزوا عليه ويخذلوه، ومن ثمَّ يقتلوه.
- أنت يا سيدي لا تعرفُ شيئاً عن المصارعة وقوانينها.. لذلك لا تستذوقها!
- ليتني أبقى كذلك، فكثيرٌ من لعب الحياة لا أتمنى أن أعرفها، وإني لأرجو ربِّي أن ينعمَ عليَّ بنعمة الغباء؛ كي لا أتعلَّم أيُّ عملٍ صنعةٌ كانت أم هوائيه، ينتهي بسفك الدماء، والآلام للآخرين، ما دام في ذلك الغباء راحةٌ للضمير وسلامةٌ للآخرين" (٢١).

لقد أظهر الحوار طبيعة الشخصيتين، ما نُحِبُّ وَتَكْرَهُ، وَيَبْدُو أَنَّ الرَّحَّالَةَ كَشَفَ لَنَا عَنْ شَعُورِهِ مُنْذُ الْبَدِءِ وَعَنْ وَجْهَةِ نَظَرِهِ اتِّجَاهَ السَّيِّدَةِ الْإِسْبَانِيَّةِ، تَارَةً فِي بَنِيَّةِ الْوَصْفِ الصَّرِيحَةِ وَالْمُبَاشِرَةِ، وَتَارَةً أُخْرَى فِي صُورَةٍ مَجَازِيَّةٍ، مِنْ طَرِيقِ تَرَادُفِ الْجُمْلِ: (جَمِيلَةٌ، وَأَنْيَقَةٌ، فِي حَرَكَاتِهَا سَحْرٌ، وَرِشَاقَةٌ، الذِّكَاؤُ، وَالتَّقَافَةُ، وَدَقَّةُ الْمُلَاحَظَةِ)، فَقَدْ كَانَتْ صُورَتَهَا أَكْثَرَ تَقَاوُلًا مِنْ صُورَتِهِ عِنْدَهَا، وَقَدْ أَسْهَمَ الْحوَارُ فِي دَفْعِ الْحَرَكَةِ السَّرْدِيَّةِ نَحْوَ نَمَطَيْنِ: تَمَثَّلَ الْأَوَّلُ فِي ارْتِكَازِ مَوْقِعِ الشَّخْصِيَّةِ مِنَ الْحَدِثِ، مِنْ دُونِ الْإِخْلَالِ بِقِيَمَةِ الْحَادِثَةِ/اللُّعْبَةِ، وَأَعْنِي: مُصَارَعَةَ الثَّيْرَانِ، أَمَّا النَّمَطُ الثَّانِي فَقَدْ اتَّجَهَ نَحْوَ الْكَشْفِ وَالْبَيَانِ عَنِ الْعَوَامِلِ الثَّقَافِيَّةِ وَالْاجْتِمَاعِيَّةِ، وَالسِّيَاسِيَّةِ هَذَا مِنْ جِهَةٍ، وَمِنْ جِهَةٍ أُخْرَى فَرَّقَ الْحوَارُ بَيْنَ صَوْتِ الرَّاوِيِّ/الرَّحَّالَةِ، وَصَوْتِ الْآخَرِ/السَّيِّدَةِ، فَظَهَرَ لَنَا صَوْتُ الرَّاوِيِّ نَاقِداً ضَمْنِيًّا لِكُلِّ مَا يَسْهُمُ بِإِثَارَةِ الْحُزْنِ وَالْأَلَمِ لِلْآخَرِينَ، وَلِأَيِّ سَبَبٍ كَانَ اجْتِمَاعِيًّا، أَوْ سِيَاسِيًّا، فَكَانَ الْحوَارُ الْمُبَاشِرُ وَسِيلَةً لِتَوْجِيهِ الْمُتَلَقِّيِّ إِلَى الْعِلْمِ وَالذَّرَائِيَّةِ، وَإِدْرَاكِ كُلِّ مَا أَرَادَ الْكَاتِبُ قَوْلَهُ. وَقَدْ يَعْتمِدُ الرَّحَّالَةَ فِي حِوَارِهِ عَلَى بَنِيَّةِ السَّرْدِ التَّارِيخِيِّ، وَقِصِّ الْأَحْدَاثِ الْمَاضِيَّةِ، فَجَدُّ لُغَةً الْحوَارِ تَمَارُسَ حُضُورًا حَكَائِيًّا، ضَمَّنَ إِطَارَ الْوَصْفِ الْعَامِّ الَّذِي يَخْلُقُ مَسَاحَةً سَرْدِيَّةً وَاسِعَةً تَكْشِفُ طَبِيعَةَ الْذَاتِ الْمُحَادِرَةِ فِي ظِلِّ شَعُورِهَا بِالضِّيَاعِ فَيَصْبِحُ الْمَكَانُ وَالزَّمَانُ مَسْرَحًا لَهَا فَتَتَعَدَّدُ مُسْتَوِيَّاتُ الصِّيَاغَةِ اللُّغَوِيَّةِ بِتَعَدُّدِ الْأَصْوَاتِ، وَتَتَغَيَّرُ مُسْتَوِيَّاتُ الصُّورَةِ، عَلَى وَفْقِ رُؤْيَاةٍ كُلِّ شَخْصِيَّةٍ مُسَاهِمَةٍ فِي إِدَارَةِ الْحوَارِ، فَيَصْبِحُ الْحوَارُ بَنِيَّةً مَتَّعِدَةً الْمُسْتَوِيَّاتِ الدَّلَالِيَّةِ، تَشِيرُ إِلَى مَفَارِقَةٍ سَرْدِيَّةٍ بَيْنَ الْمَاضِي بَعْدَهُ حَدَثًا مُوَازِيًّا، وَبَيْنَ صُورِ الْمَشَاهِدَاتِ الْمَكَانِيَّةِ لِلرَّحَلَةِ بَعْدَهَا حَدَثًا مَرْتَبِيًّا، فِي رَحَلَةِ الْأَنْدَلُسِ يُوْظَفُ الْكَاتِبُ حِوَارًا تَارِيخِيًّا تَتَعَدَّدُ فِيهِ الْأَصْوَاتُ، وَتَخْتَلِفُ وَجْهَاتُ النَظَرِ عِنْدَ الشَّخْصِيَّاتِ الْمُحَادِرَةِ فَيَقُولُ: " لَمَّا اجْتَمَعَ الزُّعْمَاءُ فِي بَهْوِ الْحَمْرَاءِ لِيُوقِعُوا عَلَى قَرَارِ تَسْلِيمِ غَرْنَاطَةَ، وَلِيُحْكَمُوا عَلَى دَوْلَتِهِمْ بِالذَّهَابِ، وَعَلَى أُمَّتِهِمْ بِالْفَنَاءِ لَمْ يَتَمَالَكْ كَثِيرٌ مِنَ الْحَاضِرِينَ نَفْسَهُ مِنَ الْبُكَاءِ إِلَّا مُوسَى بْنُ أَبِي الْعَسَّانِ، الَّذِي ثَبَتَ صَامِتًا عَابِسًا، ثُمَّ قَالَ: اتْرَكُوا الْعَوِيلَ لِلنِّسَاءِ وَالْأَطْفَالِ، فَحَنُّ رِجَالٌ لَنَا قُلُوبٌ لَمْ تَخْلُقْ لِأَرْسَالِ الدَّمْعِ وَلَكِنْ لِنَقْطَرِ الدَّمَاءِ.. ذَلِكَ هُوَ مَوْتُ مَجِيدٍ، فَلَنْتُمْ دِفَاعًا عَنِ حَرِيَّتِنَا.. عِنْدَيْذٍ صَاحَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: اللَّهُ أَكْبَرُ وَلَا رَادَ لِقَضَاءِ اللَّهِ، وَاللَّهُ لَقَدْ

كُتِبَ لي أن أكونَ شقيًّا، وأن يذهبَ المُلكَ على يدي، وصاحت الجماعةُ على أثره: اللهُ أكبرُ، وأنَّ شروطَ ملكِ النصراني أفضلُ ما يمكنُ الحصولَ عليه، فلمَّا رأى موسى أنَّ اعتراضَهُ عبثٌ لا يجدي، وأنَّ الجماعةَ بدأت بتوقيع صكِّ التسليم، نهضَ مغضباً وصاح: لا تخدعوا أنفسكم، ولا تظنوا أنَّ الأعداءَ سيوفون بعهدِهِم، ولا تركنوا إلى شهامة ملكهم الحاقِد، إنَّ الموتَ أقلُّ ما نخشى، فأمامنا نهب مدنتنا، وهتك نساتنا، وبناتنا، وأمامنا الجورُ الفاحشُ، والتعصبُ الوحشيُّ، والسيَّاطُ والأغلالُ، وأمامنا السُّجونُ والمحاقرُ، وهذا ما سوف تراه على الأقلِّ هذه النفوسِ الوضيعة، التي تخشى الآنَ الموتَ الشريفَ، أمَّا أنا فواللهِ لَن أراه" (٢٢).

وفي رحلته إلى ليبيا، يوظفُ الساعاتيُّ الحوارَ ليكشفَ من طريقه البُعدَ الفكريِّ، وأثره على مستوى تفكير الشخصية الليبية، فيقول: "حدثني صديقٌ عَرَفَ ليبيا جيداً وتعرَّفَ على أهلها بعمقٍ، قال: إنَّ له صديقاً تزوجَ من فتاةٍ أكملتَ دراستها بمدارس أجنبية، فأجادت الضربَ على (البيانو) ولمَّا انتقلت لبيت الزوجية، منعتها زوجها من العزفِ على هذه الألة الموسيقية.. وحينما سألوهُ عن سببِ اتخاذهِ هذا القرارَ الجائرَ؛ أجابَ لأنَّ النغمَ الذي ينسابُ من بين أنامل زوجته، يبعثُ النشوةَ والخيالَ بعقولِ الرجالِ، وهذا شرعاً حرام، حسب رأي الزوج طبعاً" (٢٣).

يتشكّل المقطعُ الحواريّ من أصواتٍ ثلاثيةٍ: صوتِ الرَّايِّ/ الرَّحالة، وصوتِ الصديقِ/ المتحدث، وصوتِ شخصيّةِ الحدثِ/ زوج الفتاة، وينفتحُ أفقُ السردِ الحواريّ بالخبر الذي ينقلُهُ الرَّايِّ: (حدثني) مُضافاً إليه زمن الحكي، في فعل الإحالة، إلى الزمنِ الماضيِّ: (عَرَفَ ليبيا جيداً، وتعرَّفَ على أهلها)، ثمَّ يفتحُ الحوارُ بالفعل: (قال..). معتمداً على عالم الذكرى الذي يشكّل مسرى الحكاية، ومن هنا ينبثقُ الحوارُ بين الطرفين، بأسلوبٍ غيرِ مباشرٍ^(٢٤) استطاع الرَّحالةُ من خلاله دفع عجلة سرد الرحلة إلى الأمام. وقد يأخذُ الحوارُ طابعَ الملاطفة بوصفه تكتيكاً سردياً يتسعُ مجالَ أفقِ البوحِ في بنية الرحلة، فتسعى من خلالها الذاتُ المحاورَة إلى كسرِ نمطيّةِ السردِ والوصفِ للمشاهداتِ المرئية، ويدخلُ القارئُ في مدارات

سردية متنوعة، عبر التعبير بأكثر من لغة محكية، ويتجلى ذلك في الحوار الذي عقده الساعاتي مع إحدى الشخصيات التي حاورها في رحلته إلى تونس إذ يقول: " طاب لي أن أداعب أحد الباعة، فأجبتُه بالعربية على ترحيباته البغائية.. وتوسلاته الشوقية.. التي أمجها حتى لو كانت بلهجة عربية، فكيف إذا جاءت بلكنة فرنسية.. فقال مشوقاً ليبيعي أنية خزفية:

VOUIEZ-VOUS VOIRE QUE IQUE CHOSE

- لماذا لا تحدثني باللغة العربية وتقول: هل تحب أن ترى شيئاً ما؟
فابتسم ابتسامة حرفية وقال مستغرباً إذ إن بشرتي البيضاء، وملامي الأوربية لا تدل على أصالتي العربية.

- تعرف عربي؟

- أنا عربي بغدادي.

- آه.. بغداد عاصمة الشام.

قلتُ هذا ما جناه علينا الاحتلال بفرضه الانعزال.. حيث وضع العقبات لعرقلة التزاور والرحلات، وبذلك ضعفت الصلة وقلت العلاقة بين الأشقاء وجعلت من هذا العربي المغربي أن يقول: بغداد عاصمة الشام، ولم يعرف أنها عاصمة العراق^(٢٥).

وقد يأخذ الحوار الخارجي طابع الحركة والديمومة، فالحوارية في النص الفني تتشكل من طريق النسق الخرافي الرمزي، وهو تشكيل حواري يرمز إلى السيطرة الاستعمارية، وصورها ومداراتها، يكشف لنا المضمرة من التخطيط المعادي على مر السنين قديماً وحديثاً، ونجد فيه نزعة حوارية ساخرة، تتأجج بين التصريح والكناية الرمزية، يستلهم الرحالة فيه أنواعاً تراثية عربية وأخرى وافدة، بصورة تتجسد في الحوار الجدلي الذي يتسع لكل جوانب الحدث، فتتماهى بذلك بنية سرد الرحلة على أجناس تراثية قديمة في صورة رمزية متقاربة والحدث المنقول، ويتجلى ذلك في تضمين الرحالة حوار الذنب والحمل الوديع فيقول:

" افتعل جلالته الغضب، وجهر سيل جيوشه النارية؛ ليستعيد كرامة قنصله المهانة، مُتخذاً قضية المروحة ذريعةً للاعتداء على قدسية أرض الجزائر، كما روت لنا (كليلاً ودمناً) حكاية (الذئب والحمل) إذ اتخذ الذئب القوي تعكير الماء وسيلةً للاعتداء على الحمل الضعيف حيث قال الذئب للحمل:

- الذئب: لم عكرت علي الماء؟

- الحمل: كيف أكر عليك الماء وأنت تقف في أعلى الوادي؟

- الذئب: إذن عكره علي أخوك.

- الحمل: ليس لي أخ.

- الذئب: إذن أمك أو أبوك.

- الحمل: مات أبي، ولحقته أمي.

- الذئب: إذن عمك، أو ابن عمك، أو.. وهجم على الحمل الوديع وافترسه بشراسة، وأكله بشراهة.

نفس اللعبة لعبها الملك الفرنسي القوي، بجيشه الحديث النظامي مع الشعب الجزائري المسلم، فأعلن في خطاب العرش: إن شرف فرنسا قد أهانه الذاي الجزائري، لذا سأقوم بعمل حاسم، أعيد فيه لفرنسا شرفها^(٢٦).

وقد ينهض الحوار الخارجي بوظيفة التعريف والتأصيل لمسميات الأماكن والمدن، التي يمر بها الرحالة، من دون ذكر دلائل ووثائق، وإنما يستند الكاتب فيها على بعض الروايات المباشرة التي يتداولها السكان ويتناقلها الرجال فيقول: " حدثني والد صديقي علاء الذي كان يدرس الحقوق في بغداد، ووالد علاء شيخ وقور، بهي الطلعة، رضي الخلق، وسيم الخلقة.. أقول حدثني ذلك الشيخ الطيب عندما بث أتساءل عن سر تسمية الدار البيضاء، فقال بعد أن اعتدل في جلسته واستبشر بسؤالي عن مدينته التي عايشها وعاشته وصانعها وصانعة، فقال: يحكى - والله أعلم - أن تاجراً تونسياً اسمه: (سي علاء القيرواني) قد هاجر من مدينته المقدسة القيروان متوجهاً إلى (أنفا) وكان ذلك قبل ثلاثة قرون تقريباً، وقد اتخذ من

موقع المدينة الحالي مقرّاً له، كي يُدبر أعماله التجارية الواسعة.. وقالوا - والعُهد على الراوي - وكان الشيخ يخشى أن نطعن بصحة روايته، أو نعرض سير حديثه الشيق، لذا كان يتعكّر على هذه الجمل الحكيمّة المُعترضة أنّ زوجة القيرواني كانت سيدةً فاضلةً مضيافةً تُساعدُ زوجها الطيب المكدود على إدارة تجارته الواسعة الانتشار، وتُعينه في متجره الكبير، وبقدر ما كانت جميلة الخلق، كانت جميلة الخلقة أيضاً، فابتسامتها مُشرقة، ووجهها صَبوح، وكان اسمها: (لالا البيضاء)، أي: (السيدة البيضاء)، لذا كان الزبائن يتوافدون على متجر (سي علّال) وجلهم بلّ كلهم نسوا، أو تناسوا اسمه (سي علّال) حيث طغت عليه ابتسامته (السيدة البيضاء) وحبته خلقه الرّضي فأضحى الجميع يسمونه (الدّار البيضاء)، وعندما تأتي بضاعة جديدة يتساءل البعض وتتهامس العوائل: هل ذهبت إلى محلات (الدّار البيضاء) أو هل أعجبتك بضاعة (الدّار البيضاء).. ومن تلك الشهرة الواسعة يُقال إنّ المدينة كلّها استمدت ذلك الاسم المُحبب، حيث راح النَّاسُ كُلُّ النَّاسِ من مواطنين وسيّاح يطلقون على المدينة (الدّار البيضاء)"(٢٧).

يُمثّل الحوار نقطة اتفاق خفيّة لما يقوله الشيخ المُسنُّ الراوي للحكاية من الذاكرة الشعبيّة، وهذا الاتفاق المُضمر مُتأتٍ من المقاربات الوصفية التي قدمها الرّحالة بحق الشيخ: (ووالد علّال شيخ وقور، بهي الطلعة، رضي الخلق، وسيم الخلقة)، وينكشف الأمر جهرًا في موضع آخر في قول الرّحالة: " إنّ المدينة البيضاء ليست بيضاء، وقد ندعو الأعمى بصيراً، فهي مطليّة بأصباغ غريبة الألوان، وهندستها المعماريّة تتأرجح بين طابعين غربيين، الإفريقي والأمريكي، اللذين طغيا على الطابع العربي المُميّز بالرياسة المغربيّة الأندلسيّة، إذ اختفى"(٢٨).

وسرد الكاتب لهذه الحكاية ينبثق من رغبته في عرض صورة كئيبة للمكان، تُسهّم في إثارة ذهن المُتلقي لمعرفة ما كان يدور بين الأوساط الاجتماعيّة في أصول التسمية لمدينة (الدّار البيضاء)، ويطلق الكاتب العنان إلى المُتلقي في الموافقة أو الرّفص للحكاية، وهنا يكون القارئ مُشاركاً في اتخاذ القرار في أصول تسمية (الدّار البيضاء) بالموافقة والقبول، أو الرّفص والتأويل.

ويتواصل الرَّحَّالَةُ فِي نَقْلِ صُورَةِ الْأَحْدَاثِ كَمَا وَقَعَتْ لَهُ مِنْ خِلَالِ حِوَارِهِ مَعَ مُوَاطِنٍ مَغْرِبِيٍّ بِاللُّهْجَةِ الْعَامِيَّةِ يَقُولُ: "وَوَاصِلُنَا جَوْلَتْنَا فِي السُّوقِ الْقَدِيمِ، فَأَدَهَشْتَنِي مَعْرُوضَاتُهُ الشَّعْبِيَّةُ الْمَخْتَلِفَةُ مِنْ مَنَسُوجَاتِ مُطْرَزَةٍ إِلَى صِنَاعَاتِ خَشْبِيَّةٍ مُزْخَرَفَةٍ، وَخَزَفِيَّاتٍ مَنَقُوشَةٍ مِنْ قُلَلٍ وَمَوَاعِينٍ وَمَزْهَرِيَّاتٍ وَمَنَسُوجَاتٍ مُطْرَزَةٍ بِأَلْوَانِهَا الزَّاهِيَّةِ مِنْ قَفْطَانَاتٍ حَرِيرِيَّةٍ وَخَمَارَاتٍ بَدْوِيَّةٍ، بِأَلْوَانِهَا الزَّاهِيَّةِ، صَفْرَاءَ، وَحَمْرَاءَ، وَبَيْضَاءَ، وَسُودَاءَ، فِرَاقَ لِي خَفَّ بِلُونِهِ الْأَصْفَرَ وَأَنْفِهِ الشَّامِخَ إِلَى الْأَعْلَى، كَالَّذِي يَنْتَعِلُهُ طَلِبَةُ الْعِلْمِ عِنْدَنَا، أَشْرْتُ إِلَيْهِ وَأَعْلَنْتُ رَغْبَتِي بِاقْتِنَائِهِ فَسَأَلَهُ صَاحِبِي:

- إيش الحال.. وتعني: ما هو ثمنه؟

- بأربعة دنانير.

- بالزراف.. وتعني: غالي.

- ثلاثة دنانير ونصف.

- أعطنا جوج.. وتعني: أعطنا زوجاً.

فَدَفَعْتُ الثَّمْنَ، وَتَأَبَّطْتُ نِعْلًا، وَسَرْتُ وَصَاحِبِي نَتَمُّ جَوْلَتْنَا فِي هَذَا السُّوقِ الْمُشَوِّقِ " (٢٩).

لَا شَكَّ فِي أَنَّ الْأَحْدَاثَ الْمُعَاَصِرَةَ فِي الْمَشَاهِدَاتِ الْمَرْئِيَّةِ لِلرَّحَّالَةِ كَانَتْ لَهَا أَثَرٌ كَبِيرٌ فِي هَذَا الْحِوَارِ، فَالسَّاعَاتِي يَهْتَمُّ بِتَشْكِيلِ الْحِوَارِ بِاللُّهْجَةِ الْعَامِيَّةِ؛ لِكِي يُضْفِي عَلَى الرَّحْلَةِ حَيَوِيَّةً وَدِيمُومَةً فِي أَلْوَانِ الْخِطَابِ، مِمَّا يَسْهُمُ فِي دَفْعِ عَجَلَةِ السَّرْدِ نَحْوَ الْأَمَامِ، بِمَا يَجْعَلُ الْقَارِئَ مُسَافِرًا الرَّحَّالَةَ خَطْوَةً بِخَطْوَةٍ، وَلَا يَبْتَعُدُ عَنْهُ.

وَمِنْ هَذَا اللَّوْنِ مِنَ الْحِوَارِ يَقُولُ: " قَدْ أَعْجَبْتَنِي (الْقَفَاطِينِ) وَ(الْبَدْعِيَّاتِ) وَالْقَفْطَانِ كَالْبَدْعِيَّةِ إِلَّا أَنَّهُ (بِكَمْ) وَالْبَدْعِيَّةِ مَعَ تَشْدِيدِ الْيَاءِ بَدُونِ كَمْ، فَرَأَيْتُ النِّسَاءَ هُنَا يَلْبَسْنَ الْقَفَاطِينِ وَالْبَدْعِيَّاتِ عَلَى حِدِّ سَوَاءٍ، وَالْمَلَابِئُ الْمَغْرِبِيَّةُ خِلَابَةٌ تُظْهِرُ الْمَرْأَةَ بِمِظْهِرِ الْحَشْمَةِ، وَالْفَتْنَةِ.. وَوَدِدْتُ أَنْ أَطَّلَعَ عَلَى ثَمَنِ الْقَفْطَانِ، فَسَأَلْتُهَا صَاحِبِي بِلُطْفٍ:

- تسمحي نشوف قفطان مزيان.
- وَا.. وكلمة (وفا) بتشديد الخاء تعني: نعم.
- فأنا لا أدري من أين جاءت كلمة (وفا) هذه، لعلها لفظة بربرية، إذ ما أكثر الألفاظ البربرية في اللغة العربية.
- إيش الحال.

خمسمائة دولار!.. وأقلها مائتي دولار.. فنفضت يدي من شراء قفطان لزوجتي وللعروس هيفاء ابنتي؛ لأنني لا أحمل من (صكوك المسافرين) إلا ما يسد نفقات إقامتي^(٣٠).

وتتعدد طرائق الحوار وأنماطه تبعاً لتعدد موضوعات الرحلة، ففي موضع آخر من رحلة الساعاتي إلى المغرب، نجد الحوار يشكل جزءاً هاماً من آلية السرد، ولا سيما حينما يمتزج المكان والزمان بالذاكرة، فيتسع أفق الحوار، ويتنوع التشكيل السردية، وتتكشف المواقف داخل الأحداث، كما في حوار الذي يقول فيه: "لما اندسست في الأوتوبيس، وجدته يغص بالسياح وكلُّ قد أخذ مقعده المخصص له حسب الترقيم، فوجدت مكاني بجوار رجلٍ وقورٍ يرتدي البرنص المغربي بلونه الرمادي يتناغم ووجهه المملوح بحرارة شمس المغرب الدافئة.. ردّ على تحيتي بالطف منها.. ثم انطلقت سيارتنا.. وتنبهت من أحلامي على حديث صاحبي وهو يقول لي: ولكن مدينتي (أكادير) نكبت بالزلزال عام ١٩٦٠م، فتركها أثراً بعد عين، غير أن حُبَّ شعبها البار لها وتعلقهم بها أعادا لها الحياة ثانية.. ثم سألتُه عن سيرِ قدومه لمدينة فاس، فأجابني الرجلُ الوقورُ، بأنه يودُّ التبرك بزيارة ضريح السيد (الإدريسي) ولكي يؤدي فريضة الصلاة في جامع القرويين ثم زيارة قبور الأولياء الصالحين.. وعقب صاحبي محمد الأغاديري بقوله: إن مدينة فاس تعتبر الأمُّ الرؤوم لبلاد المغرب في القديم والحديث، ولكن يا أخانا لا يخفى عليك أن المدن كالتناس، والناس حظوظ، يا أخي وكذا كان حظُّ فاس، فلم يسعفها الحظُّ رغم اعتدال هوائها وطيبة تربتها، وتدفق عيونها، وعطائها السخي الطبيعي والثقافي إلا أنها ما زالت تعيش في زهد الصوفي وقناعة المؤمن..

وَحَتَّى شعب فاس، فهو شعبٌ منسي هُنا إلا أنه رغمَ هذا النسيانِ الطويلِ وذاك الإهمالِ الممضِ، فأنتك تلاقى ابن فاس ووجهه يطفحُ بشراً، ولسانُهُ يندى أهلاً وسهلاً.. سألني صاحبي الأغاديري: ولأن هل نُحبُّ أن تتمَّ رحلتكَ معي للتبركِ بزيارةِ مرقدِ الإمامِ السيِّدِ الإدريسي.. فاستجبتُ لدعوتهِ الخيرة.. وصلنا مرقد السيِّدِ الإدريسي فرأيتُهُ يشابهُ تمامَ الشبهِ عتباتنا المقدسة المُستقرَّة في أنحاء العراق^(٣١).

الحوارُ هُنا يضمنُ تطورَ الحدثِ وديمومتهِ، فعندما تروي لنا شخصيَّة محمد الأغاديري الحوادثَ التي مرَّت بها مدينة (أغادير) في قصَّة لها بناؤها وأحداثها ونسجها، فهو يكملُ سردَ الرِّحلة في نصوصٍ توازي سردَ الرِّحالةِ نفسه، ويتفاعلُ بصورةٍ غيرِ مُباشرةٍ معَ مُجرياتِ سردِ الرِّحلة، ولكنها تتكشفُ للمتلقِّي شيئاً فشيئاً في أثناء اكمالِ الحكائيَّة، فتكونُ مجرياتها عاملاً في استلهاَم ذاكرةِ الساعاتي، واستذكارِ الأماكنِ الدنيَّة المقدسة التي كان يزورها في العراق، فيغدو الحوارُ مُكماً عضويّاً في بناءِ الرِّحلة، تمتزجُ فيه الصُّورة معَ اللُّغة؛ لاستكمالِ الأداءِ السردِي.

وقد يكونُ الحوارُ قرينَ السردِ في صورةِ السيرةِ الذاتية، فيتداخلُ ويتشابكُ معَ نصوصِ الرِّحلة في وصفِ المُشاهداتِ، فيقومُ سردُ السيرةِ بمهمةٍ ربطِ أجزاءِ السردِ، وكشفِ الموقفِ النفسيِّ للرِّحالةِ في براعةٍ فنيَّة، وبذلك تتحدّدُ أهميتهُ من منظورِ السردِ القصصي، حيثُ يُمسي الحوارُ السيري النواة التي تلتفُّ حولها لُحمةُ الأحداثِ السردِيَّة، فمن خلاله تتطورُ الأحداثُ، ويزدادُ تفاعلها، كما هو الحالُ في حوارِ الساعاتي معَ صديقه مُراد، إذ يقول: " وذات صباحٍ صبحني الأخ (مُراد) إلى مدينة (فريبورغ) التي سبقَ أن طرقتُ سمعي شهرةً جامعيتها التي تحملُ اسمها وتوجه بي نحو معرضٍ كبيرٍ صُفَّت فيه أنماطٌ من سياراتِ (فوكس واكن) ذاتِ الحجمِ الصغيرِ المُميزِ كالسُلحفاة، وبعْدَ أن خفَّ أصحابُ المعرضِ لاستقبالنا بكلِّ ترحابٍ، واستقرَّ المقامُ بادرني الأخ مُراد بالسؤال التالي:

- ناجي، أيُّ لونٍ تراه الأجل بينَ هذه المجموعة؟

وَبَعَدَ أَنْ قَلْبْتُ النَّظَرَ بَيْنَ أَلْوَانِ السَّيَّارَاتِ، أَشْرْتُ إِلَى الْبِيضَاءِ، وَدَهَشْتُ حِينَمَا أَجَابَنِي فِي الْحَالِ: إِنَّهَا هَدِيَّتِي إِلَيْكَ فَتَسَلَّمَهَا، ثُمَّ أَشَارَ إِلَى مَدِيرِ الْكِرَاجِ أَنْ يُسَلِّمَنِي مِفَاتِحَهَا وَفِي صَبَاحِ الْيَوْمِ التَّالِيِ، حَضَرْتُ مَعَ زَوْجَتِي (سُعاد) لِتَسَلَّمَ الْهَدِيَّةَ الْأَنْيَقَةَ^(٣٢).

وَتَتَوَاصَلُ الْمَشَاهِدُ الْحَوَارِيَّةُ فِي مَخْتَلَفِ مَوْضُوعَاتِهَا الْمُتَعَدِّدَةِ^(٣٣) فِي رِحْلَتِهِ إِلَى سويسرا يَسْتَلْهُمُ الرَّحَّالَةَ الْحَوَارِ بِطَرِيقَةٍ مُبَاشِرَةٍ لِنَقْلِ تَجْرِبَةِ الْذَاتِ، وَالْكَشْفِ عَنِ الْحَقَائِقِ الْمَكْبُوتَةِ فِي نَفْسِهِ، فَتَبْقَى الْأَحْدَاثُ رَهْنًا لِصِيغَةِ الْحَوَارِ وَأَسْلُوبِ الْحِكَايَةِ، فِي تَفَاعُلٍ عَفْوِي، يَظْهَرُ بَرَاعَةَ الرَّحَّالَةَ فِي رِبْطِ أَجْزَاءِ السَّرْدِ بِكُلِّ سِلَاسَةٍ وَوَضُوحٍ فِيقُولُ: " سَأَلْتُ سَيِّدَةَ رَأْيِهَا تَتَجَوَّلُ فِي الْمَحْطَةِ، فَقَالَتْ: تَعَالِ مَعِي؛ لِأَدُلِّكَ عَلَيْهِ، فَأَنَا مُتَجَهِّةٌ أَيْضًا إِلَى (لُوزان)، فَتَبَعْتُهَا كَالطِّفْلِ الضَّائِعِ، وَصَعِدْتُ الْقِطَارَ.. فَإِذَا بَيَّ أَرَى السَّيِّدَةَ تَجْلِسُ بِجَانِبِي.. فَإِذَا بِهَا بَعْدَ تِلْكَ الْإِسْتِطْرَادَاتِ تُفَصِّحُ بِصِرَاحَةٍ غَيْرِ مَأْلُوفَةٍ، وَبِكُلِّ جُرْأَةٍ عَنِ رَغْبَتِهَا بِالنَّزُولِ مَعًا فِي فَنْدَقٍ وَاحِدٍ، قَرِيبِينَ بَعْضُنَا مِنْ بَعْضٍ، وَأَضَافَتْ: مَا أَحْسَنَ أَنْ نَكُونَ فِي غُرْفَةٍ وَاحِدَةٍ، تَجْمَعُنَا سَوِيَّةً طَوِيلَةً فَتَرَى وَجُودَكَ فِي لُوزان، فَفُوجِئْتُ مَذْهُولًا، وَبَعَدَ أَنْ اسْتَجْمَعْتُ شِجَاعَتِي الْأَدْبِيَّةَ أَجَبْتُهَا: أَسَفٌ غَايَّةٌ الْأَسْفِ مَدَامَ فَأَنَا عَلَى مَوْعِدٍ مَعَ نُخْبَةٍ مِنْ أَوْلَادِ وَطَنِي وَأَصْدِقَائِي وَهُمْ يَنْتَظِرُونَنِي الْآنَ فِي مَحْطَةِ (لُوزان)، فَأَذْهَلَتْهَا مُفَاجِئَتِي، وَقَالَتْ فِي لَهْجَةٍ غَيْرِ لَهْجَتِهَا الرَّقِيقَةِ الْوَدِيعَةِ تِلْكَ، وَقَدْ رَانَ عَلَى وَجْهِهَا الْغَضَبُ وَالتَّوْتُرُ:

- لِمَ إِذْنُ كَلِمَتِي فِي جَنيفِ؟

- إِنَّ قِصْدِي شَرِيفٌ يَا سَيِّدَتِي، وَقَدْ كَلِمَتُكَ مُتَشَبِّهًا مُتَسَائِلًا، فَأَنَا هُنَا غَرِيبٌ كَمَا تَعْلَمِينَ وَأَزُورُ سويسرا لِأَوَّلِ مَرَّةٍ. فَلَمْ تَقْتَنِعْ فِي تَعْلِيلَاتِي، بَلْ أَجَابَتْ بِحَزْمٍ وَحَسْمٍ:

- إِذْنُ يَجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَدْفَعَ تَمَنِّ تَذَكَّرْتِي، فَقَدْ قَطَعْتُهَا وَتَبَعْتُكَ إِلَى (لُوزان)؛ ظَانَهُ أَنَّكَ رَاغِبٌ بَيَّ.

لِمَجْرَدِ أَنْ تَغْرِبَ بِوَجْهِهَا عَنِّي، أَنْ أَدْفَعَ لَهَا ثَمَنَ الْبَطَاقَةِ، فَكَمْ كُنْتُ أَخْشَى، بَلْ أَكْرَهُ أَنْ يَشَاهِدَنِي أَصْدِقَائِي وَأَخْوَانِي وَبِصَحْبَتِي امْرَأَةً مُتَبَرِّجَةً، بِكُلِّ مَا تَحْمَلُهُ هَذِهِ الصَّحْبَةُ مِنْ تَأْوِيلَاتٍ وَتَعْلِيلَاتٍ^(٣٤).

يُظهر الحوار القائم بين الرَّحَّالَةِ وَالسَّيِّدَةِ السُّوَيْسِيَّةِ لَنَا طَبِيعَةَ الشَّخْصِيَّةِ وَمَكْنُونَاتِهَا الخَفِيَّةَ وَمَا تَفَكَّرَ فِيهِ، وَأَنَّ السَّاعَاتِيَّ يَنْتَصِرُ لِلْقِيَمِ وَالْأَخْلَاقِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْحَمِيدَةِ، الَّتِي نَشَأُ عَلَيْهَا، فَقَدْ أَظْهَرَهَا أَكْثَرَ تَفَاوُلًا عِنْدَ الرَّجُلِ مِنْ سَوَاهَا، وَلَعَلَّهُ أَرَادَ مِنْ خِلَالِهَا اسْتِهْدَافَ دَرَجَةِ الْإِيمَانِ وَتَقْدِيرِهَا وَأَنْ يَجْعَلَ مِنْ نَصِّ الرَّحْلَةِ مَنْظُومَةً فَنِيَّةً لِأَدَبِ الْإِلْتِمَامِ الْاجْتِمَاعِيِّ اسْوَةً بِالْفَنُونِ النَّثْرِيَّةِ الْآخَرَى هَذَا مِنْ جِهَةٍ، وَمِنْ جِهَةٍ أُخْرَى أَصْبَحَتْ تَقْنِيَّةُ الْوَحَاةِ الْعَاْمَلِ الْمُسَاعَدِ فِي إِظْهَارِ طَبِيعَةِ الشَّخْصِيَّةِ فِي ظِلِّ الشُّعُورِ بِالضِّيَاعِ وَالْعُرْبَةِ فِي بَنِيَّةِ نَسْقِ سَرْدِيٍّ لِلْحِكَايَةِ السَّرِيَّةِ الْذَاتِيَّةِ.

وَبخِلَافِ هَذَا النَّمطِ الْوَحَاةِيِّ يُوْظَفُ السَّاعَاتِيَّ بِنِيَّةِ الْوَحَاةِ لِبَيَانِ قِيَمِ الْأَمَانَةِ وَالصَّدَقِ عِنْدَ بَعْضِ السُّوَيْسِيَّةِ وَحَرَصِهِمْ عَلَى الْمَسْئُولِيَّةِ الْقِيَمِيَّةِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ فَيَقُولُ: " اسرعتُ عائدًا إلى موقفِ السَّيَّارَةِ، لِأَجْدَ مُفَاجَأَةً مَثِيرَةً فِي انْتِظَارِي.. أَبْوَابِ السَّيَّارَةِ قَدْ سَلِخَتْ عَنْهَا.. رَحْتُ أَقْلِبُ بِصِرِّي هُنَا وَهُنَا.. مَنْ وَمَتَى وَكَيْفَ؟ وَبَيْنَمَا أَنَا كَذَلِكَ، أَثَارَتْ انْتِبَاهِي سَيَّارَةٌ تَقْفُ عَلَى مَقْرَبَةٍ مِنْ مَوْقِعِ الْحَادِثِ، وَصَاحِبُهَا جَالِسٌ فِيهَا، فَسَأَلْتُهُ: هَلْ شَاهَدْتَ مَنْ صَدَمَ هَذِهِ السَّيَّارَةَ؟

- هَلْ أَنْتَ صَاحِبُهَا؟

- نَعَمْ، أَنَا.

- أَنَا الَّذِي سَبَبَ لَكَ ذَلِكَ الْحَادِثَ الْمُسُوفَ، فَقَدْ دَاهَمْتَنِي حَادِثَةٌ كَبِيرَةٌ، وَأَنَا مُتَّجِهٌ إِلَى مَقَرِّ عَمَلِي، وَلَمْ أَجِدْ مَهْرَبًا مِنْ التَّصَادِمِ بِهَا، وَفِي مَمْضَةٍ خَاطِفَةٍ انْحَرَفْتُ عَنِ الْحَافِلَةِ، طَلِبًا لِلنَّجَاةِ بِنَفْسِي مِنْ مَوْتِ مَحْقِقٍ، فَانْعَطَفْتُ بِاتِّجَاهِ سَيَّارَتِكَ مُضْطَرًّا مَعَ الْأَسْفِ.. وَهَذَا رَأَيْتَنِي، وَقَدْ هَدَأَ رُوعِي لِهَذَا التَّصَرُّفِ الرَّائِعِ وَفَارَقْتَنِي حِدَّةَ التَّوْتِرِ، فِي حَالَةٍ أَقْرَبُ إِلَى رُوحِ الْمُسَامَحَةِ وَالْمُسَالَمَةِ مِنْهَا إِلَى الْمَنَاجَزَةِ وَالْمُطَالِبَةِ بِاسْتِخْلَاصِ حَقُوقِي، فَقُلْتُ لَهُ:

- لأنك لم تكن مُتعمداً فيما سببت لي من ضررٍ، ولأنك انتظرتني، ولم تغادر، وكان بإمكانك ذلك، فأنا مُتنازلٌ عن حقوقي، ومُسامحكٌ عمّا بدرَ منك خاصةً بعد أن تصرفت معي في هذا الموقف تصرفاً يدلُّ على الالتزام بجانب الحق والامتثال لدواعي الأصول والأخلاق^(٣٥).

حينما نتأمل النص نستشف أن الرحالة يقدم حواراً يفصح فيه عن طبيعة الشخصية وأخلاقها وما تشعر به إلى درجة يجعل المتلقي يعيش التجربة الانسانية في الواقع الذي يرصده الحوار من نسق سرد الرحلة، وهنا تتجلى لنا الخصائص الفنية والجمالية، التي يهدف إليها الحوار، فالحوار من أهم العناصر والوسائل التي يوظفها الكاتب في التأثير على المتلقي إلى جانب الوصف اللذان يُسهمان في رسم صورة المشهد وطبيعة الحدث.

وقد يدخل الحوار متن الرحلة كي يحقق الكاتب من خلاله طموحاته الفنية التي تكشف عن الإيقاع الفكري المتناغم بين الشخصيتين المتحاورتين، إذ يغلب على هذا اللون من الحوار الروح الشعبوية، فيتشكل الحوار بأسلوب اللهجة العامية، وهو يعكس سيرة ماضوية لشخصية ما، أو لحقبة تاريخية ماضوية، ولعل حوار الساعاتي مع جاره في رحلته إلى جزر نيوزيلاند أبرز دليل على ما دوناه، إذ يقول: " استيقظت مبكراً، فاتجهت إلى حديقة الدار.. فدهشت إذ وجدت صاحب الدار.. فغادرت قلبي ودفترتي، وانتهزتها فرصة لأحيهما وأحاورهما، فبادرني:

- سعيدة.

قالها بلهجة مصرية محببة، فتضاعفت دهشتي، وتآلفت ابتسامته وابتسامتي فسألته:

- هل تتكلم بالعربي؟

- مش كويس.

وانطلق يحدثنني فرحاً مرحاً بلغته الإنكليزية السليمة، فقال لي: أنا جوزيف ولدت في مدينة (إيرلندا) عام ١٩٠٨م، وخدمت في الحرب العالمية الثانية، كجندي تحت قيادة: (مونتكمري) في معركتنا ضد الجيش

الألماني، بقيادة: (رومل) على أراضي الصحراء المصرية، وبعد انتهاء الحرب عام ١٩٤٥م، تسرحت من الجيش، والتقيت الأنسة (كلوريا) اليوغسلافية الأصل، وبعد سنة من العشرة الطيبة تزوجنا، واتفقنا أن نهاجر إلى جزيرة (نيوزيلاند) كي نعيش هناك بسلام^(٣٦).

وتأسيساً على ما سبق من أنماط للحوار الخارجي يتبين لنا أن الحوار ليس مجرد عبارات لغوية متبادلة بين طرفين أو أكثر فحسب، وإنما يعدُّ تقنيةً عاليةً المستوى في الكشف عن معلومات السرد في الرحلة هذا من جهة، ومن جهة أخرى أظهر الحوار خفايا النفس عند الشخصيات المتحاوره والتي نستطيع من طريقها معرفة طبائع الشعوب وأخلاقهم، وعاداتهم وتقاليدهم الاجتماعية.

ثانياً: الحوار الداخلي (المونولوج)^(٣٧):

وهو حوار النفس مع ذاتها، صوت الرأوي وصوت الشخصية، الذي " يظهر في النصوص والمقاطع السردية بضمير المخاطب، ويتميز بإقامة وصنع تلفظي مشترك بين المتكلم والمخاطب دون أن يحدث تبادل كلام بينهما"^(٣٨) فهو خطاب غير مسموع أحادي الإرسال، تعبر فيه الشخصية عن حركة وعيها الداخلي، في حضور حقيقي أو متخيل، وهو تقنية عالية المستوى في السرد؛ لأنه ينقل لنا أفكار الشخصية حرفياً، كما رسمت في ذهن قائلها، من دون تدخله بالشروح والتعليق، لأنه " حديث سابق لكل تنظيم منطقي، ذلك لأنه يعبر عن خاطر في مرحلته الأولى لحظة وروده إلى الذهن"^(٣٩).

وأبرز خصيصاً للحوار الداخلي أنه صامت، نستطيع من طريقه الاطلاع على مشاعر الشخصية، وما تفكر به وما يدور في خلدنا من أفكار قريبة من اللاوعي؛ بغية تقديم المحتوى النفسي للشخصية، والعمليات النفسية لديها من دون التكلّم بذلك على نحو كلي أو جزئي، في اللحظة التي توجد فيها هذه العمليات في المستويات المختلفة للانضباط الواعي، قبل أن تتشكل للتعبير عنها بالكلام على نحو مقصود من قبل الكاتب^(٤٠).

والحوار ينحو إلى مسرحية وتجسيد الأحداث، أو تحريكها بشكلٍ درامي، وهو مشاركة عميقة تنبع من تلقاء أشخاص في علاقة أنا، أنت، وقد تتغير هذه العلاقة فتصبح أنا، أنا، فيكون طرفا الحوار شخصاً واحداً، وذلك عندما يخاطب العقل نفسه، أو يحاور ذاته، فيصبح الحوار داخلياً^(٤١).

ورحلات الساعاتي كانت غنيّة بالحوار الداخلي الذي تكفل بتجسيد حركة الزمن لأجل السماح بالقاء المزيد من الضوء على باطن الشخصية المُتحدثه، ففي رحلته إلى الأندلس، نتلمس فردانية حالة الارتحال عند الساعاتي، فيلجأ إلى حوار ذاته، ليعرف كل شيء فيقول: "ولمّا وصلت مدينة طليطلة، أو (توليدو) كما يحلو للإسبان تسميتها، وشاهدت سيارة (الاورتوبيس) كيف جاهدت وصارعت الجبل؛ لترتقيته، رحّت أسأل نفسي: ترى أية همة قعاء دفعت بأجدادنا الطموحين، ليسلكوا هذه المسالك المهلكة؟ وأي إيمانٍ خلاقٍ ذلك الذي استطاع أن يخرس نداء قلب طارق وجنوده الغازية.. في هذه الطرقات الوعرة، والمدن النائبة، ذات الطرقات الصعبة، والتي لا يعرفون عنها إلا ما رسمته الخطط الحربيّة، وما خطته الخرائط الجغرافيّة، وما صمته العقيدة، وحقته العزيمة والاقدام، حدثني بمثل هذه الأحاديث الجياشة نفسي، وأنا أنقل ناظري في هذه الأراضي الخضراء، فقلت لها: لا تتعجلي ولا تتحرقي شوقاً على بغدادي، فأنا أعلم أنّ ما بين أفياء نخيلها تعيش ذكرياتي، وفي حنايا أزقتها وشوارعها يسكن أهلي وأحبيتي، ألا تعوضك أحداث تلك البطولات على تحمل الغربة والبعد، والفرق كبير بين مجيئك ومجيئهم، فهم جاءوا غازين محاربين، وأنت جئت مسافراً مسالماً"^(٤٢).

يكشف الحوار عن الصراع المذوي الذي يدور في أعماق الرّحالة وهو جزء من آلية نسج الرّحلة وليس زائداً أو مفروضاً عليها، فالساعاتي يبني الحدث عبر الموازنة بين أفعال (وصلت وشاهدت، جاهدت وصارعت، استطاع، سلكوا، يخرس، يعرفون، رسمته، خطته، صمته وحقته) فنتشعب الأحداث وتتسع المدارات الفكرية تزامناً مع توظيف أسلوب العطف الذي وسع مدارات الأفكار في حدث الرّحلة، وتعددت به الصورة الفنيّة بقدر كبير، وأعطتنا الدلالة الكافية بأنه متمكن من أدواته الفنيّة، فهو في توظيفه أداة

العطف (الواو) جعل (المُؤلوج) مُجسداً تجسيداََ صورياً ينعكس على صاحب الحوار النفسي في البوح عمّا تشعرُ به فضلاً عن مشاركته المتلقي فيه من خلال تكرار جُمل الاستفهام (تُرى أيّة همة قعساءَ دفعت..؟) وأيّ ايمانٍ خلاقٍ ذاك الذي استطاع..؟) التي جعلت من الأفكار مرتبطةً ارتباطاً فنياً بالحركة السردية بما يتماشى وطبيعة الحدث المرتبط بالمشاهدات العينية التي أخذت بلب ذاكرة الرحالة فرسمت لنا لوحةً حماسيةً حيّةً بحركة واقعيّتها التي انبثقت من الأحداث التاريخية الماضوية النابضة بروح التضحية وطموح المسلمين وعزيمتهم وأصرارهم في نشر الإسلام.

وفي موضعٍ آخر نجدُ الحوار الداخلي ينحرف إلى مسارٍ جانبي، لا يقع في صلب حركة زمن السرد للمشاهدات المرئية، وإنما يأخذ الحقيقة التاريخية من المشاهدات فحسب، فيصبح التعالق النصي منسجماً بين النسيج اللغوي من جهة والبناء الدرامي من جهة أخرى، وهُنا تبرزُ أهمية الحوار في فاعليته لتمديد وتعميق صورة الوعي بقدر نباهة الراوي، وهو المؤسس الفعلي للحوار، ويتجسد ذلك في بوح الساعاتي لنفسه في مؤنولوج يُعيدُه إلى الماضي في أثناء مشاهداته لمعالم جامع قُرطبة فيقول: " رأيتني أسعى حاجاً.. حتّى ضاقت الأرباضُ وازدحمت المدينةُ بالسابلين والرُوادِ وضاق الجامعُ بالمصلين والعباد، عندها شرع أبو عامر في توسيع الجامع من شرفيه، وعندما وصل المرشدُ بنا إلى هذه النقطة المهمة من الحديث، قلتُ في نفسي: من هنا بدأت المتاعب، وبان الخلاف.. ولكن المرشد الاسباني الظريف أدرك ما يدور في خلدي، فقال مُستدركاً: ولكن أول ما عمَل أبو عامر الحاكم العادل أن طيّب نفوس أرباب الدور والمستغلات وأنصفهم بالثمن والتعويض" (٤٣).

وفي رحلته إلى ليبيا نجدُ الحوار الداخلي (المونولوج) تتمركزُ فيه بؤرة الكلام، وفعلُ الحدث معاً من منظور الرحالة فقط؛ إذ في هذا اللون من الحوار لا ترى الشخصيات الأخرى ما يدور في خلد الراوي، ولا نسمع سرداً آخر إلا ما يمليه علينا الرحالة، فهو مركز الرصد في سرد الحدث، وقطب الحوار في المشاهدات العرضية التي تطرأ عليه، فيعمل الحوار موازنةً بين العرض والسرد في إيقاع فني واحد، يُسهّم

في دفع عجلة سرد الرحلة نحو الأمام ليحقق وظيفة الاستمرارية في السرد والبوح في الوقت نفسه، ولعلّ مونولوج الساعاتي في تأمله الماضين وما آلت إليه الأحداث التاريخية خير دليل على ما دوناؤه، فيقول: " وسرّ فكري عبر الزمان البعيد والقريب فرحتُ استعرضُ أمامي تلك الأجيال الماضية والحاضرة، فهنا وعلى هذه الأرض عاش أناسٌ مثلنا بآمالهم وهمومهم، بمرحهم وسأمهم، بطموحهم وطمعهم، بحبهم وكُرهِهم، ثمّ ذهبوا لعالمٍ بعيدٍ نجهلُ كنهه، ولا يُدرِكُ سرّه، لكنّ البحرَ باقٍ هو هو مُنتشرٌ هنا كما ينتشرُ اليومَ أمامي كأنّه فيلسوفٌ يحكي للشاطئ قصّة الأجيال المتعاقبة.. واستفقتُ من غيبوتي على صوتِ حنون لزوجتي: ناجي.. ناجي.. ولو كنتُ درويشاً هندياً ما استفقتُ من هذا التجلي الإلهي واللُّغزِ السماوي، وعادَ الصوتُ يهددُ برفقٍ ذلك الفيض السرمدي: أدركنا الوقتُ يا عزيزي.. وتبعثها بخطى حالمة أردد.. نعم أدركنا الوقت.. نعم أكلنا الوقت" (٤٤).

وقد يتخذ الحوار الداخلي (المونولوج) من إطار التأمل والفرح والسعادة وسيلة للتعبير عن وجهة النظر التي تُسفر عن شعور متجلّ في شخصيّة الكاتب، فيملأ بوساطته فراغات السرد ويُغير نمطيته وطريقته فيقدّم من طريقه رؤيته الفنيّة في وعي عميق كما في قوله: " من ذا الذي لا تدهشه الصدفة، خاصة حينما تسنح له فجأة، أو حين تلمع في ذهنه لمحة، أو حين يتحسّس بها ومضة، وهذا ما حدث لي فعلاً، فحالماً وصلتُ الفندق، زقتُ إليّ زوجتي خيراً مُوداه، بأنّ أبا القاسم اتصل بنا هاتفياً ودعانا للحفل الموسيقي الغنائي.. تكريماً للشاعر الأديب (محمد المرزوقي).. طفحت على وجهي ابتسامة عريضة ملؤها الارتياح والذهشة، وهمستُ يا لطيف فكّم هناك من الغاز تكتنف غابات الوجود؟ وكّم من أسرار تخنفي وراء المعقول واللامعقول" (٤٥).

العفوية والبساطة هما أهمّ ما يمكن أن نشير إليهما في هذا اللون من الحوار فضلاً عن الحرية اللغوية وسلاستها من جميع نواحيها الفكرية والأدائية، فالمحاور هو الرّحالة ذاته في "اللحظة التي توجد فيها هذه العمليات في المستويات المختلفة للانضباط الواعي، قبل أن تتشكل للتعبير عنها بالكلام على نحو

مقصود^(٤٦) بغيّة تقديم المحتوى النفسي للشخصيّة فقوله: (زفّت إليّ زوجتي خبراً.. فكمّ هناك من ألغازٍ..؟ وكمّ من أسرارٍ..). أساليب بلاغيّة في ترادف الخبر وتعدده ضمن إطار السرد المحكي، فقد أسهمت هذه الأساليب بشكلٍ مباشرٍ في استكمال الحلقات المفقودة من السرد، لعلّها محاولةً فنيّةً من الكاتب لإشراك المتلقّي في تأويلها وتفسيرها وتحليلها ومعرفة مكنوناتها وغاياتها.

وفي موضعٍ آخر يُظهر الحوار الداخليّ (المونولوج) طبيعة الشخصية في معاناتها التي تعيشها، حالة من الضياع والألم، ولوم النفس، وقساوة الأيام والصديق وهو شعورٌ انتاب الرّحالة بعد فقدان حقيقته في مطار الجزائر، بعدما أودع فيها كلّ مقتنياته: مذكراته ومسودات كتابة الرحلة فيقول: "وهي خلاصة خواصري وانطباعاتي عن رحلتي.. وقد اودعتها إحدى حقائبي وأخشى فقدها.. إذ لست أدري ولا المنجم يدري، هل ستعود حبيبي؟ عفواً، أعني: حقيبي، أخذت أنحي باللائمة على نفسي وأناقشها في حوارٍ داخليّ، لم وضعت ثقتي بتلك الحقيبة الجلديّة؟ وهي غريبةٌ عني بعيدةٌ مني، فأودعتها أسراريّ وخلاصة أفكاريّ، وأنا الذي جرّب النساء والأصدقاء والأقرباء فأعطيهم الصافي من حُبّي وذوبت معهم الغالي من عمري، فلم يف منهم إلا النزر القليل، ولم أصطف فيهم إلا النادر الثمين، إذن كيف أرجو الوفاء من حقيبة بدنانير معدودات؟ وغادرتُ قاعة المطار مشغول البال، خائب الآمال بعد أن أعطيتُ الموظف المسؤول عنوان سفارتنا العراقيّة في الجزائر"^(٤٧).

يُظهر الحوار جانباً مهماً من سيرة الكاتب التي مثلت صفة تجربته الحياتيّة وكُنّا نعرف ما للجملة الفعلية من حركيّة واستمراريّة في تكرار الحدث مرّة بعد مرّة ففي قوله: (أعطيهم الصافي من حُبّي، وذوبت معهم الغالي من عمري، فلم يف منهم إلا النزر القليل ولم أصطف فيهم إلا النادر الثمين)، ثمة مسكوتٌ عنه، أظهرته تجربة الليالي والأيام، ويبدو لنا أنّها مؤلمة قاسية في نظر الساعاتي في كلّ ما حملته من هواجس للنفس الانسانيّة وأحاسيسها، وما انتابها من خلجاتٍ مريّة يشعرُ بها القارئ وهي في أعماق النفس المُحاورَة لذاتها.

وقد يحمل الحوار الداخلي لمحة نقدية يوجهها الرحالة لمجتمع معين، كأن تكون ظاهرة اجتماعية غير مرغوبة، لا تتوافق وأفكار الكاتب، فيكون الفضاء الخارجي غير متأت لما تريده وتكون الشخصية حذرة، ولكنها في الوقت نفسه لا تستطيع تجاوز ما تراه، كما في نقده الساخر لبعض الفنتية الذين يرتادون المقاهي في مدينة (تلمسان) الجزائرية، فيقول: " وذات يوم وبينما أنا أسير على غير هدى في مدينة تلمسان أقلب ناظري بوجوه لم أجد لي بينها بسمه من قريب، ولا وعداً من حبيب، وصلت إلى مقهى شعبي يوزع (التاي) فجلست أرتشف كوباً منه، ورحت أتفحص رواد المقهى، وقلت في نفسي: لو قدر لي أن أفتح محلاً لبيع وتصليح الساعات في مدينة تلمسان، لما زار محلي إلا قليلاً جداً من الناس، ولبيعت الساعات بعيدة عن تناول الربائن وكان جلبها للتصليح أبعد، فقد وعيت عن كثب أن الوقت والتوقيت لدى أهالي تلمسان لا يعنيان شيئاً مهماً في حياة هذا الانسان" (٤٨).

وفي رحلته إلى سويسرا ينطلق الحوار من نوع آخر، إذ لا يكتفي فيه الكاتب بالسرد والتصوير، وإنما يجعل للأمكنة روحاً يبحث عنها، ونهايةً يبتغي وصولها، عبر تقنية المبادلة في أسلوب السرد، ينتقل الكاتب فيه من الحوار الخارجي إلى حوار النفس لذاتها، فيمسي التشكيل الحوارية بنوعيه صورة مضافة لصورة المكان المرشح إليه فيقول: " جرس الهاتف يرن، فرفعتة ملهوفاً مسرعاً فإذا بالأخ الصديق (عزيز الملا حمادي) يحدثني من بعيد: أهلاً بك (أبا الشوق) اركب القطار إلى (لوزان) وتعال إلينا على عجل، فستجدنا جميعاً بانتظارك في المحطة، وكُنَّا شوقاً إليك ولبغداد والوطن ولأخبار أهلنا وأحبابنا، ولكن أين تقع هذه (اللوزان)؟ .. ثم كيف أهتدي إلى قطار الساعة الرابعة والثلاث دقائق؟ .. وكيف ابتاع البطاقة وأنا لا أعرف الفرنسية؟ كثير من هذه الأسئلة المحيرة ازدحمت في مخيلتي وأنا متجة صوب المحطة، ولكن بلا جوابٍ مُقنع، كل هذه التأملات وليس لاسم هذه المدينة من ذكرٍ أو صدَى في فكري" (٤٩).

ويأتي الحوار الداخلي ضرورةً تمليها النفس في الإقدام على الفعل، ويتجلى لنا ذلك في محاوره الرحالة لنفسه لرفع حُجب التأزم والإرتداد، وهنا يلعب الحوار دوراً سردياً مهماً ولا سيما حينما تبدو النفس المحاوره

في أزمة لأقناع الذات على الإقدام والمواصلة لإنجاز الفعل، كما في قوله: " يصادفُ كثيراً أن تكونَ سفراتي إلى (سويسرا) موقوتة في فصل الشتاء.. وكَمَ مرّةٍ تلقيتُ الدّعوةَ من صديقي (فيليب شموتس) مُشوقاً ومُحبباً ليّ زيارةَ مدينة.. (زرمات).. ووجدتني أحاورُ نفسي في مُونولوجٍ داخليّ مرّةً أسألُ والنفسُ تجيبُ، ومرّةً أخرى تكونُ نفسي هي السّائلةُ لأكونُ أنا المَجبِبُ، وما يضيركُ أيّها الرّجلُ أن تلبّي مثلَ هذهِ الدّعوةِ الكريمةِ، أليسَتْ هي فرصةٌ طيبةٌ وسانحةٌ وما المانعُ أن تنطلقَ إلى هُناكَ، لتجدَ نفسكَ بعدَ أربعِ ساعاتٍ وبضعِ دقائقَ بينَ أصدقاءٍ وأحابِيبٍ أمامَ جبالِ الألب، وقدَ اعتمرتَ قممتها الشاهقةَ بياضِ الثلوجِ المضيئةِ"^(٥٠).

وقد يأتي الحوارُ مُصاعاً لقوانينِ السّردِ، فلا شكَّ أنّ رحلاتِ السّاعاتيّ انبثقتُ جُلّها من واقعِ المُشاهداتِ الفعليةِ، التي قامَ بها الرّحّالةُ لبلدانٍ مُختلفةٍ ومنتوعةٍ، ولكنّ الواقعيّةَ النصيّةَ في صدقها الفئّي، تفرّضُ وجودها على الكاتبِ في صورٍ مُتعددةٍ، منها: محاكاةُ الواقعِ في نصيّةِ السّردِ، وتوجيهه نحو المُتلقّي بكلِّ واقعيّةٍ فنيةٍ، وهذا ما نجدُه في مُجملِ الأفكارِ التي تطرّقَ إليها الرّحّالةُ في مُونولوجه فيقولُ: " حانتُ مني التفاتةٌ نحو صورٍ لشبانٍ وشاباتٍ، قدَ أُطرتُ بعنايةٍ فائقةٍ، وعُلقتُ على الجدرانِ في موقعٍ يجذبُ إليه الأنظارُ، فسألْتُ صاحبيّ عن هؤلاء، ما شأنهم؟ وما تعنيه هذهِ الصّور؟ فقال: هؤلاء ضحايا عشقهم لرياضةِ التزلّجِ على الجليدِ، والتسلقِ على الجبالِ، والعشاقِ من كلّ نوعٍ ولأبّ سببٍ كثيراً ما ضحوا.. وسألْتُ نفسي: لماذا يُضحى الإنسانُ بحياته كي يتسلقَ هذهِ الجبالِ، مُتحدّياً منطوقَ العقلِ وقوةَ الطبيعةِ، وكُنّا نعلمُ أنّ كلّ زائرٍ يصلُ إلى هذهِ المناطقِ، خاصةً إذا كانَ طائراً في الجوّ، سيُشاهدُ تلكَ الجبالَ وهو مُطلٌّ عليها، يراقبها عن بُعدٍ وهو جالسٌ مستقرٌّ في كرسي طائرتِه، عندما تُحلّقُ فوقَ جبالِ الألبِ من كلتا جهتيها السّويسريّةِ والإيطاليّةِ، يراها من موقعِ التحدي؛ لأنّه يطيرُ فوقها"^(٥١).

ويتواصلُ السّاعاتيّ في توظيفِ حواراته الداخليّةِ بأنماطها^(٥٢) ففي رحلتهِ إلى نيوزيلاند يوظفُ الكاتبُ الحوارَ في إطارِ عتابِ الذاتِ للوطنِ، فيستثمرُ المقارنةَ والموازنةَ في توجيهِ المُنولوجِ فيقولُ: " ولد (السّير

هيلري) في مدينة (أوكلاند) عام ١٩١٩م، ثمَّ حَدَمَ في القُوَّةِ الجويَّةِ الملكيةِ أَبَانَ الحربِ العالميَّةِ الثانيَّةِ.. وَهُوَ يَتَمَتَّعُ بِمَرَكِزِ مَرْمُوقٍ فِي جِزْرِ نِيوزِيلَانْدِ وَشَهْرَةً عَالَمِيَّةً، وَزِيَادَةً عَلَى اعْتِرَازِهِمْ بِشَخِصِهِ الْبَطُولِيِّ الْأَسْطُورِيِّ وَمُضَاعَفَةً لِتَكْرِيمِهِ، فَقَدْ طُبِعَتْ صُورَتُهُ عَلَى الْعُمْلَةِ الْوَرَقِيَّةِ الْنِيوزِيلَنْدِيَّةِ مِنْ فِتَّةِ الْخَمْسَةِ دُولَارَاتِ. يَوْمَهَا سَأَلْتُ نَفْسِي: وَعَاتَبْتُ أَبَا الْمَكَارِمِ الْعِرَاقِيَّ بَلَدِي أَلَا يَسْتَحِقُّ الْبَطْلَ الْمُصَارَعُ (الْحَاجَّ عَبَّاسَ الْدِيك) تَمَثَالاً فِي سَاحَةِ مِنَ السَّاحَاتِ الرِّيَاضِيَّةِ فِي بَغْدَادَ؟ بَعْدَ أَنْ نَازَلَ الْمُصَارَعُ الْأَلْمَانِيَّ الْعَالَمِيَّ: (الهِرِكْرِيمِر) فِي مَنْتَصَفِ الثَّلَاثِيَّاتِ، ثُمَّ أَلَا يَسْتَحِقُّ تَمَثَالاً فِي وَاجِهَةِ مَلْعَبِ الشَّعْبِ، لِيَطَّلَ عَلَى شَارِعِ مَدِينَةِ (الضِبَاطِ) الْعَقِيدِ الطَّيَارِ الْمَرْحُومِ (حَفْظِي عَزِيْزِ) طَيَارُ الْمَغْفُورِ لَهُ الْمَلِكِ غَازِي، ثُمَّ وَادَهُ الْمَغْفُورُ لَهُ الْمَلِكِ فَيَصِلُ الثَّانِي، الَّذِي يُعْزَى إِلَيْهِ الْفَضْلُ فِي نَشْرِ رِيَاضَةِ الْمَلَائِكَةِ فِي الْعِرَاقِ.. وَالَّذِي كَانَ بَطْلَهَا وَمُدْرَبَ الْكَثِيرِ مِنْ أَبْطَالِنَا كَمَا كَتَبَ وَنَشَرَ عِدَدًا مِنَ الْكِرَاسَاتِ وَالْمَقَالَاتِ عَنِ قَوَاعِدِهَا وَقَوَانِينِهَا وَأَخِيرًا وَلَيْسَ آخِرًا زَمِيلِي الَّذِي تَشْرَفْتُ بِزِمَالَتِهِ فِي كَلِيَّةِ الْحَقُوقِ الْقَاضِي الْعَادِل: عَلَاءُ النَّوَابِ الَّذِي حَازَ بَطُولَةَ السَّبَاحَةِ الْعَالَمِيَّةِ عِنْدَ عُبُورِهِ بَحْرَ (الْمَانَشِ) فِي بَدَايَةِ الْخَمْسِيَّاتِ، أَلَا يَسْتَحِقُّ تَمَثَالاً فِي جَانِبِ الْكِرْخِ قُرْبَ شَرِيْعَةِ النَّوَابِ، الَّتِي يَتَغَنَّى بِجَمَالِهَا أَهَالِي بَغْدَادِ" (٥٣).

حِينَمَا نَنْظُرُ نَظْرَةً عُمُودِيَّةً مِنَ الْحَوَارِ الذَّاتِي الَّذِي عَقَدَهُ السَّاعَاتِي نَجِدُ أَنَّ بَنِيَّةَ صِرَاعِ الذَّاتِ بِمَا يُحَدِّدُ أُسْلُوبَهُ يَتَأَلَّفُ مِنْ مُسْتَوِيَيْنِ، يَتَصَلَّانِ بِالْحَدِثِ: أَحَدُهُمَا مَرَكِزِيٌّ، وَالْآخَرُ هَامِشِيٌّ، يَدُورُ الصِّرَاعُ الْمَرَكِزِيُّ فِي ذَاتِ الرَّحَالَةِ الَّذِي يَنْعَكِسُ فِي صُورَةِ الْمَأْسَاةِ، وَالْأَلَمِ، وَالْحَيْرَةِ، وَالْعَتَابِ الْمَجَازِي، فَقَوْلُهُ: (سَأَلْتُ نَفْسِي: وَعَاتَبْتُ أَبَا الْمَكَارِمِ الْعِرَاقِيَّ بَلَدِي) مَجَازٌ عَقْلِيٌّ إِذْ اسْتَدَّ الْكَاتِبُ الْفِعْلَ (عَاتَبْتُ) إِلَى غَيْرِ صَاحِبِهِ، فَالْعَتَابُ لَا يَقَعُ عَلَى الْوَطَنِ/الْعِرَاقِ، وَإِنَّمَا عَلَى مَنْ حَكَمَهُ وَلَهُ الْقَرَارُ فِيهِ، فَالْعَلَاقَةُ هُنَا عِلَاقَةٌ زَمَانِيَّةٌ، وَالْإِسْنَادُ إِلَى أَبِي الْمَكَارِمِ كِنَايَةٌ عَنِ بَلَدِهِ الْعِرَاقِ، الَّذِي تَنَاسَى مَنْ فِيهِ الْأَبْطَالُ الَّذِينَ أَفْنَوْا حَيَاتَهُمْ فِي رَفْعِ صُورَةِ بِلَدِهِمْ فِي الْمَحَافِلِ الْعَالَمِيَّةِ، وَالسَّاعَاتِي يَرْفُضُ هَذَا التَّهْمِيْشَ وَالْإِقْصَاءَ، وَيَدْعُو إِلَى إِعْطَاءِ كُلِّ ذِي حَقِّ حَقَّهُ، فَعَلًا مَادِيًّا يَكُونُ صُورَةً لِأَثَرِ أَوْ نَصْبًا تَذْكَارِيًّا وَمَعْنَوِيًّا، يَشِيرُ عَلْنَا إِلَى كِفَاحِهِمْ وَبَطُولَاتِهِمْ.

أمّا المستوى الثاني: فهو صراعٌ خارجيٌّ نضاليٌّ يتصلُّ بالتوعّية النقابيّة العالميّة في أخذ دورها الفعّال، ويكوّن الساعاتيّ فيه مُتلبساً بدور الرّقيب، ووظيفته واضحةٌ لا تعدوا أن تكونَ في إطار التجربة العامّة، وهي رؤيةٌ هامشيّةٌ في نظر الكاتب يوكلُ مهمتها لذوي التخصص وهي مهمتهم، كلٌّ بحسب عمليهِ المناط به ودوره في الحياة.

نتائج البحث:

من هنا، وخلاصةً لما سبق ذكره عن الحوار، يمكنُ لنا القول: إنّ الحوارَ من العناصر الفنيّة التقنيّة المهمة التي يعتمدُ عليها الكاتبُ في رسم شخصياته، وبيان مُستواها الفكريّ وعالمها الرّوحيّ، وأيّاً يكن نمط الحوار فإنّ حضوره في نصِّ الرّحلة ودرجته دالان على مُستوى العلاقة بين الشخصيات السردية ورؤية المؤلف للعالم لخارجيٍّ الذي تجري فيه الأحداث الحوارية، لذا كان الحوارُ في رحلاته سلساً مندمجاً في صلب الحدث. وقد نهض بوظائف متعددة: أسلوبيةٌ وبنائيةٌ، وتعريفيةٌ، وتوجيهيةٌ موازنة، وبيانية، فضلاً عن وظيفته البوح التي تعبرُ عن مكنون الشخصية المُحوّرة.

فالحوارُ جزءٌ لا يتجزأ عن مكونات سرد الرّحلة عند الساعاتيّ يجعلها أكثرُ تجسيداً وحضوراً كما أنّه يلتزم بدفع حركة السرد والإسهام في بناء النصّ الفنيّ من خلال التمهيد للأحداث أو عن طريق الارتداد إلى الماضي لاستكمال عمليّة النسج وبناء الحدث.

الهوامش:

- ١ - معجم السرديات: ١٥٩.
- ٢ - يُنظرُ: المصطلح في الأدب العربي: ٥٣.
- ٣ - يُنظرُ: الحوار في القصة والمسرحية والإذاعة والتلفزيون: ١٠.
- ٤ - يُنظرُ: أسلوبية الرواية: ١٨.
- ٥ - يُنظرُ: معجم السرديات: ١٥٩.

- ٦ - يُنظرُ: (مفهوم التناحر) تجديدات نظرية: ٢٠.
- ٧ - يُنظرُ: معجم السرديات: ١٥٩. وينظر: فن القصة: ٩٦.
- ٨ - يُنظرُ: فن القصة: ٩٦. وينظر: البناء الفني في الرواية العربية في العراق (الوصف وبناء المكان) ج: ٢: ٣٧٧، وينظر: فن القصة القصيرة: ٢٩.
- ٩ - يُنظرُ: عالم القصة: ٢٦٧.
- ١٠ - يُنظرُ: البناء الفني في القصة القصيرة في العراق من ١٩٩٠م - ٢٠٠٠م: ١٨٠.
- ١١ - فنُّ القصة: ٩٦.
- ١٢ - يُنظرُ: فنُّ القصة: ٩٧. ويُنظرُ: دراسات في القصة العربية أصولها، واتجاهاتها، وأعلامها: ٣٥.
- ١٣ - يُسميه (ميخائيل باختين) بـ (الصريح)، يُنظرُ: المبدأ الحوارية (دراسة في فكر ميخائيل باختين): ٩٦.
- ١٤ - يُنظرُ: الحوار القصصي (تقنياته وعلاقاته السردية): ٤١.
- ١٥ - رسائل من الهند: ٤٥ - ٤٦.
- ١٦ - م.ن: ١٠٧-١٠٨.
- ١٧ - من وحي السفر: ٢٦-٢٩.
- ١٨ - معجم السرديات: ١٦٠.
- ١٩ - من وحي السفر: ٦٩-٧٠.
- ٢٠ - م.ن: ١١٦.
- ٢١ - رحلة إلى الأندلس: ٣١-٣٢.
- ٢٢ - م.ن: ٧٣-٧٤.
- ٢٣ - رحلتي إلى أفريقيا العربية: ليبيا: ٧٤-٧٥.
- ٢٤ - يفرق المتخصصون في النحو التقليدي بين أسلوبين في نقل كلام الآخر، الأول: هو الأسلوب المباشر، والثاني: غير المباشر، فحينما ينقل الراوي كلام غيره، كما هو الحال في النص المختار، لجأ إلى الأسلوب الأول، أمّا إذا ضمنه في سياق كلامه، لجأ إلى الثاني، فعرف الأول عندهم: بكلام الشخصية، وعرف الثاني بكلام الراوي، للمزيد يُنظرُ: بناء الرواية (دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ)، سيزا أحمد قاسم، مطابع الهيئة المصرية للكتاب، ط١، سنة ١٩٨٤م، ص: ١٥٩.

- ٢٥ - رحلتي إلى أفريقيا العربية: تونس: ٢٦-٢٧.
- ٢٦ - رحلتي إلى أفريقيا العربية: الجزائر: ٢٩-٣٠.
- ٢٧ - رحلتي إلى أفريقيا العربية: المغرب: ٣٠-٣١.
- ٢٨ - م.ن: ٣٣.
- ٢٩ - م.ن: ٤٧-٤٨.
- ٣٠ - م.ن: ٤٨.
- ٣١ - م.ن: ٦٠-٦٦.
- ٣٢ - سويسرا خيمة العالم: ٩٢.
- ٣٣ - وظف الساعاتي ألواناً متعددة من الحوار الخارجي في موضوعات مختلفة، يُنظر: رسائل من الهند: ٤٤، ٧٩-٨٠. ويُنظر: من وحي الرسائل: ٥٣، ١٠٥. ويُنظر: رحلة إلى الأندلس: ١٤-١٥. ويُنظر: رحلتي إلى أفريقيا العربية: ليبيا: ٣٥، ٦٨-٦٩، ٧٤، ٧٩-٨٠. ويُنظر: رحلتي إلى أفريقيا العربية: تونس: ٣٢-٣٣، ٥١، ٥٤، ٦١. ويُنظر: رحلتي إلى أفريقيا العربية: الجزائر: ٢٠. ويُنظر: رحلتي إلى أفريقيا العربية: المغرب: ٥١-٥٢، ٦٨، ٧٨، ٩٢. ويُنظر: سويسرا خيمة العالم: ٢٨، ٨٦-٨٧، ١٢٢-١٢٣، ١٣٤، ١٦٠، ١٨٣-١٨٦، ١٩٠، ٢٢٠. ويُنظر: رحلة إلى جزر نيوزيلاند: ٢٠، ٢٣، ٣٨، ٣٩، ٥٠، ٦١، ٦٥، ٦٧، ٩٩، ١١٨.
- ٣٤ - سويسرا خيمة العالم: ١٢٤-١٢٧.
- ٣٥ - م.ن: ٢٢٠-٢٢١.
- ٣٦ - رحلتي إلى جزر نيوزيلاند: ٣٠.
- ٣٧ - يُسميه الناقد الروسي (ميخائيل باختين) بـ (التهجين) يُنظر: المبدأ الحوارية (دراسة في فكر ميخائيل باختين)، يُنظر: تزفيتان تودوروف: ٩٦. ويقسمه الناقد عبد الملك مرتاض إلى أربعة أقسام: المونولوج، والمناجاة، وتيار الوعي، والارتجاع الفني. يُنظر: في نظرية الرواية: ١٣٨.
- ٣٨ - معجم السرديات: ١٦١. ويُنظر: معجم المصطلحات الأدبية: ٢٠٥.
- ٣٩ - القصة السايكولوجية: ١١٦.
- ٤٠ - يُنظر: تيار الوعي في الرواية الحديثة: ٤٤.

- ٤١ - يُنظرُ: تحولات الحبكة: ١٠٤.
- ٤٢ - رحلة إلى الأندلس: ٤٠-٤١.
- ٤٣ - م.ن: ١٣٩.
- ٤٤ - رحلتي إلى أفريقيا العربية: ليبيا: ٦٧.
- ٤٥ - رحلتي إلى أفريقيا العربية: تونس: ٦٥.
- ٤٦ - المونولوج في الدراما والشعر: ٢٣.
- ٤٧ - رحلتي إلى أفريقيا العربية: الجزائر: ١٧.
- ٤٨ - م.ن: ٦٠.
- ٤٩ - سويسرا خيمة العالم: ١٢٣.
- ٥٠ - م.ن: ٢٠٠-٢٠٣.
- ٥١ - سويسرا خيمة العالم: ٢١٠.
- ٥٢ - وظف الساعاتي ألواناً متعددة من الحوار الداخلي يُنظرُ على سبيل المثال: رسائل من الهند: ٨٠-٨١. ويُنظرُ: من وحي الرسائل: ٢٥، ٣٩. ويُنظرُ: رحلتي إلى أفريقيا العربية: ليبيا: ٣٥، ٦٧، ٧٨، ٨٥-٨٦. ويُنظرُ: رحلتي إلى أفريقيا العربية: الجزائر: ١٤. ويُنظرُ: رحلتي إلى أفريقيا العربية: المغرب: ٣٩. ويُنظرُ: سويسرا خيمة العالم: ١١٤، ١٨٨. ويُنظرُ: رحلة إلى جزر نيوزيلاند: ٢٨، ٥٤، ٦٤، ٦٧-٦٨، ٨٥، ١١١، ١١٤، ١١٧.
- ٥٣ - رحلة إلى جزر نيوزيلاند: ١٠٣-١٠٤.

المصادر والمراجع:

١. أسلوبية الرواية، الدكتور حميد لحمداني، مطبعة النجاح الجديدة للنشر والتوزيع، ط١، الدار البيضاء، سنة ١٩٨٩م.
٢. بناء الرواية (دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ)، سيزا أحمد قاسم، مطابع الهيئة المصرية للكتاب، ط١، سنة ١٩٨٤م.
٣. البناء الفني في الرواية العربية في العراق (الوصف وبناء المكان)، الدكتور شجاع مسلم العاني، دار الشؤون الثقافية للطباعة والنشر، ط١، بغداد، سنة ٢٠٠٠م.

٤. البناء الفني في القصة القصيرة في العراق من ١٩٩٠م - ٢٠٠٠م، الدكتور حسنين غازي لطيف، دار الشؤون الثقافية للطباعة والنشر، ط١، بغداد، سنة ٢٠١١م.
٥. تحولات الحكمة، خليل رزق، مؤسسة الأشرف للطباعة والنشر، ط١، لبنان، سنة ١٩٩٨م.
٦. تيار الوعي في الرواية الحديثة، روبرت همفري، ترجمة: الدكتور محمود الربيعي، دار المعارف للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، القاهرة، سنة ١٩٧٥م.
٧. ترفيتان تودوروف، ترجمة فخرى صالح، دار الشؤون الثقافية العامة، ط١، بغداد، سنة ١٩٩٢م.
٨. الحوار القصصي (تقنياته وعلاقاته السردية)، فاتح عبد السلام، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، لبنان، سنة ١٩٩٩م.
٩. الحوار في القصة والمسرحية والإذاعة والتلفزيون، الدكتور طه عبد الفتاح مقلد، مكتبة الشباب للطباعة والنشر، ط١، القاهرة، سنة ١٩٧٥م.
١٠. دراسات في القصة العربية الحديثة أصولها، واتجاهاتها، وأعلامها، الدكتور محمد زغلول سلام، دار المعارف للطباعة والنشر، ط١، القاهرة.
١١. فن القصة القصيرة، الدكتور رشاد رشدي، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٣، سنة ١٩٧٠م.
١٢. فنُّ القصة، الدكتور محمد يوسف نجم، دار صادر للطباعة والنشر، ط١، لبنان، سنة ١٩٩٦م.
١٣. في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد، الدكتور عبد الملك مرتاض، سلسلة عالم المعرفة للطباعة والنشر، ط١، الكويت، سنة ١٩٩٨م.
١٤. القصة السايكولوجية، ليون ايدل، ترجمة: محمد السمرة، مكتبة الأديب للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، لبنان، سنة ١٩٥٩م.
١٥. المبدأ الحوارى (دراسة في فكر ميخائيل باختين)، ترفيتان تودوروف، ترجمة فخرى صالح، دار الشؤون الثقافية العامة، ط١، بغداد، سنة ١٩٩٢م.
١٦. المصطلح في الأدب العربي، الدكتور ناصر الحاني، المكتبة العصرية، ط١، لبنان، سنة ١٩٨٦م.

١٧. معجم السرديات، تأليف محمد القاضي، محمد الخبو، أحمد السماوي، محمد نجيب العمامي، علي عبيد، نور الدين بنخود، فتحي النصري، محمد آيت ميهوب، الرابطة الدولية للناشرين المستقلين، دار محمد علي للنشر والتوزيع، ط١، تونس، سنة ٢٠١٠م.

١٨. معجم المصطلحات الأدبية، إبراهيم فتحي، طبع التعااضدية العمالية للطباعة والنشر، ط١، تونس، سنة ١٩٨٦م.

١٩. مفهوم التناحر، تجديدات نظرية، بشير القمري، مجلة شؤون أدبية، الشارقة (دبي)، سنة ١٩٩٠م، العدد: ١١.

٢٠. المونولوج في الدراما والشعر، أسامة فرحات، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١، القاهرة، سنة ١٩٩٧م.

إضاءات على غزوات النبي محمد (ص) - الأسباب والنتائج

أ.د. عهود حسين جبر

مركز دراسات الكوفة/ جامعة الكوفة

المقدمة:

عمل النبي محمد (ص) على تأسيس أول دولة اسلامية بنى قواعدها بعد سنته الاولى بعد الهجرة، وقد واجهت الدولة الاسلامية الفتية مواجهة شرسة من جانب قريش التي قررت أن تنهي الوجود الاسلامي فشنّت الحرب بعد الحرب على المسلمين، فكان لا بد للنبي (ص) والمسلمين من اتخاذ موقف للدفاع .

وقد نزلت آيات كثيرة في العام الاول من الهجرة لتنبئ النبي (ص) نوايا المشركين والمنافقين تفضح خططهم وترسم الخطوات التي يخطوها النبي وأصحابه من المؤمنين ضد المشركين والمنافقين .

لقد كان النبي (ص) هدفا لقريش من خارج المدينة واستهدفه اليهود من داخل المدينة فكان النبي (ص) يرصد هذه التحركات فكانت ثمانى غزوات طيلة السنة الثانية للهجرة بما فيها غزوة بدر الكبرى، وقد كان النصر حليف المسلمين في أغلب غزواتهم .

وقد أصرت قريش على عدوانها ضد الاسلام والمسلمين من خارج المدينة ونقضت اليهود عهودها مع النبي (ص) مرات عديدة خلال سنوات متتالية، فكانت خمس غزوات هي أحد وبني النضير والاحزاب وبني قريظة وبني المصطلق، وقد رد الله سبحانه كيد الاحزاب واليهود معا في العام الخامس بعد ان نصر المسلمون نصرا مؤزرا وكان تمهيدا بذلك للفتح المبين في السنة الثامنة للهجرة بعد ان يبس المنافقون والكفار من القضاء على المسلمين .

وكانت خطة البحث تشتمل على ثلاث فقرات، تناولت في الفقرة الأولى حال المجتمع العربي في عهد الرسالة وما لاقاه النبي (ص) من صعوبة في تغيير هذا المجتمع واقناعه بالدعوة الاسلامية الجديدة، اما الثانية فقد تناولت فيها غزوات النبي (ص) واسباب كل غزوة والخطط التي وضعها الرسول (ص) لهذه

الغزوات، ونتائج هذه الغزوات وقد ركز البحث على الغزوات التي شارك فيها الرسول بالقتال فعليا، وهي: غزوة بدر، غزوة أحد، غزوة الخندق، غزوة بني قريظة، غزوة المصطلق، غزوة حنين . وتناولت في الفقرة الثالثة شخصية النبي القائد، وخلص البحث الى أهم النتائج .
أولاً: المجتمع العربي:

مما لاشك فيه ان المجتمع في عهد النبي محمد (ص) كان يحمل من الشوائب والامور المستنكرة الكثير، من أبرزها الشرك ووأد للبنات وشرب للخمر وغيرها من هذه الامور القبيحة وقد تألف معها المجتمع وصارت جزءا من تكوينه النفسي والفكري ، الى جانب ذلك تلك الطبقة المقيمة التي تفرق بين الناس على اساس عرقي ومادي ، وبطبيعة الحال كان تغيير هكذا مجتمع من المهام الصعبة ، (فهذه التركيبة الاجتماعية لم تسمح أن تتغير من داخلها لما فيها من رواسب وعادات وتقاليد وعصبيات تنكرت لقيم ومبادئ السماء وأصرت على عنادها وصدودها ،ورصدت الحركة الاسلامية الجديدة بألوان من المكائد والمؤامرات) (١)

ولم يكن المشركون يفهمون إلا لغة القتل والثأر يفهمونها جيدا، لان حياتهم كانت قائمة على هذا الصراع الازلي، الذي طالما سفكت فيه الدماء وهتكت فيه المحارم، إنه مجتمع عنيف يؤمن بالبقاء للأقوى وليس للأصلح .

فكان الحمل ثقيلًا على الرسول (ص)، فقد جوبه بالرفض الشديد حتى وصل الامر الى التخطيط لقتله لولا حفظ من الله سبحانه وتعالى قال تعالى: (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُبْنِيَنَّوْكَ أَوْ يُقْتُلُوْكَ أَوْ يُخْرِجُوْكَ ۗ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) (٢)

وكان الرفض شديدا لهذه الدعوة المارقة في نظرهم، لماذا؟ لأنها قلبت الامور والموازن وساوت بينهم وبين العبيد،وقد رفض، عليه القوم هذا التغيير ،و هؤلاء هم من تضررت مصالحهم من وراء تلك الدعوة ، (لأن خطر الاسلام على الجاهلية عظيم، كما كان يتحسس أبو جهل وأتباعه من أقطاب الشرك والوثنية ، ان يقوض الاسلام سلطانهم وهيمنتهم الطاغوتية) (٣)

الى جانب ذلك فهم لا يستطيعون ان يؤمنوا بإلله غائب عن مداركهم الحسية ، فكانت حاجتهم الى وسيط بينهم وبين آلهتهم .

وكان من الطبيعي ان يستخف هؤلاء بمحمد واتباعه في بادئ الامر لقلّة عددهم وعدتهم، فتعرضوا للتهديد والتعذيب .

وما لبث النبي الكريم (ص) ان هجر تلك الديار مع اصحابه واتباعه خوفا عليهم من بطش هؤلاء تاركين ورائهم اموالهم وأملاكهم .

لقد كان اتباعه عليه السلام مؤمنين ومتيقنين من حكمة نبيهم، فلا نقاش ولا اعتراض انه الاستسلام الكامل والايمان المطلق والعقيدة الراسخة .

ثانيا: غزوات النبي (ص):

جمعت سيرة النبي (ص)، وكان من ضمنها المغازي (وفيها تركيز على الجانب العسكري في حياة الرسول (ص) ومن المغازي مغازي ابن اسحاق وابن سعد والواقدي، والمغازي هي انبثاق عن منظومة الجهاد التي كانت في اصول الاسلام فرض من الله لقتال اعدائه) (٤)

فلقد حرص الكفار للقضاء على الدعوة الاسلامية الفتية منذ بدايتها، ولم يتركوا سبيلا إلا سلكوه لأنهاها ، بالتهديد والوعيد وتعذيب المسلمين ومقاطعتهم، وقد كانت السماء راعية للمسلمين توجه الرسول وتنبهه ، الى ان كانت الهجرة النبوية الشريفة الى المدينة ، فترك المسلمون ديارهم وممتلكاتهم .

ولم يترك الكفار النبي ومن معه في حالهم وانما كانوا يحيكون المؤامرات والمكائد لإيذاء النبي والمسلمين من المهاجرين والانصار . وكان لابد من اتخاذ موقف حتمي قتال قريش ، فكانت أولى الخطوات القتالية التي يمكن للمسلمين أن يتخذوها بعد ما رأوه من تعذيب ونهب ومصادرة أموال، هو مهاجمة القوافل التجارية التابعة لقريش والمتجهة إلى بلاد الشام، وكانت هذه البداية. (٥)

وقد جاء الإذن بالقتال بعد أن أصبح للمسلمين قوة، لا يستهان بها، فلا بدّ لمن يريد أن يقيم دولة أن تكون له المقدرة للدفاع عنها. خاض الرسول محمد (ص) العديد من الغزوات التي كانت تهدف لرفع راية

الإسلام والدفاع عنه ضد كل من يحاول أن يشوّهه أو يحاول النيل من المسلمين، وقد بلغ عدد غزوات الرسول (٢٧) غزوة وكان أكثرها في العالم الثاني من الهجرة، فيما يلي سنسلط الضوء على مجموعة من أشهر الغزوات التي خاضها رسولنا الكريم.

وكان النبي (ص) يعلم نوايا قريش للفتك بالمسلمين والقضاء عليهم فكان لابد من المواجهة بين الفريقين ، فكل فريق يحمل مبرراته ، فالكفار وما يحملون من حقد وكره للإسلام والمسلمين ، والمسلمون الذين لاقوا من الكفار ما لاقوا من الاذى والتهجير من الديار .

وقد أحاط النبي محمد (ص) بكل هذه الامور ،وتحقت كل أسباب المواجهة فأذن الله لهم في الحرب ، وجاء الاذن لهم في الآية الكريمة: (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفُتِنَتِ الْأَرْضُ بِهَا وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ * الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ) (١)

(جاء الإذن في هذه الآية الكريمة بالقتال ولم تعلله بنشر الاسلام أو إلقاء الناس اليه ، وإنما عللته بما وقع على المسلمين من ظلم وما اكرهوا عليه من الهجرة والخروج من ديارهم من غير حق الا أن يقولوا كلمة الحق ، ثم لاتقف الآية الكريمة عند هذا الحد ، بل يتبين أن هذا الإذن موافق لما تقضي به سنة التدافع بين الحق والباطل حفظا للتوازن ودرءا للطغيان) (٢)

فكانت المواجهات من خلال الغزوات التي خاضها المسلمون ضد الكفار وقد (انطلق النبي (ص) في حركته العسكرية من مفهوم الجهاد والتضحية من أجل الدين بدلا عن مفهوم العصبية والثأر) (٣) والنبي بهذا الاطار قد اعطى لما هو سائد من مفاهيم صبغة جديدة ، فبعد ان اخذ الثأر مأخذا من حياة الناس، اصبح الجهاد والتضحية في سبيل الدين الحق هو الهدف الاول لخوض المعارك وبذلك اتخذت الامور منحى آخر في الصراع بين المسلمين والكفار ، الغزوان التي اشترك فيها النبي (ص):

كان عدد مغازي رسول الله، (ص)، التي غزا بنفسه سبعاً وعشرين غزوة، وكانت سراياه التي بعث بها سبعاً وأربعين سرية، وكان ما قاتل فيه من المغازي تسع غزوات: بدر القتال وأحد والمريسع والخندق وقريظة وخيبر وفتح مكة وحنين والطائف، فهذا ما اجتمع لنا عليه^(٩)

وقد رفض رسولنا الكريم ان يكون الخروج للقتال من اجل الغيمة وانما خالصا لوجه الله سبحانه والدفاع عن الاسلام واعلاء شأنه قال الرسول (ص): (لا يخرجن معنا الى الجهاد إلا راغب في الجهاد أما الغنيمة فلا) (١٠)

١- غزوة بدر: في السنة الثانية ، السابع عشر من شهر رمضان ، كانت معركة بدر بين المسلمين وكفار قريش. وهي الوقعة العظيمة التي فرق الله تعالى بها بين الحق والباطل، وأعز الاسلام ودمغ الكفر وأهله^(١١)

ومنطقة بدر تقع على بعد مائة وستين كيلو مترا عن المدينة المنورة بالطريق بين مكة والمدينة باتجاه مكة.

(لقد أدى الى معركة بدر رغبة قريش الجامعة في إبادة قوة الاسلام النامية إن هذه الرغبة هي السبب الوحيد للمعركة، فمن الثابت أن قوة المسلمين يوم ذلك كانت لا تزيد على ثلاثمائة وكانوا عزلا من السلاح) (١٢).

خرجت قريش بعدد كبير من المقاتلين يناهز الالف فارس مدججين بالسلاح ، مندفعين بغرور وتجبر ، لكثرة عددهم ومكانتهم بين القبائل العربية ،وهذا التفاوت في القوة والاستعداد للمعركة جعل بعض المسلمين يفقدون الامل في التغلب على الأعداء ، ولكن الله سبحانه وتعالى بشرهم بالنصر ، قال تعالى : (إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ ۖ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِاحْتِلَافْتُمْ فِي الْمِيعَادِ ۖ وَلَكِنَّ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيْنَتِهِ وَيُحْيِيَ مَنْ حَيَّ عَن بَيْنَتِهِ ۗ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ) (١٣)

وقد أراد النبي (ص) ان يختبر نوايا المهاجرين والانصار وقال: اشيروا علي ايها الناس، وقد كان المهاجرون والانصار مع النبي، في طاعة تامة وايمان عميق لا يتزعزع، (والتف المسلمون حول النبي وهم يظهرون اروع صور الاستعداد للتضحية من أجل العقيدة)^(١٤)

وعندما تأكد النبي (ص) من عزم المسلمين على القتال واستعدادهم للتضحية قال (ص): (سيروا على بركة الله فان قد وعدني إحدى الطائفتين والله لكأني أنظر الى مصارع القوم)^(١٥)

وقد كان النبي (ص) يتضرع لله سبحانه ويستغيث به في تلك اللحظات الحرجة، فكانت عناية السماء التي امدت المؤمنين بالغلبة والنصر، قال تعالى :

(إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبِّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ * وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبِكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)^(١٦).

نتائج غزوة بدر:

شكلت معركة بدر تحولا جذريا في وضع المسلمين إذ (خلفت هذه المعركة نتائج عظيمة فقد فر المشركون نحو مكة والخيبة والذل يحيطان بهم من كل جانب تاركين خلفهم سبعين قتيلًا وسبعين أسيرا وغنائم كثيرة)^(١٧)

وهذه المعركة اعلت من شأن المسلمين وفرضت هيبتهم في الوقت الذي فقدت فيها قريش مكانتها بين القبائل .

غزوة أحد :

شكلت غزوة بدر وانتصار المسلمين صدمة كبيرة للكفار، فما لبثوا ان استفاقوا منها ، وكان لا بد من الثأر، إضافةً إلى ما قام به المسلمون من السيطرة على طرق تجارتهم التي تمرّ من الساحل، (فاجتمعت قريش لحرب رسول الله (ص)، ومعها كنانة وبعض القبائل)^(١٨).

وسميت معركة أحد نسبة الى جبل وقعت في سفحه المعركة، وكانت هذه المعركة في السنة الثالثة للهجرة

وكانت تصل للنبي (ص) أخبار قريش، واصرارهم على طلب الثأر والانتقام من المسلمين شر انتقام ولاسيما اولئك الذين قتل منهم رجال في معركة بدر، إنها معركة الثأر وقد جهزوا لذلك جيشا قويا في عدته وعدده (١٩).

وقد سارت قريش حتى بلغت العقيق ونزلت سفح جبل على بعد خمسة أميال من المدينة ، ثم ساروا حتى نزلوا مقابل المدينة ، وذلك لخمس من شوال من السنة الثالثة للهجرة . (٢٠)

ولم يكن النبي (ص) ليقدم على اية خطوة من دون استشارة أصحابه حتى يشعروهم بالأهمية والمسؤولية ، وقد كان الاتفاق على ملاقاته العدو خارج المدينة .

وخرج النبي (ص) مع جيشه مع الصبح حتى بلغوا احدا (منطقة القتال) واختار ان يعسكر في سفح جبل احد بحيث يكون ظهرهم الى الجبل مستقبلا المدينة ، وكان على يسار المسلمين جبل فيه ثغرة فأقام عليها خمسين رجلا من الرماة ، عليهم عبد الله بن جبير ، وأوصاه ان يرد الخيل عنهم ، حتى لا يأتوهم من خلفهم . (٢١)

وقال لهم الرسول واوصاهم: (فإن رأيتمونا نقتل فلا تتصرونا، وإن رأيتمونا قد غنمنا، فلا تشركونا) واحتدمت المعركة وقتل اصحاب الالوية من العدو، انكشف المشركون منهزمين لا يلوون على شيء حتى سقط اللواء وانهزموا ، وظل النصر بجانب المسلمين ، حتى عصوا الرسول (ص) وتنافسوا على الغنائم. (٢٢) وانقلبت الامور وهزم المسلمون في هذه المعركة. وعندما ظن المسلمون أنهم انتصروا بدأوا بجمع الغنائم، فانتهمز خالد بن الوليد وكان حينها على الشرك الفرصة، والتفت على المسلمين من وراء الجبل وقتلهم، مما أدى إلى انتصار المشركين على المسلمين (٢٣) قال تعالى: (ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسبونهم بإذنه حتى إذا فشلتم وتترعتم في الأمر وعصيتهم من بعد ما أريكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين*) (٢٤).

غزوة الخندق:

غزوة الخندق في شَوَّالِ سَنَةِ حَمْسٍ "، وقد سمّيت هذه الغزوة بذلك الاسم بسبب الخندق الذي حفر حول المدينة وتسمّى أيضاً بغزوة الأحزاب، وذلك لتحزّب طوائف من الكفار على قتال المسلمين، وهؤلاء هم: قريش، وغطفان، واليهود، ومن تبعهم. ولما أخرج النبي (ص) اليهود من المدينة، وألحقهم بخيبر، والشّام، وقام بأخذ أموالهم، وقتل منهم من قتل، غاظهم ذلك، فأوغروا قلوب قريش على النبي (ص) حتى يخرجوا لقتاله، ثمّ خرج اليهود إلى غطفان، ودعّوهم ليحاربوا الرّسول (ص) فخرجت قريش في أربعة آلاف، وكان لؤاؤهم بيد عثمان بن أبي طلحة قبل إسلامه، وكان عدد خيلهم ثلاث مئة فرس، وكانت إبلهم ألفاً وخمس مئة بعير، وكان قائدهم أبو سفيان. (٢٥)

وكانوا ثلاثة عساكر، وقائد الكلّ أبو سفيان. ولما بلغ النبي (ص) خبر خروجهم، نذب النّاس لحفر الخندق حول المدينة، وكان (ص) وكان عدد المسلمين ثلاثة آلاف على الصّحيح المشهور، وكان الخندق بإشارة من سلمان الفارسي رضي الله عنه، حيث أنّه قال: "يا رسول الله، إنّنا كنّا إذا حوصرنا خندقنا علينا"، فكانت هذه مكيدة لم تعرفها العرب. (٢٦)

وعندما فرغ النبي (ص) من حفر الخندق، أقبلت قريش ونزلت في مجتمع الأسيال، وكانت غطفان في ذنب نقي إلى جانب أحد، وخرج النبي (ص) ومعه المسلمون حتى جعلوا ظهورهم إلى جبل سلع، فعسكر هناك، وكان الخندق بينه وبين القوم، وأمر أن تجعل النّساء والأطفال في الأبنية العالية المرتفعة. ذكر في العيون:

قد أحاط المشركون بالمسلمين من كلّ جانب وحاصروهم، فاشتدّ البلاء على المسلمين، وانتشر النفاق فيما بينهم، وبينما هم على ذلك إذ أقبل نعيم بن مسعود ليخبر رسول الله بإسلامه دون علم قومه، فأرسله رسول الله إلى صفوف الكفار ليثير الفتنة فيما بينهم، ويوقع الشكّ في قلوبهم تجاه بعضهم البعض، فوقعت الفرقة بين أحزاب المشركين، وأرسل الله عليهم ريحاً شديدة اقتلعت خيامهم وأطفأت نيرانهم، وأنزل إليهم الملائكة فألقت في قلوبهم الرعب، ولم يصل المشركون إلى مبتغاهم، فجمعوا أنفسهم وعادوا إلى ديارهم، وقد أسفرت هذه الحادثة عن مقتل أربعة من المشركين، واستشهاد سبعة من المسلمين.

قال أبو سفيان: " يا معشر قريش؛ إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام، ولقد هلك الكراع والخفّ، وأخلفتنا بنو قريظة، وبلغنا عنهم الذي نكره، ولقينا من شدة الريح ما ترون، ما تطمئن لنا قدر، ولا تقوم لنا نار، ولا يستمسك لنا بناء، فارتحلوا؛ فإنّي مرتحل . وبذلك انتهت المعركة من دون قتال . (٢٧)

قال تعالى: (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا * إِذْ جَاؤُكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا * هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا) (٢٨)

غزوة بني قريظة :

لم يكن اليهود ليلتزموا بعهد وميثاق مع الرسول (ص)، فقد كشف يهود قريظة عن الحقد والعداء الذي انطوت عليه نفوسهم يوم الخندق ولولا أن الله سبحانه وتعالى أخزى الأحزاب لتمكن يهود بني قريظة من الفتك بالمسلمين من خلف ظهورهم فكان لا بد للرسول ص من معالجة موقفهم الخياني ولهذا أمر الرسول (صلى الله عليه وسلم) أن يتحرك المسلمون لمحاصرة اليهود في حصونهم، واعطى النبي رايته للأمام علي عليه السلام وتبعه المسلمون على ما بهم من ألم وجوع من أثر محاصرة الأحزاب واستولى الهلع والخوف على اليهود حين رأوا الرسول (ص) والمسلمين يحيطون بهم). (٢٩)

وطلب بنو قريظة من النبي ان يرتحلوا عن المدينة ، ولكن النبي أبقى ان يرتحلوا من دون عقوبة بسبب خيانتهم .

ثم حكم فيهم سعد بن معاذ وكان رسول الله قد اوكل أمرهم اليه ، فحكم سعد فيهم بأن يقتل رجالهم وتسبى نساءهم . (٣٠)

غزوة حنين :

من الامور الكبيرة والعظيمة التي حققها الرسول (ص) فتح مكة وقد كان نصر من الله سبحانه وتعالى ، وبهذا الفتح يكون النبي (ص) قد أسكت صوتا عدوا طالما أزعجه وأرقه ، ولم يكن فتح مكة ليقضي على جميع مناوئيه فقد كانت هناك قبائل في الجزيرة العربية لم تخضع للنبي ولم تستسلم له ، ومنها قبيلة

هوازن وثقيف وغيرهما، إذ بعد الفتح بعث نبينا الكريم رسائل الى القبائل التي لم تدخل الاسلام يدعوها الى دخوله فامتعت عليه قبائل هوازن وثقيف ومن حالفهم . (٣١)

وقد خطط هؤلاء بقيادة رجل يدعى مالك بن عوف النصري من قبيلة هوازن للهجوم على الرسول والمسلمين. فسيروا جيشا كبيرا يضم هوازن وثقيف كلها ونصر وجشم وسعد بن بكر وغيرهم، حتى وصلوا قرب مكة (٣٢)

فكانت غزوة حنين، وهي غزوة وقعت في الثالث عشر من شهر شوال في السنة الثامنة للهجرة بين المسلمين وقبيلتي هوازن وثقيف في واد يسمى حنين بين مدينة مكة والطائف. (٣٣)

وعندما وصلت الأخبار للمسلمين وجه المسلمون جيشا كبيرا تعداده اثنتا عشرة الف مقاتل وكان فيهم الكثير ممن دخل الاسلام بعد الفتح . الى جانب ذلك اضاف النبي الى سلاحه سلاحا استعاره من صفوان بن امية وهو مائة درع . (٣٤)

هذه الكثرة في العدة والعدد ادخلت الغرور في قلوب بعض المسلمين وتصوروا انهم لا يغلبون ولكن هذه الكثرة لم تحقق لهم النصر وهزموا امام العدو ، قال تعالى : (لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ * ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَدَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ *) (٣٥)

قرر محمد (ص) الخروج للقتال في مكان متوسط بين هوازن ومكة، فقد آثر ألا ينتظر بمكة. وفي ذلك حكمة كبيرة جداً؛ لأنه لو بقي في مكة وغزاها مالك بن عوف بجيشه، فقد يتعاون أهل مكة معه. وفي تلك الأثناء، كان أهل مكة حديثو عهد بشرك وجاهلية، وهذه كارثة؛ لأن الحرب بذلك ستصبح من الداخل والخارج، ومن ثم فضّل الرسول (ص) يخرج بجيشه إلى مكان مكشوف بعيد عن مكة .

وقد أمر مالك بن عوف قومه بأن يخرجوا جميعاً لملاقاة المسلمين ويأخذوا معهم نساءهم وأبناءهم وأموالهم وأغنامهم وإبلهم وأبقارهم معهم في المعركة. وذلك حتى لا يفر المقاتلون من أرض المعركة. وقد خرج في

جيش هوازن أحد شيوخها وهو دريد بن الصمة، وقد كان عمره مائة وستون عاماً، وهو ذو دراية وخبرة بفنون الحرب وأساليب القتال. ولما علم من أمر مالك بن عوف مع قومه بأن يخرج الأبناء والنساء والأموال والماشية؛ أنكر دريد هذا الرأي وقال إن هذا لا ينفعنا ولكن مالك بن عوف أصر على رأيه وخرج الجيش بما فيه فقال دريد لمالك بن عوف: "إذا لقيت محمداً وجهاً لوجه فاعلم أنك مهزوم. فقال له مالك: "وما الرأي إذا"، فقال دريد: "أكمن لهم فاذهب إلى حنين وأدخل بين الأشجار وعندما يصل المسلمون إلى وادي حنين اخرج عليهم وحاصرهم." (٣٦)

لما وصل رسول الله إلى وادي حنين، وإذا بالعدو قد سبقهم إليه، فأحاطوا ب النبي وجيشه وحملوا عليهم حملة رجل واحد، فانهمز الناس خوفاً منهم، أخذ ينادي (ص): «أيها الناس هلموا إليّ، أنا رسول الله محمد بن عبد الله»، فلا يأتيه أحد! ولما رأى النبي هزيمة القوم عنه قال للعباس . وكان صيِّتاً جهوري الصوت: «ناد القوم وذكّرهم العهد»، فنادى بأعلى صوته: يا أهل بيعة الشجرة، يا أصحاب سورة البقرة! إلى أين تقرّون؟ اذكروا العهد الذي عاهدتم عليه رسول الله.

لحقت الهزيمة بالمسلمين في بداية غزوة حنين، وفر معظمهم في ميدان المعركة؛ لأنهم فوجئوا بما لم يتوقعوه. (٣٧)

ثبت مع النبي يوم حنين عشرة أو اثنا عشر، وقيل: ثمانون، وقيل: مائة. ، ثم إن آخرين قد عادوا بسرعة إلى المعركة فعدّوا فيمن لم يهزم.

تمكّن رسول الله من بثّ روح الجهاد في نفوس المسلمين من جديد، وقد كان أصابهم الخوف والذعر وأوشكوا على الفرار الكامل وتسجيل الهزيمة النكراء، فاجتمع المسلمون ثانية وهجموا هجمة واحدة على المشركين، ومضى علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- إلى صاحب راية هوازن فقتله، وبعد مقتله كانت الهزيمة للمشركين. (٣٨)

بين القرآن الكريم أن الله أمد رسوله محمداً بالملائكة في حنين قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ (٣٩).

غزوة بني المصطلق :

غزا النبي (ص) بني المصطلق من خزاعة في شعبان سنة ست للهجرة .^(٤٠) والسبب في هذه الغزوة، أنه بلغ النبي (ص) ان بني المصطلق قد اجتمعوا بقيادة الحارث بن أبي ضرار، يريدون قتال المسلمين ، فلما سمع الرسول خرج اليهم حتى لقيهم على ماء لهم يقال له: المرسيع ، فتزاحف الناس واقتتلوا فهزم الله بني المصطلق .^(٤١)

ثالثا: النبي محمد (ص) القائد:

قاد النبي (ص) المعارك الجهادية ضد الكفار والمشركين ، ولم يتخلف الا في القليل من الغزوات، وكان الغلبة للمسلمين في أغلب هذه الغزوات، وهذا النصر انما تأتي من شخصية النبي القيادية، فالنبي الكريم كان قائدا فريدا من نوعه ،منطلقا من ايمان عميق بالله سبحانه وتعالى ، فقد كان في غزواته ينظم الجيش ،ثم يتجه بالدعاء لنصرة المسلمين، فلم (يتراجع في غزوة قط، وكان الابطال يتراجعون والصناديد من المهاجرين والانصار يفرون احيانا، ولكنه صلوات الله عليه يثبت ثبات الجبال الراسيات لا يتزحزح من موقفه)^(٤٢) وكان متفائلا بالنصر، فشخصية النبي القائد كانت تشكل اهمية كبيرة في صمود المسلمين وازدياد حماسهم، فكان النصر، حتى لو كان العدو اكثر عدة وعددا ،(لقد كان المشركون في غزوة بدر ثلاثة أمثال المسلمين ، فهزمهم المسلمون بإذن الله)^(٤٣) وكان المشركون في غزوة حنين ضعف المسلمين ، ولكن الله نصرهم ، وسدد خطاهم بقيادة حكيمة للنبي.

الخاتمة:

وقد توصل البحث الى النتائج الآتية:

- كان شعار النبي (ص) منذ بداية الدعوة لا إكراه في الدين، ولم يسع عليه السلام الى إراقة قطرة دم واحدة، ولكن إصرار الكفار على معاداته والتتكيل بأتباعه، هو الذي أوصل الامر الى المواجهة .
- من الواضح ان قريش لم تعترض على هجرة النبي (ص) الى المدينة فهي لم تدرك خطورة الموقف، وكانت مستخفة بهذه الدعوة .
- يبدو ان الرسول (ص) لم يكن لديه الا القوة طريقاً لإخضاع قريش .، و يعد اخضاع قريش مفتاحاً لإخضاع القبائل الاخرى في الجزيرة العربية لان قريش تشكل اهمية كبيرة في بين قبائل الجزيرة العربية .
- اغلب الغزوات التي خاضها المسلمون ضد الكفار من قريش وغيرهم كانت دفاعاً عن النفس والوجود .
- كان الانتصار حليفاً للنبي (ص) في أغلب غزواته فهو مسدد من السماء ، وقد كانت الخسارة في بعض الغزوات ومنها (غزوة أحد) درسا للمسلمين لانهم خالفوا أمر الرسول (ص).
- إنّ الغزوات التي خاضها الرسول كانت نموذجاً عملياً في بيان صورة المقاتل النبيل الذي يحترم الانسان . وكانت غزوة بدر التي حقق فيها المسلمون أول انتصار على المشركين سبباً ودافعاً كبيراً في تقوية شوكة المسلمين، ورهبة قلوب الأعداء مهم، وجعلت لهم مكانةً في جزيرة العرب.
- لم يكن النبي (ص) يواجه أعداءه خارج المدينة فحسب وإنما كان أعداؤه من اليهود داخل المدينة يتربصون بالرسول واتباعه من المسلمين ، وهذا الامر كان يشكل خطراً على المسلمين وقلقا .
- لم يكن النبي (ص) بالرجل المستبد برأيه بل كان دائماً ما يستشير اصحابه والمحيطين به ، ولم يكن هذا السلوك ضعفاً منه حاشاه ، بل كان يريد من وراء ذلك ان يشعرهم بقيمتهم واهميتهم
- كان النبي (ص) حريصاً في غزواته على ان تكون خارج مكان المنطقة، التي يستقر فيها وكانت له أسبابه ، ومن هذه الاسباب انه لم يكن واثقاً في داخل المدن التي يستقر فيها من جميع الناس التي فيها

، فمنهم اليهودي الذي يغدر كما حصل في المدينة ومنهم حديث اسلام ولم يكن اسلامه راسخا بعد ،مثلما حصل في الغزوات بعد فتح مكة .

- كان النبي (ص)، يمتلك دراية ومعرفة دقيقة بنفوس الناس، وبدى هذا الأمر جليا وواضحا في حروبه ، فكان يراعي أتباعه من المسلمين ، الى جانب ذلك يقدر بدقة وضع اعدائه من اليهود والمشركين .

- كان النبي (ص) يبني دولة يحكمها الدين الاسلامي الحنيف من خلال التشريعات التي انزلها الله سبحانه وتعالى على النبي في القرآن الكريم .

الهوامش:

- (١) بين وظيفة الرسول ومسؤولية الامة : ٦٧ .
- (٢) الانفال : ٣٠ .
- (٣) بين وظيفة الرسول ومسؤولية الامة : ١٠٧ .
- (٤) غزوات الرسول (ص) وسراياه : ٨ .
- (٥) ينظر السيرة النبوية : ١٣٥ .
- (٦) الحج : ٣٩ .
- (٧) الرسول في القرآن : ٨٣ .
- (٨) أهل البيت في القرآن الكريم : ١٣٠ .
- (٩) غزوات الرسول وسراياه : ١
- (١٠) ينظر الواقدي كتاب المغازي ١/ و٦٣٤ ينظر غزوات الرسول (ص) وسراياه جدلية الدعوة والقوة : ٤٥ ..
- (١١) ينظر السيرة النبوية : ١٣٥ .
- (١٢) ساعات حرجة في حياة الرسول ص : ٤٧ .
- (١٣) الانفال : الآية ٤٢ .
- (١٤) أهل البيت في القرآن الكريم : ١٣٣ .
- (١٥) المغازي : ١ / ٤٨ . ٤٩ .
- (١٦) الانفال : ٩ . ١٠

- (١٧) الرسول (ص) . لمحات من حياته ونفحات من هديه ١٣٤ .
- (١٨) السيرة النبوية لابن هشام : ٤٦٩/٢ و أدب غزوات الرسول أخبارها وأشعارها . : ٦٧ .
- (١٩) ينظر سيرة ابن هشام : ٤٦٩ /٣ .
- (٢٠) ينظر المصدر نفسه : ٤٧٠ /٣ .
- (٢١) ينظر سيرة ابن هشام : ٤٧٢ /٣ .
- (٢٢) ينظر الرسول الاكرم : ١٩٧ .
- (٢٣) بنظر سيرة ابن هشام :
- (٢٤) آل عمران : ١٥٢ .
- (٢٥) ينظر السيرة النبوية : ١٥٥ .
- (٢٦) ينظر السيرة النبوية لابن هشام : ٥٦٥ .٥٦٦ /٣ .
- (٢٧) ينظر السيرة النبوية لابن هشام : ٥٧٤ /٣ .
- (٢٨) الاحزاب : ٩ .
- (٢٩) ينظر السيرة النبوية لابن هشام : أهل البيت في القرآن الكريم : ١٥٦ .
- (٣٠) .السيرة النبوية : ١٥٩ .
- (٣١) ينظر محمد رسول الله : ٣٧٥ .
- (٣٢) ينظر السيرة النبوية لابن هشام : ٤ / ٧٠٦ .
- (٣٣) المصدر نفسه : ٧٠٦ /٤ .
- (٣٤) ينظر الرسول الاكرم : ١٣٤ /٢ .
- (٣٥) التوبة : ٢٤ .٢٥ .
- (٣٦) ينظر السيرة النبوية لابن هشام : ٧٠٧ /٤ .
- (٣٧) ينظر السيرة النبوية لابن هشام : ٧١١ /٤ .
- (٣٨) ينظر السيرة النبوية لابن هشام : ٧١٤ /٤ .
- (٣٩) التوبة : ٢٦ .
- (٤٠) السيرة النبوية لابن هشام : ٦٠٨ /٣ .

(٤١) ينظر السيرة النبوية لابن هشام: ٦٠٩ / ٣ .

(٤٢) المصدر نفسه : ١٣٧ .

(٤٣) الرسول (ص) . لمحات من حياته ونفحات من هديه: ١٣٨ .

المصادر والمراجع:

. القرآن الكريم .

١ . - الأسدي عبد الرزاق فرج الله بين وظيفة الرسول ومسؤولية الأمة ، ، دار الضياء . النجف الاشرف ، ط ٢ ، ٢٠١٢ م .

٢ . - البدري سامي، السيرة النبوية . تدوين مختصر مع تحقيقات وأثار جديدة - السيد ، دار طور سينين للطباعة والنشر ، ط ٣ ، ٢٠٠٥ م .

٣ . - الجبر موفق فوزي أدب غزوات الرسول . أخبارها وأشعارها . ، دار الكتاب العربي ، ط ١ ، ١٩٩٧ م .

٤ . - حمودة ، عبد الوهاب ، ساعات حرجة في حياة الرسول (ص) ، ، دار القلم . القاهرة . ١٩٦٣ م .

٥ . - سهل حسن غزوات الرسول وسراياه ، جدلية الدعوة والقوة ، ، دار الهادي للطباعة والنشر ، ط ١ ، ٢٠٠٥ م .

٦ . - سويد ناجي إبراهيم السيرة النبوية لابن هشام ، شركة دار الارقم بن أبي الارقم للطباعة والنشر والتوزيع ، د . ت .

٧ . - الشاكري حسين، الرسول الاكرم (ص) ، المؤسسة الاسلامية للتبليغ والارشاد - قم المقدسة ، ط ١ ، ٢٠٠١ م .

٨ . - الشريف محمود، الرسول في القرآن الكريم ، ، دار الكتاب للطباعة والنشر ، ط ٢ ، د . ت .

٩ . - محمود الدكتور عبد الحلیم، الرسول (ص) . لمحات من حياته ونفحات من هديه، ، مكتبة مصر - القاهرة ، ١٩٦٥ م .

التحليل المكاني لإنتاج وإنتاجية محصولي القمح والشعير في العراق للمدة ١٩٨٠- ٢٠١٨م

أ.د. عبد الكاظم علي جابر الحلو

الباحث محمد محمود محمد

كلية الآداب/ جامعة الكوفة

المقدمة:

ينظر العالم اليوم إلى الزراعة باعتبارها المفتاح المناسب لحل مشاكل الأمن الغذائي المتناقص في العالم، وقد يكون هذا سبباً وجيهاً للتوجه نحو استغلال الأرض بشكل أكثر اهتماماً وتخطيطاً، لا سيما في المناطق التي تمتلك مقومات طبيعية وبشرية يمكن الاعتماد في قيام الإنتاج الزراعي كما في العراق. وقد جاءت هذه الدراسة لتسلط الضوء على محصولي القمح والشعير كالمحتوى الغذائي لمحصولين، ودراسة وتحليل التوزيع الجغرافي للإنتاج الزراعي لمحصولي القمح والشعير من حيث ما يتعلق بالمساحة المزروعة وكمية الإنتاج في العراق. وقد تضمنت هذه الدراسة ثلاث مباحث فضلاً عن الاستنتاجات، فقد تناول المبحث الأول الإطار النظري للمبحث، وشمل الأساسيات البحثية العامة. أما المبحث الثاني أهمية الاقتصادية لمحصولي القمح والشعير، وناقش المبحث الثالث التوزيع الجغرافي لمحصولي القمح والشعير في العراق. وخلص البحث إلى مجموعة من الاستنتاجات.

المبحث الأول: الإطار النظري:

أولاً: مشكلة البحث:

ما صورة التوزيع المكاني لإنتاج وإنتاجية محصولي القمح والشعير في العراق؟

ثانياً: فرضية البحث:

يتباين محصولي القمح والشعير في إنتاجه وإنتاجية مكانيا وزمانيا في العراق.

ثالثاً: الحدود المكانية:

يحدد الموقع بالنسبة لدوائر العرض طبيعة مناخ أي منطقة في العالم إذ يقع العراق في شمال شرق الوطن العربي وإلى الجنوب الغربي من قارة آسيا ممتداً من دائرتي عرض (٥- ٢٩- ٢٩- ٥٠- ٢٢- ٣٧) شمال دائرة العرض الاستوائية، وخطي طول (٣٨- ٤٢- ٤٨- ٤٥) شرق خط جرينتش، الخريطة (١)، ويشغل هذا الموقع مساحة تصل إلى (٤٣٥٠٥٢ كم^٢).^(١) وهذه المساحة للعراق عكست تنوع الأقاليم التضاريسية والمناخية وتنوع التربة والنبات الطبيعي في العراق، وتتمثل الحدود المكانية

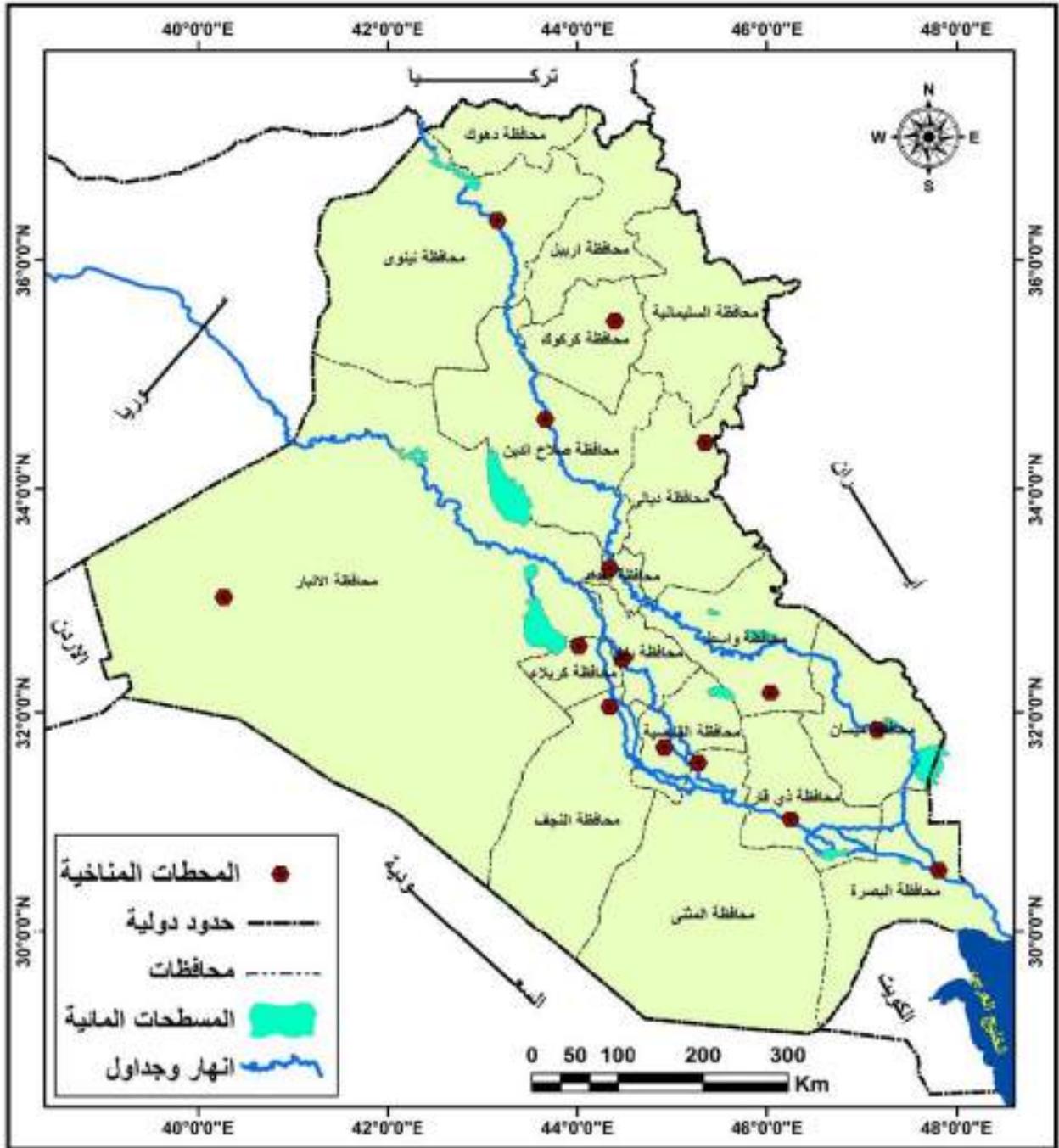
بالحدود الإدارية لجمهورية العراق بمحافظاته المختلفة، وقد تم اختيار خمسة عشر محطة مناخية تغطي مناطق العراق الجغرافية ما عدى محافظات إقليم كردستان العراق.

المبحث الثاني: الأهمية الاقتصادية لمحصولي القمح والشعير:

١- القمح (الحنطة) (Wheat)

الاسم العلمي (Triticum spp) وينتمي إلى العائلة النجيلية (Gramineae).^(٢) يعد محصول القمح من المحاصيل الزراعية ذات الانتشار الكبير في معظم دول العالم إذ يزرع في أكثر من (١٢٠ دولة)،^(٣) فهو يحتل المرتبة الأولى من حيث أهميته الغذائية، فضلا عن تعدد استخداماته فهو يدخل في كثير من الصناعات خاصة الغذائية، ويعتقد أن القمح نشأ من تهجين ثلاثة أنواع برية وان مركز نشؤها هو جنوب غرب آسيا،^(٤) وقد اختلف الباحثون في تحديد أول مكان زرع فيه القمح، ولكن يرجح بان العراق هو الموطن الأصلي للقمح.^(٥) وتحتوي حبة القمح على (١٣ %) من وزنها ماء، ونسبة (٨- ١٧ %) بروتينات، ونسبة (١٧- ٦٣ %) النشا. الجدول (١)

خريطة (١) منطقة الدراسة



المصدر: جمهورية العراق، وزارة النقل والمواصلات، الهيئة العامة للأرصاد الجوية والرصد الزلزالي، قسم المناخ، بيانات غير منشورة، ٢٠١٩.

جدول (١) المكونات الغذائية لحبة القمح والشعير

| المكونات | ماء | بروتينات | الياف | نشأ | سليوز | دهون | مواد كبرهيدراتية | سكر | عناصر معدنية | رماد |
|------------------|-----|----------|-------|---------|-------|------|------------------|------|--------------|------|
| نسبة % في القمح | ١٣ | ١٧-٨ | ٢ | ٦٣ - ١٧ | ٢,٥-٢ | ٢ | ٧٠ | ٣- ٢ | ٢- ١,٥ | ١,٥ |
| نسبة % في الشعير | ١٣ | ١٢ | ٥,٣ | ٤٢ - ٥٠ | | ٣- ٢ | ٨٦ | | | ٥,١ |

المصدر: من عمل الباحث بالاعتماد على:

١- محمد محمود محمدين، أصول الجغرافيا الزراعية ومجالاتها، ط٣، دار الخريجي للنشر والتوزيع، الرياض، ٢٠٠٢، ص٢٤٩.

٢- عبد الحميد أحمد اليونس وزملائه، محاصيل الحبوب، جامعة الموصل، الموصل، ١٩٨٧، ص٧٧.

٣- خلود مسعد أيدام ألغزي، المناخ وعلاقته بزراعة محاصيل القمح والشعير والرز في محافظة ذي قار، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة ذي قار، ٢٠١٤، ص٩٤.

يعتمد في تصنيف القمح على جودته وصلاحيته لعمل الخبز وتتوقف جودة القمح هذه على نسبة احتوائه من مادة (الجلوتين - Gluten)* أو العرق ونسبة وجودها في الصنف الواحد يحددها في الغالب ثلاثة عوامل هي: - (١)

١- كمية الرطوبة في التربة في مرحلة التزهير وما بعدها.

٢- معدل درجات الحرارة الجوية خلال مدة تكوين الحبوب.

٣- نوعية التربة ونسبة احتوائها من النايروجين.

ينتج الكيلوجرام من خبز القمح ما بين (٢٠٠٠ - ٢٥٠٠ سعر) غذائي، علاوة على احتوائه على البروتينات والدهون والفيتامينات مثل فيتامين (A, B₁, B₂). (٢) وللمح أنواع عدة نتيجة لانتشاره الواسع وتباين الظروف الطبيعية التي يزرع فيها واختلاف موسم زراعته والأغراض التي يستخدم فيها. (٣)

٢- الشعير (Barley):

الاسم العلمي فهو (Hordeum sp) وينتمي إلى العائلة (Gramineae). (٤) يعد نبات الشعير عشبي حولي نجيلي يشبه القمح في نموه وشكله العام. (٥) ويستعمل كغذاء للإنسان وعلف للحيوان، ويدخل في صناعة بعض المشروبات الكحولية. (٦) وان زراعة الشعير أوسع مساحة الحبوب انتشارا لقدرته على

الإنبات في الترب الفقيرة، وسرعة نضوجه وفي درجات حرارة متباينة^(١٢) إذ يحتاج فصل نموه مدة شهرين وهو فصل الصيف في المناطق الباردة، لذلك امتدت زراعته شمالاً حتى دائرة عرض (٧٠ شمالاً)، كما ينمو في الظروف دون المدارية، وهو أكثر احتمالاً للبرودة من القمح. و يحتاج لمياه قليلة^(١٣). يعد الشعير من أقدم المحاصيل الحبوبية المزروعة في العالم، إذ زراعته معروفة منذ ما لا يقل عن ١٠ آلاف سنة مضت. وقد سبقت زراعته زراعة الحنطة^(١٤) ويفترض اغلب الباحثين أن مركز نشوء الشعير المنزرع كان من منطقة ما بين النهرين دجلة والفرات^(١٥). ولكن العالم الروسي فافيلوف (Vavilov N.I.) يرى ان الحبشة هي المركز الرئيس الذي انتشرت منه زراعة الشعير، ويعتمد في هذا الرأي على كثرة الأصناف البرية التي تنمو هناك . وهناك احتمال اخر بان جنوب شرقي آسيا وخصوصا الصين ونيبال هي الموطن الأول لزراعة الشعير^(١٦). وان افضل نظرية مقبولة لحد الآن عن اصل الشعير قدمت من قبل (هارلان) ١٩٧٨م. وتشير هذه النظرية إلى أن نباتات شعير البري منقرضة يعتقد أنها الأصل الذي تطور عنها الشعير الحالي كانت نامية في نفس المناطق التي ينمو فيها الشعير البري نوع (*Hordeum spontaneum*) والتي تمتد من جبال زاكروس في شرق إيران المجاورة للعراق وتتجه نحو الشمال الغربي عبر شبه جزيرة الأناضول مروراً بأرض فلسطين^(١٧). تحتوي حبة الشعير على نسبة من بروتين (١٢ %) وهي أقل مما تحويه حبة القمح، ومع ارتفاع في نسبة ألياف (٥,٣ %) بالمقارنة مع القمح الجدول (١). أما اهم أصناف الشعير الذي يزرع في العراق هي (بلدي ٢٦٥) و(اريفات).

المبحث الثالث: التوزيع الجغرافي لمحصولي القمح والشعير في العراق:

١- القمح

تشير إحصاءات جدول (٢) أن معدلات المساحة المزروعة بالقمح في العراق للمدة من (١٩٨٠ - ٢٠١٨م) قد بلغت (٦٦٢٩١٢٥ دونم)، ويتضح من الجدول (٢) والخريطة (٢) أن محافظة نينوى قد احتلت المرتبة الأولى في المساحة المزروعة بمحصول القمح في العراق، وقد بلغت هذه المساحة (٢٠٧٤٤٨٧,١ دونم)، وتمثل (٣١,٢٩ %) من مجموع المساحة المزروعة بالقمح في العراق للمدة (١٩٨٠ - ٢٠١٨م). تلتها محافظة النجف في المرتبة الثانية بمساحة وصلت إلى (١٣٧٤٣١٢,٦ دونم) ونسبة (٢٠,٧٣ %) من مجموع المساحة المزروعة بالقمح في منطقة الدراسة، أما المرتبة الثالثة فكانت حصة محافظة كركوك إذ بلغت المساحة المزروعة بالقمح فيها (٦٣٨٩٢٦,٥٨ دونم) وتساوي (٩,٦٣ %) من إجمالي المساحة المزروعة بالقمح في العراق، أما باقي المحافظات فقد تراوحت المساحة المزروعة بالقمح

فيها بين (٥٢٤٦٩٩,٢٣ دونم) في محافظة واسط، وتمثل (٧,٩١%) و(١٥٦٦٢,٨٩ دونم) في محافظة كربلاء وتعادل (٠,٢٣%).

أما إنتاج * محصول القمح في العراق حسب المحافظات للمدة (١٩٨٠- ٢٠١٨م) فيظهر من الجدول (٢) بأنه مجموع معدلات الإنتاج وصل (١٧٣٦٤١٨,٥ طن)، وان هناك تباين بين المحافظات في هذا الإنتاج إذ جاءت محافظة نينوى بمركز الصدارة، إذ بلغ معدل إنتاجها (٤١٩٦٤٥,٣١ طن)، وتشكل (٢٤,١٦%) من مجموع المعدلات أنتاج القمح في العراق للمدة (١٩٨٠- ٢٠١٨م)، خريطة (٣) تلتها محافظة واسط بكمية إنتاج بلغت (٢٦١٨٦٨,٩٢ طن) مثلت (١٥,١٠%) من مجموع معدلات إنتاج المحافظة من القمح لنفس المدة، ولقد حلت محافظة كركوك بالمرتبة الثالثة في معدل إنتاج القمح الذي بلغ (٢٠٠٢٩٤,٨٢ طن) ويعادل (١١,٥٣%) من إجمالي معدل إنتاج القمح في العراق، ثم جاءت المحافظات (ديالى، القادسية، صلاح الدين، بابل، ميسان، النجف، بغداد، الأنبار، ذي قار، المثنى، البصرة، كربلاء) بمعدلات إنتاج (١٤٦٥١٩,٧١ طن، ١٣٢٣٣٨,٧٩ طن، ١٢١٧٨٨,٨ طن، ٩٩٣١٣,٧١ طن، ٧١١٩١,٥٣ طن، ٧٠٦٣٩,٤٢ طن، ٦٧٦٤٦,٧٤ طن، ٦٠٩٤٤,٦٨ طن، ٤٥٠٥٤,٩٢ طن، ١٨٣٠٧,٣٠ طن، ١٣٢٦١,٢٨ طن، ٧٦٠٢,٩٤ طن)، من مجموع معدلات إنتاج القمح في العراق للمدة (١٩٨٠- ٢٠١٨م). بنسبة (٤,٤٣%، ٧,٦٢%، ٧,٠١%، ٥,٧١%، ٤,١٠%، ٤,٠٦%، ٣,٩٠%، ٣,٥٠%، ٢,٦٠%، ١,٠٥%، ٠,٨%، ٠,٤٣%) على التوالي.

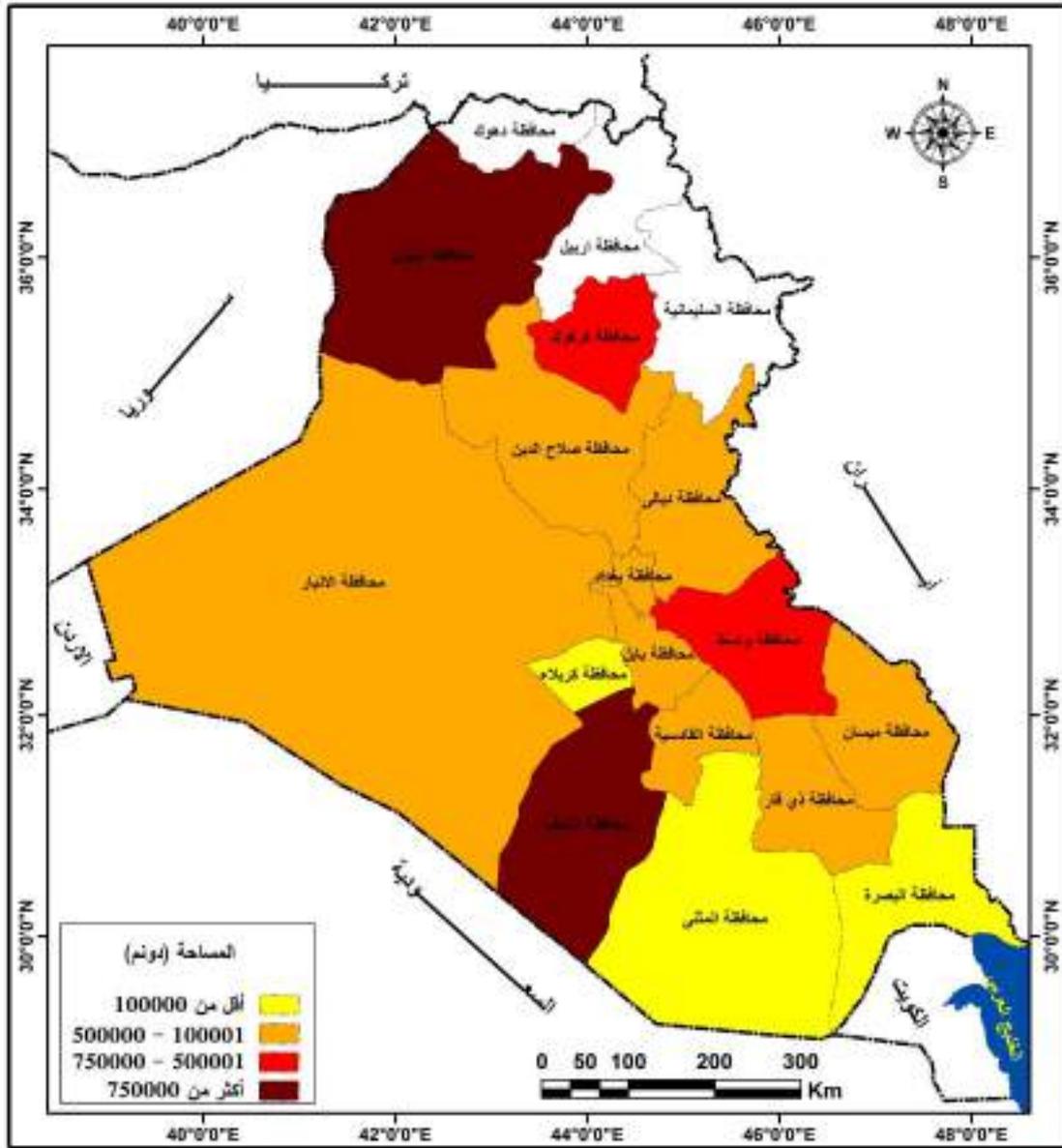
أما معدل الإنتاجية** فتراوح بين (٤٦٩,٨٥ كغم) كحد أعلى في محافظة النجف، و(٢٤٩,٩٢ كغم) كحد أدنى في محافظة نينوى، وبرغم من صغر مساحة الأراضي المحددة لزراعة محصول القمح في محافظة النجف ولكن الدونم الواحد يعطي إنتاجية أكثر من الدونم الواحد المزروع في محافظة الموصل وهذا يعود إلى عوامل أخرى تعزز من دور المناخ وهي استقرار الوضع المائي في محافظة النجف لكون الزراعة فيها تعتمد على الري السحي، عكس محافظة نينوى التي تعتمد معظم زراعة القمح على الأمطار التي تتميز بتباينها خلال مدة الدراسة (١٩٨٠- ٢٠١٨م). وعلى مستوى العراق فبلغ معدل الإنتاجية (٣٧٥,٨٥ كغم) خلال المدة (١٩٨٠- ٢٠١٨م). الجدول (٢) والخريطة (٤).

الجدول (٢) معدل المساحات المزروعة ومعدل الإنتاج والإنتاجية لمحصول القمح في العراق للمدة (١٩٨٠-٢٠١٨م)

| المحافظة | المساحة/ دونم | النسبة% | الإنتاج/ طن | النسبة% | الإنتاجية/ كغم |
|----------------|---------------|---------|-------------|---------|----------------|
| نينوى | ٢٠٧٤٤٨٧,١ | ٣١,٢٩ | ٤١٩٦٤٥,٣١ | ٢٤,١٦ | ٢٤٩,٩٢ |
| كركوك | ٦٣٨٩٢٦,٥٨ | ٩,٦٣ | ٢٠٠٢٩٤,٨٢ | ١١,٥٣ | ٣٤٤,٦٤ |
| ديالى | ٣٤٥٢٤٦,٤٣ | ٥,٢٠ | ١٤٦٥١٩,٧١ | ٨,٤٣ | ٤٠٣,٧٠ |
| صلاح الدين | ٤٥١٧٣٠,٨٨ | ٦,٨١ | ١٢١٧٨٨,٨ | ٧,٠١ | ٢٨٨,٤٥ |
| الأنبار | ١٥٩٨٨٨,١٧ | ٢,٤١ | ٦٠٩٤٤,٦٨ | ٣,٥٠ | ٣٦٧,٠٩ |
| بغداد | ١٤٤٢٥٧,٥٢ | ٢,١٧ | ٦٧٦٤٦,٧٤ | ٣,٩٠ | ٤٣٨,٣١ |
| بابل | ٢٠٥٢٩٦,٤٤ | ٣,٠٩ | ٩٩٣١٣,٧١ | ٥,٧١ | ٤٥٥,٣٤ |
| كربلاء | ١٥٦٦٢,٨٩ | ٠,٢٣ | ٧٦٠٢,٩٤ | ٠,٤٣ | ٤٣٢,٢٠ |
| النجف | ١٣٧٤٣١٢,٦ | ٢٠,٧٣ | ٧٠٦٣٩,٤٢ | ٤,٠٦ | ٤٦٩,٨٥ |
| القادسية | ٢٦٥١٧٤,٣٣ | ٤,٠٠ | ١٣٢٣٣٨,٧٩ | ٧,٦٢ | ٤٦٤,٢٨ |
| واسط | ٥٢٤٦٩٩,٢٣ | ٧,٩١ | ٢٦١٨٦٨,٩٢ | ١٥,١٠ | ٤٤٨,٥٢ |
| ميسان | ٢٠٤٧٤٠,٤٢ | ٣,٠٨ | ٧١١٩١,٥٣ | ٤,١٠ | ٣٣٦,٩٢ |
| ذي قار | ١١٩٣٨٨,٢٢ | ١,٨٠ | ٤٥٠٥٤,٩٢ | ٢,٦٠ | ٣٥٧,٤٧ |
| المتن | ٦٣٤٠٧,٩٩ | ٠,٩٥ | ١٨٣٠٧,٣٠ | ١,٠٥ | ٢٨٩,٢٤ |
| البصرة | ٤١٩٠٦,٨٥ | ٠,٦٣ | ١٣٢٦١,٢٨ | ٠,٨٠ | ٢٩١,٩٥ |
| مجموع المعدلات | ٦٦٢٩١٢٥ | ٩٩,٩٣ | ١٧٣٦٤١٨,٥ | ١٠٠ | ٥٦٣٧,٨٨ |
| المعدل | --- | --- | --- | --- | ٣٧٥,٨٥ |

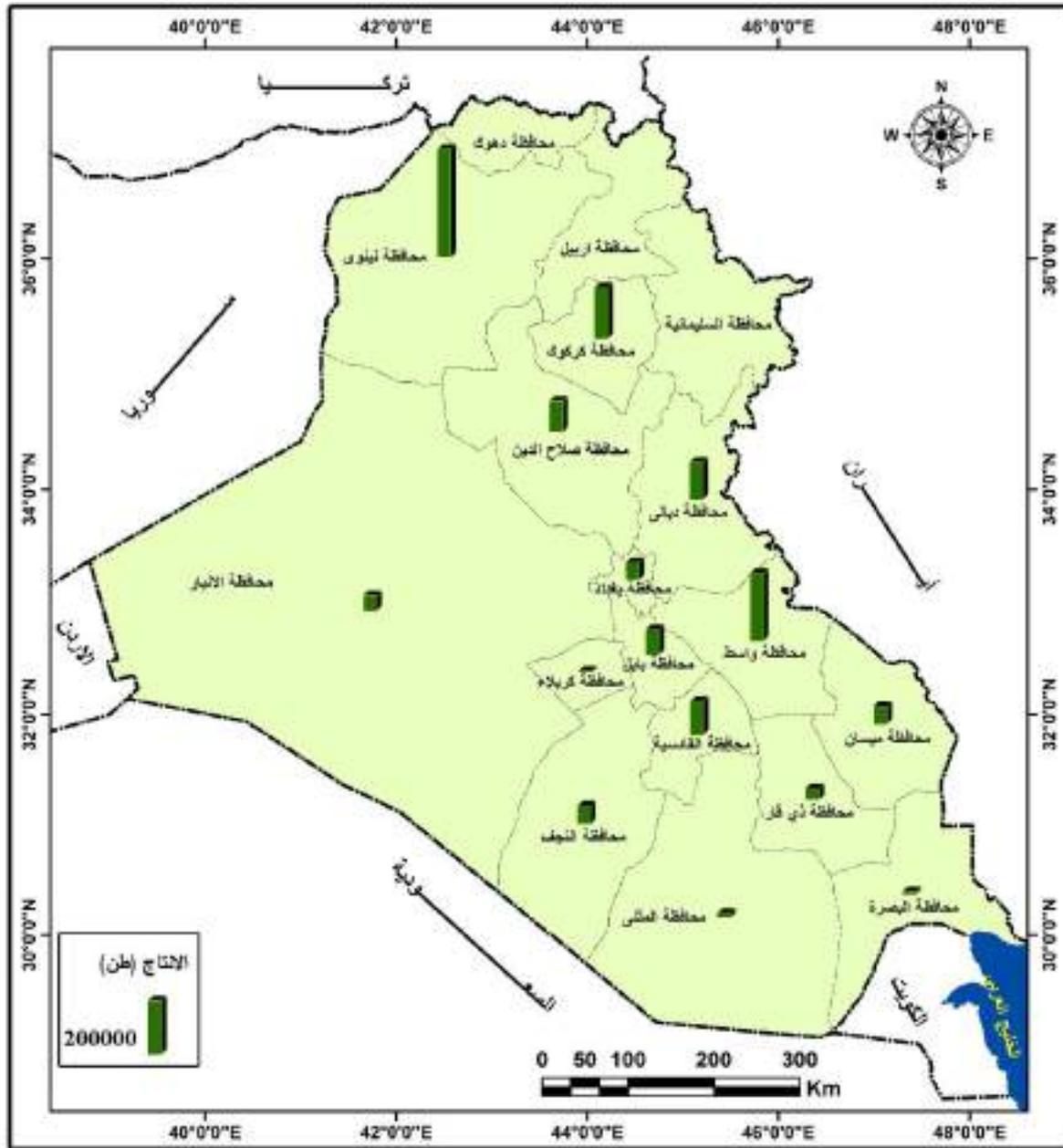
المصدر: - وزارة التخطيط، الجهاز المركزي للإحصاء، مديرية الإحصاء الزراعي، ٢٠١٩.

خريطة (٢) التوزيع المكاني لمعدل المساحات المزروعة بمحصول القمح في العراق للمدة من (١٩٨٠- ٢٠١٨م)



المصدر: من عمل الباحث بالاعتماد على الجدول (٣٦).

خريطة (٣) التوزيع المكاني لمعدل إنتاج محصول القمح في العراق للمدة من (١٩٨٠- ٢٠١٨م)



المصدر: من عمل الباحث بالاعتماد على الجدول (٣٦).

٢- الشعير:

وصلت مجموع معدلات المساحة التي زرعت بمحصول الشعير في العراق (٤٤٢١٢٦١,٤ دونم) للمدة (١٩٨٠-٢٠١٨م) تصدرت محافظة نينوى محافظات العراق في معدل مساحة بلغت (٢٣٤٥٣٩٦,٧ دونم) وبنسبة (٥٣,٠٤%) من إجمالي مجموع معدلات مساحة العراق المزروعة للمدة (١٩٨٠-٢٠١٨م)، الجدول (٣) والخريطة (٥) وجاءت بعدها محافظة واسط بمعدل مساحة (٣٠١٩٦٩,٦٤ دونم) وبنسبة (٦,٨٢%)، واحتلت محافظة القادسية المرتبة الثالثة وقد بلغت معدل المساحة المزروعة فيها (٢٨٦٩٨٩,١٧ دونم) وتعادل (٦,٤٩%)، أما بقية المحافظات فقد تراوحت معدلات مساحات المزروعة لمحصول الشعير بين (٢٧٤٢٠٦,٤٨ دونم) في محافظة كركوك وتمثل (٦,٢٠%) وفي محافظة النجف (٧٩٢٥,٤٨ دونم) وتساوي (٠,١٧%) من مجمل معدلات المساحة زراعة الشعير في البلاد للمدة (١٩٨٠-٢٠١٨م).

أما إنتاج* محصول الشعير في العراق حسب محافظات للمدة (١٩٨٠-٢٠١٨م) فيظهر من الجدول (٣) والخريطة (٦) أن محافظة نينوى قد تبوّأت المركز الأول بكمية الإنتاج (٣١٠٠٩١,٢٢ طن) وتساوي (٤٠,٨٥%) من مجموع معدلات إنتاج الشعير في العراق، وجاءت محافظة القادسية في المركز الثاني وقد بلغ إنتاج الشعير فيها (٨٥٩٤٧,٠٢ طن) وتشكل (١١,٣٢%). المركز الثالث فكان من حصة محافظة واسط (٧٩٤٢٠,٩٧ طن) وتشكل (١٠,٤٦%). في حين تراوح معدلات إنتاج محصول الشعير في المحافظات الباقية بين (٦٧٤٥٣,٥٨ طن) في محافظة الناصرية تساوي (٨,٨٨%) و(٢٥٠١,٥٨ طن) في محافظة البصرة وتمثل (٠,٣٢%).

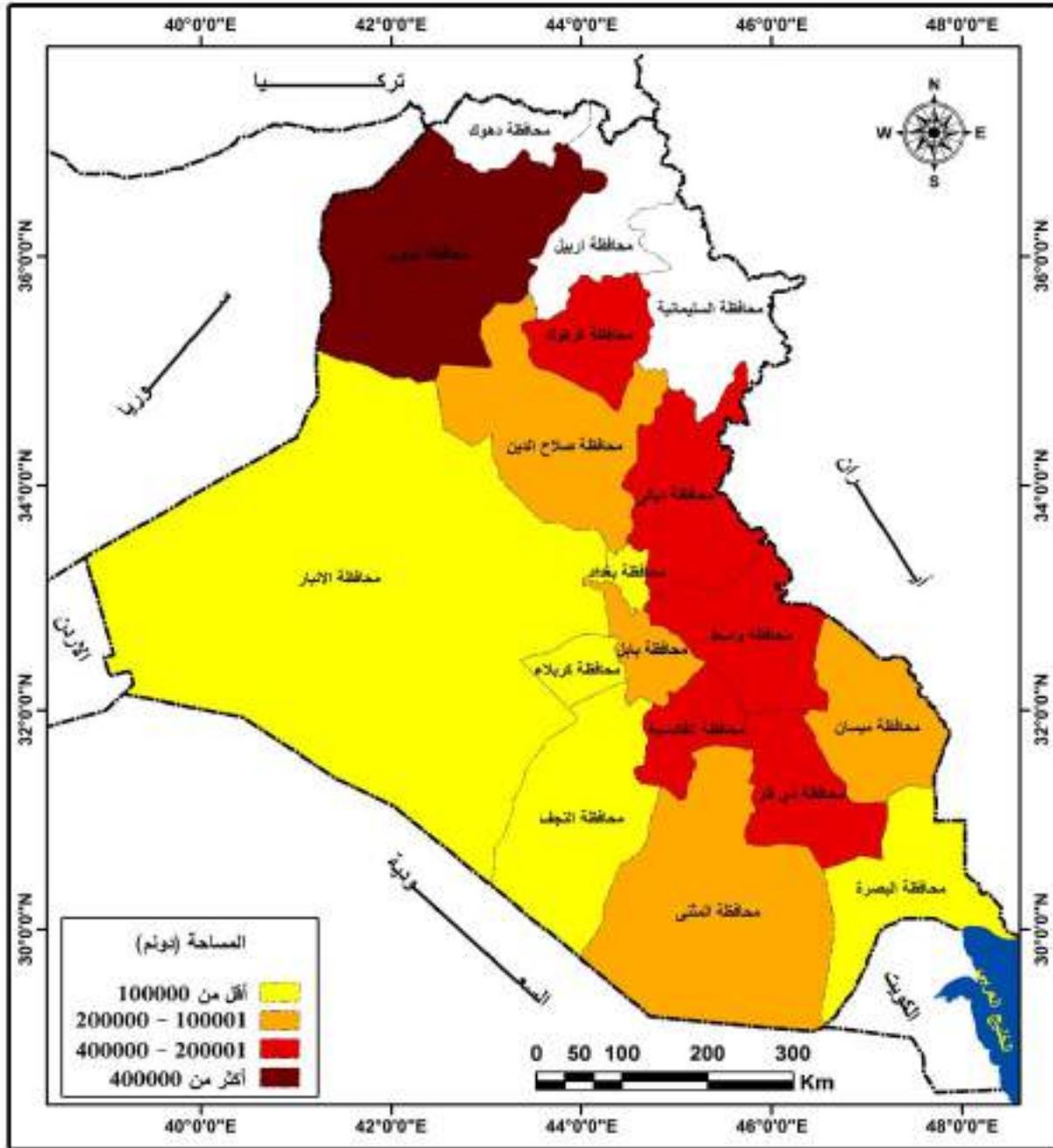
أما معدل الإنتاجية فتراوح بين (٣٦٧,٦٣ كغم) كحد أعلى في محافظة النجف و (١٨٦,٠٦ كغم) كحد أدنى في محافظة نينوى. وعلى رغم من صغر مساحة الأراضي المحددة لزراعة محصول الشعير في محافظة النجف ولكن الدونم الواحد يعطي إنتاجية أكثر من الدونم الواحد المزروع في محافظة الموصل وهذا يعود إلى توفر الظروف المناخية المناسبة أفضل من محافظة نينوى، فضلا عن استقرار الوضع المائي في محافظة لكون زراعة محصول الشعير تعتمد على الري السيجي فيها، عكس محافظة نينوى التي تعتمد معظم زراعة الشعير فيها على الأمطار والتي تمتاز بتباينها خلال مدة الدراسة، وأما المعدل العام بلغ (٢٦٥,٣٦ كغم). جدول (٣) والخريطة (٧).

الجدول (٣) التوزيع الجغرافي لمعدل مساحات المزرعة ومعدل الإنتاج والإنتاجية لمحصول الشعير في العراق للمدة (١٩٨٠-٢٠١٨م)

| المحافظة | المساحة/دونم | النسبة% | الإنتاج / طن | النسبة% | الإنتاجية /كغم |
|----------------|--------------|---------|--------------|---------|----------------|
| نينوى | ٢٣٤٥٣٩٦,٧ | ٥٣,٠٤ | ٣١٠٠٩١,٢٢ | ٤٠,٨٥ | ١٨٦,٠٦ |
| كركوك | ٢٧٤٢٠٦,٤٨ | ٦,٢٠ | ٣٥٩٤٢,٤٠ | ٤,٧٣ | ٢٢٨,٨٧ |
| ديالى | ٢٤٢١٣٣,٦٤ | ٥,٥٠ | ٤٤٢٣٠,١٢ | ٥,٨٢ | ٢٦٨,١٥ |
| صلاح الدين | ١٥١٥٥٠,٨٢ | ٣,٤٢ | ١٨٥٩٢,٢ | ٢,٤٤ | ١٩٣,٢ |
| الأنبار | ٢٩٥٧٧,٣٤ | ٠,٦٦ | ٦٣٢٥,٠٢ | ٠,٨٣ | ٢٥٥,٣٤ |
| بغداد | ٥٢٧٠١,٥٨ | ١,٢٠ | ١٢٦٣٠,١٢ | ١,٦٦ | ٢٦٨,١٥ |
| بابل | ١٤٦٩٢٩,٩٤ | ٣,٣٢ | ٣٠١١٦,٥٣ | ٣,٩٦ | ٢٨١,٩٨ |
| كربلاء | ١١٥٥٧,٥٦ | ٠,٢٦ | ٢٣٢٦,٧١ | ٠,٣٠ | ٢٩٥,٨٣ |
| نجف | ٧٩٢٥,٤٨ | ٠,١٧ | ١٧٨٣,٩٤ | ٠,٢٣ | ٣٦٧,٦٣ |
| القادسية | ٢٨٦٩٨٩,١٧ | ٦,٤٩ | ٨٥٩٤٧,٠٢ | ١١,٣٢ | ٣٢٧,١٣ |
| واسط | ٣٠١٩٦٩,٦٤ | ٦,٨٢ | ٧٩٤٢٠,٩٧ | ١٠,٤٦ | ٣٠٠,٢٧ |
| ميسان | ١٨٥٢٧٤,٤٣ | ٤,٢٠ | ٤١٦٢١,٥٦ | ٥,٤٨ | ٢٦١,٧٦ |
| ذي قار | ٢٦٣٣٩٧,٦١ | ٥,٩٥ | ٦٧٤٥٣,٥٨ | ٨,٨٨ | ٢٨٢,٠١ |
| المتى | ١٠٩٦٥٣,٢٣ | ٢,٥٠ | ١٩٩٩٣,١٧ | ٢,٦٣ | ٢١٤,٨٨ |
| البصرة | ١١٩٩٨,٤٦ | ٠,٢٧ | ٢٥٠١,٥٨ | ٠,٣٢ | ٢٤٩,٢٢ |
| مجموع المعدلات | ٤٤٢١٢٦١,٤ | ١٠٠ | ٧٥٨٩٧٦,١٤ | ٩٩,٩١ | ٣٩٨٠,٤٨ |
| المعدل | --- | --- | --- | --- | ٢٦٥,٣٦ |

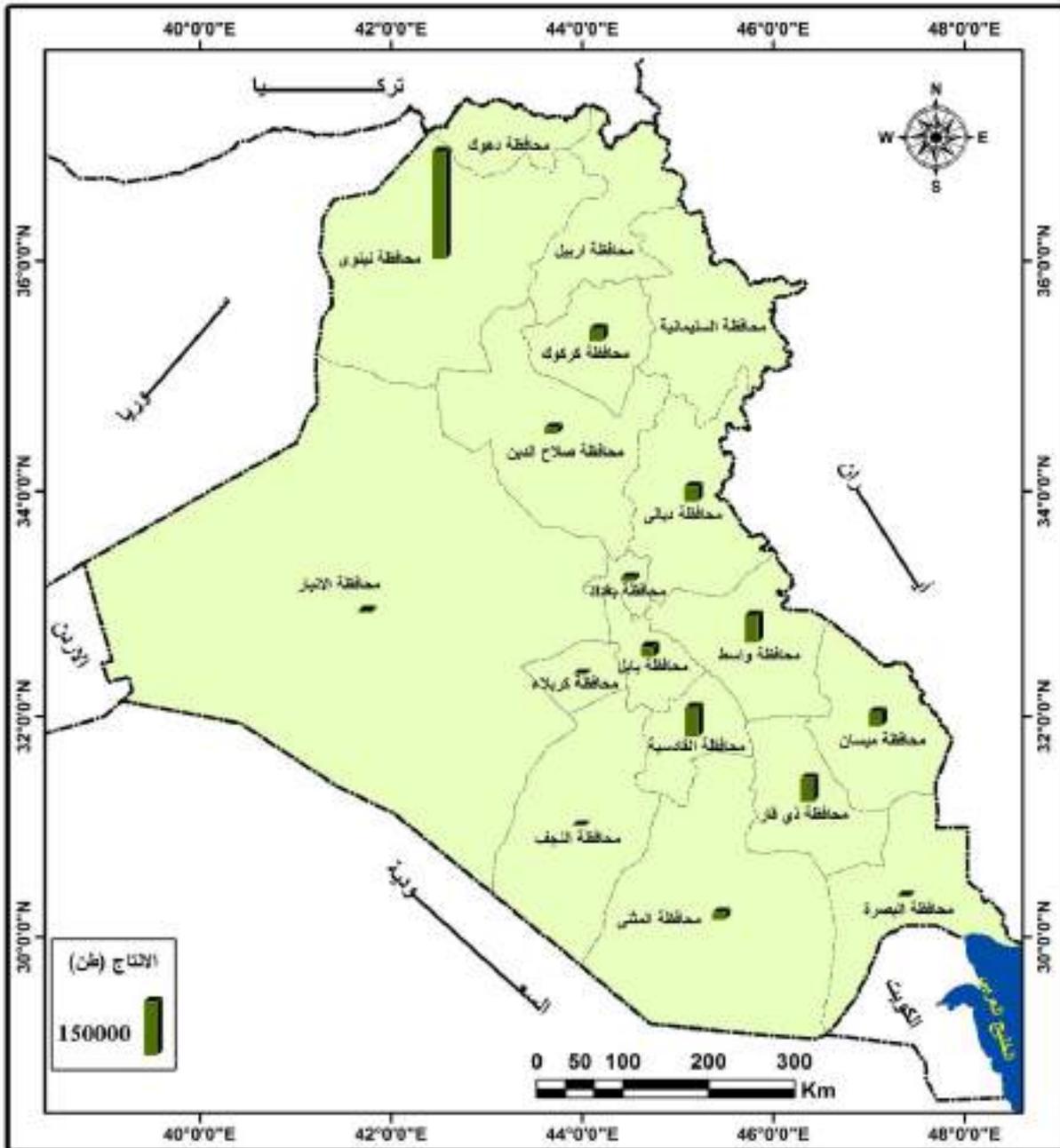
المصدر: - وزارة التخطيط، الجهاز المركزي للإحصاء، مديرية الإحصاء الزراعي، ٢٠١٩.

خريطة (٥) التوزيع المكاني للمساحات المزروعة محصول الشعير في العراق للمدة من (١٩٨٠- ٢٠١٨م)



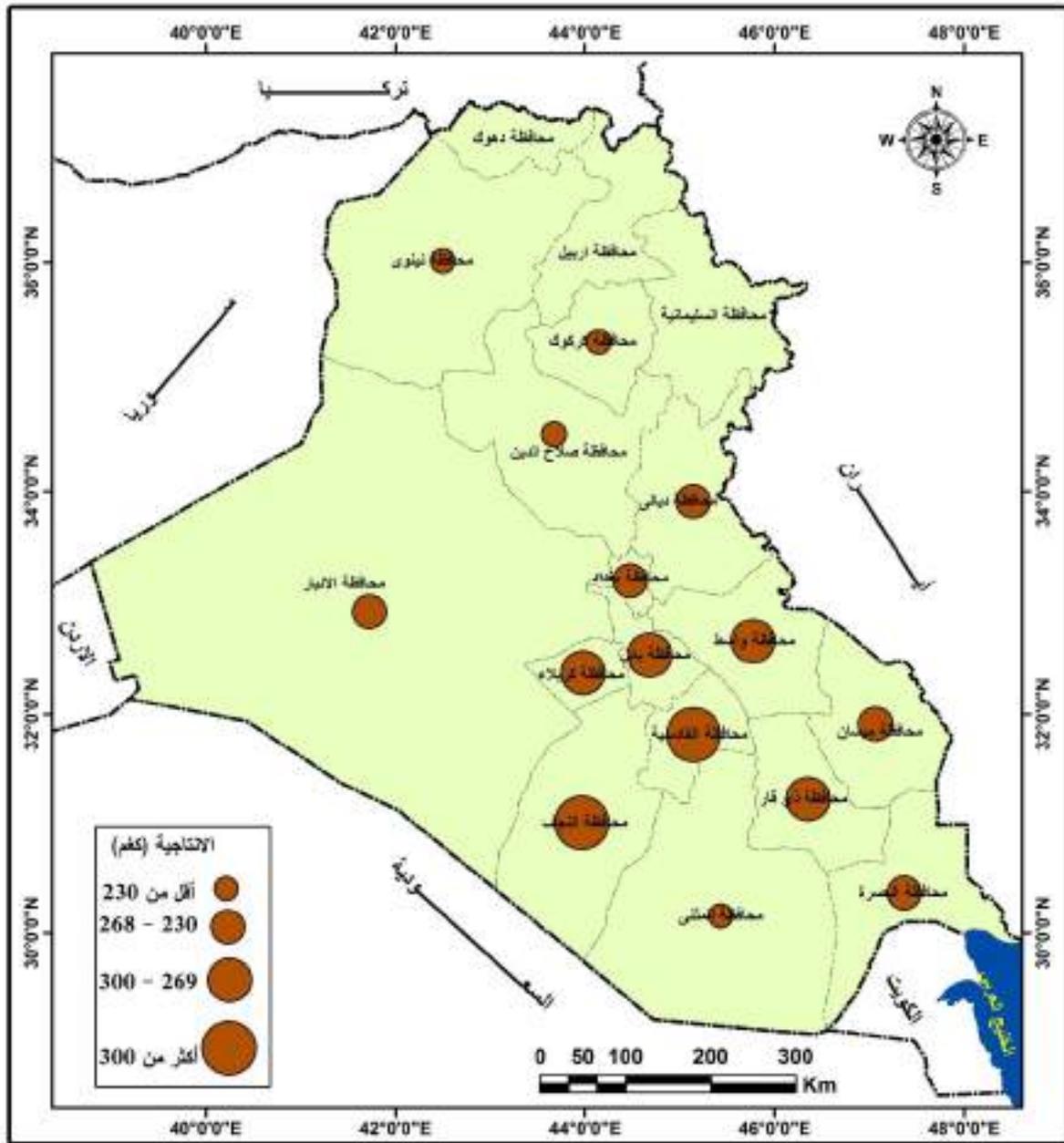
المصدر: عمل الباحث بالاعتماد الجدول (٣).

خريطة (٥) التوزيع المكاني لإنتاج محصول الشعير في العراق للمدة من (١٩٨٠- ٢٠١٨م)



المصدر: من عمل الباحث بالاعتماد على الجدول (٣).

خريطة (٦) التوزيع المكاني لإنتاجية محصول الشعير في العراق للمدة من (١٩٨٠- ٢٠١٨م)



المصدر: من عمل الباحث بالاعتماد على الجدول (٣).

الاستنتاجات:

- ١- كشفت الدراسة أن مادة الكربوهيدرات أعلى نسبة في المكونات الغذائية لحبة القمح والشعير الشعير فقد بلغت (٧٠%) في حبة القمح، و(٦٨%) في حبة الشعير.
- ٢- تصدرت محافظة نينوى المرتبة الأولى في معدل المساحة المزروعة لمحصولي القمح والشعير إذ بلغت (٢٠٧٤٤٨٧,١ دونم) أي ما يمثل (٣١,٢٩%) من مجموع معدلات المساحة المزروعة لمحصول القمح في العراق للمدة من (١٩٨٠-٢٠١٨م)، في حين وصلت إلى (٢٣٤٥٣٩٦,٧ دونم) ونسبة (٥٣,٠٤%) لمحصول الشعير لنفس المدة.
- ٣- سجلت محافظة النجف أعلى معدل إنتاجية لمحصولين القمح والشعير في العراق إذ بلغت (٤٦٩,٨٥ كغم) لمحصول القمح وبلغت (٣٦٧,٦٣ كغم) لمحصولي الشعير خلال مدة (١٩٨٠-٢٠١٨م) في حين جاءت محافظة نينوى المرتبة الأخيرة في إنتاجية محصولي القمح والشعير في العراق إذ وصلت (٢٤٩,٩٢ كغم) لمحصولي القمح، و(١٨٦,٠٦ كغم) لمحصولي الشعير لنفس المدة. برغم من صغر مساحة الأراضي المحددة لزراعة محصولي القمح والشعير في محافظة النجف ولكن الدونم الواحد يعطي إنتاجية أكثر من الدونم الواحد المزروع في محافظة نينوى وهذا يعود إلى عوامل أخرى تعزز من دور المناخ وهي استقرار الوضع المائي في محافظة النجف لكون زراعة محصولي القمح والشعير تعتمد على الري السحيحي فيها، عكس محافظة نينوى التي تعتمد أغلب زراعتها للمحصولين على الأمطار والتي تمتاز بتباينها وتذبذبها خلال مدة الدراسة.

الهوامش:

- ١- جمهورية العراق، وزارة التخطيط، المجموعة الإحصائية السنوية ٢٠١٧، الجهاز المركزي للإحصاء، ص ١.
- ٢- عبد الله محمد المجاهد، أسس زراعة وإنتاج المحاصيل الحقلية في الأراضي اليمينية، مصدر سابق، ص ٢٠٧.
- ٣- خالد علي عطيه الكربوني، المتطلبات المناخية الحرارية لمحاصيل الحبوب ومدى ملائمتها في العراق، مصدر سابق، ص ٣٣٢.
- ٤- خلود مساعد ايدام ألغزي، المناخ وعلاقة بزراعة محاصيل القمح والشعير والرز في محافظة ذي قار، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة ذي قار، ص ٩٢.
- ٥- محمد خميس الزوكه، الجغرافيا الزراعية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٠، ص ١٨١-١٨٢.
- * هو مركب بروتيني متكون من خليط من مادتي الغلوتين والغلبيادين، وهي تشكل (٨٠%) من البروتين المحتوي في بذرة القمح. يتواجد بنسب معينة في دقيق القمح.
- ٦- مخلف شلال مرعي وإبراهيم محمد حسون القصاب، جغرافية الزراعة، جامعة الموصل، الموصل، ١٩٩٦، ص ١٥١.

- ٧ - موسى عثمان العوامي، إنتاج محاصيل الحبوب والبقول، مصدر سابق، ص ٢٢.
- ٨ - علي احمد هارون، جغرافية الزراعة، ط١، دار الفكر العربي، القاهرة، ٢٠٠٠، ص ١٣٣-١٣٤.
- ٩ - عبد الله محمد المجاهد، أسس زراعة وإنتاج المحاصيل الحقلية في الأراضي اليمينية، ط١، عالم الكتاب، القاهرة، ١٩٨٠، ص ٢٣٩.
- ١٠ - عبد الحميد احمد اليونس وزملائه، محاصيل الحبوب، جامعة الموصل، ١٩٨٧، ص ١٥٩.
- ١١ - عباس فاضل السعدي، أصول جغرافية الزراعة، ط١، دار الوضاح للنشر، عمان، ٢٠١٩، ص ١٥٩.
- ١٢ - علي احمد هارون، جغرافية الزراعة، ط١، دار الفكر العربي، القاهرة، ٢٠٠٠، ص ١٦١.
- ١٣ - عباس فاضل السعدي، أصول جغرافية الزراعة، ط١، مكتبة دجلة للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد، ٢٠١٩، ص ١٦١.
- ١٤ - عبد الحميد احمد اليونس ومحفوظ عبد القادر محمد وزكي عبد ألياس، محاصيل الحبوب، ط١، جامعة الموصل، الموصل، ١٩٨٧، ص ١٥٧.
- ١٥ - موسى عثمان العوامي، إنتاج محاصيل الحبوب والبقول، منشورات جامعة عمر المختار البيضاء، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ٢٠٠٥، ص ٤٧.
- ١٦ - محمد محمود محمد، أصول الجغرافيا الزراعية ومجالاتها، ط٣، دار الخريجي للنشر والتوزيع، الرياض، ٢٠٠٢، ص ٤٢٢.
- ١٧ - مجيد محسن الأنصاري، إنتاج المحاصيل الحقلية، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، الموصل، ١٩٨٢، ص ٤٣.
- * الإنتاج أو كمية الإنتاج:** يقصد به كمية ما ينتج من محصول معين في مساحة المزروعة ويستخرج بضرب الإنتاجية في المساحة.
- ** الإنتاجية:** هو مقدار غلة المحصول من وحدة مساحية مزروعة معينة. أو معدل إنتاج الدونم عند الحصاد. **ينظر:** أشواق حسن حميد صالح، أثر المناخ على نمو وإنتاجية المحاصيل الصيفية في محافظة كربلاء، رسالة ماجستير، كلية التربية - ابن رشد، جامعة بغداد، ٢٠٠٩، ص ١٦.

مصر القديمة في المنهج الميثولوجي في كتاب كنز الدرر وجامع الغرر

للدوادري (ت: بعد ٧٣٧هـ/١٣٣٦م)

أ.د. أسامة كاظم الطائي
الباحثة زينب محمد عبيس
كلية التربية/ جامعة بابل

المقدمة:

يعد أبو بكر بن عبدالله بن أيبك الدوادري من مؤرخي مصر في عصر المماليك، لم ينل شهرة واسعة من بين مؤرخي عصره؛ إذ لم تقدم المصادر التاريخية ولا الرجالية ترجمة كافية ومعلومات وافية عن حياة الدوادري، ويعد كتابه (كنز الدرر وجامع الغرر) من الكتب الهامة في التاريخ الإسلامي عامة، وتاريخ مصر والعصر المملوكي خاصة، وتناول دراسة مصر القديمة في الجزء الثاني من موسوعته، وتعد مصر المنشأ الثاني من جهة القدم الزمني لحضارات العالم المعروفة بعد حضارة وادي الرافدين، وقد أحاطها الدوادري بعناية خاصة، بسبب إقامته ونشأته فيها، وتعلقه بأجوائها وتأثيرها فيها، وينعكس كل هذا في استخدامه للهجتها وتتبعه لكل ما يخصها، ومن أوضح ذلك سبقه لكل مؤرخ يذكر النيل في كل سنة.

اقتضت طبيعة الموضوع ان نعتمد المنهج المتبع في هذه الدراسة فكان المنهج الوصفي الاستقصائي بالإضافة الى المقارن والنقدي وتقسيم البحث الى اربعة فقرات، تناولت الاولى نبذة عامة حول مصر، استعرض فيها الموقع الجغرافي وأسم مصر، اما الفقرة الثانية تضمنت كهان مصر ما قبل الطوفان، احتوت هذه الفقرة تعريف بالكهان وأهم القاب ومراتب الكهان، بالإضافة إلى كهان مصر حسب رواية الدوادري ومقارنتها مع المصادر الأخرى، وخصصت الفقرة الثالثة لدراسة ملوك مصر ما بعد الطوفان حسب رواية الدوادري، وقارنا روايته مع المصادر الأخرى، وألحقت دراستنا باستنتاجات، وقائمة اردفنا اهم المصادر والمراجع.

أولاً: نبذة عامة حول مصر:

الموقع الجغرافي:

ابتدأ الدواداري إحاطته لمصر بذكر الموقع الجغرافي، ونسبه لابن حوقل، قائلاً عنه: "... أما مصر فلها حدّ ينتهى يأخذ من بحر القلزم خلف العريش إلى رفح ثم يعود على ساحل البحر الرومي إلى الإسكندرية إلى برقة في البرية، ثم إلى الواحات، ويمتدّ إلى بلاد النوبة، ثم يعطف على حدّ أسوان إلى أرض البحاة: وينتهى إلى القلزم إلى طور سيناء، ثم يعطف إلى تيه بنى إسرائيل مادّا في الجفاء إلى بحر القلزم مكان مبتدأه"^(١) إلا أنه عند المقارنة مع ما ورد في كتاب "صورة الأرض" نجد غير ذلك، إذ قال: "أما مصر فلها حد يأخذ من بحر الروم من الإسكندرية ويزعم قوم من برقة في البرية حتى ينتهى الى ظهر الواحات ويمتد الى بلد النوبة، ثم يعطف على حدود النوبة من حد أسوان على أرض البجة في قبلي أسوان حتى ينتهى الى بحر القلزم ثم يمتد على بحر القلزم [ويجاوز القلزم الى طور سينا ويعطف على تيه بنى إسرائيل مارا الى بحر الروم] في الجفار خلف العريش ورفح ويرجع على الساحل مارا على بحر الروم الى الإسكندرية ويتصل بالحد الذي قدمت ذكره من نواحي برقة"^(٢) ومن مقارنة العبارتين يبدو جلياً مقدار التصرف بالعبرة، الذي أحدثه الدواداري، وهو إخلال بالنص ما كان له فعل ذلك بنسبة كلامه لغيره، والأجدر به إما أن يوضح مورد الخلاف، أو يذكره بدون الاقتباس خصوصاً أن القضية لا تتطلب ذلك العناء في تحديدها، وهو يعيش في أحضانها وتربى في كنفها، ومن المعلوم أن مصر تقع في الشمال الشرقي من قارة أفريقيا، ولديها امتداد آسيوي، حيث تقع شبه جزيرة سيناء، فهي إذن دولة عابرة للقارات تقع على بحرين هامين، هما البحر الأحمر والبحر الأبيض المتوسط^(٣) وهذا الموقع أعطى ميزةً وأهميةً بالغةً لها، لأنه يربط بين شرق العالم العربيّ مع غربه، ويربط النهر العظيم فيها بين شرق وغرب العالم العربيّ مع وادي النيل الإفريقي، وهي بذلك تُعدّ حلقة وصل بين قارتيّ آسيا وأفريقيا^(٤).

ولو سلمنا بأن مصر القرآنية يُعنى بها مصر الحالية، لجاز لنا القول أن مصر مدينة محاطة بأسوار عالية أو سور منيع، ذو أبواب متفرقة، فهي بحسب هذا الوصف تكون أشبه ما تكون بقلعة أو مدينة

مسورة لها عدة أبواب، بدليل قوله تعالى: ﴿وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ﴾^(٥) غير أن التاريخ لا يؤيد هذا، لذا لا يمكن التسليم بسهولة بأن مصر القرآنية هي مصر الحديثة، والمسألة تحتاج إلى بحث أعمق وأدق، قد لا يسعها بحثنا على إيجاز المبحث المتعلق بتاريخ مصر، ويبدو أن اسم مصر بدلالته على أرض وادي النيل لم يكن متداولاً بهذه الدلالة في زمن نزول القرآن، ومن جهة أخرى لا تدل أي من الآثار المصرية المكتشفة على وجود هذه القلعة أو السور المفترض بحسب الاستنتاج من التعبير القرآني، كما أن المقصود بمصر القرآنية يفهم منه إحدى الحواضر المصرية القديمة، كأن يكون عاصمة المملكة المصرية، أو إحدى المدن الأخرى التي اتخذت سكناً وإقامة للملك المصري القديم، فلا يمكن الاستظهار من الآية الكريمة بأن المقصود هو سائر الإقليم المصري.

اسم مصر:

مِصْر: هي المدينة المعروفة، تَدَكَّرَ وَتَوَثَّ^(٦) وذكر الزبيدي: "مِصر: الكسر فيها أشهر، فلا يتوهم فيها ... والعامّة تفتحها"^(٧) المِصْر: واحد الأمصار، والمِصْران: الكوفة والبصرة، والمِصْرُ أيضاً: الحدُّ والحاجز بين الشينين^(٨) وجاء في لسان العرب:

وَجَعَلَ الشَّمْسِ مِصْرًا لَا خَفَاءَ بِهِ بَيْنَ النَّهَارِ وَبَيْنَ اللَّيْلِ قَدْ فَصَّلَا^(٩)

يبدو أن هذا الاسم استقر بشكل واضح وبدون تداخل من أسماء أخرى على ما يبدو لأول مرة مع بزوغ الحضارة الإسلامية، ويُعنى به إلى حد بعيد مصر الحديثة بحدودها المعروفة حالياً، وليس قبل ذلك، وأن اختلف المؤرخون حول أصل تسمية مصر بهذا الاسم، إذ ذهب البعض إلى أن اسم مصر هو من أصل عربي ويعني الكور، وجمعه أمصار^(١٠) كما ورد في كثير من الكتب التاريخ، إلا أنه ليس كذلك بحسب الدواداري، فهو يرجعه إلى ما بعد الطوفان، مستمداً اسمه من أحد أحفاد النبي نوح، إذ ذكر سميت مصر نسبة إلى مصر بن بيسر بن حام بن نوح^(١١) ومع اختلاف آراء المؤرخين حول مصدرية اسم مصر، إلا أنه لا يعدم من يوافق القول، كما هو (أبو القاسم بن عبد الحكم) المتوفي (٢٥٧هـ / ٨٧٠م) الذي ذكر

سميت مصر على اسم مصر بن بيصر بن حام بن نوح، إذ أن بيصر بن حام بن نوح أول من سكن مصر بعد الطوفان، وكان مصر أكبر أولاده، وهو الذي ساق أباه وجميع إخوته إلى مصر فنزلوا بها فسميت مصر على اسمه^(١٢) غير أن المقريري لا يبدو واثقاً من هذه النسبة، مع ذكره لتعدد شخصيات تحمل الاسم عينه، فإنه لم يتبنى أياً منها في الآخر، فقد قال: "اختلف أهل العلم في المعنى الذي من أجله سميت هذه الأرض بمصر، فقال قوم، سميت بمصر ابن مركابيل بن دواييل بن عرياب بن آدم، وقيل، بل سميت بمصر نسبة إلى مصرام بن يعراوش الجبار بن مصرايم الأول، وقيل، نسبة إلى مصر بن بنصر بن حام بن نوح"^(١٣) بحسب رواية الدواداري إن المصريين من أصل حامي، أي أن جدهم الأكبر هو حام بن نوح، ولكن هذا الرأي لم يعجب الدكتور محمد بيومي مهران، فهو لا يكتفي بالهجوم الشرس على هذا الادعاء، ونسبته لتأثير العداوة اليهودية، بل يرميه أيضاً بالتناقض ويسلبه الاتزان والعلمية، فقد ذكر، أن الاضطراب يبدو واضحاً في روايات الإخباريين، فضلاً عن أثر التوراة الواضح فيها، فهم يرون أن أهل مصر من العماليق، والعماليق، في رأيهم كجرهم من العرب العاربة، ولكنهم في نفس الوقت يرون أن أهل مصر من أبناء مصرايم بن حام بن نوح، وهكذا فإن المصريين - في نظر المؤرخين المسلمين - ساميون وحاميون في نفس الوقت، والأمر كذلك بالنسبة إلى الكنعانيين، فهم من العماليق، وهم في نفس الوقت أبناء حام بن نوح، ثم يجعل منشأ هذه الأقوال هو "الحقد الدفين من اليهود ضد المصريين والكنعانيين والبابليين، الذي دفع بكتابة التوراة إلى إخراج هذه الشعوب جميعاً من الساميين، وجعلها من أبناء حام"^(١٤).

ثانياً: كهان مصر ما قبل الطوفان:

الكاهن لغة: يأتي لفظ الكاهن من الفعل (كهن) ^(١٥) وكهَنَ كِهَانَةً ادعى معرفة الأسرار ومطالعة علم الغيب، ويقال كهن لهم أي قال لهم قول الكهنة^(١٦) وجمَع الكاهِن: "كَهَنَةً وَكُهَّان" ^(١٧). أما اصطلاحاً: هو الذي يخبر عن الكوائن في مستقبل الزمان، ويدعي معرفة الأسرار و مطالعة علم الغيب، ومن العرب من كان يُسمَّى المُنَجِّم والطبيب كاهناً، ويلجأ الناس إلى الكاهن في تفسير الرؤى

والاستشفاء وحسم الخصومات^(١٨) ومن هنا عرف البعض الكاهن: "بأنه الناطق بلسان الاله، والذي كان يحمل على عاتقه مهمة طرح الأسئلة، ويعني زعيم الشعب، أي انه عبر اتصاله مع الاله كان من المفترض أن يكون عالماً بأسراره، بوصفه كاهناً وملكاً ونبياً في آن واحد، كان يملك السلطة المطلقة على النطق باسمه"^(١٩) أما الكاهنة: اسم امرأة تكرّس نفسها لخدمة الآلهة^(٢٠) قد تحمل على الظن بأنهن كن يمارسن دور الكهنة، إنما دورهن في أداء الطقوس الدينية كان شيئاً رمزياً - مثله مثل دور الملك في العبادة- ولهذا كان من الطبيعي من يقوم بالطقوس الدينية بدلاً منها، تماماً مثل الملك الذي ينيب عنه الكهنة في شؤون العبادة^(٢١).

وبالعودة إلى روايات الدواداري، فقد قسم دراسته لتاريخ مصر إلى فترتين: (قبل الطوفان وبعد الطوفان) وخصص باباً في ذكر كهان مصر قبل الطوفان، إذ ذكر: " لما اشرطنا ذكر الكهّان القديمة بمصر، ذكرناهم من قبل الطوفان، ليكون سماعهم للتعجب، لا للتصديق؛ فإنّ هذا الكلام لم أجده في كتب أحد من أرباب التاريخ ، وإنما نقلته من كتاب قبطنيّ وقع لي"^(٢٢) ادرج الدواداري عدداً من الأسماء تحت عنوان:(ذكر الكهّان القديمة بمصر من قبل الطوفان) وأهمهم كهان مصر المزعومين بسحب قول الدواداري:

١. عيقام من ولد عرثاث بن آدم: اتفق الدواداري مع المسعودي في اسمه "عيقام"^(٢٣) في حين ورد في نهاية الأرب "عنقाम"^(٢٤) وأطلق عليه الدواداري لقب "ملك كاهن" وتطرق كعادته بالولع في ذكر الغرائب إلى ذكر أعاجيب أقامها هذا الكاهن، إذ ذكر، أنه كان قبل الطوفان بدهر طويل، فرأى في علمه كون الطوفان، فأمر الشياطين الخادمة لتلك الأسماء أن يبنوا له مكانا خلف خطّ الاستواء، بحيث لا يلحقه فساد هذا الكائن، فبني له القصر الذي في سفح جبل القمر، وهو قصر النحاس الذي فيه التماثيل النحاس المشهور ذكرها بين العوامّ بمدينة النحاس، فلما عمل له هذا القصر، أحبّ أن يراه قبل سكناه إيّاه، فجلس في قبة، وحملته الشياطين على كواهلهم إلى ذلك القصر، فلما رأى حكمة بنيانه وزخرفته، وإلى حيطانه وما فيها من النقوش وصور الأفلاك وغير ذلك من صنوف العجائب- وكان يسرح بغير

مصباح، وينصب فيه موائد عليها من كل الأطعمة والألوان من سائر الأصناف، لا يعلم من صنعها، وكذا كل الأشرطة في أوان تستعمل ولا تنقص، وفي وسطه بركة من ماء جامد، تراه ظاهراً متحركاً وهو جامداً، وأشياء كثيرة أضربنا عنها للاختصار - مما يحير العقول، فأعجبه ما رآه ، ورجع إلى مصر على كواهل الشياطين^(٢٥).

٢. عرياق بن عيقام^(٢٦): اذ ورد ذكره في اخبار الزمان باسم "عرياق"^(٢٧) وذكره النويري باسم "عراق"^(٢٨) ذكر الدواداري: "استخلف اباه، وقلده الملك، تكهن هذا الملك، وعمل العجائب الكثيرة"^(٢٩) منها شجرة صفراء، لها أغصان حديد بخطاطيف حادة، إذا اقترب إليها الظالم أو الكذاب اختطفته تلك الخطاطيف وتعلقت به وتشبكت فيه، فلا تفارقه حتى يحدث عن نفسه بالصدق ويعترف بظلمه ويخرج عن ظلامه خصمه^(٣٠).

٣. أفليمون الكاهن: ذكر الدواداري ركب السفينة وآمن بنوح، وبرسالته^(٣١).

٤. سنون الكاهن^(٣٢): ذكره المسعودي شيمون^(٣٣) وهو الذي يقدر النار، ويتكلم عليها، فيطلع منها صوراً نارية^(٣٤).

٥. فردان الملك: اذ ذكر الدواداري كان في زمانه الطوفان^(٣٥).

٦. قومة الكاهنة: لم تقتصر حياة المعبد في مصر القديمة على الرجال فقط ، ولم تكن الكهانة محرومة على النساء، فقد كان هناك الكثير من الكاهنات، ومن اهم ما ذكر الدواداري "قومة الكاهنة" وذكرها (ابن وصيف شاه) نونية الكاهنة وكانت ساحرة ماهرة في السحر^(٣٦) ذكر الدواداري أنها كانت تجلس في عرش من نار، وإذا جاءها من يحتكم إليها، وكان محققاً صادقاً، خاض النار إليها ولم تضره شيئاً، وإن كان كاذباً مبطلاً وقدم عليها أحرقتة النار، وكانت تتصور لهم في صور كثيرة كيف شاءت، ثم بنت لها قصرًا واحتجبت عن الناس، وجعلت في حيطانه أنابيب نحاس طاهرة مجوفة، وكتبت على كل أنبوبة فنًا من الفنون التي يتحاكم إليها فيه، فكان الذي يتحاكم إليها يأتي إلى الأنبوبة، فيأتيه الجواب لكل ما يريد، ولم يزلوا يستعملون ذلك دهرًا طويلاً، حتى هلكت قومة الكاهنة^(٣٧) ويختم روايته بعبارة: "الله أعلم"، إدراكاً منه

لصعوبة تصديق هذه الأخبار، كأنما ينأى بنفسه عنها، إنما ذكره لهذه الغرائب والحكايات العجيبة يؤكد اهتمامه بها وولعه، ومحاولة ترويض القارئ على قبولها بتوالي ذكر هذه الحكايات الأسطورية بل الخرافية.

٧. سوريد بن سهلون: من ملوك مصر قبل الطوفان^(٣٨) أقام سوريد حسب قول الدواداري ملكاً مائة وسبع سنين، ويلاحظ فيما يرويهِ الدواداري هنا إلى أن الحكم في مصر كان وراثياً، منحدرًا من (سوريد بن سهلون) إذ ذكر سوريد أوصى بالملك لولده هرجيب، وملك هرجيب تسعاً وسبعين سنة، وملك بعده ابنه مناوس، وكان مناوس جباراً سفاكاً للدماء، يغتصب نساء أهل مملكته، ثم هلك ودفن مع أبيه وجدّه بجميع أمواله وذخائره بالهرم الثالث، وملك على الناس ابنه أفروس، وكان الأخير بحسب قول الدواداري، عالماً محتكاً بخلاف ما كان عليه أبيه، فعدل في الناس، وردّ نساءهم إليهم، وكان أفروس يطلب الولد، فينكح ستمائة امرأة بيتغي الولد، فلم يولد له، وكانت في عصره قد عقت أرحام النساء، لما أراد الله تعالى من هلاك العالم بالطوفان، وعقت أرحام البهائم، وملكهم أفروس أربعاً وستين سنة ولم يعقب، خرج الدواداري من الأطر الوراثة، إذ ذكر ملك أرمانوس وأحسن في سيره، وغزا أعدائهم، وقد كان أصيب بعلّة في جسده، فأوصى لابن عمّ له، يقال له: فرعان بن ميسور، وهو آخر كهان مصر قبل الطوفان^(٣٩) ولعل ما ذكره عن الهرم الثالث يظهر عدم القيمة التاريخية لمرويّاته، وإنها بعيدة غاية البعد عن الواقع.

وعموماً فإن ما أورده تحت عنوان (ذكر الكهّان القديمة بمصر من قبل الطوفان) أقرب إلى الأساطير والحكايات الشعبية منه إلى المعلومات التاريخية، ليس لما حفل من الخيال الواسع، بل انه لم يذكر مصادره التي استسقى منها معلوماته عن هؤلاء الكهّان، وعلى ما يبدو أن بعضها كانت إما مبنية على الافتراض، أو من وضع مخيلة القصاصين.

ثالثاً: ملوك مصر بعد الطوفان:

يعود لنا الدواداري في وصف حكم مصر ما بعد الطوفان، إذ أورد سلسلة من ملوك مصر، وهم بحسب ما ذكر:

١. مصر بن بيصر بن حام بن نوح: هو أول من حلّ مصر بعد الطوفان، تزوّج أبوه بيصر بنت فليمون الكاهن، فولدت له مصر، وحسب قول الدواداري ان مصر تزوج من بنات الكهنة وولدت له أربعة نفر وهم^(٤٠) قفط - وقيل له كفتوريم^(٤١) وأشمن وأترب وصا، وحكموا مصر بالتتابع، وبعد ذلك جعل الدواداري الحكم في أولاد صا^(٤٢) فقد ذكر: "كان لصا أولاد ستّة، فأكبرهم قبطيم"^(٤٣) وصار الملك في قبطيم دون إخوته، ملك ثمانين سنة ومات، وتولّى بعده الملك قفطويم، وكان هذا قفطويم جبّاراً، وكان أكبر ولد قبطيم، وفي أيّامه كان هلاك عاد بالريح العقيم، حسب رواية الدواداري، ثم ملك بعده ابنه البودشير^(٤٤).

٢. عديم بن البودشير: وصفه الدواداري بأنه كان ملكاً جبّاراً لا يطاق، وكان في وقته يزعمهم الملكان اللذان أهبطا من السماء، وكانا يعلمان الناس السّحر بمصر، وإنّ عديماً استكثر من العمل به، ثمّ انتقلا إلى بابل، وأهل مصر من القبطيين يقولون، إنّما هما كانا شيطانان، يقال لأحدهما مقلة، والآخر مهالة، وتذكر أيضاً: "في زمان عديم أول ما عبدت الأوثان بعد الطوفان، وقيل إنّ الشياطين كانت تظهر وتتصّبها لهم"^(٤٥) ويبدو لنا ان رواية الدواداري هذه مستوحاة مما ذكر في قصص العهد القديم، إذ ان نسل داوود من ملوك إسرائيل ويهوذا الذين تركوا عبادة الله ومالوا مرة أخرى لعبادة الأوثان، بالإضافة إلى قصص تفرق الناس في بابل وبعدهم عن الإيمان بعد الطوفان وميلهم مرة أخرى لعبادة الأوثان^(٤٦) وقيل: "إنّ هذا هو عديم بن قيطريم، لأن البودشير ما وطئ امرأة قطّ، ولا أعقب، وإنّه أخ للبودشير"^(٤٧).

٣. شدّات بن عديم: استمر الدواداري في حديثه عن ملوك مصر بعد الطوفان، إذ ذكر: "ملك شدّات بعد أبيه عديم"^(٤٨) وهو الذي بنا الأهرام الدهشوريّة من الحجارة التي قطعت في زمان أبيه، وقد وميّز الدواداري بين شدّات هذا وشدّادا بن عاد، إذ ذكر أن بعض الناس تزعم أن شدّات هذا هو شدّاد بن عاد، وإنما غلطوا باسم شدّات هذا، فقالوا شدّاد بن عاد، لكثرة ما يجري على ألسنتهم شدّاد بن عاد، وقلة ما يجري على ألسنتهم شدّات بن عديم^(٤٩) في حين نسب القلقشندي بناء الأهرام الدهشورية إلى قفطريم بن فقط وأن شدّات وهو الذي تم الأهرام الدهشورية التي وضع أساسها قفطريم المتقدّم ذكره^(٥٠) ويتوقف قليلاً وتأكيداً لولعه بالغرائب والعجائبيات، ليبدأ في سرد رواية أخذها من مصدره الأثير في الخرافات

والأساطير الذي يعمي اسمه تحت يافطة "الكتاب القبطي" ومن ثم يعود إلى الملك شدات، فذكر: "عمل شدات في مدة ملكه أعمالاً كثيرة مما فاق بها على من تقدّمه، ويطول الشرح في ذكرها، ومن جملتها... عمل الصنم الذي له إحليل بيده، ما أتاه معقود أو عاجز... فتمسّح به إلا زال عنه ما يشكوه... وعمل الأعمال الكثيرة، التي لا تترك لها غاية، وعمل طلسم التماسيح، ومنعها من الوصول إلى مصر، أنّه عمل لمصر أربعون أعجوبة من الغرائب العجيبة، وأقام سبعين سنة ملكاً، وخرج في صيد له، فكب به جواده في وهدة فقتله"^(٥١).

أما هذه الحكاية التي ذكرنا آنفاً أنه قطع حديثه بها عن الملك شدات فقد قال بصددها: "وأن كان كلاماً لا يصوغه الشرع، ولا نصدّقه نحن، فإننا نقوله بطريق التعجب"^(٥٢) وملخصها إنّ البودشير لما أجهد نفسه في عبادة الأنوار العالية وعرف روحانياتها، وصارت فيه... واستغنى جسده عن الطعام والشراب، فلما أدمن ذلك واشتاق إليه الأنوار واشتاق إليها، رفعته إلى محلّها الأعلى، ودبرته من شرور الأرض، وجعلته نوراً سامياً في نورها، يتصرّف بتصرّفها، فطوباه من كاهن عرفت له كهانته^(٥٣) ونلاحظ هنا طريقة الدواداري بتسريب هذه الحكايات، رغم علمه أنها سوف تلاقي النقد والاستنكار، فيعلن براءته منها في أول أو آخر كلامه، إلا أنه في الواقع يحرص أشد الحرص على نقلها بتمامها وكمالها مما يؤكد إيمانه أو حبه لها على الأقل وتجاهله لصيحات الرفض والاستنكار وإن بطريق فيه نوع من المجاملة المتكلفة تجاه القارئ.

٤. منقاوس: أوصى شدات بن عديم بالملك لولده منقاوس^(٥٤) ورد في هذه الصيغة "منقاوس" في اخبار الزمان^(٥٥) وذكره النويري "منقاوش"^(٥٦)، وفي حديث الدواداري عنه، ذكر: "إنّ منقاوس الملك بنا هيكلًا للسحرة على رأس الجبل القصير... وأقام ملكاً أحد وسبعين سنة، ومات من طاعون أصابه، وقيل: بل سمّ في طعامه... واستخلف ولده مناوش الملك"^(٥٧).

٥. مناوش: أول من أظهر عبادة البقر في أهل مصر، وكان السبب في ذلك أنّه اعتلّ علّة، يئس منها الحياة، وأتته رأى في منامه صورة روحانيّ عظيم يخاطبه، ويقول له: "إنّه لا يخرجك من علّتك هذه إلاّ

عبادة البقرة، لأنّ الطالع كان في وقت حلول برج الثور، ففعل ذلك، وأمر أن يؤتى بثور حسن أبلق اللون، كامل الصورة في الحسن، وعمل له مجلسا في قصره، وعمل عليه قبة عظيمة، مصفحة بذهب إبريز، وعاد يبخره ويطيبه... وعاد يعبده سرًا من أهل مملكته، فبرئ من علته، وعاد في أحسن أحواله... وافتنن الناس، وصار ذلك أصلا لعبادة البقر^(٥٨) ونجد الخبر ذاته في اخبار الزمان^(٥٩) أقام مناوش ملكا تسعا وثلاثين سنة، وهلك بالعلّة التي كان أصيب بها أولا، وأوصى بالملك إلى ابنه مرنيس، وملك مرنيس الملك عشرة سنين، وكان ضعيفا منهوك البدن، فلم يبين بنيانا، ولا نصب علما ولا منارا، ثم هلك بعد هذه المدّة، وأورد الدواداري قولاً آخر: "إنّ هذا الملك لم يعقب، وأن الملك عاد من هذا البيت إلى ولد أشمن بن قبطيم"^(٦٠) وذكر المسعودي ايضاً: "ولي أشمون الملك، وأشمون أخو قبطيم الملك"^(٦١) ولمّا هلك هذا الملك قام بالأمر بعده ولده الشاد، وولي الشاد الملك وله من العمر خمسة وأربعين سنة، وكان جبّارا طمّاع العين... وكان أكثر همّه اللهو واللعب، وجعل تدبير ملكه إلى وزير كان له، واشتغل بلهوه، ورفض العلوم والهيكل والنظر في مصالح الناس، وقتل من الناس خلقا كثيرا في شرح طويل، فاحتالوا عليه حتّى سمّوه في طعامه، فهلك وهو ابن مائة وعشرين سنة، وكان ملكه خمسة وسبعين سنة^(٦٢)، ومن المناسب القول هنا، أن تقديس البقر كان معروفاً في مصر القديمة، لما يمثله من رمز للقوة والإخصاب والعطاء^(٦٣) وأورد هيرودوت قولاً مقتضاه، يضحى المصريون بالثيران والعجول الطاهرة ولا يباح لهم أن ينحروا الأبقار فهي مقدسة^(٦٤) وكان يُرمز "للاله حتحور" بالبقرة^(٦٥) وهي تعتبر إلهة السماء، والأمومة، والخصوبة، فكانت تتخذ شكل البقرة السماوية، فتصور في جسم ورأس بشريين، ولكن مع تاج يمثل قرني البقر محتضنة قرص الشمس^(٦٦) وكذلك وجدت تماثيل في مصر على هيئة بقر مصنوعة من الذهب^(٦٧) إلا أن احترام وتقديس الحيوان في مصر القديمة، لم يكن بدافع العبادة بحسب البعض، بل أن المصري القديم لم يقدس الحيوان لكونه حيواناً، لكنه كان يعتقد أن روح الإله تعيش داخل هذا الحيوان، وقدس هذه الروح السامية الكامنة في الحيوان، لذلك لم يعين المصريون (الحيوانات المقدسة) بأسماء حيوانات، ولكن بأسماء عادية مثل: (سبك Sbk للتماسيح) و(هر Hr للصرقر) وكان اختيار الحيوان المحدد يتم عن

طريق مجموعة من العلماء في المعابد المصرية، ومتى تم توافر الشروط المطلوبة بدقة في ذلك الحيوان، يتم الإعلان عن اختيار ذلك الحيوان المقدس^(٦٨).

٦. صا: ارجع الدواداري الحكم بعد ذلك في ذرية الشاد، إذ ذكر: "أوصى الشاد الملك، بالملك بعده لولده صا، وهذا الاسم على اسم عمّ جدّه"^(٦٩) بخلاف يسير عن المسعودي الذي سماه "صا صا"^(٧٠) وحتى الدواداري يبدو عليه الارتباك في نسبه، حين قال: "وأكثر القبط تزعم أنّه صا بن مرقويس، وهو أخو الشاد الملك، ليس ولده"^(٧١) ولكن هذه الرواية نقلاً عن كتاب أخبار الزمان^(٧٢) وإن لم يشر لمصدرها كعادته، ويواصل حديثه بالقول ثمّ تملك تدارس الملك، وكان تدارس الملك جبّارا ، ذو بطش وقوة فأظهر العدل، وساس الأمور أحسن سياسة، وعهد إلى ابنه ماليك^(٧٣) ثمّ إنّ استخلف ابنه جريبا، وذكر الدواداري: "إنّ هذا الملك غزا بلاد الهند فيه كلام كثير ليس به فائدة، فأضربت عنه"^(٧٤) .
قائمة ملوك مصر بعد الطوفان بحسب رواية الدواداري تطول في ذكر أسماء لملوك وكما ذكرنا قل ما نجد لها ذكر^(٧٥).

٧. الوليد بن مصعب: أورد الدواداري اسم آخر للوليد، إذ ذكره تحت اسم "ظلما بن فرمس" وقال: "هذا الاسم نقلاً عن الكتاب القبطي"^(٧٦) ذكره المسعودي: "ظلما بن قومس"^(٧٧) وفي السياق ذاته ذكر الدواداري: "وهذا هو فرعون موسى"^(٧٨) وذكره أيضاً اليعقوبي^(٧٩) والطبري^(٨٠) الوليد بن مصعب هو فرعون موسى، وفي بعض كتب التفسير جاء ذكر الاسم نفسه^(٨١).

ومن المهم الإشارة إلى أن كلمة "فرعون" في القرآن الكريم، لم ترد كلقب وإنما اسم علم، بدليل قوله تعالى: ﴿وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ﴾^(٨٢) فسياق الكلام يوحي بأن الحديث عن أسماء وليس ألقاب، وهكذا في مواضع أخرى منها قوله تعالى ﴿امْرَأَتِ نُوحٍ﴾^(٨٣) ﴿وامْرَأَتِ لُوطٍ﴾^(٨٤) ﴿امْرَأَتِ فِرْعَوْنَ﴾^(٨٥) مما يفيد أن الكلام في نسبة النساء لأعلام مشهورة، وهو خلاف قوله تعالى: ﴿امْرَأَةُ الْعَزِيزِ﴾^(٨٦) الواضح أنه يتحدث عن لقب موظف كبير وهو ما سوف يطلق على يوسف نفسه في قوله تعالى ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ﴾^(٨٧) ونجد ذلك

ايضاً في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾^(٨٨) فلو كان فرعون لقب لكان " يا أيها الفرعون" ولم تأت معرفة "الفرعون" كما هو الحال في اسم الملك أو الامبراطور . بالعودة إلى قول الدواداري: "وهذا هو فرعون موسى" أي " الوليد بن مصعب"^(٨٩) نجد بعض المحدثين ذهبوا إلى أن فرعون موسى هو "رمسيس الثاني"^(٩٠) (١٢٧٩-١٢١٣ ق.م) أحد أعظم ملوك الأسرة التاسعة عشر^(٩١) مؤكدين غرق فرعون موسى (رمسيس الثاني) أثناء مطاردة بني إسرائيل، مطبقين عليه قول الله تعالى: ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴾^(٩٢) والغرق هو الآية^(٩٣) واستندوا في ذلك أيضاً على توافق بعض أوصاف فرعون موسى مع أوصاف رمسيس الثاني بما جاء في التفاسير إذ وصفه الطبري، حين ذكر " كذب بعض بني إسرائيل بموت فرعون، فألقي على ساحل البحر حتى يراه بنو إسرائيل أحمر قصيرا كأنه ثور"^(٩٤) وكذلك انه كان أصلع وأخينس^(٩٥) وعقدوا مقارنة بمومياء رمسيس الثاني الموجودة بالمتحف المصري التي عُثِر عليها في سنة ١٨٨١م في مخبأ الدير البحري وكتب عليها تاريخ نقلها إلى هذا المخبأ وهو السنة الثالثة عشر من حكمه، بما كشفت عنه فحوصات أجريت على هذه المومياء وقالت عنه، أنه اصلع الرأس مع وجود بعض الشعر على جانبي الرأس وخلفه، وأن أنفه بارز قليلا ومرتفع عن الفم قليل مع بروز أرنبه بأعلى أنفه^(٩٦). ورأى آخرون أن فرعون موسى هو الملك مرنبتاح الابن الأكبر لرمسيس الثاني، استناداً إلى أول ظهور مزعوم لكلمة إسرائيل في التاريخ المصري، إذ ظهرت العبارة التالية: (دمرت إسرائيل، ولا بذور لها) في "لوح مرنبتاح" إلا أن نيرمين خفاجي، أخصائية ترميم الآثار في المتحف المصري الكبير، يبدو تشك في هذا الادعاء حين قالت: "إن حرف اللام لم يظهر بشكل حقيقي إلا في عصور متأخرة، وكان حرف الراء هو المستخدم في الدلالة على الحرفين، مما يجعلنا نجهل ما إذا كانت الكلمة المذكورة هي (يسرائيل) أم (يسرائير)"^(٩٧).

وعلى العموم فإن تتبع روايات الدواداري حول ملوك وكهان مصر، سيجد أنها مرتع لخيالات وأوهام أكثر مما هي حقائق تاريخية، وأنها تحمل صبغة الأسطورة مبنية على الافتراضات أكثر من شيء آخر، إذ أن

تقسيم الدواداري هذا، في اخبار كهان مصر لما قبل وبعد الطوفان يواجه صعوبة في القبول مع عدم وجود سجلات تاريخية توثق حياتهم، مما يثير إلى الأذهان إشكالاً منهجياً، وهو على أي أساس اتبع تقسيمه هذا؟ وهذا يشكك أو يضعف من قيمة كل ما أورده في هذا الباب، لأنه تساؤل لن نجد له جواباً؛ إذ انه أحياناً أورد أسماء عدد من الكهان قل ما نجد لها ذكراً عند غيره، وحرص على ذكر نصوص تتحدث بتوسع عن الطلاسم والسحر والأعمال الخارقة، والانصاف يدعونا للقول أن ما أورده الدواداري حول مصر، لا يشذ عن المعروف في اغلب كتب المؤرخين والجغرافيين والرحالة في تلك العصور، بافتقار أخبارهم الى علم الآثار، ومبنية على الافتراضات والتفسيرات الخرافية، ولعل ذلك لم يتغير إلا بعد فك رموز الكتابة الهيروغليفية على يد (العالم الفرنسي جان فرانسوا شامبوليون) (١٧٩٠_١٨٣٢ م) بعد عثوره على (حجر رشيد) في أثناء الحملة الفرنسية على مصر، وقد نقش على الحجر نص مكتوب بالهيروغليفية والديموطيقية واليونانية، ومن خلال المقارنة بين اللغات الثلاث، نجح في فك طلاسم الكتابة الهيروغليفية^(٩٨) وتسنى له ولعلماء الآثار كشف الكثير من الحقائق المجهولة والغائبة.

الاستنتاجات:

- ١- قسم الدواداري تاريخ مصر إلى فترتين، اطلق على الأولى منها مصر ما قبل الطوفان، اما الفترة الثانية مصر بعد الطوفان، وأورد فيها الكثير من الخرافات والاساطير وألحقها بقائمة من الملوك بحسب زعمه، وأشار إلى أعاجيب أقامها بعض منهم.
- ٢- لا يمكن تصنيف ما أورده الدواداري في مصر في زمرة الأخبار التاريخية، بل هي قصص شعبية، مبنية على الافتراضات والتفسيرات الخرافية، ومليئة بالتناقضات والأخطاء ، وفيها الكثير من السذاجة والتكرار المُمَل؛ ويزداد الامر صعوبة في عدم تقبل هذا التقسيم الذي أورده الدواداري مع عدم وجود سجلات تاريخية توثق حياتهم، مما يثير إلى الأذهان إشكالاً منهجياً، وهو على أي أساس اتبع تقسيمه هذا؟ وهذا يشكك أو يضعف من قيمة كل ما أورده في هذا الباب، لأنه تساؤل لن نجد له جواباً .
- ٣- أسلوب السرد المُمَل والمخل أحيان هو ما تميز فيه أسلوب الدواداري في رواياته لاخبار بلده، ويعتقد

هذا كان النمط الشائع بين مؤرخي عصر ومن سبقه، لان معظم الاخبار التي أوردها نجدها في مدوناتهم ، فكانت اخبار شائعة في مدوناتهم قبل فك رموز الكتابة الهيروغليفية على يد العالم الفرنسي جان فرانسوا شامپوليون (١٧٩٠_١٨٣٢ م) بعد عثوره على (حجر رشيد).

الهوامش:

- (١) الدواداري، كنز الدرر ، ج١ ، ص ١٢٣ .
- (٢) ابن حوقل ، صورة الارض ، ج١ ، ص ١٣٢ .
- (٣) بليني الأكبر، التاريخ الطبيعي (وصف افريقيا ومصر)،ترجمة: محمد المبروك،ص٣١؛ الاضطخري، المسالك والممالك، ص٣٩؛ المنجم، إسحاق بن الحسين، آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان، ص ٨٩.
- (٤) محمد صادق إسماعيل ، العلاقات المصرية الخليجية: معالم على الطريق، ص ٣٩ ، ٤٠ .
- (٥) سورة يوسف: الآية ٦٧.
- (٦) الجوهرى، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، ج٢ ، ص ٨١٧ .
- (٧) الزبيدي، تاج العروس ، ج١٤ ، ص ١٢٦ .
- (٨) الجوهرى، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، ج٢ ، ص ٨١٧ .
- (٩) ابن منظور، لسان العرب ، ج٥ ، ص ١٧٥ .
- (١٠) نشوان الحميري، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، ج٩، ص٦٣١٣ .
- (١١) الدواداري، كنز الدرر ، ج١ ، ص ١٢٤ .
- (١٢) ابن عبد الحكم ، فتوح مصر والمغرب ، ص ٢٩ .
- (١٣) المقرئزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، ج١، ص٣٦ .
- (١٤) مهران، محمد بيومي ،دراسات في تاريخ العرب القديم، ص١٥٧ .
- (١٥) ابن منظور، لسان العرب، ج١٣، ص٣٦٢ .
- (١٦) ابن القَطَّاع الصقلي، كتاب الأفعال ، ج٣، ص ٨٧ ؛ الجرجاني، كتاب التعريفات، ص١٨٣ .
- (١٧) مجد الدين ابن الاثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج٤، ص ٢١٥ .
- (١٨) ابن القَطَّاع الصقلي، كتاب الأفعال ، ج٣، ص ٨٧ ؛ ابن منظور، لسان العرب، ج١٣، ص٣٦٢_٣٦٣ .

- (١٩) فهد ، توفيق وآخرون، الكهانة العربية قبل الإسلام، ترجمة: حسن عودة، ص ٢ .
- (٢٠) أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، ج٣، ص ١٩٦٨ .
- (٢١) سعد الله ، محمد علي، الدور السياسي للملكات في مصر القديمة ، ص ٣٠_٣٢.
- (٢٢) الدواداري، كنز الدرر ، ج٢ ، ص ١٠٢ .
- (٢٣) المسعودي ، اخبار الزمان ، ص١٢٨ ؛ الدواداري، كنز الدرر ، ج٢ ، ص ١٠٥ .
- (٢٤) النويري، نهاية الارب ، ج١٥ ، ص ٨ .
- (٢٥) الدواداري، كنز الدرر ، ج٢ ، ص ١٠٥_١٠٧ .
- (٢٦) الدواداري، كنز الدرر ، ج٢ ، ص ١٠٧ .
- (٢٧) المسعودي ، اخبار الزمان ، ص ١٢٩ .
- (٢٨) النويري، نهاية الارب ، ج١٥ ، ص ٩ .
- (٢٩) الدواداري، كنز الدرر ، ج٢ ، ص ١٠٧_١٠٨ .
- (٣٠) الدواداري، كنز الدرر ، ج٢ ، ص ١٠٧_١٠٨ .
- (٣١) الدواداري، كنز الدرر ، ج٢ ، ص ١٠٨ .
- (٣٢) الدواداري، كنز الدرر ، ج٢ ، ص ١٠٨ .
- (٣٣) المسعودي ، اخبار الزمان ، ص ١٣٠ .
- (٣٤) الدواداري، كنز الدرر ، ج٢ ، ص ١٠٨ .
- (٣٥) الدواداري، كنز الدرر ، ج٢ ، ص ١٠٩ .
- (٣٦) ابن وصيف شاه ، جواهر البحور و وقائع الأمور و عجائب الدهور ، ص٢١ .
- (٣٧) الدواداري، كنز الدرر ، ج٢ ، ص ١٠٧ .
- (٣٨) الدواداري، كنز الدرر ، ج٢ ، ص ١٠٩ .
- (٣٩) الدواداري، كنز الدرر ، ج٢ ، ص ١٢٠_١٢٤ .
- (٤٠) الدواداري، كنز الدرر ، ج٢ ، ص ١٣٠ .
- (٤١) الخشبة ، غطاس عبد الملك ، رحلة بني اسرائيل إلى مصر الفرعونية والخرروج ، ص ٦٤ .
- (٤٢) الدواداري، كنز الدرر ، ج٢ ، ص ١٣١ .

- (٤٣) الدوادري، كنز الدرر ، ج٢ ، ص ١٣٢_١٣٣ .
- (٤٤) الدوادري، كنز الدرر ، ج٢ ، ص ١٣٢_١٣٣ .
- (٤٥) الدوادري، كنز الدرر ، ج٢ ، ص ١٣٧_١٣٨ .
- (٤٦) سفر صموئيل الاول : إصاح ١٦ وما بعد ؛ سفر صموئيل الثاني ؛ سفر الملوك الأول سفر الملوك الثاني .
- (٤٧) الدوادري، كنز الدرر ، ج٢ ، ص ١٣٨ .
- (٤٨) الدوادري، كنز الدرر ، ج٢ ، ص ١٤٢ .
- (٤٩) الدوادري، كنز الدرر ، ج٢ ، ص ١٤٢ .
- (٥٠) القلقشندي، صبح الأعشى ، ج٣ ، ص ٤٧١ .
- (٥١) الدوادري، كنز الدرر ، ج٢ ، ص ١٤٣_١٤٤ .
- (٥٢) الدوادري، كنز الدرر ، ج٢ ، ص ١٤٣ .
- (٥٣) الدوادري، كنز الدرر ، ج٢ ، ص ١٤٣ .
- (٥٤) الدوادري، كنز الدرر ، ج٢ ، ص ١٤٤ .
- (٥٥) المسعودي، اخبار الزمان، ص ١٩٧ .
- (٥٦) نهاية الارب، ج ١٥، ص ٦٦ .
- (٥٧) الدوادري، كنز الدرر ، ج٢ ، ص ١٤٧ .
- (٥٨) الدوادري، كنز الدرر ، ج٢ ، ص ١٤٧ .
- (٥٩) المسعودي، اخبار الزمان، ص ٢٠١ .
- (٦٠) الدوادري، كنز الدرر ، ج٢ ، ص ١٥٠ .
- (٦١) المسعودي، اخبار الزمان، ص ٢٠٣ .
- (٦٢) الدوادري، كنز الدرر ، ج٢ ، ص ١٥٢ .
- (٦٣) هيرودوت يتحدث عن مصر ، ترجمة: محمد صقر، ص ١٢٧ .
- (٦٤) المصدر نفسه ، ص ١٣١ .

(65) Dunand 1986, p 60 , p144 ؛ Erman 2001,p 34 .

(٦٦) جفري، بارندر، المعتقدات الدينية لدى الشعوب، ترجمة: امام عبد الفتاح امام، ص ٤٠ .

(٦٧) عبد الوهاب النجار، قصص الأنبياء، ص ٢١٨؛ محمد بيومي مهران، دراسات تاريخية...، ص ٣٥٠
(68) Hornung 1983, p138؛ Dunand 1986,p 60 .

- (٦٩) الدواداري، كنز الدرر ، ج٢ ، ص ١٥٢ .
(٧٠) المسعودي، اخبار الزمان، ص ٢٠٩ .
(٧١) الدواداري، كنز الدرر ، ج٢ ، ص ١٥٣ .
(٧٢) للمقارنة ينظر: المسعودي، اخبار الزمان، ص ٢٠٩ .
(٧٣) الدواداري، كنز الدرر ، ج٢ ، ص ١٥٧ .
(٧٤) الدواداري، كنز الدرر ، ج٢ ، ص ١٦١_١٦٢ .
(٧٥) الدواداري، كنز الدرر ، ج٢ ، ص ١٦١_١٦٢ .
(٧٦) الدواداري، كنز الدرر ، ج٢ ، ص ٢٠٣_٢٠٤ .
(٧٧) المسعودي، اخبار الزمان، ص ٢٦٩ .
(٧٨) الدواداري، كنز الدرر ، ج٢ ، ص ٢٠٣ .
(٧٩) تاريخ اليعقوبي، ص ١١ .
(٨٠) تاريخ الطبري ، ج١، ص ٣٨٧ .
(٨١) الزمخشري، الكشاف ، ج٢، ص ١٣٦؛ الرازي ، مفاتيح الغيب ، ج٣، ص ٥٠٥ .
(٨٢) سورة العنكبوت: آية ٣٩ .
(٨٣) سورة التحريم: آية ١٠ .
(٨٤) سورة التحريم: آية ١٠ .
(٨٥) سورة التحريم: آية ١١ .
(٨٦) سورة يوسف: آية ٣٠ .
(٨٧) سورة يوسف: آية ٨٨ .
(٨٨) سورة الأعراف: الآية ١٠٤ .
(٨٩) الدواداري، كنز الدرر ، ج٢ ، ص ٢٠٣ .

- (٩٠) رمسيس الثاني: هو رمسيس الثاني بن سبتي الأول ، وأمه هي الملكة "است نفرت" اختاره والده ولي عهد لعرش بلاده في السنة الخامسة والخمسين من حكمه. ينظر: حسن، سليم، موسوعة مصر، ج٧، ص٢٥ ؛ كتشن، رمسيس الثاني، ترجمة: احمد زهير، ص٤٠؛ زكري، أنطوان، الادب والدين عند قدماء المصريين ، ص١٦٥ .
- (٩١) مهران، دراسات تاريخية ، ج٢، ص٣٠٢ ؛ حسن، سليم، موسوعة مصر ، ج٧، ص١١٤، ص٥٣٥ .
- (٩٢) سورة البقرة، آية ٥٠.
- (٩٣) رشدي البدرابي، قصص الانبياء والتاريخ ، ج٤ ، ص٩٥٦_٩٥٧ .
- (٩٤) الطبري، تفسير الطبري ، ج١٥ ، ص١٩٦ ؛ الشوكاني، فتح القدير ، ج٢، ص٥٣٦ .
- (٩٥) الشوكاني، فتح القدير ، ج٢، ص٥٣٥ .
- (٩٦) سليم حسن، موسوعة مصر القديمة، ج٧، ص٥٣٥؛ سعيد أبو العينين، الفرعون الذي يطارده اليهود...ص٦ وما بعدها ؛ المتحف المصري - متحف المومياوات الملكية.
- (٩٧) لوح-مرنبتاح-وقبائل-يسرائيل/ <https://arabic.rt.com/culture/> -٨٩٤٠٠٥-
- (٩٨) عوف، احمد محمد ، عبقرية الحضارة المصرية القديمة ، ص٨_١٠ ؛ الموسوعة العربية ، ج١١ ، ص٥٣١.

المصادر والمراجع:

١. الاصطخري، أبو اسحاق إبراهيم بن محمد (ت: ٣٤٦هـ)، المسالك والممالك، القاهرة.
٢. ابن بطوطة، ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن ابراهيم الطنجي (ت٧٧٩هـ /١٣٧٧م)، تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار، أكاديمية المملكة المغربية، ١٤١٧هـ.
٣. بليني الأكبر، التاريخ الطبيعي، ترجمة: محمد المبروك، مركز المناهج التعليمية، طرابلس، ٢٠١٩م.
٤. بنيامين التطيلي (المتوفى: ٥٦٩هـ)، رحلة بنيامين التطيلي، ط١، المجمع الثقافي، ٢٠٠٢ م
٥. ابن تغري بردي، جمال الدين ابي المحاسن يوسف (ت: ٨٧٤هـ/١٤٦٩م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م .
٦. الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف (ت: ٨١٦هـ)، كتاب التعريفات، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣م.
٧. ابن حوقل، ابو القاسم محمد البغدادي (ت: بعد ٣٦٧هـ/٩٧٧م) صورة الارض، دار صادر، بيروت، ١٩٣٨ م .
٨. الدوادري، ابو بكر عبد الله بن ايبك (ت: بعد ٧٣٧هـ /١٣٣٦ م)، كنز الدرر وجامع الغرر

٩. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت: ٩١١هـ)، المزهرة في علوم اللغة وأنواعها، ط١، بيروت.
١٠. الطبري، محمد بن جرير (ت: ٣١٠هـ/٩٢٢م)، تاريخ الرسل والملوك، ط٢، دار التراث، لبنان، ١٣٨٧هـ .
١١. ابن عبد الحكم، عبد الرحمن بن عبد الله (ت: ٢٥٧ هـ)، فتوح مصر والمغرب، مكتبة الثقافة الدينية، ١٤١٥ هـ .
١٢. ابن القَطَّاع الصقلي، علي بن جعفر (ت: ٥١٥هـ)، كتاب الأفعال، ط١، عالم الكتب، ١٩٨٣م.
١٣. القلقشندي، أحمد بن علي بن أحمد الفزاري (ت: ٨٢١هـ)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت .
١٤. المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت: ٣٤٦ هـ/٩٥٧م)، أخبار الزمان ومن أباده الحدثنان، وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران ، دار الأندلس، بيروت ، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م .
١٥. المقدسي، مطهر بن طاهر (ت: بعد ٣٥٥ هـ)، البدء والتاريخ، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، د.ت.
١٦. المقرئ، أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر (ت: ٨٤٥ هـ / ١٤٤١م)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م .
١٧. المنجم، إسحاق بن الحسين (ت: ق ٤ هـ)، آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان، ط١، عالم الكتب، بيروت.
١٨. ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم (ت: ٧١١هـ)، لسان العرب، بيروت، ١٤١٤هـ.
١٩. نشوان الحميري، (ت: ٥٧٣هـ)، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، بيروت، ١٩٩٩م.
٢٠. النويري، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم (ت: ٧٣٣ هـ/١٣٣٣ م)، نهاية الأرب في فنون الأدب، ط١، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ١٤٢٣ هـ.
٢١. هيرودوت، تاريخ هيرودوت، ترجمة: محمد صقر خفاجة، دار القلم، ١٩٦٦م.
٢٢. وصيف شاه، ابراهيم المصري (ت: ٥٩٩هـ/١٢٠٣م)، جواهر البحور ووقائع الأمور وعجائب الدهور (منسوب إليه)، تح: محمد زينهم، الدار الثقافية، القاهرة، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.
٢٣. ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله (ت: ٦٢٦هـ) معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م
٢٤. احمد فخري، الاهرامات المصرية، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٣م.
٢٥. انيس منصور، لعنة الفراعنة وشيء وراء العقل، ط١، دار الشروق، د.م ، د.ت .
٢٦. البدرأوي، رشدي، قصص الانبياء والتاريخ، ط٣، المجلد العربي، ٢٠٠٩ م .

٢٧. بول أرون، أغاز تاريخية محيرة، ترجمة: شيماء طه الريدى، ط١، مؤسسة هندراوي، ٢٠١٥ م .
٢٨. بيكي، جيمس، الآثار المصرية في وادي النيل، ترجمة: لييب حبشي وآخرون، القاهرة، ١٩٩٣م .
٢٩. الجثام، فضل عبدالله، الحضور اليماني في تاريخ الشرق الأدنى، دار علاء الدين، دمشق، ١٩٩٩م .
٣٠. جفري، بارندر، المعتقدات الدينية لدى الشعوب، ترجمة: إمام عبدالفتاح، عالم المعرفة، ١٩٩٣م .
٣١. الجنابي، قيس حاتم، تاريخ الشرق الأدنى القديم، ط١، دار صفاء، عمان ، ٢٠١٢م .
٣٢. زكري، أنطوان، الادب والدين عند قدماء المصريين ، مطبعة المعارف، القاهرة .
٣٣. الساعاتي، سامية حسن ،السحر والسحرة ، ط٢، دار قباء ، القاهرة، ٢٠٠٢م .
٣٤. سعد الله ، محمد علي، الدور السياسي للملكات في مصر القديمة ، الإسكندرية، د.ت .
٣٥. سليمان ، صبحي، لعنة الفراغنة بين الخرافة والحقيقة والخيال، ط١، دار مشارق، ٢٠١١م .
٣٦. سوزانا توماس، سنفرو، ترجمة: إسحاق بنيامين، دار إلياس العصرية، القاهرة، ٢٠٠٧ .
٣٧. عبد العزيز صالح، الشرق الأدنى القديم في مصر والعراق، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة .
٣٨. علي، جواد (ت: ١٤٠٨هـ)، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط٤، دار الساقى، ٢٠٠١م .
٣٩. عنایت، راجي ، الهرم وسر قواه الخارقة، ط٦، دار الشروق، ١٤١٥هـ/١٩٩٥ م .
٤٠. عوف، احمد محمد ، عبقرية الحضارة المصرية القديمة، مكتبة الاسرة، القاهرة، ١٩٩٩م .
٤١. فهد ، توفيق وآخرون، الكهانة العربية قبل الإسلام، ترجمة: حسن عودة، ط١، بيروت، ٢٠٠٧م .
٤٢. فيليب فاندنبرغ ، لعنة الفراغنة، ترجمة: خالد اسعد، ط١، دار قتيبة ، دمشق، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م .
٤٣. كنت أ. كتنش، رمسيس الثاني فرعون المجد والانتصار، ترجمة: احمد زهير، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٧م .
٤٤. محمد مبروك ، مصر الإسرائيلية لتبادل الحضاري بين مصر وإيجبت، ط١، د. م، ٢٠١٩ .
٤٥. هولمز، ونفرد، كانت ملكة على مصر، ترجمة: سعد أحمد ،مكتبة الاسرة ، القاهرة، ١٩٩٨ م .
- 46.J. Cantineau,Le Nabatéen Notions Générales Grammaire, Published by Otto Zeller, Osnabrück, Paris, 1978. A. Erman, Die Religion der Ägypter, Berlin ,2001 .
- 47.F. Dunand, La figure animale des dieux en Égypte hellénistique et romaine, in: Les grandes figures religieuses: fonctionnement pratique et symbolique dans l'Antiquité, centre de recherches d histoire ancienne, Volume 68 (Paris 1986) .

الدور السعودي في حل الخلاف المائي العراقي السوري ١٩٧٥

أ.د. ماجد محي عبد العباس الفتلاوي

الباحث مرتضى حسين غريب

كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة بابل

المقدمة:

عد الخلاف المائي العراقي السوري من أبرز الخلافات التي مرت بها الدول العربية اذ لم يكن هذا الخلاف مألوفاً على الساحة العربية تمثل بشحة مياه نهر الفرات بعد قيام الجانب التركي ببناء سد كيبان سنة ١٩٧٤ على الرغم من موافقة الجانب العراقي على بناء هذا السد لكنه اشترط اعتراف الجانب التركي بحقوق العراق المكتسبة في مياه نهر الفرات، لكن الامر الاخر الذي زاد من تعقيد المشكلة هو قيام سوريا بعد ذلك ببناء سد الطبقة على نهر الفرات سنة ١٩٧٥ وبدعم الاتحاد السوفيتي.

أدى قيام الجانب السوري ببناء سد الطبقة على نهر الفرات الى حصول أزمة مائية كبيرة لدى العراق اذ جف نهر الفرات وحصول هجرة كبيرة من الريف الى المدينة اذ ازدادت البطالة بعد ان وجد الفلاحين انفسهم بلا عمل بعد ترك اراضيهم التي اصابها الجفاف بعد قيام سوريا بحبس مياه نهر الفرات بحجة ملئ السد غير معتبرين المعاهدات والاتفاقيات التي تنظم حقوق البلدان المتشاطئة لذلك عقد المسؤولين العراقيين اجتماعات مكثفة من اجل تقييم الاضرار الناجمة من حبس مياه نهر الفرات واتخاذ التدابير اللازمة من اجل حلها، ف الى جانب الاضرار الاقتصادية حصلت مشاكل صحية كبيرة في العراق بسبب الجفاف.

دفع الجو المتلبد بين الجانبين العراقي والسوري الى التصعيد العسكري اذ ذكرت وكالات الانباء العالمية ان سوريا بدأت بتحشيد قواتها على الحدود الشرقية اي الحدود العراقية السورية ونقلت قوات كبيرة الى حدود البلدين وذكرت وكالة الانتربريس ان حجم القوات السورية المنقولة قدرت بحوالي ٢٠ الى ٣٠% من سلاح الدروع السوري، وكانت الحجة السورية ان نقل قواتها الى الحدود جاء بعد ان قام العراق بتحشيد

قواته على حدود البلدين، من اجل رد الحجة السورية فقد قام العراق باصطحاب بعثة اعلامية كبيرة الى حدود البلدين من وكالات الانباء المحلية والعربية والعالمية اذ اكدت البعثة من خلو المنطقة من اي تحشيد عسكري عراقي مما يدحض الادعاءات النظام السوري.

وقد تكاثفت جهود جامعة الدول العربية من اجل حل الخلاف العراقي السوري بتشكيل الجان لكن دون جدوى بسبب تمسك سوريا بحبس المياه عن العراق، مما ادى الى تبني المملكة العربية السعودية الى حله ويدفعها من وراء ذلك التدخل الى عدت عوامل جغرافية وتاريخية ودبلوماسية ومعنوية، وقد اظهر الجانب السعودي كياسة كبيرة في ادارة الوساطة والضغط على طرفي الخلاف بأنهاء المشكلة وحلها اذ كان للوسيط السعودي دوراً مهماً في انهاء الخلاف سلمياً.

أولاً: نبذة تاريخية عن حقوق العراق المائية وحدث الازمة والوساطة العربية:

تمخض عن سقوط الامبراطورية العثمانية بعد الحرب العالمية الاولى^(١)، ظهور ثلاث دول جديدة وهي كل من سوريا والعراق وتركيا وعلى اثرها حظيت تركيا بالأقسام العليا من نهر الفرات في حين امتلكت سوريا الجزء الاوسط منه، اما العراق فقد حظي بالجزء الاسفل منه وبذلك تحولت الصفة القانونية لهذا النهر من نهر وطني ذات سيادة واحدة ضمن الدولة العثمانية الى صفة دولية ويجري في أراضي كل من تركيا وسوريا والعراق^(٢). فبعد انتهاء الحرب العالمية الاولى وانتهاء الوجود العثماني في العراق خضع العراق للانتداب البريطاني وسوريا للانتداب الفرنسي ولتنظيم استغلال المياه المشتركة بين منطقتي الانتداب البريطاني والفرنسي وضمن حقوق دول المصب باعتبار ان العراق وسوريا هما دول المصب بينما تركيا هي دولة المنبع، على اثر ذلك عقدت حكومتا بريطانيا وفرنسا معاهدة في ٢٣ كانون الاول ١٩٢٠ نصت مادتها الثالثة على ان "حكومتا بريطانيا وفرنسا سوف تصلان الى اتفاق يتعلق بتعيين لجنة يكون واجبها العمل على فحص اي خطة تمهيدية للري تعدها حكومة الانتداب الفرنسي اذا كان تنفيذها يؤدي الى تقليل مياه دجلة والفرات في النقاط التي يدخلان فيها عند منطقة الانتداب البريطاني في وادي الرافدين"^(٣).

وفي ٢٤ تموز ١٩٢٣ عقدت معاهدة لوزان الثانية^(٤)، وجاء في المادة ١٠٩ تلخيص مسألة مياه الاحواض المشتركة والتي شملت العراق وسوريا شركاء فيها فضلاً عن تركيا، كما نصت على تشكيل لجنة ثلاثية تضم كل من تركيا من جهة وفرنسا المنتدبة على سوريا من جهة وبريطانيا المنتدبة على العراق من جهة اخرى اذ اضطلعت هذه اللجنة بمعالجة اهم المسائل التي تتناول مياه نهري دجلة والفرات والمشاكل المترتبة عنهما^(٥). اذ سوريا تمثل الدولة الثالثة بالنسبة للتمويل المائي للعراق بعد تركيا وايران ولكنها تمثل حلقة مهمة من حلقات الصراع المائي في الدول الوسطى في مجرى نهر الفرات ولا يمكن تمرير اي اتفاقية عراقية تركية دون المرور بسوريا وقد اتضحت خطورة المشاريع والسدود السورية على هذا النهر بعد بناء المشاريع التركية على نهر الفرات وتناقص مناسيب النهر بصورة كبيرة على الجانب العراقي^(٦). ان اي محاولة لفهم المطالب العراقية والسورية وردود الافعال عليها يقتضي الرجوع لمعرفة موقف القانون الدولي من المسألة من جهة ووجهة نظر كل دولة من جهة اخرى، ومن اجل تسهيل المهمة من المفيد ايضاح الدلائل الاصطلاحية وكما يأتي:-

- ١- النهر الدولي International River هو النهر الذي يخضع لسيادة أكثر من دولة.
- ٢- الحوض المائي الدولي International Water Basin او حوض النهر المائي International River Water Basin وهي المنطقة التي يجري فيها النهر الدولي مع جميع فروعهِ وتكون حدودهِ حدود انسياب المياه فوقها باتجاه النهر وفروعهِ^(٧).
- ٣- حوض النهر River Basin وهي منطقة جغرافية حدودها حدود انسياب المياه فوقها باتجاه مجرى النهر او مجاري فروعهِ^(٨).

على الرغم من ذلك تدعي تركيا ان نهري دجلة والفرات هما نهرا تركيا لان مصادر مياههما ومنابعهما تقع داخل الاراضي التركية وبخاصة نهر الفرات الذي تعدّه تركيا نهراً عابراً للحدود وليس نهراً دولياً بمعنى اشمال ان نهر الفرات تقع جميع مياهه ضمن السيادة التركية حتى يصل الى الحدود السورية وحسب هذا الادعاء تفسر تركيا النهر الدولي " هو ذلك النهر الذي حدوداً بين دولتين متشاطئتين"^(٩). لكن بالرجوع

الى اتفاقية لوزان الثانية ١٩٢٣ الموقعة بين بريطانيا وفرنسا الدول المنتدبة اذ ان بنود المعاهدة الازمة سوريا بعدم البدء بأي مشروع يؤثر على كميات المياه التي تصل الى العراق كما عقدت اتفاقية صداقة^(١٠)، بين الجانبين العراقي والتركي تضمنت المادة الخامسة من الاتفاقية اطلاق تركيا الجانب العراقي على اي مشروعات تقوم بها على اي من نهري دجلة والفرات^(١١).

أد للعراق حقوق مكتسبة في نهر الفرات ونهر دجلة ويطلق على تلك الحقوق بالحقوق المائية المكتسبة ويعرفها فقهاء القانون" بأنها كمية المياه التي تستعمل سنوياً من قبل احدى الدول وتسمى ايضاً بالاستعمال او الحق الطبيعي او التاريخي وهذه الحقوق معروفة بالقانون الدولي" لذلك اكتسب العراق حقوقاً في مياه نهر الفرات نتيجة استغلاله لنهر الفرات منذ أقدم العصور^(١٢). على الرغم من الاتفاقيات والقوانين الدولية الخاصة باقتسام المياه بين العراق وسوريا وتركيا لكن هذا لم يمنع من حدوث مشاكل بين هذه البلدان وكان أحد اسباب تلك المشاكل هو عدم التعاون وتجاهل بعضهم البعض الاخر مما ادى الى حدوث تلك المشاكل والازمات كان لها انعكاسات سياسية واقتصادية واجتماعية وبيئية فقد حدثت الازمة الاولى ١٩٧٤ عندما تمت المباشرة ببناء سد كيبان في تركيا وتزامن بناء السد المذكور قيام الجانب السوري بملء بحيرة الاسد وكذلك تزامن ذلك مع سنة قاسية بسبب شحة المياه وقلة سقوط الامطار^(١٣). فعلى الرغم من التأييد العراقي من فائدة بناء سد كيبان، المتمثلة بتنظيم المياه، ودرء خطر الفيضان، الا انه علق تلك الموافقة على الاعتراف التركي بحقوق العراق المكتسبة في مياه نهر الفرات وقد ذكر الوفد العراقي ان التصريف خلال فترة ملئ الخزان غير كاف للعراق وطالب بتصريفاً قدره ٨٠٠م^٣بالثانية لذلك سعت الدول الثلاثة العراق تركيا سوريا الى عقد لقاءات رسمية على مستوى عالي لكن كل هذا لم يؤدي الى نتيجة لذلك سارع العراق الى ربط نهري دجلة والفرات من خلال مشروع هيدروليكي هو مشروع الثرثار لذلك سارعت سوريا بمواجهة المشروع العراقي الى بناء مشروعها وهو سد الطبقة^(١٤). بدعم سوفيتي^(١٥).

ان الخلاف الذي طفى على السطح بين العراق وسوريا لم يكن مألوفاً على الساحة العربية اذ الحق بالعراق اضراراً اقتصادية كبيرة تمثل بهلاك المزروعات ونفوق المواشي بفعل الجفاف وقلة المياه، ولد هذا الخلاف بين العراق وسوريا الى مشاكل كثيرة في العراق، اذ دفع هذا الجو المتلبد بين البلدين الى تأزم علاقاتهما نحو الاسوأ، اثر تفاقم مشكلة مياه نهر الفرات التي انخفضت مناسيبه الى درجة خطيرة داخل العراق لتتطور هذه المشكلة تدريجياً بتغير نبرة خطابهما الرسمي من لغة الاحتجاج الى اسلوب التهديد ثم الى حشد الجيوش على حدودهما المشتركة وصولاً في النهاية الى حد قرع طبول الحرب^(١٦).

على اثر ذلك طالب العراق مجلس جامعة الدول العربية بحل فوري لكارثة المياه ونتيجة الطلب العراقي عقد مجلس جامعة الدول العربية اجتماعاته من اجل الوصول الى حل ينهي تلك الازمة، ثم عقدت بعد ذلك جلسة مغلقة قدم الامين العام لجامعة الدول العربية محمود رياض تقرير من الجانب العراقي برغبة العراق بحل هذه المشكلة لذا اقترحت المملكة العربية السعودية في الجلسة المغلقة تشكيل لجنة من الامانة العامة لجامعة الدول العربية وخبراء من العراق وسوريا لوضع صيغة لتوزيع مياه نهر الفرات بين العراق وسوريا وفعلاً تم تشكيل لجنتين لجنة فنية واخرى وزارية^(١٧).

لذلك اكد وزير الخارجية العراقي سعدون حمادي تعقيباً على مقترح المملكة العربية السعودية نحن لا نعتقد وفق تقديرنا بأن قرار اللجنة سيكون له النصيب الكبير من النجاح في حل المشكلة... ذلك لأن القرار لا ينص على الالتزام بنتائج اعمال اللجنة كما ان المندوب السوري لم يعرب عن التزام حكومة بلاده بنتائج اعمال اللجنة وقد اعرب وزير الخارجية عن استعداد الوفد العراقي بتقديم كل التسهيلات الى اللجنة من اجل اداء مهمتها، وقد ضمت اللجنة الفنية المقترحة ممثلين من المملكة العربية السعودية، ومصر، والكويت، والجزائر، والسودان، والمغرب، وتونس^(١٨). وقد نقلت جريدة الجمهورية العراقية عن جريدة بيروت اللبنانية ان العراق عندما طرح مأساة حبس النظام السوري مياه نهر الفرات على الفلاحين العراقيين على مجلس جامعة الدول العربية لم يكن يتوخى سوى الحل العادل والانساني بما تقتضيه الاعراف والاصول بما يضمن المصلحة القومية وتحقيق وحدة الصف العربي واكدت الجريدة ان مجلس

الجامعة يتحمل مسؤولية خاصة في إعادة المياه الى مجاريها وواضحت ان اي تتصل عربي عن حل هذه المشكلة سوف تكون له مضاعفات خطيرة وسيضيف مشكلات جديدة الى المشكلة التي يطالب العراق بحلها بروح الاخوية العربية والمصلحة القومية وأكدت الجريدة ان العراق لم يلجأ الى جامعة الدول العربية الا بعد ان احس ان هنالك مؤامرة تحاك ضده^(١٩).

وكما ونقلت جريدة الجمهورية العراقية عن جريدة بيروت اللبنانية ان النظام السوري له مأرب اخرى غير التي يدعيها من وراء حبس المياه عن العراق^(٢٠).

ففي الوقت الذي كان يسعى فيها العراق الى حل المشكلة سلمياً ذكرت وكالة الانتربريس نقلاً عن مراسلها في دمشق ان عدت مئات من الدبابات السورية جرى نقلها من جبهة مواجهة العدو الصهيوني الى الحدود الشرقية لمواجهة العراق، وقد نقلت الوكالة تقديرات كشفت عنها مصادر غربية مطلعة ان حجم القوة المنقولة تشك حوالي ٢٠ الى ٣٠% من سلاح الدروع السوري وعلى صعيد متصل اتهم النظام السوري نظام الحكم في بغداد بتحشيد قواته على حدود البلدين ومن اجل دحض الادعاءات السورية قامت بعثة اعلامية تمثل مراسلي الصحف ووكالات الانباء المحلية والعربية والاجنبية بزيارة ميدانية لمناطق الحدود العراقية السورية في محافظة نينوى واطلعت عن كثب على خلوها من اي مظهر عسكري مما يدحض ادعاءات النظام السوري^(٢١). على اثر ذلك استعرض وزير الري العراقي مكرم الطالباني^(٢٢). مراحل المفاوضات التي بدأت منذ سنة ١٩٦٢ واكد الوزير بأن العراق للقبول بوساطة اي جهة او اي مجموعة من الخبراء من اجل الوصول الى اي حل عادل للمشكلة مياه نهر الفرات مع الجانب السوري، وازداد ان العراق يرحب بشكل خاص بجهود جامعة الدول العربية وبرؤساء وملوك الدول العربية من اجل الوصول الى اي حل عادل للمشكلة وبصورة اخوية وتحدث الوزير عن المواقف السلبية للحكومة السورية ورفضها المتكرر للجهود الواسعة التي بذلها العراق للوصول الى حل مرضي بين الطرفين^(٢٣). لذلك وعلى اثر فشل اعمال اللجنة الفنية المشكلة من جامعة الدول العربية بطلب من سوريا في ١ / ٥ / ١٩٧٥ دون اي تقدم في الوصول الى اي حل بين العراق وسوريا على أثر الخلاف المائي بين البلدين.

ثانياً: الدور السعودي في حل الخلاف:

بادرت السعودية بالتدخل من اجل حل الخلاف المائي العراقي السوري لذلك اجتمع الوسيط السعودي المتمثل بوزير النفط والثروة المعدنية احمد زكي اليماني مع وزير الري العراقي مكرم الطالбاني ووزير سد الفرات السوري صبحي كحالة وقد بدأت الوساطة السعودية بعقد الاجتماعات بين الجانبين العراقي والسوري قبل ان تُقدم سوريا طلبها بإنهاء اعمال اللجنة الفنية المشكلة من جامعة الدول العربية بيوم واحد اي بتاريخ ٣٠ / ٤ / ١٩٧٥ اذ كانت صفة اليماني الوسيط بين طرفي الخلاف وقد نشرت الصحف السعودية في ٢ / ٥ / ١٩٧٥ الى بواكر اتفاق عراقي سوري برعاية المملكة العربية السعودية ولكن في اليوم التالي اعلنت سوريا رفضها للاتفاق^(٢٤). جاءت الوساطة السعودية بين العراق وسوريا على اثر فشل جهود ووساطة جامعة الدول العربية اذ جاءت الوساطة الى مجموعة من الظروف والاحداث ابرزها الاتفاق العراقي الايراني بعقد اتفاقية الجزائر بتاريخ ٦ اذار ١٩٧٥ والتقارب في العلاقات العراقية بعد تولي الملك خالد حكم السعودية بتاريخ ٢٥ اذار ١٩٧٥ اذ اتجهت العلاقات بين البلدين الى الود والتفاهم اذ كان العراق مرحباً جداً بالوساطة السعودية لحل الخلاف المائي بينه وبين سوريا^(٢٥). وكانت هنالك مجموعة اعتبارات قد دفعت السعودية الى الاسراع والتوسط في حل الخلاف المائي العراقي السوري وكما يأتي:-

- ١- العامل الجغرافي: يتمثل باعتبار السعودية بحكم موقعها الجغرافي احدى الدول الاربعة التي تشترك بحوض نهر الفرات من خلال أوديتها الجنوبية العليا التي تتجمع فيها المياه الجوفية حيث تبلغ حصتها ١٥% من مساحة الحوض الكلي البالغ ٤٤٤,٠٠٠ الف كم^٢.
- ٢- العامل السياسي: يتعلق بطموحات وتطلعات قديمة ترجع الى ايام مؤسس المملكة العربية السعودية الثالثة هو عبد العزيز ال سعود في الوصول الى نهر الفرات وجعله حداً مع العراق لكي يضمن لشعبه مورداً مائياً مستمراً وقد سار على هذا النهج الملك سعود الذي قدم مقترحاً للعراق بشق قناة من نهر الفرات بهدف اوصول المياه الى الرياض بالأنايب^(٢٦).

٣- العامل الدبلوماسي: ويستند هذا العامل الى المحافظة على صداقة الطرف المؤيد وتحييد الطرف المعادي بما يتوفر من أدوات تحقق ذلك مثل التلويح بالمساعدات المالية.

٤- العامل المعنوي: ويتمثل في رفع شأن السعودية على المستويين العربي والعالمى من اجل تعزيز التضامن والتعاون بين الجميع^(٢٧).

واصلت المملكة العربية السعودية اكمال ما بدأت به في الوساطة من اجل حل الخلاف المائي العراقي السوري حيث اكدت المملكة العربية السعودية انها سوف تكون في طليعة العاملين من اجل جمع الصفوف العربية واستئصال اي خلاف يمكن ان يتحول الى بؤرة تستنفذ الطاقات العربية، وضمن اطار السعي للمملكة العربية السعودية في حل الخلاف اتخذ الملك خالد زمام المبادرة من اجل اجراء حوار بين العراق وسوريا بهدف الوصول الى اتفاق حاسم حول اقتسام مياه نهر الفرات وقد ذكر الوسيط السعودي احمد زكي اليماني انه لمس تفهماً وموافقة من الجانبين العراقي والسوري حول الوساطة السعودية واعتبر اليماني ان هذه الموافقة بداية طيبة للحوار^(٢٨).

على اثر التدخل المباشر للملك السعودي خالد بن عبد العزيز ال سعود والتصريح الاخير لليمانى بدأت زيارات الوسيط والممثل الشخصي احمد زكي اليماني للملك خالد زيارته المكوكية بين العراق وسوريا^(٢٩). اذ وصل الى بغداد ظهر الاثنين ٢٨ / ٤ / ١٩٧٥ وكان في استقباله في المطار وزير الري العراقي مكرم الطالباى وقد سلم ممثل الملك اثناء زيارته الى بغداد رسالة خطية من الملك خالد بن عبدالعزيز ال سعود الى الرئيس العراقي احمد حسن البكر حثه فيها على بذل الجهود من اجل التوصل الى حل مرضي بين طرفي النزاع العراقي والسوري، كما والتقى اليماني بنائب رئيس مجلس قيادة الثورة العراقي صدام حسين وسلمه رسالة من ولي العهد السعودي الامير فهد بن عبدالعزيز ال سعود وقد حضر اللقاء وزير الري العراقي ووكيل وزير الخارجية العراقي عبدالحسين الجمالي. استمرت اللقاءات من اجل تقريب وجهات النظر^(٣٠). لذلك قام الوسيط السعودي بطرح بيان مكون من خمسة نقاط اساسية تمثل ورقة مشتركة من اجل مناقشتها مع اعضاء الوفدين العراقي والسوري وتضمنت ما يلي:-

- ١- منع النشاطات المعادية بين الطرفين.
 - ٢- استئناف العلاقات من جديد واعادتها الى ما كانت عليه قبل نشوب الازمة بينهما^(٣١).
 - ٣- ايقاف النشاط الاذاعي والصحافي ضد البلدين
 - ٤- ايجاد الحلول الكفيلة التي تقضي الى اقتسام مياه الفرات بين الجانبين العراقي والسوري.
 - ٥- العمل فوراً على حل ضائقة العراق المائية المشكلة الراهنة^(٣٢).
- في اثناء سير المفاوضات بين الوسيط السعودي ووفدي الخلاف العراقي السوري كانت هناك عقبة اساسية وهي كمية المياه التي سوف تطلق عبر الحدود العراقية - السورية اذ طلب الوفد السوري بان تكون كمية المياه ٣٠٠م^٣ بالثانية عند مقابلة الوسيط السعودي لكن رئيس الوفد العراقي رفض وطلب تحديدها ب ٤٥٠م^٣ بالثانية كحد أدني حتى نهاية الموسم الصيفي مع امكانية تعديلته بموجب جدول زمني بعد ان يتم الاتفاق عليه في حال التوصل الى حل مسألة تقسيم المياه^(٣٣). قام الوسيط السعودي بعرض المقترح العراقي على الوفد السوري لذلك طلب رئيس الوفد امهاله بعض الوقت من اجل عرضه على الرئيس السوري حافظ الاسد وبعد انتظار طويل من مساء ٢ / ٥ / ١٩٧٥ حول الرد السوري جاء الوسيط السعودي ليخبر الوفد العراقي بأن الوفد السوري لم يحصل على اي نتيجة من دمشق وعليه فأن الملك السعودي خالد بن عبد العزيز ال سعود سيقوم بالاتصال بالرئيس السوري حافظ الاسد^(٣٤)، وبالفعل جرى اتصال بين الملك خالد ملك المملكة العربية السعودية والرئيس السوري حافظ الاسد اذ الح الملك السعودي على الرئيس السوري بإصرار كبير على ضرورة تحديد كميات المياه التي سوف تطلقها سوريا للعراق بعد الوصول الى حل منطقي لمسألة اقتسام مياه نهر الفرات بين العراق وسوريا لذلك بذل الملك السعودي جهوداً استثنائية محاولاً اقناع الرئيس السوري بحل الخلاف من اجل انقاذ العراق وانتشاله من الضائقة المائية التي تهدد حياة الملايين من سكانه القاطنين على حوض الفرات^(٣٥). لذلك أكد الملك خالد للرئيس السوري حافظ الاسد انه اذا اصرت سوريا على رأيها بعدم الاتفاق مع العراق حول حل

الخلاف فأن السعودية ستسحب وساطتها لكن الرئيس السوري طلب من الملك السعودي ان يبقي وساطته وان يوفد اليه مبعوثه الخاص احمد زكي اليماني من اجل التشاور والتباحث حول هذه المشكلة^(٣٦). بالفعل قام وزير البترول والثروة المعدنية السعودي احمد زكي اليماني الوسيط السعودي والمبعوث الشخصي للملك خالد بن عبدالعزيز بزيارة كل من العراق وسوريا، اذ وصل الى بغداد بتاريخ ٦ / ٥ / ١٩٧٥ والتقى بالرئيس العراقي احمد حسن البكر في مكتبه بالقصر الجمهوري، بعد ذلك غادر العراق في مساء نفس اليوم متوجهاً الى سوريا بناءً على طلب الرئيس السوري، وقد صرح اليماني في المطار قبل مغادرته بغداد ان زيارته هي جزء من الجهود التي تبذلها المملكة العربية السعودية لأجل تقسيم مياه نهر الفرات قسمة دائمية بين العراق وسوريا^(٣٧).

تابعت المملكة العربية السعودية جهودها من اجل حل الخلاف العراقي المائي العراقي السوري حيث ان السعودية بذلت كل الجهود من اجل انهاء المشكلة فبعد زيارة اليماني الى دمشق زار وزير الخارجية السوري عبد الحليم خدام الرياض في ٢ حزيران ١٩٧٥ وكذلك سافر الوسيط السعودي احمد زكي اليماني الى بغداد من اجل الوقوف على اخر مستجدات المشكلة وابلاغ الجانب العراقي بأخر ما توصل اليه مع الجانب السوري^(٣٨). بعد ذلك سافر وفد سعودي برئاسة ولي العهد النائب الاول لرئيس الوزراء وزير الداخلية الامير فهد بن عبد العزيز ال سعود يرافقه الشيخ احمد زكي الى سوريا تتعلق بالموضوع ذاته وفي اعقاب هذه الزيارة اذاع راديو دمشق في اليوم التالي موافقة الحكومة السورية على إطلاق كميات من مياه نهر الفرات الى العراق تقديراً للوساطة والجهود الكبيرة التي قامت بها المملكة العربية السعودية في حل الخلاف بالرغم من كون هذا البيان لم يحدد كميات المياه المطلقة^(٣٩).

ان حجم كميات المياه المطلقة من الجانب السوري جاءت بعد فوات الاوان اذ انتهى الموسم الصيفي وتكبد العراق اضراراً وخسائر اقتصادية كبيرة على الرغم من محاولة سوريا كسب ود الجانب السعودي الا ان سوريا اعلنت ان المياه المطلقة من نهر الفرات للعراق هي من مياه سوريا الخاصة وان ما قدمته للعراق من هذه المياه هو فقط من اجل مساعدة السكان القاطنين على حوض الفرات^(٤٠).

انتهى الخلاف العراقي السوري حول تقسيم مياه نهر الفرات بعد الاعلان عن تسوية الخلاف في العاصمة السعودية الرياض بفضل المساعي الحميدة التي قامت بها لذلك قرر مجلس جامعة الدول العربية في دورته العادية الرابعة والستين المنعقدة بالقاهرة بالموافقة على توصيات لجنة الشؤون السياسية بتاريخ ٢٠ / ١٠ / ١٩٧٥ التي تفيد بتقديم الشكر والتقدير لحكومة المملكة العربية السعودية والتأكيد والترحيب باستمرار وساطتها لتسوية اي مسائل معلقة بين العراق وسوريا حول مياه نهر الفرات، يعد الموقف والدور الذي قامت به المملكة العربية السعودية دوراً مميزاً في حل الخلاف العراقي السوري حول تقسيم مياه نهر الفرات اذ بذلت السعودية جهوداً كبيرة في رأب الصدع وتقريب وجهات النظر العراقية السورية وقد تكلفت جهود المملكة العربية السعودية بالنجاح^(٤١).

هكذا استطاعت المملكة العربية السعودية ان تسطر دوراً مهماً في حل خلاف شائك دقت طبول الحرب فيه ووصلت الامور الى اقصى حد لكن الوساطة السعودية ودور الوسيط السعودي وقوة تأثيره في سير المفاوضات ادى الى انتهاء الخلاف المائي العراقي السوري^(٤٢).

أذ نجحت الوساطة السعودية في حل الخلاف المائي العراقي السوري بعقد الاجتماعات بالعاصمة السعودية الرياض وانتهت تلك الاجتماعات بحل الخلاف وكان تعبيراً صادقاً عزز من مكانة المملكة العربية السعودية وقد أكد الملك السعودي الملك خالد بن عبد العزيز على دعم ومساندة العرب اذ قال " ان المملكة العربية السعودية تعتبر نفسها سنداً لكل عربي وفي خدمة كل عربي وهي تهدف الى التعاون والتضامن والاخاء"^(٤٣).

الخاتمة:

تتبع اهمية هذه الوساطة التي قامت بها المملكة العربية السعودية الى انها استطاعت تقريب وجهات النظر بين العراق وسوريا حول نهر الفرات واستطاعت انتهاء خلاف غير مألوف على الساحة العربية وان تخمد نار كادت ان تحرق الاخضر واليابس بعد ان دقت طبول الحرب بسبب التحشيدات العسكرية الكبيرة

على حدود البلدين على الرغم من ان انتهاء الخلاف العراقي السوري جاء بعد فوات الاوان وانتهى الموسم الزراعي لكن هذه الخطوة من الخطوات الايجابية التي تحسب للمملكة العربية السعودية.

توصل الباحث الى عدد من النتائج وكما يأتي:

١- على الرغم من الاتفاقيات والمعاهدات المائية المعقودة بين العراق والدول المتشاطئة على نهر الفرات سوريا وتركيا الا هذه الدول لم تحترم تلك الاتفاقيات فحسب كلام وزير الري العراقي مكرم الطالباني فأن أصل الخلاف قديم يرجع الى سنة ١٩٦٢ لكن هذا الخلاف لأثير بشكل متعمد سنة ١٩٧٥ ظاهر الخلاف مائي لكن حقيقة الخلاف سياسي بحت.

٢- على الرغم من نظام الحكم في كل من العراق وسوريا كان بقيادة حزب البعث العربي الاشتراكي لكن يدل هذا على هشاشة علاقة النظامين العراقي والسوري مما ادى الى ان يستغل من قبل تركيا.

٣- لقد عززت وساطة السعودية في حل الخلاف المائي العراقي - السوري من مكانتها الدولية لما نالتة مساعيها والدور المميز الذي قام به الملك السعودي خالد بن عبد العزيز ال سعود وممثله وزير البترول والثروة المعدنية احمد زكي اليماني في حل هذا الخلاف.

٤- كان للوساطة السعودية دوراً مهماً ومتميزاً في التقارب في العلاقات العراقية السعودية اذ حرص الطرفان على المحافظة على تلك العلاقة وتعزيزها وكان لتولي الملك خالد حكم المملكة العربية السعودية دوراً مميزاً في تحسين تلك العلاقة اذ كان العراق مرحباً بتلك الوساطة.

٥- من جانب اخر كانت الجمهورية السورية مرحبة بالوساطة السعودية في حل الخلاف على الرغم من الحذر السوري في اثناء سير المفاوضات ودليل الترحيب السوري بالوساطة السعودية عندما ابلغت السعودية الجانب السوري انها سوف تسحب وساطتها رفضت سوريا.

الهوامش:

- (١) - الحرب العالمية الاولى: ازداد الانقسام داخل أوروبا حول عدد كبير من القضايا والمصالح الشائكة التي لم يتفق جميع الاطراف على حلها سلمياً لذلك ازدادت حدة المنافسة بين الدول وخاصةً من ناحية التسليح والاستعدادات العسكرية وفرض التجنيد الاجباري لذا كانت الامور في أوروبا تجري نحو التصعيد وكانت بحاجة الى الشرارة التي تشعلها فكانت مسألة اغتيال ولي عهد النمسا (الارشيدوق فرديناند) اثناء زيارته للبوسنة وتداعياتها كافية لإشعال الحرب بين الدول الاوربية الكبرى على الرغم من ضآلة الحدث لكن نتائجه كانت كارثية اذ لم تمضي ايام على الاغتيال حتى بدأت الدول بإعلان التعبئة العامة ومن ث اعلان الحرب في ٢ اب ١٩١٤ واستمرت هذه الحرب الكونية اربعة سنوات، وانتهت الحرب بتوقيع الهدنة وايقافها في ١١ تشرين الثاني ١٩١٨. للمزيد ينظر:- موسى محمد ال طويرش، العالم المعاصر بين حربيين من الحرب العالمية الاولى الى الحرب الباردة ١٩١٤- ١٩٩٠، ط٢، دار اينانا للطباعة، بيروت، ٢٠١٣، ص٢٧ص٣٧.
- (٢) - قيس فاضل محمد عبدالله النعيمي، العلاقات العراقية - السورية ١٩٥٨- ١٩٦٨ (دراسة تاريخية)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة الموصل، ٢٠٠٥، ص١٩١.
- (٣) - علي حسين صادق، حقوق العراق المكتسبة في مياه نهر الفرات، رسالة ماجستير منشورة، كلية القانون والسياسة، جامعة بغداد، ١٩٧٦، ص٧٩.
- (٤) - معاهدة لوزان الثانية: تسمى بهذا الاسم تمييزاً عن معاهدة لوزان الاولى، عقدت معاهدة لوزان الثانية في ميناء أوشي جنوب مدينة لوزان سنة ١٩٢٣ جرى على اثر عقد هذه المعاهدة وضع الاناضول (القسم الاسيوي من تركيا الحالية) وتراقيا (القسم الاوربي من تركيا الحالية) تحت سيطرة الدولة العثمانية وذلك من خلال الغاء معاهدة سيفير التي وقعتها الدولة العثمانية مع الدول الاوربية نتيجة حرب الاستقلال التركية بين قوات الحلفاء والجمعية الوطنية العليا (الحركة القومية التركية) بقيادة مصطفى كمال اتاتورك والتي قادت الى اعتراف دولي بالجمهورية التركية التي ورثت الامبراطورية العثمانية. للمزيد ينظر:- سيار الجميل، العثمنا الجديدة القطيعة في التاريخ الموازي بين العرب والاتراك، المركز العربي للأبحاث والطباعة، بيروت، ٢٠١٥، ص٦٦.
- (٥) - قيس فاضل محمد عبدالله النعيمي، المصدر السابق، ص١٩١.
- (٦) - فراس عبدالجبار الربيعي، أثر المشاريع الخزنية و الاروائية في سوريا على الأمن المائي العراقي، بحث منشور، مجلة كلية التربية الاساسية، جامعة بابل، العدد ١٢، ٢٠١٣، ص٣٦.

- (٧) - غدير محمد سجاد عبدالله العبيدي، الأمن المائي العربي والتحديات الاقتصادية والسياسية دراسة مستقبلية لحوضي دجلة والفرات، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم السياسية، جامعة صدام، ٢٠٠٢، ص ٨١.
- (٨) - المصدر نفسه، ٨٢.
- (٩) - انور عبد الزهرة شلش العتابي، الموارد المائية في العراق بين تحدي السياسات وفرص الاستدامة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الادارة والاقتصاد، الجامعة المستنصرية، ٢٠١٤، ص ٣٢.
- (١٠) - اتفاقية الصداقة - ٢٩ / ٣ / ١٩٤٦: وهي الاتفاقية التي عقدت بين العراق وتركيا بشأن تنظيم والانتفاع من الانهار الدولية وكذلك هي اتفاقية صداقة وحسن جوار كان الهدف الاساسي من عقد هذه الاتفاقية استخدام نهر الفرات وكذلك تنظيم موارده وإزالة الاخطار المحدقة به المتمثلة بسوء الاستخدام والاستغلال الغير جيد للنهر. للمزيد ينظر: - احمد نوري النعيمي، العلاقات العربية التركية، دار امجد للطباعة والنشر، عمان، ٢٠١٧، ص ٣٠٨.
- (١١) - سامر مخيمر، خالد حجازي، أزمة المياه في المنطقة العربية، عالم المعرفة للطباعة، الكويت، (د-ت)، ص ٩٥.
- (١٢) - علي حسين صادق، المصدر السابق، ص ٢٠٢.
- (١٣) - سلمان علي حسين، المياه في العلاقات العراقية التركية، بحث منشور، كلية الفنون الجميلة، جامعة بغداد، العدد ٥٩، ٢٠١٩، ص ٤.
- (١٤) - سد الطبقة: وهو من أكبر المشاريع الخزنانية السورية انشأ على نهر الفرات سنة ١٩٧٤ يبلغ ارتفاعه ٥٩م وعرضه ٦٠م بطول ٤٥٠٠م وبسعة تخزينية تبلغ ١٤ مليار م^٣ وينتج هذا السد طاقة كهربائية تقدر ٢٥٠٠مليار كيلو واط تمثل ٤٥% من احتياجات سوريا من الكهرباء كلف بناء السد مليار دولار وكذلك يهدف المشروع الى ارواء ٦٨٠ الف هكتار واستصلاح ٦٤٠ الف هكتار. للمزيد ينظر: - داليا اسماعيل محمد، المياه والعلاقات الدولية، مكتبة مدبولي للطباعة، القاهرة، ٢٠٠٦، ص ٥٦.
- (١٥) - المصدر نفسه، ص ٦٧.
- (١٦) - ريان ذنون محمود العباسي، الخلاف العراقي السوري المائي حول نهر الفرات والوساطة السعودية، بحث منشور، مجلة الدراسات الاقليمية، كلية التربية، جامعة الموصل، العدد ٤٢، ٢٠١٩، ص ١١.
- (١٧) - جريدة الجمهورية، بغداد، العدد ٢٣١٤، الثلاثاء / ٢٢ / ٤ / ١٩٧٥.
- (١٨) - جريدة الجمهورية، بغداد، العدد ٢٣١٥، الاربعاء / ٢٣ / ٤ / ١٩٧٥.
- (١٩) - المصدر نفسه.

- (٢٠) - المصدر نفسه.
- (٢١) - جريدة الثورة، بغداد، العدد ٢٠٩٢، الاربعاء / ٤ / ٦ / ١٩٧٥.
- (٢٢) - مكرم الطالباني: ولد مكرم جمال الطالباني سنة ١٩٢٣ في قضاء كفري التابع آنذاك لمحافظة كركوك درس القانون في كلية القانون جامعة بغداد وتخرج منها سنة ١٩٤٦ عمل بعدها في المحاماة في كركوك اصبحت عضواً في الحزب الشيوعي عندما كان طالباً في كلية الحقوق اعتقل مرات عدة في العهد الملكي وبعد انقلاب تموز ١٩٥٨ عين مفتشاً في وزارة الزراعة حتى اعتقاله بعد الاطاحة بحكم عبدالكريم قاسم ١٩٦٣ تولى اول منصب وزاري في ١٤ ايار سنة ١٩٧٢ في الوزارة التي شكلها الرئيس احمد حسن البكر وظل في منصبه في الوزارة الثانية التي شكلها البكر في ١١ تشرين الثاني ١٩٧٤ استقال من الوزارة في ١٠ ايار ١٩٧٥ ليستقر بعد ذلك في السليمانية دون اي دور سياسي. للمزيد ينظر:- حسن لطيف، موسوعة العراق السياسية، ط٢، شركة العارف للطباعة، بيروت، ٢٠١٣، ص٥٩٣ ص٥٩٤.
- (٢٣) - جريدة الثورة، العدد ٢٠٩٢، المصدر السابق.
- (٢٤) - الدار العربية للوثائق، ملف العالم العربي، سوريا العلاقات الخارجية العلاقات مع العراق، وثيقة رقم ١٢٥٩، ٢٤ / ٤ / ١٩٧٩.
- (٢٥) - حسين حافظ وهيب، مجلة الدراسات السياسية، العلاقات العراقية - السعودية، بحث منشور، السنة السادسة، العدد ١٣، دار الحكمة، بغداد، ٢٠٠٨، ص٥٢.
- (٢٦) - ريان ذنون محمود العباسي، المصدر السابق، ص٢٥.
- (٢٧) - ريان ذنون محمود العباسي، المصدر السابق، ص٢٥.
- (٢٨) - مطيع النونو، مجلة اليمامة، المشكلة في الطريق الى الحل، مجلة اليمامة، السنة السابعة عشر، العدد ٨٤٧، لبنان، ١٩٧٥، ص٤١.
- (٢٩) - محمد جاسم محمد، العلاقات العراقية الخليجية ١٩٥٨ - ١٩٧٨، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية القانون والسياسية، جامعة بغداد، ١٩٨٠، ص٤٦٦ ص٤٦٧.
- (٣٠) - BAGHDAD, OBSERVER, BAGHDAD, VOL, V NO 2194, Tuesday, April/ 29/ 1975.
- (٣١) - ريان ذنون محمود العباسي، المصدر السابق، ص٢٩.
- (٣٢) - المصدر نفسه.
- (٣٣) - علي حسين صادق، المصدر السابق، ص٣٦٣.

- (٣٤) - حافظ الاسد ١٩٣١ - ٢٠٠٠: ولد في قرداحة قرب اللاذقية سنة ١٩٣١ اصبح عضواً قيادياً في التشكيلات العسكرية لحزب البعث العربي الاشتراكي منذ عام ١٩٦٠ وقائداً للقوة الجوية بعد حركة ٢٣ اذار ١٩٦٣ اصبح وزيراً للدفاع عقب حركة ٢٣ شباط ١٩٦٦ اقام بحركة تصحيحية مهمة في سوريا ففي تشرين الاول ١٩٧٠ ابعث صلاح جديد وجماعته وأودعهم السجن انتخب رئيساً للجمهورية السورية في اذار ١٩٧١ وادخل سوريا الى اتحاد الجمهوريات عمل على التنسيق مع السادات في حرب تشرين ١٩٧٣ لكنه عارض اتفاقية كامب ديفيد شارك في تكوين (جبهة الصمود والتحدي) اما على الصعيد الداخلي اهتم بالبلد ودعم القطاع الخاص بشكل كبير. للمزيد ينظر:- عبد الوهاب الكيالي، الموسوعة السياسية، ج ٢، دار الهدى للطباعة، بيروت، ٢٠١٣، ص ١٥١ ص ١٥٢.
- (٣٥) - علي حسين صادق، المصدر السابق، ص ٣٦٣.
- (٣٦) - ريان ذنون محمود العباسي، المصدر السابق، ص ٣٢،
- (٣٧) - المصدر نفسه، ص ٣٢.
- (٣٨) - الدار العربية للوثائق، ملف العالم العربي، رقم الوثيقة ١٢٥٩، المصدر السابق.
- (٣٩) - ريان محمود ذنون العباسي، المصدر السابق، ص ٣٢.
- (٤٠) - صادق علي حسين، المصدر السابق، ص ٣٦٥.
- (٤١) - انتصار محي الدين محمود داوود، دور المياه في الصراع العربي التركي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدراسات الاقتصادية والاجتماعية، شعبة العلوم السياسية، جامعة الخرطوم، ٢٠٠٥، ص ٥٧.
- (٤٢) - مصطفى النحاس جبر، ال سعود من القبيلة الى الدولة، دار الكاتب للطباعة، القاهرة، ١٩٨٦.
- (٤٣) - نوال الخياط، الملك خالد بن عبدالعزيز ال سعود دراسة تاريخية وحضارية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية والدراسات الاسلامية، جامعة ام القرى، ٢٠٠٣، ص ٤٥.

الذاكرة الانفعالية لدى طلبة الجامعة

أ.د. عبد العزيز حيدر الموسوي

الباحث حيدر قيصر الفتلاوي

كلية التربية/ جامعة القادسية

المقدمة:

استهدف البحث التعرف إلى :

١- الذاكرة الانفعالية لدى طلبة الجامعة .

٢- الفروق في الذاكرة الانفعالية لدى طلبة الجامعة تبعاً لمتغيرات (النوع - التخصص).

وقد تحدد البحث بطلبة جامعة القادسية للتخصص العلمي والإنساني من الذكور والإناث وللصفوف الثانية والرابعة للدراسة الصباحية، للعام الدراسي (٢٠١٣ - ٢٠١٤).

ولتحقيق أهداف البحث فقد عمد الباحثان إلى بناء مقياس الذاكرة الانفعالية بالاعتماد على نظرية "دولكوس وكابيزا"، وبعدما تم التحقق من الخصائص السايكومترية للمقياس اتضح انه يتكون من (٤٠) فقرة موزعة بشكل متساوٍ على اتجاهين: أولهما الاتجاه السلبي، وثانيهما الاتجاه الايجابي، بعد ذلك تم تطبيق المقياس على عينة البحث الاساسية البالغ قوامها (٤٠٠) طالباً وطالبة من جامعة القادسية، تم اختيارها بالطريقة العشوائية الطبقية على وفق الأسلوب المتناسب.

وبعد جمع البيانات ومعالجتها إحصائياً بالاستعانة بالحقيبة الإحصائية للعلوم الاجتماعية (SPSS) توصل البحث إلى نتائج عديد وطبقاً لما جاء فيها خرج بجملة من التوصيات والمقترحات.

الفصل الاول: التعريف بالبحث:

● مشكلة البحث:

إن دقة الذكريات الانفعالية تعتمد بدرجة كبيرة على دقة التقويم المعرفي لها، فان الضعف في قدرة الأفراد على أدراك المعلومات ومعالجتها قد تؤدي إلى سطحية التمثيل المعرفي للمعلومات من قبل الطلبة، ومن ثم صعوبة استيعابها والاحتفاظ بها وإعادة استرجاعها وتوظيفها على نحو فعال. (سوسا، ٢٠٠٦: ١٤٠)

ويفسر ذلك علم النفس المعرفي إذ يرى ان التحدي الحقيقي الذي يجب مواجهته يتمثل في أخطاء الذاكرة الانفعالية التي تؤثر على صحة ما يتذكره الفرد، حيث يشكو العديد من الافراد عامة والطلبة خاصة من الضعف في قدرتهم على تذكر ما تم تعلمه، فالمتعلم يميل حينها الى تذكر بعض التفاصيل ونسيان البعض الاخر، مما يؤدي الى التأخر الملحوظ في التحصيل في الوقت الذي يمثل فيه التحصيل الاكاديمي معياراً للأخذ بتفوق الطلبة وتدني مستوياتهم، (Kellogg, 1995: 98)، وهذا ما اكدته دراسة (Macleod, 149-135: 2002)، ودراسة (Honeck, 1998:1-5)، وقد جاء هذا البحث بوصفه محاولة للتعرف على الذاكرة الانفعالية لدى طلبة الجامعة وعبر الاجابة على التساؤل الآتي :

-ما الذاكرة الانفعالية لدى طلبة الجامعة؟

• أهمية البحث:

فضلاً عن ذلك فقد أشار هايز (Hayes, 1994)، الى أن موضوع الذاكرة يحتل مكانة هامة لدى المختصين بالدراسات النفسية لارتباطها بمعظم الأنشطة النفسية التي يقوم بها الأفراد، فالاهتمام بها شكل محور الدراسات والتجارب العلمية منذ بداية ظهور علم النفس كحقل مستقل، وتمثل الذاكرة ذلك النظام النشط الذي يقوم على استقبال المعلومات وترميزها وتنظيمها وتخزينها واسترجاعها، وهي نظام دينمي يتأثر بجملة عوامل فسيولوجية ومعرفية تشتمل على خبرات الماضي والحاضر وخطط المستقبل .

ويؤكد بادلي (Baddeley, 1999) بأن الذاكرة تمتاز من حيث تنوع العمليات التي تتضمنها، وتلعب دوراً هاماً في مختلف مجالات السلوك الإنساني (الأكاديمي والاجتماعي والحركي واللغوي والانفعالي)، فهي بمثابة أحد الأعمدة الأساسية في عمليات التعلم والإدراك والتفاعل مع البيئة المادية والاجتماعية، إذ ان

الخلل فيها يسبب ضعفاً في مثل هذه العمليات. (الزغول والهنداوي، ٢٠٠٤ : ٢٤٧)، إذ إن أحداث الخبرات المشحونة انفعالياً (السلبية أو الايجابية)، يسهل تذكرها أكثر من الخبرات المحايدة، وهذا ما دعا العلماء إلى القول بوجود ذاكرة انفعالية، حيث تزداد حدة الذاكرة حين التعرض للإثارة الانفعالية الشديدة بحيث يتذكرها الفرد معلومات وتفصيلات تفوق ما يتذكره في الظروف العادية. (عبدالله، ٢٠٠٣ : ١٥ - ٤١)، كما يشير بابيز (Bapez) إلى أن الخبرات الانفعالية التي يتعرض لها الفرد تستقر في القشرة لتكون أساساً لمعلوماتي خبروي انفعالي الذي يتم الاعتماد عليه في الاستجابة اللاحقة لموضوع الانفعال نفسه، وبالتالي فإن هذه الذكريات تستعيد شكلها الانفعالي الحسي عندما تصادف مواقف مشابهة أو عندما يتم استحضارها في أذهاننا، ويرى بابيز أن أهمية ذلك يكمن في كونه يمثل المخزون المعرفي القشري للانفعال، وهذا المخزون الخبروي الانفعالي دائم التطوير والتعديل مع كل ما يستجد من خبرات لها علاقة بذلك الموضوع المثير للانفعال. (Spencer, 2005: 316)، وقد أوضح العديد من الباحثون في مجال الذاكرة إلى أن المعلومات تخزن وتستعاد وهي محملة بطابعها الانفعالي في أثناء استلامها، فالأفراد لا يستعيدون المعلومات مجردة من شحنتها الانفعالية، فأنهم يستحضرونها مستشعرين بالانفعال الذي يميزها، وهو ما يثير الدافع للقيام بالسلوك المترتب على ذلك الانفعال المستعاد بشكل ايجابي أو سلبي، وبالتالي فإنه يجد نمطاً جديداً من الذاكرة يصطلح عليه الذاكرة الانفعالية. (أبو رياش، ٢٠٠٧ : ٣٥٥)

فالذاكرة الانفعالية تتضمن استرجاع معلومات مرتبطة بانفعالات إيجابية أو سلبية، مثل خبرات الخوف، أو الخبرات المؤلمة، ويتمثل مضمون الذاكرة الانفعالية أيضاً في الحالات الانفعالية التي اقترنت بمواقف سابقة، وفي هذا النوع من الذاكرة يسترجع الفرد الماضي مصحوباً بانفعالات معينة، مثل شعور الفرد بالخوف إزاء مثيرات معينة تذكره بخبرة مؤلمة عاشها فالخبرات التي يتم الاحتفاظ بها لها تأثير كبير على التفاعل مع المواقف التعليمية اللاحقة، فقدرة الفرد على التذكر تجعله نشطاً في مواقف الحياة، وهذا يخلق حالة من التفاعل والتواصل مع الآخرين في المواقف الاجتماعية، و في الوقت نفسه يؤثر في الانطباع الذاتي ورؤية

الفرد لنفسه، فالقصور في الذاكرة يؤثر على تفاعل الخبرة الحالية مع الخبرة السابقة، كما يؤثر في فاعلية التواصل مع الموقف التعليمي أو الموقف الاجتماعي، وهذا التطور في المؤسسة التعليمية يشعر الطلبة بأنهم أدنى من أقرانهم الآخرين وخاصة عندما يكون النمط التقليدي هو الذي يعتمد الحفظ والاسترجاع الصم قد يخلق موقفاً سلبياً عند المتعلمين .

(توق، وآخرون، ٢٠٠٣ : ٣٥٥)، (الرحو، ٢٠٠٥ : ١٤٣-١٤٤)

• أهداف البحث :

يستهدف البحث الحالي التعرف على :

١- الذاكرة الانفعالية لدى طلبة الجامعة .

٢- الفروق في الذاكرة الانفعالية لدى طلبة الجامعة تبعاً لمتغيرات (الجنس- التخصص) .

• حدود البحث :

يتحدد البحث الحالي على طلبة جامعة القادسية للدراسات الصباحية وللتخصص (الإنساني والعلمي) من الصفوف الدراسية (الثانية والرابعة) للدراسة الصباحية، ومن (الذكور والإناث) للعام الدراسي (٢٠١٣-٢٠١٤) .

• تحديد المصطلحات :

أولاً : الذاكرة الانفعالية (Emotional Memory) :

يعرفها كل من :

١- كراننت (Grant, 2005)

القدرة على تمييز المثيرات الانفعالية والاستجابة لها بشكل يتناسب مع ما اقترن بها من معلومات عاطفية . (Grant, 2005 : 4)

٢- سميث وآخرون (Smith&et al, 2006)

وتعني القدرة على استدعاء الأحداث العاطفية من خلال التأثير بسياق الموقف الانفعالي الحالي ذو الصلة بالمعلومات ذات القيمة العاطفية المرتبطة بمواقف مشابهة للموقف الحالي . (Smith&et al, 2006 : 631-638)

٣- دولكوس وكابيزا (Dolcos&Cabiza, 2006)

هي قدرة معرفية تتطلب استدعاء الذكريات المقترنة بالمشاعر التي تثيرها خصائص الموقف الحالي المشابهة للموقف الأصلي وذلك من خلال العودة إلى المرحلة الماضية بكل تفاصيلها الخاصة بذلك الموقف من فرح او حزن او خوف او غضب او اشمئزاز ووفقاً للتعزيزات الناشئة عن القيمة الانفعالية لموضوع الخبرة المستدعاة . (Dolcos&Cabiza, 2006 : 252)

التعريف النظري

تبنى الباحثان تعريف دولكوس وكابيزا (Dolcos&Cabiza, 2006)، للذاكرة الانفعالية المعدل من قبل (سلمان، ٢٠١٣) تعريفاً نظرياً وذلك لشموليته، ولكونه اعتمد في بناء مقياس الذاكرة الانفعالية على الإجراءات المستخدمة من قبلهما من ناحية أخرى .

التعريف الاجرائي للذاكرة الانفعالية

" الدرجة التي يحصل عليها الطالب أو الطالبة الجامعية على مقياس الذاكرة الانفعالية الذي تم بناءه في هذا البحث " .

الفصل الثاني: المدخل النظري:

• الذاكرة الانفعالية

لقد تم تصنيف الذاكرة الانفعالية وفقاً لأوائل التصنيفات التي ظهرت لأنظمة الذاكرة، الى ذاكرة انفعالية (ايجابية او سلبية)، ولكن عندما قام العلماء بمراجعته التصنيفات التي تم وضعها، استطاعوا تحديد بعض المواقف التي تتطلب استخدام ذاكرة انفعالية ايجابية او سلبية، وفي كلتا الحالتين، فان اللوزة تشارك بقوة في

معالجة المعلومات والذكريات المرتبطة بالانفعالات . فهناك أنواع من التجارب التي نمر بها قد يتم تخزينها في بعض الأحيان على أنها مجرد ملخص لمجموعه من الأحداث المرتبطة بانفعالاتنا، بمعنى أننا عندما نتذكرها، نحن لا نتذكر سوى نتاج مشاعرنا تجاهها سواء أكننا نحبها أم نبغضها، والشئ نفسه يحدث مع الطلاب، فهم عادة ما يستطيعون تذكر ما إذا كانوا يحبون موضوعا ما أم لا، إلا أنهم لا يستطيعون تذكر الكثير من تفاصيل هذا الموضوع . (سوسا، ٢٠٠٦ : ١٤٠)

وهذا يعود إلى ان الدماغ يقوم بتقويم الذكريات الانفعالية ودرجة اهميتها، وبالتالي الاحتفاظ بها، وبشكل يجعل هذا النوع من المعلومات يمتلك القابلية على العودة أو استرجاعه من قبل الشخص بشكل دقيق، ومن هنا يمكن القول ان دقة الذكريات الانفعالية تعتمد بدرجة كبيرة على دقة التقويم المعرفي لها حيث نجد ان الموضوع المهم يحتل مكاناً مهماً في حياة الفرد مما يجعل الاستجابة له بشكل ايجابي أكثر من الموضوعات المحايدة او غير المهمة . (Sharot, 2005:1)

• الأنموذج الفسيولوجي للذاكرة الانفعالية

يؤثر الانفعال على الذاكرة فيما يختص بالحوادث التي تتم أثناء فترة الانفعال، حيث تتوالد الانفعالات اذا توالى دون ان تنتهي المواقف المسببة لها، وتستمر التغيرات الفسيولوجية المصاحبة لها مما يؤدي الى تغيرات عضوية في الأنسجة . (الجاموس، ٢٠١٣ : ٨٦)

فقد اشار أصحاب هذا الأنموذج إلى الدور الرئيس الذي تؤديه أجزاء الجهاز الحوفي (Limbic System) في تنظيم كل الفعاليات المتعلقة بالذاكرة والانفعالات المصاحبة لها حيث تشير الدراسات إلى إن نشوء الطبقة الرئيسة للعقل الانفعالي كان مع ظهور الثدييات الأولى، وهي عبارة عن طبقات عصبية ملتقة حول جذع المخ تشبه عمامة صغيرة بأسفلها تجويف صغير يستقر فيه الجذع. ولان هذا الجزء يلتف ويحيط بجذع المخ أطلق عليه الجهاز الحوفي (Limbic System) وهو مشتق من الكلمة اللاتينية (Limbus) بمعنى الدائرة، والجهاز الحوفي (Limbic System) هو المسؤول عن انفعالاتنا وعواطفنا وهو الذي يتحكم

فينا حين تسيطر علينا انفعالات الغضب والخوف والشهوة والحزن وسائر العواطف الأخرى وهو عند الإنسان

أكثر تطوراً وفاعلية بحيث تخطت فعاليته إلى الذاكرة، ويضم الجهاز الحوفي جزئين عصبين هما:

١- النتوء اللوزي (Amygdale) : وهو المكان المخصص في المخ للاحتفاظ بالمشاعر، ويعد مخزن الذاكرة الانفعالية واسمه مشتق من الكلمة اليونانية (Almond) ويبدو على شكل لوزتين تتكون من تراكيب عصبية متداخلة تقع اعلى جذع المخ بالقرب من قاعدة الدائرة الحوفية، وفي المخ نتوان لوزيان واحد في كل من جانبي المخ باتجاه طرفي الجمجمة، وحجمه عند الإنسان كبر من حجمه عند بقية الثدييات.

٢- قرن آمون (The hippocampus) : يلعب دوراً هاماً في تخزين المعلومات في الذاكرة، ويشبه في تركيبه حسان البحر . (جولمان، ١٩٩٠: ٣١-٣٧)

اما من الجانب الجيني فهناك جين واحد يمكن أن يؤثر على مدى تذكرنا للحوادث الانفعالية (الإيجابية أو السلبية)، هذه خلاصة بحث قام به أخصائيو أعصاب، وأظهرت النتيجة التي يمكن ان تساعد في البحث عن علاج من يعانون من الصدمات الناتجة عن ذكريات مؤلمة فان هؤلاء الاشخاص الذين يملكون النسخة المتغيرة من الجين، لديهم قدرة زائدة على تذكر الأحداث الانفعالية أكثر من أولئك الذين يملكون النسخة العادية والأكثر انتشاراً. الجين محل البحث والمسمى (ADRA2B)، الذي يعتبر المسؤول عن عمل بعض المواد الكيميائية المرتبطة بالنشاط الانفعالي في الجسم حسب الدراسة، هذا الجين له تأثير على الذاكرة الانفعالية، وليس على أي من الذاكرة أو الانفعال منفردتين، أي ما مدى كون الحادثة قد أثارت انفعال الشخص سواء السلبية أو الإيجابية، وبالتالي فهي لا تؤثر على تذكر الحوادث الخالية من الانفعال . (Quervain, D. et al,2007,10)

• النظريات المفسرة للذاكرة الانفعالية :

١- نظرية دولكوس وكابيزا (Dolcos & Cabeza, 2006) :

لقد توصل كل من دولكوس وكابيزا (Dolcos & Cabeza) الى ان الذكريات الانفعالية المليئة بالأحداث العاطفية سواء كانت ذكريات انفعالية ايجابية او سلبية، تدوم أكثر من غيرها، ويمكن أن تستدعى بسهولة وسرعة، ومن الاسباب التي تقود بالأحداث الانفعالية الى تذكر افضل من الاحداث اللانفعالية، هو أن الارتباطات العصبية في الذاكرة تعزز وتقوى في حالة وجود تأثيرات انفعالية، وتترك آثار تزول بسرعة في حالة وجود مثير غير مهم، وكذلك فقد أكد دولكوس وكابيزا على دور اللوزة وحصان البحر اللذان يعتبران مسؤولان على عملية التخزين والاستدعاء الناجح . (Dolcos & Cabeza, 2006: 263)

وقد اشار دولكوس (Dolcos, 2006) الى ان الفئة العمرية التي ينتمي اليها الطلبة في المرحلة الجامعية تكون زاخرة بالمشاعر الايجابية اكثر من السلبية مما يجعلهم قادرين على تنظيم انفعالاتهم بصورة أكثر ايجابية ومقاومة الضغوط اليومية العادية او غير العادية وبشكل مستمر لتحقيق الاهداف المستقبلية، كما ان طبيعة تعاملهم مع المشكلات الدراسية تتيح لهم نوعاً من المرونة الايجابية للتوسع في وضع عدة حلول مقترحة للموقف المشكل، وأوضح أن الإناث يتفوقن على الذكور في القدرة على التذكر الانفعالي، وقد يعود ذلك إلى أن ما لدى الإناث من أحاسيس مرهفة تمكنهن من استشعار أي موقف ذو محتوى انفعالي وأن بدى خال من الانفعال، وهذا كفيلاً بتكوين خزين من الذكريات الانفعالية السارة وغير السارة التي من الممكن أن تنتقل أو تقترن مصاحباتها الانفعالية من جديد بمواقف شبيهة لاحقاً، كما أن الميول الأنثوية في البحث عن المواضيع المشحونة عاطفياً تعزز مثل تلك الذكريات، بينما يميل الذكور الى تذكر المواضيع ذات المحتوى الانفعالي الحاد فقط والابتعاد عن الاهتمام بغير ذلك من تفاصيل الحدث الانفعالي، وهذا ما اكدته دراسات عديدة منها دراسة كل من ماركوس (1 : 2002، Marcus)، ودراسة تورهان (2002، Turhan) (3-1 : ودراسة جون وآخرون (2-1 : 2006، Juhn & et al) .

كما يشير دولكوس إلى أن طلبة الأقسام الإنسانية يتفوقون على طلبة الأقسام العلمية في القدرة على التذكر الانفعالي، وقد يعود ذلك إلى تعود طلبة الاختصاصات العلمية على مواجهة المواقف الانفعالية بهدوء

مقارنة بطلبة الاختصاصات الإنسانية، لأنهم قد عرفوا بالتجربة أن شدة الانفعال تعيق عملية حل المشكلات التي تواجههم، وعليه فهم يولون أهمية إلى مسألة استقرار الوضع الانفعالي والتماسك أثناء مقابلة مشكلات صعبة الحل، وبالتالي فإن تنمية هذا السلوك جعلت من الهدوء الانفعالي خاصية مهمة لديهم لابد وأن تتوفر كي يتم حل المشكلات المستعصية، كما أن بعض الاختصاصات العلمية تدرس المناهج البيولوجية بحيث تجعل الطلبة يواجهون بكثرة مناظر الدم والحشرات والتشريح مما يولد لديهم حالة من الفتنور الانفعالي أثناء مواجهة مواقف أقل أو مشابهه لها من حيث الحدة الانفعالية لما تعودوا على رؤيته، أما بالنسبة لطلبة الاختصاصات الإنسانية فإن طبيعة مناهجها ذات مواد تصطبغ بصيغة انفعالية في غالب الأمر، مما يكون أو يستثير لدى الشباب الجامعي العديد من الذكريات الانفعالية ويولد لديهم العديد من الاقترانات الشرطية الانفعالية أثناء مواجهة المشكلات بأنواعها المختلفة، فضلاً عن ذلك فأن هذه التخصصات كثير ما تتضمن مواضيعها معلومات ذات شحنات انفعالية او وجدانية ايجابية كانت ام سلبية. (Dolcos, 2006: 1-12)

الفصل الثالث: منهجية البحث وإجراءات:

تضمنت الإجراءات التي اعتمدت في البحث الحالي، بدأ من المنهجية التي تم إتباعها والتي تمثلت بالمنهج الوصفي إذ يعد هذا المنهج ملائماً لطبيعة البحث وأهدافه وتحديد مجتمع البحث، واختيار عينة ممثلة له، وإعداد مقياس يتصف بالصدق والثبات وإجراءات تطبيقه على عينة البحث وتحديد الوسائل الإحصائية المستخدمة فيه وعلى النحو الآتي.

أولاً: مجتمع البحث.

ويتحدد مجتمع البحث الحالي بطلبة جامعة القادسية بجميع كلياتها العلمية والإنسانية للصفوف الثانية والرابعة للعام الدراسي (٢٠١٣ - ٢٠١٤) وللدراسة الصباحية فقط، البالغ عددهم (٧٣١٥) طالباً وطالبة، إذ بلغت اعداد الطلبة في الكليات العلمية (٣٥٥٩) طالباً وطالبة و(٣٧٥٦) طالباً وطالبة في الكليات

الانسانية بواقع (٣٧٩٨) ذكور و (٣٥١٧) اناث، وجدول (١) يوضح مجتمع البحث الكلي وأسماء الكليات موزعة بحسب التخصص والصف والنوع.

جدول (١) مجتمع البحث موزعاً بحسب الكليات والتخصص والصف الدراسي والنوع .

| المجموع | الصف الرابع | | الصف الثاني | | الكلية | ت | التخصص |
|---------|-------------|------|-------------|------|--------------------------|----|----------|
| | النوع | | النوع | | | | |
| | إناث | ذكور | إناث | ذكور | | | |
| ١٩٥ | ٦٣ | ٤٥ | ٥٢ | ٣٥ | علوم الحاسبات والرياضيات | ١ | العلمي |
| ٣١٨ | ٨٥ | ٥١ | ١٠٩ | ٧٣ | الهندسة | ٢ | |
| ٢٦٣ | ٥٥ | ٥٣ | ٨١ | ٧٤ | الطبية | ٣ | |
| ٨٧ | ١٥ | ١٤ | ١٧ | ٤١ | الطب البيطري | ٤ | |
| ٦٨٩ | ١٨٩ | ١٣٤ | ١٦٣ | ٢٠٣ | التربية / العلمي | ٥ | |
| ٣٧٠ | ١٠٦ | ٩٧ | ٨٢ | ٨٥ | العلوم | ٦ | |
| ١٣٠٣ | ٢١٣ | ٣٥٦ | ٢٤٩ | ٤٨٥ | الإدارة والاقتصاد | ٧ | |
| ٣٣٤ | ٦٢ | ٧٣ | ٨١ | ١١٨ | الزراعة | ٨ | |
| ٣٥٥٩ | ٧٨٨ | ٨٢٣ | ٨٣٤ | ١١١٤ | المجموع | | |
| ٦١٥ | ٨١ | ١٧٤ | ١٢٦ | ٢٣٤ | القانون | ٩ | الانساني |
| ١٥٣٨ | ٥١٦ | ٣٣١ | ٤٣٣ | ٢٥٨ | التربية / الانساني | ١٠ | |
| ١٢٣٧ | ٣٠٦ | ١٩٧ | ٣٩٧ | ٣٣٧ | الأداب | ١١ | |
| ٣٦٦ | ٢٦ | ١٨٣ | ١٠ | ١٤٧ | التربية الرياضية | ١٢ | |
| ٣٧٥٦ | ٩٢٩ | ٨٨٥ | ٩٦٦ | ٩٧٦ | المجموع | | |

| | | | | |
|------|------|------|------|---------------|
| ١٧١٧ | ١٧٠٨ | ١٨٠٠ | ٢٠٩٠ | المجموع الكلي |
| ٣٤٢٥ | | ٣٨٩٠ | | |
| ٧٣١٥ | | | | |

ثانياً: عينة البحث

عمد الباحثان إلى اختيار عينة البحث بالطريقة الطبقيّة العشوائية (Stratified Random Sample) والتي اختير منها على وفق الأسلوب المتناسب (Prepositional Allocation) (عطوي، ٢٠٠٠: ٩٠) عينة حجمها (٤٠٠) طالبا وطالبة من مجتمع طلبة جامعة القادسية وبنسبة (٥%) من مجتمع البحث وجدول (٢) يوضح ذلك.

جدول (٢) عينة البحث النهائية موزعة بحسب الكليات والتخصص والصف الدراسي والنوع .

| المجموع | الصف الرابع | | الصف الثاني | | الكلية | ت | التخصص |
|---------|-------------|------|-------------|------|--------------------------|---|--------|
| | النوع | | النوع | | | | |
| | إناث | ذكور | إناث | ذكور | | | |
| ١١ | ٤ | ٢ | ٣ | ٢ | علوم الحاسبات والرياضيات | ١ | العلمي |
| ١٧ | ٤ | ٣ | ٦ | ٤ | الهندسة | ٢ | |
| ١٤ | ٣ | ٣ | ٤ | ٤ | الطبية | ٣ | |
| ٥ | ١ | ١ | ١ | ٢ | الطب البيطري | ٤ | |
| ٣٨ | ١٠ | ٨ | ٩ | ١١ | التربية / العلمي | ٥ | |
| ٢٠ | ٦ | ٥ | ٤ | ٥ | العلوم | ٦ | |

| | | | | | | | |
|-----|----|-----|-----|-----|--------------------|----|---------------|
| ٧١ | ١١ | ٢١ | ١٤ | ٢٥ | الإدارة والاقتصاد | ٧ | |
| ١٨ | ٣ | ٤ | ٥ | ٦ | الزراعة | ٨ | |
| ١٩٤ | ٤٢ | ٤٧ | ٤٦ | ٥٩ | المجموع | | |
| ٣٤ | ٤ | ١٠ | ٧ | ١٣ | القانون | ٩ | الإنساني |
| ٨٤ | ٢٨ | ١٨ | ٢٤ | ١٤ | التربية / الانساني | ١٠ | |
| ٦٨ | ١٧ | ١١ | ٢٢ | ١٨ | الآداب | ١١ | |
| ٢٠ | ١ | ١٠ | ١ | ٨ | التربية الرياضية | ١٢ | |
| ٢٠٦ | ٥٠ | ٤٩ | ٥٤ | ٥٣ | المجموع | | |
| | ٩٢ | ٩٦ | ١٠٠ | ١١٢ | | | المجموع الكلي |
| | | ١٨٨ | | ٢١٢ | | | |
| | | | | ٤٠٠ | | | |

• أداة البحث

بعد ان تعذر الحصول على مقياس للذاكرة الانفعالية بما يتناسب مع مجتمع البحث وعينته، الأمر الذي دفع الباحثان إلى بناء المقياس على وفق الإجراءات العلمية المتبعة في بناء المقاييس من اجل أن يتوفر على الصدق والثبات، وتم وفق الاجراءات الاتية.

• تحديد مفهوم الذاكرة الانفعالية :

لقد حدد الباحثان مفهوم الذاكرة الانفعالية بالاعتماد على نظرية دولكوس وكابيزا (Dolcos&Cabeza, 2006)، وهي النظرية المتبناة في بناء المقياس وتفسير النتائج، فقد تبني الباحثان تعريف (Dolcos&Cabeza, 2006) المعدل من قبل (سلمان، ٢٠١٣)، والذي عرفه (هي قدرة معرفية تتطلب

استدعاء الذكريات المقترنة بالمشاعر التي تثيرها خصائص الموقف الحالي المشابهة للموقف الاصلي، وذلك من خلال العودة الى المرحلة الماضية بكل تفاصيلها الخاصة بذلك الموقف من فرح او حزن او خوف او غضب او اشمئزاز ووفقا للتعزيزات الناشئة عن القيمة الانفعالية لموضوع الخبرة المستدعاة).

• اعداد وصياغة فقرات المقياس ومدى صلاحيتها:

بعد تحديد التعريف النظري للذاكرة الانفعالية، والاتجاهات التي سيتخذها المقياس، وفي ضوء التعريف ومراجعة الادبيات والدراسات السابقة قام الباحثان بإعداد (٤٠) فقرة موزعه بالتساوي على اتجاهين، وقد تم اعتماد المدرج الخماسي للبدائل، مثيرة للانفعال (بدرجة كبيرة جداً، بدرجة كبيرة، بدرجة متوسطة، بدرجة قليلة، بدرجة قليلة جداً)، وإعطاء اوزان من (١-٥) على التوالي للفقرات الايجابية ومن (١-٥) للفقرات السلبية، وبعدها تم عرض فقرات المقياس على (١٤) محكماً من المختصين في التربية وعلم النفس تم قبول جميع الفقرات والجدول (٣) يوضح ذلك

جدول (٣) قيمة كأي المحسوبة والجدولية لدلالة الفروق في آراء المحكمين في مقياس الذاكرة الانفعالية

| ت | عدد الخبراء | | النسبة المئوية | قيمة (كا) المحسوبة | قيمة كأي الجدولية | مستوى الدلالة (٠,٠٥) |
|---|-------------|----------|----------------|--------------------|-------------------|----------------------|
| | الموافقون | الرافضون | | | | |
| ١,٢,٣,٤,٥,٦ ٧,٨,٩,١٠,١١ ١٢,١٣,١٤,١٥ ١٦,١٧,١٨,١٩ ٢٠,٢١,٢٢,٢٣ ٢٤,٢٥,٢٦,٢٧ ٢٨,٢٩,٣٠,٣١ | ١٤ | / | ١٠٠ | ١٤ | ٣,٨٤ | دالة |

| | | | | | | |
|--|--|--|--|--|--|-------------------------------|
| | | | | | | ٣٢,٣٣,٣٤,٣٥ ٣٦,٣٧,٣٨,٣٩,٤٠ |
|--|--|--|--|--|--|-------------------------------|

• التحليل الإحصائي لل فقرات

يهدف الكشف عما إذا كانت الفقرات قادرة على التمييز بين الأفراد أم غير قادرة، تم تطبيق المقياس على عينة من مجتمع البحث، والتي بلغت (٢٥٠) طالبا وطالبة، اختيرت بالطريقة الطبقيّة العشوائية على وفق الأسلوب المتناسب، وتم تحليل البيانات على وفق أسلوبين من أجل معرفة القوة التمييزية لل فقرات.

أ- أسلوب المجموعتين المتطرفتين (Constrasted Group style)

بعدما تم تصحيح الاستجابات وجمعها، تم ترتيب الدرجات تنازلياً، من أجل تقسيم الدرجات الى مجموعتين دنيا وعليا وبعدما اخذت نسبة (٢٧%) منها، تم تطبيق الاختبار التائي لعينتين مستقلتين، والذي من خلاله اتضح جميع الفقرات مميزة عند مستوى (٠,٠٥) وجدول (٤) يوضح ذلك.

جدول (٤) يبين معاملات تمييز فقرات مقياس الذاكرة الانفعالية بأسلوب المجموعتين المتطرفتين

| رقم الفقرة | المجموعة العليا | | المجموعة الدنيا | | القيمة التي (t) المحسوبة الدلالة (٠,٠٥) | مستوى الدلالة (٠,٠٥) |
|---------------|--------------------|----------------------|--------------------|----------------------|---|----------------------------|
| | المتوسط الحسابي | الانحراف المعياري | المتوسط الحسابي | الانحراف المعياري | | |
| ١ | ٣,٢٤ | ١,٢٣ | ٢,٧٣ | ١,٣٥ | ٢,٢٠ | مميزة |
| ٢ | ٣,٥ | ١,٤٥ | ٢,٧٣ | ١,٢٧ | ٣,١٧ | مميزة |

| | | | | | | |
|-------|------|------|------|------|------|----|
| مميزة | ٢,٦٩ | ١,٢٢ | ٢,٧١ | ١,٣٧ | ٣,٣٢ | ٣ |
| مميزة | ٤,٤٩ | ١,٣٢ | ٢,١٨ | ١,٢٦ | ٣,٢٠ | ٤ |
| مميزة | ٣,٥٧ | ١,٠٧ | ٢,٥٥ | ١,٣٣ | ٣,٣٠ | ٥ |
| مميزة | ٣,٢٣ | ١,٣١ | ٢,٧٥ | ١,٣٨ | ٣,٥١ | ٦ |
| مميزة | ٣,٩٥ | ١,٢٩ | ٢,٢٧ | ١,٤٥ | ٣,٢٢ | ٧ |
| مميزة | ٤,١٥ | ١,٣١ | ٢,٥٧ | ١,٣٩ | ٣,٥٦ | ٨ |
| مميزة | ٤,٦٠ | ١,٣٤ | ٢,٥٩ | ١,٣٨ | ٣,٦٩ | ٩ |
| مميزة | ٤,٤٢ | ١,٢٧ | ٢,٥٣ | ١,١٥ | ٣,٤٨ | ١٠ |
| مميزة | ٤,٩٤ | ١,٢٤ | ٢,٣٦ | ١,٤٥ | ٣,٥٣ | ١١ |
| مميزة | ٣,٢١ | ١,٤٤ | ٢,٣٦ | ١,٥٦ | ٣,٢٠ | ١٢ |
| مميزة | ٣,٢٥ | ١,٣٦ | ٢,٣٠ | ١,٣٥ | ٣,٠٨ | ١٣ |
| مميزة | ٤,٥١ | ١,٣٨ | ٢,٢٨ | ١,٣٤ | ٣,٣٧ | ١٤ |
| مميزة | ٣,٧٨ | ١,٥٣ | ٢,٣١ | ١,٣٢ | ٣,٢٧ | ١٥ |
| مميزة | ٣,٨٧ | ١,٥٩ | ٢,٦٣ | ١,٣٥ | ٣,٦٤ | ١٦ |
| مميزة | ٧,٣٤ | ١,١٩ | ٢,٢٤ | ١,٢٢ | ٣,٨٠ | ١٧ |
| مميزة | ٥,١٠ | ١,٢٤ | ٢,٢٨ | ١,٣٨ | ٣,٤٦ | ١٨ |
| مميزة | ٤,٦٨ | ١,٣٣ | ٢,١٥ | ١,٣٠ | ٣,٢٤ | ١٩ |
| مميزة | ٤,٦٥ | ١,٢٦ | ٢,٥٢ | ١,٤٥ | ٣,٦٢ | ٢٠ |
| مميزة | ٥,٤٤ | ١,٢٧ | ٢,٥٦ | ١,٣٦ | ٣,٨٢ | ٢١ |
| مميزة | ٦,٤٣ | ١,١٧ | ٢,٠٨ | ١,٢٧ | ٣,٤٦ | ٢٢ |
| مميزة | ٥,٦٤ | ١,١٠ | ٢,٤٠ | ١,٣٦ | ٣,٦٢ | ٢٣ |
| مميزة | ٣,٥٣ | ١,٢٧ | ٢,٨٩ | ١,٤٠ | ٣,٧٢ | ٢٤ |
| مميزة | ٣,٦٧ | ١,٤٢ | ٢,٣٤ | ١,٥٠ | ٣,٢٩ | ٢٥ |

| | | | | | | |
|-------|------|------|------|------|------|----|
| مميزة | ٤,٧٢ | ١,٢٩ | ٢,٧٢ | ١,٢٨ | ٣,٧٩ | ٢٦ |
| مميزة | ٣,٨٦ | ١,٣١ | ٢,٦٨ | ١,٣٤ | ٣,٥٨ | ٢٧ |
| مميزة | ٦,٠٧ | ١,٣٠ | ٢,٤٣ | ١,٢٠ | ٣,٧٧ | ٢٨ |
| مميزة | ٥,٠٢ | ١,٢٥ | ٢,٥٠ | ١,٤٧ | ٣,٧٠ | ٢٩ |
| مميزة | ٤,١٣ | ١,٣٦ | ٢,٢٤ | ١,٤٧ | ٣,٢٧ | ٣٠ |
| مميزة | ٤,٤٢ | ١,١٣ | ٢,٣٣ | ١,٤٥ | ٣,٣٣ | ٣١ |
| مميزة | ٥,٨٤ | ١,٢٢ | ٢,٣٠ | ١,٣٥ | ٣,٦٢ | ٣٢ |
| مميزة | ٥,٠٥ | ١,٣٥ | ٢,٤٩ | ١,٣٥ | ٣,٦٩ | ٣٣ |
| مميزة | ٥,٧٩ | ١,٣٥ | ٢,٥٩ | ١,٢١ | ٣,٩٠ | ٣٤ |
| مميزة | ٧,٨١ | ١,١٥ | ٢,٢٤ | ١,٢٨ | ٣,٩١ | ٣٥ |
| مميزة | ٤,٠٣ | ١,٣٧ | ٢,٦٢ | ١,٤٢ | ٣,٦١ | ٣٦ |
| مميزة | ٣,٢٥ | ١,٣٧ | ٢,٤٤ | ١,٥١ | ٣,٢٧ | ٣٧ |
| مميزة | ٣,٩٠ | ١,٢٣ | ٢,٥٣ | ١,٤٤ | ٣,٤٥ | ٣٨ |
| مميزة | ٦,٤٠ | ١,١٢ | ٢,٧٦ | ١,١٥ | ٤,٠٤ | ٣٩ |
| مميزة | ٦,٠٢ | ١,٢٠ | ٢,٣٣ | ١,٤٥ | ٣,٧٤ | ٤٠ |

ب-الاتساق الداخلي (Internal Consistcany) :

بما أن مقياس الذاكرة الانفعالية يتضمن اتجاهين يحددان في قياسهما نوع الذاكرة ايجابية كانت ام سلبية التي يتصف بها الطالب الجامعي، وأن لكل اتجاه منهما مواقف خاصة لقياسه، ولأجل معرفة مدى الاتساق الداخلي بين درجة المواقف والمقياس ككل وبينها وبين نوع الذاكرة الذي تنتمي اليه، وبين نوع الذاكرة والمقياس فإن الاتساق الداخلي هنا يكون على مرحلتين هي :-

١- علاقة درجة الموقف الانفعالي بالدرجة الكلية للمقياس :

لمعرفة ما إذا كانت الفقرة تسير في الاتجاه نفسه الذي يسير فيه المقياس كله، لمقياس الذاكرة الانفعالية استُخدم معامل الارتباط (بيرسون) بين درجة الموقف ودرجة المقياس الكلية، وباستعمال نفس البيانات التي استخدمت في أسلوب المجموعتين المتطرفتين، اتضح ان جميع الفقرات دالة احصائياً، عند مقارنة القيمة المحسوبة لمعامل الارتباط بالقيمة الجدولية عند مستوى دلالة (0,05) ودرجة حرية (248) البالغة (0,124)، وجدول (5) يوضح ذلك .

جدول (5) يبين قيم معامل الاتساق الداخلي لدرجة الموقف بالدرجة الكلية لمقياس الذاكرة الانفعالية

| تسلسل الفقرات | قيمة معامل الارتباط | الدالة الإحصائية | تسلسل الفقرات | قيمة معامل الارتباط | الدالة الإحصائية |
|---------------|---------------------|------------------|---------------|---------------------|------------------|
| ١ | ٠,٢٣ | دالة | ٢١ | ٠,٣٧ | دالة |
| ٢ | ٠,٢٢ | دالة | ٢٢ | ٠,٤٧ | دالة |
| ٣ | ٠,٢٩ | دالة | ٢٣ | ٠,٤١ | دالة |
| ٤ | ٠,٣٣ | دالة | ٢٤ | ٠,٣٠ | دالة |
| ٥ | ٠,٣٠ | دالة | ٢٥ | ٠,٣٢ | دالة |
| ٦ | ٠,٣٤ | دالة | ٢٦ | ٠,٣٦ | دالة |
| ٧ | ٠,٣٠ | دالة | ٢٧ | ٠,٢٨ | دالة |
| ٨ | ٠,٣٤ | دالة | ٢٨ | ٠,٤٩ | دالة |
| ٩ | ٠,٢٩ | دالة | ٢٩ | ٠,٤٠ | دالة |
| ١٠ | ٠,٤٠ | دالة | ٣٠ | ٠,٣٩ | دالة |
| ١١ | ٠,٣٢ | دالة | ٣١ | ٠,٣٦ | دالة |
| ١٢ | ٠,٣٢ | دالة | ٣٢ | ٠,٤٤ | دالة |
| ١٣ | ٠,٢٦ | دالة | ٣٣ | ٠,٢٩ | دالة |

| | | | | | |
|------|------|----|------|------|----|
| دالة | ٠,٤٤ | ٣٤ | دالة | ٠,٣٤ | ١٤ |
| دالة | ٠,٤٧ | ٣٥ | دالة | ٠,٣١ | ١٥ |
| دالة | ٠,٣٢ | ٣٦ | دالة | ٠,٣٤ | ١٦ |
| دالة | ٠,٢٧ | ٣٧ | دالة | ٠,٣٧ | ١٧ |
| دالة | ٠,٢٨ | ٣٨ | دالة | ٠,٣٦ | ١٨ |
| دالة | ٠,٣٧ | ٣٩ | دالة | ٠,٣٨ | ١٩ |
| دالة | ٠,٤٣ | ٤٠ | دالة | ٠,٣٣ | ٢٠ |

٢- علاقة درجة الموقف الانفعالي ودرجة الاتجاه :

لتحديد قيم الاتساق بين الفقرة والاتجاه الذي تنتمي اليه، قام الباحثان باستخدام معامل الارتباط (بيرسون)، وتم تحديد نوع الدلالة الإحصائية بعد مقارنة قيم معامل الارتباط المحسوبة مع قيمتها الجدولية البالغة (٠,١٢٤) عند درجة حرية (٢٤٨) ومستوى دلالة (٠,٠٥)، إذ تشير الدلالة المعنوية إلى كبر القيم المحسوبة عن القيمة الجدولية، وهذا ما يشير إلى سير المواقف بنفس الاتجاه في قياس المتغير نفسه الذي يقيسه المجال الذي ينتمي إليه والجدول (٦) يوضح ذلك .

جدول (٦) يبين قيم الاتساق بين درجة الموقف الانفعالي بالدرجة الكلية للاتجاه الذي ينتمي إليه

| المجال | تسلسل الفقرة | الارتباط | مستوى الدلالة (٠,٠٥) | المجال | تسلسل الفقرة | الارتباط | مستوى الدلالة (٠,٠٥) |
|--------------------|--------------|----------|----------------------|--------------------|--------------|----------|----------------------|
| الذاكرة الانفعالية | ١ | ٠,٣٦ | دالة | الذاكرة الانفعالية | ٢ | ٠,٤٤ | دالة |
| | ٣ | ٠,٣٣ | دالة | | ٤ | ٠,٤٨ | دالة |
| | ٥ | ٠,٣٥ | دالة | | ٦ | ٠,٤٥ | دالة |

| | | | | | | | |
|------|------|----|--|------|------|----|--|
| دالة | ٠,٣٦ | ٨ | | دالة | ٠,٣٧ | ٧ | |
| دالة | ٠,٣٦ | ١٠ | | دالة | ٠,٣٣ | ٩ | |
| دالة | ٠,٤٠ | ١٢ | | دالة | ٠,٣٦ | ١١ | |
| دالة | ٠,٣٨ | ١٤ | | دالة | ٠,٣١ | ١٣ | |
| دالة | ٠,٥٠ | ١٦ | | دالة | ٠,٣٥ | ١٥ | |
| دالة | ٠,٤١ | ١٨ | | دالة | ٠,٢٨ | ١٧ | |
| دالة | ٠,٣٨ | ٢٠ | | دالة | ٠,٤١ | ١٩ | |
| دالة | ٠,٣٨ | ٢٢ | | دالة | ٠,٣٦ | ٢١ | |
| دالة | ٠,٤٠ | ٢٤ | | دالة | ٠,٣٣ | ٢٣ | |
| دالة | ٠,٣٨ | ٢٦ | | دالة | ٠,٣٣ | ٢٥ | |
| دالة | ٠,٤١ | ٢٨ | | دالة | ٠,٣٩ | ٢٧ | |
| دالة | ٠,٥١ | ٣٠ | | دالة | ٠,٤٠ | ٢٩ | |
| دالة | ٠,٣٥ | ٣٢ | | دالة | ٠,٤١ | ٣١ | |
| دالة | ٠,٣٧ | ٣٤ | | دالة | ٠,٤١ | ٣٣ | |
| دالة | ٠,٤٠ | ٣٦ | | دالة | ٠,٣٧ | ٣٥ | |
| دالة | ٠,٤٤ | ٣٨ | | دالة | ٠,٤٢ | ٣٧ | |
| دالة | ٠,٤٧ | ٤٠ | | دالة | ٠,٣٩ | ٣٩ | |

• مؤشرات الصدق والثبات

وقد تحقق صدق المقياس من خلال عرض فقرات المقياس على الخبراء وهذا ما يسمى بالصدق الظاهري ، كما وتم استخراج القوة التمييزية للمقياس والذي يسمى بصدق البناء للمقياس. ولحساب معامل تقدير الثبات للذاكرة الانفعالية شرع الباحثان إلى استخدام طريقة إعادة الاختبار فبعدما عمد الباحثان الى تطبيق المقياس على عينة بلغ عددها (٤٠) طالبا وطالبة اختيرت عشوائياً من مجتمع البحث، وبعد مرور (١٥) يوماً تطبيق المقياس مرة اخرى على العينة نفسها، وبعدما تم حساب معامل الارتباط بينهما باستخدام معامل الارتباط بيرسون بلغ معامل الثبات (٠,٨٧)، وليطمئن الباحثان اكثر على النتيجة استخدمنا معادلة الفا كرونباخ والتي من خلالها خضعا جميع استمارة عينة البناء والبالغ (٢٥٠)، واتضح ان درجة الثبات وفق هذه المعادلة (٠,٨٥) وهو معامل ثبات جيد.

رابعاً: التطبيق النهائي للمقياس

بعدما استكملت خطوات بناء المقياس تم تطبيقه على عينة البحث التطبيقية المؤلفة من (٤٠٠) طالبا وطالبة، من طلبة جامعة القادسية للدراسات الصباحية، وللصفوف الدراسية الثانية والرابعة وامتدت مدة التطبيق من (٢٠ / ٣ / ٢٠١٤) - (٤ / ٥ / ٢٠١٤) .

خامساً: الوسائل الاحصائية

استخدم الباحث الوسائل الإحصائية في البحث الحالي بالاستعانة بالبرنامج الإحصائي (SPSS) في معالجة البيانات، وعلى النحو الآتي :

- اختبار كا^٢: استخدم لمعرفة دلالة آراء المحكمين في صلاحية فقرات المقياسين .
- طريقة الأسلوب المتناسب: لغرض ضمان تمثيل مجتمع البحث تم اختيار عينة البحث بالأسلوب المتناسب.
- معامل ارتباط بيرسون: استخراج الثبات بطريقة إعادة الاختبار للمقياس.
- معادلة (الفا كرونباخ): استخدمت لاستخراج قيمة الثبات للمقياسين.

- الاختبار التائي لعينة واحدة: لاختبار الفروق بين الوسط الحسابي والوسط الفرضي لدرجات أفراد العينة التطبيقية الرئيسة على مقياس الذاكرة الانفعالية.
- اختبار (t.test) لعينتين مستقلتين: استخدم لاستخراج القوة التمييزية لفقرات مقياسي البحث، وتعرف على دلالة الفروق لمتغيرات البحث.

الفصل الرابع: عرض النتائج وتفسيرها:

الهدف الاول : التعرف على الذاكرة الانفعالية لدى طلبة الجامعة .
لتحقيق هذا الهدف طبق مقياس الذاكرة الانفعالية على عينة البحث الأساسية والتي قوامها (٤٠٠) طالباً وطالبة، وبعد استخدام المعالجات الإحصائية، اتضح ان طلبة الجامعة لديهم ذاكرة انفعالية ايجابية، وجدول (٧) يوضح ذلك.

جدول (٧) القيمة التائية المحسوبة والجدولية لدلالة الفرق بين الوسط الحسابي والمتوسط الفرضي لمقياس الذاكرة الانفعالية لدى طلبة الجامعة.

| العينة | الوسط الفرضي | الوسط الحسابي | الانحراف المعياري | قيمة (t) | | درجة الحرية | مستوى الدلالة (٠,٠٥) |
|--------|--------------|---------------|-------------------|----------|----------|-------------|----------------------|
| | | | | الجدولية | المحسوبة | | |
| ٤٠٠ | ١٢٠ | ١٢٤,٢٣ | ٢٤,٨٦ | ٣,٤٠ | ١,٩٦ | ٣٩٩ | دالة |

وتتفق هذه النتيجة مع ما جاء في نظرية دولكوس (Dolcos, 2006) التي تشير الى ان ذلك قد يعود للفئة العمرية التي ينتمي اليها الطلبة في المرحلة الجامعية تكون زاخرة بالمشاعر الايجابية اكثر من السلبية مما

يجعلهم قادرين على تنظيم انفعالاتهم بصورة أكثر ايجابية ومقاومة الضغوط اليومية العادية او غير العادية وبشكل مستمر لتحقيق الاهداف المستقبلية . (Dolcos, 2006: 1-8)

الهدف الثاني : التعرف على الفروق في الذاكرة الانفعالية لدى طلبة الجامعة تبعاً لمتغيرات (النوع - التخصص) .

❖ الفروق في الذاكرة الانفعالية لدى طلبة الجامعة تبعاً لمتغير (النوع) .

لتحقيق هذا الهدف طبق مقياس الذاكرة الانفعالية على عينة البحث الأساسية والتي قوامها (٤٠٠) طالباً وطالبة، وبعد استخدام المعالجات الإحصائية، اتضح ان الفرق دال احصائياً لصالح الإناث ، وجدول (٨) يوضح ذلك.

جدول (٨) الاختبار التائي (t-test) لعينتين مستقلتين للتعرف على الفروق في الذاكرة الانفعالية تبعاً لمتغير النوع (ذكور - اناث)

| العينة | الذكور ن = ٢٠٨ | | الاناث ن = ١٩٢ | | قيمة (t) | | درجة الحرية | مستوى الدلالة (٠,٠٥) |
|--------|----------------|---------|----------------|---------|----------|----------|-------------|----------------------|
| | الوسط الحسابي | التباين | الوسط الحسابي | التباين | المحسوبة | الجدولية | | |
| ٤٠٠ | ١٢٠,٢٤ | ٨٥١,٤٧ | ١٢٨,٣٩ | ٣٥٨,٧٢ | ٣,٢٧ | ١,٩٦ | ٣٩٨ | دالة |

وتتفق هذه النتيجة مع نظرية دولكوس (Dolcos, 2006) ودراسة كل من ماركوس (Marcus, 2002) (1) ، ودراسة تورهان (Turhan, 2002 : 1-3) ودراسة جون وآخرون (Juhneta, 2006 : 1-2)، التي تشير إلى أن الإناث يتفوقن على الذكور في القدرة على التذكر الانفعالي، وقد يعود ذلك إلى أن ما

لدى الإناث من أحاسيس مرهفة تمكنهن من استشعار أي موقف ذو محتوى انفعالي وأن بدى خال من الانفعال، وهذا كفيل بتكوين خزين من الذكريات الانفعالية السارة وغير السارة التي من الممكن أن تنتقل أو تقترن مصاحباتها الانفعالية من جديد بمواقف شبيهة لاحقاً، كما أن الميول الأنثوية في البحث عن المواضيع المشحونة عاطفياً تعزز مثل تلك الذكريات، بينما يميل الذكور الى تذكر المواضيع ذات المحتوى الانفعالي الحاد فقط والابتعاد عن الاهتمام بغير ذلك من تفاصيل الحدث الانفعالي (Dolcos, 2006 : 4-9) .

❖ الفروق في الذاكرة الانفعالية لدى طلبة الجامعة تبعاً لمتغير (التخصص)

لتحقيق هذا الهدف طبق مقياس الذاكرة الانفعالية على عينة البحث الأساسية والتي قوامها (٤٠٠) طالباً وطالبة، وبعد استخدام المعالجات الإحصائية، اتضح ان الفرق دال احصائياً لصالح الاقسام الإنسانية، وجدول (٩) يوضح ذلك.

جدول (٩) الاختبار التائي (t-test) لعينتين مستقلتين للتعرف على الفروق في الذاكرة الانفعالية تبعاً

لمتغير التخصص (العلمي - الإنساني)

| مستوى الدلالة (٠,٠٥) | درجة الحرية | قيمة (t) | | الانساني ن = ٢٠٦ | | العلمي ن = ١٩٤ | | العينة |
|----------------------------|----------------|----------|----------|------------------|------------------|----------------|------------------|--------|
| | | الجدولية | المحسوبة | التباين | الوسط الحسابي | التباين | الوسط الحسابي | |
| دالة | ٣٩٨ | ١,٩٦ | ٢,٠٨ | ٧٢٠,٣٩ | ١٢٦,٥٦ | ٢٧٨,٥٦ | ١٢١,٨٨ | ٤٠٠ |

وتشير هذه النتيجة إلى أن طلبة الأقسام الإنسانية يتفوقون على طلبة الأقسام العلمية في القدرة على التذكر الانفعالي، فيمكن تفسير هذه النتيجة من خلال تأكيد دولكوس على أن ذلك قد يعود إلى تعود طلبة

الاختصاصات العلمية على مواجهة المواقف الانفعالية بهدوء مقارنة بطلبة الاختصاصات الإنسانية، لأنهم قد عرفوا بالتجربة أن شدة الانفعال تعيق عملية حل المشكلات التي تواجههم، وعليه فهم يولون أهمية إلى مسألة استقرار الوضع الانفعالي والتماسك أثناء مقابلة مشكلات صعبة الحل، وبالتالي فإن تنمية هذا السلوك جعلت من الهدوء الانفعالي خاصية مهمة لديهم لابد وأن تتوفر كي يتم حل المشكلات المستعصية، كما أن بعض الاختصاصات العلمية تدرس المناهج البيولوجية بحيث تجعل الطلبة يواجهون بكثرة مناظر الدم والحشرات والتشريح مما يولد لديهم حالة من الفتر الانفعالي أثناء مواجهة مواقف أقل أو مشابه لها من حيث الحدة الانفعالية لما تعودوا على رؤيته، أما بالنسبة لطلبة الاختصاصات الإنسانية فإن طبيعة مناهجها ذات مواد تصطبغ بصيغة انفعالية في غالب الأمر، مما يكون أو يستثير لدى الشباب الجامعي العديد من الذكريات الانفعالية ويولد لديهم العديد من الاقترنات الشرطية الانفعالية أثناء مواجهة المشكلات بأنواعها المختلفة (Dolcos, 2006 :5-12).

• الاستنتاجات:

- ١- ان طلبة الجامعة بشكل عام يتصفون بالقدرة على الذاكرة الانفعالية الايجابية .
 - ٢- توجد فروق دالة إحصائياً عند مستوى (٠,٠٥) في الذاكرة الانفعالية تبعاً لمتغير النوع (ذكور، اناث) ولصالح الاناث من طلبة الجامعة .
 - ٣- توجد فروق دالة إحصائياً عند مستوى (٠,٠٥) في الذاكرة الانفعالية تبعاً لمتغير التخصص (علمي، إنساني) ولصالح التخصص الانساني من طلبة الجامعة.
- التوصيات والمقترحات:

- بناءً على ما خرجت به الدراسة الحالية من نتائج يوصي الباحثان ما يأتي :-
- ١- اعتماد مقياس الذاكرة الانفعالية في الدراسة الحالية كأساس للتعرف على الطلبة الذين لديهم ذكريات انفعالية سلبية من اجل تسهيل عملية ارشادهم ومساعدتهم للتخلص من الذكريات السلبية .

- ٢- دراسة العلاقة بين الذاكرة الانفعالية ومتغيرات نفسية اخرى مثل (الذكاء الانفعالي، استراتيجيات التذكر)
- ٣- اجراء دراسة مقارنة في الذاكرة الانفعالية بين الطلبة العاديين وأقرانهم المتميزين

المراجع:

١. ابوريش، حسين، وعبد الخالق، زهرية (٢٠٠٧): علم النفس التربوي للطلاب الجامعي والمعلم الممارس، دار المسيرة للطباعة والنشر والتوزيع، عمان .
٢. توك، محي الدين، وآخرون (٢٠٠٣): اسس علم النفس التربوي، ط٣، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان .
٣. جولمان، دانييل (٢٠٠٠): الذكاء العاطفي، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٢٦٢ المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت .
٤. الجاموس، نور الهدى محمد (٢٠١٣): الاضطرابات النفسية الجسمية السيكوماتية، ط١، دار اليازوري، عمان ، الاردن .
٥. الرحو، جنان سعيد (٢٠٠٥): اساسيات في علم النفس، ط١، الدار العربية للعلوم، جامعة الموصل .
٦. الريماوي، محمد عودة، وآخرون (٢٠٠٨): علم النفس العام، ط٣، دار المسيرة، عمان .
٧. الزغول، عماد، والهنداوي، علي (٢٠٠٤): مدخل الى علم النفس، ط٢، دار الكتاب الجامعي، الامارات العربية المتحدة
٨. سوسا، ديفيد (٢٠٠٦): العقل البشري وظاهرة التعلم، ط١، دار الفاروق للاستثمارات الثقافية، ترجمة خالد العامري، ٢٠٠٩، القاهرة .
٩. سلمان، حيدر مهدي (٢٠١٣): مستوى الانجاز بدلالة التفكير الاستراتيجي وفقاً للذاكرة الانفعالية لدى سباحي الفرات الاوسط والمنطقة الجنوبية في فعالية ١٠٠م سباحة حرة، اطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة القادسية .
١٠. عطويوي، جودت (٢٠٠٠): أساليب البحث العلمي مفاهيمه، أدواته، طرقه الإحصائية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان.
١١. عبد الله، محمد قاسم (٢٠٠٣): سيكولوجية الذاكرة. سلسلة عالم المعرفة، العدد ٢٩٠ المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت.

1. Dolcos, Florin (2006): The impact of emotion on human cognition: functional neuroimaging evidence, North Carolina, Duke university.

2. Dolcos, F. & Cabeza, R. (2006): Event – related potentials of emotional memory : Encoding pleasant, unpleasant , and neutral pictures, cognitive affective and behavioral neuroscience, 2 (3), Duke university , Durham, North Carolina , INC.
3. Grant , Keith Eric (2005): What memories can bring, USA, Career Builder.
4. Honeck, R.P (1998): Introductory readings for cognitive psychology, third edition, Cincinnati, University Of Cincinnati.
5. Juhn& etal (2006): Intrusive emotional memories make rats forget recently learned information, South Florida , [University of South Florida](http://www.usf.edu) .
6. Kellogg, R.(1995): Cognitive Psychology, London , Stage Publications.
7. Macleod, M, (2002): Retrieval – induced forgetting in eyewitness memory forgetting as a consequence of remembering, applied cognitive psychology, 16, p 135–149.
8. Marcus, Adam (2002): Emotional memory stronger in women, Scout New, U .C.
9. Quervain, D. & et al. (2007): Nature Neuroscience doi,10.1038/ nn1945 .
<http://www.nature-11956-science> .
10. Smith .AP& et al (2006) : Task and content modulate amygdale–hippocampus connectivity in emotional retrieval, Neuron, 16, 631–638.
11. Spencer, A. Rathus (2005): Psychology, Brief version, concepts and connections,7thed, Thomson, wads warth.
12. Sharot, Tali (2005): Emotion: How does it alert our long – term memories?, Christa Labouliere, New York University.
13. Turhan, (2002): Women recall emotional issues better, Washington ,
http://rd.yahoo.com/dailynews/ap/ap_on_sc/inlinks/*http://www.Pnas.org/.

الملاحق:

ملحق (١)

مقياس (الذاكرة الانفعالية) بعد التعديل والمعد للتطبيق النهائي

جامعة القادسية / كلية التربية

قسم العلوم التربوية والنفسية

الدراسات العليا / الماجستير

عزيزي الطالبعزيزتي الطالبة

تحية طيبة

يروم الباحث القيام بدراسة علمية، لهذا يضع بين يديك مجموعة من الفقرات ارجوا منك قراءتها وتوضيح الى أي حد تعد معبرة لمشاعرك وسلوكك وآرائك (عندما تقرا هذه العبارة وتتخيلها، اريد ان اعرف كم تحرك من مشاعرك اتجاهها ، هل تثير لديك شيء ما مقدار هذه الاثارة)، اذكر ذلك من خلال وضع علامة (✓) امام كل فقرة و تحت البديل المناسب، علماً ان اجابتك لن تستخدم الا لأغراض البحث العلمي.
طرائق الاجابة على الفقرات

إذا كانت الفقرة الاولى تثير انفعالك (بدرجة كبيرة) فضع اشارة (✓) امامها

| مثيرة للانفعال | | | | | الفقرة | ت |
|--------------------|---------------|----------------|---------------|--------------------|--------------------------|----|
| درجة كبيرة جداً | درجة كبيرة | درجة متوسطة | درجة قليلة | درجة قليلة جداً | | |
| | ✓ | | | | النظر الى باقة ورد جميلة | -١ |

ذكر :

انثى :

المرحلة :

التخصص :

الكلية :

| مثيرة للانفعال | | | | | الفقرة | ت |
|--------------------|---------------|----------------|---------------|--------------------|---|---|
| درجة كبيرة جداً | درجة كبيرة | درجة متوسطة | درجة قليلة | درجة قليلة جداً | | |
| | | | | | ١. سماع خبر وفاة صديق | |
| | | | | | ٢. مشاهدة ام تلقي بابنها بعد فراق طويل | |
| | | | | | ٣. مشاهدة سيارة مسرعه تتجه نحوك | |
| | | | | | ٤. اعيش مع عائلتي في مكان بعيد عن العنف | |
| | | | | | ٥. سرقت محفظتك و انت في السوق | |
| | | | | | ٦. سماع موسيقى تحبها مع صديق عزيز | |
| | | | | | ٧. ترى شخص يبصق في الشارع | |
| | | | | | ٨. عندما تشم رائحة عطور تحبها | |
| | | | | | ٩. دخول اختبار يحدد مصيرك | |

| | | | | | | |
|--|--|--|--|--|--|-----|
| | | | | | دخول اختبار سهل الاجتياز | ١٠. |
| | | | | | اطفال جياح في خيمة ممزقة | ١١. |
| | | | | | اخبارك بالنجاح في امتحان مهم في حياتك | ١٢. |
| | | | | | السفر على متن طائرة في جو عاصف وممطر | ١٣. |
| | | | | | مشاهدة الحيوانات المفترسة داخل القفص | ١٤. |
| | | | | | عندما يظلمك شخص ما ببخس حقك | ١٥. |
| | | | | | مشاهدة حيوان يلعب مع صغاره | ١٦. |
| | | | | | مشاهدة فضلات في دورة المياه | ١٧. |
| | | | | | شاب يتبرع بالدم لشخص لا يعرفه | ١٨. |
| | | | | | التفكير في الاصابة بمرض خطير او معدي | ١٩. |
| | | | | | لديك مصدر دخل مادي جيد ومضمون | ٢٠. |
| | | | | | اخباري بنتيجة فشلي في الامتحان بالرغم مما بذلته من جهد كبير | ٢١. |
| | | | | | نجاح عملية جراحية لشخص عزيز عليك | ٢٢. |
| | | | | | شخص لا تعرفه يتوعدك بالإيذاء | ٢٣. |
| | | | | | اعلان المجاميع المسلحة عن عدم القيام بعمليات ضد المدنيين | ٢٤. |
| | | | | | يتهمك شخص بعمل سيء لم تقوم به | ٢٥. |
| | | | | | الجلوس على شاطئ بعيد عن الضوضاء | ٢٦. |
| | | | | | تسمع عن رجل فصل من عمله على اساس لون بشرته او دينه | ٢٧. |
| | | | | | عندما يجتمع اناس لبناء مسكن لأرملة | ٢٨. |
| | | | | | السفر ليلاً في طريق غير آمن | ٢٩. |

| | | | | | |
|--|--|--|--|--|---|
| | | | | | ٣٠. تقارير عن منظمة صحية دولية بان بلدنا خالي من اي وباء |
| | | | | | ٣١. مشاهدة اب يحمل ابنه الشهيد |
| | | | | | ٣٢. اخبارك ببعثة دراسية لتكملة دراستك |
| | | | | | ٣٣. مواجهة افعى سامة بشكل مفاجئ |
| | | | | | ٣٤. القاء القبض على عصابة تعتدي على الناس في الحي الذي اسكن فيه |
| | | | | | ٣٥. زميل منافس لك في الدراسة يهاجمك بألفاظ بذيئة بدون سبب |
| | | | | | ٣٦. الاستماع لصوت البلبل في حديقة جميلة |
| | | | | | ٣٧. مشاهدة شخص يتقيأ في المغاسل |
| | | | | | ٣٨. النظر الى باقة ورد جميلة |
| | | | | | ٣٩. يخبرك الطبيب لابد من اجراء عملية جراحية لك |
| | | | | | ٤٠. ضمان وصولك الى مكان عمالك في الوقت المناسب |

فاعلية استراتيجية ملخصات جيست Gist Summary في التحصيل

لدى طلاب الصف الثاني المتوسط في مادة الأحياء

أ.د. علاء أحمد عبد الواحد

الباحث إحسان خضر عيدان

كلية التربية/ جامعة القادسية

المقدمة:

يهدف البحث الى التعرف على فاعلية استراتيجية جيست في التحصيل لدى الطلاب الصف الثاني المتوسط في مادة الاحياء، تمثّل مجتمع البحث الحالي بطلاب الصف الثاني المتوسط في المدارس التابعة لمديرية تربية النجف الأشرف للعام الدراسي ٢٠٢٠ - ٢٠٢١، واختيرت متوسطة قمر بني هاشم بالطريقة القصدية لتمثّل عينة البحث ، و التي احتوت على ستّ شعب لطلاب الصف الثاني المتوسط بواقع (١٨) طالباً، و تمّ اختيار شعبة (هـ) بالطريقة العشوائية البسيطة لتمثّل المجموعة الضابطة، و بنفس الطريقة تمّ اختيار شعبة (و) لتمثّل المجموعة التجريبية، وبعد استبعاد الطلاب الراسبين في صفوفهم إحصائياً كانت المجموعتين على الشكل التالي: مجموعة ضابطة (١٨) طالباً، مجموعة تجريبية (١٨) طالباً. وبذلك أصبح عددهم (٣٦) طالباً لتمثل عينة البحث. كُوفئت مجموعتي البحث في بعض المتغيرات التي قد يكون لها تأثير في المتغير التابع: (العمر الزمني، الذكاء، التحصيل السابق)، فضلاً عن ضبط المتغيرات الأخرى من أجل سلامة البحث .

واعتمد الباحثان المنهج التجريبي، ولتحقيق هدف البحث اعد الباحثان اداة البحث المتمثلة باختبار تحصيلي، الذي تكون بصيغته النهائية من (٣٢) فقرة منها (٢٨) فقرة موضوعية و(٤) فقرات مقالية وتم التأكد من الصدق الظاهري وصدق البناء للاختبار ويجاد قيم معاملات الصعوبة والتميز للفقرات وحساب فاعلية البدائل الخاطئة للفقرات الموضوعية في الاختبار، ويجاد قيمة معامل ثبات الاختبار

بواسطة الفا كرونباخ الذي بلغ (٠,٨١)، طبق الباحثان الاختبار في الفصل الدراسي الأول للعام ٢٠٢٠-٢٠٢١، وتم معالجة البيانات احصائياً باستخدام الاختبار التائي (t. test) لعينتين مستقلتين.

الفصل الاول: التعريف بالبحث:

اولاً: مشكلة البحث: Problem of the Research :

إن التوجه العام في نظامنا التعليمي ما زال يركز على أساليب الحفظ و الأستظهار و محاولة تخزين أكبر قدر ممكن من المعلومات في ذهن الطالب ، أكثر من تركيزها على الطالب وعند القيام بالانشطة و تحمل مسؤولية التعلم مع المعلم ، فعدم التركيز على الطلبة و اشراكهم يجعلهم عاجزين عن توظيف تلك المعلومات في حياتهم اليومية بسبب عدم الفهم أو إدراك الترابط بين الافكار و المعلومات في الدروس التي يتعلموها مما لا يسهم في تعلم منتج يعتمد على طرائق و أستراتيجيات عملية التعلم ، مما يجعلهم يجدون صعوبة في تطبيقها في مواقف تعلميه لاحقة ، وبالتالي قد ينعكس ذلك على اكتسابهم للمفاهيم و تحصيلهم واستبقاء المعلومات لفترة أطول ، مما يجعل الطلبة يشعرون بصعوبة المادة وعدم تفاعلهم معها هذا من جانب ، و من جانب آخر و من خلال مراجعة الباحث للبحوث والرسائل التربوية ذات العلاقة بطرائق التدريس، و كذلك عند مناقشة الباحث لعدد من مدرسات و مدرسي مادة علم الأحياء للمرحلة المتوسطة من مدارس مختلفة ممن لديهم خبرة أكثر من خمسة سنوات في مجال التدريس ، توصل الى وجود خلل و انخفاض في تحصيل الطلبة بصورة عامة .

وعليه فان مشكلة البحث الحالي تتلخص على النحو الاتي:

- ما فاعلية أستراتيجية ملخصات جيست في التحصيل لدى طلاب الصف الثاني المتوسط في مادة الاحياء؟

ثانياً: اهمية البحث:

لا يخفى على الكثير من المتتبعين في مجال التنمية و الاقتصاد ان المجتمعات رهينة بمدى اهتمام الدول بالتنمية العامة ، و المقصود بها على وجه الخصوص القوى البشرية لما لها دور في تطور تلك المجتمعات ، من المعول على وزارة التربية و التعليم ان تهتم و تطور من الطاقات البشرية في المجتمع المتمثلة بالطلبة في مختلف اعمارهم ، بأعتبارهم نواقل و حواضن للمعرفة و مصادر نقلها عبر الاجيال ، فمن خلال العلم تتطور المعرفة و تصبح المعلومات و الظواهر اكثر وضوحا خاصة اذا تم تنظيم هذه المعرفة و تم تجهيزها في استراتيجيات و طرائق تدريس تزيد من قدراتهم العقلية و الادراكية و تنمي لديهم كافة جوانب الشخصية من خلال الممارسة و الخبرة و الاعتماد على الذات (عطية ، 2008 : 27).

و تعد المؤسسات التربوية و التعليمية من مصادر تقدم الامم و رقي مجتمعاتها بأعتبارها حواضن لنمو و تزويد الطلبة بالمعارف و القيم خصوصا في مرحلة المراهقة ، أذ يكونوا اكثر طاقة و حيوية و ميل لاثبات الذات و يحتاجون الى التوجيه و الارشاد ، وعلى هذه المؤسسات ان تنمي مثل هذه الطاقات لاستثمارها بصورة صحيحة في المستقبل (خضير ، ٢٠١٢ : ٤).

كما أن الاهتمام بالتعليم من الاولويات التي تحضى بها الامم لبناء مجتمعاتها . و مازال الاهتمام الزائد بها يشكل السمة البارزة في هذا العصر ، فالاهتمام باساليب التعليم و عملية تنشئة الاجيال اصبح واضحا بأعتبارهم ثروة بشرية تتقدم بهم الامم . فالمجتمعات على اختلاف رقيها تهدف الى استثمار طاقات شبابها خصوصا في مرحلة المراهقة ، لانها مرحلة تحتاج الى تعديل في السلوك و بناء للتوجهات بما يخدم الصالح العام ، و نحو تحقيق اهداف مرموقة تعود بالنفع على المجتمع . أذ يقع على عاتق مؤسسات هذه الدول تنمية هذه الطاقات و استثمارها من جميع النواحي الاجتماعية و الاقتصادية و النفسية ، فالمؤسسات التعليمية متمثلة بالمدارس و الجامعات هي مكان الكشف و تنمية مثل هذه الطاقات و القدرات . (الخولي ، ٢٠٠٢ : ٧٥) .

و أن المدارس تعد احدى المؤسسات التعليمية التي لها دور كبير في تنمية جوانب الشخصية (الانفعالية ، والاجتماعية ، و النفسية) أذ تمثل البيئة الصفية و الدراسية مناخ من الحرية و الديمقراطية في التعبير عن آرائهم و اهتماماتهم بحيث يكونوا مستقلين و قادرين على تحمل المسؤولية في اتخاذ قراراتهم حسب ادراكهم للامور و مدى معرفتهم بما يمتلكون من سمات لتحقيق الذات . فالمدرسة هي البيت الثاني للطالب و الابتعاد عن البيت و الاسرة يجعله قادرا على اتخاذ القرارات الشخصية و الدراسية بصورة فردية بالاعتماد على نفسه ومدى ما يمتلكه من قدرات من اجل الحصول على افضل الدرجات و العلامات وصولا لتحقيق النجاح (دليلة ، ٢٠١١ : ١٧) .

ويرى الباحثان أن الظرف الحالي يحتاج الى الانفتاح على العالم و التماشي مع التطورات الحاصلة في اغلب الدول النامية ، فلا يخفى على الكثير ان الحياة تتطور بفعل تأثير و حدوث بعض المتغيرات فيها ، أذ تؤدي الى ظهور اتجاهات و افكار جديدة ، كما حدث من تغيرات بسبب جائحة كورونا ، أذ الفت بظلالها و أضرارها على كل جوانب الحياة ، من جانب صحي و اقتصادي ، بما في ذلك التعليم ، و للاستفادة من هذه الطاقات يجب الاعداد الجيد لها في المراحل التي تسبقها و هي مرحلة الدراسة الثانوية (لاجياد ، ٢٠٠٢ : ١)

فقد أكد القائمون على المجال التربوي على أن تدريس العلوم ليس فقط نقل المعارف و المعلومات للطلبة، بل هو عملية تساهم في بناء معارفهم وتطوير افكارهم و ادراكاتهم، وتهتم بتكوينهم ونموهم العقلي و الوجداني و المهاري ، وليس كيف يحفظون المعلومات دون معرفتها و ادراكها وتطبيقها في حياتهم العملية.(عبدالسلام، 2006: 148) .

ويؤكد (Mc Fadden ; 1980) أن تدريس العلوم يهدف إلى تزويد الطلبة بالمعلومات التي تمكنهم من فهم لغة العلوم ، والمدخل العلمي الصحيح لدراسة العلوم ، ولذلك يتطلب وضع الطلبة في مواقف تعليمية تجعلهم قدر الإمكان يندفعون للبحث عن تفسيرات للظواهر من حولهم (Mc Fadden,1980 :129).

وفي نفس السياق يعد التدريس من العناصر و الجوانب المهمة في احداث التعليم في داخل و خارج المؤسسات التعليمية ، فالتدريس هو فن التواصل مع الطلبة بمختلف اعمارهم و في التفاعل مع افكارهم للحصول على اكثر قدر من المعلومات ثم اصدار الاحكام عليها ، و يعده البعض بالقدرة التي يمتلكها المعلم في اثاره الدافعية و حب الاستطلاع و المشاركة و الاستمتاع لدى الطلبة ، وهذا بدوره يتطلب ان يكون المعلم على معرفة و دراية وافية عن استراتيجيات و طرائق التدريس و حسب ميول و رغبات الطلبة و مدى ملائمتها لأعمارهم (العمراني ، ٢٠١٤).

وقد اشارت (Golowash, 1985) الى ان التعلم الفعال يمكن ان يحدث اذا حدث توافق بين الطلبة و المدرسين بالاعتماد على تميز الخبرة و الاستقلال لديهم ، أذ يمكن ان تجعلهم يتميزون و يتفردون بأفكار و اساليب معرفية مميزة فيما بينهم (Golowash,1985,p:34)

و أدى ظهور الاستراتيجيات الحديثة في التدريس على تركيز فاعليتها من المعلم إلى المتعلم الذي يعد في مركزا للفعاليات و الانشطة التي تهدف إلى تحقيق أهدافها العملية التعليمية، وان التعليم في هذه الحالة يكون أكثر مقاومة للنسيان فضلا عن إن هذه الاستراتيجيات تساعد الطلبة في التعلم الذاتي (ملحم، 2006: 425).

إذ تعد استراتيجيات التعليم احد اهم أدوات المؤسسات التعليمية منسجمة بذلك مع المنهج لاحداث التعديل و التغيير في السلوك ، فالاستراتيجيات الحديثة و خاصة في ظل هذه الظروف يجب ان ينصب اهتمامها و تركيزها حول المتعلم و مدى تفاعله و نشاطه و تمتاز بالمرونة ، حيث اصبح دور المعلم في هذه الاستراتيجيات دور المسير للتعليم و القائد لاكساب الطلبة المعرفة بالاعتماد على انفسهم و ادراكاتهم ، و يتحملون الجزء الاكبر من عملية التعلم (الزهيري ، 2015: 131) .

فالاستراتيجية التدريسية الجيدة هي التي تعمل على تحقيق التفاعل بين أطراف الموقف التعليمي ألتعلمي، فضلا عن تحديد الاداءات التي يقوم بها كل من المتعلم والمعلم وتوجيهه الدرس نحو تحقيق أهداف أو حل

مشكلات محددة مسبقا فضلا عن ذلك فهي لا تركز على الجانب المعرفي فقط بل تذهب إلى مجالات أخرى كالجانب الوجداني، وذلك بالتفاعل الاجتماعي بين المتعلمين إذ يكون للمعلم دورا مميزا كمرشد، وميسر، ومساعد، ومنظم، ومصدر للأفكار وأساسا في عملية التواصل بين المتعلمين وليس التدريس فقط (الحلاق، 2007: 105).

و يرى (الشمري ، 2010) ان من بين هذه الاستراتيجيات التي تحقق ذلك هي استراتيجية ملخصات جيست Gist summary التي تتطلب تدريب الطلبة على استخلاص المعلومات و عزلها عن سياقها في اي موضوع او نشاط تعليمي و و وضعها بشكل ملخصات في قوالب جاهزة تسمى قوالب جيست يستخرجون من النص المقروء المعلومات التي تتناولها اسئلة الاستفهام الآتية (من - ماذا - لماذا - اين - كيف - متى) لعلها بذلك تجعلهم اكثر نشاطا و استقلالية و اعتماد على الذات في استخلاص و عزل المعلومات من خلال عملياتهم الادراكية بفعل التنظيم و المسار الذي يساعدهم على ذلك المتمثلة في تلك الاستراتيجية (الشمري ، 2010: 181).

ولأهمية التحصيل فقد اجريت العديد من الدراسات السابقة اعتماده كمتغير مستقل او تابع مثل دراسة (الأسطل ، 2010) وقد هدفت الى تقصي أثر تطبيق استراتيجيتين للتعلم النشط في تحصيل طلاب الصف التاسع الاساسي في مادة التاريخ و في تنمية تفكيرهم الناقد في الاردن ، ودراسة (صقر ، 2016) وهدفت الدراسة الى التعرف على أثر استخدام استراتيجية الصف النشط على تحصيل طلبة الصف الخامس الاساسي في مادة الرياضيات في مدينة نابلس و اتجاهاتهم نحو تعلمها . وعلى ضوء ذلك يمكن للباحثان ان يلخصان اهمية البحث بالنقاط الآتية:

١. التعرف على مدى فاعلية استراتيجية ملخصات جيست في تحصيل طلاب الصف الثاني المتوسط في مادة الاحياء، باعتبار ان التحصيل جانب مهم يجب التعرف عليه لمعرفة مدى امتلاكهم للجوانب و الاساليب المعرفية .

٢. يقدم البحث الحالي تفسيرات عن كيفية رفع مستوى التحصيل لدى الطلبة و كذلك الطرق التي تنمي الأيجابية لديهم أو الأعتداد على الذات أو أية سمة تجعلهم يشتركون في عملية التعليم بشكل ايجابي اعتمادا على قدراتهم العقلية و عملياتهم الذهنية .

٣. سوف يضع البحث الحالي بعض الاستنتاجات و التوصيات و المقترحات في ضوء نتائج البحث ، قد تسهم في معالجة بعض المشكلات ، و الدعوة الى اجراء دراسات مشابهة لها لمراحل و مواد أخرى .
ثالثاً : اهداف البحث Aims of the Research :

يهدف البحث الحالي الى:

١. فاعلية استراتيجية ملخصات جيست في التحصيل لدى طلاب الصف الثاني المتوسط في مادة الاحياء .

رابعاً : حدود البحث The Scope of the Research : اقتصر البحث الحالي على:

- ١) الحد المكاني : متوسطة قمر بني هاشم للبنين الحكومية التابعة لمديرية محافظة النجف الاشرف
- ٢) الحد المعرفي : كتاب العلوم للصف الثاني المتوسط المقرر من وزارة التربية - المديرية العامة للمناهج للعام الدراسي (٢٠٢٠ - ٢٠٢١) و تم تحديد فصول الدراسة بعد الحذف ، و هي (الوحدة الرابعة و تشمل الفصل السابع: الكائنات الحية البسيطة ، و الفصل الثامن : مملكة النباتات ، و الفصل التاسع : مملكة الحيوانات ، الوحدة الخامسة و تشمل الفصل العاشر فقط : البيئة و مكوناتها)
- ٣) الحد البشري : طلاب الصف الثاني المتوسط لمدرسة قمر بني هاشم للبنين .
- ٤) الحد الزمني : الفصل الدراسي الاول للعام الدراسي ٢٠٢٠ - ٢٠٢١ .

خامساً : تحديد المصطلحات Definitions Basic Terms:

- ١) استراتيجية ملخصات جيست Gist Summary عرفها كل من :
 - يعرفها (عطية ، 2018)

"عبارة عن نموذج لتلخيص محتوى النص المقروء في عشرين كلمة أو أقل منها يتضمن كلمات أو مفاتيح أسئلة يمثل كل منها مجالا من المجالات التي ينبغي أن ينصرف ذهن القارئ للبحث عما ينتمي لها أو يصنف فيها أفكاره في النص و هذه الكلمات هي : (من ، ماذا ، متى ، أين ، لماذا ، كيف)" (عطية ، 2018: 273) .

يعرف الباحثان استراتيجية جيست اجرائياً بأنه: هي استراتيجية تقوم على ما لدى طلاب المجموعة التجريبية من قدرة على القراءة و الفهم لطبيعة الاسئلة و المعلومات المتعلقة بها من خلال مجموعات داخل الصف يستخرجون من النص ماهو مفيد و مهم متمثل في مفاتيح الاسئلة الآتية (من ، ماذا ، متى ، أين ، لماذا ، كيف) للمساعدة في رفع مستوى التحصيل لدى طلاب الصف الثاني المتوسط في مادة الاحياء .

(٢) التحصيل : The Achievement : عرفه كل من :

- الدرجة أو النتيجة النهائية التي يحصل عليها الطالب خلال بذله مجهود تعليمي في موضوع ما (Alderman,2004:101).

الفصل الثاني: خلفية نظرية ودراسات سابقة:

اولا : التعلم النشط : النشأة التاريخية للتعلم النشط

إن المتبعين لآثار وتاريخ الفلاسفة و المهتمين في المجال التربوي يجدون جذورا تاريخية للتعلم النشط يعود الى القرن الذي عاش فيه سقراط و روسو في نهاية القرن الرابع تقريبا ، فقد كان هذا التوجه واضحا في فكر سقراط حينما كان يتبع بعض الطرق في تعليم طلابه من خلال طرح اسئلة تتضمن مشاكل و على الطلبة ان يتشاركوا و يتناقشوا فيها ليجدوا لها حلول .

كانت الغاية من ذلك هي توليد الكثير من الافكار و الابتعاد عن الجمود و الخمول اثناء الحصة ، و اشغالهم بعمليات التفكير و التحليل ، و اعتماد الطلبة على انفسهم لايجاد الحلول و تحقيق الاهداف

المرجوة من عملية التعليم . ومن هنا بدأت بوادر لاستخدام التعلم النشط ، فقد اكد ذلك المفكر الصيني لاوتس في القرن الخامس حينما دعى الى تعلم ذو معنى بمقولته (اذا حدثتني : سأستمع اليك ، اذا أريتني : سأكتفي بالمشاهدة ، اذا تركتني اختبر : سأتعلم) (عطيه ، 2018 : 27) .
توالت الاتجاهات و الافكار حول التعلم النشط . ففي القرن التاسع عشر جاء جون ديوي ليشير الى أثر الخبرة و الممارسة في سرعة و فاعلية التعلم من خلال اجراء التجارب و تفاعل الفرد مع بيئته.
(المصدر السابق : 191).

كما نال التعلم النشط في مجال التربية و التعليم الكثير من الاهتمام و التركيز ، وهذا ما اكدته اغلب نظريات التعلم ، كالنظرية البنائية التي اشار اصحابها بان المعرفة تبنى لدى المتعلم حسب تفاعله و نشاطه مع البيئه من جهة و الاخرين من جهة اخرى (بدوي 2010 : 159).
وتكامل مفهوم التعلم النشط واصبح يدعو الى تغيير نظرة المؤسسات التعليمية السابقة باعتبار المتعلم هو المحور في عملية التعلم و التعليم ، و المعلم يكون موجه و مسير لعملية التعليم و يوفر البيئه التعليمية الغنية بالانشطه التي تثير التفكير و تدعو الى التأمل و المناقشه من خلال طرحه للاسئلة التي ترتبط بحياة المتعلم و تراعي اتجاهاته و رغباته ، و الابتعاد عن النظره القديمه في عملية التعليم التي كان فيها الدور الاكبر للمعلم و ما الطالب فيها الا مستمع و متلقي سلبي يحفظ المعلومات و يقوم باسترجاعها (الاسطل ، 2010 : 11).

١- فلسفة التعلم النشط :

تقوم فلسفة التعلم النشط على منطلقات النظرية البنائية و التي تؤكد على ان المتعلم هو الذي يبني معلوماته بنفسه و بشكل مستقل عن طريق التفاعل المباشر مع المحتوى الدراسي في المنهج و توظيف استراتيجيات تعلم تعمل على احداث تغييرات في السلوك و كافة المجالات (المعرفية ، و النفسية ، و المهارية) لدى الطلبة ، ينخرطون فيها الى المشاركة و حب الاستطلاع و التفاعل فيما بينهم لتوليد افكار

و معارف جديدة تبقى في اذهانهم لانهم من سيعملون و يقومون بالعمليات من قراءة ، و كتابة ، و تحليل، و تلخيص للمعلومات .

فمن خلال ما قام به الباحثان من مراجعة ادبيات و دراسات سابقة. تمكن من الوصول الى عدد من الافتراضات التي تمثل اساس التعلم النشط ، و تمثل اهم مبادئ النظرية البنائية ، كما بينها (زيتون ١٩٩٨ : ١٩٥) و (عباده ، ٢٠٠٢ : ٧) و (ابراهيم ، ٢٠٠٤ : ١٩٥) وهي :

- ١- يتعلم الطلبة عندما يقومون بربط التعلم السابق بالتعلم الحالي فيكون التعلم لديهم ذي معنى .
- ٢- على المتعلم ان ينمي معارفه بنفسه بشكل مستقل و بصورة ادراكية بأشراك حواسه و لا يتم ذلك الا من خلال التفاوض و التفاعل مع الاخرين .
- ٣- يتم اكتساب المعرفة نتيجة القيام بجهد عقلي من قبل المتعلم نفسه في بيئة غنية بالانشطة التعليمية ، و مشوقه للماده و ترتبط بالبيئة فيتحقق عندهم الفهم و الادراك بصورة تنمي الثقة بالنفس والشعور بالرضا.

ويضيف (عواد و زامل ، ٢٠١٠)

- ٤- ان التعلم يكون بصورة افضل عندما يتعلم الطلبة مع بعضهم البعض .
- ٥- يتم التعلم بطرائق مختلفة ، كلا حسب قدرته و استعداداته بما يتناسب مع المراحل العمريه للطلبة . (عواد و زامل ، 2010 : 24) .

وتعود فكرة التعلم النشط الى ازمان بعيده فهو ليس بالفكرة الجديدة، فقد كانت هذا الاتجاه في التعليم من عهد سقراط و من ثم توالى الافكار و و الاهتمام به من قبل المربين آنذاك ، امثال جون ديوي . كان التركيز على التعلم باعتبار المتعلم هو جوهر العملية التعليمية التي يجب ان تحققها المؤسسات التربويه بجعله نشطا ، مثيرا لتفكيرهم من خلال وضع الطلبة في مواقف تجبرهم على القراءه و الكتابة (قنديل ، 2000 : 44) .

٢- مفهوم التعلم النشط :

ظهرت الكثير من التعريفات التي تناولت في مجملها مفهوم التعلم النشط ، سوف نستعرض البعض منها. فقد عرفه (Rudasil , 2011) هو منح الوقت اللازم للطالب لكي يقوم بالقراءة و الكتابة و التحليل و التنظيم و بالاستمرار سوف يقوم بخزن المعرفة الموجودة في المحتوى و تبقى لأطول وقت ممكن (Rudasil, 2011: 75).

- كما أشار (اللقاني و الجمل ، 1999) ((هو التعلم الذي يشارك فيه المتعلم مشاركته فعالة في عملية التعلم بالقراءة و البحث و المناقشة و الاطلاع والأنشطة الصفية و اللاصفية ويكون المعلم فيه موجها و مرشدا)) (عطية ، 2018 : 29). نقلا عن (اللقاني و الجمل ، 1999) .

ويسعى القائمين في المؤسسات التربوية الى التعلم النشط بناء على ما جاء من نتائج و دراسات اظهرت فاعلية هذا النمط في التعليم فالتعلم النشط يؤدي الى :

- ١- رفع مستوى مهارات التفكير و التأمل و بالتالي زيادة التحصيل لدى المتعلمين.
- ٢- ينمي ذاتية المتعلم و اعتماده على نفسه في حل المشكلات بصورة مستقلة من جهة و من جهة مع الآخرين

(بدير ، ٢٠١٢ : ٤٠) .

٣- الممارسة و المشاركة الجماعية و التعزيز و الانشغال بالانشطة هو الأساس الذي يؤدي الى التعلم

٤- يؤدي التعلم النشط الى تحمل المسؤولية فهو يربط بين المادة التعليمية و حياتهم مما يوجب ضرورة الاعتماد على الذات في حل المشكلات (عويس ، ٢٠٠٠ : ٢٥) .

٥- زيادة الحماس داخل الصف من خلال تفاعل الطلبة مع اقرانهم

- ٦- استبقاء المعرفة الى اطول فترة في اذهان الطلبة لانها نتاج الممارسة والخبرة (جبران، ٢٠:٢٠٠٠).
- ٣- اهداف التعلم النشط : يمكن تلخيص هذه الاهداف بالآتي :
 - ١- رفع مستوى التحدي و الدافعية لدى الطلبة للقيام بالانشطة و استخدام العمليات العقلية العليا مثل التحليل و التركيب و التقويم للمرور بالخبرات بصورة واقعية .
 - ٢- الاهتمام باتجاهات و ميول الطلبة من خلال التنوع في استخدام طرائق التدريس .
 - ٣- يساعد الطلبة على القراءة و التلخيص و هذا بدوره يساعد على تبسيط العمليات العقلية و عدم استنزاف الجهد العقلي للطلبة لانه يتم في خطوات متسلسلة و منظمة .
 - ٤- التقييم الذاتي للطلبة من خلال طرح الاسئلة على بعضهم البعض و التفاعل و المشاركة و بالتالي سوف يتزودون بتغذية راجعه فورية، تمكن الطلبة من تصحيح المعلومات و عدم ثبات المفاهيم الخاطئه لدى الطلبة . (سعاده و آخرون ، 2011: 35 - 37).
- ٥ - خصائص التعلم النشط : هنالك جملة من الخصائص اتفق اغلبية المربين عليها ، يتميز بها التعلم النشط وهي :
 - ١- جعل المتعلمين في حالة من النشاط و الحيوية و يكون الطلبة فيه ايجابيين في جميع الامور داخل الصف و خارجه مثل القراءة و الكتابة و المناقشة و التعامل مع الاخرين و ربط التعلم بالبيئة .
 - ٢- تشجيع الطلبة للقيام ببعض المهارات اللازمه لتحقيق الاهداف التعليمية كالتلخيص ، و الاستقراء و الاستنتاج ، و التحليل و غيرها من المهارات التي تحتاج الى عمليات عقلية عليا.
 - ٣- يجعل من عملية التعلم ذات معنى و يساعد على تنظيم الافكار و المفاهيم العلمية من خلال ربط المعرفة السابقة بالمعرفة الجديدة.
 - ٤- المشاركة و طرح الاسئلة على بعضهم البعض و الاستماع الى الاجوبة . و هذا بدوره يجعلهم في حاله من الانشغال و لا يضجرون من وقت الدرس .

٥- ممتع و بعيد عن الضجر و الملل وفيه تكون غرفة الصف غنية بالمواد و الادوات التي تساهم في توفير بيئة تعليمية ملائمة تجعلهم اكثر ايجابية في جميع النواحي المعرفية ، و النفسية ، و الاجتماعية .
(Belchei, 2003: 32) .

٦- يكون الطلبة فيه متعاونين مع بعضهم البعض من خلال التشكل في مجموعات لغرض الانجاز بصورة سريعة و اشاعة روح التنافس بين المجموعات . (الشربيني و عفت ، 2011 : 57) .
معوقات استخدام التعلم النشط :

هنالك جملة من الامور التي تشكل عوائق تحول دون التمكن من تطبيق التعلم النشط منها :

- ١- عدم توفر الوقت الكافي للتطبيق .
- ٢- وجود اعداد كبيرة من الطلبة في غرفة الصف .
- ٣- عدم توفر الادوات و الاجهزة الكافية لجميع الطلبة .
- ٤- الخوف من عدم السيطرة على انضباط الطلبة داخل غرفة الصف .
- ٥- الحاجة الى تقنيات و مصادر تعلم حديثة .
- ٦- خوف بعض المتعلمين من تحمل المسؤولية و الخجل في التعامل مع الاخرين وعدم مشاركتهم بالمناقشات
- ٧- خوف بعض المعلمين من عدم اكمال المنهج عند استخدام استراتيجيات التعلم النشط .
(عطية ، 2018 : 2010 - 2011) .

طرق التغلب على معوقات التعلم النشط : يمكن التقليل من بعض المعوقات التي تواجه التعلم النشط بما يأتي :

- ١- استخدام الاستراتيجيات التي لا تحتاج الى ادوات و اجهزه و تقنيات خاصه قدر الامكان مثل (العصف الذهني ، كرة الثلج ، المناظرة ، وغيرها).
 - ٢- تجزئة اعداد الطلبة من خلال العمل في مجموعات (4 - 5) كل مجموعه مسؤوله عن تعلم جميع افرادها من خلال اشتراكهم في الجواب من شأنه ان يقلل ذلك من الازدحام في اعداد الطلبة و ضمان تعلم الجميع .
 - ٣- اعطاء التشجيع للطلبة لتلافي الخجل و عدم المشاركة و هذا يتم من خلال اختيار ما هو مناسب و محبب لهم و مثير لتفكيرهم من اختبارات و استراتيجيات تراعي ميولهم و قدراتهم .
 - ٤- وضع برامج تدريبيه للمعلمين تمكنهم من التعرف على اساليب التدريس الحديثه (اساليب و استراتيجيات التعلم النشط) و استخدامها في الصف لرفع مستوى تحصيل الطلبة . (الشرييني و عفت ، 2011 : 72) .
 - ٦- استراتيجيات التعلم النشط :
- أكدت الكثير من الدراسات و البحوث في المجال التربوي ان التعليم يتم بالعمل . اي تجريب ما تعلمه و تطبيقه ، وبما ان عملية التطبيق تتم كلا حسب امكاناته، و قدراته، و مهاراته ، فمن الحكمة ان يكون هنالك مجموعة من الطرائق و الاستراتيجيات في التدريس تهدف الى نقل المعرفه و مسؤولية التعلم من المعلم الى المتعلم ، وهذه بعض من الاستراتيجيات :
- ١- استراتيجية الاسئلة و الاجابات ٢- استراتيجية Kwl ٣- استراتيجية فرز المفاهيم ٤
 - ٥- استراتيجية 5Ws&1H ٦- استراتيجية ملخصات جيست Gist (الشمري ، 2010 :
- 181).

ثانيا : استراتيجية ملخصات جيست Gist Summary

- ١- مفهوم الاستراتيجية :

من خلال اطلاع الباحث على عدد من الابحاث و المصادر توصل الى أن هذه الاستراتيجية عبارة عن قوالب gist template يتم فيها تلخيص محتوى النص المقروء في عشرين كلمة او اقل. تتضمن كلمات او عبارات تمثل بداياتها مفاتيح لاسئلة تتناول كل منها مجال من المجالات التي تهدف الى تحقيقه عن طريق هذه الاسئلة، وهذه الكلمات هي (من ، ماذا ، متى ، اين ، لماذا ، كيف) يقابلها باللغة الانكليزية (why – what – where – when who – how)

تستخدم هذه الاستراتيجية في بداية الدرس او أثناءه ، تقسم فيها الطلبة الى مجموعات صغيرة . تتجلى اهمية هذه الاستراتيجية بالنسبة للطلبة بما يأتي :

١- تستخدم لتلخيص المعلومات و تجعل الطلبة اكثر استقلالا في اكتساب المعرفة و عملية الادراك لما موجود المحتوى الدراسي .

٢- خزن المعلومات بطريقة توفر مساحات تخزين كبيرة لانها تهدف الى اشغال الذاكرة بالامور الاساسية و الجوهرية التي تنطلق منها باقي الافكار و المسلمات الاخرى .

٣- استدعاء المعلومات يكون بصورة سلسة و سهله من خلال ما اكدته اغلب الدراسات حول التعلم ذي المعنى لان الطلبة هم من سبق وان استخرجوا هذه المعلومات من النصوص .

٤- تنمية الذكاء اللغوي و المنطقي من خلال حرية التعبير عند الكتابة اثناء الاختبارات و القيام بالواجبات لان الطلبة سوف يتدربون عليها و يقامون مسبقا بذلك اثناء الدروس، وهذا بدوره يقلل من ضياع بعض المفردات نتيجة النسيان .

٥- تشجيع الطلبة على القراءة الهادفة و الفاحصة وبالتالي ادراك العلاقات بين المواضيع في النص وهذا يوفر مساحة من التخزين لأكثر قدر ممكن من المعلومات في الذاكرة ، و عدم استنزاف الجهد العقلي لدى المتعلم. (عطية، 2018: 372).

متطلبات تطبيق الاستراتيجية:

- ١- نص موجود في المحتوى الدراسي او روابط لنصوص موجود في الانترنت لبعض المواضيع التي يحددها المعلم .
 - ٢- تدريب الطلبة مدة من الوقت على كيفية العمل وفقا لهذه الاستراتيجية من قراءة النصوص و تحليلها في ضوء نموذج جيست ذي المجالات الستة ثم ملئ هذه القوالب بشكل ملخصات .
 - ٣- تقسيم الطلبة الى مجموعات صغيرة و تدريبهم على الكيفية التي تتم فيها المناقشة و تبادل الافكار .
- قوالب من نموذج جيست توزع على الطلبة في البداية من قبل المعلم لتوضع فيها الملخصات و من ثم يقومون هم بتصميمها ، و النموذج الآتي يوضح هذه القوالب .

GIST Template

Name _____

Article Title _____

Article Source _____

1. Read the article.

2. Fill out the 6Ws and H:

| | |
|--------|--|
| Who: | |
| What: | |
| Where: | |
| When: | |
| Why: | |
| How: | |

من
لماذا
أين
متى
ماذا
كيف

3. Write a 20-word GIST.

اكتب ملخص من ٢٠ كلمة من جيست

| | | | |
|-------------------------|-------------------------|-------------------------|-------------------------|
| <hr/> <hr/> <hr/> <hr/> |
|-------------------------|-------------------------|-------------------------|-------------------------|

يحتوي النموذج في الاعلى على اسم الطالب و عنوان الموضوع و ملاحظات الاجابه بعد قراءة النص (من - ماذا - متى - اين - لماذا - كيف) لكي تساعده في التركيز بشكل مستمر اثناء القراءة و تحقيق الاهداف التي تصبوا اليها الاستراتيجية (الاهداف التعليمية) و كذلك يحتوي الملخص على عبارة (أكتب ملخصا من عشرون كلمة تقريبا) .

خطوات استراتيجية ملخصات جيست :

١- قسم النص الذي سيقروه الطلبة الى عدة أجزاء ، اذا كان النص طويلاً ، يحتوي كل جزء على فكرة رئيسية ، و ثم يكتب الطلبة الخلاصة من عشر كلمات تقريبا ، ليس كما في النص الكامل.

٢- قسم الطلبة الى مجاميع صغيره ثم اطلب منهم قراءة النص او الاجزاء المطلوبة و من ثم كتابة ملخص عن ذلك بعشرون كلمة تقريبا بأسلوبهم الخاص و ليس نقلا حرفيا من النص .

٣- تدريبهم على التقليل من الكلمات وحذف الجمل غير المهمة، و استخراج الافكار الرئيسية من اي نص و التعبير عنها بلغتهم الخاصة .

٤- اعطاء قوالب ملخصات جيست من قبل المعلم في مرحلة التدريب ليتمكنوا من تصميمها لوحدهم فيما بعد . (عطية ، 1018:376) نقلا عن (Rhoder , 2002).

٥- منح المجموعات بعض الوقت لكي يتناقشوا فيما بينهم حول ملخص كل مجموعة ، و تكتب الخلاصة على السبوره من قبل المعلم .

٦- تنفذ المجموعات نفس الخطوات السابقة على بقية اجزاء الدرس الاخرى . مثال على ذلك عندما يقسم المعلم الموضوع الى جزئين من النصوص فأن المجموعات تلخص عشرة كلمات للنص الاول و عشر كلمات للنص الثاني و في النهاية يتناقش الطلبة (المجموعات) فيما بينهم و يكتب ملخص كامل من عشرون كلمة تقريبا. (الشمري ، 2010:181).

الفصل الثالث: منهجية البحث واجراءاته:

يتناول الباحثان في هذا الفصل الاجراءات التي سيقومان بها من حيث اختيار المنهج التجريبي واختيار مجتمع البحث وعينته واعداد اداة البحث والية اختيار الوسائل الاحصائية المستخدمة وكما يلي.
اولاً: منهج البحث:

اعتمد الباحثان المنهج التجريبي الذي يتلائم مع البحث الحالي وهو المنهج أو المخطط الذي يضعه (الباحث) و يسلكه في تنفيذ التجربة و لتحديد الظروف و المتغيرات المختلفة التي تصاحب ظاهرة ما ، من أجل التوصل الى نتائج صحيحة (تونسية ، 2012: 94).

و عرفه (كريس و ويل ، 2012) هو أثبات الفروض باستخدام التجربة (: Cress & Well, 2012)
(79

ثانياً: مجتمع البحث:

تم تحديد مجتمع البحث (متوسطة قمر بني هاشم) بصورة قصدية ، وقد تألف مجتمع البحث الحالي من جميع طلاب الصف الثاني المتوسط للعام الدراسي (٢٠٢٠ - ٢٠٢١) من مدرسة (قمر بني هاشم) التابعة للمديرية العامة لتربية محافظة النجف الاشرف ، و البالغ عددهم (١٠٨) طالبا ، لعدة اسباب منها أنها مدرسة الباحثان أذ يمكن تقديم المساعدة اليهما من قبل إدارة المدرسة و التعاون و تقديم التسهيلات لتنفيذ تجربة البحث في ظل تلك الظروف الاستثنائية التي يمر بها البلد من وباء كورونا و عدم انتظام الدوام ، و قربها من سكن الباحثان مما يمكنهم من الوصول إليها بسهولة طيلة أيام التجربة من دون انقطاع وفي أشد الظروف ، كذلك تعكس المدرسة إلى حد كبير مجتمع المدارس الموجودة في محيطها، فهي ليست متميزة ولا متأخرة عن المدارس الأخرى ، وان معظم طلابها من الطبقة المتوسطة ومن منطقة جغرافية واحدة . أذ تحتوي على ستة شعب للصف الثاني المتوسط هي (أ ، ب ، ج ، د ، هـ ، و) أختيرت الشعبة (و) بصورة عشوائية ، لتمثل المجموعة التجريبية ، إذ تضم (20) طالب ،

ومثلت الشعبة (هـ) المجموعة الضابطة . و بعد أستبعاد الباحثان للطلاب الراسبين أحصائياً، الطلاب الذين درسوا الموضوعات نفسها سابقا لكونهم يؤثرون على نتائج البحث ، أصبح المجموع الكلي للطلاب الخاضعين للتجربة (36) وحسب جدول (١)

عدد طلاب مجموعتي البحث التجريبية والضابطة قبل الاستبعاد وبعده

| الشعبة | المجموعة | عدد الطلاب قبل الاستبعاد | عدد الطلاب الراسبين | عدد الطلاب بعد الاستبعاد |
|---------|-----------|--------------------------|---------------------|--------------------------|
| و | التجريبية | 20 | 2 | 18 |
| هـ | الضابطة | 19 | 1 | 18 |
| المجموع | | 39 | 3 | 36 |

ثالثاً: عينة البحث:

تم اختيار طلاب شعبة (و) و طلاب شعبة (هـ) بالطريقة العشوائية لتمثل عينة البحث والبالغ عددهم (٣٦) طالباً .

وتعني العينة العشوائية: هي العينة التي يتم اختيارها على اساس مبدأ العشوائية الذي يتيح لجميع افراد المجتمع الاصلي فرصاً متكافئة للظهور في العينة بمعنى ان تكون هناك فرصة لكل مفردة في ان يتم اختيارها لتكون جزءاً من العينة التي تمثل المجتمع من دون ان يرتبط اختيارها باختيار مفردة اخرى. (عطية، ٢٠٠٩، ٩٧)

رابعاً: اداة البحث:

تم اعداد اختبار تحصيلي وفقاً للخطوات الآتية:

(١) تحديد الهدف من الاختبار : يهدف الاختبار الى معرفة مستوى تحصيل مجموعتي البحث في مادة الاحياء للفصول التي تم تحديدها في التجربة .

٢) تحديد عدد فقرات الاختبار : اعتمد الباحث في تحديد عدد فقرات الاختبار على آراء المحكمين و المختصين في مجال طرائق التدريس و ذوي الأختصاص ، بالإضافة الى اطلاع الباحثان على بعض الدراسات السابقة ، التي ركزت على التحصيل باعتباره متغيرا تابعا في الدراسة ، إذ تم الاتفاق على (٢٨) فقرة اختبارية ، من نوع الاختيار من متعدد ذات الثلاث بدائل ، أحدها صحيح و الأخرى خاطئة. و كذلك اربعة فقرات مقالية ، أذ بلغ عدد الفقرات الكلي (٣٢) فقرة .

٣) جدول المواصفات : table of specification

هو جدول يتكون من عمودين ، العمود الافقي يمثل الموضوعات أو المحتوى ، و العمود الرأسي يمثل الاغراض ، في هذا الجدول يتحدد عدد الاسئلة اعتمادا على الموضوعات و الاغراض ، أذ توضع في كل خلية من خلايا المستوى المعرفي عدد الاسئلة الخاصة به لكل موضوع ، و هذا يتطلب تحديد الوزن النسبي لكل فصل او موضوع ، أذ قام الباحثان بذلك من خلال عدد الحصص التدريسية التي يحتاجها كل فصل من المحتوى التعليمي ، أما بالنسبة للوزن النسبي للاغراض السلوكية ، فقد حدده الباحثان من خلال حساب نسبة كل مستوى سلوكي مقسوما على العدد الكلي لجميع الاغراض السلوكية .

٤) صياغة فقرات الاختبار : تم صياغة فقرات الاختبار من نوع الاختيار من متعدد من ثلاث بدائل ، أحدها صحيحة و البقية خاطئة . إذ بلغ عدد فقرات الاختبار الموضوعية (٢٨) فقرة اختبارية ، و اربعة فقرات مقالية ، و بذلك اصبح العدد الكلي لفقرات الاختبار (٣٢) فقرة ، حيث تم الاخذ بآراء الخبراء و المحكمين في مجالات طرائق التدريس .

٥) صياغة تعليمات الاختبار : قام الباحث بإعداد التعليمات الخاصة بالاختبار ، و التي توضح كيفية الاجابة على فقرات الاختبار ، و الوقت اللازم للاجابة ، و كذلك عدم الاجابة على ورقة اسئلة الاختبار ، و الاجابة بالورقة الخاصة المعدة من قبل الباحث للاجابة .

٦) تصحيح فقرات الاختبار: اعتمد الباحث في التصحيح على اعطاء درجة واحدة للجواب الصحيحة ، و صفرا للجابة الخاطئة و المهملة بالنسبة للفقرات الموضوعية ، اما بالنسبة للفقرات المقالية فقد عمد الباحث الى اعطاء درجة لكل فكرة فيها ، أذ أعد الباحث مفتاح تصحيح فقرات الاختبار ، حيث تراوحت درجات الاختبار بين (صفر - ٢٨) للفقرات الموضوعية ، و (صفر - ١٢) للفقرات المقالية ، إذ تحتوي جميع الفقرات المقالية على ثلاثة افكار ، أذ يعطى الطالب درجة واحدة على الشكل العام للجابة (التصميم) ، و درجة على ربطه للمحتوى ، و درجة على أذخال المحتوى .

٧) التطبيق الاستطلاعي للاختبار : تم التطبيق الاستطلاعي للاختبار على مرحلتين و كالآتي :-
المرحلة الاولى / التطبيق الاستطلاعي الأول

طبق الباحثان اختبار تحصيل أول للتعرف على مدى وضوح فقراته و دقة صياغتها ، و أيضا لحساب الوقت اللازم للجابة من قبل الطلاب على جميع فقرات الاختبار ، أذ تم تطبيق الاختبار الاستطلاعي الاول على عينة بلغ عددها (٢٢) طالب من طلاب الصف الثاني المتوسط من مدرسة (ثانوية وليد الكعبة للبنين) في يوم الأحد الموافق ١٤ / ٢ / ٢٠٢١ ، صباحا بحضور مدرس المادة و الباحث ، بعد ان تم إبلاغ الطلاب بذلك الاختبار قبل اسبوع من ذلك التاريخ ، حيث تم التأكد من وضوح فقرات الاختبار من خلال عدم وجود أي أستفسار حول الفقرات ، سوى حول بعض الفقرات المقالية ، و كذلك تم التعرف على الوقت اللازم للجابة عن جميع فقرات الاختبار من خلال حساب أقل وقت مستغرق و أكثر وقت (متوسط الوقت) لأول ٣ طلاب و آخر ٣ طلاب ، و الذي بلغ (٤٠ دقيقة) .

المرحلة الثانية / التطبيق الاستطلاعي الثاني

إذ طبق الباحثان اختبار تحصيل ثاني على عينة استطلاعية ثانية ، بعد أن تأكد الباحث من وضوح فقرات الاختبار و تعليماته و الوقت اللازم للجابة ، إذ عمد الباحث على تطبيق الأختبار مرة أخرى على عينة مؤلفة من (١٦٠) طالب ، كلهم من طلاب الصف الثاني المتوسط من مدرسة (متوسطة بغداد)

في يومي الاثنين و الثلاثاء ظهرا على التوالي الموافق (١٥ - ١٦ / ٢ / ٢٠٢١)، إذ أشرف الباحثان بنفسهما مع مدرسة المادة على تطبيق الأختبار .

٨) صدق الاختبار : Test validity

هو (الاختبار) متمثلا بالدرجة التي تقيس السمة الذي وضعت لقياسها، أي أن الاختبار يكون معد لقياس جانب بحد ذاته دون غيره من الجوانب الاخرى . (محسن 2017:229) ، و للصدق أشكال منها :

أ- الصدق الظاهري : Face validity

يقصد بالصدق الظاهري هو مدى تمثيل فقرات الاختبار للجانب المراد قياسه . فعندما يتطابق الهدف من الاختبار مع الوظيفة المعد من اجلها ، يتحقق الصدق الظاهري (الأمام ، 2011:130) ، و تم التحقق من ذلك من خلال عرض فقرات الاختبار على مجموعة من المحكمين و اصحاب الاختصاص في طرائق التدريس و كذلك من المدرسين لمادة علم الاحياء و العلوم ، لبيان صلاحية تلك الفقرات ، و مدى ملائمتها ، و الاهداف المراد تحققها في كل منها ، أذ تم بقاء الفقرات التي حصلت على نسبة اتفاق (% 80) فما فوق، بينما حذفت و تم تعديل من حصلت على اقل من ذلك (العجيلي ، 2005:90). أذ قام الباحثان بالاعتماد على النسبة المئوية و قيمة مربع كاي في الاستدلال على نسبة الاتفاق من قبل المحكمين بالنسبة للفقرات عند درجة حرية (١) و مستوى دلالة (٠,٠٥) و بعد مقارنتها بالقيمة الجدولية ، اظهرت النتائج بعد تعديل قسم منها على موافقة اغلب المحكمين .

ب- صدق المحتوى : Content Validity

يقصد بصدق المحتوى هو امكانية مفردات الاختبار على تمثيل النطاق السلوكي المراد قياسه ، أي أن فقرات الاختبار تشتمل على جميع الخبرات المعرفية (عمر و آخرون ، 2010:192) ، و يتم التحقق من ذلك من خلال عرض الاختبار على مجموعة من الخبراء و المختصين ، بعد أن قام الباحثان باعداد

فقرات الاختبار التحصيلي اعتمادا على جدول المواصفات الذي أعده . أذ يعد الاختبار صادقا بعد التأكد من قبل المختصين في طرائق التدريس و الخبراء بأن فقرات الاختبار تمثل محتوى المادة الدراسية .
تحديد الخصائص (السايكومترية) للاختبار :

(١) معامل الصعوبة لكل فقرة :

يمكن تعريف معامل الصعوبة بأنه العدد الكلي للأفراد الذين أجابوا عن الفقرة أجابة صحيحة في كلتا المجموعتين مقسوما على العدد الكلي للأفراد (علام ، 2019:251). إذ يشير (حبيب و آخرون ، ٢٠١٢) أن الفقرات المقبولة هي الفقرات ذات معامل الصعوبة الذي يتراوح ما بين (٠,٢٠ الى ٠,٨٠).
(حبيب و آخرون ، ٢٠١٢ : ١٠٥) . و بعد تطبيق المعادلة على فقرات الاختبار وجد أن معامل صعوبتها يتراوح ما بين (٠,٢٨ – ٠,٥٩) ، و بذلك تعد فقرات الاختبار ذات معامل صعوبة مناسب .

(٢) معامل التمييز لكل فقرة :

و نعني بها إمكانية فقره على كشف الفروق الفردية بين الافراد ، فقد يكون هذا الكشف من خلال ما يتحصل عليه الافراد من الدرجة الكلية ، أو من خلال وضع محك خارجي ، و بالتالي فإن هذه الفقرات هي التي تميز بين الافراد الجيدين من غير الجيدين في الاداء أو عملا ما ، فهي التي تقسم الافراد الى جزئين ، حاصلين على درجات مرتفعة و حاصلين على درجات منخفضة في الاختبار ككل ، فكلما كانت الفقرة حاصلة على نسبة (٢٠%) فأكثر تعتبر فقرة مقبولة و جيدة ، في التمييز على التوالي ، أي تكون الفقرة مميزة كلما اقتربت من مستوى ٥٠% ، أما إذا حصلت الفقرة على معامل تمييز اقل من ذلك تعتبر فقرة ضعيفة ، أي لم تقم بوظيفتها و هي التمييز بين الافراد (حبيب و آخرون ، ٢٠١٢ : ١٠٧ - ١٠٩) ، و بعد تطبيق (معادلة معامل التمييز) لفقرات الاختبار من قبل الباحث وجد ان معامل تمييزها يتراوح ما بين (٠,٢٦ – ٠,٦٥) ، و بذلك تعتبر فقرات الاختبار مميزة .

(٣) فاعلية المموهات الخاطئة :

و تسمى ايضا بالمشتتات و هي القوة التي يتميز بها البديل على جذب الاجابات غير الصحيحة من الطلبة ضمن اختبار الاختيار من متعدد ، إذ يعد مموها جيدا عندما يجيب عنه الطلبة في المجموعة الدنيا بأعتبره بديلا صحيحا ، أكثر من الطلبة في المجموعة العليا فلا فائدة من بديل يخطأ به الجميع ، أي كلما كانت نسبة المموه بالسالب يعتبر مموه ناجح . (مجيد ، 2014 : 83) ، و بعد تطبيق (معادلة فعالية البدائل) على فقرات الاختبار ، بينت النتائج أن البدائل الخاطئة جميعها مناسبة و قامت بدورها بصورة جيدة من خلال جذبها لعدد أكثر من أفراد المجموعة الدنيا مقارنة بأفراد المجموعة العليا ، لذا تقرر بقائها جميعا .

٩) ثبات الاختبار : Reliability

يقصد بالثبات هو الحصول على النتائج نفسها عند اعادة الاختبار على المفحوصين أنفسهم ، أي عدم اختلاف الاجابات حتى عند اختلاف الظروف و الازمان ، و هو من المؤشرات المهمة لمعرفة قوة الاختبار و رصانته و يمكن التعرف على ذلك من خلال عدد فقرات الاختبار ، فكلما زادت فقرات الاختبار زاد الصدق و الثبات فيه (اليعقوبي ، 2013:259-260)، إذ أعتمد الباحثان على مؤشرات معامل الاتساق الداخلي (الفا كرونباخ) فهي مؤشرات تدل على مدى تشبع فقرات الاختبار بالمجال و فيما بينها (أبو علام ، ١٩٨٧ : ١٥٦)، و قد بلغت قيمة معامل الثبات لفقرات الاختبار (٠,٧٧) و هو معامل ثبات مقبول .

١٠) الاختبار التحصيلي بصيغته النهائية :

أصبح الاختبار التحصيلي في صيغته النهائية مؤلفة من (٣٢) فقرة ، من نوع الاختيار من متعدد (٢٨) فقرة ، و مقالية (٤) فقرات على التوالي ، و بذلك كان الاختبار جاهزا للتطبيق .
خامساً: تطبيق أداة البحث:

طبق الباحثان الاختبار يوم الاربعاء المصادف ١٧ / ٢ / ٢٠٢١ ، بعد أن تم إخبار الطلاب بالاختبار قبل أسبوع من إجرائه ، حيث بذل الباحثان كل ما بوسعهما لاكساب الاختبار الدقة و الموضوعية .

الفصل الرابع: عرض النتائج وتفسيرها:

يشمل هذا الفصل عرض النتائج التي تم التوصل إليها وفق اهداف البحث، مع تفسيرها والتوصيات والمقترحات وعلى النحو الآتي:

أولاً: عرض النتائج:

لغرض التعرف على فاعلية استراتيجية ملخصات جيست بين طلاب المجموعة التجريبية الذين درسوا على وفق استراتيجية ملخصات جيست و طلاب المجموعة الضابطة الذين درسوا على وفق الطريقة التقليدية في تحصيل مادة الاحياء للصف الثاني المتوسط ، تم أحتساب المتوسط الحسابي و الانحراف المعياري و القيمة التائية لعينتين مستقلتين للمقارنة بين متوسطي درجات طلاب مجموعتي البحث في الاختبار التحصيلي لمادة العلوم. و الجدول (٢) يوضح ذلك

جدول (٢) نتائج اختبار t. test لعينتين مستقلتين لمجموعتي البحث في الاختبار التحصيلي

| ت | المجموعة | عدد الطلاب | المتوسط الحسابي | الانحراف المعياري | درجة الحرية | القيمة التائية | | الدلالة الاحصائية عند مستوى ٠,٠٥ |
|---|-----------|------------|-----------------|-------------------|-------------|----------------|----------|----------------------------------|
| | | | | | | المحسوبة | الجدولية | |
| ١ | التجريبية | ١٨ | 28.72 | 4.5 | ٣٤ | ٦,٠٩٢ | ٢,٠٣ | معنوية |
| ٢ | الضابطة | ١٨ | 21 | 2.93 | | | | |

توضح بيانات جدول (٢) أن قيمة المتوسط الحسابي للمجموعة التجريبية قد بلغ (٢٨,٧٢) ، و بانحراف معياري قدره (٤,٥) ، أما المتوسط الحسابي للمجموعة الضابطة فقد بلغ (٢١) ، بانحراف معياري قدره (٢,٩٣) و بذلك كانت القيمة التائية المحسوبة (٦,٠٩٢) و عند مقارنتها بالقيمة التائية

الجدولية البالغة (٢,٠٣) عند مستوى دلالة (٠,٠٥) و بدرجة حرية (٣٤) ، أتضح وجود فرق ذو دلالة (احصائية) بين المجموعتين لصالح المجموعة التجريبية ، وذلك يعني أنه (يوجد فرق ذو دلالة إحصائية عند مستوى دلالة ٠,٠٥ بين متوسط درجات طلاب المجموعة التجريبية الذين درسوا على وفق استراتيجية ملخصات جيست و متوسط درجات طلاب المجموعة الضابطة الذين درسوا على وفق الطريقة التقليدية في تحصيل مادة الاحياء للصف الثاني المتوسط).

ب) لبيان حجم أثر المتغير المستقل (استراتيجية ملخصات جيست) في المتغير التابع (التحصيل) ، أستخدم الباحث معادلة حجم الاثر (d) التي تمثل قيمة مقدار الاثر و الذي بلغ (١,٤٥) وهو مؤشر عالي حسب المعايير التي اقترحها (Cohen, 1988) لتقييم حجم الاثر والمشار اليه في (Gravetter & Larry , 2017) لكونها اعلى من (٠,٨) وحسب جدول (٣)

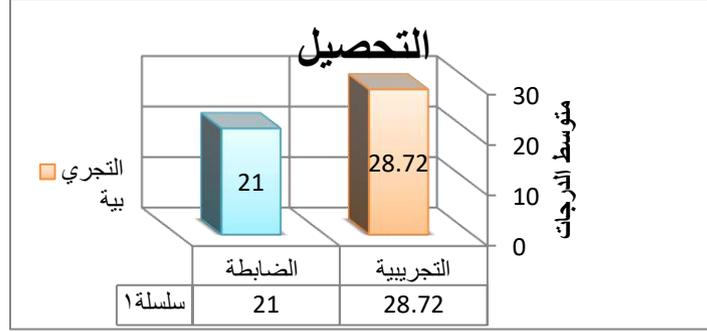
قيم حجم الاثر ومقدار التأثير

| تقييم حجم الاثر | حجم (d) |
|-----------------|-------------|
| تأثير صغير | ٠,٢ |
| تأثير متوسط | ٠,٥ |
| تأثير كبير | ٠,٨ فما فوق |

(Gravetter & Larry , 2017:253) .

و تبين صورة الشكل البياني (١) فاعلية التدريس وفق استراتيجية ملخصات جيست في تحصيل طلاب المجموعة التجريبية بالمقارنة مع الطريقة (التقليدية) المتبعه في تدريس طلاب المجموعة الضابطة .

شكل (١) مقارنة مجموعتي البحث التجريبية و الضابطة في الاختبار التحصيلي



ثانياً: تفسير النتائج:

أظهرت النتائج فرق ذو دلالة إحصائية بين المجموعتين التجريبية و الضابطة و لصالح المجموعة التجريبية بفاعلية التدريس بأستراتيجية ملخصات جيست في تحصيل مادة الاحياء لدى الطلاب ، بحجم أثر كبير ، و يرى الباحثان أن هنالك عدة أسباب تكمن وراء ذلك التفوق أهمها :-

١- إن استراتيجية ملخصات جيست جعلت الطالب في حالة من الايجابية و النشاط و التفكير داخل الصف و هذا بدوره يجعله مشغولاً كل الوقت في استخلاص و عزل المعلومات بما يتناسب مع خطوات الاستراتيجية ، و بالتالي رفع مستوى التحصيل لديهم لانهم يتذكرون جيداً ما قاموا به جيداً .

٢- إن استراتيجية ملخصات جيست المنبثقة من (التعلم النشط) تعد من الاستراتيجيات الجيدة لتدريس طلاب المجموعة التجريبية بما تضمنته من تعاون جماعي بين المجموعات فهي تساعدهم على أبرز قدراتهم في تكوين الملخصات الافضل فيما بينهم و تعلم بعضهم من بعض حول كيفية القيام بذلك

٣- إن الأسئلة التي تضمنتها استراتيجية (ملخصات جيست) كانت مثيرة لتفكير الطلاب وحفزتهم في عملية البحث عن إجابات لها، مما ساعدهم على فهم تفاصيل ما قرؤوه وإدراكهم للعلاقات بين العناصر التي تم تعلمها وهذا ما ساعدهم في اكتساب المفهوم العلمي.

ثالثاً: الاستنتاجات:

١- إن التدريس باستراتيجية ملخصات جيست عمل على رفع التحصيل الدراسي لطلاب الصف الثاني المتوسط في مادة الاحياء .

٢- ساهم التدريس باستراتيجية ملخصات جيست على تشجيع الطلاب على القراءة الهادفة و الفاحصة مما أدى الى زيادة في الحفظ من خلال المعالجة الفورية للمعلومات ، و ادراك العلاقات في النص مما يوفر مساحة من التخزين لأكثر قدر ممكن من المعلومات في الذاكرة.
رابعاً: التوصيات:

١- تضمين استراتيجية ملخصات جيست في الدورات التدريبية و التأهيلية للمدرسين.
٢- نتيجة لفعاليتها يمكن للمعلمين اعتماد استراتيجية ملخصات جيست في التدريس ، الأمر الذي يؤدي الى توفير مواقف تعليمية تثير اهتمام المتعلمين و تساعدهم على بناء معرفتهم بأنفسهم.
خامساً: المقترحات:

١- إجراء دراسة مشابهة على طلبة صفوف مراحل دراسية أخرى كالمرحلة الابتدائية و المرحلة الاعدادية
٢- إجراء دراسة لمعرفة أثر استراتيجيات ملخصات جيست كمتغير مستقل في متغيرات أخرى ك (التفكير البصري - التفكير التوليدي - اتخاذ القرار - التعلم الذاتي - تنمية الشخصية).

المراجع:

- (١) إبراهيم ، مجدي عزيز (٢٠٠٤) : " موسوعة التدريس " ، ط١، دار المسيرة ، عمان .
- (٢) الأسطل ، محمد زياد (2010) : أثر تطبيق استراتيجيتين للتعلم النشط في تحصيل طلاب الصف التاسع في مادة التاريخ و في تنمية تفكيرهم الناقد ،(رسالة ماجستير غير منشورة) ، جامعة الشرق الأوسط للدراسات العليا .
- (٣) الأمام ،مصطفى محمود ، و حسين ، أنور، عبد الرحمن ، و العجيلي ، صباح ، حسين (١٩٩٠) : التقويم و القياس ، دار الحكمة ، بغداد.
- (٤) بدير ، كريمات (٢٠١٢) : التعلم النشط : دار المسيرة ، عمان .
- (٥) بدوي ، رمضان مسعد(2010) : التعلم النشط ، دار الفكر ، الاردن.

- ٦) تونسية، يونسى (2012) : تقدير الذات و علاقته بالتحصيل الدراسي لدى المراهقين المبصرين و المراهقين المكفوفين ، كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية ، جامعة مولود معمري ، الجزائر .
- ٧) جبران ، وحيد (٢٠٠٢) : " التعلم النشط في الصف كمرکز تعلم حقيقي" ، منشورات مركز الإعلام والتنسيق ، فلسطين .
- ٨) حبيب ، صفاء طارق ، و آخرون (٢٠١٢) : القياس و التقويم ، ط١ ، وزارة التربية ، المركز التقني لاعمال ما قبل الطباعة ، العراق .
- ٩) خضير ، عبد المحسن عبد الحسين (٢٠١٢) : تناقضات أدراك الذات و علاقتها بالوحدة النفسية و قلق المستقبل لدى طلبة الجامعة ، (أطروحة دكتورا غير منشورة) ، كلية التربية ، جامعة ابن رشد .
- ١٠) الخولي، هشام (2002) : الاساليب المعرفية و ضوابطها في علم النفس، دار الكتاب للنشر الحديث، القاهرة.
- ١١) دليله ، بو صفر (٢٠١١) : الاستقلال النفسي عند الوالدين و علاقته بالتوافق الدراسي لدى الطالب الجامعي المقيم (١٨ - ٢١) دراسة ميدانية ، جامعة مولود معمري ، الجزائر .
- ١٢) الزهيري ، حيدر عبد الكريم محسن (2015) : المناهج و طرائق التدريس المعاصرة ، مؤسسة حمادات للدراسات الجامعية ، دار اليازوردي ، عمان .
- ١٣) سعادة ، جودت احمد ، و عقل ، فواز ، و أشنتيته ، جميل ، و زامل ، مجدي ، ابو عرقوب ، هدى (2011) : التعلم النشط بين النظرية و التطبيق ، ط٢ ، دار الشروق ، عمان .
- ١٤) الشربيني، فوزي ، و الطنطاوي ، عفت (2011) : تطوير المناهج التعليمية ، دار المسيرة ، عمان .
- ١٥) أشمري، ماشي بن محمد (2010) : 101 استراتيجية في التعلم النشط ، ط١، حائل (بنين) ، السعودية .
- ١٦) الشخلى ، لمى سمير حمودي (٢٠٠٦) : تأثير أسلوب التنافس الذاتي و الاجتماعي لذوي الاستقلال مقابل الاعتماد على المجال في تعلم و احتفاظ بعض المهارات الاساسية بالكرة الطائرة ، (أطروحة دكتوراه غير منشورة) ، كلية التربية الرياضية للبنات ، جامعة بغداد .
- ١٧) صقر ، ختام محمد نبهان (2016) : أثر استخدام استراتيجيات الصف النشط على تحصيل طلبة الصف الخامس الاساسي في مادة الرياضيات في مدينة نابلس واتجاهاتهم نحو تعلمها ، (أطروحة دكتوراه غير منشورة) ، مدينة نابلس .
- ١٨) عبد السلام ، مصطفى (2006) : تدريس العلوم و متطلبات العصر ، ط١، دار الفكر العربي ، القاهرة .
- ١٩) عطية ، محسن علي (2018) : تعلم النشط استراتيجيات واساليب حديثة في التدريس، دار الشروق ، عمان .

- (٢١ عطفية، محسن علي (٢٠٠٩) : الجودة الشاملة و الجديدة في التدريس ، ط١ ، دار صفاء ، عمان.
- (٢٢ علام، صلاح الدين محمود (2019) : القياس و التقويم التربوي في العملية التدريسية ، دار المسيرة ، عمان .
- (٢٣ عمر، محمود أحمد ، و فخرو، حصه عبد الرحمن ، و السبيعي ، تركي ، و تركي ، آمنه عبد الله (2010) : القياس النفسي و التربوي ، ط١ ، دار المسيرة ، عمان .
- (٢٤ عواد، يوسف ذياب ، و زامل ، مجدي علي (2010) : التعلم النشط نحو فلسفة تربويه تعليمية شاملة، دار المناهج ، عمان.
- (٢٥ عويس ، سالم (٢٠٠٠) : "تجارب تربوية عالمية في التعلم النشط " ، ط٢ ، مركز الأعلام و التنسيق التربوي ، معهد تدريب المدرسين ، رام الله .
- (٢٦ العجيلي ، صباح حسين و آخرون (٢٠٠١) : مبادئ القياس و التقويم التربوي ، ط١ ، دار الكتب و الوثائق ، بغداد .
- (٢٧ العمراني ، عبد الكريم جاسم (٢٠١٤) : طرائق و اساليب تعليم مفاهيم العلوم للاطفال قبل المدرسة ، ط١، دار نيبور ، العراق .
- (٢٨ قنديل ، محمد راضي (2000) : اثر التفاعل بين استراتيجيات بناءية مقترحة ومستوى التطور البصري المكاني على التفكير الهندسي و تحصيل الهندسة لدى تلاميذ الصف الاول الاعدادي ، مجلة تربويات الرياضيات ، المجلد الثالث - يوليو.
- (٢٩ لاجبياد ، رنا كامل ، (٢٠٠٢) : موقع الضبط لدى طلبة جامعة الموصل و علاقتها بالقيم و مفهوم الذات ، رسالة ماجستير غير منشورة) ، جامعة الموصل .
- (٣٠ محسن ، عبد الجبار سعيد (2017) : مبادئ البحث العلمي ، دار المناهج ، عمان .
- (٣١ مجيد ، سوسن شاکر (2014) : أسس بناء الاختبارات و المقاييس النفسية و التربوية ، ط٣ ، مركز ديونو لتعليم التفكير ، الاردن .
- (٣٢ ملحم ، سامي محمد (٢٠٠٦) : سيكولوجية التعلم و التعليم ، ط١، دار المسيرة ، عمان
- (٣٣ اليعقوبي ، حيدر (2013) : ألتقويم و القياس في العلوم التربوية و النفسية رؤيا تطبيقية ، ط١، دار الكتب و الوثائق ، مركز المرتضى للتنمية الاجتماعية ، بغداد.

- 34) Alderman ,M. Key (2004) : Motivation for achievement , Possibilities for teaching and learning , 2nd edition , Lawrence Erlbaum associates , London.
- 35) Belchei ,M. (2003) : Active learning inundate of classroom , Boise state university .
- 36) Crees well, John. W. (2012) : Education Research fourth Edition peas on , Boston,(U.S.A.).
- 37) Golowash , Aiyce Irene spraggins (1985) : Relationships Between Field Indebendnce and Simultaneoyo and seqyential processing Dissertation Abstracts International , Vol.(46) , No.(11) .
- 38) Gravetter , F.J. & Wallnau , Larry , B.(2017) : Statistics for the Behavioral Sciences , 10th ed , Cengage Learning , Canada .
- 39) Mc Fadden ,Charles P .(1980) : World Trends in Science Education , Nova ,Scotia , Canada , Nationa1 School Services ,Ltd Canada .
- 40) Myers , C.and Jones , T. (1993) : Promotive Active Learning Strategies for the College classroom San Francisco , Jossey Bass Inc .
- 41) Rhoder ,C. (2002) : from theory to practice , mindful reading : strategy training that facilitates transfer, Journal of Adolescent & Adult Literacy , Vol. (45), 498- 512 .
- 42) Rosalie , S. (2010) : Instruction Atfsu 7 Edition , Office of Distance learning , florida . (U.S.A.)

إدارة المشاريع وفق الأساليب الحديثة لنطاق تنفيذها في إدارة المشاريع الحكومية لتنمية الأقاليم

دراسة حالة لمشاريع تنمية الاقاليم في محافظة النجف الاشرف

أ.م.د. محمد ثابت الكرعاوي

الباحث وهاب عبد الرزاق عبد علي

كلية الإدارة والاقتصاد/ جامعة الكوفة

المقدمة:

إن مهام الادارة المحلية (اللامركزية) وإنجازاتها تتعلق بشكل رئيس بالمشاريع الحكومية لتنمية الاقاليم للوحدة المحلية، حيث ان هذه المشاريع تعتبر إحدى طرق وأساليب التنظيم الإداري في تقديم الخدمات للأفراد وتأكيد الدور الأساسي للدولة في الحياة الاقتصادية وتقديم خدمات مشهود لها بالتجديد والتطوير والنمو في مختلف الاتجاهات والتخصصات. ولا سيما في عملية النمو السريع والتنمية وفي عملية التطور، وكذلك تهدف هذه المشاريع الى تحقيق العدالة الاجتماعية والاقتصادية والتعجيل بالعملية التنموية. وللأهمية الكبيرة لهذه المشاريع ولدورها الكبير في تحقيق التنمية ودعم الحكومات المحلية (الادارات المحلية) في تحقيق اهدافها تحت مسمى نظام الحكم اللامركزي فقد تناول الباحث هذا الموضوع باهتمام كبير والبحث عن سبل التطور والرقى في ادارة هذه المشاريع من اجل تحسين الواقع التنموي للبلاد.

إن التطور الكبير في عالم الاعمال ادى الى ابتكار العديد من الادوات والمنهجيات والاساليب التي تدعم مفاهيم ادارة المشاريع وتعزز من فاعلية ادائها ، فكان لزاماً على المنظمات والجهات المنفذة للمشاريع ان تختار المنهجية والاساليب التي تتناسب مع طبيعة مشاريعها، لتتمكن من ادارتها وتنظيمها بشكل فعال، ومن هنا ظهرت العديد من المنهجيات والاساليب في ادارة هذه المشاريع، ومنها ما يعرف بالأساليب الحديثة لإدارة المشاريع والتي تتضمن المنهجيات الحديثة للإدارة ، وتهدف هذه الاساليب الى تحقيق

افضل النتائج ذات الجودة والكفاءة العالية وبأقل التكاليف والحد من الهدر في الموارد المادية والبشرية وكذلك تقليل الهدر في وقت تنفيذها، من خلال مجموعة من المتطلبات والادوات الخاصة بها. وتبلورت الفكرة العامة الجوهرية للبحث التي تمحورت حول الاساليب الحديثة للمشاريع وتأثيرها في اداء تنفيذ المشاريع الحكومية لتنمية الاقاليم، حيث تم اختيار هيئة اعمار النجف وهي المؤسسة التي ترتبط بشكل مباشر مع المشاريع الحكومية لتنمية الاقاليم والمسؤول عن اعدادها و توزيعها وتنفيذها في محافظة النجف، وان البحث اشتمل على مجموعة من الفرضيات التي خضعت الى اختبارات عديدة للتأكد من مدى صحتها، وتم الاعتماد على الاستبانة كأداة رئيسة لجمع البيانات والمعلومات المطلوبة، حيث يهدف البحث الى تكوين إطار مفاهيمي حول الاساليب الحديثة لإدارة المشاريع والمشاريع الحكومية لتنمية الأقاليم وما يتصل بها من افكار بالاعتماد على ابعاد متغيرات البحث، و تم وضع مقاييس للمتغيرات بما يتناسب مع البيئة العراقية والمؤسسة موضوع البحث.

وكذلك من الدوافع المهمة لاختيار الموضوع هو جدته وعدم تعرض الدارسين العراقيين له فضلاً عن ارتباطه بالأداء العام للمؤسسة المبحوثة، وقد خرج البحث بمجموعة من التوصيات والاستنتاجات . واخيراً تم تقسيم البحث على اربعة فصول، يتضمن الفصل الأول المنهجية العلمية للبحث والفصل الثاني يتضمن الاسس النظرية لمتغيرات البحث والفصل الثالث جاء فيه التحليل الاحصائي ومناقشة نتائج البحث واخيراً الفصل الرابع الذي تم فيه عرض الاستنتاجات والتوصيات.

الفصل الأول: منهجية البحث:

اولاً :- مشكلة البحث :-

تعتبر المشاريع الحكومية لتنمية الاقاليم من أهم المشاريع التي تخدم المواطن والمجتمع، والتي تعتبر إحدى طرق وأساليب التنظيم الإداري اللامركزي لتقديم الخدمات للأفراد وتحقيق الأهداف التنموية وتلبية احتياجاتهم بطريقة مميزة وفعالة. وإن التطور الكبير في عالم الأعمال أدى إلى ابتكار العديد من الأدوات والمنهجيات التي تدعم مفاهيم إدارة المشاريع وتعزز من فاعلية ادائها، فكان لزاماً على المنظمات أن

تختار الاساليب والمنهجية التي تتناغم مع طبيعة مشروعها لتتمكن من إدارته وتنظيمه بشكل فعال وان موضوع ادارة المشاريع يعتبر من المواضيع الحديثة في علم الادارة، وانه من اهم المجالات التي اصبحت تتناقش بشكل كبير وحيوي في عصرنا الحالي، فكان من المناسب تطبيق هذا الموضوع على المشاريع المحلية ومعرفة مدى اطلاع مديري المشاريع وامتلاكهم المعلومات اللازمة حول ما يدور في هذا المجال على المستوى العالمي. (Nasser،2019:625)

كذلك فانه قد لوحظ ان الدراسات العربية والمحلية التي تناولت هذا الموضوع قليلة وانها تتميز بالعمومية ولا توجد دراسات تفصيلية تتحدث عن واقع هذا المجال على المستوى العربي او المحلي، وهي من اهم الاسباب التي شجعت الباحث على اختيار الموضوع والتطرق اليه.

ومن الدوافع التي شجعت الباحث على اختيار الموضوع هو تقديم دراسة توضح الوضع الحالي لعملية ادارة المشاريع الحكومية لتنمية الاقاليم في العراق ، يمكن الاستفادة منها في تطوير الوضع الحالي للمشاريع وايجاد حل للمشاكل والمعوقات التي يواجهها المختصون وبالتالي الاستفادة من التجربة العملية التي قامت بها الدول المتقدمة في مجال ادارة المشاريع.(التميمي، ٢٠١٣: ١٠)

ثانياً :- تساؤلات البحث :-

مما سبق يمكن تلخيص مشكلة البحث الحالي بإثارة التساؤل الرئيس الآتي: ما هو تأثير الاساليب الحديثة لإدارة المشاريع في اداء تنفيذ المشاريع الحكومية لتنمية الاقاليم؟ وينبثق عنه مجموعة من التساؤلات الفرعية وكما يلي:

- ١- ما مدى تأثير ابعاد الاساليب الحديثة لإدارة المشاريع في اداء المشاريع الحكومية لتنمية الاقاليم؟
- ٢- ما هو البعد الاكثر تأثيراً من بين ابعاد الاساليب الحديثة لإدارة المشاريع في اداء المشاريع الحكومية لتنمية الاقاليم.

ثالثاً :- اهمية البحث :-

تكمن أهمية البحث في أهمية النقاط والمحاور التي يتناولها الباحث. ويعتبر موضوع إدارة المشاريع واساليب تنفيذها من أهم الأمور في وقتنا الحاضر والتي تميز أداء الشركة أو القطاع في عصرنا الحالي، فالمشاريع الكبيرة والتي يعد لها ميزانيات ضخمة تحتاج بلا شك إلى دقة في العمل والتزام بوقت التنفيذ، وتظهر أهمية الدراسة في أنها تتطرق لمجموعة المشاريع التي يتم تنفيذها من قبل الجهات الحكومية، وهذه المشاريع بلا شك تعتبر الواجهة للدولة ومحور التطور والتقدم والمقارنة بينها وبين الدول الأخرى، فالدراسة تعمل على توضيح الصورة الحالية لآليات تنفيذ وإدارة مشاريع تنمية الأقاليم التابعة الى الجهات المعنية في القطاعات الحكومية المختلفة وما هي أهم المشكلات والمعوقات التي قد تظهر أثناء تطبيق المشاريع وتنفيذها، وكذلك معرفة أهم نقاط الضعف أو العناصر التي تقتقر إليها كوادر القطاع الحكومي والتي لها علاقة بتنفيذ المشاريع بشكل عام .

وجاءت هذا الدراسة لمعرفة واستقصاء أثر تطبيق الاساليب الحديثة للإدارة في تحسين فاعلية الأداء الإداري للمشاريع الحكومية لتنمية الأقاليم، إذ يمكن أن يقدم لإدارة المشروع أفضل التوقعات المستقبلية المحتملة وكيفية التعامل معها كما وتبرز أيضا أهميتها من خلال ما تقدمه من الإضافات المتوقعة، والتي يمكن أن تقيد الباحثين في الحقل الأكاديمي والممارسين في الواقع العملي.

رابعاً: اهداف البحث :-

يهدف الباحث من خلال ما يناقشه من فقرات ومواضيع في جوانب هذه الدراسة الى تحقيق عدة اهداف والتوصل الى عدد من النقاط، ومن اهم هذه الاهداف نذكر ما يلي :-

١- تقديم إطار مفاهيمي حول متغيرات البحث (ادارة المشاريع وفق الاساليب الحديثة، المشاريع الحكومية لتنمية الأقاليم).

٢- التعرف على مدى توافر متغيرات البحث (ادارة المشاريع وفق الاساليب الحديثة، المشاريع الحكومية لتنمية الأقاليم) لدى المنطقة عينة الدراسة.

٣- التعرف على اهمية ادارة المشاريع في عصرنا الحالي.

- ٤- التعرف على اهم الصعوبات والمشاكل التي تواجه تنفيذ المشاريع الحكومية .
 - ٥- تحديد تأثير ابعاد الاساليب الحديثة لإدارة المشاريع في اداء ادارة المشاريع الحكومية لتنمية الاقاليم.
 - ٦- تقديم مجموعة من الاستنتاجات والتوصيات فيما يخص المتغيرات والادوار لأساليب الادارة الحديثة للمشاريع التي يمكن من خلالها تحقيق اهداف المشاريع الحكومية لتنمية الاقاليم.
- خامساً:- فرضيات البحث :-
الفرضية الرئيسة الأولى:

توجد علاقة ارتباط ذات دلالة معنوية بين الاساليب الحديثة لإدارة المشاريع والمشاريع الحكومية لتنمية الأقاليم: وتتنبق عنها الفرضيات الفرعية الآتية:

- ١) توجد علاقة ارتباط ذات دلالة معنوية بين التنظيم والمشاريع الحكومية لتنمية الأقاليم.
 - ٢) توجد علاقة ارتباط ذات دلالة معنوية بين العوامل الفنية والمشاريع الحكومية لتنمية الأقاليم.
 - ٣) توجد علاقة ارتباط ذات دلالة معنوية بين الافراد والمشاريع الحكومية لتنمية الأقاليم.
 - ٤) توجد علاقة ارتباط ذات دلالة معنوية بين نجاح المهام والمشاريع الحكومية لتنمية الأقاليم.
 - ٥) توجد علاقة ارتباط ذات دلالة معنوية بين عوامل المشروع والمشاريع الحكومية لتنمية الأقاليم.
- الفرضية الرئيسة الثانية:

تؤثر الاساليب الحديثة لإدارة المشاريع في المشاريع الحكومية لتنمية الاقاليم. وتتنبق عنها الفرضيات الفرعية الآتية:

- ١) يؤثر التنظيم معنوياً في المشاريع الحكومية لتنمية الاقاليم.
- ٢) تؤثر العوامل الفنية معنوياً في المشاريع الحكومية لتنمية الاقاليم.
- ٣) تؤثر الافراد معنوياً في المشاريع الحكومية لتنمية الاقاليم.
- ٤) يؤثر نجاح المهام معنوياً في المشاريع الحكومية لتنمية الاقاليم.
- ٥) تؤثر عوامل المشروع معنوياً في المشاريع الحكومية لتنمية الاقاليم.

سادساً:- مجتمع وعينة البحث :-

اشتمل مجتمع البحث على المهندسين المؤثرين في تنفيذ المشاريع والبالغ عددهم (٢٠٠) وقد تم توزيع الاستبيان بشكل عشوائي ل(٦٠) مهندساً وقد تم استرجاع (٥١) استمارة كان الصالح منها للتحليل الاحصائي (٤٨) استمارة .

الفصل الثاني: الاطار النظري لمتغيرات البحث:

المبحث الأول: ادارة المشاريع وفق الاساليب الحديثة:

أولاً: مفهوم ادارة المشاريع وفق الاساليب الحديثة :-

ان مفهوم الادارة الحديثة للمشاريع يعني انتاج منتجات وخدمات بأقل التكاليف وأسرع وقت ممكن ويركز على الكفاءة وتحقيق الحد الأدنى من الهدر وضياع الموارد وذلك لتحسين وسرعة وزيادة الانتاجية (مسلم ، ابو سليم ، ٢٠١٨ : ٨)

وتعرف الادارة الحديثة بأنها نظام يهتم بإزالة كل اشكال الهدر الموجود في عمليات الانتاج ، وذلك بممارسة سياسة التطوير الدائم داخل المؤسسات ، ولها دور كبير في تحسين العمليات داخل نظام العمل والتخلص من الهدر وتحسين تجربة العميل ، وتطوير الموارد البشرية داخل المشروعات الصغيرة والمتوسطة وتنمية قدراتها ومن ثم تنفيذ أهداف المنشأة بأفضل الطرق وأقل التكاليف الممكنة. (نجيب ، ٢٠١٨ : ٥)

وقد عرفها ادجي ورواكانيوانا بأنها اسلوب تكراري وتدرجي لإدارة المشاريع حيث من المتوقع ان يعمل مطورو المشروع واصحاب المصلحة معاً لتحديد المنتج الذي بحاجة الى الانشاء واعطاء اولوية للمواصفات (Adjei and Rwakatiwana ,2019: 3)

وقد بين (Kurup and Sidhardhan : 2015 : 10) ان الادارة الحديثة للمشاريع تتمثل في المحاور الاتية :

١- ازالة كافة اشكال الهدر داخل المؤسسة .

- ٢- التطوير الدائم والتحسين المستمر لكل الأنشطة.
 - ٣- تحقيق اهداف المؤسسة بأقل التكاليف الممكنة وبفعالية عالية.
 - ٤- اشراك اصحاب المصلحة في عملية اتخاذ القرار.
- مما سبق يتضح ان مفاهيم الادارة الحديثة للمشاريع لم تختلف في مضمونها اختلافاً جوهرياً عن بعضها البعض ، ولكن تأثر كل تعريف فقط بميول كل باحث حيث ربطها البعض بالمشاريع وغيرهم بالمنتجات وبعضهم بالقدرة على اتخاذ القرارات ، ولكن في النهاية ترنو جميعها الى سرعة تنفيذ المشروعات أو البرمجيات وغيرها بأقل المخاطر وبأدنى تكلفة.
- ثانياً: اهمية ادارة المشاريع وفق الاساليب الحديثة :-
- أصبحت العمليات التجارية اليوم أكثر تعقيداً وترابطاً من ذي قبل ، لذلك يجب أن يكون لكل مشروع اهميته الخاصة التي تعكس حجم النجاح خاصة في مرحلة التنفيذ التي تعتبر مرحلة حرجة. وفقاً لـ (Waters (2012) ، Layton (2012) ، و Koch (2011) ، فإن أهمية الادارة الحديثة للمشاريع يمكن وصفها بالنقاط التالية:-
- ١- تقديم جودة أفضل عن طريق العمل بمعايير الجودة عالية في تقديم المنتجات والخدمات.
 - ٢- جعل ميزات المنتج أكثر صلة بالمتطلبات وبالتحديد متطلبات المشروع في الوقت المناسب.
 - ٣- العمل على ارتفاع مستوى رضا العملاء من خلال إبقائهم على الإنترنت وإشراكهم في المشروع طوال الوقت.
 - ٤- الاستجابة بسرعة للتغيير من خلال تحديث تراكمات المنتج.
 - ٥- السماح للناس بأن يكونوا مبدعين ومبتكرين ومعترف بهم من خلال وجودهم كجزء من فريق الإدارة الذاتية وكذلك السماح لهم بتعلم مهارات جديدة حين عملهم في وظائف معينة، ثم يمكنهم تعليم بعضهم البعض.

- ٦- زيادة التعاون بين أطراف المشروع من خلال الاجتماع اليومي لفريق التطوير ومالك المنتج والفريق وكذلك يمكن لأعضاء الفريق مناقشة المنتج مباشرة مع أصحاب المصلحة.
 - ٧- جعل المشروع أكثر دقة وملاءمة من خلال تحديد مقاييس الجداول الزمنية والميزانيات ومتطلبات المشاريع على أساس قدرات فريق التطوير والاداء من هياكل فرق مخصصة.
 - ٨- تحسين رؤية الأداء على أساس الاجتماع اليومي ومخططات التقدم المرئية والمراجعات اليومية ، كذلك توضيح الرؤية لجميع أعضاء الفريق كيف يسير المشروع في أي وقت.
 - ٩- زيادة التحكم في المشروع: من خلال السماح لجميع الأعضاء بممارسة السيطرة وإنشاء منتجات أفضل.
 - ١٠- تحسين القدرة على التنبؤ بالمشروع، لأن إدارة المشاريع الحديثة تسمح للفريق بمعرفة تكلفة وأداء كل عناصر واجزاء المشروع بسرعة كبيرة عن طريق استخدام المعلومات من خلال الاجتماعات اليومية والرسوم البيانية والمهام.
 - ١١- تقليل المخاطر من خلال تقنيات واساليب الادارة الحديثة للمشاريع والتي تقضي عمليا على فرصة المشروع المطلق للفشل من خلال التطوير المستمر.
 - ١٢- الوقت القصير الذي يحتاجه الفريق لتحديد ما إذا كان سيتم تنفيذ المشروع من عدمه.
 - ١٣- توفر التغذية الراجعة للنشاطات والمعلومات من خلال الاجتماعات اليومية بشكل مستمر والتواصل بين أعضاء الفريق
- ثالثاً: ابعاد ادارة المشاريع وفق الاساليب الحديثة :-
- وفقاً لما ذكره (Nagy and Nancy , 2015 : 24-27) فإن ابعاد الادارة الحديثة للمشاريع تتمثل بما يلي:
- أ- البعد التنظيمي :-

للمنظمة تأثير كبير في نجاح المشروع، حيث يمكن للثقافة أن تؤثر على أشياء كثيرة في الإدارة الحديثة للمشاريع ، أن ثقافة الشركة تتضمن دعماً من الإدارة العليا في عملية تطوير الاساليب الحديثة للمشروع ، تحدد البيئة التي يعمل فيها فريق المشروع عوامل النجاح الآتية :

- ثقافة الشركة
- الدعم من الإدارة العليا
- مشاركة المستخدم
- بيئة الفريق

ب- البعد الفني :-

العوامل الفنية هي العوامل التي لها تأثير على كيفية عمل المشروع وترتبط بالبرنامج أو التكنولوجيا أو الأجهزة المستخدمة في عملية تطوير المشروع. لقد ذكرنا عاملين رئيسين وهما اختيار طريقة رشيقة مناسبة وفقاً لظروف المشروع وقيوده ، واستخدام التكنولوجيا المتقدمة في المشروع.

- اختيار طريقة رشيقة مناسبة
- تكوين الأدوات والبنية التحتية اللازمة
- استخدام التكنولوجيا المتقدمة
- الإلمام بالتكنولوجيا

ج. الأفراد:-

يرتبط نجاح الإدارة الحديثة للمشاريع غالباً بعوامل الأشخاص. يُفترض أيضاً أن عوامل الموارد البشرية هي عوامل مهمة لنجاح المشروع في ظل اساليب الإدارة الحديثة. في إطار هذا البعد ، لدينا عوامل رئيسية لمشاركة المستخدم وقدرة الفريق ، وتحت كل واحد لدينا عوامل فرعية أخرى ،

١- مشاركة المستخدم

- سياسات أصحاب المصلحة
- مهارات إدارة المشروع الفعالة
- وقت القرار
- التعامل مع الضغوط التجارية

٢- قدرة الفريق

- القدرة على التعامل مع تعقيد المشروع

- التواصل الفعال وردود الفعل
- د. نجاح المهام أو وظائف المشروع :-
- ويقصد بها جميع العوامل التي تدعم نجاح المنظمة في إدارة مشاريعها
- تصنف العوامل الرئيسية والفرعية لعوامل نجاح العملية كالتالي:-
- عملية إدارة المشروع
- الإبلاغ الجيد عن حالة المشروع
- تقديرات دقيقة لموارد المشروع
- الحد الأدنى من التغيير في المتطلبات
- إدارة المخاطر
- الاختبار النشط
- البساطة في العملية
- تخصيص الوقت
- هـ. عوامل المشروع:-

هي عوامل المشروع المعنية مع منهجية الإدارة الحديثة من تحديد أهداف وغايات واضحة ، وتحديد نوع المشروع وطبيعته ، وتحديد الجدول الزمني للمشروع ، وتقدير الميزانية الواقعية ، وتحديد المتطلبات والمواصفات الواضحة.

في حين قامت شركة Strategy & ، شركة الاستشارات الاستراتيجية لشركة PWC ، بإجراء استطلاع على ٨٥٠ من كبار المسؤولين التنفيذيين في ٦٤٦ شركة في أمريكا الشمالية وأوروبا وأفريقيا والشرق الأوسط وآسيا والمحيط الهادئ. حيث قامت ببناء هذا الاستطلاع على أساس تعريف برايس ووتر هاوس كوبرز لما يجعل المؤسسة تتولى الإدارة الحديثة (الرشيقة) ، والذي يقسم المصطلح إلى ستة أبعاد:

- المنظمة: تتيح ادوار التعاون عبر وحدات الأعمال.

- الموهبة: يتكيف الأفراد مع التغيير والمخاطر ولديهم المهارات اللازمة للملكية الشاملة لتقديم القيمة.
- عوامل التمكين التقنية: تقوم الفرق بتطوير وإصدار برامج جديدة بسرعة.
- التخطيط وإدارة الأداء: يعتمد تخصيص التمويل على تحديد الأولويات السريعة والمتكررة بدلاً من اعتماد التخطيط طويل الأمد فقط.

- طرق العمل: يقوم أعضاء الفريق بتمكين عمل بعضهم البعض وتقديم نتائج متكررة ومشاركة بكفاءة.
- المخاطر والامتثال: تم إعادة تعريف الحوكمة والضوابط واتخاذ القرارات على أساس المخاطر للعمل مع التكرارات المتكررة. (4-2 : 2020 ، Six dimensions of the agile enterprise)

الفصل الثاني - المبحث الثاني: المشاريع الحكومية لتنمية الأقاليم:

أولاً : مفهوم المشاريع الحكومية لتنمية الأقاليم:-

تعتبر المشاريع الحكومية لتنمية الأقاليم إحدى أشكال وأساليب التنظيم التي تدار أو تلحق بالإدارات أو المصالح الحكومية بغرض إدارة أنشطة معينة ، لتمثل مدخلاً إدارياً لإحداث التنمية الشاملة ولتأكيد دور الدولة الأساسي في تقديم الخدمات للسكان واحداث التنمية التي تتسم بالتجدد والتطور والنمو في مختلف الاتجاهات والتخصصات، خاصة وأن عملية النمو والتطور السريع وولادة منظمات مختلفة أصبح من مميزات الألفية الثالثة ، فالمشروع الحكومي هو الأداة الحاسمة التي يتسنى عن طريقها للدول النامية تعبئة وتوجيه الجهود اللازمة لتقديم وتوفير الخدمات الضرورية ، ويتمتع بمزايا وخصائص كبقية الدوائر والمصالح الحكومية وكذلك وضوح المسؤولية ووضوح العلاقة بين الجهات الحكومية والمشاريع المختلفة وسهولة وضع خطط عمل شاملة ومتناسقة. (عساف ، ٢٠١٣ : ٢١-٢٢)

ثانياً : اهداف المشاريع الحكومية لتنمية الأقاليم :-

تقوم المشاريع الحكومية لتنمية الأقاليم على أساس الاقتداء بالدول الحديثة التي تتدخل في النشاط الاقتصادي وتقديم الخدمات بجميع الوسائل والأدوات المتاحة لها رغبة منها في توجيه الاقتصاد والخدمات وإزالة الاختناقات التي تقف في وجه مسيرة التطور الاجتماعي والاقتصادي.

وفي دراسة للأمم المتحدة، تم تقديم سبعة أهداف للمشاريع الحكومية لتنمية الاقاليم وكما يلي: (عودة ، ٢٠٠٦ : ٥٨)

- ١- كفاءة وتوفير المبادرات التنموية.
- ٢- ضمان تحقيق الاهداف والاولويات التنموية والتي لا تتحقق لو تركت بالكامل للقطاع الخاص.
- ٣- تنمية المناطق السكنية بشكل عام.
- ٤- تحسين نظم الضمان الاجتماعي.
- ٥- تحقيق العدالة الاجتماعية والاقتصادية والتعجيل بالعملية التنموية.
- ٦- جذب رؤوس الأموال الأجنبية من خلال اقامة المشاريع الخدمية والبنية التحتية، وتوفير كافة الخدمات اللازمة للمستثمرين على أمل أن تغري رؤوس الأموال الأجنبية لإقامة المشاريع.
- ٧- توفير بعض السلع والخدمات الضرورية لأفراد المجتمع والتي يتعذر عادة توفرها بالقدر الكافي خصوصا لذوي الدخل المحدود سواء مجانا أم بأسعار تقل عن تكلفة إنتاجها وتوفيرها لهم، كما هو الحال بالنسبة لخدمات نقل المسافرين، البريد، الهاتف، الكهرباء، الماء، الصرف الصحي، الصحة، والتعليم... الخ.

ثالثاً : ابعاد المشاريع الحكومية لتنمية الاقاليم :-

يتميز المشروع الحكومي الناجح عن غيره في ترابط مقدماته وعناصره الأساسية بشكل علمي حيث إن بناء المشروع الناجح وتنظيمه يعتمد على أربعة ابعاد وعناصر أساسية، وهي كما يلي: (عريقات ، ٢٠٠٨ : ٢٠)

• المجال : ويقصد به وجود تباينات ضئيلة بين توقعات المستفيد النهائي للمشروع وما تم تنفيذه في كل مرحلة من مراحل المشروع.

• الكلفة : ويعني تحقيق اقل ما يمكن من الفروقات والانحرافات بين التكاليف المقدرة والفعلية للمشروع.

• الجدولة : ويعني ذلك السيطرة على التوقيات الزمنية لبداية ونهاية جميع مراحل المشروع.

• رضا المستهلك : بحيث يتم تلبية المشروع للاحتياجات الرئيسة للمستهلك .

اما (لزهري ، ٢٠١٩ : ٥) فقد ذكر بان من اهم ابعاد المشاريع الحكومية تتمثل بما يلي :

١- تكلفة المشروع :

أي إن المشروع يتم تنفيذه وانجازه ضمن ميزانية محددة، حيث تعتبر دراسة الجدوى الاقتصادية للمشروع من بين القرارات الرئيسة الحاسمة لاختيار تنفيذ وانجاز المشروع من عدمه، حيث تعتبر التكلفة المحدد الأساسي للموارد وهنا يجب التأكيد على أن بعض الشركات تتنافس على أساس التكلفة، أي انه تتميز بالكفاءة العالية و الاستخدام الأمثل لمختلف الموارد، في حين أن هناك شركات تتنافس على أساس معيار الجودة و هي تتميز بقدرات عالية موجهة نحو التميز و الابتكار.

٢- جودة المشروع: إن جودة المشروع هو مفهوم متعدد العناصر والأبعاد حيث يشمل جودة المدخلات و العمليات والمخرجات بالإضافة إلى جودة إدارة المشروع، حيث أنها تساهم جميعها في إدارة جودة المشروع من جميع الجوانب الفنية و الإدارية.

٣- أخلاقيات المشروع: يعني إنجاز المشاريع وفق معايير أخلاقية تتوافق وتتماشى مع المعايير الأخلاقية للمجتمع الذي تعمل فيه الشركة المنجزة للمشروع، ومن جهة أخرى يجب أن تتمتع إدارة المشروع بأخلاقيات ممارسة مختلف الوظائف الإدارية على المشروع.

٤- وقت المشروع : ويتمثل في الجدول الزمني لتنفيذ فقرات العمل للمشروع والتي يتم التخطيط لها لتنفيذ المشروع ضمن مراحل لكل مرحلة أجل زمني محدد.

يعتبر تقدير الوقت بشكل دقيق في كل مرحلة من مراحل المشروع من الأمور الصعبة وذلك نظرا للمخاطر المتوقعة وغير المتوقعة التي تصاحب مراحل انجاز المشروع، لذلك على إدارة المشروع أن تعمل على الاهتمام الكبير بالجدولة الزمنية للمشروع باعتبارها أحد جوانب الحكم على جودة المشروع. و هناك عدة طرق لتقدير وقياس انجاز المشروع ك (الأنشطة المتماثلة، المستشارية الخبراء، البيانات التاريخية، طريقة دلفي...إلخ).

- تعتبر إدارة وقت المشروع معياراً مهماً يسهم في تحقيق جودة المشروع حيث يساهم في تحقيق الأهداف التالية: (العبيدي والفضل، ٢٠١٠ : ١٥)
- الدقة في تقدير أوقات نشاطات المشروع.
- الاستجابة الفعالة للتأخيرات في كل نشاط.
- القدرة على التعامل مع الأنشطة غير المتوقعة وغير المؤكدة .
- تفعيل عملية التحسين المستمر .

الفصل الثالث: الجانب التطبيقي للبحث:

ولاً : التحليل الوصفي لمتغيرات الدراسة:-

يمثل التحليل الوصفي العدسة التي يمكن من خلالها ملاحظة مدى انتشار متغيرات المتغيرات التي تناولتها الدراسة في مجتمع المنظمة المبحوثة وذلك من خلال استعراض المتوسط الحسابي والانحراف المعياري وكما يلي:

١- التحليل الوصفي لمتغير ادارة المشاريع وفق الاساليب الحديثة :-

من خلال استخدام برنامج SPSS تم التوصل الى نتائج التحليل الوصفي لمتغير ادارة المشاريع وفق الاساليب الحديثة والتي يستعرضها الجدول (١)، اذ أظهرت نتائج المتوسط الحسابي تجاوز كافة فقرات المقياس للوسط الفرضي البالغ (٣) (عند تدرج مقياس ليكرت الخماسي) وبالتالي فان ذلك يشير الى انتشار كافة الفقرات في المنظمة المبحوثة، فضلا عن ذلك فقد أظهرت نتائج التحليل الوصفي قيم منخفضة نسبيا للانحراف المعياري وهذا يشير الى اتساق استجابات المستجيبين.

جدول (١) التحليل الوصفي لمتغير ادارة المشاريع وفق الاساليب الحديثة

| الانحراف المعياري | الوسط الحسابي | الفقرة | البعد |
|-------------------|---------------|--------|----------------|
| 0.82206 | 2.8316 | OD1 | البعد التنظيمي |
| 0.63176 | 2.6816 | OD2 | |

| | | | |
|---------|--------|-----|---------------|
| 0.85430 | 2.7368 | OD3 | |
| 0.57491 | 2.5526 | TD1 | البعد الفني |
| 0.61029 | 2.9186 | TD2 | |
| 0.78001 | 2.8095 | TD3 | |
| 0.61673 | 2.7211 | TD4 | |
| 0.80992 | 2.6237 | PE1 | الأفراد |
| 0.85625 | 2.5132 | PE2 | |
| 0.71279 | 2.5879 | PE3 | |
| 0.94368 | 2.5526 | PE4 | |
| 0.94284 | 2.9658 | TS1 | نجاح المهام |
| 0.77233 | 2.7368 | TS2 | |
| 0.80992 | 2.6237 | TS3 | |
| 0.96026 | 2.8947 | TS4 | |
| 1.00943 | 2.6579 | EF1 | عوامل المشروع |
| 0.76411 | 2.6526 | EF2 | |
| 0.80992 | 2.6928 | EF3 | |
| 0.74304 | 2.7447 | EF4 | |
| 0.746 | 2.8110 | | الإجمالي |

المصدر: مخرجات برنامج SPSS

٢- التحليل الوصفي لمتغير إدارة المشاريع الحكومية لتنمية الأقاليم :-

من خلال استخدام برنامج SPSS تم التوصل الى نتائج التحليل الوصفي لمتغير ادارة المشاريع الحكومية لتنمية الاقاليم والتي يستعرضها الجدول (٢)، اذ أظهرت نتائج المتوسط الحسابي تجاوز كافة فقرات المقياس للوسط الفرضي البالغ (٣) (عند تدرج مقياس ليكرت الخماسي) وبالتالي فان ذلك يشير الى انتشار كافة الفقرات في المنظمة المبحوثة، فضلا عن ذلك فقد أظهرت نتائج التحليل الوصفي قيم منخفضة نسبيا للانحراف المعياري وهذا يشير الى اتساق استجابات المستجيبين.

جدول (٢) التحليل الوصفي لمتغير ادارة المشاريع الحكومية لتنمية الاقاليم

| الانحراف المعياري | الوسط الحسابي | الفقرة | البعد |
|-------------------|---------------|--------|------------------|
| 0.96026 | 2.8947 | EC1 | تكلفة المشروع |
| 0.96564 | 2.6184 | EC2 | |
| 1.10533 | 2.7105 | EC3 | |
| 0.91412 | 2.9342 | EQ1 | جودة المشروع |
| 0.88447 | 2.9342 | EQ2 | |
| 0.88447 | 2.9342 | EQ3 | |
| 0.74645 | 2.0526 | ET1 | وقت المشروع |
| 0.65360 | 2.1974 | ET2 | |
| 0.96427 | 2.7632 | ET3 | |
| 0.92632 | 2.9079 | EE1 | اخلاقيات المشروع |
| 0.77810 | 2.8553 | EE2 | |
| 0.78260 | 2.8816 | EE3 | |
| 0.844 | 2.944 | | الاجمالي |

المصدر: مخرجات برنامج SPSS

ثانياً : تقييم الانموذج الهيكلي واختبار الفرضيات:-

بعد ان اكتملت الخطوة الأولى من نمذجة المعادلة الهيكلية بأسلوب المربعات الصغرى الجزئية -PLS SEM فان الخطوة الثانية فنتمثل بتقييم الانموذج الهيكلي والذي يتضمن اختبار فرضيات الارتباط فضلاً عن إيجاد معاملات المسارات والتي يمكن من خلالها قياس التأثيرات المباشرة، بالإضافة الى استخراج قيمة معامل التفسير R^2 والذي يستخدم في تحديد مدى تفسير المتغير المستقل للمتغير المعتمد. اختبار علاقات الارتباط :- وتتضمن هذه الفقرة اختبار فرضية الارتباط الرئيسية والفرضيات المنبثقة عنها، كما يأتي:

أولاً: اختبار الفرضية الرئيسية الأولى :

وتتص على وجود علاقة ارتباط معنوية بين ادارة المشاريع وفق الاساليب الحديثة وادارة المشاريع الحكومية لتنمية الاقاليم، وفيما يتعلق بإثبات صحة هذه الفرضية، أظهر الجدول (٣) المتعلق بمصفوفة الارتباط، وجود علاقة ارتباط معنوية بين ادارة المشاريع وفق الاساليب الحديثة والمشاريع الحكومية لتنمية الاقاليم، فلقد بلغت قيمة معامل الارتباط بينهما (728) عند مستوى معنوية (0.01)، وهذا ما يدعم صحة الفرضية الرئيسية الأولى، وتتفرع عن هذه الفرضية أربعة فرضيات فرعية، هي:

١- وجود علاقة ارتباط معنوية بين الشخص الأخلاقي وادارة المشاريع الحكومية لتنمية الاقاليم: يظهر الجدول (٣) المتعلق بمصفوفة الارتباط، وجود علاقة ارتباط معنوية بين البعد التنظيمي وادارة المشاريع الحكومية لتنمية الاقاليم، فلقد بلغت قيمة معامل الارتباط بينهما (782) عند مستوى معنوية (0.01)، وهذا ما يدعم صحة الفرضية الفرعية الأولى.

٢- وجود علاقة ارتباط معنوية بين البعد الفني وادارة المشاريع الحكومية لتنمية الاقاليم: يظهر الجدول (٣) المتعلق بمصفوفة الارتباط، وجود علاقة ارتباط معنوية بين البعد الفني وادارة المشاريع الحكومية لتنمية الاقاليم، فقد بلغت قيمة معامل الارتباط بينهما (811) عند مستوى معنوية (0.01)، وهذا ما يدعم صحة الفرضية الفرعية الثانية.

٣- وجود علاقة ارتباط معنوية بين الافراد وادارة المشاريع الحكومية لتنمية الاقاليم: يظهر الجدول (٣) المتعلق بمصفوفة الارتباط، وجود علاقة ارتباط معنوية بين الافراد المتعددين وادارة المشاريع الحكومية لتنمية الاقاليم، فلقد بلغت قيمة معامل الارتباط بينهما (798) عند مستوى معنوية (0.01)، وهذا ما يدعم صحة الفرضية الفرعية الثالثة.

٤- وجود علاقة ارتباط ومعنوية بين نجاح المهام وادارة المشاريع الحكومية لتنمية الاقاليم : يظهر الجدول (٣) المتعلق بمصفوفة الارتباط، وجود علاقة ارتباط معنوية بين نجاح المهام وادارة المشاريع الحكومية لتنمية الاقاليم، فلقد بلغت قيمة معامل الارتباط بينهما (854) عند مستوى معنوية (0.01)، وهذا ما يدعم صحة الفرضية الفرعية الرابعة.

٥- وجود علاقة ارتباط ومعنوية بين عوامل المشروع وادارة المشاريع الحكومية لتنمية الاقاليم : يظهر الجدول (٣) المتعلق بمصفوفة الارتباط، وجود علاقة ارتباط معنوية بين عوامل المشروع وادارة المشاريع الحكومية لتنمية الاقاليم، فلقد بلغت قيمة معامل الارتباط بينهما (.734) عند مستوى معنوية (0.01)، وهذا ما يدعم صحة الفرضية الفرعية الرابعة.

جدول (٣) : مصفوفة علاقة الارتباط بين ادارة المشاريع وفق الاساليب الحديثة وأبعادها مع ادارة

المشاريع الحكومية لتنمية الاقاليم

| | | MMPM | OD | TD | PE | TS | PF | GPDR |
|------|---------------------|--------|--------|--------|--------|--------|--------|--------|
| MMPM | Pearson Correlation | 1 | .749** | .760** | .705** | .810** | .628** | .728** |
| | Sig. (2-tailed) | | .000 | .000 | .000 | .000 | .000 | .000 |
| | N | 48 | 48 | 48 | 48 | 48 | 48 | 48 |
| OD | Pearson Correlation | .749** | 1 | .889** | .841** | .842** | .682** | .782** |

| | | | | | | | | |
|------|---------------------|--------|--------|--------|--------|--------|--------|--------|
| | Sig. (2-tailed) | .000 | | .000 | .000 | .000 | .000 | .000 |
| | N | 48 | 48 | 48 | 48 | 48 | 48 | 48 |
| TD | Pearson Correlation | .760** | .889** | 1 | .816** | .872** | .601** | .811** |
| | Sig. (2-tailed) | .000 | .000 | | .000 | .000 | .000 | .000 |
| | N | 48 | 48 | 48 | 48 | 48 | 48 | 48 |
| PE | Pearson Correlation | .705** | .841** | .816** | 1 | .844** | .698** | .798** |
| | Sig. (2-tailed) | .000 | .000 | .000 | | .000 | .000 | .000 |
| | N | 48 | 48 | 48 | 48 | 48 | 48 | 48 |
| TS | Pearson Correlation | .810** | .842** | .872** | .844** | 1 | .654** | .854** |
| | Sig. (2-tailed) | .000 | .000 | .000 | .000 | | .000 | .000 |
| | N | 48 | 48 | 48 | 48 | 48 | 48 | 48 |
| PF | Pearson Correlation | .628** | .682** | .601** | .698** | .654** | 1 | .734 |
| | Sig. (2-tailed) | .000 | .000 | .000 | .000 | .000 | | .000 |
| | N | 48 | 48 | 48 | 48 | 48 | 48 | 48 |
| GPDR | Pearson Correlation | .728** | .782** | .811** | .798** | .854** | .734** | 1 |
| | Sig. (2-tailed) | .000 | .000 | .000 | .000 | .000 | .000 | |
| | N | 48 | 48 | 48 | 48 | 48 | 48 | 48 |

ثانياً: اختبار الفرضية الرئيسية الثانية :-

نصت الفرضية الرئيسية الثانية على انه " توجد علاقة تأثير ذات دلالة معنوية للأساليب الحديثة لإدارة المشاريع في تحقيق ادارة المشاريع الحكومية لتنمية الاقاليم " ولاختبار هذه الفرضية فقد تم بناء الانموذج الهيكلي الظاهر في الشكل (١) والذي يستعرض نتائجه الجدول (٤).



شكل (١) الانموذج الهيكلي لاختبار للفرضية الرئيسية الثانية

ملاحظة: الارقام في الاسهم تمثل معامل المسار في حين الارقام في الدوائر فتمثل معامل التحديد، ويشير الرمز [+] الى اخفاء الفقرات التابعة للمتغير بسبب انتفاء الحاجة لها في تقييم الانموذج الهيكلي.

المصدر: مخرجات برنامج SmartPLS

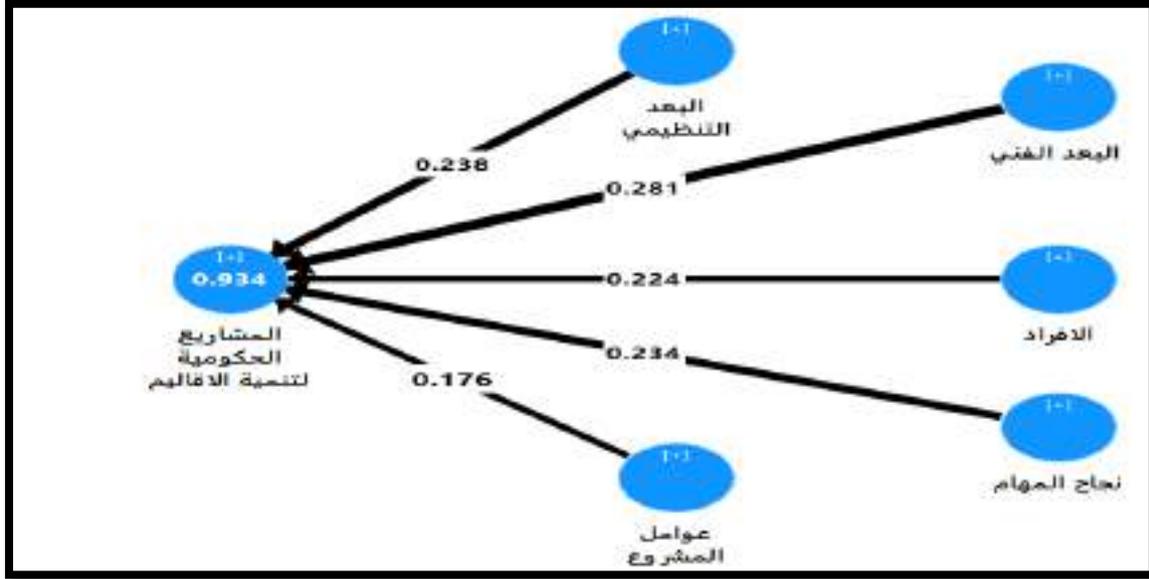
جدول (٤) نتائج تقييم الانموذج الهيكلي الخاص بالفرضية الرئيسية الثانية

| جودة المطابقة SRMR | الفرضية | المسار | VIF | معامل المسار | t Value | p Value | النتيجة | حجم التأثير f ² | معامل التحديد R ² | R ² المعدل |
|--------------------|---------|-------------|-----|--------------|---------|---------|---------|----------------------------|------------------------------|-----------------------|
| 0.0٦٥ | H2 | MMPM → GPDR | ١ | 0.834 | 18.254 | 0 | قبول | 1.315 | 0.695 | 0.662 |

المصدر: مخرجات برنامج SmartPLS

اختبار الفرضيات الفرعية للفرضية الرئيسية الثانية:-

قام الباحث ببناء الانموذج الهيكلي الذي يظهر في الشكل (٢) وذلك لغرض اختبار الفرضيات الفرعية للفرضية الرئيسية الثانية (H2-1, H2-2, H2-3, H2-4, H2-5)، ويستعرض نتائج الجدول (٥).



شكل (٢) الانموذج الهيكلي لاختبار الفرضيات الفرعية الثانية المصدر: مخرجات برنامج SmartPLS

جدول (٥) نتائج تقييم الانموذج الهيكلي الخاص بالفرضيات الفرعية الثانية

| جودة المطابقة SRMR | الفرضية | المسار | VIF | معامل المسار | t Value | p Value | النتيجة | حجم التأثير f^2 | معامل التحديد R^2 | R^2 المعدل |
|--------------------|---------|-------------|-------|--------------|---------|---------|---------|-------------------|---------------------|--------------|
| ٠,٠٦٣ | H2-1 | OD→ GPDR | 1.347 | 0.238 | 5.848 | 0.009 | قبول | 0.089 | 0.934 | 0.908 |

| | | | | | | | | | |
|--|--|-------|------|-------|-------|-------|-------|-------------|------|
| | | 0.084 | قبول | 0.012 | 4.039 | 0.281 | 1.76 | TD→ GPDR | H2-2 |
| | | 0.094 | قبول | 0.004 | 8.063 | 0.224 | 1.43 | PE→ GPDR | H2-3 |
| | | 0.066 | قبول | 0.003 | 5.548 | 0.234 | 1.893 | TS→ GPDR | H2-4 |
| | | 0.066 | قبول | 0.003 | 3.548 | 0.176 | 1.893 | PF→ GPDR | H2-5 |

المصدر: مخرجات برنامج SmartPLS

يستعرض الجدول (٥) نتائج تقييم الانموذج الهيكلي الخاص بالفرضيات الفرعية للفرضية الرئيسية الثانية والتي أظهرت بان معيار SRMR البالغ ٠,٠٦٣ يحقق المعيار المطلوب لجودة المطابقة، وقد حققت معاملا المسار للفرضية الفرعية (H2-1, H2-2, H2-3, H2-4, H2-4) المعايير المطلوبة من قيم t و p مما يشير الى معنوية هذه الفرضيات وبالتالي تقبل الفرضيات الفرعية المنبثقة عن الفرضية الرئيسية الثانية. كذلك فقد بلغ معامل التحديد R^2 (٠,٩٣٤) وبالتالي فان ابعاد الأساليب الحديثة لإدارة المشاريع قد فسرت ٩٣% من العوامل التي تفسر متغير المشاريع الحكومية لتنمية الأقاليم وبقيّة النسبة تمثل عوامل لم تتناولها الدراسة.

الفصل الرابع: الاستنتاجات والتوصيات:

المبحث الأول: الاستنتاجات:

١- تعد ادارة المشاريع وفق الاساليب الحديثة نمطاً جوهرياً واسباسياً للمنظمات، وبالتالي فان الاهتمام به وتوفير عوامل جودته ستؤثر في استمرار ونمو المنظمة وتسهم في نجاحها.

٢- هنالك اهتمام عال من قبل العاملين في الهيئة قيد البحث في تأدية المهام الموكلة اليهم.

- ٣- أثبتت الدراسات الحديثة بان اعتماد ادارة المشاريع وفق الاساليب الحديثة امر حيوي وفعال في تقليل الجهد والوقت والكلفة.
 - ٤- اشارت النتائج الى ان هناك تأثيرا إيجابياً لإدارة المشاريع الحديثة في تحقيق الكفاءة والجودة في تنفيذ المشاريع الحكومية لتنمية الاقاليم.
 - ٥- اثبتت النتائج قبول مخطط الدراسة وبنسب متفاوتة وبالتالي يمكن اعتماده.
- المبحث الثاني: التوصيات:
- ١- ضرورة توفير متطلبات تبني ادارة المشاريع وفق الاساليب الحديثة وتشجيع هذه الممارسة لكونها تسهم في تحقيق تأثير مباشر على ادارة المشاريع الحكومية لتنمية الاقاليم .
 - ٢- اعطاء الفرضية للعاملين في ابداء آرائهم والمشاركة الفاعلة في نجاح المشاريع وكذلك تشجيعهم على المشاركة والتعاون في انجاز الاعمال الموكلة اليهم.
 - ٣- العمل على تشجيع المبدعين والمبتكرين واخذ أفكارهم وانجازاتهم على محمل الجد .
 - ٤- تشجيع جميع الافراد على القيام بالأعمال وانجازها بشكل طوعي دون الحاجة الى مراقبتهم.
 - ٥- زيادة توسيع الصلاحيات لمدرء المشاريع لغرض إعطاء حرية أكبر في انجاز المهام الموكلة اليهم.

المراجع:

- ١- التميمي ، خالد محمد ، (مدى تطبيق المفاهيم الحديثة لإدارة المشاريع في القطاع العام بالمملكة العربية السعودية) ، الاكاديمية العربية البريطانية للدراسات العليا ، ٢٠١٣.
- ٢- مسلم، عبدالقادر، أبو سليم ، شذا (٢٠١٧) الإدارة الرشيفة ودورها في تحقيق الإبداع لدى العاملين في شركة جوال بمحافظة غزة : دراسة حالة.
- ٣- نجيب، عمر (٢٠١٨) الإدارة الرشيفة تحسن الإنتاجية وتخفف الهدر، عمان: دار وائل للنشر ، الطبعة الثانية.
- ٤- عبد المعطي محمد عساف: إدارة المشروعات العامة، دار جبهة للنشر والتوزيع، الطبعة الاولى، الأردن، ٢٠١٣.
- ٥- محمد أمين عودة: إدارة المشروعات العامة، كلية التجارة والاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة الكويت، الكويت، ٢٠٠٦.

- ٦- عريقات ، شرين ابراهيم احمد ، دور تبني مبادئ وقيم تقييم الأثر البيئي في إدارة المشاريع بين عوامل النجاح والمعوقات ، رسالة ماجستير ، جامعة القدس ، ٢٠٠٨ .
- ٧- قدوم لزهرا ، ادارة المشاريع ، جامعة ٨ ماي ١٩٤٥ قالمة ، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير ، ٢٠١٩ .
- ٨- محمود العبيدي، مؤيد الفضل ، "ادارة المشاريع" ، منهج كمي، الوارق للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ، عمان، ٢٠١٠ .
- 9- Othman bin Nasser, "Comparative Study: Project Management Between Traditional and Modern Methodology", Contemporary International Scientific Forum for Educational , American Research Foundation , 2019.
- 10- Adjei, D., and Rwakariwand, P. (2019) "Application of traditional and agile project management in consulting": A case study of Price Waterhouse Coopers, Umea University, Sweden. Available.
- 11- Kurup, D. and Sidhardhan, S. K. (2015), Agile Project Management Benefits and Challenges, Research Paper for ISM6316.001 Project Management, University of South Florida.
- 12 - Koch, A. (2011). Cisco, Microsoft, VMware, ITIL, and PMP Training and More. [online] globalknowledge.com.
- 13-Layton,M.(2012).Agile Project Management For Dummies. Hoboken: John Wiley & Sons.
- 14-Warma, R. (2012) . The Success of Agile Software Development. Master thesis . Fontys University of Applied Sciences.
- 15- Nagy Ramadan Darwish & Nancy M. Rizk " Multi-Dimensional Success Factors of Agile Software Development Projects" Arab Academy for Science Technology & Maritime Transport Cairo, Egypt (2015).

الطبيعة القانونية للصلح في النطاق الإداري-دراسة مقارنة

أ.م.د. صادق محمد علي الحسيني

الباحثة زينب ماجد محمد علي

كلية القانون/ جامعة بابل

المقدمة:

إذا كان من المسلم به فقهاً إن الدعوى حقٌّ لصاحبها ، يستطيع أن يستعملها أو لا يستعملها برغم توافر هذا الاستعمال وتحقق شروطه ، فليس من الواجب الحتمي على كل من يعتدى على حقه أو ينازعه غيره فيه ، أن يستعمل حقه في الدعوى لدفع الاعتداء على هذا الحق أو إنهاء النزاع فيه ، فالدعوى ليست كما قال العلامة أهرنج واجباً على صاحب الحق كلما اعتدى على حقه فعند نشوء خلافٍ معين يصل الى حدِ النزاع فالأصل يقضي اختصاص القضاء " الإداري أو العادي " للنظر في الخلاف ، على ان تعقد سبل الحياة وتزايد المنازعات أدى الى بروز مشكلة خطيرة تهدد قدرة مرفق القضاء على حسم هذه المنازعات في وقت معقول ، ولعل أهم هذه المشاكل ازدياد الدعاوى المرفوعة امام القضاء ، وما نجم عن ذلك من بطء في التقاضي مع ما يؤدي إليه ذلك من خسارة في القيم الاقتصادية التي تكون محلاً للنزاع خصوصاً ، ما دعا كثيرا من اطراف النزاعات المختلفة الى التفكير في نهج سبل اخرى ، واللجوء الى طرائق مختلفة لفض نزاعاتهم وإنهاء خصوماتهم من دون حاجة في اللجوء الى القضاء في ذلك ، وبما يؤدي الى تقادي مخاطر هذا الطريق وما يترتب عليه من آثارٍ سلبية توفيراً للوقت والجهد والمال ، ويقع الصلح في مقدمة هذه السبل واهمها نظراً لسهولة اللجوء اليه ولانخفاض نفقاته، ولسرعته وفاعليته في إنهاء المنازعات، إن لدارسة مفهوم الصلح في مجال المنازعات الإدارية أهمية كبيرة إذ يمكن من خلاله التعرف على ماهيته وطبيعته القانونية ، وتمييزه عن غيره من النظم الودية لحل المنازعات ، كما يمكن من خلاله التعرف على أنواع الصلح الإداري ومدى مشروعية اللجوء إليه ومجالاته ، كل ذلك بهدف التوصل إلى التقويم الحقيقي لهذا النظام وبيان

مواطن القوة والضعف فيه ، وبعبارة أخرى بيان الجدوى القانونية لهذا النظام ، وتبدو مشكلة البحث ان المشرع العراقي قد عالج بعض أسباب انقضاء الدعوى الإدارية من دون حكم في موضوعها، في قانون المرافعات وعالج البعض الاخر في قانون مجلس الدولة وترك البعض الآخر دون معالجة ، ومن بينها الصلح و ما يتسم به من طبيعة قانونية ، اذ لم تتم معالجته من قبل المشرع الا استثناءً في قانوني ضريبة الدخل والجمارك ، خلافاً لما هو عليه الحال في الدول المقارنة ، إضافة الى ان هذا الموضوع لم يحظ باهتمام من قبل الفقه الإداري مقارنة بالموضوعات القانونية الأخرى، لذا وجدنا ندرة في البحث في موضوع الصلح وطبيعته القانونية في المنازعات الإدارية ومدى امكانية الاخذ به في منازعات الادارة في العراق ، خصوصاً في ظل السكوت التشريعي ازاء امكانية الادارة بالأخذ به في حل منازعاتها الإدارية من هنا ومن أجل الإلمام بكل ما سبق سنقسم هذه الدراسة إلى مبحثين نخصص المبحث الأول للبحث في تعريف الصلح في المنازعات الإدارية ، ونعقد الثاني لدراسة الطبيعة القانونية للصلح في النطاق الاداري .

المبحث الأول: تعريف الصلح في المنازعات الإدارية:

لبيان مفهوم الصلح بعده وسيلة لتسوية المنازعات الإدارية وفقاً لما تقدم وصولاً إلى بيان جدواه القانونية سنقسم هذا المبحث إلى مطلبين نبحث في الاول منها مفهوم الصلح الاداري ، ونخصص الثاني للبحث في نطاق الصلح الاداري ؛ وكالاتي :

المطلب الأول: مفهوم الصلح في النطاق الإداري:

إن استجلاء دلالة الصلح اصطلاحاً تتطلب منا تناول معناه قانوناً وفقهاً ، وبعد ذلك قضاء وكالاتي :

الفرع الاول

معنى الصلح قانوناً

بدءً في فرنسا يلاحظ ان قانون العدالة الإدارية الفرنسي لم يتضمن تعريفاً خاصاً بالصلح الإداري على الرغم من إن الوجود القانوني للصلح الإداري في فرنسا يعد قديماً فقد اعترف به من قبل مجلس الدولة الفرنسي

وإمكانية الأخذ به من قبل الأشخاص العامة منذ نهاية القرن التاسع عشر^(١)، في حين اكتفى قانون المرافعات الإدارية بالإشارة الى التوفيق في المادة " ٢١١ / ٤ " وقد تولى القانون المدني الفرنسي لسنة "١٨٠٤" تعريف الصلح^(٢) مقررًا أن المقصود بالصلح " عقد يحسم به المتعاقدان نزاعاً قائماً أو يتوقيان به نزاعاً محتملاً " ، إلا أن هذا التعريف تم نقده من قبل الفقه الفرنسي لأنه أغفل عنصراً جوهرياً عند تعريفه لعقد الصلح والمتمثل بضرورة وجود تنازل متبادل بين أطراف العقد ، وهو عنصر يكاد يجمع شراح القانون المدني الفرنسي على ضرورته ، منعاً من اختلاط الصلح بغيره من التصرفات القانونية المشابهة له ، كالإبراء ، وترك الخصومة والتحكيم^(٣) ، ومن الامثلة التشريعية على الصلح المادة "١٢" من القانون رقم ٩٢ / ٦٥٢ الصادر في ١٣ / ٧ / ١٩٩٢ المعدل للمادة "١٩" من القانون رقم ٨٤ / ٦١٠ الصادر في ١٦ / ٧ / ١٩٨٤ والخاص بالمجموعات الرياضية والاتحادات التي عدت الصلح اجبارياً قبل اللجوء الى القضاء ، كما وترتب على صدور قانون ١٩٨٢/٥/٢ أن أصبحت الوحدات المحلية بما فيها البلديات بإمكانها التصالح بحرية بعد ان كانت مقيدة بنص المادة " ٢٠٤٥ " من القانون المدني الفرنسي الذي أخضع صحة تصالح البلديات لموافقة رئيس السلطة التنفيذية ، ذلك ان النص السابق الغي ضمناً ، وهذا ما اكده مجلس الدولة الفرنسي استنادا الى القانون رقم ٨٢ الصادر في ٢ مارس ١٩٨٢ وذلك في رايه الصادر في ٢١ يناير ١٩٩٧ ، هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى فان الشرط المتعلق بإذن رئيس السلطة التنفيذية تم استبعاده استنادا الى نص المادة ٢١٢٢ _ ٢١ من القانون العام للهيئات المحلية ، والتي نصت على ان " لا يكلف العمدة بتنفيذ قرارات المجلس البلدي ، وبصفة خاصة ابرام الصلح بنفس شكل اعمال ... عندما يسمح بهذه الاعمال طبقاً لنصوص هذا القانون " ويراقب القاضي مدى احترام هذه النصوص^(٤) ، وعليه فان المادة "٢٠٤٥" من القانون المدني الفرنسي لا تلزم البلديات على الاطلاق بأخذ إذن رئيس السلطة التنفيذية قبل ابرام الصلح ، اذ استبعدت احكام هذه المادة لصالح الاحكام الواردة في القانون العام للهيئات المحلية ، اما المؤسسات العامة فقد ظل مبدأ ضرورة الحصول على الترخيص المسبق من رئيس السلطة التنفيذية موجودا وان كان يشهد

استثناء ملحوظاً، وذلك من خلال امكانية ادراج نص في نظام المؤسسة العامة ينص على اهليتها للتصالح بوجه عام أو بالنسبة لبعض انواع المنازعات فقط، في حين ظل استلزام هذه الموافقة نظرياً بالنسبة للمؤسسات العامة وإن كان هذا الحكم لا يطبق في الواقع العملي إلا قليلاً^(٥)، أما في مصر فلم يتضمن قانون مجلس الدولة رقم ٤٧ لسنة ١٩٧٢ النافذ على تعريف خاص بالصلح ، كذلك الأمر بالنسبة لقانون المرافعات المدنية والتجارية رقم " ١٣ " لسنة " ١٩٨٦ " والذي أحال إليه قانون مجلس الدولة المصري رقم "٤٧" لسنة "١٩٧٢" فيما لم يرد فيه نص ، حتى صدور قانون بالإجراءات الخاصة بالقسم القضائي للمجلس^(٦)، وبالنظر لأن الصلح يجد جذوره في نطاق القانون الخاص لاسيما القانون المدني فقد تناول هذا القانون تعريف عقد الصلح ، فعرفته المادة " ٥٤٩ " منه بأنه " عقد يحسم به الطرفان نزاعاً قائماً أو يتوقيان به نزاعاً محتملاً وذلك بأن ينزل كل منهما على وجه التقابل عن جزء من ادعائه " ، ويلاحظ على هذا التعريف أنه أكثر دقة من التعريف الذي أورده المشرع المدني الفرنسي ، إذ اقتصر الأخير في ذكره للصلح كما اشرنا على حسم نزاع قائم أو محتمل متناسياً الإشارة إلى وسيلته في ذلك وهي تنازل كل مُصالح عن جزءٍ من ادعائه . ولم يكن المشرع العراقي مختلفاً في مسلكه عن سابقه ، فلم يورد هو الآخر تعريفاً للصلح في نطاق قانون مجلس الدولة رقم " ٦٥ " لسنة " ١٩٧٩ " المعدل ، وقانون المرافعات المدنية رقم " ٨٣ " لسنة " ١٩٦٩ " بل أورد تعريفه في القانون المدني في المادة " ٦٩٨ " منه بأنه " عقد يرفع النزاع ويقطع الخصومة بالتراضي " ، ولعل أهم ما يلاحظ على التعريف الذي أورده المشرع العراقي للصلح أنه قد نهج منهجاً مختلفاً عما نهجه القانون المدني الفرنسي والمصري ، فهو لم يشترط النزول المتبادل من الطرفين بل اعطاه مفهوماً واسعاً ينصرف الى إنهاء المنازعات التي تتولد عن مختلف المعاملات ، ويلاحظ بالمقابل بأن مثل هذا المفهوم الواسع قد يؤدي إلى التباس الصلح بغيره من التصرفات الشرعية كالإبراء والتنازل وهذا ما قد يجعل الصلح غير منضبط.

من خلال التعاريف السابقة نجد أنها على الرغم من اختلافها في الصياغة إلا أنها متفقة من ناحية الحكم ألا وهو رفع النزاع وإنهاء الخصومة .

الفرع الثاني

معنى الصلح فقهاً

يذهب اغلب الفقه الإداري الى استعارة تعريف الصلح في القانون المدني في نطاق القانون الإداري ،،^(٧) لذا نجد ان التعريفات الفقهية للصلح في المجال الإداري قليلة جداً ، ولعل ذلك راجع لحدائثة الصلح بعده وسيلة لتسوية المنازعات الإدارية وتفاوت التشريعات في الاخذ به ، فعرف بانه " طريقة ودية لحل وتسوية خلاف قائم بين طرفين أو اكثر، فهو اجراء موضوعي يمارس في المواد المدنية والإدارية على حد سواء " ^(٨) ، ولعل أهم ما يؤخذ على هذا التعريف انه أغفل ذكر اهم خصائص عقد الصلح الإداري ، الا وهو التنازل المتبادل القائم على التراضي بين الاطراف ، وعرف اخرون بأنه " اجراء ودي يقع بين الفرد والادارة يحاول فيه القاضي التوفيق بين الطرفين المتنازعين " ^(٩)، ونرى ان التعريف المتقدم قد اغفل بيان الطبيعة الاتفاقية بين الاطراف هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى نرى ان الصلح يتم بين الطرفين المتنازعين دون تدخل طرف ثالث ، وبذلك يكون هذا التعريف قد خلط بين الصلح والتوفيق ، كما عرف بانه " تلاقي ارادتين . احدهما على الاقل جهة ادارية . على حسم النزاع صلحاً وذلك من خلال التنازل المتبادل " ^(١٠)، وعرف ايضا بانه " وسيلة من وسائل حل المنازعات الإدارية بغير اللجوء الى القضاء ، وهو اتفاق بين طرفين على رفع الخصومة وفض النزاع القائم أو دفع المحتمل بعوض مالي أو غيره بتراضيهما "،^(١١) وعرفه آخرون بانه " تقنية بديلة لحل المنازعات الإدارية مستوحاة من القانون المدني ، وقد تم تكييف نظامها القانوني وفقا لمتطلبات القانون الإداري مما ادى الى اتباع نظام قانوني خاص بهذه العقود من جوانب مختلفة " ^(١٢) ، مما تقدم بيانه يتضح لنا أن هذه التعاريف عكست وبشكل واضح نظرة أصحابها بخصوص مفهوم الصلح ، كما أنها جاءت متفقة في معظمها على مسائل وعناصر معينة لازمة لإتمام هذا الصلح كالاتفاقات اللازمة

لقيامه بين الطرفين ، والتنازل المتبادل الذي يتم به الصلح مع التأكيد على الأثر المتولد عن الصلح والمتمثل بإنهاء النزاع وانقضاء الدعوى ، وفي ضوء ما تقدم يمكننا أن نستجمع عناصر الصلح في نطاق المنازعات الإدارية ونعرفه بأنه " أسلوب للفصل في المنازعات الإدارية يبنى على اتفاق الخصوم . احدهم في الاقل شخص معنوي عام . بإرادتهم لإنهاء ما يثور بينهم من نزاع وذلك عن طريق التنازل المتبادل عن جزء من حقوقهم أوكلها " .

الفرع الثالث

معنى الصلح قضاءً

أما على مستوى القضاء فقد عرّف مجلس الدولة الفرنسي الصلح في تقريره الشهير حول الحل الودي للمنازعات الإدارية فعرّفه بأنه " عقد يحسم به المتعاقدان نزاعاً قائماً أو يتوقيان به نزاعاً محتملاً " متبنياً في تعريفه ذات التعريف الذي أورده المادة " ٢٠٤٤ " من القانون المدني الفرنسي لسنة ١٨٠٤^(١٣) ، أما على صعيد القضاء المصري فعرفته المحكمة الإدارية العليا بأنه " عقد يقوم على أركانه القانونية وهي التراضي والمحل والسبب ، وهومن عقود التراضي ويترتب على انعقاده تنازل المطعون ضده عن المطالبة بالتعويض " ^(١٤) ، أما على صعيد القضاء العراقي فعرفته محكمة تمييز العراق آنذاك بأنه " عقد يرفع النزاع والخصومة بالتراضي ولا يجوز لأحد الطرفين الرجوع فيه ويملك المدعي بالصلح بدله وتسقط دعواه... " ^(١٥) ، مما تقدم يلاحظ ان اتجاهات القضاء في بيانها لمفهوم الصلح ، تسلط الضوء على الاثر المترتب للصلح وهو حسم النزاع وانقضاء الخصومة .

المطلب الثاني: نطاق الصلح في المنازعات الإدارية:

أن المعيار المطبق في تحديد نطاق الصلح الإداري يتحدد بماهية الحق المتنازع عليه وقابليته للتصرف فيه، وعدم تعلقه بالنظام العام^(١٦) ، اذ حدد المشرع في القانون المدني المصري والعراقي ما يمكن التصالح فيه وما لا يجوز الصلح فيه^(١٧)، الأمر الذي يثير التساؤل حول نطاق الصلح في إطار المنازعات الإدارية؟ إن

الإجابة عن التساؤل السابق يقتضي منا بيان الموقف التشريعي والفقهني ومن ثم موقف القضاء في الدول المقارنة لنبيين في النهاية نطاق هذا الصلح ، وهذا ما سنبحثه في ثلاث فروع وكالاتي :

الفرع الأول
موقف التشريع

تجدد الإشارة بادئ ذي بدء الى ان قواعد الصلح في القانون الخاص صالحة للتطبيق في القانون الإداري سواء في فرنسا ومصر^(١٨) ام في العراق .

وقد اعترف المشرع الفرنسي في القانون المدني صراحةً للإدارة بجواز اللجوء إلى الصلح في منازعات القانون العام ، واعترف للبلديات والمؤسسات العامة بإمكانية التصالح^(١٩) فلا يوجد أي نص تشريعي يمنع الدولة وسائر أشخاص القانون العام من اللجوء إلى الصلح^(٢٠) ، إلا أنها مقيدة بعدم جواز الصلح في المسائل المتعلقة بالنظام العام أو أنها تلتزم بمبالغ مالية غير ملزمة بها قانوناً^(٢١)، كما عمل المشرع الفرنسي على إيلاء أهمية كبيرة لأحكام التسوية الودية للمنازعات الإدارية عقدية كانت أم غير عقدية ، فطبقاً لقوانين الإصلاح القضائي التي شهدتها فرنسا في ٣١ / ١٢ / ١٩٨٧ ، اعطى المشرع الفرنسي الصلح أهمية كبيرة في حسم المنازعات الإدارية ، اذ أنشاء اللجنة الاستشارية للتسوية الودية بموجب المرسوم الصادر في ٢٤ / ١٢ / ١٩٠٧ وذلك بتشكيل وزارة للبحث في المنازعات والخلافات الناشئة عن العقود الإدارية.^(٢٢)

أما فيما يتعلق بالتشريع المصري فلا وجود لنصوص صريحة تجيز اللجوء إلى الصلح لحسم المنازعات الإدارية ، الا ان المشرع المصري في قانون مجلس الدولة رقم ٤٧ لسنة ١٩٧٢ اناط بهيئة مفوضي الدولة تحضير الدعاوى التي ترفع للمجلس وهيئتها للمرافعة واعداد تقرير بالرأي القانوني فيها ، اذ للمفوض أن يعرض على الطرفين (الفرد والإدارة) التسوية الودية للدعوى بالصلح على أساس المبادئ القانونية التي سار عليها القضاء الإداري في أحكامه خلال فترة زمنية يحددها، وللمفوض بوصفه ممثل القانون في الدعوى الإدارية ؛ فإذا تم الصلح أثبت في محضر يوقع عليه الخصوم أو وكلائهم وتكون للمحضر قوة السند التنفيذي

ومن ثم تستبعد القضية من الجدول لانقضاء النزاع في الدعوى من دون حكم في موضوعها،^(٢٣) إلا أن المشرع المصري وضع نموذجاً للصلح الإداري، وذلك في القانون رقم ١٥٩ لسنة ١٩٩٧ الصادر في ١٩٩٧/١٢/٢٨ ، الي أجاز التصالح في المنازعات الضريبية^(٢٤) القائمة بين مصلحة الضرائب والمكلفين ، وتلك المنازعات المتعلقة بالمنازعات بين المكلف والإدارة حول تقدير الضريبة أو تقييمها ،^(٢٥) أما على صعيد التشريع العراقي، فلم ينظم المشرع العراقي الصلح كوسيلة بديلة لحل المنازعات الإدارية ، إلا أنه اخذ به على سبيل الاستثناء ، إذ ورد الصلح كطريق من طرق حل المنازعات الضريبية والتي تعد وفقاً للرأي الراجح في الفقه منازعات ذات طبيعة إدارية بحتة^(٢٦)، وذلك بموجب المادة " ٥٩ " من قانون ضريبة الدخل " ١١٣ " لسنة ١٩٨٢ المعدل، والتي نصت على " لوزير المالية أن يعقد تسوية صلحية في الأفعال المنصوص عليها في المادتين السابعة والخمسين والثامنة والخمسين من القانون ... " ، كما نصت المادة "٢٤٢" من قانون الجمارك رقم "٢٣" لسنة "١٩٨٤" على التسوية الصلحية ، إذ أجازت للمدير العام للجمارك إبرام التسوية الصلحية بين الإدارة والمكلف وهذه التسوية ما هي إلا طريق من الطرق البديلة لتسوية المنازعات الإدارية ألا وهو الصلح .

الفرع الثاني

موقف الفقه

يؤكد العميد فيدل " vedel " أنه أياً كانت سلطة القاضي ودوره في ضبط الحياة الإدارية وفي حماية حقوق المواطنين ، فإن ذلك لن يجد ما يبرره بصورة كاملة إلا في الحالة التي يبدو فيها استحالة الوصول إلى اتفاق بين الإدارة والأفراد ، ومن المفيد حتى للمحاكم أن لا تتشغل إلا بالدعاوى التي لا يمكن ان يوجد أي أسلوب آخر لحل المنازعة بشأنها^(٢٧) ، ويجد الصلح الإداري وفقاً للرأي السائد في فرنسا مجالات واسعة لتطبيقه لاسيما في منازعات إلغاء العقود الإدارية، وفي نطاق الوظيفة العامة وفي مجالات أخرى محددة كالضرائب والغابات والصيد، فتملك الإدارة التراضي في تلك المخالفات.^(٢٨)

وبالنظر لما يحققه الصلح الإداري من مزايا قدمت الجمعية العمومية بمجلس الدولة الفرنسي وفي إطار إدراكها بامتلاء المحاكم بالدعاوى ثلاث دراسات للطرق التخييرية لتسوية المنازعات ، اثنين منها متعلقة بتجنب حدوث المنازعات الإدارية ، والثالثة عنوانها تسوية المنازعات بصورة أخرى مثل: التوفيق والصلح والتحكيم في المجال الإداري^(٢٩)، ثم صدر بعد ذلك منشور في ٦ / فبراير / ١٩٩٥ الذي شجع بموجبه الوزير الأول اللجوء إلى الصلح الإداري وحث الإدارات المختلفة على إجراء الصلح في مجال دعاوى المسؤولية بعده عنصر جودة في إطار عمل المرفق العام^(٣٠) ، وقد الغي التعميم الصادر عام ١٩٩٥ وتم استبداله بالتعميم الصادر بتاريخ ٦ أبريل ٢٠١١ المتعلق بتطوير اللجوء إلى الصلح لتسوية المنازعات، وقد قدم هذا التعميم الصلح كعنصر من عناصر القانون العام ، ما يسمح بالتقاضي السريع والإدارة الاقتصادية للمال العام.^(٣١)

وعلى مستوى الفقه المصري^(٣٢)، يذهب جانب منه إلى جواز الصلح في المنازعات الإدارية سواء كانت المنازعة بين الأفراد وبين الدولة أم بين الأشخاص المعنوية العامة وذلك لأن القواعد التي وردت في القانون المدني يمكن تطبيقها في نطاق القانون الإداري متى كانت صالحة لذلك لاسيما إذا تعلق الأمر بحقوق أو التزامات مالية ، بشرط ألا يتعلق الأمر بمسائل متعلقة بالنظام العام ، وألا يكون حق الإدارة ثابتاً لا نزاع فيه ، ويذهب آخرون^(٣٣) إلى القول بأنه من المستقر فقهاً وقضاءً جواز الترك في دعاوى الإلغاء ولما كان الصلح لا يعدو أن يكون تركاً وتسليماً من الناحية الإجرائية من جانب الطرفين بما يتم الاتفاق عليه في محضر الصلح ، لذا استقر الرأي على جواز الصلح في خصومات الإلغاء، ويذهب البعض^(٣٤) إلى أن للصلح نطاق في مجال المنازعات الإدارية بما فيها خصومات الإلغاء ، غير أن معظم التطبيقات القضائية تتجلى في منازعات التسويات والعقود الإدارية ، على الرغم من انعدام النص الصريح بشأن الصلح في المنازعات الإدارية سواء في قانون المناقصات والمزايدات لسنة ١٩٨٣ ولائحته التنفيذية أم قانون الهيئات العامة لسنة ١٩٦١، وهذا لا يعني سوى تطبيق أحكام القانون المدني في الصلح على منازعات العقود الإدارية بعدها

أصلاً عامة واجبة التطبيق على سائر الدعاوى وأمام كافة المحاكم باختلاف أنواعها ودرجاتها^(٣٥) ، أما على صعيد الفقه العراقي ، فقد ذكرنا سابقاً أن المشرع لم ينص على جواز الاخذ بنظام الصلح كوسيلة لحل المنازعات الإدارية إلا في إطار المنازعات الإدارية الضريبية والجمركية ، لذا لم نجد شروحات فقهية تتعلق بالصلح في مجال المنازعات الإدارية إلا فيما يتعلق بالمجالين المذكورين، اذ يجد الصلح مجالاً رحباً بين الإدارة والمكلفين، فيرى جانب من الفقه^(٣٦)، إن الصلح يحقق فائدة لا تخفى على أحد وهي تتمثل بتخفيف العبء على القضاء ، والتقليل من عدد الدعاوى المعروضة عليه ، مما يسهم في توفير جهود مضيئة تبذل على طول إجراءات التحقيق والمحاكمة بكل ما ينطوي عليه الأمر من تبديد في الامكانات المادية والشخصية معاً ، كما يذهب جانب آخر إلى أن الصلح يؤدي إلى تغذية الخزينة بمبالغ نقدية مهمة تدعم قدرة الدولة على تغطية نفقاتها المتصاعدة دوماً بما يسهم في تحسين خدماتها العامة ويعزز من أداء مرافقها المتنوعة^(٣٧) ، جدير بالذكر هنا ثمة اتجاه يرى . وهو ما نؤيده . أنه بالرغم من عدم وجود نصوص تشريعية صريحة في التشريعات العراقية تجيز اللجوء إلى الصلح في المنازعات الإدارية بصورة عامة إلا أنه في الوقت ذاته لا يوجد ما يمنع الإدارة من اللجوء للصلح في هذه المنازعات لأهميتها الكبيرة في سرعة حسم هذه المنازعات^(٣٨) ، فضلاً عما تقدم فإن القواعد العامة الواردة في القانون المدني يمكن تطبيقها في نطاق القانون الإداري متى كانت صالحة لذلك.^(٣٩)

من ذلك نرى بدورنا، إن الصلح جائز في المنازعات الإدارية لاسيما المتعلقة بالحقوق المالية ، أي تلك المنازعات التي يكون محل النزاع فيها حقاً مالياً ، على ان يشترط فيه عدم تعلقه بالنظام العام ، وان يكون قابلاً للتصرف فيه ، طبقاً للقواعد العامة المنصوص عليها في القانون المدني، وبذلك نجد جواز الصلح في المنازعات الإدارية المتعلقة بحقوق مالية كمنازعات العقود الإدارية ، كما يمكن أن تحسم به منازعات التعويض الإداري ، والتي تسمى دعوى الحقوق أو الدعوى الإدارية الشخصية اعتداداً بالتماثل القائم بينها وبين الدعوى العادية أو المدنية ، فكلاهما خصومة قضائية مناطها قيام النزاع بين الخصوم الذي هو جوهر

استمرارها بين الطرفين وطالما كان هذا التماثل قائماً بين الدعويين فلا مانع من إبرام عقد الصلح في نطاق دعوى التعويض، أما في ما يتعلق بمنازعات دعوى الإلغاء، فنرى عدم امكانية حسم مثل هذه المنازعات بالتصالح، كونها متعلقة بحماية المشروعية المتمثلة في بيان مدى اتفاق القرار الإداري مع القانون، ألا إذا ترتب على القرار الإداري حقوقاً مالية، فيمكن عندئذ أن تقض أو تحسم عن طريق الصلح، الحقوق المالية فقط دون التدخل في مشروعية القرار الإداري وإلغائه، وكان الاجدر بالمشرع العراقي معالجة موضوع الصلح الإداري في تشريع مستقل أو حتى بإدراج نص في قانون مجلس الدولة، وذلك بالسماح للإدارة بالتصالح مع الجهات الأخرى متى ما كانت المصلحة التي تسعى إلى تحقيقها قليلة الأهمية، إذا ما قورنت بالجهود والتكاليف التي يمكن أن تتحملها الإدارة للوصول إليها، شريطة ألا يكون محل الصلح من المسائل المتعلقة بالنظام العام، والا يكون من شأنه إلزام الشخص المعنوي العام بدفع مبالغ لا تجب عليه قانوناً، وهذا يتطلب صياغة دقيقة للصلح حتى تتحقق الغاية من تقريره.

الفرع الثالث

موقف القضاء الإداري

لقد أكد القضاء الإداري الفرنسي إمكانية اللجوء إلى الصلح من قبل الأشخاص العامة^(٤٠)، وطبق مجلس الدولة الدفع بعدم القبول بحزم حتى في حالة الإخلال باتفاق الصلح، فقد تم التصالح بين إحدى البلديات ومقاوم أشغال عامة بأن يقوم الأخير ببعض الأشغال التصالحية على أن تتنازل البلدية عن الدعوى القضائية، وبالرغم من أن الأشغال المتفق عليها لم تنجز إلا أن المجلس حكم بأن التصالح يُحتج به في مواجهة البلدية التي لم يعد أمامها بعد التصالح سوى رفع دعوى جديدة تقيمها على انتهاك شروطه^(٤١).

أما القضاء الإداري المصري فيلاحظ أنه في البداية كان يقرر عدم جواز الصلح في المنازعات الإدارية لاسيما دعوى الإلغاء^(٤٢)، إلا أن هذا المسلك القضائي قد استقر فيما بعد على جواز الصلح في المنازعات الإدارية بما فيها دعوى الإلغاء^(٤٣)، إذ قررت المحكمة الإدارية العليا جواز الصلح في العقود الإدارية في

احكامها ، اذ قضت بأن " الاتفاقات الحاصلة على كيفية المحاسبة بشأن تنفيذ العقود الإدارية لا تعتبر متعلقة بالنظام العام إلا إذا كانت محسومة بصيغة نهائية وليست محلاً للنزاع ، فعندئذ لا يجوز التنازل عنها إلا طبقاً لأحكام القانون رقم ٢٩ لسنة ١٩٥٨ في شأن قواعد التصرف بالمجان في العقارات المملوكة للدولة والنزول عن أموالها المنقولة ، أما إذا كان الحق ذاته محلاً للنزاع وخشيت جهة الإدارة أن تخسر النزاع فإنه لا تترتب عليها إذا ما لجأت لفض هذا النزاع عن طريق الصلح (٤٤)" ، وما يؤكد استقرار القضاء المصري على الاخذ بالصلح في مجال المنازعات الإدارية ، استقرار احكامه على عدم جواز المضي في الدعوى المرفوعة أو تجديدها اذا تم الصلح ، فبالصلح تنقضي ولاية المحكمة على الخصومة بالصلح ، ومن ثم لا يصح ان يحكم فيها حتى بالمصرفيات (٤٥) ، وعليه فإن القضاء الإداري في مصر يسير على إمكانية تنازل الإدارة قبل الأفراد بشرط ألا يجوز الصلح في المسائل المتعلقة بالنظام العام، أو ألا تقر الجهة الإدارية للمدعي بوضع مخالف للقوانين واللوائح

اما على صعيد القضاء الاداري العراقي ، فلم نلاحظ عبر استقراء احكامه موقفاً تُجاه الصلح في المجال الإداري ، كون القضاء ملتزم بالنصوص القانونية التي لم تتضمن أي اشارة صريحة بجواز اللجوء الى الصلح في المنازعات الإدارية ، مما تقدم يتضح لنا ان القضاء لم يعد هو الطريق الوحيد لحل وتسوية ما يثور من منازعات ادارية ، اذ تعددت الوسائل البديلة لحل المنازعات الإدارية والتي من اهمها الصلح الإداري ، وهذا يعزى الى فاعلية هذه الوسيلة في الوصول الى حل للمشاكل بطرق اكثر سهولة واكبر سرعة ومرونة ، ومن ثم الوصول الى تحقيق غاية الاطراف بالعمل على حل النزاع وتحقيق العدالة.

المبحث الثاني: الطبيعة القانونية للصلح في النطاق الإداري:

ليبيان الطبيعة القانونية للصلح الإداري سنقسم هذا المطلب إلى ثلاث فروع ، نبحت في الفرع الأول الخلاف حول الطبيعة القانونية للصلح في النطاق الإداري ، أما الفرع الثاني فنخصصه للبحث حول الطبيعة العقدية

للصلح الإداري ، في حين نخصص الفرع الثالث للبحث في مدى امكانية تطبيق النظام الخاص بالعقود الإدارية على عقد الصلح في مجال المنازعات الإدارية .

المطلب الأول: الخلاف حول الطبيعة الاتفاقية للصلح في النطاق الإداري:

يتجه بعض الفقه إلى أن الصلح المبرم من قبل الإدارة والمصدق عليه من قبل المحكمة لا يخرج عن كونه عقداً يتم بين خصمين^(٤٦) ، فتدخل القاضي في عملية تدوين المصالحة لا يخفي طابعها العقدي^(٤٧) ، ويرى البعض الآخر أن الصلح الإداري يمثل نوعاً من العمليات المركبة التي تفرض من ناحية ، الاتفاق بين أطرافها ليضعوا حداً للنزاع ، ومن ناحية أخرى تصرف بالإرادة المنفردة^(٤٨) ، اذ ذهب انصار هذا الرأي الى القول بان " الصلح القضائي يعد من ناحية تصرفاً قانونياً كأبي عقد ، ومن ناحية اخرى يتخذ صورة عمل اجرائي "^(٤٩)، والواقع أن التكييف السابق للصلح تعرض للنقد ، فالحقيقة أن الصلح القضائي يعد نوعاً من المصالحات التي تجد أساسها القانوني في أحكام مجلس الدولة ، أما التفسير السابق يعد معقداً وبلا فائدة اذ يجعل للتنازل طبيعة التصرف بالإرادة المنفردة وطبيعة التصرف الاتفاقي في الوقت ذاته^(٥٠) ، ويرى جانب آخر أن الطبيعة العقدية للصلح في المجال الإداري تتعلق بالمركز القانوني محل النزاع الذي ينبغي أن يكون مركزاً شخصياً محضاً أي تلك المنازعات التي تخضع لاختصاص القضاء الكامل في حالة عدم وجود حل ودي.^(٥١)

فالصلح الإداري كالصلح المدني كلاهما وسيلة ودية لحل المنازعات^(٥٢)، فيما يتصل بالمنازعات المتعلقة بأوضاع شخصية متعلقة بالذمة المالية، اذ لا توجد أي اشكالية تتعلق بالحق الموضوعي بحسبان ان هذا الاخير هو الحق المقرر بمقتضى النص القانوني ، ومن ثم يمكن أن يشمل الصلح في إطار هذا المفهوم ، مجال المسؤولية الإدارية التقصيرية أو شبه التقصيرية ، التعاقدية أو غير التعاقدية^(٥٣)، وعليه فإن الطبيعة العقدية للصلح الإداري وفقاً لما تقدم ليست محلاً للجدل ، اذ تتوافر كل العناصر التي من شأنها أن تكون هذه الطبيعة العقدية ، فالصلح ينشأ عن اتفاق مبرم بين شخصين على الأقل تتجه إرادتهما إلى ترتيب حقوق

والتزامات متبادلة ، وإذا كان الأمر بهذا الوضوح بالنسبة لعقود الصلح الإداري في مجال المنازعات الذاتية ، إلا أن الأمر لا يكون بمثل هذا الوضوح بالنسبة لعقود الصلح حينما يكون محل النزاع موضوعياً ، ويمثل الصلح في المجال المالي الضريبي والكمركي المثال النموذجي للصلح في إطار القانون الذي يهدف إلى التعويض عن مخالفة حق موضوعي^(٥٤)، إذ يكون محل هذا الصلح التعويض لجهة الإدارة المختصة بسبب مخالفة حق موضوعي أي حق فرضه القانون لصالح الإدارة^(٥٥) ، ويحدث هذا الصلح عندما تتنازل جهة الإدارة بصفة قانونية عن ممارسة كل الطعون ضد أحد الأفراد التي تهدف إلى ملاحقته جنائياً وإدارياً^(٥٦)، استناداً إلى اتفاق يبرم معه فيعفى من تطبيق الجزاءات المنصوص عليها في القانون عن طريق دفع مبلغ مالي معين أو التنازل عن بعض الأشياء^(٥٧)، وعليه يمكن القول أن الاتفاق الصلحي هنا مبرم وفقاً للقانون ومحلّه التعويض عن خرق قاعدة الحق الموضوعي، لكن ما ينبغي التأكيد عليه هنا أن هذا الصلح نادراً ما يتيح الفرصة للنقاش بين أطرافه ، كما ان عناصره محددة من جانب الإدارة ؛ فلا يستفيد من يخالف الحق الموضوعي من سلطة التفاوض المتعلقة بالحقوق والالتزامات المحددة في الصلح ، خلافاً للإدارة التي تجمع الخاصيتين " الرضا والتفاوض " ، فلا يستطيع الفرد إلا القبول أو الرفض وفي حالة الرفض يتم تحريك الدعوى ضده حسب القانون .^(٥٨)

لهذا السبب تثار التساؤل عن الطبيعة القانونية للصلح في مثل هذه المنازعات فهل يحتفظ التصرف في مثل هذه الحالة بطبيعته العقدية أم أنه يكتسب طبيعة قانونية أخرى؟

يذهب جانب من الفقه الفرنسي والعربي^(٥٩)، إلى القول بنفي الطبيعة العقدية لمثل هذا التصرف لاسيما في المجال المالي ، ويرون فيه قراراً تقديرياً من جانب واحد ينتج آثاراً قانونية ، ويهدف إلى انقضاء الرابطة الإجرائية والخصومة ، ومن ثم فهو تصرف قانوني إجرائي من جانب واحد، لأن القانون يحدد دائماً أساس التصالح أي المبلغ الواجب دفعه أو الأشياء التي يلزم تسليمها للإدارة ولا دخل للمخالف أو الإدارة في تحديد أو تعديل تلك الشروط المالية ، والمخالف أما أن يقبلها ويبدو ذلك في طلبه الذي يعلن فيه عن موافقته على

الصلح ، أو يرفضها وحينئذ لا يتم التصالح وتسير إجراءات الدعوى في طريقها الطبيعي ، فالإدارة إذن لا تعد طرفاً في هذا التصرف فلا يجوز لها أن ترفض طلب التصالح كقاعدة عامة ما ينبنى عليه عدم جواز عد هذا النظام تصرفاً قانونياً من جانبين^(٦٠) ، وهناك من يرى^(٦١) وجوب الأخذ بنظر الاعتبار وجود فئة خاصة من عقود الصلح ذات طبيعة أحادية الجانب تستهدف الإدارة ابرامها للتقليل من حجم المحاكمات الجنائية أو الإدارية ، والصلح وفقاً لهذا التكييف يعد عملاً شرطياً أكثر منه عقداً حقيقياً ، إذ أن الإدارة المختصة تقبل تحت شرط معين وهو مقابل الصلح التنازل عن التبعات الإدارية والجنائية إزاء المكلف^(٦٢) ، ويرد على هذا الرأي ، أنه مهما يكن من أمر فإن التفاوت بين الجانبين أو عدم المساواة هو أمر راجع الى ان الصلح الإداري مبني على أساس من القانون العام ، لذلك فإن التفاوت هنا هو تفاوت من حيث الدرجة وهو ما يمليه مقتضى الحال ، وهذا الأمر لا ينتقص من إرادة المخالف أو صفته القانونية ، ومن ثم لا يمكن عد الصلح هنا عمل قانوني من جانب واحد^(٦٣) ، ويرى جانب آخر ضمن هذا الاتجاه أن الصلح في مجال الحقوق الموضوعية لاسيما المالية ذو طبيعة عقدية مماثل للصلح المبرم في إطار الحقوق الشخصية أو الذاتية ، ففي نطاق القانون المدني يوجد عقود معروفة وهي عقود الإذعان، وهذه العقود تقرر أوضاعاً تفتقر فيها سلطة التفاوض لأحد الأطراف إلى أبسط تعبير ممكن لها ، رغم ذلك يسمح القانون الوضعي بانتمائها إلى فئة العقود^(٦٤) ، وبذلك تتعدم المساواة القانونية في تقدير محتوى العقد بين الطرفين^(٦٥) ، كما أن الرأي الراجح في الفقه^(٦٦) يسلم بالطبيعة العقدية لعقود الإذعان بالرغم من غياب عنصر التفاوض ، لأن الشروط العقدية المحررة مسبقاً لا تكتسب الصفة الإلزامية في مواجهه المذعن إلا برضاه ، أي بتوافق الإرادتين دون أن يكون لانعدام المساواة أثر في طبيعة العقد ، لأن المساواة القانونية هي المطلوبة في العقد دون المساواة الاقتصادية ، كما لا يشترط قانوناً لاتفاق إرادتين أن يكون مضمون العقد محل نقاش سابق أو أن يكون من عمل الطرفين^(٦٧) ، ومن ثم وفقاً لهذا الاتجاه يمكن استبعاد الرأي الفقهي الذي يقصر تكييف وصف العقد على تلك العقود التي تكون بنودها محلاً للتفاوض ، ويرى آخرون^(٦٨) ، أن التكييف العقدي للصلح في مجال

الحقوق الموضوعية وإن كان بالإمكان تكييفه على أساس انه من قبيل عقود الإذعان ، إلا أن هذا العقد " الصلح " يتضمن شروطاً تنظيمية متعلقة بسلطات الضبط الإداري والتنظيم الانفرادي للسلطة العامة المتعاقدة ، إلا أن هذه الشروط ليس من شأنها إبعاد التصرف من دائرة التصرفات العقدية ، بل أن رضا المخالف بالعقد المتضمن هذه الشروط التنظيمية لا يعني تنازله عن دعوى الإلغاء في مواجهة هذه الشروط لأنها ستكون خارج نطاق التصرف الصلحي ، فكل ما هو تنظيمي يستبعد من المجالات التعاقدية ، ولأن المخالف لا يستطيع التنازل عن ممارسة دعوى الإلغاء ، فإن الصلح في مجال الحقوق الموضوعية ذو طبيعة عقدية. ونرى أن تحديد الطبيعة القانونية للصلح المبرم من قبل الإدارة ، لاسيما تلك العقود المبرمة في مجال الحقوق الموضوعية ، يكون بالنظر للعناصر الأساسية لهذا النظام وبغض النظر عن طبيعة الحق محل الصلح ، إذ أن لإرادة الخصوم دوراً كبيراً في إبرامه ، فهي المحرك الأساسي لتسوية المنازعة ، فالصلح المبرم من قبل الإدارة قائم أساساً على اتفاق الإدارة مع الطرف الآخر ، ودون أن يكون لأي من الطرفين إرغام الآخر على إبرام الصلح خلافاً لإرادته إذا ما رفض الصلح واختار القضاء ، كما أن دور الإدارة كما هو واضح لا يقتصر فقط على رسم نقطة البداية ، بل يتعدى ذلك الى ترتيب آثار مهمة تتمثل بحسم النزاع ليصبح ذو قوة تنفيذية طالما أفرغ في صورة عقد رسمي .

المطلب الثاني: الخلاف حول الطبيعة الإدارية للصلح في النطاق الإداري:

أن مسألة تحديد الطبيعة القانونية للصلح المبرم من قبل الإدارة أثارت خلافاً كبيراً عند فقهاء القانون الإداري، وقد انتقل هذا الخلاف الى القضاء الإداري ، لما لها من أهمية في تحديد النظام القضائي المختص بالبت في المنازعات المتعلقة بالصلح إبراماً وتنفيذاً وبتصديقه قضائياً ، كما أنها تؤدي إلى معرفة النظام القانوني الواجب التطبيق على الصلح الإداري ، وهل هو نظام العقود الإدارية أم أنه النظام القانوني لعقود القانون المدني، وفي هذا الصدد لابد لنا من الأخذ بنظر الاعتبار فكرتين أساسيتين لهما الدور الكبير في تحديد الطبيعة الإدارية أو المدنية للعقد ، وتتمثل الفكرة الأولى في أن الصلح هو عقد من عقود القانون الخاص

ومنظم ضمن أحكام القانون المدني ما يعني بدهاة اختصاص القضاء المدني بالنظر في منازعاته ،^(٦٩) أما الفكرة الثانية تتمثل بمبدأ الفصل^(٧٠) بين السلطات لاسيما السلطتين التنفيذية والقضائية فهناك من يرى أن جميع صور الصلح بما فيه الصلح الإداري يمثل خروجاً على مبدأ الفصل بين سلطتي الاتهام والحكم ، فقد منح المشرع الفرنسي الإدارة سلطة تقديرية تختيارية في الالتجاء إلى التصالح المالي والاقتصادي ، كما منح كل من المشرع المصري والعراقي الإدارة سلطة تقديرية واسعة في نظام التصالح المالي.

إن ما تقدم يتطلب منا دراسة الاتجاهات المختلفة في تحديد الطبيعة القانونية لعقود الصلح المبرمة من قبل الإدارة ، إذ ظهر اتجاهين في هذا المجال؛ كيف الاتجاه الأول منهما عقد الصلح في النطاق الإداري بأنه عقد مدني بحت يتماثل مع عقد الصلح الذي نص عليه القانون المدني^(٧١)، كونه يقوم على تنازلات متبادلة من قبل أطرافه ، الإدارة من جانب والمخالف من جانب آخر^(٧٢)، ومن ثم فإن الطبيعة المدنية لعقد الصلح متأتية من صلته بقواعد القانون المدني وقربه منها، ويضيف هذا الرأي عند تكييفه لطبيعة عقد الصلح المبرم من قبل الإدارة بأنه عقد مدني كونه يدخل في إطار أعمال الإدارة المادية ، فضلاً عن كونه منصب على الحقوق المالية للإدارة ، ومما لا شك فيه أن تصرفات الإدارة في هذا المجال تدخل في نطاق التصرفات المدنية^(٧٣)، بل ويذهب جانب من الفقه ضمن هذا الاتجاه إلى القول بأن عقد الصلح المبرم من قبل الإدارة ليس عقداً إدارياً بحكم القانون ، وأن تطبيق المعايير القضائية للعقود الإدارية يظهر ذلك بوضوح ، فإذا كان المعيار العضوي في تمييز العقد الإداري متوفر ، فالصلح المبرم من قبل الإدارة لا يمكن أن يتضمن شروطاً غير مألوفة في نطاق القانون الخاص لأنها تتعارض مع روح الصلح وأساسه القائم على عنصر جوهرية وهو التنازلات المتبادلة بين أطرافها وضرورة توازنها ، وهذا لا يتفق مع وجود شروط غير مألوفة من شأنها أن تجيز تكييف الصلح المبرم من قبل الإدارة بأنه عقداً إدارياً^(٧٤)، أما من ناحية الاشتراك في تنفيذ إحدى مهام المرفق العام ، فإن أنصار هذا الاتجاه يرون أنها مشاركة غير مباشرة أو أنها تبدو كذلك، إذ يقوم الصلح على حل منازعة تتضمن حقوقاً شخصية ، وعلى هذا النحو يرى أنصار هذا الرأي إضفاء الطبيعة

الخاصة على العقود التي تتصلح فيها جهة الإدارة^(٧٥) ، لا سيما في المجال الضريبي ، ويرى جانب آخر أن التصالح هو تصرف قانوني^(٧٦) وهذا المصطلح مألوف في نطاق القانون الخاص ويعد التصالح تعبير عن إرادة الإدارة في انقضاء الدعوى^(٧٧) ، رغم ما تقدم فقد تعرض هذا الرأي للانتقاد كونه لا يعد كافياً للقول بمدنية العقد المبرم من قبل الإدارة دوماً بسبب تنظيم القانون المدني له ، وذلك لأن القانون الإداري قانون مستقل وإن كان القاضي الإداري يرجع أحياناً الى القانون المدني عند اعداد اجتهاده الخاص مع تكييفه للحالات وفقاً لخصوصيات القانون الإداري^(٧٨) ، واستقبال القاضي الإداري للصلح من احكام القانون المدني ، ليس من شأنه ان ينال من الاستقلالية التي تتمتع بها قواعد القانون الإداري ، التي تبقى محتفظة بنطاق مستقل من الناحيتين العملية والنظرية وهذه الاستقلالية غير قابلة للجدل بل وقادرة على استيعاب وتكييف المسائل التي تطبق عليها هذه الاحكام^(٧٩) ويرى البعض أن هذا العقد المدني ، مغاير بعض الشيء للعقد المعروف في القانون المدني كونه لا يتمتع بأثر كاشف بل هو ذو أثر إنشائي، نتج عن مقابل الصلح الذي وجب على المخالف التنازل عنه وهذا المقابل نظير تخلص المخالف من الإجراءات القضائية ، ومن ثم يعد هذا التنازل اختيارياً عن مقابل التصالح^(٨٠) ، وعلى صعيد الاجتهاد القضائي فقد أخذ مجلس الدولة الفرنسي ومحكمة التنازع الفرنسية في بادئ الأمر بهذا المفهوم الذي يقرر الطبيعة المدنية لعقد الصلح الذي تبرمه الإدارة بكل الأحوال^(٨١) ، اذ قرر المجلس في إطار دعوى تتعلق بمشروعية صلح مبرم بين بلدية وفرد وبشكل صريح " أن الصلح يشكل عقد قانون مدني لذلك فإن القضاء العادي هو المختص بالبت في مشروعيته" ،^(٨٢) إلا أن عقود الصلح التي تقوم على الأشغال العامة كانت وحدها تخضع لاختصاص القضاء الإداري وتكيف بالتبعية على أنها عقود إدارية ، وقد امتد هذا الحل على الصلح المتعلق بالأضرار التي يمكن أن تنشأ من هذه الأعمال، مؤكداً ذات الطبيعة التجاذبية لهذا المفهوم في القضاء الإداري^(٨٣) ، فمن المعروف في القانون الإداري الفرنسي ان للأشغال العامة طبيعة جاذبة ، بمعنى ان كل تصرف قانوني يتعلق بهذه الاشغال يتم جذبه الى دائرة احكام القانون العام استناداً لقانون قديم صادر منذ الثورة الفرنسية

وهو قانون ٢٨ بلفيوز للسنة الثامنة للثورة^(٨٤)، وقد أكد مجلس الدولة الفرنسي ذلك بوضوح في أحد أحكامه ، اذ ذهب إلى أنه " عندما يتصل الصلح بتنفيذ مشروع عام فإن القاضي الإداري هو الذي يختص في البت في مشروعية الصلح " ،مما تقدم يتضح لنا مجلس الدولة قد اعتمد على طبيعة المنازعة مصدر الصلح لتحديد اختصاص القضاء الإداري، وقد أكد مجلس الدولة بعد ذلك وبوجه حاسم في دراسة له بعنوان " تسوية اخرى للمنازعات " أن الصلح هو عقد مدني دون استثناء ومنازعاته تخضع إذن للقضاء العادي.^(٨٥)

لقد استقر هذا الاتجاه التقليدي مدة طويلة من الزمن إلى أن حدثت تغييرات جذرية بهذا الخصوص ، اذ اتسع نطاق عقود الصلح ذات الطابع الإداري فلم تعد استثناءً بل أصبحت أصلاً ، فظهر اتجاه جديد يرى أن عقد الصلح المبرم من قبل الإدارة يعد من قبيل العقود الإدارية وفقاً لطبيعة النزاع الذي يهدف إلى حسمه ، ومن ثم يكون العقد إدارياً إذا كان النزاع المراد حسمه له طبيعة إدارية^(٨٦) ، ورأى جانب ضمن هذا الاتجاه أن عقد الصلح يكون إدارياً إذا كان متعلقاً بحسم منازعات تتعلق بعقد إداري فعندئذٍ يجب أن يعد في حد ذاته عقداً إدارياً ، ويرى جانب آخر أن المبدأ في بيان طبيعة عقد الصلح المبرم من قبل الإدارة يتمثل في أن هذا العقد يجب أن يكون إدارياً بسبب محله ، وهوما ينتج عنه أن أطراف العقد لا يكونون أحراراً في اختيار القضاء المختص بشكل غير مباشر من خلال إدراج أو عدم إدراج شروط غير مألوفة في العقد ، وبالمقابل إذا كان محل الصلح نزاعاً يتعلق بالقانون الخاص فإن الصلح يعتبر من عقود القانون الخاص^(٨٧) ، كما ان التعميم الصادر من قبل الوزير الاول في فرنسا في ٦ / شباط / ١٩٩٥ بشأن "تطوير اللجوء الى الصلح من اجل التسوية الودية للمنازعات " بين ان " لعقد الصلح طبيعة عقود القانون العام شريطة أن يكون النزاع الذي أدى إلى اتخاذه داخلاً ضمن اختصاص القضاء الإداري " ، وهكذا فإن تعميم عام ١٩٩٥ ميز بين الصلح المبرم من قبل الأشخاص العامة على أساس الطبيعة القانونية للنزاع^(٨٨) ، ولم تقتصر هذه الأفكار الجديدة على الفقه بل ظهرت في أروقة القضاء الفرنسي ، اذ أكد مجلس الدولة ذلك بوضوح بالرأي الصادر عنه في ٦ / ديسمبر / ٢٠٠٢ مبيناً اختصاص القضاء الإداري بالفصل بالمنازعات المتعلقة بالصلح الذي

يهدف إلى تسوية أو تجنب المنازعات التي يختص القضاء الإداري بالحكم فيها مؤكدا طبيعتها الإدارية^(٨٩) ، أما محكمة التنازع الفرنسية فقد أكدت هذا الاتجاه أيضاً ، وذلك في حكمها الصادر في ١٨ / ٦ / ٢٠٠٧ ، إذ قررت " أن الصلح المبرم من قبل أي شخص معنوي من أشخاص القانون العام هو من حيث المبدأ عقد ذا طبيعة مدنية ، إلا إذا كان يمارس امتيازات السلطة العامة أو كان يؤدي إلى المشاركة في تنفيذ إحدى مهام المرفق العام وأن التصديق على الصلح والمنازعات الناشئة عن تنفيذه مع مراعاة هذا التحفظ يخضع لاختصاص القضاء العادي فيما عدى الحالة التي يتضح فيها أن المنازعات التي تنشأ في هذا الصدد تخضع لاختصاص القضاء الإداري " ^(٩٠) ، مما تقدم يتضح أن الاجتهاد الفرنسي حدد موقفه من الطبيعة القانونية للصلح المبرم من قبل الإدارة مؤكداً الطبيعة الإدارية للصلح الذي يهدف إلى تسوية المنازعات التي تخضع لاختصاص القضاء الإداري .

المطلب الثالث: مدى امكانية تطبيق النظام القانوني للعقود الإدارية على عقد الصلح في النطاق الإداري: إن الاجتهاد الفرنسي وإن كان قد استقر على عد الصلح المبرم من قبل الإدارة عقداً إدارياً إذا كان يهدف إلى تسوية نزاع يدخل في اختصاص القضاء الإداري ، فلنا أن نسأل هنا عن مدى إمكانية تطبيق النظام القانوني للعقود الإدارية على عقود الصلح التي تعد إدارية؟ ولعل من بين ذلك ما يتصل بتعديل العقد بالإرادة المنفردة للإدارة والتي من شأن تطبيقها على عقود الصلح الإدارية التأثير على الأمن القانوني^(٩١) ، لذا ذهب بعض الفقه الفرنسي الى ان الاعتراف بسلطة التعديل للإدارة يؤدي إلى نفي فكرة الصلح ذاتها وأن استعمال هذه السلطة يعد مخالفاً لطبيعة الصلح ذاتها ، كما أنه لا يتضمن أي مصلحة للشخص العام كونه يبعد الأخير عن هدفه الأساس الذي توخاه من إبرام الصلح^(٩٢) ، كما يرى جانب آخر أنه ليس للإدارة اللجوء إلى سلطة التعديل الانفرادي ضمن إطار عقود الصلح الإدارية كون الصلح يتمتع بالقوة النسبية للشيء المقضي فيه ، ومن ثم فإن الصلح يقيد الأطراف فهم لا يمكن أن يتجاهلوه أو يعدلوه أو يفسخوه بإرادتهم المنفردة^(٩٣) ، في حين برر جانب ثالث من الفقه عدم إمكانية الإدارة تعديل عقد الصلح بإرادتها المنفردة

بمحل عقد الصلح ذاته، الذي يستهدف حل نزاعاً معيناً وهو ما يجعل عقد الصلح إدارياً من دون سلطة تعديل انفرادي استثناءً من القواعد العامة ، وقد أقر القضاء الإداري في فرنسا عدم إمكانية تعديل عقد الصلح الإداري انفرادياً ووجوب تنفيذه كما يتم الاتفاق عليه منعاً لتجدد النزاع وتحقيقاً للغاية من إبرام عقد الصلح ، كما أكد أيضاً أن عقد الصلح الإداري ذو طبيعة غير قابلة للفسخ^(٩٤)، وعلى صعيد القضاء المصري فلم توضح المحكمة الإدارية العليا طبيعة عقد الصلح المبرم من قبل الإدارة وإنما اقتصرت على بيان كون الصلح يعد تنازلاً من كل من الطرفين وعلى وجه التقابل عن جزء من ادعاءاته ، فذهبت إلى أن " المادة ٥٥٦ من القانون المدني المصري أوردت أصلاً عاماً يقوم على طبيعة التصالح باعتباره تنازلاً من كل الطرفين على وجه التقابل عن جزء من ادعاءاته ، إذ نصت على أنه لا يجوز الطعن في الصلح بسبب الغلط في القانون ومرد ذلك ... أن المتصالحين كانا وهما في معرض المناقشة في حقوقهما يستطيعان التثبت من فكرة القانون فيما ثار بينهما من نزاع على هذه الحقوق ، بل المفروض أنهما تثبتتا من هذا الأمر، فلا يسمع من أحد منهما بعد ذلك، أنه غلط في فهم القانون ويتعين الأخذ بهذا الأصل الطبيعي في المجال الإداري في شأن الحقوق المالية لذوي الشأن مادامت لا تمس مراكزهم اللائحية " ،^(٩٥) وبدورنا نؤيد ما ذهب إليه الاجتهاد الفرنسي من أن الصلح المبرم من قبل الإدارة يعد عقداً إدارياً، لعدة أسباب فمن ناحية أطرافه نجد أن أطراف الصلح الإداري لا تشغل مراكز قانونية متماثلة أو متكافئة، فالإدارة هي أحد هذه الأطراف ومن ثم فهي طرف في عقد الصلح ، ومن ناحية أخرى فإن محل النزاع المطلوب إنفاؤه النزاع ذو طبيعة إدارية ، فضلاً عما تقدم لا بد من الإشارة فيما يتعلق بعدم إمكانية الإدارة في أعمال سلطتها بتعديل عقد الصلح بإرادتها المنفردة إن انعدام هذه الإمكانية ليس بالأمر الغريب ، إذ توجد طائفة من العقود الإدارية ليس للإدارة أن تعمل فيها سلطتها في التعديل الانفرادي أثناء تنفيذها ، كما في عقد تقديم المعونة لعدم جواز المساس بالمعادلة المالية للعقد وكل خرق لذلك يعني انعدام مشروعية القرارات الصادرة بالتعديل^(٩٦)، وكذلك الحال بالنسبة للعقود التي تبرمها الأشخاص العامة فيما بينها، فلا مجال لأعمال حق التعديل الانفرادي لأن

المساواة القانونية بين الأطراف هي من المبادئ الجوهرية للنظام الذي يحكم هذه العقود ، كما ان هناك العقود الإدارية ذات الطابع المالي التي تقضي تحقيق الاستقرار الاقتصادي لمحلها مثل عقود القرض^(٩٧)، وفي كل الاحوال فان سلطة التعديل لا تعد مطلوبة ابتداء عند ابرام العقد وانما تملئها ظروف العقد ، ومن ثم فاذا كانت طبيعة العقد تأبى التعديل لا يتم اللجوء الى هذه السلطة ودون ان يؤثر ذلك في طبيعة العقد.

الخاتمة:

بعد أن انتهينا من دراسة جوانب البحث المختلفة ، أصبح لزاماً علينا أن نبين أهم النتائج التي وصل اليها البحث ، فضلاً عن أهم المقترحات التي من شأنها دعم التنظيم القانوني للصلح بحسبانه وسيلة لحل المنازعات الادارية و على وفق ما يأتي:

أولاً: النتائج:

ابرزت الدراسة جملة من النتائج نوجزها فيما يأتي:

١. يعد الصلح وسيلة من الوسائل الودية لحل المنازعات الإدارية بغير اللجوء الى القضاء، ويعرف بانه اسلوب للفصل في المنازعات الإدارية يبني على اتفاق الخصوم ، احدهم في الاقل شخص معنوي عام بإرادتهم ، لإنهاء ما يثور بينهم من نزاع وذلك عن طريق التنازل المتبادل عن جزء من حقوقهم أوكلها .
٢. عرف النظام القانوني في فرنسا ومصر الصلح في المجال الإداري ، كما تعددت مجالات الاخذ به ، ففي فرنسا عرف الصلح لأول مرة في القرن التاسع عشر ومن خلال احكام مجلس الدولة الفرنسي ، اما في مصر فقد عرف الصلح عبر التشريع ضمناً ، اذ طبقه القضاء الإداري في مصر استنادا لأحكام المادة "٣ من قانون مجلس الدولة ، التي تجيز للقضاء الإداري ان يطبق احكام واجراءات قانون المرافعات عندما لا يكون هناك نص صريح في قانونه ، لذا طبقه القضاء الإداري في مصر استنادا الى نص المادة "١٠٣ من قانون المرافعات .

٣. خلافاً لموقف القانونين الفرنسي والمصري ، لم ينظم المشرع العراقي الصلح واحكامه في قانون مجلس الدولة وتعديلاته المتعاقبة ، كما لا يوجد أي تشريع يجيز صراحة اللجوء الى الصلح لحل منازعات الادارة ، لذا لم نجد تطبيقاً للصلح الإداري في مجال منازعا العقود الإدارية أو دعوى الالغاء ، كما لم يطبقه القضاء الإداري فيما عرض عليه من منازعات .

٤. ان الطبيعة العقدية للصلح المبرم في المجال الإداري ليست محل جدل عموماً اذ توجد كل العناصر التي من شأنها ان تكون هذه الطبيعة العقدية ، الا ان الامر لا يكون بمثل هذا الوضوح بالنسبة للتصرفات الصلحية التي يكون موضوعها حقاً موضوعياً ، كما في الصلح المبرم بين الادارة الضريبية والمكلفين المخالفين ، اذ حدث خلاف في الفقه والقضاء في هذا الاطار ، فمنهم من نفى الطبيعة العقدية عنها ومنهم من اثبت لها هذه الطبيعة مستعينا بمفهوم عقود الادعان المعروفة في نطاق القانون الخاص ، وهذا ما يبدوا واضحاً لما تلعبه ارادة الطرفين في ابرامه .

٥. استقر الفقه والقضاء الاداريين عموماً على امكانية ان يكون عقد الصلح في المجال الإداري اداليا بالنظر الى طبيعة النزاع محل العقد ، فاذا كان النزاع يدخل ضمن اختصاص القضاء الإداري فيكون عقد الصلح اداليا وينعقد الاختصاص بالبت بمنازعاته للقضاء الإداري .
ثانياً: المقترحات:

١ . نقترح على المشرع العراقي ان يقوم بإصدار قانون مستقل بعقد الصلح في المنازعات الإدارية ، وذلك بالسماح للإدارة بالتصالح مع الافراد والهيئات ، متى كانت المصلحة التي تسعى الى تحقيقها قليلة الاهمية اذا ما قورنت بالجهود والتكاليف التي يمكن ان تتحملها الادارة للوصول اليها ، وهذا يتطلب صياغة دقيقة للصلح حتى تتحقق الغاية من تقريره .

٢. نقترح ان يتبنى المشرع نصاً واضحاً يلزم فيه كل من الادارة وخصمها باللجوء الى التفاوض على الصلح قبل اللجوء الى القضاء ، بحيث ترد الدعوى ان رفعت قبل قيام الطرفين بهذه المحاولة الصلحية .

الهوامش:

- ١ اذ قرر مجلس الدولة الفرنسي في حكمه في قضية Chemuns de fer du nord de lest ما يلي :
- " لا يوجد حكم قانوني أو تنظيمي يحظر على الدولة امكانية اللجوء الى الصلح " اشار اليه ، مهند مختار نوح ، الصلح كوسيلة لحل المنازعات الإدارية ، المجلة الدولية للقانون ، جامعة قطر ، ٢٠١٦ ، ص ٤ .
- ٢ المادة " ٢٠٤٤ " من القانون المدني الفرنسي لسنة ١٨٠٤ .
- ٣ لقد تناول القانون الفرنسي الصلح في مواده " ٢٠٤٤ . ٢٠٥٨ " إلا أن الفقه الفرنسي اجمع على أن هذه النصوص لم يحسم صياغتها وإنما أقل حصاً من سائر نصوص القانون الفرنسي لذا وتحت ضغط الحاجات العملية اضطر المشرع الفرنسي إلى إضافة باب في التقنين لتنظيم عقد الصلح ، د . خالد عبد حسين الحديثي ، عقد الصلح " دراسة مقارنة " ، ط ١ ، منشورات الحلبي الحقوقية ، بيروت ، ٢٠١٥ ، ص ٥٧ .
- ٤د . منصور محمد احمد ، الصلح في القانون الاداري ، دار الجامعة الجديدة ، الاسكندرية ، ٢٠١٨ ، ص ٦٨ .
- ٥ د . ماجد راغب الحلو ، العقود الإدارية والتحكيم ، دار الجامعة الجديدة ، الاسكندرية ، بلا سنة ، ص ٢٨٦ .
- ٦ اذ نصت المادة " ٣ " من قانون مجلس الدولة المصري رقم " ٤٧ " لسنة " ١٩٧٢ " النافذ على انه " تطبق الاجراءات المنصوص عليها في هذا القانون ، وتطبق احكام قانون المرافعات فيما لم يرد فيه نص وذلك الى ان يصدر قانون بالاجراءات الخاصة بالقسم القضائي " .
- ٧د . زكي محمد النجار ، الوسائل غير القضائية لحسم المنازعات الإدارية ، بلا طبعة ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٩٣ ، ص ٢١٧ .
- ٨ د . مانع سلمى ، الطرائق البديلة المستحدثة لحل المنازعات الإدارية ، مجلة العلوم الانسانية ، جامعة محمد خضير بسكرة ، الجزائر ، ع ٢٦ ، ٢٠١٢ ، ص ٢٥ .
- ٩ فضل العيش ، الصلح في المنازعات الإدارية ، رسالة ماجستير ، كلية الحقوق والعلوم الإدارية ، جامعة الجزائر ، ٢٠٠٣ ، ص ٥٣ .
- ١٠ د . فتحي رياض ابو زيد ، الصلح كسبب لانقضاء الدعوى الإدارية ، بلا طبعة ، منشأة المعارف الاسكندرية ، ٢٠١٤ ، ص ٤٨ .

- ١١ شذى غائب عز الدين ، الاحكام القانونية لحسم منازعات العقود الإدارية في العراق ، دراسة مقارنة ، رسالة ماجستير ، كلية الحقوق ، جامعة النهدين ، ٢٠١٤ ، ص ٣٨ .
- ١٢ اثار اليه د. مهند مختار نوح ، مصدر سابق ، ص ٤ .
- ١٣ د. مهند مختار نوح ، مصدر سابق ، ص ٤ .
- ١٤ المحكمة الإدارية العليا في ١٢ / ١ / ١٩٩١ طعن رقم ٧٧٣ ، س ٣٤ ، منشور على الموقع الالكتروني : <http://www.laweg.net>
- ١٥ قرار رقم ٤٥٦ ، مدنية ثانية ، ١٩٧٤ ، ص ١١١ ، أشار إليه د . إبراهيم حسين عبادة ، الإسلوب غير القضائي في حل المنازعات الإدارية ، دراسة مقارنة ، بلا طبعة ، دار الجامعة الجديدة ، الاسكندرية ، ٢٠١٨ ، ص ٥٧٠ .
- ١٦ د. فتحي رياض أبو زيد ، التمييز بين الصلح والتسوية الودية في انقضاء الدعوى الإدارية ، بلا طبعة ، دار الجامعة الجديدة ، الاسكندرية ، ٢٠١٦ ، ص ١٣٨ .
- ١٧ المادة " ٥٥١ " من القانون المدني المصري رقم " ١٣١ " لسنة " ١٩٤٨ " والمادة " ٧٠٤ " من القانون المدني العراقي رقم " ٤٠ " لسنة " ١٩٥١ " .
- ١٨ د. زكي محمد النجار ، مصدر سابق ، ص ٢٢٣ . ٢٢٤ .
- ١٩ المادة " ٢٠٤٥ " من القانون المدني الفرنسي لسنة ١٨٠٤ .
- ٢٠ د. أبوبكر أحمد عثمان ، الأساليب غير القضائية لتسوية منازعات عقد الأشغال العامة ، دراسة مقارنة ، مجلة جامعة تكريت للعلوم القانونية ، السنة ٧ ، ع ٢٧ ، ٢٠١٥ ، ص ٢٣٤ .
- ٢١ المادة " ٢٠٤٥ " من القانون المدني الفرنسي لسنة ١٨٠٤ .
- ٢٢ شذى غائب عز الدين ، مصدر سابق ، ص ٤٩ .
- ٢٣ اذ نصت المادة " ٢٨ " من القانون على انه " لمفوض الدولة ان يعرض على الطرفين تسوية النزاع على اساس المبادئ القانونية التي ثبت عليها قضاء المحكمة الادارية العليا خلال اجل يحدده فان تمت التسوية اثبتت في محضر يوقع من الخصوم او وكلائهم وتكون للمحضر في هذه الحالة قوة السند التنفيذي و تعطى صورته وفقا للقواعد المقررة لاعطاء صور الاحكام ، وتستبعد القضية من الجدول لانتهاء النزاع فيها ؛ و ان لم تتم التسوية جاز للمحكمة عند الفصل في الدعوى ان تحكم على المعارض على التسوية بغرامة لا تجاوز عشرين جنيهاً و يجوز منحها للطرف الآخر "

- ٢٤ عدل هذا القانون مرتين بموجب القانون رقم ٦١ لسنة ٢٠٠٠ وبموجب القانون رقم ٧٦ لسنة ٢٠٠٣ .
- ٢٥.د. فتحي رياض أبو زيد ، الصلح كسبب لانقضاء الدعوى الإدارية ، مصدر سابق ، ص ١٠١ .
- ٢٦.د. عبد الغني بسيوني عبد الله ، القضاء الإداري ، ط ٢ ، مطابع السعدني ، الإسكندرية ، ٢٠٠٨ ، ص ٢١٢ .
- ٢٧.د. منصور محمد أحمد ، مصدر سابق ، ص ٩ .
- ٢٨.د. إبراهيم حسين عبادة ، مصدر سابق ، ص ٦١٧ .
- ٢٩.د. منصور محمد احمد ، مصدر سابق ، ص ٩ .
- ٣٠.د. أبوبكر أحمد عثمان النعيمي ، مصدر سابق ، ص ٢٣٤ .
- Alioune badara fall , o.p , cit , p.c.83٣١
- ٣٢.د. شريف يوسف خاطر ، التحكيم في منازعات العقود الإدارية وضوابطه ، دراسة مقارنة ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ٢٠٠٩ ، ص ١٠٣ ود. ماجد راغب الحلو، العقود الإدارية والتحكيم ، مصدر سابق ، ص ١٩٨ .
- ٣٣.د. ماجد راغب الحلو، العقود الإدارية ، بلا طبعة ، دار الجامعة الجديدة ، الاسكندرية ، ٢٠٠٧ ، ص ٢٨٨ .
- ٣٤.د. حسن محمد هند ، مصدر سابق ، ص ١٢ ، ود. ماجد راغب الحلو، العقود الإدارية ، ص ٢٨٨ .
- ٣٥.د. مدحت محمد عبد العزيز ، الصلح والتصالح في قانون الإجراءات الجنائية ، ط ١ ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ٢٠٠٤ ، ص ١١ .
- ٣٦.د. ضاري خليل محمود ، بدائل الدعوى الجزائية في القانون العراقي والمقارن ، المجلة العربية للفقهاء والقضاء ، ٦٤ ، ١٩٧٨ ، ص ١٤ .
- ٣٧.د. حيدر وهاب العنزي ، مصدر سابق ، ص ١٤٩ .
- ٣٨.د. رنا محمد راضي ، التحكيم في العقود الإدارية ، دراسة مقارنة ، رسالة ماجستير ، جامعة النهدين ، ٢٠٠٧ ، ص ٣٢ .
- ٣٩.د. طلعت يوسف خاطر ، مصدر سابق ، ص ١٠٣ .
- ٤٠.د. أبوبكر أحمد عثمان ، مصدر سابق ، ص ٢٣٤ .
- ٤١.د. ماجد راغب الحلو، العقود الإدارية والتحكيم ، مصدر سابق ، ص ٢٨٧ .
- ٤٢.د. واساس ذلك انها متعلقة بحماية مبدأ المشروعية المتمثل في بيان مدى اتفاق القرار الإداري مع القانون شأنها في ذلك شأن الدعوى الدستورية ، فهي لا تتعلق بشأن خاص بل تتعلق بمسألة عامة ، أي بمدى اتفاق القانون مع الدستور فدعوى

الالغاء من اهم دعاوى القضاء الإداري وتحظى بأهمية خاصة باعتبارها دعوى القانون العام فهي اخطر واهم وسائل حماية مبدأ المشروعية لأنها تؤدي الى ترتيب البطلان كجزاء لمخالفة القرار الإداري للقانون ، ينظر د. وسام صبار العاني ، القضاء الإداري ، ط ١ ، السنهوري ، بغداد ، ٢٠١٥ ، ص ١٩٧ .

٤٣د. زكي محمد النجار ، مصدر سابق ، ص ٢٢٥ .

٤٤إدارية عليا في ١٠ /فبراير / ١٩٦٨ ، طعن ٨٠٢ لسنة ١١ قضائية ، مجموعة المكتب الفني ، السنة ٣ ، ص٤٦٤ ، أشار إليه د . فتحي رياض أبو زيد ، التمييز بين الصلح والتسوية ، مصدر سابق ، ص٥٤ .٥٥ .

٤٥ ينظر طعن المحكمة الإدارية العليا رقم ٩٢٠ لسنة ١٤ ق في ١٤ / ١ / ١٩٧٦ مجموعة السنة ٢١ ، ص٢٢ ، رقم ١٣ .

٤٦ د. الأنصاري حسن النيداني ، الصلح القضائي ، بلا طبعة ، دار الجامعة الجديدة ، الاسكندرية ، ٢٠٠٩ ، ص١١٨ ، ود. حسن صادق المرصفاوي ، المرصفاوي في اصول الاجراءات الجنائية ، بلا طبعة ، منشأة المعارف ، الاسكندرية ، ٢٠٠٠ ، ص٢٠٦ ، ود. محمد علي سالم الحلبي ، الوجيز في اصول المحاكمات الجزائية ، بلا طبعة ، دار العلم للثقافة والنشر ، ٢٠٠٥ ، ص ٣٢٥ .

٤٧د. علي محمد علي الدروبي ، الصلح القضائي . دراسة مقارنة . ط١ منشورات زين الحقوقية ، بيروت ، ٢٠١٥ ، ص٣٠٠ .

٤٨محمود عبد علي حميد الزبيدي ، النظام القانوني لانقضاء الدعوى الإدارية من دون الحكم في الموضوع ، دراسة مقارنة ، أطروحة دكتوراه ، كلية القانون ، جامعة بابل ، ٢٠١٥ ، ص٢٧٠ .

٤٩ ينظر ايضا د. فتحي والي ، نظرية البطلان في قانون المرافعات ، ط٢ ، ١٩٩٧ ، ص ١٤٠ .

٥٠ أشار اليه ، محمود الزبيدي ، مصدر سابق ، ص ٢٧٠ .

" 8-2007 annee universitaire " 14 " Jullecomn , la trausaction en matiere administrative " master recherche droit public approfondi euniversite pantheon _ assas parisll" .

٥٢ خرياش لامية ، كرياش كريمة ، النظام القانون للصلح والوساطة في المنازعات الإدارية ، رسالة ماجستير ، كلية الحقوق والعلوم السياسية ، جامعة عبد الرحمن ميرة ، الجزائر ، ٢٠١٧ ، ص١٨ .

٥٣ د. مهند مختار نوح ، مصدر سابق ، ص٢٤.٢٣ .

٥٤. فتحي رياض أبو زيد ، الصلح كسبب لانقضاء الدعوى الإدارية ، مصدر سابق ، ص ١٢٩ . ١٢٨ .
- ٥٥ مهند مختار نوح ، مصدر سابق ، ص ٢٤ .
- ٥٦ . د. منصور محمد احمد ، مصدر سابق ، ص ٢٤ .
- ٥٧ مهند مختار نوح ، مصدر سابق ، ص ٢٤ .
٥٨. د. منصور محمد احمد ، مصدر سابق ، ص ٢٥ .
٥٩. امال عثمان ، شرح قانون العقوبات الاقتصادي في جرائم التموين ، بلا طبعة ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٨٣ ، ص ١٨٠.١٧٩ ، ود. عوض محمد عوض ، المبادئ العامة في الاجراءات الجنائية ، بلا طبعة ، دار المطبوعات الجامعية ، ١٩٩٩ ، ص ١٣٩ ، اشار اليهم د. محمد الحكيم ، مصدر سابق ، ص ١٨ .
٦٠. حيدر عبد الوهاب العنزي ، التسوية الصلحية في قانون ضريبة الدخل العراقي ، رسالة ماجستير ، كلية الحقوق ، جامعة النهرين ، ٢٠٠٠ ، ص ١١ .
٦١. د. منصور محمد احمد ، مصدر سابق ، ص ٢٦ .
- ٦٢ مهند مختار نوح ، مصدر سابق ، ص ٢٤ .
٦٣. د. محمد علوم محمد ، التكييف القانوني للتسوية الصلحية الضريبية في قانون ضريبة الدخل العراقي النافذ ، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية ، مجلد ١٤ ، العدد ٧ ، ٢٠٠٧ ، ص ٣٥٧ .
- ٦٤ مهند مختار نوح ، مصدر سابق ، ص ٢٥ .
٦٥. حيدر وهاب العنزي ، مصدر سابق ، ص ٤٣ .
٦٦. د. عبد الرزاق السنهوري ، نظرية العقد ، ج ١ ، ط ٢ ، منشورات الحلبي الحقوقية ، بيروت ، ١٩٩٨ ، ص ٢٨٢ . ٢٨٣ ، ود. سليمان مرقص ، الوافي في شرح القانون المدني ، ج ٢ ، المجلد الأول ، نظرية العقد والارادة المنفردة ، ط ٤ ، ١٩٨٧ ، ص ١٨٣ ، ود. عبد الحكم فودة ، تفسير العقد في القانون المدني المصري والمقارن ، بلا طبعة ، منشأة المعارف ، الاسكندرية ، ١٩٩٣ ، ص ٣٠٧.٣٠٦ .
٦٧. د. عبد الرزاق السنهوري ، الوسيط في شرح القانون المدني ، نظرية الالتزام ، مصادر الالتزام ، ج ١ ، ط ١ ، دار النهضة العربية ، ١٩٦٤ ، ص ٢٣١ .
- ٦٨ مهند مختار نوح ، مصدر سابق ، ص ٢٦ .

- ٦٩ مهند مختار نوح ، مصدر سابق ، ص ٢٧
- ٧٠.د. محمد الحكيم ، مصدر سابق ، ص ١٦٩ . ١٧٠.
- ٧١.د. محمد الحكيم ، مصدر سابق ، ص ٩٨ .
- ٧٢.د. محمد علوم محمد ، مصدر سابق ، ص ٣٥٨ .
- 73 Anne Laure Ponsardsous , la Transaction Administration , These Pour le Doctorate n droit , ecole doctorale de droit et de sciences politiques , universite paris quest Nanterre al defense , 2015 , p. 31
- 74 Alioun badarafall , these de le contentie doctorat administatif en dehors du juge , ecole doctorale de droit , unversite Montesquieu _ Bordeaux , p.c76 .
- ٧٥.د. منصور محمد احمد ، مصدر سابق ، ص ٢٩ .
- ٧٦ يراد بالتصرف القانوني اتجاه الإرادة إلى إحداث أثر قانوني سواء كان هذا الأثر هوانشاء أم نقل أم تعديل أم إنهاء حق من الحقوق ، والتصرفات القانونية أما أن تكون من جانب واحد أو من جانبيين ، ينظر ، نسير رفيق نظرية التصرف القانوني الثلاثي ، اطروحة دكتوراه، كلية القانون والعلوم السياسية ، جامعة مولود معمري ، ٢٠١٤ ، ص ١٢٥ .
- ٧٧.د. محمد الحكيم ، مصدر سابق ، ص ٩٧ .
- ٧٨ مهند مختار نوح ، مصدر سابق ، ص ٢٨ .
٧٩. 83. Alioune badara fall , o.p , cit , p.83.
- ٨٠.د. محمد الحكيم ، مصدر سابق ، ص ٩٨ .
- ٨١ .د. منصور محمد احمد ، مصدر سابق ، ص ٢٩ .
٨٢. 85. Alioune badarafall , o.p , cit , p.85.
٨٣. 31. Anne laure ponsardsus , o.p , cit , p.31.
- ٨٤ مهند مختار نوح ، مصدر سابق ، ص ٢٨ .
- ٨٥ .د. منصور محمد احمد ، مصدر سابق ، ص ٣٠ .
- ٨٦.د. فتحي رياض ابو زيد ، الصلح كسبب لانقضاء الدعوى الإدارية ، مصدر سابق ، ص ١٤٠ .

- ٨٧ مهند مختار نوح ، مصدر سابق ، ص ٣٠ .
- Anne laure ponsardsus , O.P,cit , p.30.٨٨
- ٨٩ د. منصور محمد احمد ، مصدر سابق ، ص ٣١ .
- ٩٠ د. منصور محمد احمد ، مصدر سابق ، ص ٣٢ .
- ٩١ د. منصور محمد أحمد ، مصدر سابق ، ص ٣٤ .
- ٩٢ مهند مختار نوح ، مصدر سابق ، ص ٣٢ .
- ٩٣ مهند مختار نوح ، مصدر سابق ، ص ٣٤ .
- ٩٤ مهند مختار نوح ، مصدر سابق ، ص ٣٤ .
- ٩٥ المحكمة الإدارية العليا ، طعن رقم ٩٥ لسنة ٣ ق في ٩ / ٣ / ١٩٥٧ ، ص ٢ ، ص ٦٧٩ ، منشور على الموقع الالكتروني
- <http://www.laweg.net> :
- Anne laure ponsardsus , o.p , cit , p.c.30_31.٩٦
- ٩٧ مهند مختار نوح ، مصدر سابق ، ص ٣٠ .

المراجع:

اولا الكتب:

١. ابراهيم حسين عبادة، الإسلوب غير القضائي في حل المنازعات الإدارية ، دراسة مقارنة ، بلا طبعة ، دار الجامعة الجديدة ، الاسكندرية ، ٢٠١٨ .
٢. الأنصاري حسن النيداني ، الصلح القضائي ، بلا طبعة ، دار الجامعة الجديدة ، الاسكندرية ، ٢٠٠٩ .
٣. حسن صادق المرصفاوي ، المرصفاوي في اصول الاجراءات الجنائية ، بلا طبعة ، منشأة المعارف ، الاسكندرية ، ٢٠٠٠ .
٤. حسن محمد هند ، لتحكيم في المنازعات الإدارية ، دار الكتب القانونية ، مصر ، ٢٠٠٤ .
٥. حيدر عبد الوهاب العنزي ، التسوية الصلحية في قانون ضريبة الدخل العراقي ، رسالة ماجستير ، كلية الحقوق ، جامعة النهرين ، ٢٠٠٠ .
٦. خالد عبد حسين الحديثي ، عقد الصلح " دراسة مقارنة " ، ط ١ ، منشورات الحلبي الحقوقية ، بيروت ، ٢٠١٥ .

٧. زكي محمد النجار ، الوسائل غير القضائية لحسم المنازعات الإدارية ، بلا طبعة ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٩٣ .
٨. سليمان مرقص ، الوافي في شرح القانون المدني ، ج ٢ ، المجلد الأول ، نظرية العقد والارادة المنفردة ، ط ٤ ، ١٩٨٧ .
٩. شريف يوسف خاطر ، التحكيم في منازعات العقود الإدارية وضوابطه ، دراسة مقارنة ، بلا طبعة ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ٢٠٠٩ .
١٠. عبد الحكم فوده ، أحكام الصلح في المواد المدنية والجنائية ، دار الفكر العربي ، الإسكندرية .
١١. عبد الرزاق السنهوري ، الوسيط في شرح القانون المدني ، نظرية الالتزام ، مصادر الالتزام ، ج ١ ، ط ١ ، دار النهضة العربية ، ١٩٦٤ .
١٢. عبد الرزاق السنهوري ، نظرية العقد ، ج ١ ، ط ٢ ، منشورات الحلبي الحقوقية ، بيروت ، ١٩٩٨ .
١٣. عبد الغني بسيوني عبد الله ، القضاء الإداري ، ط ٢ ، مطابع السعدني ، الإسكندرية ، ٢٠٠٨ .
١٤. علي محمد علي الدروبي ، الصلح القضائي . دراسة مقارنة . ط ١ منشورات زين الحقوقية ، بيروت ، ٢٠١٥ .
١٥. فتحي رياض أبو زيد ، ، التمييز بين الصلح والتسوية الودية في انقضاء الدعوى الإدارية ، بلا طبعة ، دار الجامعة الجديدة ، الاسكندرية ، ٢٠١٦ .
١٦. ماجد راغب الحلو ، العقود الإدارية ، بلا طبعة ، دار الجامعة الجديدة ، الاسكندرية ، ٢٠٠٧ .
١٧. محمد الحكيم ، النظرية العامة للصلح وتطبيقاتها في المواد الجنائية ، دراسة مقارنة ، بلا طبعة ، دار شتات للنشر ، مصر ، ٢٠٠٩ .
١٨. محمد علي سالم الحلبي ، الوجيز في اصول المحاكمات الجزائية ، بلا طبعة ، دار العلم للثقافة والنشر ، ٢٠٠٥ .
١٩. مدحت محمد عبد العزيز ، الصلح والتصالح في قانون الإجراءات الجنائية ، ط ١ ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ٢٠٠٤ .
٢٠. منصور محمد احمد ، الصلح في القانون الإداري ، بلا طبعة ، دار الجامعة الجديدة ، الاسكندرية ، ٢٠١٨ .
٢١. وسام صبار العاني ، القضاء الإداري ، ط ١ ، السنهوري ، بغداد ، ٢٠١٥ .
- ثانياً: الرسائل والاطاريح:

١. حيدر عبد الوهاب العنزي ، التسوية الصلحية في قانون ضريبة الدخل العراقي ، رسالة ماجستير ، كلية الحقوق ، جامعة النهرين ، ٢٠٠٠ .
 ٢. رنا محمد راضي ، التحكيم في العقود الإدارية ، دراسة مقارنة ، رسالة ماجستير ، جامعة النهرين ، ٢٠٠٧ .
 ٣. شذى غائب عز الدين ، الاحكام القانونية لحسم منازعات العقود الإدارية في العراق ، دراسة مقارنة ، رسالة ماجستير ، كلية الحقوق ، جامعة النهرين ، ٢٠١٤ ، ص ٣٨ .
 ٤. الشيماء مصطفى حسن ، الولاية القضائية بنظر المنازعات الضريبية ، اطروحة دكتوراه ، كلية الحقوق ، جامعة الاسكندرية ، ٢٠١٨ .
 ٥. محمود عبد علي حميد الزبيدي ، النظام القانوني لانقضاء الدعوى الإدارية من دون الحكم في الموضوع ، دراسة مقارنة ، أطروحة دكتوراه ، كلية القانون ، جامعة بابل ، ٢٠١٥ .
- ثالثا :المجلات العلمية:
١. أبوبكر أحمد عثمان ، الأساليب غير القضائية لتسوية منازعات عقد الأشغال العامة ، دراسة مقارنة ، مجلة جامعة تكريت للعلوم القانونية ، السنة ٧ ، ع٢٧ ، ٢٠١٥ .
 ٢. ضاري خليل محمود ، بدائل الدعوى الجزائية في القانون العراقي والمقارن ، المجلة العربية للفقهاء والقضاء ، ع٦ ، ١٩٧٨
 ٣. محمد علوم محمد ، التكييف القانوني للتسوية الصلحية الضريبية في قانون ضريبة الدخل العراقي النافذ ، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية ، مجلد ١٤ ، العدد ٧ ، ٢٠٠٧ .
 ٤. مهنت مختار نوح ، الصلح كوسيلة لحل المنازعات الإدارية ، المجلة الدولية للقانون ، جامعة قطر ، ٢٠١٦ .
- رابعا : القوانين:
١. القانون المدني الفرنسي لسنة ١٨٠٤
 ٢. القانون المدني المصري رقم ١٣١ لسنة ١٩٤٨
 ٣. القانون المدني العراقي رقم ٤٠ لسنة ١٩٥١
 ٤. قانون الكمارك المصري رقم ٦٦ لسنة ١٩٦٣
 ٥. قانون ضريبة الدخل العراقي رقم ١١٣ لسنة ١٩٨٢
 ٦. قانون الكمارك العراقي رقم ٢٣ لسنة ١٩٨٤

٧. قانون ضريبة الدخل المصري رقم ٩١ لسنة ٢٠٠٥

خامسا : الكتب الأجنبية:

1. Andre Morand , Latransaction un Tour Dhorizon , Menthe Avocats Conference Du Jeune Barreau 8 Mai 2017 , p.c3 .
2. Aturq .finances et fiscalite ,p .216 .
3. Anne Laure Ponsardsous , la Transaction Administration , These Pour le Doctorate n droit , ecole doctorale de droit et de sciences politiques , universite paris quest Nanterre al defense , 2015 , p. 31
4. Alioun badarafall , these de le contentie doctorat adminsitratif en dehors du juge , ecole doctorale de droit , unversite Montesquieu _ Bordeaux , p.c76 .

سادسا: المواقع الالكترونية:

<http://www.laweg.net>

مؤشرات البايوفيليا وأثرها على علاقة الانسان بالبيئة الطبيعية

أ.م.د. لؤي طه الملا حويش

الباحثة رسل سامي كاظم

مركز التخطيط الحضري والاقليمي/ جامعة بغداد

المقدمة:

نجد اليوم كثيراً من المجتمعات في اعتراف وحاجة متزايدة نحو تحقيق بيئات تمنح فرصاً أكبر للتواصل مع البيئات الطبيعية كونها ذات ارتباط بجودة حياة الفرد والمجتمع وعلى عدة مستويات إلا أن هذا الاعتراف يستلزم اهتماماً على مستوى المقاييس الحضرية والتحرك نحو تعزيز مفهوم البايوفيليا (حب الطبيعة) و التأكيد على قيم البيئات الطبيعية لدعم مرونة المجتمعات والمدن وجعلها قادرة على مواجهة الصدمات المستقبلية على نواحي عده اجتماعية واقتصادية وبيئية وصحية وترفيهية ولذا تبلورت مشكلة البحث حول: عدم وجود تصور واضح حول مفهوم البايوفيليا ومدى تأثيره على علاقة الانسان أما فرضية البحث فجاءت كما يلي: كلما تحقق الوعي بمفهوم البايوفيليا كلما ازدادت علاقة الانسان بالبيئة الطبيعية ومن هنا يهدف البحث الى اهمية بيان مفهوم البايوفيليا واستخلاص مؤشرات التي تعزز علاقة الانسان بالطبيعة.

١- مفهوم البايوفيليا (Biophilia)

تناولت الكثير من الدراسات في الوقت الحالي مفهوم البايوفيليا وكانت هناك آراء و وجهات نظر عديدة لعلماء احياء ومختصين في علم البيئة والانسان وعلوم الرياضيات حول تعريف المفهوم إلا أن أول من استخدم مصطلح (biophilia) هو ' Erich Fromm والذي وصف حب الحياة الإحيائية بأنها "الألفة النفسية للحياة وكل ما هو حي" (Erich Formm,1974,p.365). أما E.O Wilson يعدّ أول من سلط الضوء على هذا المفهوم مشيراً إليه بـ "الميل الفطري للتركيز على الحياة وكل ما هو نابض بالحياة" (Willson,1984,p.1). وموضاً مرة أخرى بخصوص هذا المفهوم كونه "انتماء البشر العاطفي

والفطري إلى الكائنات الحية الأخرى" ليعيد صياغة التعريف فيكون "الألفة الوراثية للإنسان تجاه الأشكال الأخرى من الحياة وفقا للظروف" (wm&mar,2009,p.213). ان الحديث عن هذا المفهوم لم يقتصر على^٢ E.O Willson فقد اوضح^٣ Rene Dubos عام ١٩٦٨ من خلال أطروحته حول تحول البيئة الطبيعية من إحيائية بالدرجة الأولى ومتنوعة إلى لا إحيائية ورتيبة ناجماً عن تطور العقل البشري وتفاعله مع محيطه (krcmaruva,2009,p6). وجاء Nelson ليتجاوز فكرة أن البشر هم فقط من لديهم ميل إلى الانتماء للطبيعة ليوجد احتمال أن يكون لدى الاشكال الحية الاخرى ميل للانتماء والتعايش مع البشر" (Nelson .(E,1993,.p. 16 .

أما Peter khan فقد فسر البايوفيليا على إنها قيمة جوهرية متمثلة بالجينات التي ربطت الجنس البشري بالطبيعة على الرغم من اختلافات العوامل الديموغرافية (khan,1997,p30). وفقا Gullone فإن الإنسان يميل إلى إظهار استجابة إيجابية وسلبية لبعض الظواهر الطبيعية التي تحفز عنده الإدراك والتفضيل لما محييط به (Gullone,2000,p.3). في حين عرفت^٤ Judith H Heerwagen البايوفيليا انه تداخل العلاقات البشرية في الطبيعة وتمكين العالم الطبيعي في المجتمع البشري فهو لا يقتصر على تخضير الأبنية أو زيادة جاذبيتها الجمالية من خلال إدخال الأشجار والشجيرات (S.kellert,2008,p.). ويمكن ان تمثل البايوفيليا حاجة انسانية للتواصل مع النظم الحية من خلال وجودها ضمن بيئته وتغ[هذه الفكرة هي بمثابة انعكاس من أجل تصحيح الافتراضات الخاطئة حول الهيمنة البشرية في المحيط الحيوي (Salingaros,2015,p.4). وهناك من عرف المفهوم كونه جزء لا يتجزأ من عملية التنمية البشرية والنمو البدني والعقلي لذلك يبحث الأفراد عن فرص للارتباط بالبيئة الطبيعية خارج محيطهم اذا كان هذا المحيط لا يمنح افراده هذه الفرص (lumber,2017,p.4). ومن خلال تعدد التفسيرات لعلاقة الانسان بالبيئة الطبيعية بحسب تداخل مفهوم البايوفيليا في العديد من مجالات حياة الفرد والتي تحاكي مستويات مختلفة سواء كانت معرفية وعاطفية او صحية وكما يوضح الشكل (٢-١) و(٢-٢) مثالا لبعض من هذه الاختلافات.

ونظرا لما تقدم يمكن بيان ان هذه التفسيرات تخضع لمتغيرات ثقافية ووراثية وديمغرافية وبيولوجية ونفسية وجمالية ولذا سيتطرق البحث في الفقرة اللاحقة الى المفاهيم المرتبطة بمفهوم البايوفيليا.

اولا :مفهوم البايوفوبيا (biophopia)

بالتوازي مع مفهوم البايوفيليا قدم Edward o Wilson مفهوم "Biophobia" على انه الخوف من الطبيعة او رهاب وكراهية وجود الحياة الاحيائية وهذا نقيض لمفهوم البايوفيليا (Ulrich, R.S,1993,p.31-42). اذ كان الانسان سابقا يعتمد على الاشارات البيولوجية التي تأتيه من محيط بيئته مثل الاصوات والمعالم او العوامل البيئية تحسبا لوقوع المخاطر ولايزال يعتمد على مخاوفه لضمان استمراره اي ان الشعور بالخوف صلة اساسية تجاه البيئات الطبيعية وغالبا ارتبط المفهوم بدراسات مجال الطب وعلم النفس التي تفسر هذه المخاوف وفقا لبعض المواقف (الحيوانات ،الارتفاعات ،الاماكن المغلقة) ومن ناحية اخرى ان البايوفوبيا هو رفض او تردد في قبول النظريات البيولوجية التي تؤيد الحتمية الجينية للإنسان تجاه الطبيعة او النفور القوي تجاه العالم الطبيعي (الحيوانات، النباتات، المواد العضوية) (Konijnendijk,C,2012,293). ويرى Salingaros ان مفهوم رهاب الطبيعة ينعكس في تصميم بيئتنا من خلال توظيف مواد صناعية تتشكل وفقا لرغبة الانسان بالإشارة الى الابتعاد او تجنب استخدام المواد العضوية وكل ما يحمل تشابه مع التركيب البيولوجي (Salingaros,2015,p.4).



الشكل (٢-٣) يوضح الصخرة المرفوعة فوق الممر المؤدي
الى متحف لوس انجلوس للفنون المصدر :
<https://www.loc.gov/resource/highsm.21994/?r=-0.175,0,1.347,0.667,0>

وقد يعكس مفهوم البايوفوبيا الرغبة المكتسبة ثقافيا للميل تجاه كل ما هو نتاج التكنولوجيا وصنع الانسان وتوظيف العالم الطبيعي وفقا للمصالح البشرية (Orr.D ,1993,p. 425). ويصف البايوفوبيا انها تشابه رهاب الحياة الاحيائية مع الحياة الحديثة "أنا شكلنا ثقافتنا حول الخوف من الحيوانات والعوامل البيئية والتي من خلالها تشكلت الطريقة التي يتفاعل بها الفرد مع محفزات المجتمع المعاصر" (Serpell,2004 p.5). وكما يوضح الشكل (١-٣) توظيف الصخرة بأسلوب يركز على شعور الافراد المتولد تجاه محيطهم البيئي.



الشكل (٢-٣) يوضح الصخرة المرفوعة فوق الممر المؤدي
الى متحف لوس انجلوس للفنون المصدر :
<https://www.loc.gov/resource/highsm.21994/?r=-0.175,0,1.347,0.667,0>

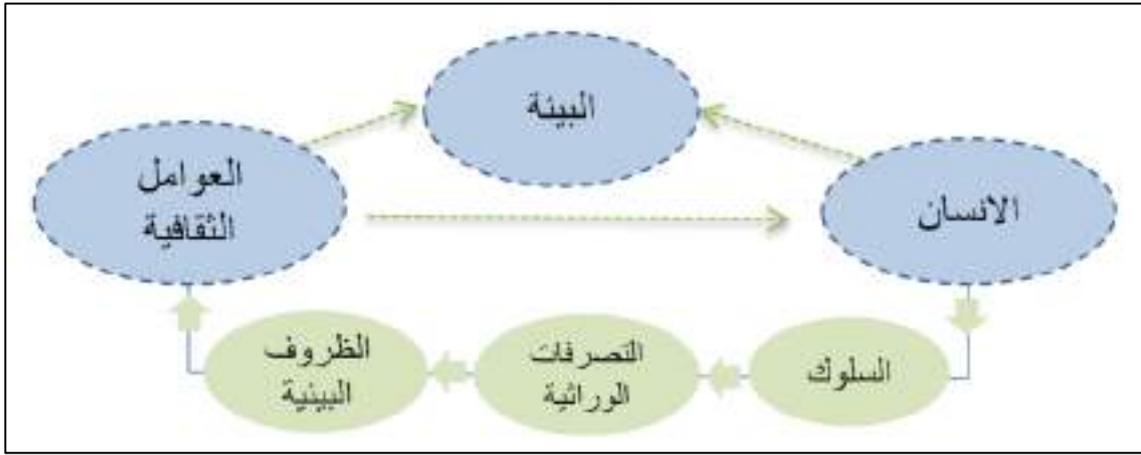
ثانياً: مفهوم الثقافة البيولوجية

ركز العلماء في اغلب العلوم الإنسانية على الثقافة بوصفها العامل السببي الاساسي الذي يحدد السلوك والإنتاج الثقافي للمجتمعات البشرية ولكن التقاء الأدلة عبر مجموعة من التخصصات يكشف عن صورة أكثر تعقيداً فيما يخص سلوك البشر تجاه المحيط الحيوي انه ليس نتاجاً للثقافة كما أنه ليس نتاجاً بيولوجياً أيضاً (<https://www.bioculture.au.d>). لذا يمكن فهم العملية التي تطور من خلالها البايوفيليا على إنها عملية ثقافية بيولوجية (Whiten et al,2017,p.3). اذ غالباً ما يفضل الناس وفي كثير من الأحيان التواجد في محيط البيئات الطبيعية أو البيئات المبنية لكن ممزوجة بسمات البيئات الطبيعية اكثر من تواجدهم ضمن بيئات لا تحمل هذه السمات أو حتى تمثيلاً لمثل هذه المناظر الطبيعية (LumberR,2017,p.8). وما يعزز هذه الادعاءات ان الإنسانية تطورت في استجابة تكيفية للظروف الطبيعية والمحفزات مثل أشعة الشمس والطقس والمياه والنباتات والحيوانات والمناظر الطبيعية والتي لا تزال سياقات أساسية لنضج البشر (Hartig T,2007,p.186). اذ يصف هذا المفهوم التفاعل بين التصرفات الوراثية والظروف البيئية اساساً للسلوك البشري والثقافة الإنسانية ونتيجة هذا التفاعل تتراوح هذه الظروف البيئية بين الجوانب المادية للمحيط الحيوي وبين البنى الثقافية المكتسبة للإنسان (Bridgewater et al.,2019,p.293) عرف مجلس التراث الوطني السويدي التراث الثقافي البيولوجي على أنه: "الموائل وأنواع النظم الإيكولوجية التي نشأت وتطورت أو تم تفضيلها عن طريق الاستخدام البشري لهذه الانظمة والتي يعتمد استمرارها وتنميتها لمدى طويل على مدى تفضيلها" (Whiten et al,2017,p.3). وان جزءاً لا يتجزأ من المفهوم هو الاعتراف بأن "تطور الثقافات والبيئات الطبيعية مشترك ومع مرور الوقت قد ولد المعرفة والممارسة الإيكولوجية المحلية أي بمعنى

مستودع حيوي من الخبرة والفهم والمهارات التي تساعد المجتمعات على إدارة مواردهم الآن وفي المستقبل (Eriksson,2018,p.4). ويوضح الشكل (١ - ٤) خلاصة لما تم التطرق اليه .

ثالثا: مفهوم التطور المشترك للثقافة الجينية

الشكل (١ - ٤) العلاقة بين الانسان والبيئة بتأثير العوامل الثقافية
المصدر: الباحثة



ثالثا: مفهوم التطور المشترك للثقافة الجينية

إن القدرات المعرفية والعاطفية الانسانية هي نتاج ديناميكية تطورية تنطوي على تفاعل الجينات والثقافة في اشارة الى ان المجتمعات البشرية هي بناء ثقافي مؤثر على البيئة وهذا التطور المشترك للثقافة الجينية هو تطبيق للبيولوجيا الاجتماعية (sociobiology) الذي يعكس التفاعل ما بين الثقافة البيولوجية ومبادئ التعلم الوراثي اذ يؤثر نمط وراثي معين على الاستجابة السلوكية للأفراد. فإذا كانت هذه الاستجابة تعزز البقاء ورفاهية الحياة فإن النمط الجيني ينتشر وسوف تزداد الاستجابة السلوكية لهذا النمط من خلال نظرية التطور الجيني المشترك وعلى أساس هذا المفهوم فإن البايوفيليا تتوسط مجموعة من قواعد التعلم المعدة سابقا وبين مجموعة قواعد قد تكون مكتسبة أو يتم إعدادها فإذا انتقل الإنسان من بيئات طبيعية

إلى بيئة حضرية من إنتاجه هيمنت فيها التكنولوجيا على الإنسانية فأن هذه القواعد لا تتلاشى بل تستمر بالانتقال من جيل إلى آخر (Gintis،2012،p.5) بالاستناد الى المفاهيم السابقة يمكن بيان ان مفهوم البايوفيليا لا يعكس فقط مشاعر الالفة فهناك مشاعر في الانسان يظهرها تجاه البيئات الطبيعية تعبر عن النفور او خوف او ولا يمكن ان يقتصر المفهوم على الشعور تجاه فقط ما هو حي كما ان نوع الشعور تتحكم به الادوات المعرفية للفرد ومستوى الخبرات والعوامل الثقافية إضافة لأهمية العوامل الوراثية والجينية والتي تتداخل فيما بينها لتؤثر بتشكيل علاقة الانسان بالمحيط الحيوي ويوضح الشكل (٥-١) خلاصة لما تم التطرق اليه..



الشكل (٥ - ١) العلاقة المفاهيم المرتبطة بالبايوفيليا

المصدر : الباحثة

على الرغم مما اكدت عليه المفاهيم بتعدد الابعاد التي تؤثر في علاقة الانسان بالبيئة الطبيعية الا انها تعد عامة لذا سيطرق البحث في الفقرة الآتية الى النظريات المفسرة للمفهوم والتي تركز على تفاعل الانسان والبيئات الطبيعية ضمن نشاطه وسلوك حياته اليومي

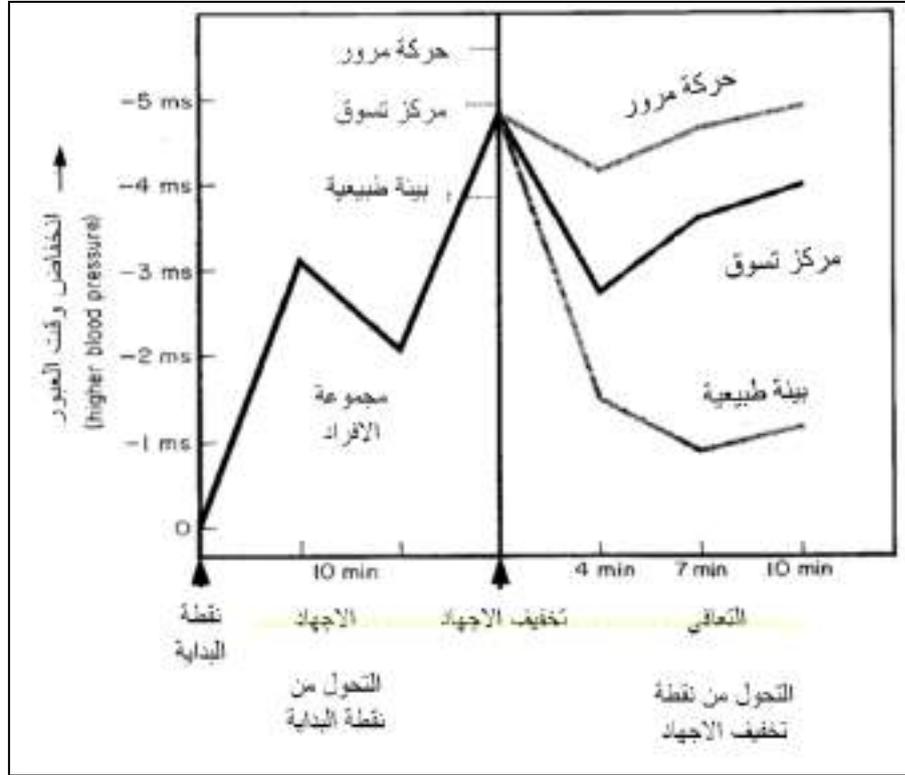
٢- النظريات المرتبطة بمفهوم البايوفيليا

هنالك عدة نظريات يرحح فيها كثير من العلماء ارتباطها بمفهوم البايوفيليا كونها تدعم فكرة المفهوم التي يركز عليها لذا سوف يتم التطرق الى اهم نظرتين.

اولا: نظرية الحد من الاجهاد (Stress Recovery Theory) SRT

قدم Rocher S. Ulrich^٦ من ١٩٩١ خلال دراسته للفوائد النفسية للبيئات الطبيعية في التخفيف من الإجهاد البيئي الذي يتعرض له الفرد والذي يعد جزءًا من المفهوم الأوسع للإصلاح اذ تفسر النظرية مفهوم الإجهاد وفقا لمقاييس نفسية و فسيولوجية، من الجانب النفسي يتضمن ردود فعل الفرد مثل الحزن والخوف والغضب وفقد الشعور بالأمان والتي توصف بانها تقييم ادراكي وعاطفي للموقف اما الجانب الفسيولوجي فيتضمن الاستجابات الجسدية التي تحفز هذه التقييمات مثل القلب والاوعية الدموية والغدد الصم والعصبية للتعامل مع الموقف (Ulrich, 1991, p. 23). تهتم هذه النظرية في المقام الأول بالبيئات التي يراها الأفراد والى اي مدى قد يؤدي التعرض للبيئات الخارجية وبشكل يومي إلى تعزيز أو إعاقة التعافي من الإجهاد اذ ان استجابة الافراد تجاه البيئة هي تحت تأثير (الإعجاب او عدمه) تحدث دون وعي او تحليل لعناصر البيئة بالاعتماد على ما تحمله من ميزات أو تفضيلات بيئية محددة في البيئة منها العناصر الطبيعية (على سبيل المثال نسبة الغطاء النباتي) أو وجود ميزات ترتبط بهيكلية البيئة منها درجة التعقيد او التناظر العمق او السطحية وبالتالي تتعكس هذه الاستجابات على مواقف الفرد مثل التأقلم والسيطرة لتفترض أن بعض الخصائص البصرية تسهم في التخفيف من التوتر وأن له أساسا فطريا اذ ينطوي تأثير البيئات الطبيعية على شعور ايجابي اكثر من البيئات الحضرية من خلال

أنماط ومحفزات معينة إيجابية (Ulrich ,1991,p.7). يوضح الشكل (٦-١) الاختلافات الفسيولوجية التي تحدث للفرد باختلاف البيئات.



شكل (٦-١) يوضح معدلات الإجهاد عند التواجد في بيئات حضرية مختلفة فسيولوجي

المصدر الباحثة بالاعتماد على www.depts.washington.edu

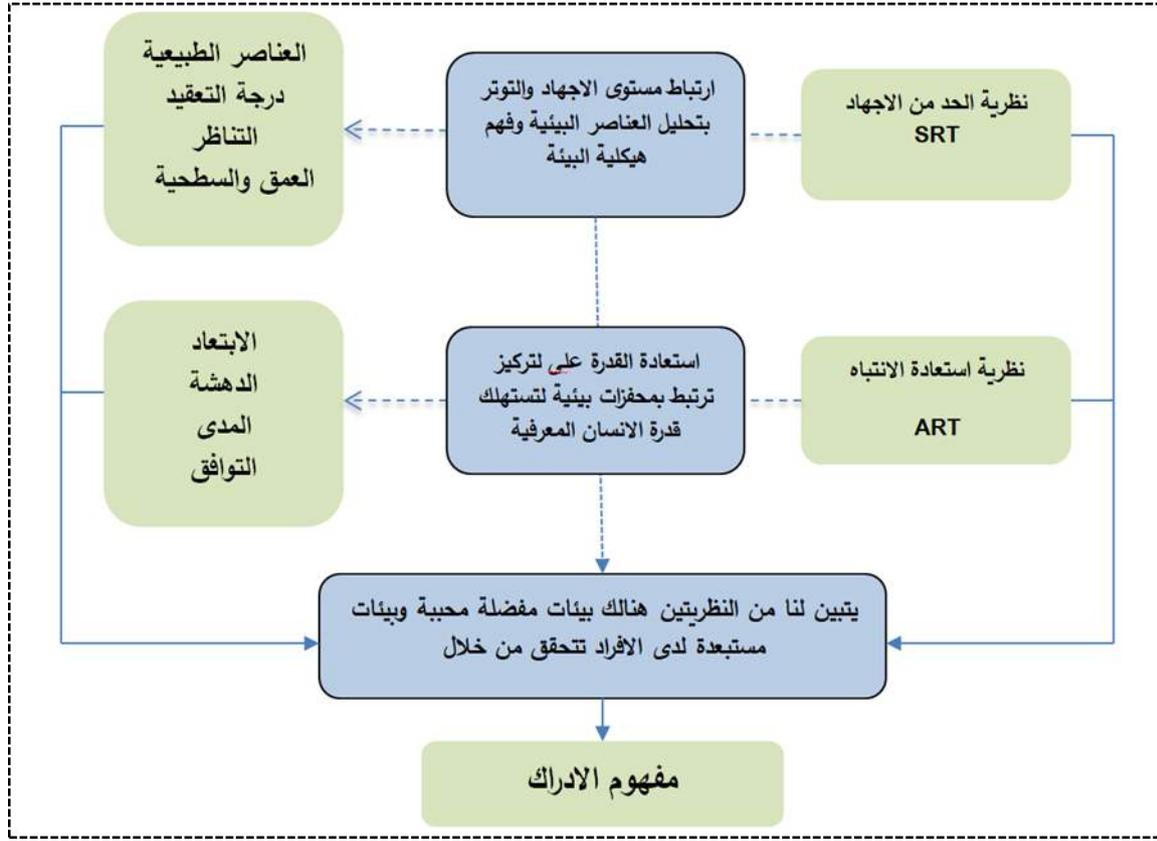
وخلاصة لما جاء في نظرية الحد من الاجهاد والتي تركز على اهمية البعد النفسي والعاطفي في تحديد نوع استجابة الفرد لبيئته وبالتالي تؤثر على مستوى الاجهاد

ثانيا: نظرية استعادة الانتباه (Attention Restoration Theory) ART

قدم Kaplan^٧ عام ١٩٨٧ مقاربه لفهم ما هو متعب او ما هو يستنفذ القدرة على التركيز وكيف يمكن استعادة القدرة على التركيز بدون التسبب بالإرهاق ومن منظور نفسي تفرض أنماط الحياة الحضرية مطالب متزايدة و إرهاق لموارد الإنسان المعرفية (Kaplan،2010،p.7).وحسب ما تعرضه النظرية ان الافراد يستجيبون باهتمام لا ارادي او افتتان تجاه الطبيعة ليكون آليه رئيسة في اصلاح الاجهاد العقلي الي تحدثه مواقف مختلفة وبهذا يصف Kaplan نوعين من الانتباه هو اللاطوعي او الغير مباشر وهي اشارة الى محفزات ذات جودة عالية لا تتطلب جهدا وعلى النقيض من هذا النوع هو ما يتطلب بذل جهد كبير للانتباه ويسمى بالانتباه الطوعي او الانتباه المباشر كما يطلق عليه علماء الاعصاب ولا يعتمد على انماط تحفيز معينة، و وفقاً لنظرية استعادة الانتباه هناك أربع خصائص بيئية تعزز استعادة الانتباه: (S. Kaplan1995)

- الابتعاد (being away) : الشعور بالابتعاد عن الأفكار والضغوط اليومية النموذجية.
- الدهشة (fascination) : حالة من الاهتمام دون عناء
- المدى (extent): الشعور بالانخراط في شيء أكبر من نفسك - في عالم آخر
- التوافق (compatibility): شعور بأن محيطك مناسب لأنشطتك وأغراضك.

من خلال ما تعرضه هذه النظرية يتبين بأن هنالك علاقة بين قدرة الانسان الذهنية وتجديدها مقارنة بمدى وجود البيئات الطبيعية ضمن بيئته اذ وحسب هذه النظرية وبذلك يمكن القول ان كلا من النظريتين السابقة قد فسرت تفاعل الانسان مع البيئة وفقا لتأثير البيئة على استجابة الفرد بشكل قد يعزز او يعيق قدرات الفرد المعرفية والنفسية العاطفية وكما يوضح الشكل (١-٧) خلاصة ما تم التوصل اليه من خلال النظريتين.



الشكل (١-٧) ملخص لاهم المفاهيم المستخلصة من نظريتي الحد من الاجهاد واستعادة

الانتباه / المصدر : الباحثة بالاعتماد على ما ذكر سابقا

٣- مفهوم البيئة الطبيعية (natural environment)

إن "الطبيعة" ربما تكون الكلمة الأكثر تعقيداً وأكثر تنازعا بين الفلاسفة والعلماء وقد حدد Raymond Williams ثلاثة معاني رئيسية. الطبيعة الجوهرية (Intrinsic nature): الطبيعة الخارجية (External nature) الطبيعة الكونية (Universal nature) (Demeritt D,2009,p.302). وفي سياق البحث سيتم التطرق الى مجموعة مفاهيم فلسفية و اراء العلماء فيما يخص مفهوم البيئات الطبيعية.

٣-١ مفهوم البيئة الطبيعية وفق آراء علمية وفلسفية (natural environment)

على مدار فترة طويلة من تطور العلوم والفلسفة شهدت الفلسفة الطبيعية أيضًا أشكالاً تاريخية مختلفة. وان تفسير مفهوم البيئات الطبيعية لم يكن في البداية يستند إلى العلم التجريبي إذ كان دائماً بديهيًا ومع اختلاف العلوم الحديثة تدريجياً عن الفلسفة حاول البعض تأسيس نظام نظري حول العالم الطبيعي وما وراء العلوم الطبيعية بناءً على تكهنات مجردة وفقاً للتطور العلمي آنذاك (Kun Wu, 2018, p.7). فكانت فلسفة اليونان تتمحور حول الطبيعة بدلاً من التركيز على تصرفات البشر أما فلسفة الصين القديمة فقد استندوا إلى الأساس الثقافي للزراعة وشكلت فلسفتهم القائلة بأن الإنسان (الكون الصغير) والطبيعة (الكون العظيم) وهما يرتبطان بسمات "طبيعية" والعلاقة بينهم هي علاقة تكاملية، في حين قدم الفلاسفة الغرب الطبيعة على أساس استبعاد البشر من الطبيعة أي الانفصال التام بين المشهد المادي والنشاط البشري وفي عصر التنوير فقد اعتمدوا على التحليل بالطرق العملية لفهم آلية عمل الطبيعة وفي القرن الثامن عشر بدء فهم الطبيعة على أنها من مخلوقاً ومصدراً للجمال، ولكن في دراسات أكثر حداثة انتقل الفكر من كون الطبيعة مجرد مخلوقاً إلى عالم أنتجته (قوانين الطبيعة) (Oliveira, 2019, p.4). ومن منظور الإسلام فإن العلاقة بين الإنسان والبيئة الطبيعية وثيقة من أكثر من وجه منذ خلق الله تعالى آدم على الأرض وهناك أكثر من آية قرآنية تبين أن أصل الإنسان من الأرض والإنسان جزء من الطبيعة ومؤمن عليها فهي علاقة عضوية لما فيها من تشابه مع خصائص النفس الإنسانية (قطب الريسوني، ٢٠٠٨، ص ٧٣). وعن تفسير بعض العلماء جاءت لتمثل مجموع الخصائص الجوية والبيولوجية والبيولوجية الموجودة في منطقة ما في حالة عدم وجود آثار أو تأثيرات للثقافة البشرية أو تكنولوجيا متطورة (D Malkinson, 2013, p. 39). في حين وصفها عالم النفس البيئي يواكيم وولويل بأنها "مجال واسع من المواد العضوية وغير العضوية التي لا تنتج عن نشاط أو تدخل بشري" (R.I. 35). (McDonald et al, 2013, p. الظروف السائدة بشكل مباشر أو غير مباشر أو حتى عن بعد (E. von Lindern, 2017, p.184).

(et al). وقد عرفت اتفاقية البيئة الطبيعية الأوروبية على إن البيئة الطبيعية "هي منطقة تكون كيفما يدركها أفرادها تحمل سمات وهذه السمات هي نتيجة للفعل والتفاعل بين العوامل الطبيعية والبشرية" (www.coe.int/en/web/landscape). مما تقدم يتبين ان مفهوم البيئة الطبيعية لا ينفصل عن دور الانسان اذا تبعنا للآراء والتفسيرات، الانسان يرتبط بالبيئة الطبيعية بسلسلة من العلاقات المتغيرة باختلاف المجتمعات والمراحل الزمنية لتنتقل بين تقديس للطبيعة او كونها علاقة تكافلية مرورا بالفصل التام بينهما حتى اصبح الدين والعلم دورا في تفسير وتحليل الية عمل الطبيعة ولغرض بيان اوجه علاقة الانسان بالبيئات الطبيعية وتصنيفها سيتطرق البحث الى بعض هذه النظريات في فقراته اللاحقة .

٤- النظريات المفسرة لمفهوم البيئة الطبيعية والانسان

بعد ما تم استخلاصه من تفسيرات لمفهوم البيئات الطبيعية سيتم التطرق الى اهم النظريات التي تسلط على العلاقات الانسانية مع البيئات الطبيعية ان التطرق الى النظريات هو بمثابة محاولة لتحديد اوجه علاقة الانسان مع بيئته.

اولا : الحتمية البيئية (Environmental determinism)

من اجل فهم نظرية الحتمية البيئية يجب ان ننظر في مفهوم الحتمية والتي لها جذور قديمة جداً وقد عرف Leucippus الحتمية من خلال قوله " لا يحدث شيئاً بصورة عشوائية وانما كل شيء يجري وفق سبب وحكم ضرورة" اما Spinoza " قد اوضح ان في الطبيعة لا يوجد شيء محتمل ولكن تم تحديد كل الأشياء حسب الضرورة الالهية لأحداث تأثير في الوجود بطريقة معين

(Müller,2015,p.5). أما الحتمية البيئية فهي تشير الى ان البيئة هي التي تسيطر على الإنسان وأن الانسان خاضع بكل ما فيه للبيئة بالاستناد على مقارنات بين مجتمعات مختلفة من حيث الخصائص الطبيعية و التفوق البشري ومع ظهور نظرية التطور لشارل داروين ظهر معها في المقابل العديد من مؤيدي نظرية الحتمية و التطور (Freilich,2014,p.32) فقد تعرضت هذه النظرية لانتقادات كثيرة أهمها: أنه لا يمكن أن نقر بحتمية أي عامل من العوامل الطبيعية في تأثيره على الإنسان إذ أن التطور

التكنولوجي ساعد المجتمعات البشرية للتغلب على قساوة الظروف الطبيعية غير من طريقة تدخل الإنسان في بيئته (GR Lewthwaite ,2010,p. 17).

ثانيا: الامكانية البيئية (Environmental posipallisim)

برزت هذه النظرية كتصحيح للحتمية البيئية الصارمة واهمية لدور الإنسان إلى العوامل الطبيعية كونه صانعا للقرار وهو من يجعل العامل الجغرافي فعالا أو غير ذلك اذ تظهر إمكانية الإنسان دورا كبيرا في تعديل بيئته وتهيئتها وفقا لمتطلباته و احتياجاته حسب هذه النظرية فان الطبيعة هي عامل فعال ولكن ليس حتمي في تشكيل الاختلافات بين الثقافات البيئية توفر إمكانيات للأنشطة الاجتماعية، تفترض هذه النظرية أن السلوك الإنساني لا يعتمد على القيود البيئية أو على الضرورة المنطقية بل على الاتفاقيات المكتسبة في الثقافة (Hakan,2018,p.78). وبدورها كمنظريه تعرضت لانتقادات كونها تعظم من دور الإنسان في البيئة الذي يصل به إلى حد السيادة للتحكم في البيئة إذ نتجت عن هذه السيادة مشكلات عديدة تتجلى في "مشكلات عدم الاتزان البيئي" (Kőszegi, M. et al ,2015, p .88).

ثالثا: الاحتمالية البيئية (Environmental probabilisim)

تعرف كذلك بالنظرية الاحتمالية فهي لا تؤمن بالحتمية المطلقة و لا بالإمكانية المطلقة و إنما تؤمن بدور الانسان و البيئة و تأثير كل منهما على الآخر لتظهر كحل وسط بين الحتمية و الإمكانية فيما يرى البعض ان الاحتمالية هي وجه من اوجه الامكانية وتتميز عن الحتمية من خلال الاعتراف بأن العوامل الثقافية والاجتماعية مهمة في كيفية تكيف الناس مع بيئاتهم وفي اختلافها عن الامكانية ان البيئة قد يكون لها تأثير على هذا التعديلات التي يجريها الانسان.من اهم مبادئ النظرية تصنيف نوعية البيئة و نوعية التدخل البشري وبخلاف هذه الادعاء يناقش Weber بأنه "لا توجد هنالك ضرورات بل هنالك دائما احتمالات " بينما يجادل سبات قول فيبير بأن هذه الاحتمالات ليست كلها متساوية ويمكن ان تتحقق والبيئة المادية تؤثر على مدى احتمالية وجودها (L Mayer,2011,p.9) وعلى هذا الاساس تم تصنيف البيئة الى مستويين على: بيئة صعبة تحتاج لمجهود كبير للتكيف معها وبيئة سهلة تستجيب لأقل مجهود

بشري وبيئات أخرى متفاوتة الصعوبة تقع بين البيئتين. (R.Flowerdew ,2009,p. 448).فسرت النظريات التفاوت في سلوك الفرد تجاه البيئة البيئات الطبيعية على اساس اختلاف تقييمه لدور الطبيعية بين وجودها لتلبية احتياجاته او خضوعه لهيمنة الطبيعة وقيم اخرى سيحاول البحث التطرق اليها في الفقرة اللاحقة تساهم في فهم السلوك الانساني.

٥- قيم البيئة الطبيعية (biophilic values)

تشير مفردة القيم الى الإحساس بالأهمية تجاه شيء معين قد ترتبط القيمة بالتجربة او إنها تشير إلى المبدأ الأخلاقي الذي يبني عليه السلوك وعادة ما تتشكل القيم من خلال الثقافة التي اعتاد الأفراد على توارثها و معظم قيم البيئات الطبيعية تتحدد على أساس بعض الثقافات على سبيل المثال الإنصاف و العدالة والرحمة والإحسان والواجبات والحقوق ورفاه الإنسان في حين أن القيم هي التي توجه السلوك فهناك العديد من السلوكيات التي اعتاد عليها الأفراد بسبب المجتمع والثقافة والظروف وما يترتب على هذه السلوكيات من قرارات تشكل اثار بيئية خطيرة مثل تلوث الهواء الناجم عن أعداد كبيرة من السكان أو تدهور البيئة العمرانية في المدن (Salingaros,2006,p.10).ومن اجل فهم العلاقة بين القيم والسلوك سيتطرق البحث الى تناول قيم البيئات الطبيعية وفقا للسلوك الانساني.

٥-١ سلوك الانسان تجاه الطبيعة

اسس Stephen Kellert عام ١٩٩٣ تصنيفاً للمواقف البشرية تجاه الطبيعة وحدد تسعة منظورات عدها ذات صلة بمفهوم البايوفيليا (Simaika، 2010, p.2).وهذه التصنيفات كالاتي

- ١- القيمة النفعية: الفائدة المادية التي يستمدها البشر لتلبية احتياجات ورغبات بشرية مختلفة.
- القيمة السلبية: تمثل مشاعر النفور والخوف والكراهية لدى البشر تجاه الطبيعة
- القيمة المهيمنة : الرغبة في إخضاع الطبيعة والتحكم فيها.
- القيمة الطبيعية الرضا الذي يحصل عليه الناس من التجربة المباشرة للطبيعة والحياة
- القيمة العلمية: على الدراسة المنهجية للأنماط البايوفيزيائية .

- القيمة الجمالية: هي الجاذبية والإحساس بالجمال الطبيعي للطبيعة
- القيمة الرمزية: تساعد الطبيعة الإنسان للتواصل والتفكير.
- القيمة الإنسانية: تعاطف البشر مع الكائنات الأخرى .
- القيمة الأخلاقية: السلوك الصحيح والخاطئ تجاه العالم غير الإنساني.

ان النظر في هذه القيم وعلاقتها بسلوك الإنسان يمكن استكشافه من خلال ادراك الانسان للبيئة الطبيعية لذا سوف يتطرق البحث الى مفهوم الادراك الانساني في الفقرة اللاحقة، وبالأخص الادراك الانساني للبيئة الطبيعية.

٦- الإدراك (Perception)

طالما عد العقل البشري هو القوة المنظمة التي تحول ما بالكون من فوضى الى نظام وفقا لقوانين خاصة وتعرف هذه القوانين بالتنظيم الادراكي وبفضلها تنظم المنبهات الفيزيائية والحسية في انماط وصيغ تبرز في مجال ادراك البشر اذ ان سلوك البشر يعتمد بصورة كبيرة على الإدراك الحي لما يحيط به وما السلوك الا انعكاس لعملية الادراك والذي يعد واحدة من اكثر العمليات المعرفية اهمية في معالجة وتجهيز المعلومات. فالإدراك يمثل مجموع العمليات التي يستخدمها الفرد لفهم المحفزات من حوله وترجمتها لانطباعات حسية ويختلف التفسير من شخص لآخر (K Grill-Spector, 2003,159). وعند علماء Geshtal فالإدراك لا يعتمد فقط على نقل صورة بصرية او سمعية او غيرها الى العقل وانما الادراك مستوى اعلى من ذلك وهو اعطاء المعنى الدلالي او الرمزي الي تتضمنه المدركات ليضع مؤيدي هذا التيار مجموعة من القوانين يسهل على الفرد ادراكها وفق مبدأ تنظيمي ومن هذه القوانين التي تعطي شكلا وصيغا للمحفزات الحسية هي (التمائل التقارب، الغلق، الاستمرارية) (Kubovy, M., et , 2012, p.) و وفقا Gibson فقد توصل الى ان الادراك هو فعل وليس استجابة وان المدركات لا تفرض وانما تستحصل (A Démuth, 2013, p.25) وحسب ما جاء به Marston و Knox انه مظهر من مظاهر الشخصية يعكس كيفية نظرة الفرد من منطلق ثقافي واجتماعي وبيئي اي ان الادراك ليس مجرد

ظاهرة فسيولوجية بل هو ناتج من تجارب الفرد بتأثير المحفزات الاجتماعية والثقافية غالبا تؤثر الهوية الثقافية في فئات المجتمع ومكان العيش والعمل على الطريقة يستجيب بها الفرد لمحيطه (SA 192) (Marston,2015,p. كون البشر في ثقافات مختلفة لديهم تصورات مختلفة عن الذات والآخرين وما يحيط بهم فهذا يعني ان الادراك فعل تعليمي انتقائي ديناميكي تفاعلي فردي) (2012,p.4 McDonald, في حين اضاف Forsyth بعدا اجتماعيا على مفهوم الادراك وعرفه على انه عمليات شخصية تغير مشاعر الناس وافكارهم ومعتقداتهم وسلوكياتهم (Forsyth,2012,p.17). تتداخل تفسيرات عدة في صياغة مفهوم الادراك بين كونه مجموعة معلومات او منبهات خارجية الى انعكاس لسلوك الانسان نتيجة هذه المنبهات وقد يمثل الادراك فعل بحد ذاته الا ان هذه التفسيرات تشترك في كون الادراك يرتبط بتصورات الذات الانسانية لمجموعة محفزات اجتماعية وبيئية وثقافية اثرت في سلوكه واستجابته ونظرت له حولها، اما فيما يخص موضوع البحث فأن الادراك يرتبط بالجانب البيئي لذا سوف يركز البحث على الادراك البيئي .

٦-١ الادراك البيئي (Environmental Perception)

وصف Martin Heidegger^{١٢} العلاقة بين الجسد والبيئة على انها "كائن حي": عملية تفاعل زمانية مستمرة بين الجسم (الموضوع) وبيئته (الأشياء) وهي واحدة من المدارس الرئيسية في فلسفة القرن العشرين والتقاليد المفاهيمية الأساسية التي تم استخدامها تاريخياً لربط الجسم البشري وردود فعله العاطفية والجسدية بالبيئة (Dosen etal ,2013,p.10). اي هناك علاقة متبادلة بين الفرد والبيئة المحيطة به فالأفراد في جوهرهم على علاقة وطيدة بالبيئة المحيطة وفي محاولة متواصلة لتوظيف مكونات البيئة المادية وتشكيلها وفقا لاحتياجاتهم الجسدية والنفسية والاجتماعية، وبرغم ما يبدو ان الافراد هم من يشكلون بيئاتهم إلا ان هذه التشكيل هو بالأصل مستوحى من البيئة نفسها (p.5 , Tidball 2012) ويمكن تفسر الادراك البيئي هو عملية يتم فيها استخلاص المعلومات من خلال

الحواس وتنظيمها وتفسيرها على إنها عملية تحدث بين الفرد والبيئة أن هذه المعلومات اساسية لفهم البيئة

المحيطة به والتي من المفترض أن يكون تصوره كانسان موجها إليها (plamer,2003,p.2). رغم من أن ادراك المعلومات المكانية يحدث من خلال حواسنا (الرؤية والسمع والشم والشعور) البصر (Porteous,1996,p.31) إي إن معظم الإدراك البيئي و تقييم المشهد العام ترتكز على البعد البصري لعملية الإدراك كأداة لتحديد جودة البيئة الطبيعية أو المشيدة (Maulan et al,2006,p.) وفيما يخص إدراك البيئات الطبيعية فإنه ظاهرة معقدة للغاية وتتضمن أكثر من مجرد إدراك للمحفزات المادية وكما موضح

(٨-١)



الشكل (٨-١) يوضح العلاقات المدركة بالحواس بين الانسان والبيئة

المصدر الباحثة بالاعتماد على (Porteous,1996,p١٧)

وفي وصف ذلك قال ^{١٣} Teale 1969 "تؤثر الطبيعة على أذهاننا كما يؤثر ضوء التصوير الفوتوغرافي على فيلم ما فبعض الأفلام أكثر حساسية من غيرها، وبعض العقول أكثر تقبلاً من غيرها" (shafer,2015,p. 2). اذ صنف ادراك البيئات الطبيعية الى صنفين وهو اعتقاد المجتمعات القديمة والآخر هو المفهوم الايكولوجي البشري حيث طالما شدد الافراد في المجتمعات التقليدية على حقيقة أن كل شيء في الطبيعة كان ولازال مترابط باعتقادهم أن كل ما يحدث هي نتيجة مباشرة أو غير مباشرة للأفعال البشرية والتي تتجاوز فهم الانسان وهذه المعتقدات هي جزء من ثقافة هذه المجتمعات أن يعاملوا الطبيعة باحترام دقيق من أجل تجنب العواقب الضارة وهذا التصور يشبه المفهوم الإيكولوجي البشري الذي تولد فيه الأفعال البشرية سلاسل من الآثار و يتردد صداها من خلال النظم الإيكولوجية والنظم الاجتماعية (Gerald,2008,p.122) وفي ذات السياق جادل ^{١٤} Buorassa أن ادراك البيئات الطبيعية من خلال مبدآن هما البيولوجي والثقافي المبدأ البيولوجي: أن "المتعة الجمالية في المناظر الطبيعية مستمدة من نظرية الاحتمالية والملجأ والمبدأ الثقافي: المتعة الجمالية مستمدة من منظر طبيعي يساهم في الهوية الثقافية والاستقرار "كمنتج لعمليات طبيعية أو تدخل بشري (Buorassa,1990,p.5) واستناداً إلى نهج ^{١٥} Scruton 1980 كيفية اختبار الأشخاص للمشهد والاستجابة له "ليس من المناسب التحدث عن جماليات الأجسام الفردية في المناظر الطبيعية (مثل المباني) دون أن يسأل كيف تساهم هذه الأشياء في كل منها (المناظر الطبيعية) التي ليست سوى أجزاء منها (Scruton, 1980, p.82). وخلص لما تقدم من تعريفات وتفسيرات للإدراك الانساني للبيئة الطبيعية سيتطرق البحث الى النظريات المفسرة للإدراك البيئات الطبيعية

٧-نظريات إدراك البيئة الطبيعية

رغم التغيرات وتطور البيئة الحضرية للإنسان فإنه لا يزال ينظر إلى البيئة الطبيعية على أنها تمثل قيم الراحة والمتعة التي تلعب دوراً محورياً على المستويين العاطفي والنفسي حيث تعبر هذه النظريات عن مدى تعلق وانتماء الناس بالطبيعة من خلال الإدراك والتفضيل، يعود سبب هذا الترابط أو الانتماء إلى الطبيعة هو مفهوم البايوفيليا الذي يختصر هذه العلاقة إلى تكيف الدماغ البشري والنظام الحسي للإنسان مع الطبيعة لفترة طويلة من الزمن (Beatley, 2017, p.2). ومن أهم هذه النظريات

أولاً: نظرية التحفيز (Arousal theory)

طور Berlyne¹⁶ عام ١٩٧٢ نهجاً لعلم النفس البيولوجي من خلال نظريته حيث كان مفهوم التحفيز جانباً رئيسياً في العديد من نظريات التعلم ويرتبط ارتباطاً وثيقاً بالمفاهيم الهامة الأخرى مثل القلق والانتباه إذ جاء الافتراض الأساس لنظرية الاستثارة أو التحفيز هو أن العوامل البيئية تؤثر على مستوى الإثارة في أدمغة البشر و لغرض الوصول إلى مستوى الإثارة الأمثل إما عن طريق تقليل أو زيادة كمية ونوع التحفيز الذي نتلقاه من البيئة. وفقاً لBerlyne تتضمن النظرية مفهومين رئيسيين وهي الاستثارة والاستجابة وحدد أربعة عوامل أطلق عليها "خصائص التلازم" والتي تحدد دوافع التحفيز (Moser.G, 2003, p.16)

التعقيد (تنوع العناصر في البيئة) الحدثة (وجود عناصر جديدة) عدم التناسق (مدى "سوء تطابق" واضح بين العناصر) مفاجأة (وجود ما هو غير متوقع) وحسب النظرية فأن هناك مستوى أمثل من المعلومات في محيط البيئة وأن كثرة المعلومات قد تكون مرهقة بالنسبة للفرد المتلقي والعكس قد يسبب الملل أي أن هناك مستوى تكيف حيث يكون فيه التحفيز البيئي في الدرجة المثلى للمتلقي وأن أي تغييرات في مستوى التكيف الفرد تنتج عنده استجابة سلبية (Galanter, 2010, p.5).

ثانياً: نظرية معالجة المعلومات (Information processing theory)

تهتم هذه النظرية بعوامل تنظيم البيئة بوصفها متغيراً مهماً لأنه يؤثر على درجة المنطق إذ تشير النظرية إلى أن المعلومات التي يستمدّها الفرد من البيئة تعتمد على محتويات ودرجة تنظيم البيئة فإذا كان التنظيم

البصري للمساحات متجانسًا في بيئة ما فهذا يشير إلى أنه لا يوجد شيء يحدث ضروري يستوجب التركيز عليه (Miller,et al.,2006,p.25) لقد وضع kaplan مصفوفة تفضيل تتكون من أربعة عوامل تؤثر على تفضيل وتقييم البيئة هذه العوامل هي: الاتساق والتعقيد والوضوح والغموض (Kaplan et al.,1998,p.12).

- ١- الاتساق: هو ترتيب وتنظيم عناصر البيئة يمكن تحقيقه من خلال تكرار المواضيع ولكن بدرجة تباين محدودة لتكون مؤثرة كما إن الاتساق يرتبط بإدراك البيئة بشكل كلي بدلا من إدراكها كأجزاء.
- ٢- التعقيد: يشير إلى درجة تنوع العناصر ضمن البيئة وكلما كانت البيئة أكثر تعقيدا زادت المعلومات التي تتضمنها ولا يجب الخلط بين الاتساق والتعقيد لان البيئة المتماسكة للغاية تكون معقدة للغاية.
- ٣- الوضوح: يدور حول التوجيه والاتجاه من حيث الشعور بالأمان. إنه يدور حول قراءة البيئة ومعالجتها. الوضوح يرتبط في إضفاء عامل الخصوصية على البيئة. قد تساهم العلامات المميزة أو نقاط الاتصال المركزية في زيادة وضوح البيئة كذلك كما أن الملمس مكون يرتبط بالوضوح.
- ٤- الغموض: هو عنصر التفضيل المتعلق بالاستكشاف إذ إنها تدور حول فهم المعلومات ويحفز عامل الغموض الأفراد القدرة للبحث والاستكشاف والتعرف على معلومات جديدة.

ثالثا: نظرية الاحتمالية (Prospect and refuge)

أصدر ^{١٧} Jay Appleton العديد من المنشورات تحت مسمى "تجربة المناظر الطبيعية" وفي عام (١٩٧٥) اقترح نظريته المشتقة من المفاهيم الداروينية البقاء للأصلح (نظرية داروين ١٩٥٨) وكانت من أهم التساؤلات التي طرحها Appleton "ما الذي نحبه في الطبيعة ولماذا نحبها" (Dosen etal,2,2013,p.10) إذ اقترح Appleton ان الافراد يدركون محيطهم البيئي من خلال مجموعة مفاهيم وأهمها حسب النظرية هو الامان والتي اعددها اساسا لنظريته الى جانب مستوى الرؤية والانغلاقية هذه العوامل تدعم الحاجة البيولوجية للإنسان التي يبحث عنها ضمن بيئته وتؤمن لعم كأفراد معرفتهم البيئية تأسست نظرية "Prospect-Refuge" على فكرة ان الافراد عن فرص من أجل: إدراك واكتساب

المعلومات المرئية ،واستكشاف البيئات وإيجاد الفرص (الاحتمال) والبحث عن: المأوى والحماية والبيئات التي يمكن للمرء أن يختبئ فيها (ملجأ)(Parsons,1991,p.7). من خلال ما تم التطرق اليه لمفهوم ادراك الانسان للبيئة الطبيعية يتضح ان علاقة الانسان بالطبيعة (البايوفيليا) يتحقق من خلال الادراك لبيئته ومحيطه وذلك يتم عن طريق ما تحققه البيئة من مفاهيم مختلفة كالتحفيز ودرجة التنظيم واحساسه بالأمان فضلا عن مدى تأمين البيئة الطبيعية لحاجة الانسان البيولوجية للإنسان وكما موضح في الشكل (١٨-٢) ولاستخلاص المؤشرات الخاصة بالبايوفيليا سيتطرق البحث لمجموعة دراسات تناولت علاقة الانسان ومدى ادراكه للطبيعة (البايوفيليا)

٨- مجموعة دراسات علاقة الانسان بالبيئة الطبيعية

حسب ما تم التوصل اليه على ان مفهوم البايوفيليا هو علاقة الانسان بالبيئة الطبيعية من خلال الادراك وبالتالي سيتم تحليل الدراسات وفق مفهوم البيئة الطبيعية والادراك من خلال الكشف عن هذه العلاقة لاستخلاص المؤشرات الخاصة بالبايوفيليا

اولا: Aesthetic and Affective Response to Natural Environment/Roger s. Ulrich/1983

تناولت هذه الدراسة العلاقة بين التأثير والسلوك والاستجابة العاطفية حيث ان التأثير أساسي للتجربة والسلوك تجاه اي بيئة سواء كانت طبيعية أو مبنية مكتظة او غير مأهولة حيث لا توجد افكار فعالة او ردود فعل واضحة اذا لم يكون هنالك معنى للتأثير وبالتحديد على اهمية تأثير الشعور العاطفي كتقييم لاستمرارية تفاعل الفرد مع البيئة الطبيعية اذ تُعرّف التأثيرات العاطفية على أنها ظواهر ثقافية فطرية متداخلة لها سمات قد تكون تعبيرية عصبية او نفسية ردود الفعل الجمالية والعاطفية على البيئة الطبيعية لا يكون مفهوما بأي عمق إذا تم التعامل معها كظواهر معزولة أن الاستجابات العاطفية متكيفة من حيث السلوك الكلي للفرد وترتبط ارتباطاً وثيقاً ليس فقط بالإدراك ولكن أيضاً بالنشاط والسلوكيات العصبية ومن جانب اخر فان الاختلاف بين الأفراد في ردود الفعل تجاه البيئات الطبيعية هو التباين الفردي ومن اهم

المتغيرات التي تؤثر على التباين الفردي العوامل الديمغرافية المرتبطة بالعمر والجنس والوظيفة, كذلك اهمية البعد الشخصي في التباين من حيث تقييم المخاطر او التفضيلات البيئية المتعلقة بالحفاظ البيئي او التخطيط البيئي هذه الاختلافات تؤثر على الاهمية المدركة للبيئة الطبيعية، وقد تفاوتت بشكل كبير جدا عبر مجموعة من الثقافات.

ثانيا : دراسة Schultz /Implicit connections with nature /2004

ركزت الدراسة على تفسير العلاقات تجاه البيئات الطبيعية من خلال تفسير¹⁸ المواقف البيئية على اساس نوعين من الاهتمامات حيث صنف الباحثون في هذه الدراسة ان هنالك الاهتمامات الانانية التي تركز على الذات واهتمامات تجاه المحيط الحيوي والتي تركز على جميع الكائنات الحية وكلان النوعين يعتمدان على درجة اعتقاد الافراد بأنهم جزء من الطبيعة والتي اطلق عليه حسب الدراسة لارتباط الضمني وهو شيء خارج الادراك الواعي للأفراد قياس لمدى ارتباط الافراد بالبيئة الطبيعية وتعزيز العلاقات بين هذه الروابط حيث استندت الدراسة الى¹⁹ نظرية السلوك التقليدية (VBN) لتقييم اهتمامات الافراد البيئية على اساس أبعاد ادراكية وعاطفية وسلوكية من خلال تحليل معتقدات الاشخاص عن مدى تقديرهم لأهمية العلاقات الانسانية الطبيعية وتأثيره في تشكيل القيم البيئية وبالتالي تؤثر على النوايا والسلوكيات التي يحملها الافراد حيث اجرت الدراسة اختبارا على ١٦٠ مشارك من جامعة ولاية كاليفورنيا لطلاب من قسم علم النفس باستخدام اختبار الارتباط الضمني (IAT) لقياس مدى ربط الفرد "للذات" "بالطبيعة"

ثالثا: دراسة N.N.Patricio / The environmental perception and behavioral approach / 2008 /in planning

تناولت الدراسة العلاقة ما بين الانسان والبيئة من خلال الادراك وعلى اساس هذا النموذج يعتمد سلوك صنع القرار مكانيا باعتبار ان الصورة الذهنية للبيئة من المحددات الاساسية للتأثيرات على سلوك الانسان اي انه هذه الصورة الذهنية تتأثر بمستوى ادراك الانسان لبيئته و من اهم محددات الادراك البيئي هو تكيف الناس في بيئاتهم من خلال ثلاثة عناصر التحفيز من البيئة والتي تتبعها عملية الادراك لتنعكس

على استجابة الانسان ومن اهم محاور الدراسة هو مسالة فهم تكيف الناس في بيئاتهم الى جانب توقيهم كأفراد مكانيا بمعنى فهم التشكيل المكاني للبيئة بما يعزز قوة الصورة المكانية للفرد اذ رسمت الدراسة نموذجا لعلاقة الانسان بالبيئة على اساس ثلاث مرتكزات رئيسة وهي الاستجابة (Response) والمحفز (stimuli) باعتبار ان المحفز يمثل البيئة (environment) والاستجابة هي السلوك الإنساني (human behavior) لهذا المحفز وما يحدث من عملية تداخل تتمثل بالإدراك.

رابعاً: دراسة Joanne vining / The distinction between humans and nature/ 2008/ سلطت الدراسة الضوء على تحليل وفهم تصورات الافراد وتأثيرها في تقييم البيئات الطبيعية ومدى ارتباطهم او انفصالهم عن البيئة الطبيعية في التأثير على هذا التصور من حيث القيم والسلوكيات البيئية، وكان اهم ما خلصت اليه الدراسة هو انه يجب التعامل مع الانسان والبيئة على كونهم كيان يعمل كلا منهما على تعريف الاخر بالعمل كمترابطة ان هذا البناء المعرفي يعطي وعي ودور اكبر لتضمين تصورات الناس تجاه البيئات الطبيعية اذا وحسب الدراسة يرتبط هذا التصور بالتفاعلات بين الانسان والبيئة وكيفية انعكاسه على تنظيم البيئة اذ اكدت اكدت الدراسة على مفهومي الاغتراب عن الطبيعة والتعايش مع الطبيعة والتي تعتبر أيضا انعكاس لتصورات الانسان لقيم الطبيعة وهو بحد ذاته انعكاس لمعتقدات ورغبات الانسان بين الانفصال والارتباط اذا من خلال استبيان اجرته الدراسة على مجموعة من المشاركين حول الافكار والمفردات التي تتبادر الى ذهنهم كأفراد تجاه البيئات الطبيعية وغير الطبيعية كذلك في حال يعدون انفسهم جزء من الطبيعة ام لا، فكانت حسب نتائج الدراسة ان (79%) من المشاركين قد يرو انهم جزء من الطبيعة الا انهم وفي جانب اخر يصفون البيئات الطبيعية كونها اماكن يغيب عنها التدخل البشري عليه خرجت الدراسة باستنتاج رئيسي حول ضرورة زيادة الوعي حول اهمية فهم الشعور والتصورات الانسانية تجاه البيئات الطبيعية.

خامساً: دراسة John H / Evolutionary influence on human landscape preference /

2009/ Falk

تهدف هذه الدراسة الى التركيز على فهم اسباب تفضيل البشر الفطري للبيئات الطبيعية حيث اجريت دراسة لثلاث مجموعات سكانية لتقييم بيئات مختلفة حضرية وريفية وطبيعية واذ اشارات البيانات في هذه الدراسة ان التفضيل البيئي للإنسان نوعا ما فطري تجاه البيئات الطبيعية مع مزيج من العوامل المعقدة (تفضيلات فطرية معدلة بواسطة الثقافات وعوامل الخبرة الشخصية المكتسبة اذ اكدت الدراسة على ان المحتوى المرئي لمشهد البيئة الطبيعية اكثر تفضيلا وقبولا لدى الفرد بغض النظر عن التعقيد وعوامل اخرى تضمنها البيئات الحضرية كما اوضحت نتائج الدراسة وحسب اجابات المتطوعين ان هذه التفضيلات ليست مطلقة كون ان المجتمع والفرد لديهم احتياجات ليست ذاتها في جميع الاوقات وان لهم متطلبات مختلفة والتي تؤثر على كيفية تفاعل الفرد مع البيئة.

سادسا: دراسة William C. Sullivan/ Perceptual Evaluation of Natural Landscapes 2014/

اكدت الدراسة ان التواصل مع الطبيعة من خلال الاعتماد على نوع المشهد البيئي ومستوى الالفة حيث ان هذا التواصل خاضع لتقييمات ادراكية عدة اهمها الاحساس بالطمأنينة من خلال درجة الانغلاقية والتماسك او التناسب التعقيد والوضوح مستوى الرؤية والتي تؤثر على تفضيلات المشهد البيئي للإنسان. يمكن ان نستخلص من الدراسات السابقة اهمية اعطاء قيمة للشعور الانساني في تحديد طبيعة التفاعل بين الفرد والبيئة كونه يؤثر على سلوكه وردود افعاله وهذا ما اكدت عليه دراسة Roger s. Ulrich وكما اكدت Schultz على اهمية تنمية البعد العاطفي لتعزيز المواقف البيئية الايجابية للفرد تجاه البيئات الطبيعية في حين اظهرت دراسة N.N.Patricio ان الصورة الذهنية تتأثر بطبيعة علاقة الفرد بالبيئة اما دراسة Joanne vining ان تفاعلات الانسان والبيئة تتأثر بمدى انفصال او ارتباط الانسان بالطبيعة والذي يحدد تصورات الانسان لقيم الطبيعة اما دراسة John H Falk فقد اكدت على ان تفضيل الانسان للبيئات الطبيعية فطري قابل للتعديل حسب مجموعة من العوامل بينما جاءت دراسة William C. Sullivan بان علاقة الانسان بالبيئات الطبيعية خاضع لتقييمات ادراكية وهذه التقييمات تؤثر على

مستوى الالفة تجاه بيئة الفرد وفيما يلي يتم توضيح اهم ما توصلت اليه الدراسات من مفردات لغرض استخلاص مؤشرات مفهوم البايوفيليا.

٩- مؤشرات مفهوم البايوفيليا

ناءً على ما تقدم تم استخلاص مجموعة مؤشرات مفهوم البايوفيليا والتي تمثلت بـ(البناء المعرفي العاطفي والانسجام مع الطبيعة ومؤشر التفضيلات البيئية والاستجابة السلوكية للبيئة ومؤشر التنظيم البيئي) وسيتم التطرق الى كل مؤشر بالتفصيل

اولا:البناء المعرفي العاطفي

هو "مدى شمول الفرد للطبيعة ضمن تمثيله المعرفي للذات" ويمكن وصفه كتقدير لقيمة جميع أشكال الحياة بأسلوب تسمو عن كونها مسخرة فقط للاستخدام الموضوعي للطبيعة لأغراض إنسانية (Zelenski JM 2013p 31) هذا لا يعني أن هذا التقدير هو نفسه بالنسبة لجميع الافراد لأنه بناء شخصي ومتعدد الأبعاد ومن هذه الأبعاد هي التأثيرات الشخصية والاجتماعية والمعتقدات والجوانب المعرفية والعاطفية والعوامل المستفادة والتجريبية طبيعة المجتمعات والتي تعمل معاً لتصنع هذا الترابط، حيث ان النظرة السائدة التي تتبناها اغلب المجتمعات وغالباً المجتمعات الصناعية هي أن الإنسانية منفصلة عن الطبيعة وحتى تفوقها اهمية (ViningJ,2008,p.47) بما اسهم بمزيد من الانفصال مع الطبيعة وجزء من التنشئة الاجتماعية اللاواعية لأجيال لاحقة من خلال تضاؤل فرص تجربة الطبيعة ومع ذلك لا يمكن لهذه التجارب ان تتلاشى بالكامل اذا ما تداخلت البيئة الطبيعية في هيكله البيئات الحضرية، وجادل Khan بهذا الخصوص قائلاً "بينما نبني مدن أكبر، فإننا لا ندرك كم وسرعة تقويض ارتباطنا بالطبيعة بالإشارة الى التوتر المتزايد بين الدور الضروري الذي يمكن أن تلعبه المناطق الحضرية في المجتمع وبين الجوانب الموهنة للمدن التي تفصل البشر عن العالم الطبيعي لينتج عن هذا الفراغ "فقدان ذاكرة الأجيال البيئية" (Mcmahan,2017,p.161).

ثانيا: الانسجام مع الطبيعة

في كثير من الادبيات ارتبط مصطلح الانسجام بالتوافق والتنسيق والوئام ليخلق التوازن والتوليف والهدوء والسكينة وبالتالي فان العيش في انسجام هو مرادف للصحة والرفاهية لذا أصبحت إعادة الربط بين الإنسانية والبيئات الطبيعية محور تركيز لكثير من المهتمين للبحث في اصول هذه العلاقة (١١, p, Perkins HE,2010) والتي يرسم حدودها تصورات الذات الانسانية حول كيف يمكن للفرد وعلى المستوى الشخصي ان ينسجم مع الطبيعة ضمن نطاقها الواسع ومن وجهة نظر اخرى فأن التعايش بانسجام مع الطبيعة يعزز من تطوير القدرات التكيفية مثل الابداع والوعي الذاتي والكفاءة الى جانب الاستقلالية والحيوية وعلى مستوى اخر فان العلاقة المتناغمة بين الافراد والطبيعة تزيد من احساسهم بالترابط المجتمعي والمكاني ويعرف البعض بأن الانسجام مع الطبيعة هو بمثابة إعادة تأهيل روح الانسان من خلال اتباع نمط حياة يحترم حقوق البيئات والموارد الطبيعية ولتعزيز الانسجام فإنه يمكن الاستفادة من ثقافة الشعوب القديمة كما وتتداخل مفاهيم اخرى لتحقيق التجانس مثل العدالة والانصاف بما يضمن الوصول العادل لجميع مكونات المجتمع للمساحات الطبيعية المشتركة التي توفر فرص لأفراد المجتمع للتفاعل وتطوير الشعور بالمجتمع وتطوير الكفاءة الفردية والمجتمعية (Cristancho,2004,p73).

ثالثا: التفضيلات البيئية

غالبا ما يشير مصطلح التفضيل الى ما هو انسب او امثل والاكثر نفعا وما هو اوفر وعلى مستوى بيئة الانسان المادية فأن التفضيل يخضع لتأثيرات عديدة منها الثقافة والتنشئة وعوامل التكيف مع الوقت وقد يتباين التفضيل من مجتمع الى اخر ومن بيئة لأخرى حسب عوامل جمالية او ظروف اقتصادية او ابعاد شخصية الانتماء والذاكرة وعوامل ديموغرافية مثل العمر والجنس كما وتأخذ كفاءة الاستخدام دور في تحديد هذه الافضلية مثل السكن اللائق و جودة الحي السكني التي قد تفتقر الى فرص للترفيه والراحة ،اما على مستوى التفضيلات بين البيئات الطبيعية والمبينة فقد اجمعت دراسات عديدة على ان انه كلما كان المشهد الحضري ذو محتوى طبيعي (عناصر طبيعية نباتات اشجار ماء) فإنه يظهر تفضيلا

ملحوظا مقابل بيئات حضرية لا تضم محتوى طبيعي بغض النظر عن متغيرات أخرى تؤثر على درجة التفضيل (Urban Sci, 2019).

رابعاً: الاستجابة السلوكية للبيئة

هو التفاعل بين الافراد وبيئاتهم الطبيعية والمبنية على مستويات مختلفة بداية من المحيط المحلي الى الاحياء السكنية ومستوى المدينة وحتى المستوى العالمي وتختلف التفاعلات باختلاف المستويات لتقييم تأثير البيئة على التجارب والسلوك والرفاهية البشرية وكذلك تأثير الافراد على البيئة اي العوامل التي تؤثر على السلوك البيئي وطرق تشجيع السلوك البيئي، ويعتبر (hellpach^{٢٠} ١٩١١) من اوائل من سلط الضوء على الجوانب النفسية للأفراد وعلاقتها بالبيئة مثل تأثير المنبهات البيئية (اللون ، الشكل، المساحة، درجات الحرارة) كما ركز أيضا على دراسة الظواهر الحضرية مثل الازدحام والافراط في التحفيز الى جانب تسميته لأنواع بيئات (البيئات الطبيعية ، الاجتماعية، التاريخية والثقافية) واصبح من المسلم به خاصة في بداية القرن العشرين ان سلوك الانسان هو احد الاسباب للمشكلات البيئية لذا توالت الدراسات في ايجاد طرق لتغيير سلوك الاشخاص لعكس هذه المشاكل البيئية مع الحفاظ بذات الوقت على رفاهية ونوعية حياة الانسان التي تمكنه من مواجهة الضغوطات البيئية التي يتعرض لها في حياته اليومية مثل (الضوضاء، الازدحام و جودة السكن، جودة الاحياء السكنية، الازدحام المروري)) (Alexander Coburn,2018, p.31).

خامساً: التنظيم البيئي

يرتبط استخدام مصطلح التنظيم بعدة مجالات وبشكل عام يمكن ان يشير الى كونه اجراء او هيكلية مجموعة علاقات او الى مجموعة افراد ، ويعتبر التنظيم عملية ديناميكية لتخطيط استخدام اشخاص او موارد او لتحقيق اهداف مختلفة ،وعلى مستوى المشهد الحضري فإن التنظيم يرتبط بعدة معاني مثل سهولة الوصول ودرجة الوصول المرئي ومستوى تعقيد التخطيط المكاني وفيما يخص العلاقة بين الانسان والبيئات الطبيعية والمشيدة فهو يشير الى درجة الملائمة والتطابق بين العناصر التي من صنع الانسان

في المشهد الحضري مع المحيطات الطبيعية لتمنح الفرد حالة من الانسجام او الاصطدام مع محيطه، حيث عادة ما يتم تغيير او تدمير العديد من العناصر او المناطق والمساحات الطبيعية التي تعطي المنطقة طابعها الفريد خاصة مع استمرار انتاج تقسيم الاراضي بطريقة تؤدي الى فقدان المناظر الطبيعية والمساحات المفتوحة ويساهم في ايجاد بيئات فوضوية، النمو الحضري (الرسمي وغير الرسمي) و علاقته بالمناطق الطبيعية المحمية (Saleh Al-Hathloul, 1999, p.201).

ان المؤشرات التي تم استخلاصها (البناء المعرفي والانسجام مع الطبيعة والتفضيلات البيئية والاستجابة السلوكية والتنظيم البيئي) لبيان مفهوم البايوفيليا هي مؤشرات ترتبط بأبعاد ذاتية وشخصية وجوانب نفسية ومتغيرات ثقافية واجتماعية وكون هذه المؤشرات غير قابلة للقياس فمن اللازم تحليل وترجمة هذه المؤشرات الى مفاهيم مكانية قابلة للقياس وكون البحث تطبيقي يعتمد الجانب المكاني التخطيط سيتطرق في محوره الثاني الى مفهوم المرونة الحضرية.

الاستنتاجات والتوصيات

الاستنتاجات:

١- دراسة العلاقة بين الانسان والبيئات الطبيعية من خلال مفهوم البايوفيليا يفسر علاقة الانسان بالبيئات الطبيعية انها عاطفة فطرية ليتبين من خلال مجموعة المفاهيم (البايوفوبيا والثقافة البيولوجية والتطور الجيني المشترك) ان هذا الميل او العاطفة تجاه الطبيعة خاضع لعوامل الثقافة والوراثة ورغبات واحتياجات الأُنسان

٢- علاقة الانسان بالطبيعة حتمية البيئة وتعود لتعترف بهيمنة الانسان على الطبيعة ومن ثم التوافق بين الانسان والطبيعة

٣- ان سلوك الانسان تجاه البيئة مبنى على ادراكه لقيم البيئات الطبيعية (القيمة السلبية، القيمة النفعية، القيمة الجمالية، القيمة الجمالية والقيم الاخلاقية والقيم البيئية والقيم الانسانية والرمزية)

٤- مفهوم الإدراك وحسب الدراسات فانه ظاهرة معقدة أكبر من مجرد كونه نقل المعلومات وتأثير لمحفزات خارجية وانما ارتبطت بجوانب شخصية وعوامل ثقافية واجتماعية

٥- إدراك انسان للبيئات الطبيعية يتحدد بمستويات ثلاثة هو مستوى الاثارة والتحفيز التي يتلقاها الفرد من بيئته والتي بدورها تتحكم بردود فعله والمستوى الثاني هو علاقة التنظيم البصري بتقييم الفرد للبيئة والمستوى الاخر هو المعرفة البيئية والتي ترتبط بعوامل مثل الامان والخصوصية ومستوى الوضوح انه هذه المفردات هي من تعكس إدراك الانسان للبيئات الطبيعية

التوصيات:

- ١- ان تعليم الطفل اهمية فهم حب الطبيعة يساعد في تهيئة مجتمعات تواجه مشاكل الحاضر
 - ٢- تنمية السلوكيات الايجابية ان الحفاظ البيئي مسئولية تتعزز بالتقاء وعي الفرد مع اجراءات وقوانين اصحاب القرار
 - ٣- التعامل مع العناصر الطبيعية على انها جزء لا يتجزأ من نسيج المدينة من خلال المزيد من اعمال التهذيب والتخضير والتضليل للساحات العامة والشوارع ومسارات المشاة.
- الهوامش:

١ Erich Fromm : ١٩٠٠-١٩٨٠ محللاً نفسياً ممارساً ومنظراً اجتماعياً امريكي استكشف التفاعل بين علم النفس والمجتمع عن طريق تطبيق مبادئ التحليل النفسي على علاج العلل الثقافية.

<https://www.britannica.com/biography/Erich-Fromm>

٢ Edward o Wilson : عالم الأحياء الأمريكي وأستاذ العلوم في ميلون مل وأميناً لعلم الحشرات في متحف هارفارد لعلم الحيوان المقارن.

<https://www.quantamagazine.org/edward-o-wilson-finds-hope-in-selfless-ants-and-ecology-studies-20190515/>

٣ Rene Dubos (١٩٠١-١٩٨٢) عالم ميكروبيولوجي امريكي درس في مجال الطب وعلم البيئة يعتبر من اكثر العلماء تأثير في القرن العشرين كان النهج البيئي الذي أدى إلى اكتشافه لأول مضاد حيوي هو الأساس لمسيرته كعالم طبي وخبير بيئي .

<https://www.asmscience.org/content/book/10.1128/9781555817565>

٤ Judith H Heerwagen: عالمة نفس تركز عملها على التأثيرات السلوكية والنفسية والاجتماعية والصحية لتصميم المباني والعمليات. والروابط بين صحة الإنسان والبيئة الطبيعية. وهي محررة مشاركة لـ Biophilic Design: Theory and Practice of Bringing Buildings to Life <https://hibr.nih.gov/member/judith-heerwagen>

٥ NiKos Salingeros: عالم فيزياء ورياضيات ومنظر معماري،. يدرّس في مدرسة الهندسة المعمارية بجامعة تكساس وهو أيضًا عضو في كلية الهندسة المعمارية في Università di Roma III ، إيطاليا. لقد كان أستاذًا زائرًا للهندسة المعمارية في جامعة ديلفت التقنية بالمكسيك. أحد الرواد الذين يحددون طريقة مبتكرة لتصوير عملية التصميم. مؤلف ستة دراسات عن الهندسة المعمارية والتصميم الحضري تُرجمت إلى ست لغات ، وكان في طليعة اشتقاق قواعد التصميم على نطاق الإنسان لبيئة مبنية مستدامة. <https://iaac.net/dt-team/nikos-a-salingeros/>

٦ Rocher S. Ulrich: أستاذ الهندسة المعمارية في مركز أبحاث بناء الرعاية الصحية في جامعة تشالمرز للتكنولوجيا في السويد ، و أستاذ مساعد في الهندسة المعمارية في جامعة ألبرج في الدنمارك. و المدير المؤسس المشارك لمركز النظم الصحية والتصميم في جامعة تكساس إيه آند إم ، وهو مركز متعدد التخصصات مقره بشكل مشترك في كليتي الهندسة المعمارية والطب. عمل كمستشار أول في بيئات رعاية المرضى لبرنامج المملكة المتحدة لإنشاء عشرات المستشفيات الجديدة <https://www.healthdesign.org/about-us/meet-team/roger-s-ulrich-phd-edac#:~:text=Dr.,in%20evidence%2Dbased%20healthcare%20design.>

٧ Stephen Kaplan: أستاذ علم النفس الفخري ، وأستاذ فخري للهندسة الكهربائية وعلوم الكمبيوتر ، بجامعة ميشيغان، حصل البروفيسور على درجة AB من كلية أوبرلين عام ١٩٥٧ ودرجة الدكتوراه من جامعة ميتشيغان عام ١٩٦٢، ركز في عمله على التفاعل بين الأداء البشري والآثار البيئية كان معروفًا بأبحاثه حول تأثير الطبيعة على علاقات الناس وصحتهم. ؛ وأثرت نظرية استعادة الانتباه في كيفية نظر محترفي المناظر الطبيعية والتصميم وغيرهم إلى علاقة البشرية بالطبيعة. <https://positivepsychology.com/attention-restoration-theory>

٨ Raymond Williams: (١٩٢١-١٩٨٨) مؤلفًا وأكاديميًا ومنظرًا ثقافيًا وناقداً أدبيًا ومفكرًا عامًا واشتراكيًا ، من أهم أعماله الثقافة والمجتمع (Culture and Society) (١٩٥٨) والثورة الطويلة (The Long Revolution) (١٩٦١) <https://raymondwilliams.co.uk/about-raymond-williams/>

٩ اتفاقية المناظر الطبيعية الاوربية (European Landscape Convention): تم اعتماد اتفاقية المناظر الطبيعية الأوروبية في فلورنسا (إيطاليا) في ٢٠ أكتوبر ٢٠٠٠، وتهدف إلى تعزيز حماية وإدارة وتخطيط المناظر الطبيعية الأوروبية وتنظيم التعاون الأوروبي بشأن قضايا المناظر الطبيعية. أول معاهدة دولية تهتم حصريًا بجميع أبعاد المشهد الأوروبي. وهي تنطبق على كامل أراضي الأطراف وتتعلق بالمناطق الطبيعية والحضرية وشبه الحضرية ، سواء على الأرض أو المياه أو البحر. Déjeant–Pons, M. (2006). *Landscape Research*, 31(4) 363–384.

١٠ Leucippus فيلسوف يوناني ازدهر في القرن الخامس قبل الميلاد ، اول من استبدل التفسيرات اللاهوتية والخرافة لظواهر بتفسيرات مادية طبيعية و تسبب اليه نشأة نظرية الذرية والذي يفترض فيها الماديون والحمطيون بأن العالم مصنوع بالكامل من المادة ، وأنها تتكون من أنواع من الجسيمات غير المرئية التي يمكن دمجها لتكوين كل الأشياء المرئية وخصائصها وسلوكياتها وكانت العناصر الأساسية بالنسبة لعصرهم - الأرض والماء والهواء والنار)

<https://www.informationphilosopher.com/solutions/philosophers/leucippus/>

١١ Spinoza: فيلسوفًا هولنديًا من القرن السابع عشر من الفلاسفة الذين حاولوا ابعاد الدين عن الخرافات والاساطير

<https://www.theschooloflife.com/thebookoflife/baruch-spinoza>

١٢ Martin Heidegger: فيلسوف الماني (١٨٨٩-١٩٧٦) اكثر الفلاسفة أصالة وأهمية في القرن العشرين، ساهم تفكيره في مجالات متنوعة مثل الفينومينولوجيا والوجودية والتأويل والنظرية السياسية وعلم النفس كما أن الاعتبارات السياسية قد طغت على عمله الفلسفي <https://iep.utm.edu/heidegge>

١٣ Teale: عالمًا طبيعيًا ومصورًا وكاتبًا أمريكيًا من اهم مؤلفاته الغاية المفقودة (١٩٤٥) و الخزانة الخضراء (١٩٥٢)

<https://blogs.lib.uconn.edu/archives/tag/edwin-way-teale-papers>

١٤ Buorassa : رئيس قسم التخطيط الحضري والإقليمي في جامعة فلوريدا - امريكا ٢٠١٥ وعضوًا في هيئة التدريس في الجامعة الوطنية الأسترالية وجامعة سيدني وجامعة أوكلاند وجامعة ممفيس و زميل في مدرسة Weimer للدراسات المتقدمة في العقارات واقتصاديات الأراضي في معهد Homer Hoyt. وهو عضو في مجالس تحرير خمس مجلات أكاديمية <http://science.fau.edu>

١٥ Sir Roger Scruton Obituary: فيلسوف وكاتب ومفكر سياسي ذو آراء مثيرة نشط في مجالات الجماليات والفن والموسيقى والفلسفة السياسية والهندسة المعمارية دافع عن المفاهيم المرتبطة بالحفاظ على الطبيعة

<https://www.theguardian.com>

١٦ Daniel Ellis Berlyne (1924-1976) كان عالماً نفسياً بريطانياً وكندياً. عمل في عدة جامعات في كل من كندا والولايات المتحدة. كان عمله في مجال علم النفس التجريبي والاستكشافي. ركز بحثه على كيفية تأثر الأشياء والتجارب بالفضول والإثارة وتأثيرها عليهما <https://www.sapere.it/enciclopedia/Berlyne%2C+Daniel+Ellis.html>

١٧ ١٧ Jay Appleton: عالم الجغرافيا البريطاني (١٩١٩-٢٠١٥) اقترح نظرية المواطن "Habitat"

١٨ حسب الدراسة فان تفسير لكلمة مواقف جاء ليشير الى الحكم التقييمي للفرد تجاه كيان معين

١٩ تفترض نظرية VBN (قيمة - اعتقاد - معيار) للبيئة أن القيم تؤثر على السلوك المؤيد للبيئة من خلال المعتقدات المؤيدة للبيئة والمعايير الشخصية. قدمت بعض الدراسات دعماً لهذه النظرية في شرح السلوك المؤيد للبيئة في أوروبا وأمريكا اللاتينية.

٢٠ Hellpach willy: طبيب نفسي الماني واستاذ في علم النفس (١٨٧٧-١٩٥٥)

[/https://pubmed.ncbi.nlm.nih.gov/15624264](https://pubmed.ncbi.nlm.nih.gov/15624264)

المراجع:

- 1-Fromm. Erich. , " The anatomy of human destructiveness " ISBN0-03-007596-3 Published. 1974 , in Canada by Holt, Rinehart and Winston of Canada. Limited
- 2-Gao, Jie, and Ros McLellan. "Using Ryff's scales of psychological well-being in adolescents in mainland China." *BMC psychology* 6.1 (2018): 1-8.
- 3-Gazzola, Patrizia, and Elena Querci. "The connection between the quality of life and sustainable ecological development." *European Scientific Journal* 13.12 (2017): 361-375
- 4-Ginn, Franklin, and David Demeritt. "Nature: a contested concept." *Key concepts in geography* (2009): 300-311.
- 5-Gintis, Herbert. "Gene-culture coevolution and the nature of human sociality." *Philosophical Transactions of the Royal Society B: Biological Sciences* 366.1566 (2011): 878-888.
- 6-Gordon R.Lewtiwaite., "Environmentalism And Determinism A Search For Clarification" Accepted 12 Apr 1965, Published online: 15 Mar 2010

- 7-Gößling-Reisemann, Stefan, Hans Dieter Hellige, and Pablo Thier. "The Resilience Concept: From its historical roots to theoretical framework for critical infrastructure design." (2018): 79
- 8-Grill-Spector, Kalanit. "The neural basis of object perception." *Current opinion in neurobiology* 13.2 (2003): 159-166.
- 9-Hamilton, W. A. H. "Resilience and the city: the water sector." Proceedings of the Institution of Civil Engineers-Urban Design and Planning 162.3 (2009):
- 10-Hartig, Terry. "Three steps to understanding restorative environments as health resources." 163-179 Open space: People space (2007):
- 11-Holtorf, Cornelius. "Embracing change: how cultural resilience is increased through cultural heritage." *World archaeology* 50.4 (2018):
- 12-https://www.globalhealthrights.org/wp-content/uploads/2014/06/Stockholm_Arabic.pdf
- 13-J. Schleicher et al. "Poorer without It? The Neglected Role of the Natural Environment in Poverty and Wellbeing". Sustainable Development Sust. Dev. 2017 Published online in Wiley Online Library (wileyonlinelibrary.com) DOI: 10.1002/sd.1692.
- 14-Jana Krcmarova. , " E.O.Wilson's concept of biophilia and the environmental movement in the USA" published in <http://www.Klaudyan.cz> Volume 6/2009, No.1-2, pp. 4-1
- 15-Jeremy Gibberd , " Social Resilience in Urban Areas"., Proceedings 11th Built Environment Conference 6th August – 8th August 2017 Social Resilience in Urban Areas Durban, South Africa ASOCSA2017
- 16-Kaplan, Stephen. "The restorative benefits of nature: Toward an integrative framework." *Journal of environmental psychology* 15.3 (1995): 169-182.
- 17-Keles, Ruşen. "The quality of life and the environment." *Procedia-Social and Behavioral Sciences* 35 (2012): 23-32.

18–Knox, Paul L., and Sallie A. Marston. *Places and regions in global context: human geography*. Pearson International 7ed ISBN 1292109475. 2015.

19–Konijnendijk, Cecil. "Between fascination and fear–The impacts of urban wilderness on human health and wellbeing." *Socialmedicinsk tidskrift* 89.3 (2012): 289–295.

20–Kubovy,M., et al."A Century of Gestalt Psychology in Visual Perception." *Psychological Bulletin* 138 (2012): 6.

21–Kun Wu and Zhensong Wang . , " Natural Philosophy and Natural Logic " .*Philosophies* 2018, 3, 27; doi:10.3390/philosophies3040027

بنية المكان في الموشح الأندلسي

دراسة في كتاب ديوان الموشحات الأندلسية تحقيق الدكتور سيد غازي

أ.م.د. زهراء نعمة حسن

الباحثة فاطمة يونس عبيد

كلية التربية للبنات/ جامعة الكوفة

المقدمة:

تشكل البنية المكانية أهمية كبيرة داخل البناء السردي، فوجود المكان داخل القص أمر ضروري يعرف القارئ على الأماكن التي ترسخت في ذاكرة السارد ومدى ارتباطه بها، فبنية المكان ضرورية للسارد؛ لأنها تصور الوجود المادي والجغرافي للأحداث والشخصيات وباقي العناصر الأخرى للسرد. وفي ضوء ذلك تطرق البحث إلى وجود هذه البنية داخل الموشحات الأندلسية، ومدى تأثير الوشاحين بالأماكن في الأندلس ولهم ذكريات جميلة أو موحشة يسردونها في بنائهم القصصي، فكان الوجود المكاني وتوظيفهم له ووصف هذه الأمكنة سواء طبيعية فسيحة كالرياض وغيرها أو مكان اجتماعي محدد أو مكان صوفي، فجاء البحث لتحديد هذه الأمكنة وتواجدها داخل البناء السردي للموشح وتفاعلها مع العناصر الأخرى للسرد.

المكان لغةً واصطلاحاً:

المكان لغةً:

لقد ذكر صاحب المحيط: ((ومعناه الكون: الحَدَثُ يَكُونُ بين الناس، ومصدر الفعل من كان يَكُونُ كالكَيْنُونَةِ، والكائِنَةُ: الأمرُ الحَادِثُ، والمكانُ: اشْتِقَاقُهُ من كانَ يَكُونُ))⁽¹⁾.

وجاء في لسان العرب مادة (مكن): ((لأنه موضع لكَيْتُونَة الشيء فيه.. والمكانُ الموضع، والجمع أمْكِنَة كَقَدَالٍ وَأَقْدَلَةٍ، وأما كُنُ جمع الجمع))^(٢)، وهذا يدل إن معنى المكان في اللغة هو الدلالة على الحدث والخلق والوجود والاستقرار.
المكان اصطلاحاً:

يعرف المكان بأنه: ((وسط مثالي، متميز بظاهرية أجزائه، تتمركز فيه مداركنا، وتاليا يتضمن كل الفضاءات المتناهية))^(٣)، ويرى (باشلار) ((إن المكان لا يمثل صوراً مرسومة كالكلمات بل إن المكان ما كان مؤثراً في مخيلتنا وأحاسيسنا))^(٤).
وقد عده أحد الباحثين: ((بمثابة العمود الفقري لأي نص بدونه تسقط تلقائياً العناصر المشكلة له))^(٥)، أي إن وجود المكان في السرد مهم لاستكمال العناصر الأخرى له.
-أهمية المكان:

يشكل المكان أهمية كبيرة وعنصراً فاعلاً له اثره في البناء السردى، فهو ((يمثل محوراً أساسياً من المحاور التي تدور حولها نظرية الأدب))^(٦)، فهو من اهم عوامل التجربة الأدبية وعلى الأديب أن يضع المكان في عمله الإبداعي بصورة تشحن الواقع شحنات مختلفة عن المشاعر والأجواء النفسية^(٧).

فالمكان عنصر شكلي وتشكيلي بارز الحضور في العمل الأدبي^(٨)، فهو ((ليس عنصراً زائداً في الرواية، فهو يتخذ أشكالاً ويتضمن معاني عديدة، بل لأنه قد يكون في بعض الأحيان هو الهدف من وجود العمل كله))^(٩)، فهو يترجم النص الأدبي إلى واقع فعلي معيش عن طريق قدرة الأديب على رسم أبعاده ومدى إبداعه في ذلك^(١٠).

والمكان آلية مهمة يستعملها الشاعر والأديب لتشكيل القصائد ورسمها، والمكان ((عندما ينتقل من مداره الواقعي الحياتي العادي إلى مداره الفني الروائي أو الشعري، يمر من خلال أنفاق متعددة نفسية

وأيدولوجية وفنية، لكي يصل إلى المدار الفني التشكيلي^(١١)، أي وصف المكان داخل النص الشعري يضيف على النص أبعاد نفسية واجتماعية تساعد على فهم العناصر الأخرى. إن المكان في الأدب له مستويات موضوعية عن قصد، وأبعاد مختارة عن فكر ولغة مبنية عن إحساس دقيق^(١٢)، فهو ((بؤرة الارتكاز المشعة والموحية بحركة الحياة))^(١٣)، وقد ذهب البعض إلى إن المكان الأدبي ليس مكاناً طبيعياً أو واقعياً، بمعنى أنه مكان متخيل حتى وإن اخذ من الواقع^(١٤). وللمكان أهمية بالغة في أي عمل أدبي (شعراً أو نثراً)، فهو ((يتولد عن طريق الحكاية، وهو الذي تتحرك فيه الشخصيات أو يفترض أنها تتحرك فيه))^(١٥)، وتظهر أهمية وتأثيره في ضوء علاقته ببقية العناصر الأخرى، إذ تقديم المكان في العمل الأدبي مع العناصر السردية تعطي شكلاً فنياً يعمل على خلق متعة للمتلقي ((مما يقود بالتالي إلى تعميق العلاقة بين النص والمتلقي))^(١٦). علاقة المكان بالعناصر السردية الأخرى:

المكان عنصر أساسي ومهم من عناصر السرد، فهو جزء فاعل في الحدث وخاضع خضوعاً كلياً له^(١٧)، فالمكان هو المحيط الذي تدور فهي العناصر الأخرى للسرد وتتفاعل في داخله، فلم يعد إطاراً يحتوي الحدث أو حلقة تزيينية مهمتها تأطير المكان بالجمل^(١٨)، بل اكتسب قيمته عبر اندماجه بالعناصر السردية الأخرى (الحدث، الشخصية، الزمان، الحوار)، اندماجاً لا سبيل إلى فصله^(١٩).

فعند البحث عن علاقة المكان بالشخصية فهي تبدو جلية واضحة فالبناء المكاني لا يتشكل في النص إلا من خلال اختراق الأبطال له^(٢٠)، فهو ((يعكس حقيقة الشخصية))^(٢١) من حيث ((إن المكان في الفن هو كناية عن قاطن هذا المكان))^(٢٢)، لهذا أن المكان في أحيان يفقد كثيراً من صفاته الواقعية ويتخلى عنها ليكون جزءاً من تجربة الشخصية فيضيف أو يتسع حسب اللحظة النفسية التي تمر بها^(٢٣).

كما أنه يدخل في علاقة مباشرة مع الحدث، فهو عنصر من العناصر المكونة للحدث، بل إن مجرد الإشارة إلى المكان تجعلنا ننتظر قيام حدث ما^(٢٤)، فالمكان هو الفضاء أو الخلفية التي تقع فيها الأحداث السردية^(٢٥).

وعلاقة المكان بالزمان مهمة فلا تكتمل قيمة الحدث الفنية بدونها^(٢٦)، ويطلق عليها الفضاء السردى ويعني بها وجود الذات الساردة في مكان وزمان يحددان طبيعة النص ويؤثران تأثيراً مباشراً على الدلالة الخاصة به؛ وهذان العنصران المكونان للفضاء مع وجود الذات يتحد موقفهما طبقاً لطبيعة العلاقات التي ينشؤها السارد في النص^(٢٧)، ومن النادر جداً وجود سرد يخلو من الزمان والمكان، فمن المستحيل أن نفكر في زمن ومكان خاليين من السرد، فلا يمكن أن نلغي الزمان والمكان من السرد^(٢٨).

فعلاقة المكان بالعناصر الأخرى للسرد مهمة لاسيما الزمان لكونهما يشكلان الفضاء السردى للنص الأدبي، ووجود أحدهما يساعد على وجود الآخر ضمن البناء السردى.

فالمكان هو ((الرحم الذي يتفاعل فيه الفرد الاجتماعى بكيانه ووجدانه، كما بإمكانه إبراز مختلف الأنشطة والسلوكيات الاجتماعية التي تعاقبت على، وارتبطت خصائصها به))^(٢٩)، بمعنى إن المكان هو المحيط لبقية العناصر الأخرى.

-أنواع الأمكنة:

تعددت الدراسات وتتنوع حول أنواع الأمكنة لدى الباحثين، فمنهم من قسمها على أمكنة ثابتة ومتغيرة، وآخر رأى أنها نوعان أمكنة جاذبة وطاردة، ومنهم من رأى أنها أمكنة مبهمة ومعينة وأخرى مغلقة ومفتوحة... وهكذا^(٣٠)، فاختلاف أنواع الأمكنة لدى الباحث المعاصر حسب مادته السردية وحسب الاتجاهات التي يتبعها.

ويرجع بعض الباحثين التعدد في الأمكنة داخل النص السردى إلى ((أن تغير الأحداث وتطورها يفرض تعدد الأمكنة واتساعها أو تقطعها...، لذلك لا يمكننا التحدث عن مكان واحد في الرواية بل إن صورة المكان تتنوع حسب الزاوية النظر التي يلتقط منها))^(٣١)، هذا فضلاً عن تجربة الإنسان الشخصية التي تساعد على تحديد المكان وخاصيته، ف ((الإنسان بحركته وفعله هو الذي يشكل المكان ويقيم أعمده))^(٣٢)، أي وجود الشخص هو الذي يوجد المكان وكافة العناصر الأخرى للسرد. وإن التقسيم الشائع لدى الباحثين والدارسين في عناصر السرد وخصوصاً بنية المكان هو تقسيم الأمكنة إلى أليف ومكان معادي، لكن يجب التنويه أن في الواقع لا يوجد مكان أليف ومعادي للإنسان، وإنما يعتمد على تجربته النفسية والاجتماعية مع المكان والحوادث التي عايشها، فقد يكون المكان لدى شاعر ما أليف ويرتبط معه بذكرى جميلة ولدى شاعر آخر مكان معادي ترتبط معه ذكرى موحشة أو مؤلمة، فقد تكون الأحداث في هذا المكان موضع راحة واطمئنان لدى السارد أو موضع قلق وخوف لديه^(٣٣)، فقد يكون مكان ما أليف في نفس الشاعر لكن بمرور الزمن أصبح معادياً أو العكس، بالاعتماد على تجربة الشاعر (السارد) ذاته.

وكما ذكر أن لكل دارس في عناصر السرد يتخذ التقسيم للأمكنة حسب طبيعة النص الذي يتناوله، وإن طبيعة الموشحات الأندلسية قد فرضت تقسيم خاص في التعامل معها، فالمكان الواحد قد يتخذ سمات عدة أحياناً أليف وأحياناً أخرى معادي وفي موضع آخر مغلق وموضع آخر مفتوح... وهكذا، وإن التعامل مع أنواع الأمكنة في داخل الموشحات الأندلسية تم حسب مسمى المكان.

وهذا الأمكنة في الموشحات قد تكون مفتوحة (الحدائق، والبساتين، والرياض،..)، أو محددة (كالأطلال، كالديار، البيت،...)، وكون هذه الأمكنة ذاتها أليفة أو معادية حسب تجربة الشاعر معها، والأحداث التي ترسخت في ذاكرته.

١- الطبيعة:-

طبيعة الأندلس كانت ولا تزال معروفة بأنها أفضل بقاع الله خصبة وخضرة، حباها الله سحراً وجمالاً، فكانت منبع لوصف المشاهد الجميلة والرائعة فيها، من رياض وبساتين وخلجان وأنهار، فقد كانت مصدراً للإلهام عند الشعراء بما تحويه من مناظر خلابة^(٣٤).

ويرى أحد الدارسين:- ((وهم - يعني الأندلسيين - أشعر الناس فيما كثره الله تعالى في بلادهم وجعله نصب أعينهم من الأشجار والأنهار والأطيار والكؤوس، لا ينازعهم أحد في هذا الشأن))^(٣٥)، لذلك لا بد أن يكون الشعر عندهم تجسد للواقع الذي يعيشوه، إذ إن الشعر نوع من المحاكاة، وهي ليس محاكاة طبق الأصل ولكنها محاكاة تسعى إلى الجمال والأجمل، والأكثر متعة للنفس الشاعرة والآخرين، فالشاعر في محاكاته للأشياء من حوله يستطيع أن يتلمس مواطن الجمال فيصوغها صوراً شعرية خالدة تولد لدى المتلقي اللذة والمتعة^(٣٦).

ولقد كان الطبيعة التي ذكرها الوشاحون متنوعة ولكن الأغلب التي استولت على موشحاتهم الأندلسية هي الرياض فضلاً عن الخلجان والأنهار والأزهار والبساتين وجلسات شرب الخمر في الطبيعة وغيرها.

أ- الروضيات:

لقد كان وجود الرياض ووصفها عند الوشاحين الأندلسيين أمراً طبيعياً لتأثرهم بالبيئة التي عاشوا فيها، والتي عمدها الشعراء في شعرهم لأن الشعر محاكاة للواقع أو قريب منه، و ((الشاعر الأندلسي لم يحصر رؤيته عند زهرة أو نرجسة، وإنما كان في الغالب يستوعب المنظر الطبيعي كله، فيتحدث عن الأوراد وألوانها والأزهار وأريجها وعن النهر الذي ينبطح وسطحها كسيف أو كأفعى، وعن الأشجار وظلالها الممتدة فوق المياه وسقط الندى على الأغصان وقد يشرك في لوحته المطر والبرد والغيوم والكواكب والنجوم، فالقطعة الشعرية تضم أكثر من صورة تتألف وتتلاحم بصورة فنية لتكون اللوحة الأم))^(٣٧).

وهذه الروضيات كما يلحظ قد وجدت بكثرة ومسيطرة على أغلب موشحاتهم بسبب تأثرهم الكبير بالبيئة التي ولدوا فيها، وكانت ذكرياتهم وأحداثهم ضمن هذه الرياض، وفيما يأتي مختارات كانت لوشاحين كان الرياض مكاناً أساسياً لسرد أحداثهم وذكرياتهم.

وهذا (ابن لبون) قد عمد إلى الوصف المكاني للرياض، لكي يشعر القارئ أنه يعيش في عالم الواقع لا عالم الخيال، فتقدم المكان بتفاصيله الدقيقة ومظهره الحق^(٣٨)، إذ يعمد إلى وصف الطبيعة والرياض والرياح ينقق القارئ بالذاكرة إلى أماكن جميلة يحاكيها، إذ يقول^(٣٩):

| | | | | |
|---------|------|-------------|----------|--------------|
| أهْدِي | لك | رِيًّا | هَبوبُ | النسيم |
| فُحَّتْ | | الْحُمَيَّا | تُجَلِّي | همومي |
| تُدَار | | عَلَيَّا | كَمَثَل | النجوم |
| في | روضٍ | نَضِيرِ | يُزْهِى | بغدير |
| بالريح | | تَزْرُدُ | فَبَدَا | سيفاً مجرداً |

فهنا وصف الرياض وحدد الرياض بالرياح والغدير كوصف يدخل القارئ معه إلى الجمال الذي يعيش فيه.

و(ابن الصيرفي) كذلك عمد إلى الوصف المكاني للرياض عند لقائه بالمحبوبة، إذ إن الوصف مع المكان أساسي جداً ((لأن المكان الذي يسكنه الشخص مرآة لطباعه، فالمكان يعكس حقيقة الشخصية، ومن جانب آخر فإن حياة الشخصية تفسرها طبيعة المكان الذي يرتبط بها))^(٤٠)، فالمكان يصف الشخصية ويصف الحدث ويجعل من القارئ قريباً من المؤلف ومرتبلاً معه نفسياً وفكرياً، إذ يقول^(٤١):

| | | | | | |
|---------|----|-----------|-----------|----------|---------|
| طلعتُ | من | مبايِمِ | الزَّهْرِ | نُزْهُةُ | الأعينِ |
| وانتنتُ | عن | سُلَافَةِ | الْفَطْرِ | أعْطُفُ | الأغصنِ |

يا صَباً نَبَهْتُ مع الفجرِ نَفْحَةَ السَّوْسِنِ
 بسلامِ الحبيبِ أَقْبَلتِ فحْذِي مضمري
 ثم أوبى عليه سُلْمتِ فاذكري واذكري

فلنحظ وصف الشاعر للمكان بصورة جميلة ورائعة تتم عن قدرته في توظيف المكان في شعره أولاً وفي البناء السردي ثانياً.

وهذا (ابن الصيرفي) قد عمد إلى مزج شرب الخمر وجلسة مع المكان الفسيح والواسع في الرياض ووصف جمال الطبيعة إذ يقول^(٤٢):

أَسْقِنِهَا على رياضِ رِياضِ
 إِنَّمَا العيشُ والسُرورُ
 مِن المِلاخِ وَجَناتِ
 وشربِ راحِ نَثْمِ خَدِّ

قَهْوَةٌ تَنفِي الهُمومِ كَلَمًا شَجَّهَا المِزاجِ
 كَلَّلَ الشمسِ بالنجومِ في سماءِ مِن زجاجِ
 اسقني بآبنةِ الكرومِ كَرَمِ النفسِ بآبتهاجِ
 ليس من شربها اعتياضُ ومِن الهَمِّ يُستراخِ
 بكنوسٍ لها تدورُ في غُبوقٍ أو اصطباجِ

وإن اعتماد الوشاحين الأندلسيين وصف الخمر ومكان الخمر ولونه وساقية الخمر ليس بالجديد، إذ عرف هذا النوع من مطالع القصائد بالخمريات التي عرفت في العصر الجاهلي، فقد كانت من الطبيعي تأثر الشعراء في الأندلس بهذا التقليد في البدء ((بالخمرة وأوصافها، مروراً بأوانيتها وأشكالها، ورجوعاً إلى مواطنها وكرمها ووصفها لمجالسها وما تضمنه من سقاة وندمان وغناء ولهو وطرب))^(٤٣)، وهذا يدل على تأثر الأندلسيين بالخمريات ومطالعها في القصيدة الجاهلية، وكما ذكر من

الارتباط بين المكان والزمان وكون السرد يكتمل بوجودهما، فإن اقتران الزمان بالمكان يعد شكلاً من أشكال الواقع الفعلي^(٤٤)، و((اقترانهما في الأدب يعد سمة أساسية فيه، وخصيصة من خصائص فن الحكيم))^(٤٥)،

كما يلحظ في الموشحات السابقة واعتماد الشعراء الطبيعة والرياض كثيرة في موشحاتهم فهو ((كالقاعدة أو العامل الكيميائي المساعد في القصيدة الأندلسية، فهو فاتحة القصيدة))^(٤٦)، أي إن اعتمادهم على وصف المكان في مطالع قصائدهم ليؤكد ما جمال الطبيعة الأندلسية والرياض وما تحويه من مناظر خلابة يحاكيها الشاعر في قصائده، ومن الوشاحين (ابن علي) الذي جعل من الطبيعة والزمان أساس ومنطلق لأحداثه إذ يقول فيها^(٤٧):

حَيَاكَ بِالْأَفْرَاحِ دَاعَى الصَّبَاحِ فَمُ لاصِطْبَاحِ
فَالنَّوْمُ فِي شَرْعِ الْهَوَى لَا يَبَاحِ

والصَّبْحُ قَدْ جُرِّدَ مِنْهُ حُسَامٌ بَادِي الْقَسَامِ
تَضْحَى وَجْهُ الزَّهْرِ مِنْهُ وَسَامٌ ذَاتَ اتْسَامِ
وَحَامٌ جُنْحَ اللَّيْلِ قَدْ عَادَ سَامٌ مِمَّا يُسَامِ
وَخَافِقُ الْبَرْقِ قَدْ بَدَأَ بِالنِّيَاحِ سَامِي اللَّيَاحِ
وَأَدْمَعُ الْمُزْنِ بِهِ فِي انْسِيَاخِ

وَالرَّوْضُ مِنْ ذَاكَ الْهَتُونِ الْبَلْبِلِ ظِل ظَلِيلِ
يَغْدُو نَسِيمُ الزَّهْرِ مِنْهُ عَلِيلِ يَشْفِي الْغَلِيلِ
وَسَاجِعُ الْبَلْبِلِ يُبْدِي أَلْيَكِ عَلِي خَلِيلِ

لَمَّا رَأَى تَلَكَ الْفِيَاضَ الْفِصَاحَ وَصَاحَ
وَكَادَ يُزْرَى بِالطَّيُورِ الْفِصَاحَ غَنَّى

فهنا كما يلحظ قد اعتمد الوشاح منذ مطلع قصيدته لرسم الأحداث على المكان والزمان معا، فكانت الرياض والبيئة الأندلسية عنصراً مساعداً للشعراء على سرد الأحداث والاسترجاع بذاكرتهم لينقل لنا فضاء يحاكي ما يعيشه، فكان التلاحم بين العناصر السردية مع المكان واضحاً في النص، فيلحظ وجود عنصر الزمان إلى جانب المكان بالأفاز (الصباح - الصبح - الليل - النوم ...) وقد تفاعلت هذه الأفاز مع الوصف المكاني للرياض بقوله (شرع الهوى - الروض - نسيم ازهر) و كلها الفاز تشير إلى الرياض الفسيحة التي جرت فيها الأحداث، فهنا ربط ((المكان أو الأمكنة التي تقع فيها المواقف والأحداث المعروضة))^(٤٨)، وفي الأحداث استرجاع الوشاح لذكرياته مع الحبيبة في وقت الصباح وحتى الليل في أرض فسيحة تزهر بالزهور والبلابل والطبيعة الجميلة فكان الوصف الزماني والمكان وربطها بالأحداث جعل البناء السردى متلاحم الأجزاء لتربط عناصره داخل النص.

ب- الأنهار والخلجان:

لقد كانت الأنهار والخلجان والمائيات بصورة عامة، من المشاهد التي وقف أمامها الشعراء وكانت لهم ذكريات وأحداث مهما، فكان نقلهم إليها إما مباشراً أو نقلاً مفعماً بالمشاعر النفيسة والروحية ((خاصة تلك الأنهار الكثيرة الوفيرة الماء السلسالة التدفق تحيي موات الأرض، مشرقاً ومغرباً، شمالاً وجنوباً، فترقد الأرض بالخصب والعطاء ناهيك بالأودية المترعة الخضراء التي كانت تشيع على ضفاف الأنهار، وقد تنبه الشعراء الأندلسيون إلى هذه الأنهار وتأثروا بها، فسجلوا صوراً للطبيعة بديعة النسيج عذبة الجرس، ساحرة اللون))^(٤٩).

كانت الأنهار والخلجان صوراً فنية رائعة واكبها الشاعر وتأثر بها وسرد معها الأحداث التي مر بها فيها، فوجود هذه الأنهار والخلجان امر طبيعي من مظاهر الطبيعة الأندلسية.

وهذا (ابن بقي) يضيف حدث مكاني في الخليج في ليلة سوداء حالكة الظلام ولا نور فيها سوى البدر إذ يقول^(٥٠):-

| | | | | | |
|--------|---------|--------|---------|--------------------|----------|
| وليلة | بالخليج | والبدر | قد | ألقى | شعاع |
| عليه | فهو | بهيح | وفلأنا | تجري | سراع |
| أحسن | بها | من | سروج | علي | اندفاع |
| بحر | إذا | مد | كاد | من كثرة الفيض يكون | * طوفانا |
| أحشاؤه | في | اصطفاق | إن جردت | خيل النسيم | فُسانا |

عمد الوشاح لنقل حدث تجسد فيه الزمان والمكان معاً لضرورة وجودهما في الحدث، إذ وجودهما ((الزمان والمكان عنصران رئيسان يشكلان الفضاء الذي تتبلور فيه اللغة الأدبية وغالباً ما يكونان متلازمين في العمل الواحد))^(٥١)، إذ إن المكان والزمان من الأبعاد المهمة التي تسهم في هيكله القصيدة الشعرية^(٥٢)، إذ وجودهما في النص يساعد البناء السردي للشاعر على وصف الأحداث والأزمنة والأمكنة ويقرب الرؤية الفكرية للشاعر وما مر به إلى المتلقي.

وهذا (ابن مهلهل) قد وصف النهر والمكان الذي جرت فيها الأحداث مشابه فيها ما ذكره ابن بقي من ذكره النهر والنسيم والرياض القريبة من النهر إذ يقول فيها^(٥٣):

| | | | | | |
|-------|-------|--------|-----|-------|--------|
| النهر | سَلَّ | حُساما | على | قُدود | الغصون |
|-------|-------|--------|-----|-------|--------|

| | | | | | |
|---------|------|--------|---------|------|---------|
| وللنسيم | مجال | | | | |
| والروض | فيه | اختيال | | | |
| مُدَّت | عليه | ظلال | | | |
| والزهر | شق | كما | وَجْداً | بتلك | اللُحون |

أما ترى الطيرَ صاحاً
والصبح في الأفقِ لاحاً
والزهَرَ في الروضِ فاحاً
والبرقَ ساقَ الغماما

تَبكى بدمعِ هُتُونِ

يلحظ هنا مدى تأثر الشاعر بالمكان، إذ إن علاقة المكان بالشاعر ((واحد من الخلق يعيش في مان يؤثر تشكيله وبنائه، ويؤثر هذا المكان في أدق تفاصيل حياة الشاعر، وأهم تشعباتها فلا جرم أن نجد انعكاسات كثيرة ودلالات مختلفة لهذا التأثير والتأثر بين الإنسان الشاعر ومكانه))^(٥٤)، فهنا وظف الشاعر مفردات الطبيعة لوصف المكان، وهذه الألفاظ تمثلت في (النسيم، الروض، الزهر، الطير، البرق....)، كانت هذه المفردات مساعدة للوشاح على تصوير وصف المكان الذي جعل النهر فيه بطلاً يسيل الحسام على الأغصان، وكانت الطبيعة ومفرداتها مهيمنة على النص السردى من أجل تقريب الفكرة إلى المسرود له.

ج- البساتين:

إن الرياض والبساتين من الأماكن المفتوحة التي لها وجود عميق في ذكريات الشعراء وتأثرهم بها، لما فيها من جمال ورونق أثر على نفوسهم بصورة جميلة من حيث المناظر والألوان الزاهية. وممن اعتمد على وصف الطبيعة والبساتين في سرد أحداثه الوشاح (ابن زمرك) فقد اعتمد الوجود المكاني في سرد أحداثه، إذ يقول في وصف البستان وجماله، في موشحته^(٥٥):

نَواسِمَ البُستانِ تَنُثرُ سِلكَ الرِّهْرِ
والظِّلِّ في الأغصانِ يَنظِمُهُ بالجَوهِرِ

| | | | | |
|-------------|--------------|----------|----------|---------------|
| وراية | الإصباح | اضاء | منها | المَشْرِقُ |
| تَنْشُرُهَا | الأرواح | فلا | تزال | تَخْفِقُ |
| والزهرُ | فاخ | له | عيونُ | تَرْمُقُ |
| فَأَيِّقُظُ | النَّدْمَانُ | تُبْصِرُ | ما | لَمْ يُبْصِرِ |
| جواهر | الشَّهْبَانُ | قد | عُرِضَتْ | لِلْمَشْتَرَى |

فيلحظ هنا الوجود المكاني للطبيعة ووصفها من مطلع الموشحة، فقد وصف المكان وجماله بألفاظ الطبيعة الخلابة لرسم أحداثه وهذه الألفاظ تمثلت في (البستان - الزهر - الطلل - الأغصان) فقد وظفها الشاعر لتصوير المكان للقارئ لكي يساعده على تخيل المكان معه، وقد كان للوجود الزمني أثر في مساعدة الوشاح على السرد المكاني بتحديدته في وقت الصباح بقوله (الاصباح) فرسم المكان والزمان الأثر الكبير للحدث في ذاكرة السارد.

وكان (التطيلي) قد عمد إلى وصف المكان وجعل من مجلس اللهو والشرب مكانه الفسيح في رسم أحداثه، إذ يقول^(٥٦):

| | | | | | |
|-------|--------|--------------|--------|---------|----------|
| حُتَّ | الكؤوس | رَوِيَّةُ | على | رُؤَاءِ | البساتين |
| مِنْ | قهوةٍ | بَابِلِيَّةِ | أَرْقَ | من | دمعٍ |
| | | | | | محزونٍ |

فقد جعل لمجلس الشرب في البساتين وجوداً أساسياً لسرد أحداثه ووصف مجلس اللهو والشرب مع النديم والغزل بالساقية.

٢- المكان الاجتماعي:

وهو المكان الواقعي المحدد او المفتوح يكون للسارد فيه ذكريات وأحداث قد عاشها فيه، وهو بدوره يتمثل في الموشحات الأندلسية في:

أ- الدار أو المنزل:

هو المأوى الذي يضم الأسرة بداخله، فهو ((أكثر من منظر طبيعي، إذ هو حالة نفسية))^(٥٧)، فالدار أو البيت هو السجل الذي يضم مشاعر الإنسان وحياته بداخله^(٥٨).

فالدار هو ((يحتوينا وينام فينا، وفي الوقت نفسه يمثل الأرض، أي تحويل بقعته الصغيرة إلى كون شامل))^(٥٩)، فالدار أو البيت هو مكان مغلق وله دور كبير وفاعل في الجانب النفسي للشاعر، فله ذكريات معه كثيرة وهو في الغالب يكون لديه موطن راحة واطمئنان فهو ((ركننا في العالم، إنه كما قيل مرارة، كوننا الأمل، كون حقيقي بكل ما للكلمة من معنى، ...، والبيت هو واحد من اهم العوامل التي تدمج أفكار وذكريات وأحلام الإنسانية، فبدون البيت يصبح الإنسان كائنا مفتتتا، فالبيت جسد وروح وهو عالم الإنسان الأول))^(٦٠).

فالدار أو البيت بهذا المعنى هو موضع لدى الشاعر لذكرياته الجميلة مع دوافعه النفسية من ذكريات الطفولة أو علاقته بالإسرة، ولكن قد يكون هذا البيت لدى البعض هو موضع مؤلم لذكريات حرب نفسية في داخله أو موضع فراق فيه فيكون بمثابة المكان المعادي ولا يعني إن البيت أو الدار يعاديه ولكن ذكريات الشاعر في منزله و خلجاته النفسية عند ذكره كانت ذكرى مؤلمة وموحشة ((فكلما زاد التشويش في المكان زاد شعور المرء بأنه لا فائدة من عمله شيء، وهنا تواجهنا حلقة شريرة أو سلم حلزوني، حيث تؤدي الفوضى إلى إرهاب الإرادة، ويؤدي إرهاب الإرادة إلى فوضى اكثر))^(٦١). وممن كان الدار ذكرى في نفسه الوشاح (ابن عبادة) الذي كان لذكرى الحبيبة ودارها موضع في نفسه لتلك الأيام، إذ يقول^(٦٢):

| | | | | | |
|---------|------------|-----------|--------------|-------|----------------|
| أهوى | حبيباً | دنا | رقيبهُ | مِنْ | دارِهِ |
| يَمْنَع | أَنْ | يُجْتَنَى | مَنْهُ | جَنَى | أَزْهَارِهِ |
| يَا | جَنَّةً | لِلْمَنَى | تُحَفَّ | | بِالْمَكَارِهِ |
| رِيح | الْجَنُوبِ | أَنَا | الْمِصْطَلَى | | بِنَارِهِ |

فبلغى التسليم
 ولتسعدى واحش
 في طى وهج * يا جنوب * سلمت
 يلقي الحبيب * خوف الرقيب *
 فاصمت

فهنا ذكره للفظه المكان (داره) والهاء تعود على المحبوبة وعلى دارها وأن نزول القريب في دارها قد اعاد الذكريات للدار عند السارد، وأنه يسترجع بذكرياته معها في الدار وقد حن إليها لسكن رقيب قريب عليه من دار المحبوبة فكان الدار موضع لذكرى جميلة في نفسه لأيامه معها، فكان المكان في البناء السردي له أثر فاعل في رسم أحداثه.

فالمكان (البيت) الأليف هو الذي عاش فيه الشاعر وتآلف معه وغمره بالدفء والحماية، واصبح كل ركن مادة خصبة لذكرياته العملية^(٦٣)، ولكن هذه الدار أو المنزل قد تكون موطن لذكريات مؤلمة في نفس الشاعر عند سردها، كما في موشحة (ابن بقی) عندما تذكر (ديار الخل) وكانت هذه الذكرى للدار موضع الم نفسي وشعوري في داخله، إذ يقول^(٦٤):

| | | | | |
|-------------|-----------|----------|-----------|-------------|
| أَجْرَتْ | لنا | من | ديارِ | الخلِّ |
| رِيحُ | الصِّبا | | عَبْرَاتِ | الدُّلِّ |
| — | | | | |
| هَبَّتْ | هُبُوبَ | الصَّنَى | في | بَدْنِي |
| وَهِيَجَّتْ | ما | مَضَى | مِنْ | شَجْنِي |
| تُهْدِي | تَحِيَّةَ | | مَنْ | عَدْبَنِي |
| جَوَى | على | كَبِدِي | | المَعْتَلِّ |
| وكان | يوم | النَّوَى | في | حَلِّ |

فهنا كانت الذكرى لديار الخل كما قال الوشاح (السارد) موضع ألم في نفسه، ففي تذكره لها هيجت في داخل ذكرى الفراق والعذاب البكاء الذي مر به على فراق الأحبة، وقد حدد (يوم النوى) ويعني به يوم الفراق وكيف كان لهذا المكان والديار موضع ألم في نفسه. وهكذا كانت المنزل أو الدار يحوي إشارات في كونه أليف أو معادي في نفوس الشعراء حسب ذكرياتهم وحالتهم النفسية والشعورية التي تربطهم بالمكان.

ب- المدن:

وهي الأماكن التي تحتل موقعاً معيناً في الواقع أو في التأريخ القديم، وقد تأخذ حيزاً في كتب البلدان والتواريخ^(٦٥)، وهذه الأماكن قد تجمع بين التأريخ والواقع، لذلك يتجلى أقوى ارتباط بين الزمان والمكان فيه^(٦٦).

وهذه الأماكن كان لها وجود متنوع في الموشحات الأندلسية وفي نفوس وشاحيها، فكانت لهم ذكريات مع المدن ببعديها التاريخي والاجتماعي عند سرد ما جرى لهم من حوادث قد تتعلق بتلك المدن التي عاشوا فيها أو سعوا بها لارتباطها بالجانب التاريخي، وهي ذكريات ترتبط بنفسية الشاعر وذكرياته في هذه الأماكن فقد تكون مؤلمة (معادية) أو أليفة (مؤنسة)، فكان لكل شاعر ذكريات له في هذه المدينة أو تلك يسرد فيها أحداثه وتؤثر فيه ومما يوجد في موشحاتهم من مدن حقيقية لها وجود في الأرض الجغرافية ك (نجد ، المدينة المنورة، اشبيلية، غرناطة،...).

ومن الأماكن الحقيقية التي كان لها أثر في نفوس الشعراء وفي الموشحات الأندلسية خصوصاً هي مدينة "نجد"، هذه المدينة التاريخية التي ارتبطت بذاكرة الشعراء وكانت لها أحداث معها، ومن الوشاحين الذين كانت لهم ذكرى ووجد وشوق وألم في نفوسهم لمدينة نجد هو (ابن رحيم)، إذ يقول^(٦٧):

نسيمُ الصِّبا أقبلُ من نجدِ

| | | | | |
|----------|---------------|------------|-------------|----------|
| لقد | زادني | وَجَدًا | على | وَجِدْ |
| يا | رِيحَ | الصَّبَا | بالله | داريني |
| بَعْرِفِ | شَذِي | مِسْكَ | دارين | |
| وَوُصِفِ | رَشَاءً | بِالهِجْرِ | يِيرِينِي | |
| وَسَلْ | بِاللَّوِي | عَنْ | كُثْبِ | يِيرِينِ |
| هَلْ | اسْتَوْحَشْتُ | بِالنَّأَى | وَالْبُعْدِ | |
| وَمَا | صَنَعْتُ | بِتِنَّةٍ | مِنْ | بَعْدِي |

فهنا الوشاح (السارد) يسرد لنا شعوره النفسي وذكرياته عندما اقبل نسيم (نجد) فتتذكر أيام الصبا والشباب وتذكر واسترجع بالزمن إلى هجران الحبيب له وبعده عنه، فكانت ذكرياته في هذا المكان ليس موضع راحة في نفسه وإنما قلق وألم لتلك الذكريات، وهو يتذكر برياح (نجد) فراق الحبيبة والحنين لتلك الأيام كما يقول (الصبا) بمعنى أيام شبابه في هذه المدينة كانت ترتبط عنده بذكرى في فراق الحبيبة ولوعة البعد عليه، وإن الحنين في الشعر إلى الديار قديم قدم الإنسان، وقدم مطامحه والمناسبات التي تتحكم في الحنين قديماً هي ظعنًا وإقامة^(٦٨)، وإن حنين الشعراء كان غرض موجود منذ القدم عند الشعراء في العصور القديمة للموشحات ((وللشعراء إنما أغراضهم التي يسدون نحوها، وغاياتهم التي ينزعون إليها، وصف الديار والآثار، والحنين إلى المعاهد والأوطان،...))^(٦٩). ومن الأماكن التي لها وجود واقعي ذكرت في الموشحات الأندلسية هي ارض طيبة (المدينة المنورة) التي كان لها وجود أرحب في نفوس الشعراء خصوصاً الشعراء المتصوفة بسبب حبهم للرب يجعلهم يتشوقون لرؤية الرسول الأعظم وقبره، فكان ذكرهم لقبر الرسول (ص) والروضة المطهرة بالنور والعبير رمزاً للإسلام والهداية والراحة النفسية التي تقرب من الذات الإلهية.

وممن كانت لأرض طيبة موضع ذكرى جميلة وحنين إليها وشوق إلى زيارتها هو شاعر المديح النبوي (ابن الصباغ) الذي استرجع ذكره إلى أيامه بأرض طيبة (المدينة المنورة) وشوقه إليها وحنينه في الرغبة إلى العودة إليها أو قد يكون سمع بها ولم يزرها، فكانت ذكرى جميلة وأليفة في داخله، إذ يقول (٧٠):-

| | | |
|------|--------|-------|
| بأرض | طيبة | معهد |
| شوقى | إليه | مُجدد |
| — | | |
| هل | لي | الطول |
| من | زورة | ومقيل |
| يا | قبر | رسول |
| متى | يراك | فيسعد |
| صد | ببعديك | مكمد |

فهنا الشاعر (السارد) قد استرجع بذاكرته إلى الشوق و الحنين لأرض طيبة وأيامه فيها أو يكون سمع بعظمة هذه المدينة وتاريخها العريق، وكانت الألفاظ الدينية واضحة في النص التي تدل على المكان (ارض طيبة - الطول - زورة - قبر خير رسول - ...)، فكلها الفاظ استعان بها الوشاح من اجل سرد ذكره في هذا المكان المقدس وشوقه وحنينه اليه، ومن التقليد الذي اتبعه الشاعر هو الوقوف على الأطلال في مقدمات الموشحات الأندلسية، وهو تقليد قديم وجد عند الشاعر الجاهلي في القصيدة القديمة، كان يقف على الديار وعلى الأطلال، فكان الطلل بالنسبة للشاعر القديم المتنفس الذي يستطيع فيه الشاعر أن يعبر عن مكونات النفس (٧١)، فالطلل في الوعي العربي هو التجديد الأول للانتماء المكاني الذي هيمن على العقل العربي (٧٢).

فقد كان في الوقوف على الأطلال عند الشاعر القديم هي مكان لتذكر الأيام والأصحاب والحببية وغيرها وموضع ألم ووجع لدى الشاعر، فلا يشترط أن يكون الوقوف على الأطلال في ذاكرة الشاعر، يشير لوقت سعيد وصحبة نعم بها في ذلك المكان^(٧٣)، وإنما قد يكون موضع الوقوف على الطلل ألم في نفسه لما يهيجه من شوق إلى الأحباب.

كان الشاعر في الأندلس متأثراً بهذا التقليد ولكنه على الرغم من تأثره بالشعر المشرقي حاول الخروج في بعض الأحيان عن ((العرف السائد بالوقوف على الأطلال في مطالع القصائد واستهلوها بشعر الطبيعة))^(٧٤)، فكان الشعراء في الأندلس متأثرين بدرجة كبيرة بالشعر المشرقي ولكنهم حاولوا أن يرسموا لهم طريقاً خاصاً في نظمهم القصيدة، فالأندلسي ((بقي عربياً في ثقافته وفي تراثه كان دائب التطلع إلى المشرق يحن إلى أرومته ويتشوق إلى مهد عروبه ولكنه بات يشيد لنفسه كياناً متميزاً وحضارة باذخة مبهياً بذلك قومه المشاركة))^(٧٥)، ولكنه على الرغم من محاولته للاستقلال بكيانه عن الأدب المشرقي فقد تأثر به وبمقدماته لا سيما الوقوف على الطلل كما نجد عند (ابن الصباغ) وغيره ((وصار الطلل في أغوار النفس شقوقاً وأخايد يحتضرها سيل الدهر احتضاراً، فتجسس منها الأحاسيس، وقد اترعت حزناً وهماً))^(٧٦).

وبذلك تكون الأطلال ترتبط بالاستمرار والخصوبة للأحداث والمواقف لدى الشعراء وتعلق المكان في ذاكرتهم^(٧٧)، وفي موشحة أخرى له يقف على الديار، بقوله^(٧٨):

| | | | | | | | |
|------------|----------|---------|--------|--------|----------|--------|--------|
| قِفْ | بالديارِ | واعتبرْ | إِنْ | كُنْتُ | مِنْ | أَهْلِ | العبرِ |
| وانظرْ | لها | وازدجرْ | فإنَّ | فيها | | | الأجرْ |
| كم | مَعْلَمٍ | قد | دَنَرْ | فلم | يَبِينُ | منه | أثرْ |
| تَبْكِيه | وَرُقْ | القَلا | وفى | بُكا | الحمائمِ | | أشجانْ |
| فَلَننتدبْ | للطلا | | ففى | فؤادِ | الهائمِ | | أحزانْ |

فهنا الشاعر يبدأ موشحته بالوقوف على الديار وذكر الأطلال بقوله (قف بالديار) فكان مقلدا للشاعر المشرقي، وكان في تناوله للمكان الطللي وسرده مع العناصر الأخرى للبناء السردى ذو حكمة، فهو ينصح من يقف على الديار والأطلال يتذكر من كان فيها ويعرف بأن لا شيء يدوم وكل شيء زائل ولم يبقَ إلا استمرارية ذكرياتهم لهذه الديار وكل من في الديار رحل، فهو في حنين لتلك الديار وتلك الأيام ولكن لم يجد سوى آثار الديار للاحبة، فكانت الموشحة بمطلعها واعتمادها المكان الطللي جزءاً مهماً وعنصراً أساساً في سرد ما يريد أن يقوله الوشاح من زهد وحكمة، فمقدمة القصائد ((هي المنطقة الخالصة لصوت الشاعر وحضوره لغة وتعبيراً من أي جزء آخر في القصيدة))^(٧٩)، لأن المقدمات والمطالع هي التي تجذب القارئ لما يريده الشاعر من حديثه والمعاني والأفكار والأحداث التي يريد من المتلقي الاندماج معها.

وكذلك من المدن الجميلة التي كان لها حضور واسع في قصائد شعرائها هي (غرناطة)، فقد أولعوا الأندلسيون كثيراً بطبيعتها وكانوا يتصدرون قصائدهم بوصف طبيعة البلاد، فكان وصف الطبيعة غرض مستجد في اغلب قصائدهم وموشحاتهم.

وإن ذكرهم لغرناطة وسردهم لأحداثهم فيها ووصف طبيعتها واحتفاظ ذاكرتهم بصور لها في مخيلتهم، لكونها حاضنة للفكر والشعراء والأدب، فكانت تحمل عادات اجتماعية محببة في مجتمع غرناطة كالصدق والعدل والتكافل واحترام الغريب^(٨٠).

وكذلك ممن وصف غرناطة وجمال طبيعتها ونسيمها العليل الوشاح (ابن زمرك)، في مطلع موشحته^(٨١):

| | | | | | |
|--------|-------------|-------|----------|----------|-----------|
| نسيمٌ | غَرْنَاطَةٌ | عليُّ | لكنه | يُبْرئُ | العليلُ |
| وروضها | زَهْرُه | بليُّ | ورَشْفُه | يَنْقَعُ | العَلِيلُ |

فهنا الوشاح (السارد) يصف المكان في غرناطة وجماله وجمال الرياض والأزهار فيها، فبهذه المناظر أبدع الأندلسيون في وصفها وسرد أحداثهم فيها، فكانت الطبيعة الخلابة تفرض عليهم أن يصفوا جمالها ((استطاع الأندلسيون أن يستخدموا الطبيعة من خلال جر المياه إلى الحدائق، وبناء البرك، وكان لهذا اثر واضح في الشعر...، فقد استعانوا بهذا العامل الطبيعي في جميع أبواب الشعر من مدح وثناء وغزل وفخر لا سيما الغزل))^(٨٢)، وهذا المعنى يدل على تأثر الشعراء في الأندلس بالمكان وكانت لهم قصص يسردونها داخل هذه الطبيعة الخلابة، وكان استعمالهم للطبيعة والمكان في الغزل فهم لا يذكرون الحب إلا في أحضان الطبيعة، وبهذا يمنحون غزلهم لوناً بهيجاً من الجمال تقدمه الطبيعة^(٨٣)، لاسيما طبيعة الأندلس.

ومن الأماكن الأخرى والمدن التي كان للشعراء فيها ذكريات جميلة يسترجعونها في شعرهم هي (إشبيلية)، فتميزت بطبيعتها الزاهية ((فالنهر وما يحف به من أزهار عقد نفيس يتألف في جيد إشبيلية، والجل من ورائها كأنه تاج معقود على رأسها، ترصعه في أعلاه ياقوتة الشمس البديعة))^(٨٤)، ومن هذا المنطلق كان الشعراء والوشاحون يصفون مناظرها ولهم فيها ذكريات وأحداث لا تنسى، فأحد الوشاحين يصفها بالعروس، إذ يقول^(٨٥):

| | | | |
|---------|-------|---------|-------|
| إشبيلية | عروس | وبعلها | عباد |
| وتاجها | الشرف | ويسلكها | الواد |

هنا يشبه (إشبيلية) بالعروس في جمالها، فالتصوير هنا تحفة شعرية يؤكد الجمال فيها، ويتحدث عنها وكأنها شخص يملك صفات الجمال، فكانت هذه المدينة رمزاً للحب والعشق ((إن إشبيلية عروس بلاد الأندلس، لأن تاجها الشرف وفي عنقها سمط النهر الأعظم، وليس في الأرض أتم حسناً من هذا النهر، ...))^(٨٦)، وهنا تجسيد لما قاله الوشاح عنها صورة طبق الأصل لها، وهنا الوشاح جعل من صورة إشبيلية ووصفها هي الشخصية الرئيسية عنده.

وهكذا كان للمكان أثر كبير في البناء السردي عند الوشاحين، فهو عنصر مهم من عناصر السرد لأنه يمثل الوجود المكاني لبقية العناصر من أحداث وزمان وشخصيات وحوار فكل ما يجمع هذه العناصر هو المكان، فكان بمثابة الأم الحاضن لهذه العناصر تجري على أرضه، وكان إلى جانب الزمان خصوصاً كعنصر مترادف معه بما يسمى (الزمكانية) واضحة في الموشحات الأندلسية لجأ إليها الوشاح والشاعر عموماً ليقرب القارئ للنص في أحداثه وشخصه، فكان للمكان أثر فاعل في البناء السردي داخل الشعر عامة والموشحات خاصة، خصوصاً في إطار الوصف المكاني ونقل تأثيرهم بالمكان إلى المتلقي (المسرود له).

٣- المكان الصوفي:

إن المكان عند الشعراء المتصوفة فيه اختلاف للحدود المفهومية للمكان في عقيدتهم، فللمكان عندهم ((المنزلة في البساط، لا تكون إلا لأهل الكمال؛ الذين تحققوا بالمقامات والأحوال وجاوزها إلى المقام الذي فوق الجلال والجمال، فلا صفة لهم ولا نعت))^(٨٧)، فالمكان عندهم فضاء مفارق على ما هو متعارف عليه، فكان الصوفي يرى في الوجود والمكان ((جوهر مبثوث في الوجود كله، لذلك لا تحده الجهات، بل الجهات تصدر عنه، ولا يحيط به المكان، بل هو الذي يحيط بالمكان))^(٨٨)، وكل هذا يعود إلى خيال الصوفي على قدرته في اختراق نواميس وحدود المكان لأن؛ القدرة على الخيال عند الصوفي يجعل إبداع المكان ((يعمل ما يراه العقل محالاً))^(٨٩).

يتضح إن المكان الصوفي يشكل نموذجاً جمالياً يحيل إلى حركة اللاوعي الداخلي؛ إذ يعيد الإنتاج عبر الخلق والتخيل والإبداع، فطبيعة الوعي الصوفي تحدد الحدود الجغرافية للمكان فانتقلت من الوجود الطبيعي إلى الوجود الديني حتى الانتهاء بالوجود العرفاني نتيجة ربطه بالذات الإلهية التي تجعل من وجود الشاعر المتصوف غاية التفكير والتذكر والإدراك للذات الإلهية في الوجود المكاني^(٩٠).

وممن تبني هذا الوجود الصوفي هو (ابن عربي) الشاعر المتصوف، الذي كانت موشحاته في الذات الإلهية ومحاولة التقرب منه بكل وسيلة منها الطبيعة، إذ وجد فيها دلالات على قدرة الخالق وإبداعه، إذ يقول في إحدى موشحاته^(٩١):

| | |
|---|----------------|
| دَخَلْتُ فِي بَسْتَانٍ * الأَنْسِ وَالْقَرَبِ | أَمْكُنِسُهُ |
| فَقَامَ لِي الرِّيحَانُ * يَخْتَالُ مِنْ عُجْبِ | فِي |
| أَنَا هُوَ يَا إِنْسَانُ * مُطَيَّبُ الهَبِّ | فِي |
| جَنَانُ يَا جَنَانُ * اجْنِ مِنَ البَسْتَانِ | اليَاسَمِينِ |
| وَحَلَّ ذَا الرِّيحَانُ * بُرْمَهُ الرِّحْمِ | لِلْعَاشِقِينَ |

فهنا الشاعر رأى في الوجود المكاني دلالة على قدرة الذات الإلهية، وقد ظهر الحب الإلهي لديه في ضوء وصف الطبيعة التي أوجدها الرحمن، فهو يرى كل ما في الوجود لله بقوله: ((وقد ثبت عند المحققين أنه ما في الوجود إلا الله، ونحن إن كنا موجودين فإنما كان وجودنا به، ومن كان وجوده بغيره فهو في حكم العدم))^(٩٢)، فهذا نموذج للشاعر الذي يخوض تجربة صوفية مع الرب، فهو يرى كل ما في الوجود لله ويتجسد فيه الذات الإلهية، ومثل هذه العلاقة وحالتها النوعية المثلى لا توجد عند أي فرد، لأن التصوف تجربة روحية قوامها الغنى و ((تجريد الوجد))^(٩٣).

يرى ابن عربي في الوجود المكاني في شعره وجود للذات الإلهية وهو يقترب من المكان للتقرب من الذات الإلهية روحياً ونفسياً فهو ((لم يكن ينشد الجميل بل الجمال، لقد تطلع بنظره النقي إلى ما وراء الأشياء، إلى سرها المكنون))^(٩٤)، فالحب الإلهي عنده يتمثل في الموجودات وهذه الموجودات هي الطبيعة الخلابة التي أوجدها الله في أرضه، فالوجود في حقيقته وجوهه عند ابن عربي شيء واحد^(٩٥)، فعنده الله والعالم كينونة واحدة، وكل ما في الوجود ما هو إلا صورة تدل على وحدة الله تعالى.

لذا كان ابن عربي يذكر الطبيعة بكثرة في شعره ويتقنن في وصفها والتقرب منها، لأن الطبيعة جزء مهم في العرفانية الصوفية، فهو يجد في مفردات الطبيعة الوجود الإلهي ففي ذكره (البساتين - الريحان - الياسمين...) فكلها مفردات الطبيعة وظفها ابن عربي في موشحته لأنه يجد فيها الوجود الإلهي والفضاء الأرحب للتقرب من حب الذات الإلهية، فالصوفية ومنهم ابن عربي يبحث في سفره عن سرّ هذا الكون لمعرفة الحق، والوصول إلى الحب الإلهي^(٩٦)، ففي ضوء ذلك ((فإن الصوفية، كانوا يتعشقون بالعين في الكون، إن صح التعبير، لذلك شمل حبهم كل مظهر من مظاهر الوجود، وعم الطبيعة الساكنة منها والمتحركة))^(٩٧).

فمن يقرأ موشحة ابن عربي يعتقد إنه يسرد وجوده في البساتين مع المحبوبة ولكنه غزل صوفي بالوجود الإلهي في الطبيعة، الذي جعل من المكان غاية تختلف عن بقية الشعراء فكان المكان عنده في الموشحة رمزاً للوحدة مع الرب وكأن الرب عنده يتجسد في الموجودات المكانية. ويلحظ في موشحة أخرى له يذكر الوجود الإلهي وتأثره به في ضوء ذكره لجمال طبيعة الرب، إذ يقول^(٩٨):

| | | | |
|--------|----------|-----------|----------|
| حقائقُ | القُربِ | رؤيةُ | الملِكِ |
| وهو | حِجابُ | المُهمينِ | الملِكِ |
| إذا | انجلى | عَنيهُبُ | النفسي |
| وهبَّ | عَرف | روضةِ | الْفُدسِ |
| فأنتَ | الحانُ | بِلا | لَحِنِ |
| على | الأوثانُ | ولم | تثنِ |

يلحظ هنا استعماله للألفاظ الوجودية المكانية التي تدل على الذات الإلهية ويسرد رغبته في تمنى كشف الحجاب لرؤية الرب، فكانت ألفاظ الرمز عن الوجود الإلهي واضحة بقوله: (حقائق القرب -

روضة القدس - المهيمن - الملك - ...). فكلها ألفاظ صوفية ترمز إلى الحب الإلهي وجعل من المكان الصوفي (روضة القدس) مكان تقرب واتصال مع الرب، فكان الاقتراب من الطبيعة عنده هو تقرب من الله تعالى.

فالمكان الصوفي إذن هو تأسيس فعلي لمفهوم الحرية التي أوجدها الله للإنسان بامتلاك المكان وعرفه حقائقه، فالمكان عند الصوفي ليس مجرد مكان مفتوح فيه طبيعة خلابة وجمال رباني، وإنما له دلالات روحية ونفسية في دلالة المتصوف وهو يسرد هذا المكان؛ لأنه يرتبط به روحياً لدلالته على الوجود الإلهي والتقرب منه في الموجودات.

الخاتمة:

وفي ضوء الدراسة توصل البحث إلى أهم النتائج الآتية:

١. تشكل البنية المكانية أهمية داخل السرد في الموشح إلى جانب العناصر الأخرى للبناء السردية.
٢. إن المكان في البناء السردية يقسم حسب الموضوع وحسب الهدف من الدراسة وحسب المادة البحثية؛ فكانت للموشحات الأندلسية خصوصية في تناول البناء المكاني داخلها.
٣. كانت الموشحات الأندلسية لها مطالع اختلف فيها الوشاحون عن مقدمات القصائد التقليدية وهي مطالع تضمنت البيئة الأندلسية وجمالها وتأثرهم بهذه البيئة الطروب والتي كانت لها ذكريات وأحداث سردية فيها.
٤. كان للمكان الصوفي وجود خاص في الموشحات الأندلسية تمثل عند بعض الوشاحين أمثال ابن عربي والششتري، ممن كان المكان عندهم لا يمثل حيزاً محدداً أو بيئة محددة فكان المكان واسعاً يشمل كل شيء يتمثل فيه الوجود الإلهي يعبر عن التصوف لديهم.

الهوامش:

- (١) المحيط في اللغة، مادة (مكن)، ٢، ٦٦.
- (٢) لسان العرب، مادة (مكن)، ١٣، ٤١٤.
- (٣) موسوعة لالاند الفلسفية، اندري لالاند، ت: خليل احمد خليل، ٣٦٢.
- (٤) جماليات المكان، جاستون باشلار، ت: غالب هلسا، ١٨٩.
- (٥) بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، ٤.
- (٦) جماليات المكان، (د. سيزا قاسم وآخرون)، ٣.
- (٧) ظ: بناء الرواية (دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ)، ٨٤.
- (٨) ظ: جماليات المكان، مجموعة مؤلفين (د. سيزا قاسم وآخرون)، ٣.
- (٩) بنية الشكل الروائي، ٣٣.
- (١٠) ظ: (المكان في قصص خضير عبد الأمير القصيرة)، كريم يوسف علي، مجلة كلية الآداب، ع ٧٤٤٤، ٣٤٤ (مجلة).
- (١١) جماليات المكان في الرواية العربية، شاكر النابلسي، ٩٢.
- (١٢) ظ: المكان في الشعر العربي قبل الإسلام، حيدر لازم مطلق، ١٨. (رسالة).
- (١٣) خطوط السرد الملتفة، بشرى موسى صالح، مجلة الأقلام، بغداد، ع ٤، ١٩٩٩، ٣٩ (مجلة).
- (١٤) ظ: بناء الرواية (دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ)، ٧٤.
- (١٥) عالم القصة في سرد طه حسين، احمد السماوي، ٧١.
- (١٦) دلالة المكان في مدن الملح عبد الرحمن منيف، محمد شوابكة، ١٠ (بحث).
- (١٧) ظ: إشكالية المكان في النص الأدبي، ياسين النصير، ٣٢١.
- (١٨) ظ: وصف المكان وبنائه في الرواية التاريخية العربية، د. كريم يوسف علي الزوبعي، مجلة الآداب، بغداد، ع ٨٨، ٢٠٠١، ١٩٣. (مجلة)
- (١٩) المصدر نفسه، ١٩٣.
- (٢٠) ظ: بنية الشكل الروائي، ٢٩.
- (٢١) بنية الرواية، ٨٤.

- (٢٢) الفارئ والنص، العلاقة والدلالة، سيزا قاسم، ٤٣.
- (٢٣) ظ: تحولات القص في أدب الثمانينات، اعتدال عثمان، مجلة الأقاليم، ٦٤، ١٩٨٩، ١٦. (مجلة).
- (٢٤) ظ: بنية الشكل الروائي، ٣٠.
- (٢٥) ظ: قصص الرحلة الخيالية (دراسة فنية مقارنة)، عبد الكريم خضير، ١٧٩. (رسالة)
- (٢٦) ظ: تيار الوعي في الرواية الحديثة، روبرت همفري، ت: محمد الربيعي، ٦.
- (٢٧) ظ: البنية السردية في النص الشعري، ٢١٨.
- (٢٨) ظ: بنية الشكل الروائي، ١١٧.
- (٢٩) الزمان والمكان في الشعر الجاهلي، د. باديس فوغالي، ١٨١.
- (٣٠) ظ: الفضاء الروائي عند جبرا إبراهيم جبرا، ٢٥٢ - ٢٥٣، ظ: الفارئ والنص، العلاقة والدلالة، ٤٦، ظ: المكان في الشعر الأندلسي (عصر ملوك الطوائف)، أمل العميري، ١٠.
- (٣١) بنية النص السردية من منظور النقد الأدبي، ٦٣.
- (٣٢) جماليات المكان في الرواية العربية، ٤٤.
- (٣٣) ظ: الزمان والمكان في الشعر الجاهلي، ١٨٢.
- (٣٤) ظ: جمالية اللون في الشعر الأندلسي (ابن سهل الأندلسي نموذجاً)، وسيلة رحالي، الجزائر، جامعة العربي بن مهدي أم البواقي، كلية الآداب واللغات، ٢٠١٥م، ١٩. (رسالة)
- (٣٥) نوح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، المقري، م٣، ١٥٥.
- (٣٦) ظ: فن الشعر، أرسطو، ت: إبراهيم حمادة، ٧٠ - ٧١.
- (٣٧) الشعر في عهد المرابطين والموحدين في الأندلس، محمد السعيد، ١٣٣.
- (٣٨) ظ: البنية السردية في رواية خطوات باتجاه الآخر، ربعة البديري، جامعة محمد خضير، الجزائر، ١١٨. (رسالة)
- (٣٩) ديوان الموشحات الأندلسية، الدكتور سيد غازي، ١، ١٤٧.
- (٤٠) بناء الرواية، ١١٥.
- (٤١) الديوان، ١، ٥٢٣.
- (٤٢) الديوان، ١، ٥٣٨.

- (٤٣) ظ: الخمرة في الشعر العربي، د. عبد الصمد، ٢٠١٧، ٤٨٤ (بحث)
- (٤٤) ظ: إشكال الزمان والمكان في الرواية، ميخائيل بختين، تر: يوسف حلاق، ٦ - ٧.
- (٤٥) الحكاية في رسائل إخوان الصفا (دراسة سيميائية في السرد والتأويل)، د. إيمان السلطاني، ٥٧.
- (٤٦) تاريخ الأدب الأندلسي (عصر سيادة قرطبة)، د. إحسان عباس، ١٠٦.
- (٤٧) الديوان، ٢، ٥٧٥.
- (٤٨) قاموس السرديات، جيرالد برنس، تر: السيد إمام، ١٨٢.
- (٤٩) الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه، مصطفى الشكعة، ٣٠٩.
- (٥٠) الديوان، ١، ٤٤٥.
- (٥١) قراءات نقدية، د. فليح الركابي، ٦٠.
- (٥٢) ظ: المضامين التراثية في شعر المرأة الأندلسية (قراءة جديدة)، د. زهراء نعمة حسن، مجلة مركز دراسات الكوفة، جامعة الكوفة، كلية التربية، بنات، ع ٤٨، ٢٠١٨م، ١٠١. (مجلة)
- (٥٣) الديوان، ١، ٥٤٩.
- (٥٤) المكان في الشعر الأندلسي، د. محمد الطربولي، ٧.
- (٥٥) الديوان، ٢، ٥١١.
- (٥٦) المصدر نفسه، ١، ٢٥٦.
- (٥٧) جماليات المكان، ١٠٥.
- (٥٨) ظ: دلالة المكان في قصص الأطفال، ياسين النصير، ٢٧.
- (٥٩) إشكالية المكان في النص الأدبي، ٢٠ - ٢١.
- (٦٠) جماليات المكان، ٣٦ - ٣٧.
- (٦١) الشعر والصوفية، كولن ولسن، ١١٧.
- (٦٢) الديوان، ١، ١٨٤.
- (٦٣) ظ: البناء الفني في الرواية العربية في العراق (الوصف وبناء المكان)، د. شجاع مسلم العاني، ٢، ٩٩.
- (٦٤) الديوان، ١، ٤٧٦.

- (٦٥) ظ: قال الراوي (البنيات الحكائية في السيرة الشعبية)، ٢٤٣ - ٢٤٤.
- (٦٦) ظ: الحكاية في رسائل إخوان الصفا، ٩٨.
- (٦٧) الديوان، ١، ٣٥٨.
- (٦٨) ظ: جوانب مضيئة من الشعر العربي، محمد حسن عبد المغني، ١٩.
- (٦٩) شرح ديوان الحماسة، المرزوقي، ١، ٢٠.
- (٧٠) الديوان، ٢، ٣٩٤.
- (٧١) ظ: المضامين التراثية في شعر المرأة الأندلسية، ١٠٥. (دورية)
- (٧٢) ظ: تجليات النص، ماجد الحسين، ١٠٥.
- (٧٣) ظ: الزمان والمكان وأثرهما في حياة الشاعر الجاهلي، د. صلاح عبد الحافظ، ٣٠.
- (٧٤) الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، ٢٩٠.
- (٧٥) ملامح الشعر الأندلسي، د. عمر الدقاق، ٣٩.
- (٧٦) فلسفة المكان في الشعر العربي، د. حبيب مؤنسي، ١٨.
- (٧٧) ظ: الطلل في النص العربي (دراسة في الظاهرة الطللية مظهرا للرؤية العربية)، سعد حسن كموني، ٧٠.
- (٧٨) الديوان، ٢، ٣٩١.
- (٧٩) آتافي الطلل (دراسة في الشعر العربي القديم)، د. رعد احمد الزبيدي، ١٣٢ - ١٣٣.
- (٨٠) ظ: تاريخ المغرب والأندلس، صادق جودة، ٢٩١.
- (٨١) الديوان، ٢، ٥٠٣.
- (٨٢) من رياض الأدب والتاريخ، جبرائيل جبور، ٢٥٦.
- (٨٣) ظ: الطبيعة في الشعر العربي، جودت الركابي، ٦٧.
- (٨٤) عصر الدول والإمارات (الأندلس)، د. شوقي ضيف، ٣١٣.
- (٨٥) الديوان، ٢، ٦٧٢.
- (٨٦) نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ١، ٢٠٨.
- (٨٧) موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، رفيق العجم، ٩٣٢.

- (٨٨) الثابت والمتحول، أدونيس، ٢، ٩٧.
- (٨٩) الصوفية والسوربالية أدونيس، ٨٧.
- (٩٠) ظ: صورة المكان في المخيال الصوفي، د. طارق زيناوي، مج ١٣، ١٤، ١٩٠. (مجلة)
- (٩١) الديوان، ٢، ٢٦٠.
- (٩٢) الفتوحات المكية، ابن عربي، ١، ٤٢١.
- (٩٣) مكانة الشعر (مقدمة في الأصول النفسية والفكرية للقصيدة)، عادل عبد الله، ٩٠.
- (٩٤) الحب والتصوف عند العرب، د. عادل الالوسي، ٨٧.
- (٩٥) ظ: المصدر نفسه، ١٨.
- (٩٦) ظ: الرمز بين الرؤية الصوفية والإبداع الفني، حمزة حمادة، كلية الإلهيات، الجزائر، ٢٩١. (بحث)
- (٩٧) شعرية الخطاب الصوفي (الرمز الخمري عند ابن الفارض أنموذجاً)، محمد يعيش، جامعة القاهرة، كلية الآداب والعلوم الانسانية، ١٩٨٨ م، ١٤٧. (رسالة)
- (٩٨) الديوان، ٢، ٣٠٣.

المصادر والمراجع:

١. أنثافي الطلل (دراسة في الشعر العربي القديم)، دكتور رعد أحمد الزبيدي، دار بغداد للطباعة و النشر، العراق _ بغداد، ط ١، ٢٠١٤ م.
٢. الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، منجد مصطفى بهجت، دار الكتب للطباعة والنشر، العراق، ١٩٨٨ م.
٣. الأدب الأندلسي (موضوعاته وفنونه)، مصطفى الشكعة، دار العلم للملايين، بيروت، ط ١٠، ٢٠٠٠ م.
٤. إشكالية الزمان والمكان في الرواية، ميخائيل باختين، ترجمة: يوسف حلاق، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٠ م.
٥. إشكالية المكان في النص الأدبي، ياسين النصير، دار الشؤون الثقافية العامة، آفاق عربية، بغداد، ١٩٨٦ م.
٦. بناء الرواية (دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ)، سيزا قاسم، الهيئة المصرية العامة للكتب، ١٩٨٤ م.

٧. البناء الفني في الرواية العربية في العراق (الوصف وبناء المكان)، د. شجاع مسلم العاني، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد، ١٩٩٤.
٨. البنية السردية في النص الشعري ، د. محمد زيدان ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، ٢٠٠٤ م .
٩. بنية الشكل الروائي (الفضاء _ الزمن _ الشخصية) ، حسن بحراوي ، المركز الثقافي العربي ، بيروت. ، ط ١ ، ١٩٩٠م.
١٠. بنية النص السردية من منظور النقد الأدبي ، حميد الحمداني ، المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء ، ط٣ ، ٢٠٠٠ م .
١١. تاريخ الادب الأندلسي (عصر سيادة قرطبة)، د. احسان عباس ، بيروت ، ط ٣ ، ١٩٧٣ م .
١٢. تاريخ المغرب والأندلس ، صادق جودة، منشورات جامعة القدس المفتوحة ، ط ١ ، ١٩٩٧ م .
١٣. تجليات النص (مسارات تأملية في سؤال الذات) ، ماجد الحسين ، دار و مكتبة البصائر ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠١٤ م
١٤. تيار الوعي في الرواية الحديثة ، روبرت همفري ، ت : محمد الربيعي ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٤ م.
١٥. الثابت والمتحول ، ادونيس ، دار العودة ، بيروت - لبنان ، ط ٢ ، ١٩٧٩م.
١٦. جماليات المكان ، د. سيزا احمد قاسم وآخرون (مجموعة باحثين) ، مطبعة دار قرطبة ، عيون المقالات للنشر ، الدار البيضاء ، ط ١ ، ١٩٨٨ م .
١٧. جماليات المكان في الرواية العربية ، شاكر النابلسي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط ١ ، ١٩٩٤ م.
١٨. جماليات المكان،جاستون باشلار،تحقيق:غالب هلسا،دار الحرية،بغداد، ١٩٨٠ م.
١٩. جوانب مضيئة من الشعر العربي،محمد عبد الغني حسين،مكتبة الأنجلو المصرية،ط١، ١٩٧٢م.
٢٠. الحب والتصوف عند العرب ، عادل كامل الألوسي ، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ، بيروت _ لبنان ، ط ١ ، ١٩٩٩ م .
٢١. الحكاية في رسائل اخوان الصفاء (دراسة سيميائية في السرد والتأويل) ، د. ايمان السلطاني ، منشورات ابداع النجف الاشرف ، العراق ، ٢٠٠٩ م .
٢٢. دلالة المكان في قصص الاطفال ، ياسين النصير ، دار ثقافة الاطفال ، ط ١ ، ١٩٨٥ .

٢٣. ديوان الموشحات الاندلسية ، تحقيق:الدكتور سيد غازي ، منشأة المعارف بالاسكندرية ، المجلد الاول والثاني ١٩٧٩م.
٢٤. الزمان والمكان في الشعر الجاهلي ، دكتور : باديس فوغالي ، عالم الكتب الحديث ، الاردن ، ط ١ ، ٢٠٠٨ م .
٢٥. الزمان والمكان وأثرهما في حياة الشعر الجاهلي (دراسة نقدية نصية) ، د. صلاح عبد الحافظ ، دار المعارف ، مصر ، ط ١ ، ١٩٨٢ م .
٢٦. شرح ديوان الحماسة المرزوقي ، ابو علي احمد بن محمد بن الحسن (ت ٤٢١ هـ) ، ت : احمد امين وعبد السلام هارون ، دار الجيل ، ط ١ ، بيروت ، ١٩٩١ م .
٢٧. الشعر في عهد المرابطين والموحدين في الأندلس ، محمد مجيد السعيد الراية الجامعة العراقية ، ط ٣ ، ٢٠٠٨ م .
٢٨. الشعر و الصوفية ، كولن ولسون ، تر : عمر الديراوي ، ابو مجلة دار الآداب ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٧٢ م .
٢٩. الصوفية والسوريالية ، ادونيس دار الساقية ، ط ٣ .
٣٠. الطبعة في الشعر العربي ، جودة الركابي ، مطبعة الترقى ، دمشق ، ط ٢ ، ١٩٧٠ م .
٣١. الطلل في النص العربي (دراسة في الظاهرة الطللية مظهراً للرؤية العربية) ، سعد حسن كوني ، دار المنتخب العربي ، لبنان ، ط ١ ، ١٩٩٩ م .
٣٢. عالم القصة في سرد طه حسين ، احمد السماوي ، التعااضدية للطباعة والنشر ، صفاقس - تونس ، ١٩٩٧ م .
٣٣. عصر الدّول والأمارات (الأندلس) ، د. شوقي ضيف ، دار المعارف ، مصر .
٣٤. الفتوحات المكية ، محي الدين ابن عربي ، تحقيق : احمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ٢ ، ٢٠٠٦م.
٣٥. الفضاء الروائي عند جبرا ابراهيم جبرا ، ابراهيم جنداري ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ط ١ ، ٢٠٠١ م .
٣٦. فلسفة المكان في الشعر العربي ، حبي مؤنسي ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ٢٠٠١ م .
٣٧. فن الشعر ، ارسطو،ترجمة: إبراهيم حمادة،منشورات مركز الشارقة للإبداع الفكري،١٩٩٠م.
٣٨. القارئ والنص / العلامة والدلالة ، سيزا قاسم ، المجلس الأعلى ، للثقافة ، ٢٠٠٢ م .
٣٩. قال الراوي (البنيات الحكائية في السيرة الشعبية) ، سعيد يقطين ، ط ١ ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، بيروت ، ١٩٩٧ م .

٤٠. قاموس السرديات ، جيرالد برنس ، ترجمة : السيد إمام ، ط ١ ، ميريت للنشر ، (النيل _ القاهرة) ، ٢٠٠٣ م .
٤١. قراءات نقدية في نصوص إبداعية ، د. فليح كريم خضير الركابي ، ط ٢ ، دار الكتب العلمية ، بغداد ، ٢٠١١ م .
٤٢. لسان العرب ، جمال الدين محمد ابن منظور الافريقي، دار صادر، بيروت ، ط ٦ ، ١٩٧٦ م .
٤٣. المحيط في اللغة ، صاحب بن عباد بن اسماعيل بن عباد بن العباس ، ابو القاسم الطالقاني (ت ٣٨٥هـ) ، تحقيق : محمد حسن آل ياسين ، دار الكتب ، ط ١ ، ١٩٩٤م.
٤٤. المكان في الشعر الأندلسي من عصر المرابطين حتى نهاية الحكم العربي (٤٨٤ _ ٨٩٧ هـ) ، د. محمد عويد الطربولي ، ط ١ ، دار الرضوان للنشر والتوزيع ، الأردن ، مؤسسة دار الصادق الثقافية _ العراق ، ٢٠١٢ م .
٤٥. المكان في الشعر الأندلسي (عصر ملوك الطوائف)، امل العميري ، مؤسسة الانتشار العربي ، بيروت - لبنان ، ط ١ ، ٢٠١٢ م .
٤٦. مكانة الشعر (مقدمات في الاصول النفسية والفكرية للقصيد) ، عادل عبد الله ، دار الشؤون الثقافية العامة ، العراق _ بغداد ، ط ١ ، ٢٠٠٩ م .
٤٧. ملامح الشعر الأندلسية ، د. عمر الدقاق ، دار الشرق العربي ، بيروت .
٤٨. من رياض الأدب والتاريخ ، جبرائيل جبور ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٨١ م .
٤٩. موسوعة لالاند الفلسفية ، اندري لالاند ، تعريب خليل احمد خليل ، منشورات عويدات ، بيروت ، لبنان ، مج ١ ، ط ١ ، ١٩٩٦ م .
٥٠. موسوعة مصطلحات التصوف الاسلامي ، رفيق العجم ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت - لبنان ، ط ١ ، ١٩٩٩م.
٥١. نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، المقري (الشيخ احمد بن محمد التلمساني) ، تحقيق : احسان عباس ، دار صادر، بيروت ، ١٩٦٨ م .
٥٢. النقد التطبيقي التحليلي ، (مقدمة لدراسة الادب وعناصره في ضوء المناهج النقدية الحديثة) ، د. عدنان خالد عبد الله ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٨٦ م .
- الأطروحات والرسائل الجامعية:-
٥٣. البنية السردية في رواية خطوات باتجاه الآخر لحفناوي زاغر ، ربيعة البديري ، جامعة محمد خيضر ، الجزائر .

٥٤. جمالية اللون في الشعر (ابن سهل الأندلسي أنموذجاً) ، وسيلة رحالي ، جامعة العربي بن مهدي (ام البواقي) ، كلية الآداب واللغات ، الجزائر ، ٢٠١٥ م .
٥٥. شعرية الخطاب الصوفي (الرمز الخمري عند ابن الفارض أنموذجاً) ، محمد يعيش ، جامعة القاهرة ، كلية الآداب والعلوم الانسانية ، ١٩٨٨ م .
٥٦. قصص الرحلة الخيالية (دراسة فنية مقارنة) ، خضير عليوي السعيد ، جامعة المستنصرية ، كلية التربية ، ١٩٩٧ م
٥٧. المكان في الشعر العربي قبل الاسلام ، حيدر لازم مطلق ، جامعة بغداد ، كلية الآداب ، ١٩٨٧ م .
- المجلات والدوريات:-
٥٨. تحولات القص في أدب الثمانينات ، اعتدال عثمان ، مجلة الاقلام ، عدد ٦ ، ١٩٨٩ م .
٥٩. خطوط السرد الملتقة ، بشرى موسى صالح ، مجلة الاقلام ، بغداد ، عدد (٤) ، ١٩٩٩ م .
٦٠. دلالة المكان في مدن الملح ، عبد الرحمن ضيف ومحمد شواكية ، مجلة ابحاث اليرموك ، ٢٤ ، ١٩٩١ م .
٦١. الرمز بين الرؤية الصوفية والابداع الفني ، حمزة حمادة ، الجزائر . (البحث)
٦٢. صورة المكان في المخيال الصوفي ، د. طارق زيناوي ، المركز الجامعي عبد الحفيظ بو صوف ، مجلد ١٣ ، عدد ١
٦٣. المضامين التراثية في شعر المرأة الاندلسية (قراءة جديدة) ، م.د. زهراء نعمة حسن ، مجلة مركز دراسات الكوفة (فصيلة وحكمة) ، جامعة الكوفة ، كلية التربية للبنات ، عدد ٤٨ ، ٢٠١٨ م .
٦٤. المكان في قصص خضير عبد الأمير القصيرة ، كريم يوسف علي، مجلة كلية الآداب ، جامعة بغداد ، عدد (٧٤) .
٦٥. وصف المكان وبنائه في الرواية التاريخية العربية، د. كريم يوسف علي الزوبعي، مجلة الآداب، بغداد، ع ٨٨ ، ٢٠٠٩ م .

المدح النبوي في شعر عبد الله بن أبي الخصال الأندلسي

أ.م.د. عباس يداللهي فارساني

الباحث صفاء غني عبد الزهرة

جامعة شهيد تشمران أهواز

المقدمة:

إن المدائح النبوية تحتلّ مكانة مرموقة وسامية في الشعر العربي، إذ تتميز بالجدة والإبداع في الصدق والتضارب في التعبير، وكان حبّ الرسول الأمين (ص) والقُدوة الحسنة، هو الدافع الرئيس للإنشاد. من ثمّ، راح الشعراء يقدّمون مدائحهم على أعتاب الرسول (ص). إذا تأملنا في هذا الفنّ الراقي في الأدب العربي من قديم الزمن إلى يومنا الراهن، نجد أنّ هذا النمط الشعري يتميّز بالامتداد الزمني المتجذر في كيان المسلمين خلال الحقب الطويلة؛ فلا نغلو إذا قلنا إنّ المدائح النبوية تتسم بالشمولية والكثرة عبر الدهور، لأنّ الشعراء حاولوا في هذا المضمار الإحاطة بكافة السّمات الخلقية والخلقية والسيرة العطرة لنبي الرحمة (ص). فمن هذا المنطلق، تطرقوا إلى وصف خصائله النبيلة وجبّلته الكريمة وإظهار الشوق لرؤيته وزيارة قبره والأماكن المقدسة التي تمتّ بصلة وثيقة إلى حياة النبي الأكرم، مشيدين خلال أشعارهم بمعجزاته المادية والمعنوية وغزواته وصفاته المجيدة. من أهمّ أسباب اختيار الموضوع ما يتمّ تقديمها:

١- الحبّ العظيم للنبي الأمين وما يخامر كياننا من مشاعر دفيئة ولواعج كريمة وأحاسيس مرهفة تجاه الأسوة الحسنة ورحمة العالمين، والرغبة في الإبانة عن هذا النمط من الاتجاه الفكري عند أبي خصال الأندلسي.

٢- ازدهار هذا الفنّ في الأندلس بشكل يلفت الانتباه، ويعود ذلك إلى عدّة أسباب، منها الظروف المعينة التي تعيشها البلاد من تدهور الأوضاع في الأندلس، من حروب طاحنة وغزوات ونكبات أدّت إلى توجّه الشعراء إلى كتابة الشعر وقصائد المدح للرسول (ص)، والتوسل إليه ليكون شفيعاً وعوداً لهم في المحن.

٣- العثور على النتاج المعرفي والديني عند أبي خصال الأندلسي، بوصفه واحدًا من الشعراء الأندلسيين، والذي أصبح مغمورًا في هذا المضمار والفن الأدبي الراقى.

تحاول هذه الورقة البحثية الإجابة عن الأسئلة التالية:

يحاول البحث طرح سلسلة من الأسئلة التي تشكل الإجابة عنها ضمن هذه الدراسة، منها ما يلي:

١- ما المقصود بفنّ المدح النبوي ومضامينه في الشعر الأندلسي عامّة، وشعر ابن أبي الخصال خاصّة؟

٢- ما أهمّ الدوافع التي ساقت الشاعر الأندلسي مساق الإنتاج الشعري في المدح النبوي؟

٣- ما أهمّ المحاور الرئيسة لفنّ المدح النبوي عند ابن أبي الخصال الأندلسي؟.

تناول الباحثون والدارسون تحليل شعر هذا الشاعر الأندلسي من جوانب مختلفة ودققوا النظر فيه، إلا أنّهم لم يعالجوا فنّ المديح النبوي ضمن معطاه الشعري الخصب. من أهمّ الدراسات التي تمّ نشرها في تحليل شعره، ما يتمّ تقديمها على النحو التالي:

أبو عبدالله ابن أبي الخصال؛ حياته ونثره: رسالة ماجستير. أبو الذهب مصطفى محمد مفلح مصطفى، الجامعة الأردنية، ١٩٨٨م.

فنّ الرسالة عند أبي عبدالله بن أبي الخصال الأندلسي دراسة فنية أسلوبية، رسالة ماجستير، محمد لخضير بن ناجي، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر، بسكرة، ٢٠١٥م.

أفعال الكلام وتداولية النصّ الشعري؛ شعر ابن أبي الخصال الأندلسي أنموذجًا: سمير جعفر ياسين، مجلة آداب المستنصرية، العدد ٧٥، ٢٠١٦م.

صورة الآخر في رسائل ابن أبي الخصال الأندلسي، محسن دعدوش عبدالرضا، وصادق جعفر عبدالحسين، مجلة العلوم التربوية والإنسانية، جامعة الإمارات المتحدة العربية، العدد ٥، مج ٥، ٢٠٢١م.

البنية السردية في مقامة ابن أبي الخصال الأندلسي: الشال محمد عبدالله عباس، مجلة سرديات. الجمعية المصرية للدراسات السردية، العدد ٢٤، ٢٠١٧م، صص ٢٥٧-٢٢٦.

-الشاعر في سطور:

اختلف الباحثون في تحديد شخصية ابن أبي الخصال وسيرة حياته، كلُّ يتحدّث عنه بحسب معرفتهم به، لأنّه شخصية بارزة وله شأن كبير. هو الوزير، الكاتب، الشاعر. هو أبو عبد الله محمد بن مسعود بن طيب بن فرج بن خصلة بن أبي الخصال الفافقي، وله تفنن في العلوم والآداب^(١)، وذكر بأنّه شاعرٌ متقدّم في اللغة والآداب والكتابة والخطابة والشعر^(٢). ولد سنة (٤٦٥ هـ)، وينتمي الى قبيلة غافق. أصله من "فرغليط"، إحدى قرى "شقورة" من كورة "جيان"، ويكنّى بأبي الخصال، ويلقّب بذي الوزارتين^(٣). نشأ ابن أبي الخصال في ظلّ أسرة أدبية، وكانت أسرته موصولة بالعلم، أصيلة فيه. كان أبو عبد الله ابن أبي الخصال من أهل المعارف الجمّة والإتقان لصناعة الحديث، والمعرفة برجاله، والتقييد لغزيبه، وله معرفة بالعربية واللغة والأدب والنسب والتاريخ. أمّا الكتابة والنظم، فهو إمامهما^(٤). انتقل ابن أبي الخصال إلى قرطبة، فصار يقال فيه "قرطبي"، ولا تغفل كتب التراجم أنّه "فرغليطي" شقوري^(٥)، وفيها تلقى علومه الأولى وتردّد على ما حولهما من المدن، للاستزادة من وجوه الثقافة والمعرفة. ترقى أبو عبد الله ابن أبي الخصال في الخدمة السلطانية، فكتب لعلي بن يوسف بن تاشفين، وهو والٍ على غرناطة وأختصّ في مدّة إمارته للمسلمين بالكتابة عن أبي يحيى أبي بكر بن أبي عبد الله محمد بن الحاج، ثم انتقل مع بني الحاج هؤلاء إلى فاس. كان كثير التنقّل مع بني الحاج؛ حيث أدّى إلى انتقاله في المغرب والأندلس، مصطحبًا بعض الأُمراء المرابطين، ومتولّيًا الأعمال الإدارية والكتابية لهم. تدلّ التواريخ الباقية من الرسائل الصادرة عن الأمير علي بن يوسف بقلم ابن أبي الخصال على طول مدّة خدمته في الدولة، والمدن التي استقرّ فيها من أجل الخدمة السلطانية هي قرطبة، وبلنسية، وسرقسطة وفأس وسبتة^(٦).

من أهمّ تأليفاته: كتاب سراج الأدب^(٦)، وكتاب المنهج في معارضة المبهج^(٧)، وكتاب ظلّ الغمامة وطوق الحمامة^(٨).

-مصطلح المديح النبوي:

المديح النبويّ هو الشعر الذي ينظمه الشعراء في مدح النبيّ (ص) بتعداد صفاته الخُلقية والخلقية، واصفين الشوق لرؤيته وزيارة قبره وغيره من الأماكن المقدسة التي تتصل بحياة الرسول الأكرم (ص)، ذاكرين مختلف معجزاته ومراحل سيرته وأحداثها، وكذلك غزواته وما إلى ذلك. من النقاد المعاصرين من قام بتعريف هذا المصطلح قائلاً: إنّ المديح النبويّ فنّ من فنون الشعر التي أذاعها تصوّف، فهو لون من التعبير عن العواطف الدينية، وباب من الأدب الرفيع، لأنها لا تصدر إلاّ عن قلوب مفعمة بالصدق والإخلاص^(٩). يبرز الشاعر المادح في هذا النوع من الشعر تقصيره في أداء واجباته الدينية ويذكر ذنوبه، مناجياً الله تعالى بصدق وخوف، وينتقل إلى الرسول (ص) متوسلاً إليه. يتداخل المديح النبويّ في الغالب مع قصائد الزهد والتصوف لما بينهما من علاقة وثيقة. إنّ المديح النبوي لا يشبه المديح الخالص بأنواعه من تكسب أو تملق وغيره، وإنّما هو مديح يوجّه إلى أفضل خلق الله محمّد (ص). فالمراد بالمديح النبويّ أو المدحة النبوية، ذلك الفنّ الشعري الذي يتخذ موضوعه الثناء على شخصية النبي محمّد (ص). عندما حاول الشعراء مدح النبيّ ونبوّته، "فقد امتدحوا آله وأهل بيته، ويدفعهم الألم والحرمان في كثير من الأحيان، فأظهروا عاطفة الدين ممزوجة بعاطفة السياسة، وقد ألحوا على تصوير الفواجع التي ألمت بأهل البيت كاستشهاد الإمام الحسن والحسين (ع) ، وإحياء تلك الذكرى في المأتم"^(١٠).

-نشأة المدائح النبوية:

ثم آراء متعددة حول نشأة المديح النبويّ، فهناك اختلاف بين الباحثين، منهم من قال يرجع ظهوره في المشرق الإسلامي إلى ظهور الدعوة الإسلامية وانتشار الفتوحات الإسلامية، وخاصة مع جمهور الصحابة عند الشعراء الذين يمدحون الرسول (ص)، وكان أولهم وأشعرهم في نظر القدامى وأكثرهم شعراً، هو حسّان بن ثابت الأنصاري الذي تلقّب بشاعر النبيّ، وفيما يلي كعب بن مالك، وعبد الله بن رواحه. فنتوجه نحو شعر حسّان بن ثابت الأنصاري عند وفاة الرسول الأكرم (ص)، نجده يجمع بين الحزن لوفاته وبين الإشادة بفضائله الكريمة، وأخلاقه السامية، أي استطاع أن يجمع بين المدح النبوي والثناء يتداخلان معاً، قائلاً:

نَبّ المساكين أنّ الخير فارقه مع النبي تولى عنهم سحرا
 من ذا الذي عنده رحلي وراحتي ورزق أهلي إذا لم يؤنسوا المطرا
 كان الضياء وكان النور نتبعه بعد الإله وكان السمع والبصرا^(١١)

نلاحظ خلال هذه الأشرطة الشعرية أنّ المدح النبويّ في بداية الأمر اصطبغ بطابع القيم التقليدية، ويعود ذلك إلى أنّ الشعراء لم يفقهوا الدين الجديد، ولم تدخل في روعهم مفاهيمه، ولذلك لم يظهر التأثير القويّ به، فكانوا لا يعرفون كيف يخاطبون صاحبها، إذ يمدحون النبي الكريم (ص) بالقيم التي كانت موضع فخر في الجاهلية، وكأنّهم يمدحون ملكاً أو سيّداً، وليس نبياً مرسلًا. فالقيم الإسلامية أخذت تظهر في مخاطبة الرسول الكريم (ص) ومدحه، وخاصّة عند الشعراء من الصحابة، الذين لم يقتصروا على ذكر صفاته الجليلة وأخلاقه العظيمة، بل تحدّثوا عن هدايته، وأوردوا المعاني الدينية في مدحه^(١٢).

منهم من قال إنّ نشأة المدائح النبوية كانت فناً مستحدثاً جديداً على البيئة الإسلامية، ويعدّ القرآن الكريم والسيرة النبوية الشريفة من المصادر التي تستوحي منها القصائد ودواوين المديح النبويّ مادّتها الإبداعية، وكذلك كتب التفسير والسيرة النبوية التي فصلت حياة الرسول تفصيلاً كبيراً (٣).
إرهاصات المدح النبوي في الأندلس:

إذا أردنا العثور على أهمّ الأسباب والدافع التي ساقت الشعراء مساق هذا اللون الشعري، فعلينا أن نلّم بظروف البيئة الأندلسية المحيطة بهم بكافة المستويات، فهنا نوجز الكلام في أهمّها وأبرزها شيوعاً ودوراً:

١- نشوء الحروب الصليبية

٢- انتشار الزهد والتصوف

٣- كثرة الزلازل والجوائح والمجاعات التي أصابت المجتمع الأندلسي، ومن هنا لم يجد أهلها سوى اللجوء إلى الله تعالى، نجاة من هذه الكوارث والمصائب، معتقدين بأنّ "الرسول هو المثل الأعلى، والإنسان الكامل، وأفضل الخلق، وسرّ الكون، وعماده الرئيس، وقوّته المدبرة، والوساطة بينه وبين الحق وسبب الهداية" (٤).

٤- عناية الممالك بموسم الحجّ: إذ احتفلوا بهذه القضية الإسلامية لما لها من مكانة راقية بينهم. كلّ ذلك أوجج الشوق في قلوب الناس عامة، ولا سيّما عند المتصوفة، فاندفع كثير منهم إلى المدينة المنورة مهاجراً ليكون جازراً للرسول، ليروي بذلك ظمأ قلبه المحبّ المشتاق (٥).

٥- سقوط المدن الأندلسية: اجتاحت كثرة الفتن والأزمات الأندلسيين، نتيجة ما ألمّ بدولة الموحدين من ضعف وتفكك على أيدي الصليبيين الذين استطاعوا احتلالها. حين اشتدّ الضعف بدولة الموحدين "وأخذت المدن

الأندلسية تسقط تبعاً في حجر النصارى الشماليين، تكاثر المدح النبوي، إذ اتخذ الشعراء الأندلسيون أداة للاستغاثة والاستجد بالرسول الكريم لإنقاذهم من محتهم، وكانوا لا يكتفون بنظم الأشعار النبوية، إذ كانوا يرفقونها برسائل إلى القبر النبوي الشريف، واصفين ما يعانیه وطنهم من محن خطيرة" (٦).

-مضامين المدح النبوي في شعر ابن أبي الخصال الأندلسي:

أولاً: الشوق لرؤية النبي والحنين إليه:

حُظي الرسول محمد (ص) منذ عصر صدر الإسلام إلى يومنا هذا بحبّ المسلمين، وتقديرهم وإيثاره على أنفسهم، وقد كشفت قصائد الشعراء منذ ذلك الوقت عن حبهم وولائهم للنبي، بعيداً عن التكسب والاسترزاق، فوصفوا الخصال الحميدة التي تميّز بها بعاطفة جيّاشة وصدق فني(٧).

لم تكن شخصية الرسول (ص) شخصية اعتيادية، وإنما هي شخصية فذة استطاعت أن تنتشل الناس من الجهل والضلالة والحيرة إلى الهداية والرشاد. حظيت هذه الشخصية بحبّ الشعراء وإعجابهم وتقديرهم، وأصبحت قصائد المديح النبوي تعبيراً عن مشاعر الحبّ والوفاء والرجاء، ومتنفساً لبؤس الحياة السياسية والاجتماعية الذي ساد المجتمع، ووسيلة للتقرب إلى الله تعالى، وغفراناً للذنوب والخطايا، وعدت سيرته شعلة تنير العقول والقلوب، وتكمل مكارم الأخلاق، وتزيد المسلمين هداية ورفعة (٨).

شاعرنا، ابن أبي الخصال، كان واحداً من أولئك الشعراء الذين تغنّوا بفضائل الرسول (ص)، وبمعجزاته وشمائله المعروفة. هي صفات خلقية استمدّها الشاعر من ثقافته الدينية المستقاة من الكتاب والسنة، وكتب التفسير والسير. من نماذج شعره في مدح الرسول الأكرم (ص)، تلك القصيدة المعنونة "معراج المناقب ومنهاج الحسب الثاقب"، وهي قصيدة طويلة نظمها في ذكر نسب النبي (ص) وبيان معجزاته ومناقب أصحابه، قائلاً فيها:

إليك فهمي والفؤاد بيثرب وإن عاقني عن مطع الوحي مغربي
 وديني على الأيام زورة أحمد فهل ينقضي ديني ويقرب مطلبي
 وهل أردن فضل الرسول بطيبة فيا برد أحشائي ويا طيب مشربي
 وهل فضلت من مركب العمر تبغني أم لا بلاغ لمركب؟
 ألا ليت زادي شربة من مياهها وهل مثلها رياً نغلة مذنب؟^(١٩)

إنّ الممعن في هذه الأشطر الشعرية يجد أنّ الشاعر قد ألمّ في قصيدته المطوّلة بكلّ ما يحيط بهذه الشخصية الغدّة والتي لا مثيل لها بين أبناء البشر. فمن هذا المنطلق، ينوّه بفضائله وما يتّسم كيانه الكريم بسمات خُلقية وخلقية بارعة. هذه الواعج وكثرة الشوق لزيارة النبي الأمين يثيرها البعد المكاني عن الرسول، وضاعفته الكوارث والفتن التي ألمّت بالمجتمع الأندلسي، فضلاً عن تكالب الأعداء على البلد للانتقامه. هذه السمات الشريفة كفيلة بأنّ البشر كلّهم يتّخذونه قدوة حسنة عبر القرون والدهور. من الباحثين من ذهب إلى أنّ التعلّق بهذه الفضائل النبوية يمثّل "تعويضاً عمّا أحسّ به الشاعر مما ضاع عليه من فرصة أداء الفريضة وزيارة قبر النبي (ص)"^(٢٠).

ثانياً: الشوق إلى زيارة الأماكن المقدسة:

إنّ الشوق إلى زيارة الأماكن الحجازية المقدسة، موضوع قديم متجدد متعلق بأداء فريضة الحج، وشعر الاستجداء، وما حلّ بالنفس، من الشيب والسقم والبلاء بالأندلس من الولايات والحروب، وما يشعر به من الشوق والهيام في زيارة قبر النبي محمّد (ص) والأماكن التي شهدت مهد الرسالة المحمّديّة. من نماذج شعره ما يقول:

| | | | | | |
|---------|---------|---------|-----|--------|--------------|
| هل | أقولنَّ | لمغلتني | وهي | بالدمع | ترتدي |
| والسُرى | قد | رمت | في | حمى | ذلك الندي |
| اجزعي | أو | تجلدي | هذه | داؤ | أحمد |
| هذه | تربة | الهدا | ة | فضلي | أو اهتدي(٢١) |

إذا تأملنا في الشعر الأندلسي عامّة، وشعر ابن أبي الخصال الأندلسي خاصّة، نجد أنّ هذا الشوق يصدر من مصادر عدّة، منها: الدافع الديني (بعد الديار الأندلسية عن المشرق الإسلامي، نشوب الصراعات الدينية في البيئة الأندلسية، وفساد الأخلاق الاجتماعية والسياسية)، والدافع النفسي (الابتعاد عن الوطن)، والدافع الاجتماعي (الشعور بالغربة، والبحث عن الاستقرار والأمن)، والدافع الموضوعاتي (كثرة الكوارث والأزمات، وسقوط المدن الأندلسية واحدة تلو الأخرى). لا يخامرنا أدنى شك بأنّ ترديد هذه الأماكن المقدسة عند الشاعر يجسّد تجربة الحنين وميله الجارف إلى شدّ الرحال لزيارتها. بناء على ذلك، يعتبر هذا النمط البياني ضرباً من ضروب إحساس الشاعر بما ألمّ به من مرارة الحنين والشعور بالاعتراب بسبب تواجد المسافة الكبيرة بينه وبين هذه الأماكن المقدسة. فجاء هذا الشوق معبراً عن اتجاهه الديني الذي تبلور في الشوق والحنين. إذن، يكثر الشعراء الأندلسيون من "تصوير حنينهم الجارف لرؤية الأماكن المقدسة، ويصورون مقدار الحرقة والألم عندما يرون المسافرين قد زمّوا الإبل وتوجّهوا للرحيل"^(٢٢).

ثالثاً: التوسّل وطلب الشفاعة:

يعد الحصول على الشفاعة والغوث، من المضامين النبويّة الأخرى التي افترشت مساحة كبيرة من النتاج الشعري عند الشاعر الأندلسي. فقد سادت النزعة الصوفية المدحة النبوية، حتى أصبحت منطوية على التوسّل والشفاعة. يستهلّ الشاعر قصيدته بتوجيه الخطاب بشكل مباشر إلى النبيّ الكريم (ص)، طالباً

منه الشفاعة، ونراه أحياناً يتوجه بحديثه إلى الله تعالى، سائلاً إياه جلّ وعلا الصلاة والتسليم على النبي الكريم، ويخلص من ذلك إلى مدح النبي. من نماذج قوله ما يأتي:

| | | | |
|-----------------------------|--------|------------|------------|
| يا رسول الملك نفسي تتوقُّ | وذنوبي | مثبطات | تعوقُّ |
| كم تعرضت للقبول ولكن | ليس | المبهرج | سوقُّ |
| قيدتني الذنوب بل أسكرتني | فصبوح | لا ينقض | وغبوقُّ |
| ما اعتذاري من بعد خمسين ولت | مثل ما | أومضت ببحر | بروقُّ(٢٣) |

هنا يتوسّل الشاعر إلى الرسول الكريم (ص)، فيبثّ آلامه، ويشكو ذنوبه التي أثقلت كاهله، ويرجو أن يكون شفيعه يوم الحساب، شأنه شأن جميع شعراء الأندلس(٢٤).

من الواضح أنّ هذه الأبيات تتحى منحى الشعور بالذنب، فالشاعر يتوجه بمديحه إلى الرسول الأعظم ملتسماً منه الشفاعة، ليمحو ذنوبه ويقوي ضعفه؛ لعلّه يستوجب العتق والمغفرة. فيقف باكياً شاكياً متوسلاً ضارعاً نادماً تائباً، ويعترف باقتراف الذنوب طامحاً في طلب العفو عنه وعن أمته.

لا بدّ لنا أن نشير - ونحن بصدد هذا الموضوع (طلب الشفاعة) - إلى أنّ الشعراء الأندلسيين كانوا يجدون في مدائحهم النبوية متنفساً، لما يعانيه المسلمون في ذلك الوقت من حروب ومحن مع الاسبان النصارى، وقد اتخذوا من ذلك المديح أداة ناجعة للاستغاثة والاستجداء بالرسول الكريم (ص)، لإنقاذهم من محنتهم(٢٥).

رابعاً: تعداد مناقبه ومعجزاته:

لا يخامرنا أدنى شك بأنّ السّمات الخُلقية والخَلقية للرسول الأمين (ص)، كانت من أهمّ الحوافز التي ساقَت الشعراء الأندلسيين عامّة، وشاعرنا خاصّة مساق تصوير هذه السمات النفسية والروحية الرائعة التي كان أبناء البشر على مرّ القرون والدهور ينوّهون ويستضيئون بها. إنّ المتأمل في الشعر الأندلسي يجد أنّ تصوير هذه المثل الأخلاقية والنبيلة تدلّ على حرص الشعراء وتكالبهم على الحصول على كل ما هو مطلوب و مرجوّ في كافّة المستويات؛ فالشاعر الأندلسي دومًا يحاول تعظيم هذه الخصال والشمائل الرفيعة والكريمة، من أجل تقديم النبي الأكرم (ص) نموذجًا تامًا وواعيًا لأبناء البشر، ليتخذوه أسوة حسنة وسراجًا منيرًا في دياجير الحياة وظلماتها من جانب، ونجده من خلال تصوير هذه الشمائل الكريمة تقديم النموذج المعرفي الكامل للمجتمع الأندلسي الذي يعاني الانحراف والشذوذ الخلقي، ومظاهر البذخ والترف من جانب آخر. ومن هنا، يتّضح لنا أنّ الشاعر كان ولا يزال يريد في هذا المجال تحقيق هدفين أساسيين: الأول تعظيم النبي الأمين (ص)، وتجسيد تلك الخصال الرائعة والنبيلة، والثاني تخليص المجتمع الإسلامي عامّة، والمجتمع الأندلسي خاصّة من الأزمات الروحية والنفسية التي ألمّت بها إثر التدهور الخلقي و الضعف الديني، من خلال تقديم هذه الشخصية العظيمة، كالسبيل الوحيد للتخلّص من هذه الكوارث والمصائب.

من نماذج قوله ما ورد:

ولما قضينا من منى كلّ حاجةٍ ومسّح بالأركان من هو ماسخ
وشدّت على جذب المهاري رحالنا ولا يعلم الغادي الذي هو رائخ
أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا وسالت بأعناق المطي الأباطخ^(٢٦)

خامسا: الحديث عن الغزوات:

كان نشوب الحروب الطاحنة والغزوات ضدّ المشركين والأعداء لنشر الثوابت الدينية وتعظيم الشعائر الربّانيّة، من أهمّ المجالات والقضايا الفكرية التي تناولها الشعراء ضمن معطياتهم الأدبية. فالشاعر الأندلسي كبقية الشعراء في العصور الأدبية السابقة، حاول توظيف هذه الحروب ضمن معطاه الأدبي لتسليط الضوء على ما يكمن في هذه الحروب مع الأعداء من تجارب خصبة وحكمة نافعة، محاولاً من خلالها تطبيق هذه الحروب على ما جرى في البيئة الأندلسية من حروب مدمّرة إثر سقوط الدول واحدة تلو الأخرى، لإسداء النصح وتجنّب الحروب، لما فيها من مغبّات لاتعوّض ولاتحمد، والتي تؤدي إلى التدمير والهلاك من جانب، وتذكير المجتمع الأندلسي بما يجب على كلّ مسلم من معاملة الأعداء اللدّ الذين يريدون بطش المجتمع الإسلامي وتهديمه من أجل التنازل عن الأسس والقواعد الدينية، لإماطة اللثام عن مؤامراتهم ودسائسهم ضدّ المجتمع الإسلامي من جانب آخر.

إنّ المتأمل في مثل هذه الأشطر الشعرية، يجد أنّ شخصية النبيّ الأكرم (ص) تتسم بالبطولة والشجاعة والمثابرة والصمود ضدّ كل من خالف الشعائر الدينية. فمن هذا المنطلق، حاول الشاعر الأندلسي عبر تصوير هذه الحروب، الإشادة بقوة النبيّ الأكرم (ص)، وبسالته وشجاعته دون شئ من الخوف أمام الأعداء والناصبين له الحرب. إذن، هذه القوة والشجاعة تثير في كيان المسلمين الحماسة والمثابرة ضدّ العدو.

من نماذج قوله ما ورد:

أبرخ وطالب بباقي الدهر ماضيه فيومٌ بدرٍ أقامَ الفيءَ في فدكِ
وكم مضى لك من يوم سموتَ به في مأقِطِ برماحِ الخطِّ مشتبكِ
فحصُ القبابِ الى فحصِ الصعابِ أورِ يولِةً....؟ مداساتِ الى السككِ
وكم على حبرِ محمودٍ وجارته للرومِ من مرّ شكلٍ غيرِ متركِ^(٢٧)

من الواضح عبر امتداد هذه شبكة النصّ الشعري أنّ الشاعر يشيد بقوة النبيّ الأمين (ص) في غزوة "بدر"، فهذه الحرب هي التي تمثل أحسن تمثيل شجاعة النبي (ص)، وحفاظه على بتّ الأسس والقواعد الدينية ضدّ الأعداء في المجتمع الإنساني بكلّ ما لديه من إمكانيات وطاقات، خدمةً للدين الحنيف وأسس السامية.

سادسا: معجزة الإسراء والمعراج:

تميّز النبيّ الأمين (ص) عن سائر الأنبياء بليلة المعراج والإسراء، ويعدّ من أهمّ الشخصيات التي استوعبت اهتمام المبدعين من الشعراء والنقاد. من هنا، تطرّق الشعراء منذ الجاهلية إلى يومنا الراهن إلى وصف هذه الواقعة، وما فيها من بدائع وجمال وإعجاز ربّاني، اعترافاً منهم بفضله على أبناء البشر كافة. عالج الشاعر الأندلسي هذه المعجزة النبوية ضمن نتاجه الأدبي الذي يدلّ على سعة فكرته، ونضج ثقافته الدينية، وإلمامه بالحوادث التاريخية، والقضايا الإسلامية في البيئة الأندلسية التي أحسّ فيها بالاعتراب عن المجتمع الأندلسي كلّهُ.

إنّ الممعن في طيّات الشعر الأندلسي يجد أنّ الشاعر الأندلسي قام بتوظيف هذه الواقعة عبر النصّ الأدبي لبلورة عدّة أغراض، منها تمجيد شخصية النبيّ الأكرم (ص)، وما يتّسم النبيّ العظيم بمعجزات وخوارق العادة، والتعبير عن نضج ثقافة المسلمين الدينية في البلدان الأجنبية، كما نلاحظ هذه الظاهرة عند الشعراء المهجريين الذين أقاموا بالبلدان الأجنبية، محاولين نشر الثقافة الإسلامية والذبّ عنها، ومن هنا اتّخذ الشاعر هذا المنهج الفكري طريقة نحو السموّ والتألق و التميّز والإبداع.

من نماذج شعره ما ورد:

وَحَلَّ بِأَرْمِينِيَّةٍ تَحْتَ حَفْظِهِ لَدَى مَلِكٍ عَنِ جَانِبِهِ مَذْتَبٍ
فَلَمَّا تَجَلَّى الرَّوْعَ بَعْدَهُ إِلَى حَرَمٍ أَمِنٍ لِأَبْنَائِهِ اجْتَبِي
وَقَدْ كَانَ رَدَّ اللَّهِ عَنْهُمْ كَلِيمَهُ لِيَالِيٍّ يَدْعُو دَعْوَةَ الْمُتَغَضِّبِ
وَجَاءَ بَنُو يَعْقُوبَ يَشْكُونَ مِنْهُمْ يَنَادُونَهُ هَذَا قَتِيلٌ وَذَا سُبْيِ (٢٨)

المتأمل في الشعر الأندلسي يجد أنّ الدوافع المختلفة قد ساقطت الشعراء نحو التعبير عن فكرة معجزات النبي الأمين (ص)، خاصة ليلة المعراج والإسراء، منها ما يعود إلى دوافع نفسية، وشخصية، واجتماعية إثر الأزمات والكوارث التي ألمّت بالمجتمع الإنساني. فمن هذا المنطلق، بذل الشاعر الأندلسي كلّ ما لديه من طاقات وجهود تعبيرية، لاستنهاض الهمم وإيقاظ النفوس لأخذ العبر من حياة الرسول (ص)، طلباً للعون وتجسيدياً لما في شخصيته الرائعة من خصائل حميدة توجب اتباع نهجه الكريم وهديه النبيل.

سابعاً: الاستنجد بالرسول الكريم:

يعدّ الاستنجد بالشخصية المحمدية (ص) من المحاور الفكرية الأخرى التي افترشت مساحة كبيرة من المعطيات الأدبية لدى الشعراء الأندلسيين منذ غابر الأزمان. فالذي لا ريب فيه أنّ هذا المحور يعدّ من المفردات المهمة في المديح النبوي، لأنّ الشاعر لا يريد من خلال التطرّق إليه، الحصول على المكاسب المادية أو الدنيوية، بل يستخدم الطاقات التعبيرية للعثور على الشفاعة وطلب العفو ليوم لا ينفع فيه مال ولا بنون. ومن ثمّ، كانت هذه الفكرة خامرت كيانه واعتصرت نفسه وأثارت في داخله اللواعج النفسية، بسبب ذنب اقترفه، أو شعوره بعظمة المعصية أو الرثاء لنفسه. فالشاعر على ثقة تامّة بأنّ الرسول الأكرم (ص) كهف التائبين إلى الله جلّ وعلا وملاذ المذنبين. بناء على ذلك، خصّ الرسول (ص) باللجوء دون غيره.

من نماذج قوله ما ورد:

فمن لي وأني لي بريحٍ تَحْطِيْ
إلى الهاشمي الأبطحي محمد
إلى صفوة الله الأمين لُوحيه
لى ابن الذبيحين الذي صيغ مجده
إلى ذروة البيت الرفيع المُطَبِّب
إلى خاتم الرُّسُلِ المكين المُقَرَّبِ
أبي القاسم الهادي إلى خير مَشْعَبِ
ولما تُصَغُّ شمسٌ ولا بدرٌ غِيَهَبِ^(٢٩)

تبيّن لنا عبر هذه شبكة النصّ الشعري أنّ الشاعر يعتمد إلى الاستجداد بالرسول الأعظم (ص)، لكي يحصل يوم الورود على نعيم الجنة وظلّه الوارف، فجاء شعره معبرًا عن عواطف دينية وإيمانية صادقة مشحونة بالحبّ والوفاء.

إذا دققنا النظر في الظروف المحيطة بالمجتمع الأندلسي في كافة المستويات، السياسية، والاجتماعية، والدينية، والعقائدية، نجد أنّ فكرة الاستجداد قد نتجت عن هذه الظروف التعدة والحرجة، خاصة في المجال الديني وضعف الأسس العقائدية في المجتمع الإسلامي. حاول الشاعر الأندلسي خلال المديح النبوي، تجسيد فكرة الشكوى من الدهر وما ألمّ بالمسلمين من كوارث وفتن، إثر نشوب الحروب ورواج مظاهر البذخ والتترف وانتشار الخبث والخيانة، مدرجًا الهموم الفردية والجماعية ضمن هذا النمط الشعري القيم. يصدر هذا عمّا آلت إليه أوضاع الأمة، ومن هنا يأتي دور الشاعر الأساس، وهو تعميق هذه المشاعر والأحاسيس المرهفة، وقد جاء هذا الشعور ممزوجًا بالشعور الديني والعاطفة الدينية الفياضة^(٣٠).

من البيّن خلال هذه الأشرطة الشعرية أنّ الشاعر حاول ضمن تجسيد فكرة الاستجداد، التعبير عن هذه الهموم، عرض نقده للمجتمع الإسلامي بكلّ ما فيه من عيوب ومثالب، محاولًا إصلاح هذا المجتمع الإنساني وترشيده نحو الالتزام بهديه الكريم واجتثاث الفساد من النفوس، أملًا في العفو، طالبًا عونه وشفاعته.

ثامنا: الدعاء والتضرّع والاستغفار:

هذا المحور الفكري عند الشاعر الأندلسي قد تم إصداره عن كاهل أثقلته الذنوب، وعن نفسية إنسان قد اعترف بالمعصيات والخطايا، لما وجد في النبي الأمين (ص) من شفاعاة لآترد، وقلعة منيعة يلتجئ إليها أبناء البشر. انطلاقاً من هذا الموقف، نجد الشاعر يلحّ على العودة إلى هذا النبع الصافي، تحقيقاً للأمن الروحي والنفسي للمجتمع الإنساني.

من المعلوم أنّ الشاعر الأندلسي وجد ههنا فرصة مؤاتية لما سلف منه من ذنوب في الأيام الماضية، فمن ثمّ اتخذ الدعاء وسيلة ناجعة وأداة مطواعة للتعبير عن المديح النبوي، تائباً إلى الله جلّ وعلا، وتوجّه من منطلق نفسي ذاتي إلى الرسول الأكرم (ص)، لأنّ جاه النبي كان ولا يزال عند الله تعالى أعظم وأكبر من تلك الذنوب التي اقترفها الشاعر، ومن ثم، يرجو الحصول على شفاعته ورحمته ولن يخيب من ذلك. وهكذا "يلجأ الشاعر إلى حمى رسول الله (ص) وإلى قلبه الرحيم، ليشفع له عند الله سبحانه وتعالى، أن يرحمه ممّا يعانیه من ذلّ وغربة، وفي اللجوء راحة وأمل، تستشعر بهما النفس المعذبّة" (٣١).

من نماذج قوله ما ورد:

| | |
|-------------------------------|-------------------------------|
| واغفر إن يستغفري ذنوبهم | ومهما دعا داعٍ أحببهُ وأقرب |
| فقال إذن فاجعلهم ربّ أمّتي | فمن ترضهُ يا ربّ يُرض ويرغب |
| فقال هم في آخر الدهر | يعضّون أعدائي ويستنصرون بي |
| صفوتي دعائم إيمان وأركان سؤدد | مضت بغلاها مهدد بنت جلبب (٣٢) |

تبين لنا خلال هذه الأشرطة الشعرية أنّ الشاعر يعمد إلى الاستغفار والصفح عنه من خلال المديح النبوي، فمن هذا المنطلق، نجده دوماً يستشفع النبي الكريم (ص)، وهو شفيع مشفع عند الله جلّ وعلا.

هناك دوافع جمّة ساقط الشاعر هذا المساق، منها ما راج في البيئة الأندلسية من مظاهر الترف والتلاعب بالمعتقدات الدينية، ثم ما رأى من انهيار الأسس الدينية وضعفها، وما جرى بين النحل والفرق الفكرية المختلفة من نزاع محتدم وتفرقة عميقة، فأراد من خلال الدعاء والاستغفار، التوحيد بين الفئات والشرائح المختلفة في البيئة الأندلسية، ثم تذكير الناس بيوم الفصل وضرورة نبذ الخلافات. كل ذلك كان يضفي على المدح النبوي مميّزًا محببًا يثير في كيان الأمة الإسلامية عواطف جياشة وأحاسيس مرهفة تعبّر عن أعماق وجدان الشعوب المسلمة تجاه الرسول الأمين والأسوة الحسنة.

النتائج:

توصلنا في نهاية البحث إلى هذه النتائج:

١- من خلال الدراسة والبحث والاطلاع على هذا الموضوع، قد توصلنا إلى أنّ المدائح النبوية شعر صادق يتغنى به الكثير من الشعراء، وتفوقوا بها، لأنّها فنّ ظهر وتطوّر خلال العصور السابقة إلى يومنا الراهن.

٢- أبدع ابن أبي الخصال الأندلسي في المدائح النبوية، وجعلها فنّاً ازدهر بسبب عصر أمراء الطوائف وبروز النكبات والمحن والحروب التي عانت منها البلاد، فأخذ شعراء الأندلس يلجئون إلى الرسول (ص)، وحرص الشعراء على نظم قصائد طويلة في تعداد مناقب النبي الأكرم تشفّعاً له. من الطبيعي أن يتغنى شعراء الأندلس بالمدائح النبوية، فالنبي الأمين (ص)، المثل الكامل لكل مسلم في تقواه ونسكه وورعه، وامثاله لأوامر ربّه، لأنّ الرسول (ص)، الشخصية الفذة التي استطاعت أن تنتشل الناس من الجهل والضلالة والحيرة إلى الهداية والرشاد. لذا فقد حضيت هذه الشخصية بحبّ الشعراء وإعجابهم وتقديرهم.

٣- تعالج هذه الورقة البحثية جانباً مهمّاً من المديح النبوية لدى الشاعر الأندلسي، فعلى الرغم من كثرة نتاجه الأدبي وجودته، إلا أنّ نصيبه من اهتمام النقاد والباحثين كان ضئيلاً، من هنا تعدّ هذه الدراسة فتحاً جديداً لجانب من أدب الشاعر الديني والكشف عن عاطفته المرهفة.

٤- تخصصت عبقرية الشاعر في البيئة الأندلسية في المستويات المختلفة خاصة في المدائح النبوية، ومن هنا يتضح أنّ إيمانه الصادق ناجم عن طبيعة متأصلة تفيض حباً للتعالم الدينية السمحة، وعشفاً للرسول الأمين (ص)، وهذا ما يظهر جلياً ضمن نتاجه الأدبي.

٥- تبين لنا من خلال هذه الدراسة أنّ الشاعر الأندلسي اتخذ المديح النبوي أداة طيعة ووسيلة ناجعة لتفريج كرب الأمة الإسلامية ليحصل من خلاله على القدوة والأسوة الحسنة استعادة لماضيها التليد والمجيد.

٦- إنّ المديح النبوي عند الشاعر يعبر عن قدر كبير من العناصر العاطفية والملاحم الذاتية التي تمثل واقع النفس وتجدد منازعه الوجداني. ومن ثمّ، يتسم شعره بالوضوح والعمق، وقد استمدّ الشاعر الكثير من أفكاره ومعانيه من الروافد الدينية، كالقرآن الكريم، والحديث الشريف، ومحاكاة شعراء المشاركة.

الهوامش:

١- المعجم في أصحاب القاضي الصدفي، أبو علي حسين بن محمد ابن الأبار، تحقيق إبراهيم الإبياري، دار صادر، بيروت، ١٩٨٩م، ص ١٢٥. ينظر: قلائد العقيان ومحاسن الأعيان، أبو نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله القيسي الإشبيلي ابن خاقان، تحقيق حسين يوسف خربوش، مكتبة المنار، لبنان، ١٩٨٩م، ص ٥١٨.

٢- المطرب من أشعار أهل المغرب، عمر بن حسن بن دحية أبو الخطاب، دار العلم للجميع، بيروت، ١٩٥٥م، ص ١٨٧.
(٣)- المعجم في أصحاب القاضي الصدفي، ص ١٢٥. انظر: بغية الملتمس في تاريخ أهل الأندلس، أبو جعفر الضبي أحمد بن يحيى بن أحمد، دار الكتاب المصري، ١٩٨٩م، ص ٢٨٣.

٤- الإحاطة في أخبار غرناطة، لسان الدين أبي عبد الله محمد بن الخطيب، دار الكتب العلمية، بيروت، مج ٣، ٢٠٠٩م، ص ١٠.

٥- رسائل ابن أبي الخصال الغافقي الأندلسي، تحقيق محمد رضوان الداية، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٨م، ص ١١. انظر: الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم، أبو القاسم ابن بشكوال، تحقيق بشار عواد معروف، دار المغرب الإسلامي، تونس، ٢٠١٠م، ص ٢٢٥.

٦- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، أحمد بن محمد المقرئ التلمساني، مج ٣، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٨٨م، ص ١٤.

- ٧- المطرب من أشعار أهل المغرب، ص ١٨٨.
- ٨- المطرب من أشعار أهل المغرب، ص ١٨٨.
- ٩- المدائح النبوية في الأدب العربي، زكي مبارك، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٣٥م، ص ١٧.
- ١٠- أروع ما قيل في المديح، إميل ناصف، دار الجيل، بيروت، د.ت، ص ٢٥.
- ١١- المدائح النبوية حتى نهاية العصر المملوكي، محمود سالم محمد، دار الفكر، دمشق - سوريا، ١٩٩٦م، ص ٥٥.
- ١٢- المدائح النبوية حتى نهاية العصر المملوكي، ص ٦٧.
- ١٣- المدائح النبوية في الشعر الشعبي الجزائري، عبد اللطيف حني، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيذر، بسكرة، الجزائر، مج ٥، العدد ١، ٢٠١٢م، صص ٧٠-٦٩.
- ١٤- الصيِّب والجهام والماضي والكهام، أبو عبدالله محمد بن عبدالله لسان الدين بن خطيب، شركة الوطنية للنشر، الجزائر، ١٩٧٣م، صص ٢٨١-٢٨٠.
- ١٥- الحركة الشعرية زمن المماليك في حلب الشهباء، أحمد فوزي الهيب، الرسالة، بيروت، ١٩٨٦م، ص ١٠٠.
- ١٦- تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات، شوقي ضيف، دار المعارف، ١٩٨٧م، ص ٣٧١.
- ١٧- فنية شعر المديح النبوي في الأندلس، عمر إبراهيم توفيق، مجلة جامعة كركوك، ٢٠١٠م، العدد ١، ص ٤.
- ١٨- فنية شعر المدح النبوي في الأندلس، ص ٢.
- ١٩- رسائل ابن أبي الخصال، صص ٦٣١-٦٣٠.
- ٢٠- المدائح النبوية، محمد علي مكي، القاهرة، الشركة المصرية العالمية للنشر، ١٩٩٠م، ص ١٠٣.
- ٢١- رسائل ابن أبي الخصال، صص ٣٩٤-٣٩٥.
- ٢٢- الحنين في الشعر الأندلسي في القرن السابع الهجري، محمد أحمد دقالي، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية، ٢٠٠٨م، ص ٣٤٢.
- ٢٣- رسائل ابن أبي الخصال، صص ٣٩٣-٣٩٤.
- ٢٤- ابو عبد الله بن أبي الخصال، ص ٢٦٠.
- ٢٥- تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات، ص ٣٧١.
- ٢٦- رسائل ابن أبي الخصال، ص ٢٦٦.
- ٢٧- رسائل ابن أبي الخصال، صص ٦٥٥-٦٥٤.
- ٢٨- رسائل ابن أبي الخصال، ص ٦٢٩.

- ٢٩- رسائل ابن أبي الخصال، ص ٦٢٩.
٣٠- المدائح النبوية حتى نهاية العصر المملوكي، محمد، ص ١٣٤.
٣١- عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي، محمود رزق سليم، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٩٦٢م، ص ٢٩١.
٣٢- رسائل ابن أبي الخصال، ص ٦٣٦.

المصادر والمراجع:

- ١- ابن الأبار، أبو علي حسين بن محمد، المعجم في أصحاب القاضي الصدفي، تحقيق إبراهيم الإبياري، دار صادر، بيروت، ١٩٨٩م.
٢- ابن خاقان، أبو نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله القيسي الإشبيلي، قلائد العقيان ومحاسن الأعيان، تحقيق حسين يوسف خربوش، مكتبة المنار، لبنان، ١٩٨٩م.
٣- أبو الخطاب، عمر بن حسن بن دحية، المطرب من أشعار أهل المغرب، دار العلم للجميع، بيروت، ١٩٥٥م.
٤- ابن الخطيب، لسان الدين أبي عبد الله محمد، الإحاطة في أخبار غرناطة، دار الكتب العلمية، بيروت، مج ٣، ٢٠٠٩م.
٥- ابن بشكوال، أبو القاسم، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم، تحقيق بشار عواد معروف، دار المغرب الإسلامي، تونس، ٢٠١٠م.
٦- دقالي، محمد أحمد، الحنين في الشعر الأندلسي في القرن السابع الهجري، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية، ٢٠٠٨م.
٧- رسائل ابن أبي الخصال الغافقي الأندلسي، تحقيق محمد رضوان الداية، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٨م.
٨- سليم، محمود رزق، عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٩٦٢م.
٩- الضبي، أبو جعفر أحمد بن يحيى بن أحمد، بغية الملتبس في تاريخ أهل الأندلس، دار الكتاب المصري، ١٩٨٩م.
١٠- ضيف، شوقي، تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات، دار المعارف، ١٩٨٧م.
١١- المقرئ التلمساني، أحمد بن محمد، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، مج ٣، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٨٨م.
١٢- مبارك، زكي، المدائح النبوية في الأدب العربي، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٣٥م.
١٣- محمود، سالم محمد، المدائح النبوية حتى نهاية العصر المملوكي، دار الفكر، دمشق - سوريا، ١٩٩٦م.
١٤- مكي، محمد علي، المدائح النبوية، القاهرة، الشركة المصرية العالمية للنشر، ١٩٩٠م.

١٥- ناصف، إميل، أروع ما قيل في المديح، دار الجيل، بيروت، د.ت.

١٦- الهيب، أحمد فوزي، الحركة الشعرية زمن المماليك في حلب الشهباء، الرسالة، بيروت، ١٩٨٦م.

المجلات والدوريات:

- المدائح النبوية في الشعر الشعبي الجزائري، عبد اللطيف حني، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيدر، بسكرة، الجزائر، مج ٥، العدد ١، ٢٠١٢م، صص ٧٠-٦٩.

رؤاد مركز مشغرى العلمي في جبل عامل

دراسة تاريخية في جذور الحراك العلمي العاملي والصلوات العلمية

أ.م.د. علي زهير الصراف

كلية الآثار/ جامعة الكوفة

المقدمة:

تعد منطقة جبل عامل من حواضن الفكر الإمامي منذ القرون الإسلامية الأولى وأصبحت مقراً ومستقر العلماء منذ أن عاد إليها الشهيد الأول (ت ٧٨٦ هـ / ١٣٨٤ م) ^(١) وتحديداً لبلدته جزيين ^(٢) قادماً من العراق مركز الإشعاع الفكري للإمامية منذ القدم. وقد أصبح لجبل عامل صيت علمي ذائع بفضل جهود الشهيد الأول التأسيسية، كما استمرّ تلاميذه بنشر العلوم الدينية في مختلف بقاعه وقراه.

وعليه كانت مدينة جزيين منطلق الحياة العلمية عند الإمامية في جبل عامل ثم انتشر هذا الحراك إلى المراكز العلمية العاملية الأخرى، وهي حسب الترتيب الزمني كل من: عيناثا ^(٣) والكرك ^(٤) وميس الجبل ^(٥) وجباع ^(٦) وآخرها هي قرية مشغرى. ^(٧)

كما تعدّ مشغرى آخر مركز علمي شهد الحركة العلمية العاملية. وقد ارتبط هذا الحراك في مشغرى بأسرة آل الحرّ. كما يعدّ عمر الحركة العلمية فيها قصير نسبياً لكن مراكز مشغرى مع جباع وجزيين اشتهرن بأنهنّ منبع العلماء في جبل عامل. ^(٨)

ونسعى في بحثنا المختصر هذا إلى تسليط الأضواء على نشأة الحياة العلمية عند الإمامية في جبل عامل بصفته مدخلاً مهماً لمعرفة طبيعة الحياة العلمية وجذورها في بلدة مشغرى آخر البلدات العاملية احتضاناً للعلم والعلماء في جبل عامل من خلال مرور أهم النظريات الواردة في هذا الخصوص ثم ربط الكلام بين النظرية الثالثة وظهور أسماء لأعلام الإمامية في أطراف جبل عامل ثم ظهور أعلام من جبل عامل كانوا من رؤاد العلم فيها.

ثم سنذكر مبحثاً تأسيسياً في خصوص مراكز جبل عامل العلمية التي سبقت مركز مشغري لتتصل الأفكار عند القارئ فيما يتعلق بجذور الحراك العلمي العاملي ولكون مركز مشغري العلمي هو آخر المراكز العلمية للإمامية في جبل عامل.

وقبل الشروع في تفاصيل مركز مشغري والبحث في الصلات العلمية بين آل الحر العامليين وهذا المركز العلمي سنذكر تفاصيل تتعلق بجغرافية مشغري التاريخية وسيرة رائد الحراك العلمي في مشغري الأقدم الشيخ يوسف بن حاتم المشغري.

ثم في نهاية الأمر وبعد تحقق هذا المدخل والمباحث التأسيسية سنفصل ظهور أسرة آل الحر على المشهد العلمي في مشغري والصلات العلمية بينهم ومركز مشغري العلمي. ولا يخفى على الباحث المتتبع أن مصطلح "العلمية" هنا وصلته بالمذهب الإمامي في جبل عامل يختصر على العلوم الدينية والشرعية ولا يتعداها، وأن مصدرنا الأساس عن أسماء علماء الإمامية في مركز مشغري وسائر المراكز العلمية في جبل عامل هو نصوص الإجازات العلمية باعتبار أن هؤلاء العلماء هم علماء دين وشرع أي فقهاء ومحدثين. كما كان الصنف الثاني من المصادر التي استعان بها الباحث هو مصادر الرجال والتراجم وبالأخص كتاب أمل الآمل تصنيف أحد هؤلاء المشغريين العامليين الإمامية والعالم بأنسب أسرته الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي (ت ١١٠٤ هـ / ١٦٩٣ م).^(٩) وكما لا يخفى أن علماء الإمامية لم يهتموا بالتاريخ ومشتقاته كعلم الرجال والتراجم والأنساب مقارنة بكثرة التصانيف فيه عند علماء أهل السنة سوى بعض الاهتمام بأنسب الهاشميين وبعض الكتب في الرجال قديماً وأن نصوص الإجازات بدورها لا تحمل معلومات مكثفة. وبين هذا وذاك سعى الباحث لتتبع هذه المعلومات الضئيلة ورسم خارطة نهوض الحراك العلمي العاملي عامة وفي مشغري خاصة وصولاً بأقول نجمها بعد هجرة علمائها إلى العراق وإيران ولأسباب سيناقتها البحث أيضاً. كما حاولت في بحثي أن أترجم لأغلب الأعلام والأماكن الواردة في

البحث الذي يخص حقبة الحياة الفكرية العملية مورد البحث، وقد استثنيت الأعلام والأماكن المشهورة وفق السياقات العلمية المعتمدة ولكثرتها.

أولاً: الحياة العلمية عند الإمامية في جبل عامل نشأتها وتطورها

أ. نشأة التشيع في جبل عامل والنظريات الموجودة على الساحة العلميّة في هذا الشأن:

ارتبطت منطقة جبل عامل بالتشيع منذ أقدم العصور الإسلامية، كما احتضنت العديد من المراكز العلمية التي نشرت الفكر الإمامي عبر تاريخها العلمي العريق وتميّزت من خلال الآثار العلمية التي تركها علماءها.

وقصة دخول التشيع في جبل عامل قصة في غاية الغموض وتدعو للغور في بطون المصادر والولوج في الكثير من المراجع والدراسات التي تكلمت عن الحياة العلمية في جبل عامل منذ نشأتها. وفي الحقيقة وبعد الاطلاع على مجملها نجد أنها أغفلت التأسيس لنشأة التشيع في هذه المنطقة العريقة وكيفية التأسيس العلمي للفكر الإمامي فيها وصولاً بتأسيس المدارس العلمية في مختلف مراكزها.

وبشكل موجز وسريع نستطيع تلخيص النظريات الموجودة في بطون المصادر والمراجع والدراسات عن نشأة التشيع في جبل عامل إلى ثلاثة أمور:

١. أصحاب الإمام علي (ع) وأثرهم الفكري والعسكري في نشر الإسلام والتشيع في البلدان المفتوحة منها جبل عامل:

وملخص الكلام في هذه النظرية أن أصحاب الإمام علي (ع) ومن خلال إسهاماتهم الفعالة في الفتوح الإسلامية وبتخطيط من الإمام علي (ع) نفسه هم من وضعوا اللبنات الأولى للفكر الشيعي في البلدان المفتوحة ومنها بلاد الشام جبل عامل. (١٠)

ومن أبرز من أسهم في الفتوح الإسلامية في العراق والشام وله الفضل الحقيقي في الانتصارات التي حققت في تلك الحروب بتوجيه من الإمام علي (ع) التي حاولت أقلام السلطة نزع تلك الأدوار الهامة

منهم وإعطائها للآخرين، وكانت له بصمات فكرية بناءة فى البلدان المفتوحة بعد أن استقروا فيها من هؤلاء القادة الولاية الشيعية نستطيع تسمية خالد بن سعيد بن العاص الأموي القرشي (ت ١٤ هـ / ٦٣٥ م) ^(١١) وسلمان المحمدي الفارسي (ت ٣٦ هـ / ٦٥٦ م) ^(١٢) وحذيفة بن اليمان العبسي (ت ٣٦ هـ / ٦٥٦ م) ^(١٣) وهاشم بن عتبة بن أبي وقاص الزهري القرشي المعروف بالمرقال (ت ٣٧ هـ / ٦٥٧ م) ^(١٤) وعمار بن ياسر العنسي (ت ٣٧ هـ / ٦٥٧ م) ^(١٥) ومالك بن الحارث الأشتر النخعي (ت ٣٨ هـ / ٦٥٨ م) ^(١٦) ومحمد بن أبي بكر التيمي القرشي (ت ٣٨ هـ / ٦٥٨ م) ^(١٧) وحجر بن عدي الكندي (ت ٥١ هـ / ٦٧١ م) ^(١٨) وغيرهم. ^(١٩)

ومن بينهم يبرز دور الصحابي أبي ذر جندب بن جنادة بن كعيب الغفاري، ^(٢٠) خاصة وأنه سكن الشام فى بعض الوقت فى عهد خلافة عثمان بن عفان (٣٥.٢٣ هـ / ٦٥٦.٦٤٤ م). وبعد التتبع فى هذا المجال نجد أن أساس هذا الأمر يعود لمقولة أطلقها الشيخ محمد بن الحسن بن علي الحر العاملي فى كتابه أمل الآمل ^(٢١) وأصبحت معولاً عليها فى الكتابات اللاحقة وأمرأ مسلماً به. وعند تحليلها نجد أنها أولاً رواية متأخرة وثانياً أنه لم يستشهد على صحته بأى مصدر آخر ليدعم قوله هذا؛ فلا يمكن التعويل على هذه الوثيقة المتأخرة. وثالثاً أننا ومع خلال تتبع الأخبار والمرويات التاريخية وكتب التراجم والسير والحديث وشروحه لا نجد أى عبارة لأبي ذر - وهو فى الشام - يدعو فيها لعلي بن أبي طالب وأهل بيته (ع). كما أننا لا يمكن أن نستدل على ذلك بوجود مشهدين لأبي ذر فى جبل عامل، إذ من الواضح أن المشاهد المرتبطة بأهل البيت (ع) وأبنائهم وأصحابهم هو تقليد شيعي عريق المقصود منه تثبيت أثر تاريخي بصرف النظر عن صحته، وهذا واضح جداً لمن يستقصي تاريخ تلك المزارات والمشاهد، فهى كثيرة جداً خاصة بالنسبة لأبناء الأئمة وأصحابهم. كما أننا لا نملك أى أساس تاريخي لنسبة هذين المشهدين لأبي ذر فى المصادر القديمة ناهيك عن تشكيك المراجع الحديثة بصحة هذا الانتساب؛ فهذه الروايات تعد شفوية تناقلتها الصدور والألسن، فمسألة ظهور التشيع فى جبل عامل أو أى بقعة من بلاد الشام متصلة

بلفترة التي عاش فيها،^(٢٢) لكن المسألة أكثر تعقيداً بكثير مما يمكن أن تفسر بنشاط داعية وحيد فقد نرى الطابع الأسطوري قد ركز على عنصر البطولة وقد أغفل المهيئات والأسباب الموضوعية سياسية واجتماعية وثقافية.^(٢٣)

٢. القبائل الموالية لآل البيت (ع) ودورها في نشر التشيع في بلاد الشام وجبل عامل:

هذه النظرية هي تابعة لسابقتها، لكن هنا المنظور التأثير الجماعي على المجتمع وليس الفردي. وفي بادئ الأمر يمكن أن تكون هذه النظرية أكثر تقبلاً للذهن من سابقتها، إذ أن أثر الجماعة يكون دائماً أقوى من أثر الفرد. وملخص هذه النظرية تقول بهجرة قبيلة همدان إلى الشام^(٢٤) وتواجد قبائل أخرى عرفت بولائها لآل البيت (ع) في العراق مثل خزاعة وربيعة وأدوارها البارزة في نصرة أمير المؤمنين الإمام علي (ع) وولديه الإمام الحسن والإمام الحسين (ع)^(٢٥) وأنها كانت مؤثرة في نشر التشيع في هذه الأماكن. ولعلنا نستطيع قبول هذا الأمر بالنسبة للعراق إلا أن الشام وهو مركز الخلافة الأموية فمن الصعب أن يحدث هجرة هذه القبائل إليها زلزلاً فكرياً عنيفاً يحوّل الفكر السائد لمنطقة فكرها بعيد كل البعد عن آل البيت (ع) في تلك المرحلة. كما أن هناك بعض الأمور المنطقية المتعلقة بتحليل الوقائع التاريخية تدلنا على عدم صحة هذا الرأي ومن أبرز هذه الأمور: الغياب التام لرواة الشيعة في جبل عامل في كتب الحديث والرجال؛ فلو كان الفكر الشيعي حاضراً هناك منذ ذلك الزمن السحيق لأفرز علماء ورواة أحاديث أو فقهاء. كما أن هناك غياب واضح لأي تواجد شيعي في جبل عامل خاصة في القرون الأربعة الأولى بعد الهجرة؛ فلو لم يكن كذلك لماذا لم يرد في المصادر التاريخية أي تحرك شيعي سياسي أو اجتماعي من قبيل تمرد أو ضغوطات من قبل الحكام ضد الشيعة. والأمر الآخر هو عدم وجود المشاهد الشيعية في جبل عامل، ففيه دلالة واضحة بأن تلك المنطقة لم تكن مؤهلة بالتشيع حتى يلجأ إليها الشيعة وخاصة أبناء الأئمة الأطهار (ع) وأحفادهم وباقي علماء الشيعة ورموزها.^(٢٦)

٣. الدول الشيعية في بلاد الشام وأدوارها في نشر التشيع في بلاد الشام وجبل عامل:

هذه النظرية تؤيدها أدلة عدة وهي أكثرها ترجيحاً في نشأة التشيع في جبل عامل وبداية تغلغل الفكر الإمامي إليه، إذ كان بداية القرن الرابع الهجري وحتى القرنين الخامس والسادس الهجريين/ القرون العاشر حتى الثاني عشر الميلادي تسيطر على الساحة السياسية الإسلامية ثلاث دول شيعية حكمت على ثمانين بالمائة من مساحة البلاد الإسلامية من المغرب الأقصى وحتى أقاصي خراسان. وأبرز هذه الدول: الدولتان الشيعيتان الاثنا عشريتان: الدولة البويهية (٤٤٧.٣٢٠ هـ / ١٠٥٥.٩٣٢ م) ومركزها بغداد والدولة الحمدانية (٣٩٤.٣١٧ هـ / ١٠٠٤.٩٢٩ م) في الجزيرة وبلاد الشام ومركزها الموصل وحلب والدولة الفاطمية الشيعية الإسماعيلية (٥٦٧.٢٩٧ هـ / ١١٧٢.٩١٠ م) في المغرب العربي ثم مصر والشام ومركزها القاهرة، فقد كانت لهذه الدول الأثر الواضح في توسع وانتشار التشيع في بلاد الشام ومصر، فهناك نصوص دالة على ذلك ومن مصادر مخصصة للتشيع تماماً. (٢٧)

فقد وصف المقدسي الدولة الفاطمية في كتابه الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية قائلاً: «وفي أيامهم كثرت الرافضة واستحكم أمرهم ... واقتدى بهم غيرهم وأفسدت عقائد طرائف من أهل الجبال الساكنين بثغور الشام» (٢٨) كما نصّ الذهبي على رواج الفكر الشيعي في تلك القرون خاصة في رقعتي الشام ومصر وعبر عنها بلغة غير علمية كما قال صاحبه أبو شامة؛ فقال في حوادث سنة ٣٦٤ هـ / ٩٧٥ م: «وفي هذه السنين وبعدها كان الرفض يغلي ويفور بمصر والشام والمغرب والمشرق لا سيما العبيدية الباطنية ...» (٢٩) وفيه دلالة على أن الدولة الفاطمية كانت ترعى وتبث التشيع في أرجاء البلدان الإسلامية وأن التشيع كان الغالب عليها سياسياً. وهناك نصوص أخرى دالة على قبول هذا الرأي وهي كثيرة وخارجة عن نطاق هذا المختصر. (٣٠)

ب . إرهابات تغلغل الفكر الإمامي لمنطقة جبل عامل:

يمكننا من خلال كل ما ورد سابقاً وبعد أن قبلنا نظرية انتشار التشيع في جبل عامل بواسطة الدول الشيعية أن نستنتج تغلغل الفكر الإمامي لمنطقة جبل عامل كالاتي:

نظراً لقرب حلب الجغرافى من جبل عامل - وهو من أهم مراكز التشيع فى القرنين الثالث والرابع الهجرىين وعاصمة الدولة الحمدانية - والارتباط السكانى والقبلى الموجود بینه وبين جبل عامل يرجح بأن التشيع قد تغلغل منه إلى جبل عامل باتجاه طرابلس الشام حيث رعت التشيع هناك دولة بنى عمار.^(٣١) وكانت مدينة طرابلس مركزهم وهي إمارة شيعية استمرت بين الأعوام ٥٠٣.٤٦٢ هـ / ١١٠٩.١٠٧٠ م، وقد اشتهرت بكفاحها ضد الصليبيين حتى سقطت على أيديهم، وكانوا قضاة طرابلس حتى استقلوا وأصبحوا أمرائها.^(٣٢) كما وصف ناصر خسرو الرحالة الفارسى الشهرى المدينة بذات الصبغة الشيعية حينما مر بها.^(٣٣) وكان للسيد محسن الأمين استنتاج مهم ذهب من خلاله إلى تبني هذه النظرية فى انتشار التشيع وتغلغل الفكر الإمامى فى جبل عامل عندما قال: «ويمكن أن يكون جمهور علماء جبل عامل حوالى القرن السادس وقبله إنما هم من مهاجرى حلب وطرابلس، فحلب إلى القرن السادس كان الغالب عليه التشيع ونكبت وقتلت الشيعة فيها حوالى القرن السادس وأنتشر من سلم منهم فى البلدان، ويمكن أن يكون قسم منهم هاجر إلى جبل عامل، وطرابلس حوالى القرن الرابع كان الغالب على أهلها التشيع وكذلك صيدا ويمكن أن يكون هاجر جمع من البلدان إلى جبل عامل...».^(٣٤) كما كان للبويعيين أثر بشكل غير مباشر فى انتقال التشيع إلى جبل عامل، إذ كان مركز حكمهم بغداد التى أصبحت الرافد العلمى الأساسى لجبل عامل فى تلك القرون وارتبط علماء بلاد الشام الإمامية بمرجعيتها الدينية.^(٣٥)

كما أن هناك نصوصاً دالة على تشيع بعض مدن جبل عامل الأخرى وأطرافها مثل صور وطبرية^(٣٦) ونابلس وأكثر أهل عمان وقُدس^(٣٧) التى ذكر أنها من رستاق جبل عامل.^(٣٨) كما عرف التشيع فى حمص، فقد نسب إليها فقيه إمامى وهو أحمد بن علي بن معقل الأزدي الحمصى^(٣٩) (٦٤٤.٥٦٧ هـ / ١٢٤٦.١١٧٢ م) الذى رحل إلى العراق وأخذ مبادئ التشيع فى الحلة^(٤٠) ثم استقر فى بعلبك التى كانت متشيعه هي وأطرافها آنذاك.^(٤١) كما أن هناك نصوص رصدت تجمعاً شيعياً امامياً فى مدن جبل عامل فى نهاية القرن الرابع وبداية القرن الخامس الهجرىين/ العاشر والحادي عشر الميلاديين من خلال

المراسلات العلمية والنصوص الأدبية بين علماء جبل عامل وأطرافها وبغداد التي كانت المركز العلمي البارز على الساحة العلمية الشيعية منها: رثاء الشاعر عبد المحسن بن محمد الصوري (ت ٤١٩ هـ / ١٠٢٨ م) لشيخ علماء الإمامية أبو عبدالله محمد بن محمد بن نعمان بن عبدالسلام الحارثي العكبري البغدادي المعروف بالشيخ المفيد (ت ٤١٣ هـ / ١٠٢٢ م) ^(٤٢) وأن هناك رسائل علمية كتبت على يد تلميذ الشيخ المفيد الشريف المرتضى أبو القاسم علي بن الحسين بن موسى الموسوي (ت ٤٣٦ هـ / ١٠٤٥ م) إجابة على مسائل وردت عليه من أهل طرابلس. ^(٤٣) كما عرف في صور في تلك الحقبة عالم إمامي آخر وهو الشيخ أبو الفتح محمد بن علي بن عثمان الكراكي (ت ٤٤٩ هـ / ١٠٥٧ م) ^(٤٤) وكان من تلامذة الشريف المرتضى والشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي (ت ٤٦٠ هـ / ١٠٦٨ م) ^(٤٥) وممن يروي عن الشيخ المفيد، ^(٤٦) فقد استقر في مدينة صور ويمكن فهم ذلك من خلال ما قام به من تأليف رسالة تحت عنوان: «الأصول في مذهب آل الرسول» التي قال الطبرسي صاحب المستدرک عنها أنه عملها للإخوان بصور سنة ثمانية عشر وأربعمائة. ^(٤٧) وهذا العنوان ذات دلالة على أن المذهب الإمامي هو جديد نسبياً على مدينة صور والمنطقة. كما كانت وفاته بها على بعض الأقوال. ^(٤٨) والشاهد الآخر الدال على وجود جماعة من الشيعة الإمامية في أطراف جبل عامل هو بعثة العلماء الشاميين من بغداد حاضرة العلم آنذاك إلى بعض مدن الشام وقرى جبل عامل لرفع حاجاتهم الدينية، فمثلاً أرسل الشيخ الطوسي أحد تلامذته البارزين وهو ابن البراج الطرابلسي (ت ٤٨١ هـ / ١٠٨٨ م) ^(٤٩) وكان من تلامذة الكراكي أيضاً وممن روى عنه بالقراءة والسماع والإجازة وغيرها. ^(٥٠) فقد أرسل إلى طرابلس ومكث هناك عشرين عاماً تولى خلالها القضاء في طرابلس، ^(٥١) وزاد الأفندي أنه قد عمل أكثر الخلق ببركته بطريقة الشيعة ^(٥٢) فهو يدل بوضوح على عمق تأثير الشيخ ابن البراج في نفوس أهل طرابلس وما قام به من جهد علمي متميز في سبيل نشر التشيع، كما تشهد له بذلك كثرة تصانيفه العلمية. ^(٥٣) وقد وصلنا كتابه المهذب في الفقه. ^(٥٤) كما عرف عن مدينة صيدا العاملة دخولها تحت

طائفة الفكر الإمامي، إذ نجد أن هناك رسائل علمية احتوت على مجموعة من الأسئلة بعث بها علماءها عن لسان أهلها وقد أجاب عليها الشريف المرتضى وعرفت بالمسائل الصيداوية.^(٥٥)

كما عرف جيل من علماء جبل عامل نستطيع أن نطلق عليهم بالرواد الأوائل للفكر الإمامي في جبل عامل، وهم أول علماء عامليين نشأة وتدرّساً فيها وحتى وفاة، خاصة بعد أن لاحظنا كيف تطور الفكر الإمامي بواسطة نخبة من العلماء وتبين لنا أنه لم تكن من بين هؤلاء الشخصيات علماء عامليين. فهناك أسماء عدة لعلماء الإمامية العاملين في هذه المرحلة التأسيسية أصبحوا صلة الوصل بين جبل عامل والمراكز العلمية الإمامية في العراق كبغداد والنجف الأشرف والحلة بالأخص، وكان لوجود هؤلاء على الساحة العلمية العاملة التأثير الهائل في إحداث النقلة النوعية في تاريخ جبل عامل الثقافي والعلمي وتثبيت قواعد الفكر الإمامي وأن الشهيد الأول وجد الطريق معبداً فبفكره المعطاء وتلامذته الكثيرين استطاع من تأسيس أول مركز علمي عاملي في وطنه. وهؤلاء العلماء هم:

إسماعيل بن الحسين العودي الجزيني (ت ٥٨٠ هـ / ١١٨٤ م)، جمال الدين يوسف بن حاتم المشغري (توفي بعد ٦٦٤ هـ / ١٢٦٥ م)، طومان بن أحمد المناري (ت ٧٢٨ هـ / ١٣٢٨ م)، صالح بن مشرف الطلّوسي، مكّي بن محمد بن حامد الجزيني (توفي بعد ٧٥٦ هـ / ١٣٥٥ م) والذ الشهيد الأول، أسد الدين الصائغ الجزيني وإبراهيم بن أبي الغيث الحسام البخاري العاملي (توفي بعد ٧٣٦ هـ / ١٣٢٥ م).^(٥٦)

ثانياً: مراكز جبل العامل العلمية المؤسسة لمركز مشغري العلمي عرف مركز مشغري آخر مركز علمي في جبل عامل وهو من أقصرها عمراً إذ تأخر عن مركز جباع الذي انفرط عقده بعد مقتل الشهيد الثاني زين الدين بن علي الجباعي سنة ٩٦٥ هـ / ١٥٥٨ م.^(٥٧) وكان اتجاه علمائه وعلماء مركز مشغري بعد هذه الكارثة التي حلت بهم هو بلاد فارس إذ كانت الدولة الصفوية (١١٥٠.٩٠٦ هـ / ١٧٣٧.١٥٠١ م) هناك ترعى التشيع وتستقبل علمائه من كل حذب وصوب.

وبما أن مشغري كانت نهاية الحراك العلمي العاملي وبالطبع نتاج جهود من سبقها لابد لنا من تلخيص مضغوط جداً للمراكز العلمية العاملية التي سبقت مشغري.

١. مركز جزين: نشأ بجهود رائد الفكر الإمامي في جبل عامل وأول مؤسس للتنظيم العلمي فيه ألا وهو الشهيد الأول شمس الدين محمد بن مكي بن محمد بن حامد الجزيني العاملي (ت ٧٨٦ هـ / ١٣٨٤ م)، وبالطبع كان لهذه الدراسة المنتظمة والمؤسسة التعليمية التي نشأت في جزين على يد الشهيد الأول نتاج علمي وهم تلاميذه، ويمكن عدّه أول مكوّن علمي إمامي في جبل عامل. وقد بلغ عددهم عند بعض الباحثين اثنا عشر رجلاً^(٥٨) وعند باحث آخر بلغوا أربعة وعشرين فقيهاً قد صنّفهم حسب بلدانهم.^(٥٩) فهذا العدد كبير لم يشهده تاريخ جبل عامل العلمي. والأمر الملفت أن هؤلاء العلماء من تلاميذ الشيخ الشهيد قد وفدوا إلى جزين من أماكن مختلفة بضمنهم علماء من الحلة، وفيه دلالة واضحة على مكانة جزين العلمية التي اكتسبتها من شخصية الشهيد الأول العلمية الفذة وما كان يتبوّئه من مقام المرجعية العليا للشيعة في جزين وجبل عامل بعد وفاة أستاذه فخر المحققين محمد بن العلامة الحلبي الحسن بن يوسف بن المطهر الحلبي (ت ٧٧١ هـ / ١٣٧٠ م) ممّا جعل من هذه القرية محط أنظار علماء الإمامية وبالتالي أصبحت أول مركز علمي للإمامية في جبل عامل.^(٦٠)

ومما امتاز به مركز جزين عدم اقتصار العلم على الرجال فكان للنساء دور هام في نشر العلم والتفقه،^(٦١) فقد عُرفَت أم علي زوجة الشهيد الأول كشخصية علمية في الوسط النسوي وقد وصفها الحر العاملي بالعالمة الفاضلة التقية الفقيهة العابدة وكان الشهيد يثني عليها ويأمر النساء بالرجوع إليها.^(٦٢) كما برزت فاطمة أم الحسن بنت الشهيد الأول التي لقبت بـ (ست المشايخ)،^(٦٣) ويكفي هذا اللقب دلالة على شهرتها العلمية.

٢. مركز عيناتا:

يعد أول متلقٍ للعلوم العاملية التي انبعثت من جزين وبواسطة جهود الشهيد الأول. وقد برزت فيها أول الأسر العلمية العاملية وهم آل الحسام وآل خاتون العيناثيين، وكان لهم الدور الأساس في نقل تراث جزين العلمي. كما نجح في تنشئة شخصيات علمية مرموقة في جبل عامل واستقطاب أخرى من خارج جبل عامل وهياً لظهور مركزي الكرك وجباع بتخريجهما المحقق الكركي (ت ٩٤٠ هـ / ١٥٣٤ م) ^(٦٤) والشهيد الثاني. كما اكتفى ذاتياً فلم نسمع من علمائه من درس خارج جبل عامل، ولكن لم يصل أحد من فقهاء بمستوى الشهيد الأول، كما لم نجد من علمائه من تبنى نظام المرجعية الدينية بعد الشيخ الشهيد. ^(٦٥)

٣. مركز الكرك:

يتمتع مركز الكرك العلمي بأبعاد وخصائص هامة. فمن الناحية الجغرافية تقع بلدة كرك أو كرك نوح شمال جبل عامل أدنى سفح جبل عامل المطل على سهل البقاع. ^(٦٦) وهذه الانتقالة الجغرافية والتوسع نحو الأطراف تدل على التوسع الجغرافي لمركز جبل عامل العلمي، وقد وضع الباحثون ومن قبلهم المصنفون العامليون مثل الشيخ الحر مدينة كرك نوح ونتاجها العلمي ضمن إطار جبل عامل كونها ضمن حدود جبل عامل الثقافية. ^(٦٧)

فكرك نوح ومدرستها امتداد لمدرستي عيناثا وجزين وستؤثر في نشأة مركز ميس الجبل وإعادة الروح إلى مركز جباع وكما هو معلوم هذه الحالة تتكرر بالنسبة لمشغري. وقد نسب صاحب أمل الآمل علماء مشغري بالعاملي المشغري ونسب جملة من العلماء الآخرين بالعاملي وهم من كرك نوح وبعلمك؛ ممّا يدل على تعميم هذا الانتساب إلى ثقافة جبل عامل الإمامية، فأصبح الطابع العاملي هو ما اتسمت به جميع المراكز العلمية في أطراف جبل عامل ومنها سهل البقاع. ^(٦٨)

ويعدّ مركز الكرك معاصراً لمركز ميس الجبل الذي سنطل عليه بعد. كما استقطب هجرة العلماء من جبل عامل وخارجه؛ إذ كان أبرزهم علي بن هلال الجزائري (توفي بعد ٩٠٩ هـ / ١٥٠٣ م) ^(٦٩) وأحمد بن محمد بن فهد الحلي (ت ٨٤١ هـ / ١٤٣٧ م) ^(٧٠) وأنهم استقروا فيه ولم يرغبوا بتركه. كما ارتبط الكرك

بمراجعته الفذ الشيخ المحقق الكركي فما تكاد كرك تعرف حتى يذكر المحقق الكركي رغم أنه لم يكن من مؤسسي مركز كرك العلمي وأنه قد أسهم في إعادة الحياة العلمية إلى مركز النجف الأشرف العلمي. كما أسست هجرته إلى البلاط الصفوي لهجرة علماء جبل عامل إليها، وبرزت فيه عائلة علمية أخرى هم بنو الأعرج الهاشميون، فكان أول تصنيف علمي عاملي صدر في هذا المركز العلمي عن هذه العائلة وهو كتاب في مسائل الفقه يحتوي على آراء فقهاء جبل عامل الخاصة ونال شعبية في الأوساط العلمية وأصبح من الكتب التي تدرس في المدارس في كرك وباقي أكناف جبل عامل.^(٧١)

٤. مركز ميس الجبل:

يعدّ هذا المركز الأقصر عمراً بين مراكز جبل عامل العلمية. ولقد اعتمد في ظهوره وزواله على شخصية زعيمه المحقق الميسي المعروف بابن مفلح^(٧٢) وهي ظاهرة اعتيادية في مراكز جبل عامل العلمية؛ لكن الذي امتاز به مركز ميس الجبل هو قصر عمر الحركة العلمية فيه. ومن الظواهر التي عرفت به مدرسة ميس الجبل عدم تبني نظام المرجعية الدينية والوكلاء كما كانت جزين الشهيد الأول رائدة في هذا الجانب، ويظهر ذلك من خلال ما حل بالشهيد الأول من قتل شنيع، فقد انعكس هذا الأمر بعده في الأوساط العلمية العاملة الأخرى؛ فلم تتبنى أي من المراكز التالية لجزين مثل عيناتا والكرك والميس نظام المرجعية.^(٧٣) ونتيجة لقصر عمر الحركة العلمية فإن مركز ميس الجبل لم يستقطب العلماء من خارج جبل عامل على عكس ما ذهب إليه بعض الباحثين،^(٧٤) وكانت هجرة ابن المحقق الميسي وأحفاده من بعده إلى النجف الأشرف والبلاط الصفوي جاء استمراراً في هجرة علماء جبل عامل من بلادهم.

٥. مركز جباع:

يعدّ مركز جباع امتداداً للحركة العلمية في جبل عامل ومكملاً لجهود علمائه في مركزي الكرك وميس الجبل وإن جاء متأخراً عن نظرائه، لكنه يمتاز بأنه استطاع أن يثبت حضوراً مميّزاً من خلال علمائه وما

يزال عطاؤه باقياً. فهو المركز العلمي الأطول عمراً والأثرى إنتاجاً، إذ استمر لأكثر من أربعة قرون تخللته سنوات من الركود العلمي.^(٧٥)

كما تخرج منه فقهاء فطاحل أمثال علي بن أحمد بن الحجة النحاريري الجباعي والد الشهيد الثاني (ت ٩٢٢ هـ / ١٥١٩ م)^(٧٦) والشهيد الثاني نفسه زين الدين بن علي الجباعي الذي قتل بشكل شنيع عام ٩٦٥ هـ / ١٥٥٧ م وعبدالصمد بن محمد الجباعي (ت ٩٣٥ هـ / ١٥٢٨ م)^(٧٧) والحسين بن محمد بن أبي الحسن الجباعي (ت ٩٦٣ هـ / ١٥٥٥ م).^(٧٨)

وجريمة قتل الشهيد الثاني (رحمه الله) قد أثارت موجة من الذعر والخوف في نفوس الشيعة وعلماء جباع وجبل عامل فقد ارتحل معظمهم إلى جوار العتبات المقدسة في العراق ومن هناك هاجروا إلى البلاط الصفوي، وليس أدل من ذلك هجرة الشيخ حسن ابن الشهيد الثاني (ت ١٠١١ هـ / ١٦٠٢ م)^(٧٩) إلى النجف الأشرف.^(٨٠) وبهذا الانتقال آل أمر مركز جباع إلى الزوال.

ثالثاً: موقع مركز مشغرى ورائد الحراك الفكري الإمامي الأقدم فيها وفي البدء لا بد لنا من وصف لجغرافيا قرية أو بلدة مشغرى التاريخية باختصار. فهي قرية تقع في غربي البقاع على حدودها مع جبل عامل ونهر الليطاني وفي سفح جبل تتبع منه مياه غزيرة.^(٨١) وهي الآن من أعمال قضاء البقاع الغربي في محافظة البقاع^(٨٢) إلى الغرب من بلدة راشيا^(٨٣) وترتفع بحدود ١٠٥٠ متر عن مستوى سطح البحر.^(٨٤) وعدّها من ضمن قرى جبل عامل فبناءً على أنها داخلة ضمن حدود جبل عامل الثقافية العلمية، وهي آخر مركز علمي تبع الحركة العلمية العاملية كما أسلفنا.

وعن أصل التسمية فأصلها فينيقي فيما يبدو وتأتي بمعنى: دَفَقَ وَانْبَتَقَ وَتَفَجَّرَ. وهو لفظ يطلق على الأمكنة التي تتدفق منها المياه بغزارة.^(٨٥)

وقد ذكرت مشغرى في كتب البلدانيين والمؤرخين بعد القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي كونها اشتهرت في زمن متأخر بسكنى العلماء وأصبحت مركزاً علمياً يشار لها. فذكرها السمعاني قائلاً:

"مشغري، بفتح الميم، وسكون الشين المعجمة، وفتح الغين المعجمة، والراء وفي آخرها الياء المنقوطة بإثنين من تحتها... قرية من قرى دمشق".^(٨٦) كما ذكرها أيضاً ياقوت الحموي في معجمه: "مشغري ... قرية من قرى دمشق من ناحية البقاع ..."^(٨٧) ولا يمكننا تفسير الحاقها بدمشق سوى أنها تحت نفوذ دمشق الثقافي مركز بلاد الشام منذ أقدم العصور وجبل عامل ومشغري جزء من بلاد الشام ولا تبعد عن دمشق سوى الستين كيلو متراً، أي مرحلتين وسفر يومين للمجدّد حسب المقاييس المعتمدة في زمانها^(٨٨) ثم فيما بعد دخلت حدود تاريخ جبل عامل الثقافي العلمي إذ أصبحت آخر ومن أهم البلدات العاملة التي احتضنت العلم والعلماء الإمامية حتى وصفها السيد محسن الأمين العاملي أنها وجبع وجزين منبع للعلماء.^(٨٩) ويعزز هذه الرؤية أن جميع الأعلام الذين نَسَبَهُم ياقوت في حديثه عن مشغري كلهم أورد نسبتهم بـ "المشغري الدمشقي"^(٩٠) فهو ناظر لنفوذ دمشق على مشغرة في ذلك الأوان.^(٩١) فموقع مشغري الجغرافي هو ملاصق لحدود جبل عامل الجغرافية وداخل في حدود تاريخها الثقافي وواقع على ممرّ موصل بين سهل البقاع وجبل عامل. وللمرات والطرق مميزات أهمها أنها تقع في مسارات التحركات الإنسانية أي الهجرات والأفكار الوافدة كما الحال بالنسبة لبلدة "كرك نوح" التي هي الأخرى كانت على أحد الممرات الموصلة بين السهل نفسه وجبل لبنان أي منطقة "كسروان" وكان لها من الحضور في تاريخ الفكر الإمامي في جبل عامل مثل مشغري.^(٩٢)

كانت مشغري من البلدات العاملة التي التحقت بالحركة العلمية العاملة مبكراً بل ظهر فيها أحد علماء جبل عامل الرواد المؤسسين للنهضة العلمية فيها وهو الشيخ الفقيه يوسف بن حاتم المشغري (توفي بعد ٦٦٤ هـ / ١٢٦٥ م).

ولا بد لنا من نظرة فاحصة على تاريخ هذا الرجل الرائد في تاريخ حياة مشغري العلمية بوصفه مؤسس الحراك العلمي في مشغري أو لنقل من رواده.

فهو الشيخ جمال الدين يوسف بن حاتم المشغري فقيه، مصنّف، يُعرّف بالشيخ جمال الدين يوسف بن حاتم بن فوز بن مهّد المشغري العاملي الشامي^(٩٣) وصفه الشيخ الحر العاملي بالفاضل الفقيه العابد^(٩٤) وقد نعت الشيخ يوسف بن حاتم في إجازة الشيخ الشهيد الثاني الكبرى المطوّلة بالفقيه^(٩٥) ووصفه الخوانساري بالفقيه المحدث^(٩٦) وفي نص إجازة الشهيد الثاني وردت أسماء علماء أمامية آخرين ولكن اختصاص الشيخ يوسف بن حاتم بلقب الفقيه فيه دلالة واضحة على أنه تميز عن أقرانه وأنه كان مبرزاً فيه بينهم.^(٩٧) كما يعد من الرواد الأوائل لمركز مشغرة العاملية التي سيكون لها في مستقبل الأيام شأن كبير وذلك في النصف الثاني من القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي.

ويفهم من خلال الإجازات الواردة أنه تتلمذ على اثنين من كبار علماء الإمامية في مركز الحلة العلمي وهم كل من المحقق الحلي^(٩٨) ورضي الدين علي بن موسى بن جعفر بن طاووس (ت ٦٦٤ هـ/ ١٢٦٢ م) وقد أجازته إجازتين: الأولى مشتركة مع جمع من تلامذته صدرت في سنة وفاته^(٩٩) والثانية خاصة بالشيخ يوسف بن حاتم^(١٠٠)، كما تتلمذ على يد نجيب الدين يحيى بن أحمد بن يحيى بن حسن بن سعيد الحلي (ت ٦٩٠ هـ/ ١٢٩٢ م).^(١٠١)

وكما يظهر ممّا وجهه من أسئلة لأساتذته وشيخه المحقق الحلي عرفت إجاباتها بالمسائل البغدادية^(١٠٢) أنه قضى بعضاً من أيامه في بغداد وفيها نص للمحقق الحلي دال على فضل الشيخ يوسف بن حاتم عنده إذ قال: «فإننا مجيبون عما تضمنته هذه الأوراق من المسائل لدلالاتها عن فضيلة موردها».^(١٠٣) له من المؤلفات: «كتاب الأربعين في فضائل أمير المؤمنين»^(١٠٤) وقد أورده بتمامه السيد هبة الله بن أبي محمد بن الحسن الموسوي^(١٠٥) في كتابه «المجموع الرائق»^(١٠٦)، وصنف كتاب «الدر النظيم في مناقب الأئمة اللهاميم» وهو مشتمل على أحاديث من طرق الإمامية والمخالفين في مناقب الأئمة (ع) م.^(١٠٧) وهذان الكتابان يعدّان من أوائل الكتب التي صنّفها عالم عاملي إمامي.

رابعاً: آل الحر العامليون رؤاد الحياة العلمية فى مركز مشغرى العلمى العالمى واستمرت مشغرى حوالى قرنين من الزمن حتى أصبحت لها هوية ذاتية وذلك بظهور محمد بن الحسين بن محمد بن محمد بن مكي (توفى بعد ٩٠٣ هـ / ١٤٩٨ م) وهو جد عائلة آل الحر وهم من أدخلوا مشغرى الحراك العلمى واستمر فيهم، فقد اتخذوا من دمشق مقراً لهم فى بادئ الأمر كما سنرى فى نصوص الإجازات العلمية ومن بعدها انتقلوا إلى مشغرى، فأصبحت منذ ذلك الحين مركزاً من مراكز جبل عامل العلمية. فتاريخ أسرة آل الحر فوق تاريخ أسرة إنما هو يعكس تاريخ وطنها مشغرى من حيث الصعود والهبوط وانتقال رجالها بين مختلف البلدان بسبب الأوضاع السياسية وأثرها على هجرتهم. وفكرهم فيه نمط من الوسطية والاعتدال وفيه براءة من العنف الفكرى ورافد للحوار النقدى من خلال المصنفات الدينية الهامة الموازية لمؤلفات سلفهم من علماء الإمامية فى جبل عامل وغيره من المراكز الأخرى.

وبالعودة إلى الوراء قليلاً لالتماس تاريخ أسرة آل الحر منذ أن كانوا خارج مشغرى وتحديدأ فى دمشق نجد أن أول اسم من هذه الأسرة العلمية تذكره نصوص الإجازات العلمية لمشايخ الإمامية سمي الشهيد الأول (ت ٧٨٦ هـ / ١٣٨٤ م) باعث الحياة العلمية عند الإمامية فى جبل عامل. هذا النص هو إجازة المحقق الكركي (ت ٩٤٠ هـ / ١٥٣٤ م) لحفيد الشيخ محمد بن مكي الشيخ الحسين بن محمد بن محمد بن مكي الصادرة فى السادس عشر من رمضان سنة ٩٠٢ هـ / ١٤٩٧ م الذى وصفه فيها بـ "الشيخ الجليل".^(١٠٨) ومما يثير التعجب أن الشيخ الحر^(١٠٩) الحفيد السادس للشيخ محمد بن مكي هذا لم يذكر أحداً من أسلافه قبل الشيخ محمد بن الحسين مجدد الحركة العلمية فى مشغرى، أي الشيخ محمد بن مكي ولا ولده الشيخ محمد فى كتاب "أمل الأمل" ولا الشيخ الأفندي فى كتابه "رياض العلماء وحياض الفضلاء" وهو ذيل على أمل الأمل. ولعل السبب أنه لم يكن يعرفهم لأنه عهدنا به أنه يعتني عناية خاصة بأعلام أسرته، فلا مصدر يذكرهم سوى إجازة المحقق الكركي هذه.

إلا أن نص هذه الإجازة تكشف عن معلومتين هامتين في خصوص ابن الشيخ محمد بن مكي وحفيده. أما ما يخص الحفيد الشيخ الحسين بن محمد بن محمد بن مكي فيفيد النص أنه كان حياً في تاريخ صدورهما. قال المحقق الكركي: "... فقد استخرت الله سبحانه ومنه الخيرة وأجزت للشيخ ... حسين بن المرحوم الشيخ ... شمس الدين محمد الحر لقباً ...".^(١١٠) وأما ما يخص الابن وهو الشيخ محمد بن محمد بن مكي فيفيد النص أنه كان قد توفي قبل تحرير الإجازة في رمضان من عام ٩٠٣ هـ / ١٤٩٨ م، والأهم من ذلك هو تاريخ تلقب الأسرة بلقب الحر؛ فأول من تلقب بهذا اللقب بحسب هذا النصّ وفيما يبدو هو الشيخ محمد بن محمد بن مكي نفسه؛ الذي أصبح فيما بعد وما يزال علماً عليها.^(١١١)

كما تزودنا إجازة المحقق الكركي هذه بمعلومة هامة أخرى هي أن مركز أسرة آل الحر كان في دمشق قبل الاستقرار في مشغري. ودليلنا ليس فقط صدور الإجازة هذه في دمشق^(١١٢) بل هو أن المحقق الكركي لم ينسب أياً من الشيخ الحسين ولا أبيه ولا جده إلى مشغري ولا إلى أي بلد آخر كما كانت العادة سائدة في نصوص الإجازات أن تذكر أي نسبة لأي بلد بالنسبة للمستجيزين نظراً لتمييز طلبه العلم عن بعضهم البعض حسب أماكن قدومهم إلى درس الأستاذ ولملاحظات أخرى؛ فيفهم منه أن الثلاثة دمشقيون لأن النسبة إلى البلد تكون ذا فائدة، عندما يكون المنسوب في غيره. أما حين يكون في بلده، فالناس في النسب سواء.^(١١٣)

وأول من ذكر في كتاب أمل الأمل بنسبة "المشغري" هو الشيخ محمد بن الحسين الحر المشغري بن محمد بن محمد بن مكي وهو ابن الشيخ الحسين بن محمد المجاز من المحقق الكركي. قال مؤلف أمل الأمل: "كان فاضلاً عالماً فقيهاً جليل القدر عظيم المنزلة. كان أفضل أهل عصره في الشرعيات".^(١١٤) وهو دالّ على كونه من الفقهاء من الطراز الأول. وعليه يبدو أنه أول من انتقل إلى مشغري من أسرة آل الحر الدمشقية ومنه تفرّعت العائلة فيها. وهو عاش بالتأكيد في النصف الأول من القرن العاشر الهجري فقد علمنا بذلك من خلال الإجازة التي تلقّاها والده عام ٩٠٣ هـ / ١٤٩٨ م،^(١١٥) فيكون معاصراً لكبار

فقهاء مراكز جبل عامل العلمية وهم علي بن عبد العالي الميسي المشتهر بابن مفلح والمحقق الكركي والشهيد الثاني، فلا بدّ أنه أقام علاقة علمية بينهم. وللشيخ محمد هذا ثلاثة أبناء كلهم فقهاء هم: محمد بن محمد وعبد السلام وعلي سنأتي على ذكرهم.

وإذا ما ابتدأنا بمحمد فأبرز أساتذته الشيخ حسن بن الشهيد الثاني وابن خالته السيد محمد بن علي بن أبي الحسن الجباعي العاملي (ت ١٠٠٩ هـ / ١٦٠١ م) ^(١١٦) وهما من شيوخ مركز جبّاع. ^(١١٧) وهذه أول صلات أسرة آل الحر جبّاع التي انتهت بهم مسكناً بعد مشغري وبعد هجرتهم إلى إيران فهناك فرع منها تحول إليها؛ إذ إن الشيخ محمد بن محمد بن الحسين هذا ممن هاجر إلى إيران أيضاً استظهاراً من أنه كان تلميذاً للشيخ بهاء الدين العاملي (ت ١٠٣٠ هـ / ١٦٢١ م) ^(١١٨) أيضاً إذ التقى به في إيران ومدحه بقصيدتين. ^(١١٩) فوصفه الشيخ الحر بأنه «كان عالماً فاضلاً محققاً مدققاً ماهراً في العلوم العربية وغيرها شاعراً منشئاً أدبياً فريد عصره في العلم والحفظ وحسن الشعر» ^(١٢٠) و«أفضل أهل عصره في العقلية» ^(١٢١) وكان من أبرز تلاميذه الشهيد الثاني بعد أبيه، وقد تزوج الشهيد الثاني بابنته وقد أجازته إجازة عامة لم تصل إلينا. ^(١٢٢) كما وصف ابن العودي تلميذ الشهيد الثاني ما كان بينه وبين الشهيد الثاني من علاقة علمية قوية بقوله: «ومنهم الشيخ الجليل والعالم الفاضل الشيخ محمد بن محمد بن الحرّ أبقاه الله تعالى والد زوجته المتوفاة بحياته في مشغرة، من أول المدعنين باجتهاده. قرأ عليه جملة من الكتب وأخذ عنه شرائع دينه. أجازته إجازة عامة». ^(١٢٣)

فتحرك الشيخ محمد بن محمد بن الحسين المشغري نحو جبّاع وإيران قد أضاف مفصلاً هاماً آخر في تاريخ العائلة نحو جبّاع ثم إيران. ولا تذكر المصادر شيئاً عن أولاده والسبب فيما يبدو هو انتقاله إلى قضاء أرحب وأوسع من جبل عامل الصغيرة مما تضيع فيه أخبار ذريته. ^(١٢٤)

ونستمر في ذكر أولاد الشيخ محمد بن الحسين بن محمد بن محمد بن مكي أول المنتسبين إلى مشغري بحسب نصوص الإجازات. فولده الثاني الشيخ عبد السلام بن محمد بن الحسين المشغري فقد تتلمذ على

أبيه وأخيه الشيخ علي (توفي بعد ١٠٠٧ هـ / ١٥٦٨ م) والشيخ حسن بن الشهيد الثاني والسيد محمد بن علي بن أبي الحسن الجباعي العاملي. (١٢٥) ويعدّ الشيخ عبد السلام أول أساتذة الشيخ الحرّ "صاحب الوسائل" في مشغري، فوصفه بأنه "كان ماهراً في الفقه والعربية. قرأت عليه وكان عمري عشر سنين. وكان حسن التقرير جداً. حافظاً للمسائل والنكت وكف بصره وهو في سن الثمانين، فحفظ القرآن في ذلك الوقت. ثم عمّر حتى جاوز التسعين". (١٢٦) كما خلف ثلاث رسائل فقهية هي: «إرشاد المنصف البصير إلى طريق الجمع بين أخبار التقصير» ورسالة في المفطرات والأخرى في الجمعة. (١٢٧) ولا نعرف عن أولاده شيئاً ويظهر أنه عاش وتوفي في مشغري لفقدان النصوص الدالة على حركاته المحتملة. (١٢٨)

وما زلنا في ذكر أولاد الشيخ محمد بن الحسين بن محمد بن محمد بن مكي أول المنتسبين إلى مشغري، فقد جاء دور الشيخ علي بن محمد بن الحسين جد الشيخ الحرّ. وقد وصفه الشيخ الحرّ بأنه «كان عالماً فاضلاً عابداً كريم الأخلاق جليل القدر عظيم الشأن شاعراً أدبياً منشئاً». (١٢٩) وكان من تلاميذه الشيخ حسن بن الشهيد الثاني والسيد محمد بن علي بن أبي الحسن الجباعي العاملي، وكان قد انتقل إلى النجف الأشرف وتوفي بها. (١٣٠)

والشيخ علي أكثر إخوته أهمية كونه الوحيد بينهم الذي استمرت العائلة العلمية في نسله أو من نعرفهم هم من ذريته. فقد ذكر له ثلاثة من الأولاد: الشيخ حسين والشيخ حسن والشيخ محمد. والشيخ حسين فهو ممن هاجر إلى إيران أيضاً وسكن أصفهان في دار الشيخ بهاء الدين العاملي. وكان يقرأ عنده، حتى مات. ومات بعده بمدة يسيرة. (١٣١)

وأما الشيخ الحسن فهو والد الشيخ الحرّ "صاحب الوسائل" فقد انتقل إلى إيران أيضاً وتوفي في طريقه لزيارة مشهد الإمام الرضا عام ١٠٦٢ هـ / ١٦٥٢ م. (١٣٢) وله من الذرية: الشيخ محمد "صاحب الوسائل" (١٣٣) والشيخ زين العابدين ممن هاجرا معه إلى إيران (١٣٤) والشيخ أحمد والشيخ علي اللذان لا نعلم عنهم شيئاً ومما يبدو من عدم وجود نص يفيد تنقلهما أنهما عاشا وماتا في مشغري نفسها. (١٣٥) كما لا نعلم

شيئاً عن أعقابهم باستثناء الشيخ محمد رضا ابن الشيخ محمد الذي يذكره والده عرضاً أثناء ترجمة لهاء الدين العاملي. (١٣٦)

وعن ثالث أولاد الشيخ علي بن محمد بن الحسين المشغري وهو الشيخ محمد بن علي بن محمد فهو الذي تحول إلى بلدة جباع العاملة. وهو أول من يصفه ابن أخيه الشيخ الحر بالمشغري الجبعي (١٣٧) وفي ابنه الحسن أيضاً (١٣٨) وفي حفيده أحمد (١٣٩) وفي هذا دلالة على انتقال الشيخ محمد بن علي إلى جباع مع عائلته، وعنه تسلسل كل من نعرفهم حتى الآن من العائلة. (١٤٠)

وقد عرف لمشغري فقيهان آخران من غير آل الحر هما: محمد بن علي بن شمال المشغري (١٤١) (توفي بعد ٨٩٨ هـ / ١٤٩٣ م) وهو من شيوخ إبراهيم بن علي الكفعمي (ت ٩٠٥ هـ / ١٥٠٠ م) (١٤٢) ونجم الدين بن أحمد التراكيشي المشغري (١٤٣) (توفي بعد ٩٢٤ هـ / ١٤٩٤ م) من تلاميذ علي بن أحمد النحاريري الجباعي والد الشهيد الثاني. (١٤٤)

وما نال علماء جبل عامل عامة ومشغري خاصة من تقلب في الأحوال والهجرات داخل وطنهم وخارجه فلا شك أنه ذا صلة باضطراب الوضع السياسي في بلاد الشام وصعود العثمانيين وإلحاق بلاد الشام وجبل عامل جزء منه إلى مملكتهم الواسعة ومحاولتهم الفاشلة لضم إيران أيضاً وتداعيات الصراع السياسي مع جارتها الدولة الصفوية الممتد للصراع المذهبي انعكس سوءً على وضع الشيعة في منطقة بلاد الشام بعد فترة رخاء كان مقارناً مع ضعف سلطان المماليك على الشام مما ولد حراكاً علمياً عند علماء الإمامية في جبل عامل قل نظيره في مختلف البقاع. ويمكن أن نصور عظم الفاجعة التي ألمت بعلماء الإمامية جراء مقتل الشهيد الثاني على يد العثمانيين الأمر الذي أندر علماء جبل عامل بوضع أسوأ فانطلقوا هاربين لا يرون سبيل نجاة لأنفسهم سوى أراضي الدولة الصفوية في إيران حيث ساهموا مساهمة لا بديل لها في بنائها، كما لا تزال حتى اليوم. (١٤٥)

والصفة التي امتازت بها أسرة آل الحر هي الصبغة الإخبارية^(١٤٦) التي حملها رجالها أين ما حلوا مما منحوا تلك الهوية لمشغري. فصحیح أن مشغري تابعة للمدرسة الإخبارية وقد تحقق تصاعد الحركة الإخبارية على يد الشيخ محمد بن الحسن الحرّ العاملي (ت ١١٠٤ هـ / ١٦٩٣ م) صاحب الوسائل، غير أنه لم يذهب مذهب التطرف في معتقده كالمولى محمد أمين الاسترآبادي (ت ١٠٣٦ هـ / ١٦٢٦ م)؛^(١٤٧) فهو يذكر أعلام الفريقين في كتبه بكل إجلال واحترام ويصفه الخوانساري بسلامة النفس وجلالة القدر ومنانة الرأي ورزانة الطبع والبراءة من التعصب ولا يجد رخصة لمن يقول عنه: ليس حقيقاً أن يقلد ولا يجوز الاستفتاء عنه ولا يجوز العمل برأيه لأنه إخباري.^(١٤٨) ويعدّ الشيخ الحرّ الوحيد من بين زعماء هذه الحركة الذي نجح في تنفيذ أصولها بتدوينه كتاب «الفصول المهمة في أصول الأئمة» الذي يشتمل على الأصول الكليّة المروية والأبواب الموصلة إلى الأحكام الجزئية... ليستثنى به عن الاستنباطات الظنيّة والأدلة العقلية ولأجله وضع كتابه الكبير «تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة» ليطلع المكلف على الأحكام الشرعية دون توسط الفقه والفقهاء.^(١٤٩)

الخاتمة:

عرفنا أن جبل عامل تعد أحد أهم مراكز الفكر الإمامي وأغزرها إنتاجاً رغم صغر رقعتها الجغرافية بعد مراكز العلم في العراق وأنها استقلت بأعباء المرحلة ونهض علماءها في ظل تاريخ غامض وجب على الباحث المتتبع الكشف عنه ليصل إلى أسباب هذه النهضة ويرى أنها لم تكن اعتباطاً بل كانت نتيجة لممهدات هامة وزمن طويل نسبياً حاول البحث الكشف عنها.

فمن المؤكد أن تاريخ نشأة التشيع في جبل عامل هو من أكثر الأمور غموضاً، إذ نشأت حوله الكثير من الأقاويل والحكايات تسربت حتى لأفكار علمائها البارزين. وقد ناقشنا في هذا المجال ثلاث نظريات مختلفة توصلت لها المصادر والمراجع والدراسات والأبحاث، كان الراجح منها آخرها وهي أن الدول الشيعية في المشرق الإسلامي عامة وفي الشام خاصة هي من نشرت التشيع هناك.

ثم كانت القضية التالية هي كيف تحول هذا التشيع إلى فكر إمامي؛ فقد رأينا أنه حدث من خلال ارتباط علماء جبل عامل بمراكز العلم والفكر الإمامي في بغداد حيث نشأ جيل من العلماء كانوا قد درسوا في العراق ثم عادوا إلى بلادهم ناشرين الثقافة والفكر الإمامي في بلدانهم الشامية والعاملية، إلى أن نشأ جيل مهم من العلماء العاملين اصطلاحنا عليهم بالرواد على يد أولئك المتنقلين، فكان هؤلاء الرواد اللبنة الأولى في استقلالية مركز جبل عامل العلمي وأن الشهيد الأول المؤسس للحراك العلمي في جبل عامل وجد الطريق معبداً أمامه، إذ أعطى لهذا الحراك البعد التنظيمي وكوّن أول حلقات الدرس في بلدته جزين، فكانت أول المراكز العلمية العاملة تلتها عيناتا والكرك وميس الجبل وجباع وآخرها كانت مشغري.

وليس من الإنصاف القول إن مشغري بما أنها كانت آخر المراكز العلمية العاملة فقد وجد الحراك العلمي فيها متأخراً أيضاً، إذ أننا نجد أنها من البلدات العاملة التي التحقت بالحركة العلمية العاملة مبكراً منذ القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي بظهور أحد أعلام جبل عامل الرواد وهو الفقيه يوسف بن حاتم المشغري. وبعد قرنين من الزمن ظهرت علامات تجديد نشاطها بظهور محمد بن الحسين بن محمد جد آل الحرّ في مطلع القرن العاشر الهجري/ الرابع عشر الميلادي.

ثم توالى الشخصيات العلمية من بيت آل الحرّ في مشغري حتى يمكننا القول إن مركز مشغري اعتمد في نشأته وتطوره على جهود هذه الأسرة العلمية ذائعة الصيت، استمرت في رعاية العلم وخرّجت العلماء لأربعة أجيال داخل بلاد الشام في دمشق وجبل عامل وخارجها في العراق وإيران واختصوا بالنهوض بالعلوم الدينية والشرعية في الحديث والفقه والأصول والكلام والسيره والرجال؛ ف "العلمية" في تاريخ الإمامية في مشغري وجبل عامل في الاصطلاح يعني هذا الصنف من العلوم. ويلاحظ أن مركز مشغري خالف باقي مراكز العلم العاملة بما اكتسبه من صبغة إخبارية وأنه بزواله إثر هجرة علمائه إلى العراق وإيران كانت نهاية الحراك العلمي في جبل عامل.

الهوامش:

- ١ . شمس الدين محمد بن مكي بن محمد بن حامد الجزيني. فقيه، مجدد، رائد نهضة جبل عامل، شاعر، مصنف. بدأ التحصيل في وطنه ثم اتجه إلى الحلة. وتلقى إجازات عدة من علمائها. غادر الحلة سنة ٧٥٨ هـ / ١٣٥٨ م فانطلق في رحلة واسعة دخل خلالها دمشق والخليل ومصر ومكة والمدينة وأقام في كل بلد منها، دارساً متحملاً. رجع إلى وطنه سنة ٧٦٠ هـ / ١٣٥٨ م واستقر في جزين وبدأ بالعمل وأسس مدرسة كبرى في جزين تخرّج منها عدد كبير من الفقهاء أدت إلى إطلاق نهضة علمية كبرى في جبل عامل عاشت من بعده زهاء القرنين من الزمان. قبضت عليه السلطة المملوكية وسجنته في دمشق ثم أجرت له محاكمة مدبرة خرجت بحكم بقتله. فقتل بالسيف ثم رجم ثم صلب ثم أحرق. ولا قبر معروف له. ينظر: جعفر المهاجر: أعلام الشيعة، ج٣، ص ١٤٢٠. ١٤٢١.
- ٢ . أشهر مدينة في جبل عامل وأولها تأثراً بالحراك العلمي العاملي وهي بلدة الشهيد الأول (ت ٧٨٦ هـ / ١٣٧٤ م) ومحتضن مدرسته العلمية العريقة. كانت بلدة جزين منبت علماء الشيعة في جبل عامل كما خرج منها أقدم علماء جبل عامل الرواد وهو إسماعيل بن الحسين العودي الجزيني (ت ٥٨٠ هـ / ١١٨٤ م) الذي يعدّ أول علماء جبل عامل الإمامية الذي تخرج منها وكانت حتى القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي مصدراً للعلم والعلماء وكان أهلها جميعهم على التشيع. ثم هاجر منها أهلها وتفرقوا في البلدان بسبب ما توالى عليهم من ظلم الحكام وذلك قبل قرن واحد تقريباً. ينظر: علي زهير: الحياة العلمية عند الإمامية في جبل عامل، ص ١٨٣ . ١٨٥.
- ٣ . من قرى جبل عامل المتأخرة من حيث نشأتها. وقد اشتهرت كمركز علمي من مراكز جبل عامل بعد أن هاجر إليها بعض تلاميذ الشهيد الأول. عرف فيها أول الأسر العلمية في جبل عامل وهم آل الحسام وآل خاتون العيناثيين. ينظر: م. ن، ص ١٨٥ . ١٩٠.
- ٤ . كرك نوح أو الكرك تقع بالقرب من بعلبك في سهل البقاع وفيها قبر ينسب لنبي الله نوح (ع) وهو مزار للشيعة. وعبر مختلف العصور كانت الكرك مركزاً تجارياً تتراح فيه القوافل بين بعلبك ومدن الساحل الفينيقي. وأصبحت كرك نوح ثالث بقعة تحملت إعباء نشر الفكر الإمامي عند ما نشطت الحركة العلمية العاملية وانتقلت إليها الزعامة الدينية من جزين في زمن الشهيد الأول إلى عيناثا ومنها إلى كرك نوح. وهو أول مركز علمي في البقاع بجوار جبل عامل وقد عدت بلدة كرك نوح ضمن حدود جبل عامل الثقافية بوصفها امتداد لثقافتها العلمية. ينظر: م. ن، ص ١٩٠ . ٢٠٩.

- ٥ . وتعرف بميس الجبل من قرى جبل عامل الجنوبية. وفيها جامع ينسب إلى أبي زر الغفاري الذي ينسب إليه الصلاة فيه عندما نفي إلى الشام كما أن فيها آثار قديمة تدل على قدمها. كما أسهمت هذه القرية العاملة إسهاماً فعالاً في الحركة العلمية العاملة وكانت تؤدي أدوارها بالتوازي مع مركز الكرك وقد نهضاً معاً وراحا يكملان مسيرة عيناتنا وجزين السالفين ويؤسساً لجباع ومشغري اللاحقتين وإن كان ميس الجبل أقصر تلك المراكز العلمية عمراً. ينظر: م. ن.، ص ٢٠٩ . ٢١١ .
- ٦ . جباع بالمَدّ ويقال لها جبع وتعرف بـ "جبع الحلاوة" تمييزاً لها عن "جباع الشوف" في جبل لبنان و "جبع بنيامين" في فلسطين. وهي على مسافة عشرة كيلومترات من جزين وستة عشر كيلومتر من النبطية. كانت جبع قاعدة من قواعد العلم في جبل عامل وقد ظهر فيه من العلماء الإمامية الرواد الأوائل جد الشهيد الثاني السادس الشيخ صالح بن مشرف الطلوسي وقد انتسب إليها ممّا يدل على أن جباع كانت لها سابقة علمية قديمة إلا أنها انقطعت عن الركب العلمي حتى ظهر من جديد فيه الحراك العلمي وازدهر في عهد حفيده الشهيد الثاني. ينظر: م. ن.، ص ٢١١ . ٢١٨ .
- ٧ . قرية تقع في غربي البقاع على حدودها مع جبل عامل ونهر الليطاني وفي سفح جبل تتبع منه مياه غزيرة. وأما عدّها في قرى جبل عامل فمبني على كونها داخلة ضمن حدود جبل عامل الثقافية. تعدّ مشغري آخر مركز علمي شهد الحركة العلمية العاملة ولكثرة من تخرج منهم من علماء الإمامية في مشغري وصفها السيد محسن الأمين مع جبع وجزين بمنبع العلماء. سنفصل الكلام عنها الصفحات القادمة من هذا البحث.
- ٨ . محسن الأمين: خطط جبل عامل، ص ٣٠١ .
- ٩ . الشيخ محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن الحسين الحر المشغري العاملي (ت ١١٠٤ هـ / ١٧٩٣ م): محدث، فقيه على النهج الإباضي، شاعر، مشارك في علوم وفنون، مصنف. ولد في مشغري. درس في مسقط رأسه على أبيه الحسن بن علي وجد أبيه لأمه عبد السلام بن محمد الحر، وخال أبيه علي بن محمود الشغري. وانتقل على جباع فتابع على عمه محمد بن علي الحر وزين الدين بن محمد الجباعي والحسين بن الحسن الظهيري العينائي.. ينظر: المهاجر: أعلام الشيعة، ج ٣، ص ١٢٢٧. ١٢٢٨ .
- ١٠ . ينظر: فيصل الكاظمي: الحوزات الشيعية المعاصرة بين مدرستي النجف وقم لبنان أنموذجاً، ص ١٠ . ١٢ .

- ١١ . خالد بن سعيد بن العاص الأموي القرشي (ت ١٤ هـ / ٦٣٥ م): صحابي من السابقين إلى الإسلام مجاهد. أسلم قديماً وكان خامساً في الإسلام. هاجر الهجرة الثانية إلى الحبشة. شهد مع النبي (ص) عمرة القضاء وفتح مكة وحنين والطائف وتبوك.. ينظر: ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج ٤ ص ٧٥٧٠؛ المهاجر: أعلام الشيعة ج ٢، ص ٦٠١.٦٠٢.
- ١٢ . سلمان المحمدي الفارسي (ت ٣٦ هـ / ٦٥٦ م): أحد الثلاثة السابقين إلى الإسلام من غير العرب وهم سلمان الفارسي وصهيب الرومي وبلال الحبشي. أول الأركان الأربعة وهم: سلمان والمقداد وعمار وأبو ذر. كان يلقب: "سلمان الخير" و"سلمان المحمدي" وكان إذا سئل من أنت أجاب: "أنا سلمان ابن الإسلام". قال فيه رسول الله (ص): "سلمان منّا أهل البيت". شهد يوم الأحزاب في المدينة وهو الذي أشار على النبي (ص) بحفر الخندق. له سيرة حافلة بالتواضع والزهد والورع والعلم. ولاء عمر المدائن بإشارة من الإمام علي (ع). توفي في المدائن وقبره فيها معروف مزور. ينظر: ابن سعد: م. ن.، ج ٦، ص ٧٠٥٦ و٧، ص ٢٣٠؛ الطوسي: اختيار معرفة الرجال، ص ٣٣١٨؛ الزركلي: م. ن.، ج ٣، ص ١١١.١١٢؛ المهاجر: م. ن.، ج ٢، ص ٧٠٠.٧٠١.
- ١٣ . أبو عبد الله حذيفة بن حسل النيمان بن جابر العبسي (ت ٣٦ هـ / ٦٥٦ م): صحابي محدث فقيه مجاهد. و"اليمان" لقب والده لمخالفته قبيلة يمانية في يثرب. أصله من عرب البادية من بني عئس. أسلم بعد دخول رسول الله (ص) المدينة مهاجراً. شهد المشاهد كلها مع النبي (ص) عدى بدرًا. أخى النبي (ص) بينه وبين عمار بن ياسر واستعمله على بعض الصدقات. انتقل إلى الكوفة بعد وفاة رسول الله (ص) وسكنها مع جماعة من عبس وكان صاحب حلقة في مسجدتها يجتمع إليه الناس فيحدثهم. ينظر: ابن سعد: م. ن.، ج ٦، ص ٥٩ و٧، ص ٢٣٠؛ الطوسي: كتاب الرجال، ص ٣٥ و ٦٠؛ الزركلي: م. ن.، ج ٢، ص ١٧١؛ المهاجر: م. ن.، ج ١، ص ٤٣٥.
- ١٤ . هاشم بن عتبة بن أبي وقاص الزهري القرشي (قتل: ٣٧ هـ / ٦٥٧ م): صحابي فارس مقاتل مجاهد. ولد في حياة رسول الله (ص) ولذلك لم يرد اسمه في الغزوات مع رسول الله (ص). شهد اليرموك وأصيب في عينه يومئذ. كما شهد فتح دمشق. كان من الفرسان المقاتلين في فتوح فارس وله بطولات لا تنسى في موقعة القادسية وغيرها حاولت أقلام السلطة محوها. شهد مع الإمام علي (ع) يومي الجمل وصفين وكان صاحب رايته. قطعت رجله يوم صفين فكان يقاتل من دنا منه وهو بارك إلى أن قتل. صلى الإمام علي (ع) على عمار وهاشم فلما قبرهما جعل عمارة أمام هاشم. ينظر: البلاذري: أنساب الأشراف، ج ١، ص ٢٢٤؛ الطوسي: اختيار معرفة الرجال، ص ٦٦.٦٥؛ الزركلي: م. ن.، ج ٨، ص ٦٦؛ المهاجر: م. ن.، ج ٣، ص ١٥٤٧.

- ١٥ . أبو اليقظان عمّار بن ياسر بن عامر الكناني المذحجي العنسي (قتل: ٣٧ هـ / ٦٥٧ م): ينسب إلى "عنس" وهي بطن من بطون مذحج. أحد السابقين الأولين إلى الإسلام. من أجلاء الصحابة مجاهد وأحد الأركان الأربعة. أظهر إسلامه هو وأبوه ياسر وأمه سمية فعذبت عائلته جميعاً فقتل أبواه تحت التعذيب وقال في تلك الظروف الحرجة كلاماً نال رضى المشركين وقد نزلت الآية فيه: "إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان" [النحل: ١٠٦]. شهد بدرًا والمشاهد كلها وهاجر إلى الحبشة. ظلّ صادقاً بالحق بعد وفاة رسول الله (ص). ينظر: ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج ٣، ص ٢٠٠. ١٨٦ و ج ٦، ص ٩٣؛ الطوسي: م. ن.، ص ٤٢٣٧؛ الزركلي: م. ن.، ص ٣٦؛ المهاجر: م. ن.، ج ٢، ص ١٠٣٨. ١٠٣٧.
- ١٦ . مالك بن الحارث عبد يغوث النخعي (قتل: ٣٨ هـ / ٦٥٨ م): عرف بـ "الأشتر" لجرح في عينه. تابعي فارس قائد مجاهد. كان رئيس قومه. ولد في اليمن وهاجر إلى المدينة في وقت غير معلوم ولعل السلطة أخفت تأريخه في عهد رسول الله (ص). شهد يوم اليرموك في الشام سنة ١٣هـ/٦٣٤م وفيه شترت عينه إثر جرح أصابه. له بطولات في فتوح العراق سيما موقعة القادسية أخفتها أقلام السلطة وهي في طيات كتب الحديث. استقر في الكوفة وغدا من وجهائها البارزين.. ينظر: ابن سعد: م. ن.، ج ٦، ص ٢٣٩؛ الطوسي: م. ن.، ص ٦٨. ٦٧؛ الزركلي: الأعلام، ج ٥، ص ٢٥٩؛ المهاجر: أعلام الشيعة، ج ٣، ص ١١٢٢. ١١٢١.
- ١٧ . محمد بن أبي بكر التيمي القرشي (قتل: ٣٨ هـ / ٦٥٨ م): تابعي محدث مجاهد. ولد في غدير خم بين مكة والمدينة. نشأ في المدينة في بيت أمير المؤمنين عليّ (ع) وكان قد تزوج أمه أسماء بنت عميس بعد وفاة أبيه. من أصفياء أمير المؤمنين عليّ (ع) الذين ثبتوا معه. كان يدعى "عابد قریش" لاجتهاده في العبادة. ممن أنكر على عثمان سياسته في تولية أقرابه وهدر الأموال ومن قواد الثورة عليه. شهد موقعة الجمل مع الإمام عليّ (ع). ولاة الإمام مصر. قتل في معركة مع جيش من الشام بإمرة عمرو بن العاص. ينظر: المزني: تهذيب الكمال، ج ٢٤، ص ٥٤١؛ الزركلي: م. ن.، ج ٦، ص ٢٢٠. ٢١٩؛ المهاجر: م. ن.، ج ٣، ص ١١٤٢. ١١٤١.
- ١٨ . حجر بن عدي بن جبلة الكندي (قتل: ٥١ هـ / ٦٧١ م): صحابي محدث فقيه. من أصحاب الإمام علي (ع). وفد على النبي (ص) وشهد يوم القادسية وله بطولات في تلك الحروب وفتح "عذرا" بالشام وقدّر أن يقتل هناك. شهد مع علي (ع) مشاهده كلها وكان أمراء الجيش في كل تلك. يدعى "حجر الخير" و"راهب أصحاب محمد (ص)" لكثرة عبادته وصلاح أمره. بقي على ولائه لأهل البيت (ع) بعد الصلح مع معاوية وكان كبير الشيعة في الكوفة يختلفون إليه ويسمعون

- عنه. ينظر: ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج ٦، ص ٢٤٤.٢٤١؛ الطوسى: اختيار معرفة الرجال، ص ٩٧؛ الزركلى: م. ن. ٠، ج ٢، ص ١٦٩؛ المهاجر: م. ن. ٠، ج ١، ص ٤٣٤.٤٣٣.
- ١٩ . لتفاصيل أوفى وأشمل عن أدوار أصحاب الإمام علي (ع) فى الفتوحات الإسلامية ينظر: علي الكوراني: قراءة جديدة للفتوحات الإسلامية، ج ٢، ١٩٣ وما بعدها.
- ٢٠ . هناك اختلاف كبير فى اسمه ونسبه بين المؤرخين وأرباب السير والتراجم كما صرح بذلك ابن الأثير فى أسد الغابة، وقيل: جندب بن جنادة وهو أكثر وأصح ما قيل فيه، وقيل: بربير بن عبد الله وبرير بن جنادة وقيل: جندب بن عبد الله وقيل: جندب بن السكن. والمشهور فى نسبه: جندب بن جنادة بن قيس بن عمرو بن مليل بن صعير بن حرام بن غفار القرشي. من كبار الصحابة وفضلائهم، قديم الإسلام، أسلم باكراً وحسن إسلامه وقد أمره الرسول قبل الهجرة بالعودة إلى قومه (غفار) لذا لم يشهد مع رسول الله (ص) بدرأً ولا أحدأً ولا الخندق. ثم لحق برسول الله (ص) فى المدينة وأصبح مسؤولاً عن المدينة أثناء غياب النبي (ص) فى غزوة بني المصطلق وغزوة المريسيع. وبعد وفاة رسول الله (ص) شارك فى الفتوح الإسلامية. والمشهور أنه كان من أصحاب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) وبني هاشم عامة. ينظر: ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج ٤، ص ١٧٠ . ١٧١؛ ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص ١٨٦، أبو ذر الغفاري وأسطورة نسبة التشيع فى جبل عامل إليه، ص ٥ . ٧.
- ٢١ . الحر العاملي: أمل الأمل فى علماء جبل عامل، ج ١، ص ١٣.
- ٢٢ . ينظر: الكاظمي: الحوزات الشيعية المعاصرة، ص ١٠ . ١٢؛ المهاجر: التأسيس لتأريخ الشيعة فى لبنان وسورية، ص ٢٩ . ٣١.
- ٢٣ . للمزيد من التفاصيل عن إرهاصات دخول التشيع إلى بلاد الشام عامة وجبل عامل خاصة ينظر: المهاجر: م. ن. ٠، ص ٢٠١ وما بعدها؛ علي زهير: الحياة العلمية عند الإمامية فى جبل عامل، ص ٧٦ وما بعدها.
- ٢٤ . ناقش الشيخ الدكتور فيصل الكاظمي هذه النظرية فى كتابه تحت عنوان: قبيلة همدان وكان تركيزه على فرضية هجرة قبيلة همدان إلى الشام التى كان الشيخ الدكتور جعفر المهاجر قد طرحها من قبل. ينظر: الكاظمي: الحوزات الشيعية المعاصرة، ص ٢٣ وما بعدها؛ المهاجر: م. ن. ٠، ص ٧٢ وما بعدها.
- ٢٥ . للمزيد ينظر: علي زهير: الحياة العلمية عند الإمامية فى جبل عامل، ص ٨٨ . ٩٠.

- ٢٦ . الكاظمى: الحوزات الشيعية المعاصرة، ص ٢٣ وما بعدها و ص ١١ . ١٢؛ المهاجر: التأسيس لتاريخ الشيعة فى لبنان وسورية، ص ٧٤ . ٨٠ .
- ٢٧ . اكتفينا بذكر النصوص الخاصة بالدولة الفاطمية بوصفها سيطرت على بلاد الشام وجبل عامل أغلب زمن حكمها وأنها كانت دولة خلافة تنافس الخلافة العباسية فى المشرق وأن النصوص المتعلقة بأثرها فى رواج التشيع أكثر قوة ودلالة. وللمزيد من المعلومات عن باقى الدول الشيعية المذكورة ينظر: الكاظمى: الحوزات الشيعية المعاصرة، ص ٣٨ وما بعدها؛ علي زهير: الحياة العلمية عند الإمامية فى جبل عامل، ص ٩٥ وما بعدها.
- ٢٨ . أبو شامة: الروضتين فى أخبار الدولتين، ج ٢، ص ١٤٠ .
- ٢٩ . الذهبى: تاريخ الإسلام، حوادث ووفيات ٣٥١ . ٣٨٠، ص ٢٥٩ .
- ٣٠ . للمزيد من التفاصيل ينظر: علي زهير: الحياة العلمية عند الإمامية فى جبل عامل، ص ٩٤ . ١٠٤ .
- ٣١ . ينظر: م. ن.، ص ١٠٠ . ١٠١ .
- ٣٢ . الطرابلسي: التشيع فى طرابلس وبلاد الشام، ص ١٣٥ .
- ٣٣ . ناصر خسرو: سفرنامه، ص ٥٨ . ٥٩ .
- ٣٤ . محسن الأمين: خطط جبل عامل، ص ٦٧ .
- ٣٥ . ينظر: الكاظمى: الحوزات الشيعية المعاصرة، ص ٦٦ . ٧١ .
- ٣٦ . قال ياقوت: «بليدة مطلة على البحيرة المعروفة ببحيرة طبرية وهي فى طرف جبل وجبل الطور مطل عليها، وهي من أعمال الأردن فى طرف الغور بينها وبين دمشق ثلاثة أيام وكذلك بينها وبين عكا يومان وهي مستطيلة على البحيرة عرضها قليل حتى تنتهي إلى جبل صغير فعنده آخر العمارة». ينظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٤، ص ١٩ . ٢٢ .
- ٣٧ . المقدسي: أحسن التقاسيم، ص ١٥٣ . القُدس: بلد بالشام قرب حمص من فتوح شرحبيل بن حسنة، وإليه تضاف بحيرة قُدس. ينظر: ياقوت الحموي: م. ن.، ج ٤، ص ٣٥٣ .
- ٣٨ . المقدسي: م. ن.، ص ١٤١ .
- ٣٩ . أحمد بن علي بن معقل الأزدي الحمصي (ت ٦٦٤ هـ / ١٢٤٦ م): فقيه، لغوي، أديب، شاعر، نسابة، مصنف. ولد فى حمص وقرأ فيه على عبد الله بن أسعد الموصلى، وفى بغداد على الوجيه المبارك بن المبارك الواسطي وأبي النقاء عبد الله بن الحسين العكبرى النحو، وفى الحلة على فقهاء الفقه. أقام مدداً متفاوتة فى حماة ودمشق ثم استقر فى بعلبك وكان

- له فيها تأثير تاريخي. ينظر: المهاجر: أعلام الشيعة، ج ١، ص ٢١٤ . ٢١٥. وللمزيد من التفاصيل عن حياته وسيرته العلمية ينظر: المهاجر: ستة فقهاء أبطال، ص ١٣ . ٤٣.
- ٤٠ . الصفدي: الوافي بالوفيات، ج ٧، ص ١٥٦ . ١٥٧؛ السيوطي: بغية الوعاة، ج ١، ص ٢٨٦ . ٢٨٧.
- ٤١ . الكاظمي: الحوزات الشيعية المعاصرة، ص ٥٠؛ المهاجر: التأسيس لتاريخ الشيعة في لبنان وسورية، ص ١٠٩.
- ٤٢ . عبد المحسن بن محمد بن أحمد بن غالب بن غلبون السوري (ت ٤١٩ هـ / ١٠٢٨ م): الشاعر العاملي الإمامي المشهور أحد المحسنين المجيدين. شعره بديع الألفاظ حسن المعاني رائق الكلام مليح النظام. ينظر: محسن الأمين: أعيان الشيعة، ج ١٢، ص ١٢٠ . ١٢٦؛ علي داود جابر: معجم أعلام جبل عامل، ج ٢، ص ١٩١ . ٢٠٦؛ المهاجر: أعلام الشيعة، ج ٢، ص ٨٨٠.
- ٤٣ . محسن الأمين: م. ن.، ج ١٢، ص ٢٨٢. وقد جمعت رسائل الشريف المرتضى المطبوعة وحقت المخطوطة منها وطبعت في ثلاث مجلدات ضمت إحدى وخمسين رسالة وألحقت بها مجلد رابع احتوى على ما عثر عليه من مجموعة أخرى وتتألف من تسع رسائل. وقد ضم الجزء الأول منها المسائل الطرابلسية الثانية والثالثة. ينظر: الشريف المرتضى: رسائل الشريف المرتضى، ج ١، ص ٣٣٩ . ٤٤٣.
- ٤٤ . أبو الفتح محمد بن علي بن عثمان الكراچكي (ت ٤٤٩ هـ / ١٠٥٧ م): من أبرز أعلام الإمامية في النصف الأول من القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي. عاش شطراً من عمره في طرابلس وربما ولد فيها وكان فريد عصره ونبغ في الفقه واللغة والفلسفة والطب والفلك. وقد أثنت عليه علماء السنة كالذهبي والصفدي والياضي والخطيب البغدادي. درس في طرابلس وحلب وأخذ الفقه والحديث في بغداد عن الشريف المرتضى والشيخ الطوسي وغيرهم وروى عن الشيخ المفيد. ينظر: المهاجر: أعلام الشيعة، ج ٣، ص ١٣٥٧ . ١٣٥٩.
- ٤٥ . ابن شهر آشوب: معالم العلماء، ص ٢٥٦ . ٢٦٧؛ منتجب الدين الرازي: فهرست علماء الشيعة، ص ١٠٠؛ الياضي: مرآة الجنان، ج ٣، ص ٥٤؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ج ٣، ص ٢٨٣؛ الحر العاملي: أمل الآمل، ج ٢، ص ٢٨٧؛ الخوانساري: روضات الجنات، ج ٦، ص ١٩٥ . ٢٠٠؛ محسن الأمين: أعيان الشيعة، ج ١٤، ص ٢٢٢؛ حسن الأمين: مستدركات أعيان الشيعة، ج ٩، ص ٢٧٢ . ٢٨٠.
- ٤٦ . الخوانساري: روضات الجنات، ج ٦، ص ١٩٦.
- ٤٧ . الطبرسي: خاتمة مستدرک الوسائل، ج ٣، ص ١٣٣.

- ٤٨ . محسن الأمين: أعيان الشيعة، ج١٤، ص٢٢٢. وللمزيد عن سيرة الكراجكي وملابسات عصره ونتاجاته العلمية ينظر: المهاجر: الكراجكي عصره سيرته عالمه الفكري ومصنفاته، ص١٩ وما بعدها.
- ٤٩ . عبد العزيز بن نحير بن أبي كامل الطرابلسي المعروف بابن البراج (ت ٤٨١ هـ / ١٠٨٨ م): أحد أبرز فقهاء الشيعة الإمامية في عصره. ارتحل إلى بغداد وله تسع وعشرون سنة وانضم إلى حلقة السيد المرتضى علي بن الحسين وأخذ عنه واختص به حتى وفاته. وفي سنة ٤٣٨ هـ / ١٠٤٧ م تولى القضاء في طرابلس وكانت يومذاك إمارة يحكمها بنو عمار الشيعة الإمامية، وبقي في منصب القضاء عشرين أو ثلاثين سنة. توفي في طرابلس ودفن فيها. ينظر: المهاجر: أعلام الشيعة، ج٢، ص٨٣١.
- ٥٠ . ابن شهر آشوب: معالم العلماء، ص١٨٥ . ١٨٦؛ منتجب الدين الرازي: فهرست علماء الشيعة، ص٧٤؛ الحر العاملي: أمل الآمل، ج٢، ص١٤١ . ١٤٢؛ الأفندي: رياض العلماء، ج٣، ص١٤١ . ١٤٥؛ الخوانساري: روضات الجنات، ج٦، ص١٩٧.
- ٥١ . الحر العاملي: م. ن.، ج٢، ص١٤١ . ١٤٢؛ محسن الأمين: أعيان الشيعة، ج١٢، ص٢٤؛ الزركلي: الأعلام، ج٤، ص١٥.
- ٥٢ . الأفندي: رياض العلماء، ج٣، ص١٤٢.
- ٥٣ . م. ن.، ج٣، ص١٤١ . ١٤٣.
- ٥٤ . كتب الشيخ جعفر السبحاني مقدمة مبسوبة عن تطور الفقه عند الإمامية في القرنين الرابع والخامس الهجريين وسلط الأضواء على حياة ابن البراج وقدم بها كتابه المهذب. ينظر: ابن البراج: المهذب، ص٥ . ٥٦. كما كتب الشيخ جعفر المهاجر كتاباً مستقلاً عن ابن البراج وذكر سيرته وملابسات عصره ونتاجاته العلمية. ينظر: المهاجر: ابن البراج الطرابلسي عصره سيرته ومصنفاته، ص١٧ وما بعدها.
- ٥٥ . محسن الأمين: أعيان الشيعة، ج١٢، ص٢٨١.
- ٥٦ . للمزيد عن تراجمهم ينظر: المهاجر: جبل عامل بين الشهيدين، ص٦٨ . ١٠٨.
- ٥٧ . زين الدين بن علي بن أحمد بن الحجة الجباعي العاملي (ت ٩٦٥ هـ / ١٥٥٨ م): فقه، محدث، كلامي، مشارك في أكثر علوم زمانه، مصنف غزير القلم. ولد في جباع. قرأ على والده عدة كتب فقهية. ثم انتقل إلى ميس وقرأ على الشيخ علي بن عبد العالي الميسي زهاء السبع سنوات. ثم ارتحل إلى كرك نرح فقرأ على السيد حسن بن جعفر بن الأعرج

الكركي. ثم ارتحل إلى دمشق ودرس الطب والحكمة على الشيخ شمس الدين محمد بن مكي والقراءات على الشيخ أحمد بن حباب. ثم رحل إلى مصر فقرأ فيها على جماعة من علمائها مختلف العلوم. وختم زيارته لمصر بالحج وزيارة المراقدة المقدسة في العراق.. ينظر: المهاجر: أعلام الشيعة، ج ٢، ص ٦٦٧، ٦٦٦.

٥٨ . محمد كاظم مكي: الحركة الفكرية والأدبية في جبل عامل، ص ٣٠؛ محمد الحسيني: الفقه في جنوب لبنان، ص ٣٦ . ٣٧.

٥٩ . المهاجر: جبل عامل بين الشهيدين، ص ١٥٤ . ١٦٠.

٦٠ . م. ن.، ص ١٥١.

٦١ . الكاظمي: الحوزات الشيعية المعاصرة، ص ٩٩.

٦٢ . الحر العاملي: أمل الآمل، ج ١، ص ١٩٣.

٦٣ . م. ن. والصفحة.

٦٤ . علي بن الحسين بن عبد العالي الكركي (ت ٩٤٠ هـ / ١٥٣٤ م): فقيه، كلامي، مصنف. ولد في الكرك. بدأ دراسته في الكرك على محمد بن المؤذن الجزيني ومحمد بن أحمد الصهيويني. ولازم شيخه علي بن هلال الجزائري في الكرك مدة طويلة واختص به. ثم انتقل إلى عيناتا في جبل عامل ونال إجازة من شيخها محمد بن علي بن خاتون. ثم بدء رحلاته العلمية فزار دمشق وبيت المقدس ومصر ومكة واقام في كل منها زمناً وأخذ منها عن فقهاءها ومحدثيها. عاد إلى الكرك والتقى بشيخه علي بن هلال من جديد وارتحل على إثره إلى النجف. هاجر إلى إيران والتقى بالشاه إسماعيل الأول الصفوي واستقر في مشهد. ثم استقر في كاشان مقرأً له ومنها تولى توجيه الحياة الدينية لـ "إيران" كلها، وأسس عدداً من المدارس في أنحاء مختلفة وكان ينفق على طلبتها. عاد إلى النجف سنة ٩٢٨ هـ / ١٥٢١ م فجأة واستقر فيها حتى سنة ٩٣١ هـ / ١٥٢٤ م، ليعود إلى إيران. ومع عودته أصدر الشاه الصفوي طهاسب مرسوماً ملكياً بطاعته، فبلغ قمة السطوة والنفوذ في هذه الحقبة. وفي سنة ٩٣٩ هـ / ١٥٣٣ م توجه إلى النجف من جديد وتوفي فيها ودفن وقبره بها معروف. ينظر: المهاجر: أعلام الشيعة، ج ٢، ص ٩٤٤، ٩٤٣.

٦٥ . الكاظمي: الحوزات الشيعية المعاصرة، ص ١٠٤.

٦٦ . البقاع (سهل البقاع): قال ياقوت: «هو أرض واسعة بين بعلبك وحمص ودمشق، فيها قرى كثيرة ومياه غزيرة ونميرة، وأكثر شرب هذه الضياع من عين تخرج من جبل يقال لهذه العين: عين الجر...». ينظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٥٥٦. ٥٥٧.

٦٧ . المهاجر: جبل عامل بين الشهيدين، ص٢٥ . ٢٦.

٦٨ . م. ن.، ص٢٥ . ٢٦.

٦٩ . الجزائري نسبة إلى الجزائر، وهي منطقة البطائح/ الأهوار في جنوب العراق. فقيهه، كلامي، مصنف. وصف نفسه في إجازته للمحقق علي بن عبد العالي الكركي بالجزائري مولداً والعراقي محتداً وأصلاً. هاجر إلى الكرك فتى وفيها قرأ على الحسن بن يوسف بن العشرة الكسرواني المشتهر بابن العشرة وهو أستاذه الوحيد فيما يبدو، فهو لم يذكر غيره في إجازته للكركي. يروي عن أحمد بن فهد الحلبي، وكان قد التقى به أثناء زيارة هذا لها. يروي عنه المحقق الكركي والشهيد الثاني زين الدين بن علي الجباعي إذ لقيه في مكة ومحمد بن أبي جمهور الإحسائي وبهاء الدين الاسترآبادي. الظاهر أنه توفي في كرك. ينظر: المهاجر: أعلام الشيعة، ج٢، ص١٠٣٣.

٧٠ . فقيهه، مصنف. ولد في الحلة وكانت المدينة في زمانه مركزاً علمياً. أبرز أساتذته فيها: علي بن عبد الحميد النيلي النسابة، والمقداد بن عبد الله السيوري ومحمد بن عبد المطلب بن الأعرج الحسيني. وروى عنه ضياء الدين علي بن الشهيد الأول وعلي بن هلال الجزائري وعلي بن الحسن بن الخازن الحائري وبهاء الدين علي بن عبد الكريم النيلي. زار جبل عامل ومكث فيها سنوات وربما كان ذلك بسبب اضطراب الأمن في بلده.. ينظر: م. ن.، ج١، ص٢٦١ . ٢٦٢.

٧١ . المهاجر: جبل عامل بين الشهيدين، ص١٩٤.

٧٢ . عرف بابن مفلح (ت ٩٣٨ هـ / ١٥٣١ م): فقيهه، مصنف. أخذ في عيناتنا على ظهير الدين محمد بن علي بن الحسام العيناوي (توفي في حدود ٨٧٠ هـ / ١٤٦٥ م) وفي الكرك على محمد بن محمد الجزيني المعروف بابن المؤذن. وقد أجازته سنة ٨٨٤ هـ / ١٤٧٩ م وعن محمد بن أحمد الصهيوني وأجازته سنة ٨٧٩ هـ / ١٤٧٤ م. تتلمذ عليه علي بن أحمد الجبعي المعروف بابن الحجة وهو والد الشهيد الثاني والسيد حسن بن جعفر بن الأعرج الكركي وأحمد بن محمد بن خاتون العيناوي. والشهيد الثاني زين الدين بن علي الجباعي قصده إلى ميس الجبل وقرأ عليه ثماني سنوات ولم يتركه إلا بعد أن كبر وانقطع. توفي في ميس الجبل. له بعض المصنفات في الفقه. ينظر: المهاجر: أعلام الشيعة، ج٢، ص٩٦٨ . ٩٦٩.

- ٧٣ . الكاظمي: الحوزات الشيعية المعاصرة، ص ١٠٧.
- ٧٤ . محمد كاظم مكي: الحركة الفكرية والأدبية في جبل عامل، ص ٣١؛ علي إبراهيم درويش: جبل عامل الحياة السياسية والفكرية، ص ١٢٩.
- ٧٥ . المهاجر: جبل عامل بين الشهيدين، ص ٢٠٥.
- ٧٦ . نسبته النحاريري إلى بلدة في جبل عامل أصل بيته منها كانت حيث قرية طلوسة اليوم. فقيه. ولد في جباع. قرأ في ميس على الفقيه الكبير علي بن عبد العالي الميسي (ت ٩٣٨ هـ / ١٥٣١ م) وفي عيناثا على ظهير الدين محمد بن علي بن جعفر بن الحسام العيناثي (توفي بعد ٨٧٣ هـ / ١٤٦٨ م). أبرز تلاميذه ابنه زين الدين الشهير بالشهيد الثاني (قتل ٩٦٥ هـ / ١٥٥٧ م) كما قرأ عليه السيد حسين بن محمد بن أبي الحسن الجباعي ونجم الدين التراكيشي المشغري في جباع. توفي فيها. ينظر: المهاجر: أعلام الشيعة، ج ٢، ص ٩١٢.
- ٧٧ . هو جد الشيخ بهاء الدين محمد بن الحسين بن عبدالصمد الحارثي الجباعي العاملي المتوفي سنة ١٠٣٠ هـ / ١٦٢١ م. قال الشيخ الحر العاملي: «كان فاضلاً عالماً». كما وصفه الأفتندي بالفاضل العالم الشاعر الجليل المعروف وهو والد الشيخ عزالدين الحسين بن عبدالصمد وجدّ الشيخ البهائي. توفي في منتصف ربيع الآخر سنة ٩٣٥ هـ وعمره ثمانون سنة. ينظر: الحر العاملي: أمل الأمل، ج ١، ص ١٠٩ - ١١٠؛ الأفتندي: رياض العلماء، ج ٣، ص ١٢٨.
- ٧٨ . هو عز الدين الحسين بن محمد بن الحسين بن علي بن محمد بن أبي الحسن الموسوي، وهو جدّ السيد محمد صاحب «مدارك الأحكام». فقيه. جدّ لعائلة علمية كبيرة واسعة الانتشار في جبل عامل وثم منه في العراق وإيران والحجاز، تفرعت من بعده إلى ثلاثة فروع: آل نورالدين وآل شرف الدين في لبنان وآل صدر الدين في العرق وإيران. ينظر: المهاجر: أعلام الشيعة، ج ١، ص ٥٦٢ - ٥٦٣.
- ٧٩ . الشيخ حسن بن زين الدين بن علي الجباعي: فقيه، فاضل، محدّث، رجالي، شاعر، مصنّف. ولد في جباع. كان عنده شهادة والده في حوالي السابعة، فكفله تلميذ والده السيد علي بن الحسين بن أبي الحسن وتولى تدريسه مع تلميذ والده الآخر السيد علي بن الحسين الصائغ الحسيني إلى أن كبر. قصد النجف ودرس على الفقيه الشيخ أحمد الأربيلي. رجع إلى وطنه وكان يقيم مدداً متفاوتة في الكرك وفيها التقى الشيخ بهاء الدين العاملي. وقد وصف بوحيد دهره وأعرف أهل زمانه بالفقه والحديث والرجال. تتلمذ عليه كثيرون. له تصانيف عدة. توفي في جباع ودفن بها. ينظر: م. ن. ج ١، ص ٤٥٩ - ٤٦٠.

- ٨٠ . حسن الصدر: تكملة أمل الآمل، ص ١٤٢.
- ٨١ . محسن الأمين: خطط جبل عامل، ص ٣٠١.
- ٨٢ . م. ن. والصفحة.
- ٨٣ . المهاجر: جبل عامل بين الشهيدين، ص ٢٢٩.
- ٨٤ . محسن الأمين: خطط جبل عامل، ص ٣٠١.
- ٨٥ . فريحة: معجم أسماء المدن والقرى اللبنانية، ص ١٧٣.
- ٨٦ . الأنساب، ج ٥، ص ٣٠٥.
- ٨٧ . معجم البلدان، ج ٥، ص ١٥٧.
- ٨٨ . المهاجر: جبل عامل بين الشهيدين، ص ٢٢٩.
- ٨٩ . محسن الأمين: خطط جبل عامل، ص ٣٠١.
- ٩٠ . معجم البلدان، ج ٥، ص ١٥٧.
- ٩١ . المهاجر: جبل عامل بين الشهيدين، ص ٢٣٠.
- ٩٢ . ينظر: المهاجر: آل الحر بيت له في التاريخ نصيب، ص ٣٠ . ٣١.
- ٩٣ . محسن الأمين: أعيان الشيعة، ج ١٥، ص ٢٧٦.
- ٩٤ . الحر العاملي: أمل الآمل، ج ١، ص ١٩٠.
- ٩٥ . المجلسي: بحار الأنوار، ج ١٠٦، ص ١٩.
- ٩٦ . الخوانساري: روضات الجنات، ج ٨، ص ١٨٣.
- ٩٧ . المهاجر: جبل عامل بين الشهيدين، ص ٧٠.
- ٩٨ . المجلسي: بحار الأنوار، ج ١٠٦، ص ١٩.
- ٩٩ . م. ن.، ج ١٠٦، ص ١٨.
- ١٠٠ . م. ن.، ج ١٠٤، ص ٤٥.
- ١٠١ . الأمين: أعيان الشيعة، ج ١٥، ص ٢٧٧.
- ١٠٢ . الصدر: تكملة أمل الآمل، ص ٤٣٥.

- ١٠٣ . م. ن. والصفحة.
- ١٠٤ . الحر العاملي: أمل الأمل، ج١، ص١٩٠.
- ١٠٥ . السيد هبة الله بن أبي محمد الحسن الموسوي المعاصر للعلامة الحلبي. صنّف كتابه «المجموع الرائق من أزهار الحقائق» في حدود سنة ٧٠٣ هـ / ١٣٠٤ م. ينظر: آغا بزرك: الذريعة إلى تصانيف الشيعة، ج٢٠، ص٤٤ . ٤٥.
- ١٠٦ . م. ن.، ج١، ص٢٦٥.
- ١٠٧ . الأفندي: رياض العلماء، ج٥، ص٣٩٠؛ آغا بزرك: م. ن.، ج٨، ص٦٢.
- ١٠٨ . المجلسي: بحار الأنوار، ج١٠٥، ص٥٤.
- ١٠٩ . محمد بن الحسن بن علي الحر العاملي
- ١١٠ . المجلسي: بحار الأنوار، ج١٠٥، ص٥٤.
- ١١١ . المهاجر: آل الحر بيت له في التاريخ نصيب، ص٣٢.
- ١١٢ . المجلسي: بحار الأنوار، ج١٠٥، ص٥٧.
- ١١٣ . المهاجر: آل الحر بيت له في التاريخ نصيب، ص٣٤.
- ١١٤ . الحر العاملي: أمل الأمل، ج١، ص١٥٤.
- ١١٥ . ينظر: المجلسي: بحار الأنوار، ج١٠٥، ص٥٤.
- ١١٦ . محمد بن علي بن الحسين بن محمد بن أبي الحسن الجباعي: فقيه، محدث، مصنف. تتلمذ على والده علي بن الحسين بن أبي الحسن الجباعي (توفي بعد ٩٩٩ هـ / ١٠٥٩ م) وعلى السيد علي بن الحسين الصائغ الجزيني (ت ١٠٠٩ هـ / ١٦٠٠ م) وكلاهما من أفاضل تلاميذ الشهيد الثاني. هاجر من بلده الذي شهد هجرة العلماء منه بعد مقتل الشهيد الثاني فقصد النجف فدرس على أحمد بن محمد المقدس الأردبيلي (ت ٩٩٣ هـ / ١٥٨٥ م) مشترطاً عليه ألا يقرأ إلا ما هو دخیل في الاجتهاد، كما درس المنطق والحكمة على عبد الله بن الحسين اليزدي (ت ٩٨١ هـ / ١٥٧٣ م). رجع إلى وطنه وأعاد إحياء الحراك العلمي في مدينته جباع والتف حوله الطلاب. أعلام الشيعة، ج٣، ص١٣٢٢ . ١٣٢٣.
- ١١٧ . ينظر: علي زهير: الحياة العلمية عند الإمامية في جبل عامل، ٢١١ وما بعدها.
- ١١٨ . بهاء الدين محمد بن الحسين بن عبد الصمد الجباعي العاملي (ت ١٠٣٠ هـ / ١٦٢٠ م): فقيه، محدث، مفسر، مشارك ومجدد في كافة علوم زمانه، شاعر، مصنف. ولد في بعلبك. تلقى دروسه الأولى على والده. هاجر والده إلى إيران

على أثر قتل أستاذه الشهيد الثاني على يد العثمانيين ومعه ابنه بهاء الدين، وكان في الثانية أو الثالثة عشرة. سكنت أسرته قزوين أولاً ثم تحولت إلى أصفهان. ثم عادت أسرته إلى قزوين بعد أن ولي أبيه منصب شيخ الإسلام فيها. وفيها أسس بهاء الدين معارفه الواسعة. ينظر: المهاجر: أعلام الشيعة، ج ٣، ص ١٢٥٧. ١٢٥٩.

١١٩ . الحر العاملي: أمل الآمل، ج ١، ص ١٦٠.

١٢٠ . م. ن.، ج ١، ص ١٧٨.

١٢١ . م. ن.، ج ١، ص ١٥٤.

١٢٢ . المهاجر: جبل عامل بين الشهيدين، ص ٢٣٥.

١٢٣ . الجباعي: الدر المنثور من المأثور وغير المأثور، ج ٢، ص ١٩١.

١٢٤ . المهاجر: آل الحر، ص ٣٥.

١٢٥ . الحر العاملي: أمل الآمل، ج ١، ص ١٠٧.

١٢٦ . م. ن. والصفحة.

١٢٧ . م. ن. والصفحة.

١٢٨ . المهاجر: آل الحر، ص ٣٥.

١٢٩ . أمل الآمل، ج ١، ص ١٢٩.

١٣٠ . م. ن. والصفحة.

١٣١ . م. ن.، ج ١، ص ٧٨.

١٣٢ . م. ن.، ج ١، ص ٦٥ . ٦٦.

١٣٣ . م. ن.، ج ١، ص ١٤١ . ١٥٤.

١٣٤ . م. ن.، ج ١، ص ٩٨.

١٣٥ . المهاجر: آل الحر، ص ٣٥.

١٣٦ . الحر العاملي: أمل الآمل، ج ١، ص ١٥٧؛ المهاجر: م. ن.، ص ٣٥ . ٣٦.

١٣٧ . الحر العاملي: م. ن.، ج ١، ص ١٧٠.

١٣٨ . م. ن.، ج ١، ص ٦٧.

١٣٩ . م. ن.، ج١، ص٣٢.

١٤٠ . المهاجر: آل الحر، ص٣٦.

١٤١ . محمد بن علي بن شمال المشغري (توفي بعد ٨٩٨هـ / ١٤٤٤م): انفراد بترجمته الشيخ الحر قائلًا: «جد خال والدي الشيخ علي بن محمود العاملي، كان فاضلاً فقيهاً صالحاً شاعراً أديباً، وكان الشيخ علي بن إبراهيم العاملي من تلامذته قرأ عنده سنة ٨٩٨ كما وجدته بخط الكفعمي في بعض كتب الفقه». ينظر: الحر العاملي: أمل الأمل، ج١، ص١٦١.

١٤٢ . م. ن.، ج١، ص١٦١. تقي الدين إبراهيم بن علي بن الحسن بن محمد الحارثي الكفعمي اللويزي الجباعي (ت ٩٠٥ هـ / ١٤٩٩ م): فقيه، شاعر، منشي، مصنف غزير القلم متعدد الاهتمامات. من بيت أنجب عدداً من أفاضل العلماء. فهو أخو محمد بن علي الجباعي، الذي يعود إليه الفضل في التأسيس لموقع بلدة جباع مركزاً علمياً. ومن البيت نفسه بهاء الدين العاملي الشهير. ولد في كفر عيما في جبل عامل. قرأ على والده زين الدين علي وعلى علي بن محمد البياضي. أقام مدة في كربلاء والنجف. توفي ودفن في كربلاء. جملة من شعره في أعيان الشيعة ونفح الطيب. وصنف الكثير من الكتب فضلاً عن الشروح والتعليقات والاختصارات الكثيرة إلا أن أكثر كتبه مفقودة. ينظر: المهاجر: أعلام الشيعة، ج١، ص٤٩٤٨.

١٤٣ . نجم الدين بن أحمد التراكيشي المشغري (توفي بعد ٩٢٤هـ / ١٤٩٤م): انفراد بترجمته الشيخ الحر قائلًا: «عالم فاضل جليل فقيه، من تلامذته الشيخ علي بن أحمد بن الحجة العاملي الجبعي والد الشهيد الثاني، وله [منه] إجازة رأيتها بخطه وقد أثنى عليه فيها وأجاز له أن يروي عنه عن الشيخ علي بن عبد العالي العاملي الميسي جميع مصنفات المحقق والعلامة وغيرهما بالطرق المعروفة وتاريخ الإجازة سنة ٩٢٤». ينظر: م. ن.، ج١، ص١٨٨.

١٤٤ . م. ن.، ج١، ص١٨٠.

١٤٥ . المهاجر: آل الحر، ص٣٧ . ٣٨. وللمزيد ينظر لكتاب آخر من تأليفات جعفر المهاجر: الهجرة العاملية إلى إيران في العصر الصفوي أسبابها التاريخية ونتائجها الثقافية والسياسية، ص٨٤ وما بعدها.

١٤٦ . الإخباريون: أصل اللفظ من مادة الخبر وهو الحديث الشريف. والإخبارية منهج فقهي إمامي في مقابل المنهج الأصولي نسبة إلى علم أصول الفقه. والإخباريون يقولون أن الفقه ليس شيئاً غير الأخبار (الأحاديث) وليس هناك من فقيه إلا المعصوم وكل الناس مقلدون له، ويمكن لأي إنسان الرجوع إلى كتب الأحاديث ومعرفة الحكم الشرعي مباشرة، فلا حجة

إلا للأخبار ولا حجية للعقل ولا للإجماع فلا حاجة لعلم الاجتهاد ولا حاجة لدراسة علم أصول الفقه. ينظر: البحراني: الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة، ص ٦٤ وما بعدها.

١٤٧ . محمد أمين بن محمد شريف الاسترآبادي المدني المكي (ت ١٠٣٦ هـ / ١٦٢٦ م): نسبته لمدينة «إسترآباد» مركز إقليم جرجان شرقي بحر قزوين في بلاد فارس. محدث فقيه مصنف. لا ذكر لمكان مولده وسيرته الأولى. درس في شبابه على السيد محمد بن علي بن أبي الحسن العاملي (ت ١٠٠٩ هـ / ١٦٠٠ م) والظاهر أن دراسته عليه كانت في النجف وقد قرأ عليه في الحديث والرجال. أخذ علم الحديث عن محمد بن علي الاسترآبادي المكي (ت ١٠٢٨ هـ / ١٦١٨ م) الرجالي المشهور وتزوج من كريمته والظاهر أنه سمع منه في مكة إذ جاور أستاذه منذ سنة ٩٩٣ هـ / ١٥٨٥ م وحتى وفاته. للمزيد ينظر: جمع من المؤلفين: موسوعة طبقات الفقهاء، ج ١١، ص ٣١٣ . ٣١٥؛ المهاجر: أعلام الشيعة، ج ٣، ص ١١٧٣ . ١١٧٤.

١٤٨ . الخوانساري: روضات الجنات، ج ٧، ص ٩٨ . ٩٩.

١٤٩ . المهاجر: آل الحر بيت له في التاريخ نصيب، ص ٣٩ . ٤٠.

المصادر والمراجع:

أ . المصادر:

ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٣ م):

أسد الغابة في معرفة الصحابة، اعتنى بتصحيحها: عادل أحمد الرفاعي، دار إحياء التراث العربي، (بيروت . ١٩٩٦).

الأفندي، الميرزا عبد الله بن عيسى بيك بن محمد صالح بيك التبريزي الأصفهاني (ت ١١٣٠ هـ / ١٧١٨ م):

رياض العلماء وحياض الفضلاء، تحقيق: أحمد الحسيني، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، (قم . ١٤٠٣).

ابن البرزج، أبو القاسم عبد العزيز بن تحرير بن عبد العزيز الطرابلسي (ت ٤٨١ هـ / ١٠٨٨ م):

المهذب، تقديم: جعفر السبحاني، مؤسسة النشر الإسلامي، (قم . ١٤٠٦).

البرقي، أبو جعفر أحمد بن أبي عبد الله محمد بن خالد (ت ٢٧٤ هـ / ٨٨٧ م):

كتاب الرجال، تحقيق: كاظم الموسوي الميامي، انتشارات دانشگاه تهران، (تهران . ٢٠٠٤).

البلاذري، أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م):

- أنساب الأشراف، تحقيق: محمود فردوس العظم، دار اليقظة العربية، (دمشق - د.ت).
الجباي، علي بن محمد بن الحسن بن زين الدين العاملي (ت ١١٠٣هـ / ١٦٩٢م):
الدر المنثور من المأثور وغير المأثور، تحقيق: أحمد الحسيني، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، (قم . ١٣٩٨).
- الحر العاملي، محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن الحسين المشغري (ت ١١٠٤هـ / ١٦٩٣م):
أمل الأمل في علماء جبل عامل، تحقيق: أحمد الحسيني، مطبعة الآداب، (النجف . ١٣٨٥).
ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي (ت ٤٥٦هـ / ١٠٦٤م):
جمهرة أنساب العرب، راجع النسخة وضبط أعلامها: لجنة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، (بيروت . ٢٠٠٣).
- الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م):
تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، ط٢، (بيروت . ٢٠٠٢).
ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري (ت ٢٣٠هـ / ٨٤٥م):
الطبقات الكبرى، دراسة وتحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، (بيروت . ١٩٩٠).
السمعاني، أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي المروزي (ت ٥٦٢هـ / ١١٦٧م):
الأنساب، وضع حواشيه: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، (بيروت . ١٩٩٨).
السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد الخضير (ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م):
بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، (بيروت . ٢٠٠٤).
أبو شامة، شهاب الدين أبو القاسم عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي (ت ٦٦٥هـ / ١٢٦٧م):
كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، وضع حواشيه وعلق عليه: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، (بيروت . ٢٠٠٢).
- الشريف المرتضى، أبو القاسم علي بن الحسين بن موسى بن محمد الموسوي علم الهدى (ت ٤٣٦هـ / ١٠٤٤م):
رسائل الشريف المرتضى، إعداد: مهدي الرجائي، تقديم وإشراف: أحمد الحسيني، دار القرآن الكريم في مدرسة آية الله العظمى الكلبايكاني، (قم . ١٤٠٥).

ابن شهر آشوب، رشيد الدين أبو جعفر محمد بن علي بن شهر آشوب السروي المازندراني (ت ٥٨٨ هـ / ١١٩٢ م): معالم العلماء، تحقيق: محمد رضا الحسيني الجلاي، تصدير: محمد صادق آل بحر العلوم، دار المحجة البيضاء، (بيروت . ٢٠١٢).

الشيخ الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي (ت ٤٦٠ هـ / ١٠٦٨ م): اختيار معرفة الرجال، تحقيق: جواد القيومي الاصفهاني، مؤسسة النشر الإسلامي، (قم . ١٤٢٧). كتاب الرجال، تحقيق: جواد القيومي الاصفهاني، مؤسسة النشر الإسلامي، (قم . ١٤١٥). الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله (ت ٧٦٤ هـ / ١٣٦٣ م): الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرنؤوط وآخرون، دار إحياء التراث العربي، (بيروت . ٢٠٠٠). الطبرسي، الميرزا حسين بن محمد تقي النوري المازندراني (ت ١٣٢٠ هـ / ١٩٠٢ م): خاتمة مستدرك الوسائل، تحقيق: مؤسسة آل البيت (ع) للإحياء التراث، (قم . ١٤١٦).

ابن العماد، أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي (ت ١٠٨٩ هـ / ١٦٧٩ م): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار الميسرة، ط٢، (بيروت . ١٩٧٩). المجلسي، المولى محمد باقر بن محمد تقي بن مقصود علي الاصفهاني (ت ١١١١ هـ / ١٦٩٩ م): بحار الأنور الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، تحقيق: عبد الرحيم الرياني الشيرازي وآخرون، مؤسسة الوفاء، ط٢، (بيروت . ١٩٨٣).

المزّي، جمال الدين أبو الحجاج يوسف بن الزكي أبي محمد عبد الرحمن بن يوسف القضاعي الكلبي (ت ٧٤٢ هـ / ١٣٤٣ م):

تهذيب الكمال في أسماء الرجال، حققه وضبط نصّه وعلّق عليه: بشّار عوّاد معروف، مؤسسة الرسالة، (بيروت . ٢٠٠٢). المقدسي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر البناء المقدسي المعروف بالبشاري (ت ٣٨٠ هـ / ٩٩٠ م): أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، وضع مقدمته وهوامشه وفهارسه: محمد مخزوم، دار إحياء التراث العربي، (بيروت . ١٩٨٧).

منتجب الدين الرازي، أبو الحسين علي بن عبيد الله بن الحسن بن الحسين بن بابويه (توفي بعد ٦٠٠ هـ / ١٢٠٤ م):

فهرست علماء الشيعة ومصنفهم، حَقَّقه وقَدَّم له: جلال الدين المحدث الأرموي، مكتبة آية الله العظمى المرعشى النجفي، (قم . ١٩٨٧).

ناصر خسرو، أبو معين حميد الدين ناصر بن خسرو بن الحارث القبادياني المروزي (توفي بعد ٤٨١هـ / ١٠٨٨م): سفرنامه، تعريب: يحيى الخشاب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٢، (القاهرة. ١٩٩٣).

اليافعي، عفيف الدين أبو محمّد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليمني المكي (ت ٧٦٨هـ / ١٣٦٧م): مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، وضع حواشيه: خليل منصور، دار الكتب العلمية، (بيروت . ١٩٩٧).

ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٦م): معجم البلدان، تحقيق: فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية، (بيروت . د. ت).
ب . المراجع:

أغا بزرك، محمّد محسن بن علي بن محمّد رضا الطهراني (ت ١٣٨٩هـ / ١٩٧٠م): الذريعة إلى تصانيف الشيعة، مراجعة وتصحيح وتدقيق: رضا جعفر مرتضى العاملي، دار إحياء التراث العربي، (بيروت . ٢٠٠٩)

الأمين، حسن:

دائرة المعارف الإسلامية الشيعية، دار التعارف، ط٦، (بيروت . ٢٠٠٢).

مستدركات أعيان الشيعة، دار التعارف، (بيروت . ١٩٩٧).

الأمين، محسن بن عبد الكريم بن علي الحسيني الشقراي العاملي (ت ١٣٧١هـ / ١٩٥٣م):

أعيان الشيعة، حقه وأخرجه وعلق عليه: حسن الأمين، دار التعارف، ط٥، (بيروت . ٢٠٠٠).

خطط جبل عامل، حقه وأخرجه: حسن الأمين، دار المحجة البيضاء، (بيروت . ٢٠٠٢).

جابر، علي داود:

معجم أعلام جبل عامل من الفتح الإسلامي حتى نهاية القرن التاسع الهجري، دار المؤرخ العربي، (بيروت . ٢٠٠٩).

جمع من الباحثين:

موسوعة طبقات الفقهاء، مؤسسة الإمام الصادق (ع)، (قم . ١٤٢٩).

- حب الله، علي:
أبو ذر الغفاري وأسطورة نسبة التشيع في جبل عامل إليه، دار المحجة البيضاء، (بيروت . ٢٠٠٨).
- الحسيني، محمد:
الفقه في جنوب لبنان دراسة في بواكير الدرس الفقهي في جبل عامل وتطوره، دار المحجة البيضاء، (بيروت . ٢٠٠٩).
- درويش، علي إبراهيم:
جبل عامل الحياة السياسية والفكرية، دار الهادي، (بيروت . ١٩٨٩).
- الخوانساري، مير محمد باقر بن زين العابدين بن أبي القاسم الموسوي (ت ١٣١٣هـ / ١٨٩٥م):
روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات، الدار الإسلامية، (بيروت . ١٩٩١).
- الزركلي، خيرالدين:
الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، ط ١٦، (بيروت . ٢٠٠٥).
- الصدر، حسن بن هادي بن محمد علي الموسوي الكاظمي (ت ١٣٥٤هـ / ١٩٣٥م):
تكملة أمل الأمل، تحقيق: أحمد الحسيني، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، (قم . ١٤٠٦).
- الطرابلسي، علي إبراهيم:
التشيع في طرابلس وبلاد الشام أضواء على دولة بني عمار، دار الساقى، (بيروت . ٢٠٠٧).
- فريحة، أنيس:
معجم أسماء المدن والقرى اللبنانية وتفسير معانيها دراسة لغوية، مكتبة لبنان، ط ٤، (بيروت . ١٩٩٦).
- الكاظمي، فيصل الخالدي:
الحوزات الشيعية المعاصرة بين مدرستي النجف وقم لبنان أنموذجاً، دار المحجة البيضاء، (بيروت . ٢٠١١).
- الكوراني، علي:
قراءة جديدة للفتوحات الإسلامية، باقيات للنشر، (قم . ١٤٣٢).
- مكي، محمد كاظم:
الحركة الفكرية والأدبية في جبل عامل، قدم له: فؤاد أفرام البستاني، دار الأندلس، (بيروت . ١٩٦٣).

المهاجر، جعفر:

آل الحر بيت له في التاريخ نصيب، سلسلة مؤتمرات هيئة علماء جبل عامل: المؤتمر الأول: الشيخ الحر العاملي، دار النقلين، (بيروت . ١٩٩٩).

أعلام الشيعة، دار المؤرخ العربي، (بيروت . ٢٠١٠).

ابن البراج الطرابلسي عصره سيرته ومصنفاته، مؤسسة تراث الشيعة، (قم . ١٤٣٤).

التأسيس لتأريخ الشيعة في لبنان وسورية، دار الملاك، (بيروت . ١٩٩١).

جبل عامل بين الشهيدين الحركة الفكرية في جبل عامل في قرنين من أواسط القرن الثامن للهجرة حتى أواسط القرن العاشر، المعهد الفرنسي للشرق الأدنى، (دمشق . ٢٠٠٥).

سنة فقهاء أبطال، مركز الدراسات والتوثيق والنشر . المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى، (بيروت . ١٩٩٥).

الكراجكي عصره سيرته عالمه الفكري ومصنفاته، مؤسسة تراث الشيعة، (قم . ١٤٣٤).

الهجرة العملية في العصر الصفوي أسبابها التاريخية ونتائجها الثقافية والسياسية، دار الروضة، (بيروت . ١٩٨٩).

ج . الرسائل الجامعية:

الصراف، علي زهير هاشم:

الحياة العلمية عند الإمامية في جبل عامل بين القرنين السابع والتاسع الهجريين، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، (جامعة الكوفة . ٢٠١٤).

د . الدوريات:

حب الله، حيدر:

المرجعية القرآنية والاتجاه الإخباري في الفقه الشيعي، مجلة المنهاج، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، العدد: ٣٣، السنة: ٩، (بيروت . ٢٠٠٤).

زراقت، عبد المجيد:

الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي مؤرخ ثقافة وشاعراً. مجلة المنهاج، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، العدد: ١١، السنة: ٣، (بيروت . ١٩٩٨).

إسماعيل الأزهرى ودوره فى مؤتمـر الخريجين (١٩٣٨-١٩٤٢)

أ.م.د. أحمد بهاء الخفاجى

الباحث تحسين عبد الإله سالم

كلية التربية للبنات/ جامعة الكوفة

المقدمة:

تكتسب دراسة دور الأزهرى فى مؤتمـر الخريجين العام فى السودان (١٩٣٨-١٩٤٢)، أهمية كبيرة على مستوى تاريخ السودان الحديث والمعاصر الذى عد هذا المؤتمـر نقطة تحول مهمة فى السياسية والثقافة السودان ولشخصية اسماعيل الأزهرى، الذى عُدّ محور هذه الدراسة.

و يمكن وصف المدة الزمنية موضوع بداية الدراسة إذ إن عام ١٩٣٨ هو انعقاد أول جلسة لمؤتمـر الخريجين العام برئاسة اسماعيل الأزهرى، وعُدت نقطة انطلاق وتأسيس لمستقبل السودان السياسى والثقافى والاجتماعى، التى تنتهى هذه الدراسة إلى عام ١٩٤٢، وعُدت هذه المرحلة هى مرحلة تنظيم المؤتمـر وتأسيسه وفتح فروع له على مستوى السودان.

قسمت الدراسة إلى أربعة محاور رئيسة إذ كان المحور الأول انتخاب الأزهرى أميناً عاماً لمؤتمـر الخريجين عام ١٩٣٨، وقد اعتمدنا فيه على مصادر ذات صلة بهذا الموضوع منها كتاب (السودان عبر القرون) للمؤلف مكي شبكية الذى كان أحد قادة مؤتمـر الخريجين وعضو الهيئة الستينية فى المؤتمـر ، وعُدّ مصدراً أساسياً للبحث، كذلك رسالة الماجستير من كلية الآداب جامعة البصرة للباحثة تهانى لعيبي كاطع، عن مؤتمـر الخريجين العام ودوره فى الحركة الوطنية فى السودان ١٩٣٨-١٩٥٢، و مذكرات اسماعيل الأزهرى أيضاً، التى جمعها الكاتب السودانى الذى كان معاصراً للأزهرى، بشير محمد سعيد ، فى كتاب (الزعيم اسماعيل الأزهرى وعصره)، الذى افاد الدراسة فى محاورها كلها. وأما المحور الثانى للبحث، هو موقف دولتى الحكم الثنائى (مصر وبريطانيا) من تأسيس مؤتمـر الخريجين العام ، وقد تطرقنا فى هذا المحور الى موقف كلا الدولتين من المؤتمـر منذ تأسيسه حتى نهاية الدراسة التى تنتهى عام

١٩٤٢، التي بدأت الانقسامات فيها تأخذ طابعاً معيناً على صفوف المؤتمر، واعتمدنا على أهم المصادر منها اطروحة دكتوراه للباحث حسان ريكان خلف الديلمي، (العلاقات المصرية السودانية ١٩٥٢-١٩٧٠) في جامعة بغداد معهد التاريخ العربي، وكذلك كتاب (رياح الشمال دراسة في العلاقات المصرية - السودانية) للمؤلفة نوال عبد العزيز مهدي راضي، والمحور الثالث من البحث كان عن دور الأزهرى في التطورات التعليمية، والاجتماعية، والثقافية، وتم الاعتماد على أبرز المصادر منها: (تطور الحركة الوطنية في السودان ١٩٢٤-١٩٥٦) للكاتب غالب حامد النجم، و دراسة عن (الخريجين في السودان واسهاماتهم في الحركة الوطنية والعمل الاجتماعي والأهلي في الفترة من ١٩١٨-١٩٤٥)، في مجلة الجزيرة للعلوم التربوية والانسانية في السودان، للباحث الفاتح الشيخ يوسف، أما المحور الرابع فتناول الانقسامات السياسية التي حدثت داخل مؤتمر الخريجين العام للحقبة (١٩٤٠-١٩٤٢)، وتم الاعتماد على أهم المصادر منها (تاريخ الحركة الوطنية في السودان ١٩٠٠-١٩٦٩) للمؤلف محمد عمر بشير، و كتاب (الدور السياسي للزعيم اسماعيل الأزهرى) للكاتب عبد الفتاح محمد علي البصير. وخاتمة نهاية البحث عن أهم النقاط الرئيسة التي توصل إليها البحث.

المحور الأول: انتخاب الأزهرى أميناً عاماً لمؤتمر الخريجين عام ١٩٣٨م:

عقد مؤتمر الخريجين أولى جلساته في مدينة ام درمان، في الثاني عشر من شباط / فبراير عام ١٩٣٨م، في نادي مدينة ام درمان التي تقع في الخرطوم ، وهو من أقدم أندية الخريجين في السودان ، حضر الاجتماع حوالي (١١٨٠) عضواً من اصل و (١٦٣٤) خريجاً من الأعمال ، والمهن السودانية المختلفة ، وهي نسبة كبيرة من أعداد الخريجين^(١).

وترأس الجلسة إسماعيل الأزهرى^٢ بصفته رئيساً للجنة التحضيرية للمؤتمر، وألقى كلمته وبين فيها أعمال اللجنة التحضيرية للمؤتمر، وبعدها تحدث مكي شبكية^(٣)، عن مسودة الدستور التي أعدت للمؤتمر، وتلاهما عبد الماجد أحمد^(٤)، و أحمد عثمان القاضي^(٥)، الذي طالب بضرورة وجود مجلة للمؤتمر تنقل أخباره^(٦).

وفي أثناء انعقاد الجلسة بدأت الخلاف بين الأعضاء على خلفيات طائفية في الانتخابات وكانت الخلافات بين طائفتين الختمية^٧، التي تمثلها الفيليين، برئاسة علي المرغني^٨، وطائفة الأنصار^٩، يمثلها الشوقيين ، برئاسة عبد الرحمن المهدي^{١٠}. ولكن أعضاء مؤتمر الخريجين ، خشوا أن يتجدد الخلاف القديم^(١١). ولكن حنكة إسماعيل الأزهرى الذي دار الجلسة لم يكن هو طرفاً في هذه الصراعات الطائفية لكن لاقى تأييداً من الشباب المتحمس الذي كان بعيداً عن الطائفتين وقد تم انتخابه رئيساً لمؤتمر الخريجين ولم يعترض عليه أحد الطائفتين وقد لاقى مقبولية من قبل الحاضرين^(١٢).

وفي اليوم التالي في الثالث عشر من شباط / فبراير بعد انتخاب الأزهرى رئيساً للمؤتمر، تم انتخاب الهيئة العامة وتتألف من ستين عضواً، مهامها هي متابعة أعمال المؤتمر تم بعد ذلك انتخاب لجنة من خمسة عشر عضواً وتعد لجنة تنفيذية لمؤتمر الخريجين ، وهؤلاء الخمسة عشر عضوا ، يتألف منهم رئاسة المؤتمر والمسؤول المالي والمحاسب^(١٣).

وتقرر أن يكون انتخاب تلك اللجنة بشكل دوري وتأسيس مكتب دائم لها ، على أن يكون إسماعيل الأزهرى سكرتيراً عاماً فيه ، وعبد الله المرغني^(١٤)، مساعد السكرتير، وحمامد توفيق، محاسب ؛ وإن

أغلب من فاز في اللجان مثلوا قدامى الخريجين وهذا وضع الحكومة والإدارة البريطانية موضع اطمئنان من قيادة المؤتمر^(١٥).

المحور الثاني: موقف دولتي الحكم الثنائي في السودان (بريطانيا والمصر) من تأسيس المؤتمر:
أشار الأزهرى في مذكراته عن الموقف المصري: ((منذ بداية تأسيس مؤتمر الخريجين كانت مصر تنتظر إليه بنوع من الريبة والشك بداية الأمر بأن هذا المؤتمر هو صنيعه بريطانيا الغرض منه ابعاد الخريجين السودانين عن مصر، وكانت هذه الاتهامات تؤرق الخريجين السودانين، وتسعد بريطانيا))^(١٦).
أما موقف بريطانيا كان واضحاً هو دعم مؤتمر الخريجين فقد كان جورج ستوارت سايمز (George Stewart Symes)^{١٧}، منذ بداية الأمر قد شجع فكرة انشاء المؤتمر الذي يجمع الخريجين كلهم ؛ وفور الإعلان عنه رحب به وعده سايمز نقطة تحول في سياسة الإدارة البريطانية فقد كان يقوم بزيارات إلى نوادي الخريجين في المدن السودانية وقام بإرسال العديد من الطلاب إلى بريطانيا من أجل الدراسة ، وذلك من أجل ابعاد النفوذ المصري عن المتعلمين^(١٨).

شجعت الإدارة البريطانية في السودان مؤتمر الخريجين العام وسمحت للموظفين بالاشتراك فيه، و أعطت لهم الأذن بالكتابة في الصحف والمجلات، لكن بشرط أن لا تكون تحرض تلك الكتابات ضد الإدارة البريطانية في السودان، وأن تكون الكتابات ذات توجه معتدل، وجاء نص الرد من الحكومة بأنه مادامت أغراض المؤتمر ثقافية واجتماعية، وعضويته تضم فقط الخريجين وبعيدة السياسة الحكومية ، والإدارة البريطانية ؛ فأنها لا تعترض على هذا المؤتمر ، وبعد فوز الهيئة القيادي في مؤتمر الخريجين وعلى رأسهم الأزهرى بعث عامل ثقة للإدارة البريطانية لأنه يعد من الخريجين القدماء في المؤتمر له أفكار معتدلة^(١٩).

وبعد انتهاء الجلسة الأولى لمؤتمر الخريجين بدأت الهيئة التنفيذية تعمل على الاتصال بالحكومة لكي تخبرها بتأسيس المؤتمر، وفي الثاني من آيار/ مايو من عام ١٩٣٨م ، أرسل إسماعيل الأزهرى بصفته رئيساً للمؤتمر خطاب إلى الحاكم العام بين له أغراض المؤتمر الذي يسعى لتحقيقها وتتمثل بالاتي^(٢٠):

١- رفع مستوى الشعب الاجتماعي بتنظيم وسائل التعاون بين طبقات المجتمع المختلفة وبغير ذلك من الأساليب التي تكفل له العيش الرغيد.

٢- الاشتراك مع الحكومة في مناقشة المسائل التي تهم البلاد ، وتزويدها بالأراء التي تنير لها السبيل في رسم خطتها أزاء هذه المسائل.

وفي الثاني والعشرين من شهر آيار/ مايو من عام ١٩٣٨م، جاء رد الحكومة السودانية المتمثل بالإدارة البريطانية اعترافها بالمؤتمر بشكل رسمي ؛ ولكن عدته هيئة شبه عامة ، تهتم بالمسائل الخيرية والأمور العامة^(٢١). وأشار مكي شببكة في كتابه السودان عبر القرون ، وعضو الهيئة الستينية في مؤتمر الخريجين في كتابه السودان عبر القرون: ((أن الحكومة السودانية المتمثلة بالإدارة البريطانية في السودان ردت على رسالة الأزهري ، وقال الحاكم العام في السودان سايمز : بأن الإدارة البريطانية رحبت بدستور وأغراض مؤتمر الخريجين لطالما كانت أغراضه تسعى لخدمة البلاد والأعمال الخيرية ، لكن لا تعترف به الحكومة كهيئة سياسية ، وليس لها تمثيل غير وجهة نظر أعضائها الذين مثلوا الخريجين فقط وهذا لا يمثل كل أهل السودان))^(٢٢).

ومع اندلاع الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩م ، كان موقف مؤتمر الخريجين إلى جانب بريطانيا في الحرب العالمية الثانية ، وكان قرار أغلب أعضاء المؤتمر هو الوقوف مع بريطانيا وحلفائها ضد إيطاليا والمانيا ، وقد أرسل إسماعيل الأزهري رسالةً إلى الحاكم العام للسودان، أعرب فيها عن رغبة أعضاء المؤتمر للتطوع والدفاع عن السودان، وكان لهذا الخطاب وقع اثر لدى الحاكم العام للسودان سايمز ، ورد الحاكم العام لقد وقف السودان وقفة صدق مع الحلفاء خلال الحرب العلمية الثانية^(٢٣).

بعد اعلان مؤتمر الخريجين والسودانيين موقفهم من الحرب العالمية الثانية ، الوقوف إلى جانب بريطانيا والحلفاء في حربهم ضد إيطاليا والمانيا ، وبدأت إيطاليا توجه انظارها نحو افريقيا والسودان خاصة وشعرت بريطانيا بقلق ازاء تطور الأحداث والخطر على مصالحها الاستراتيجية في المنطقة ، وانضم عدد كبير من السودانيين للجيش في القتال مع بريطانيا، وكانت الحرب مستمرة ؛ تم عقد في الرابع عشر من

آب / اغسطس عام ١٩٤١ م ، معاهدة الاطنطة^(٢٤)، التي تسمح للدول الكبرى حق تقرير مصير الشعب التي كانت تحت الاحتلال ، وهذا كان له اثر على الشعوب وخاصة السودان الذي يتطلع إلى الاستقلال وتكون حكومة سودانية^(٢٥).

وفي الثاني والعشرين من شباط / فبراير عام ١٩٤٠ م ، زار رئيس الوزراء المصري علي ماهر^(٢٦)، السودان على اثر دعوة قدمت له من حكومة السودان، واقام علي ماهر حفل شاي حضر هذا الحفل عشرات الخريجين ، وأعلن بعض من أعضاء المؤتمر الخريجين عن الاستقلال عن الحكم البريطاني ، وأعلن الحاضرون عن الامل في اقامة العلاقات الوثيقة مع مصر على ان تدعم مشاريع المؤتمر الاجتماعية والثقافية ، بعد ذلك اعربت مصر عن تأييدها لمؤتمر الخريجين العام^(٢٧).

وسعى أعضاء المؤتمر لتغيير الفكرة المصرية التي كانت سائدة اتجاه مؤتمر الخريجين ، فتطرق الاجتماع إلى توضيح اهدافه وطبيعة العلاقة الازلية بين مصر والسودان ، فاسهم ذلك الاجتماع إلى تغيير وجهة النظر الحكومة المصرية اتجاه مؤتمر الخريجين العام وأعضاءه، وفتحت هذه الزيارة إلى نوع من العلاقة الجديدة من الجانبين رغم ان أغلب الخريجين كانوا في الاتجاه الذي دعا إلى علاقات قوية مع الجانب المصري لكن كان هناك اتجاه آخر يرى أن تكون علاقة الخريجين مع مصر مثل علاقة الخريجين مع بريطانية، وساعد هذا على الانقسام في المؤتمر الخريجين^(٢٨).

المحور الثالث: دور الأزهرى في التطورات التعليمية والاجتماعية والسياسية لمؤتمر الخريجين العام:

بدأ المؤتمر أعماله في القطاعات المختلفة ؛ ولأسيما في مجال التعليم والأنشطة الثقافية الأخرى ، وكذلك بدأ نشاطه في المجال السياسي الحياة المختلفة ، وأشار الأزهرى عن موقف المؤتمر في التعاون مع مصر، إذ اكدد أن المؤتمر الخريجين يشجع التعاون مع مصر في مجال التعليم وإرسال الطلبة إلى هناك وتقديم الدعم لهم^(٢٩). وفي مجال التعليم ايضا ، بعث المؤتمر رسالة إلى الحاكم العام في السودان سايمز، مطالباً فيها بتطوير التعليم وبناء المدارس ، وأن تكون توجهات المدارس عربية اسلامية ، وليست افريقية، وتشمل السودانيين كلهم ، وفي المناطق السودانية المختلفة^(٣٠).

وكان في مقدمة الأعمال التي قام بها المؤتمر وتحديدًا في مطلع العام ١٩٣٩م، قام بجمع التبرعات من الأهالي لبناء العديد من المدارس، إذ كان التعليم فيها أهلي، فيتم بناء المدارس واكمال تلك التي كانت تحت قيد الانشاء، وكان التطور ملحوظاً في المدن السودانية، وشمل التعليم الذكور والإناث بمختلف الاعمار، وارسلت رسالة إلى سايمز الحاكم العام في السودان من أجل الاهتمام بالمعهد العلمي، في مدينة ام درمان التي كانت هي اشبه بالمؤسسة الدينية، و يضم العديد من المتعلمين السودانيين^(٣١). واسهم أعضاء مؤتمر الخريجين بشكل واضح في بناء العديد من المدارس وبإشراف من إسماعيل الأزهرى ، فشهدت تلك الحقبة تشيد بعضاً من المدارس من خلال جمع التبرعات والمساعدات في بناء العديد من المدارس وقد تم تأسيس مدارس متخصصة بالهندسة والإدارة والصناعة ، وكان التعليم فيها يشمل كلا الجنسين من الذكور والإناث^(٣٢).

وفي عام ١٩٣٩م، وبالرغم من تصاعد بعضٍ من الخلافات بين أعضاء مؤتمر الخريجين ، تم اجراء انتخابات داخلية للمؤتمر وفاز فيها الأزهرى ، للمرة الثانية سكرتيراً عاماً لمؤتمر الخريجين، وتم تعيين حمادي توفيق^{٣٣} ، سكرتيراً مساعداً، وعبد الله المرغني أميناً الصندوق، واقسم كل أعضاء اللجنة الستينية ،في المؤتمر على الالتزام بمبادئ المؤتمر الذي أسس من أجلها، وشكلت لجان لمتابعة التعليم ، وللشؤون الاقتصادية ، وللشؤون الاجتماعية والعمال والموظفين وكلما يتعلق بالبلاد في الشؤون الداخلية والشؤون الخارجية وحتى التقارير التي يصدرها الحاكم العام للسودان وحتى المنشورات في الصحف الاجنبية^(٣٤). وبدأ المؤتمر من أجل زيادة نشاطاته العلمية، والاجتماعية ؛ وبدأ العمل السياسي له، وحشد الجهود له من الدعم المادي ، وبدأ القبول والانتماء في الأعضاء الجدد من التجار والموظفين، وقد تبنى المؤتمر خطته الرامية إلى تأسيس نقابات في صفوف العمال وقبول عضويتهم في المؤتمر وتم تشكيل مجلس من رجال الأعمال ليرشد المؤتمر بالاستشارات بما يتعلق بالمسائل الاقتصادية، والاجتماعية وزيادة عدد بناء المدارس الأهلية باسم المؤتمر^(٣٥).

وبدأ المؤتمر أعماله بشكل كبير وأصبحت له لجان فرعية في المدن لتوسيع نشاطه الاجتماعي فقد أسهم في محاربة العادات الضارة و تقليل تكاليف الزواج ؛وبدأ يطالب بتحديد أيام المؤتمر محاربة بعضاً من المحرمات مثل لعب الاقمار وشرب الخمر في أندية الخريجين والموظفين وعملوا على منع البغاء، ولاقى هذه الدعوات قبولاً واسعاً لدى مجتمع الموظفين، واهتم أيضاً بباقي المهن مثل العمال والاهتمام بأنديتهم وقد قدم لهم الدعم والاعانات المالية ، والعينية و قام بإحياء ذكرى عيد العمال وجعلها أحد الاعياد القومية (٣٦).

المحور الرابع: الانقسامات السياسية داخل مؤتمر الخريجين العام للمدة (١٩٤٠-١٩٤٢):

وفي شهر آب/ أغسطس عام ١٩٤٠م، حدثت خلافات بين أعضاء مؤتمر الخريجين على خلفية التعاون مع هيئة الاعلام السودانية، بعضاً أعضاء المؤتمر رفض والتعاون مع الهيئة وعدوها تابعة للسلطات البريطانية، والبعض الآخر منهم رحب بالفكرة، وفي غضون ذلك اجريت الانتخابات في ذلك العام وحضر أعضاء المؤتمر من الفروع كلها في المدن السودانية، وتم انتخاب حمادي توفيق سكرتيراً عاماً للمؤتمر، وخضر حمد، مساعداً له، عبد الله المرغني امين الصندوق، بهذا أبعاد الأزهري عن رئاسة المؤتمر، لكن احتفظ عضو اللجنة التنفيذية، في المؤتمر (٣٧).

وتجددت الخلافات في العام نفسه بين الأعضاء القدماء والأعضاء الخريجين حديثي الانتماء الذين انضموا إلى المؤتمر مؤخراً ، إذ اتهم بعضاً من أعضاء المؤتمر من الشباب، الأعضاء القدامى من الخريجين بأنهم قد اعطوا الرئاسة الفخرية للمؤتمر إلى زعماء الطوائف السودانية الكبرى في البلاد مثل علي المرغني زعيم الطائفة الختمية ، وعبد الرحمن المهدي زعيم الطائفة الأنصار (المهدية) ، سوغ بعضاً من الأعضاء هذا الرأي بأن هؤلاء الزعماء يتمتعون بشعبية واسعة بين الناس هذا يعطي زخم للمؤتمر، وعلى أثر هذه الاتهامات استقال بعضاً من أعضاء المؤتمر من اللجنة التنفيذية (٣٨). وعلى أثر هذه الاستقالات تم انتخاب لجنة جديدة وانتخب إسماعيل الأزهري رئيساً لهذه اللجنة التنفيذية للمؤتمر، وبدأ إسماعيل الأزهري نشاطه وأول خطوة قام بها ابلاغ الحكومة السودانية بمذكرة احتجاج باسم المؤتمر

على وإرسال وحدات عسكرية من قوات الدفاع السوداني إلى جبهة ليبيا في الحرب العالمية الثانية ، ومن دون استشارة الراي العام وإبلاغه بذلك (٣٩).

أنقسم أعضاء المؤتمر إلى اتجاهين الأول من الشباب المتحمس الذي يرى بأن يأخذ المؤتمر اتجاه الثورة ضد بريطانيا مثلما حدث في الدول العربية الأخرى ، وخاصة في مصر وهو يمثل نحو الاتجاه القومي في السودان وبين أعضاء مؤتمر الخريجين العام ، وهذا التيار من الشباب تحت قيادة إسماعيل الأزهرى ، بينما التيار الثاني المعتدل ينظر إلى العلاقة مع بريطانيا تتطلب المهادنة والمفاوضات من أجل الاستقلال البلاد ، ومثل هذا الاتجاه زعماء الطوائف الدينية في السودان ، علي المرغني زعيم الطائفة الختمية في السودان، وعبدالرحمن المهدي زعيم طائفة الأنصار وهو بعيد عن التوجه المصري (٤٠). ويمكن القول أن هذه الحقبة تعد من أهم الحقبات التي مر بها مؤتمر الخريجين إذ تم في هذا العام تم إعادة انتخاب الأزهرى من جهة ، و شهد المؤتمر القيام بالعديد من الأنشطة التعليمية والرياضية من جهة أخرى فازدادت شعبية المؤتمر وقوي الاتجاه المؤيد للوحدة مع مصر مما أزعج ذلك السلطات البريطانية (٤١).

في عام ١٩٤١م، جرى انتخاب الأزهرى بوصفه أول رئيس لمؤتمر الخريجين، إذ تم انتخابه لدورة كاملة خلال عام وليس أشهراً كما كان سائداً سابقاً ، واقرت اللجنة الستينية بهذا القرار بعد استقالة العديد من أعضاء مؤتمر الخريجين المقربين من عبد الرحمن المهدي بسبب سياسية بعضاً من أعضاء المؤتمر (٤٢).

وقد شهدت الحقبة (١٩٤١-١٩٤٢) انعقاد الدورة الخامسة لمؤتمر الخريجين وحدث انعطافاً مهماً في الحرب العالمية الثانية ، إذ كان الخطر الايطالي على السودان قائم ، إذ شاركت قوات الدفاع السودانية في الحرب ضد ايطاليا مع بريطانيا ، إلى أن توقفت الحرب العالمية الثانية (٤٣).

وفي الثالث من نيسان/ ابريل عام ١٩٤٢م، تم انتخاب لجنة جديدة برئاسة ابراهيم أحمد (٤٤)، رئيساً للجنة التنفيذية ، يعد هذا انتصاراً إلى المعتدلين والمهدين الجدد في صفوف الخريجين الذين يؤيدون التعاون مع

الإدارة البريطانية في السودان ، مدعومين هؤلاء بتأييد من طائفة الأنصار المهدية، وهذه الطائفة لا تؤمن بالاتحاد مع مصر وتؤيد العلاقة مع بريطانيا، عكس اتجاه إسماعيل الأزهرى والشباب الخريجين الجدد الذين رفضوا كل ما هو بريطاني^(٤٥).

ومن هذه المطالب التي قدمت من قبل أعضاء مؤتمر الخريجين التي قدمها كل من إسماعيل الأزهرى، عبد الله المرغني ، وأحمد خير المحامي ، إلى الإدارة البريطانية وكانت كالاتي^(٤٦) :

أولاً: إعلان بريطاني- مصري مشترك يمنح السودان الحق في تقرير المصير بعد الحرب العالمية الثانية. ثانياً: تشكيل هيئة تمثل السودانين لتقرير الموازنة والقوانين ، وتشكيل مجلس أعلى للتعليم يكون في السودانين الأكثرية فيه.

ثالثاً : فصل السلطة القضائية عن السلطة التنفيذية ، ورفع القيود عن التجار واعطاء حرية للسودانيين في التنقل داخل السودان .

رابعاً : تعيين السودانين في المراكز والإدارة العليا في السودان واعطائهم مسؤولية بلدهم السياسية ، في كل الفروع الحكومية ، الرئيسية في السودان.

خامساً: سن قانون يجبر فيه الشركات ، والمؤسسات الأجنبية على تشغيل نسبة من السودانين. وفي غضون ذلك، رفع مؤتمر الخريجين برئاسة ابراهيم أحمد مذكرة أخرى عن مؤتمر الخريجين إلى الحاكم العام للسودان هيوبرت هدلستون Huprt Hediston^(٤٧) ، طالبوا فيها مجموعة من المطالب:

١. أن تعطى حق السودانين بتقرير مصيره بعد انتهاء الحرب القائمة مباشرة
 ٢. أن يكون للسودانيين الحق العمال في المشاريع الاقتصادية مثل العمال الأجانب.
 ٣. أن تتولى الإدارة الخدمة المدنية أفراد سودانيين وبالتعاون مع الحكومة السودانية.
- التي عدتها الإدارة البريطانية في السودان تلك المطالب بأنها غير موضوعية ولا تمثل كل الشعب السوداني ، وتم رفضها لأنها مطالب كبيرة ، ومع ذلك أبدت السلطات البريطانية استعدادها لدراستها^(٤٨). وذكر محمد أحمد محجوب^(٤٩)، في كتابه الديمقراطية في الميزان : ((إن الإدارة البريطانية واجهت

مطالبنا بالرفض قبل الحاكم العام للسودان هيوبرت هدلستون ، وقال الحاكم العام للسودان بأن المؤتمر يجب أن لا يتدخل بالأمر السياسية للبلد عليهم الاكتفاء بالمشاكل المحلية، لكنه عمل سراً بقاء بعضاً من أعضاء المؤتمر وكان رئيس المؤتمر ابراهيم أحمد ، من ضمنهم وقال له الحاكم العام، أن بعضاً من المطالب يمكن تنفيذها ، وادت هذه الخطوة إلى انشقاق بعض من أعضاء المؤتمر و وصفوا أن الثقة بالإدارة البريطانية عمل غير وطني ((^(٥٠) . وأشار أيضاً : ((وظهرت جماعة تسمى الأشقاء رفضت العلاقة مع الإدارة البريطانية في السودان، وطالبت بالوحدة مع مصر بقيادة الأزهري ، لكن بعض قيادة هذه الجماعة يقولون سراً، نحن مع الاستقلال من بريطانيا ومصر ولكن هذا تكتيك من أجل التخلص من الإحتلال البريطاني أولاً ومن ثم الاتجاه نحو التحرير من مصر)) (^(٥١) وشهد عام ١٩٤٢م، حدوث أول انشقاق في مؤتمر الخريجين بشكل علني وأصبح فيه فريقين منهم من طالبه بالتعاون مع الحكومة السودان المتمثلة بالإدارة البريطانية ، وكان على رأسهم عبد الرحمن المهدي وأنصاره ، والفريق آخر كان مطالب بالتعاون مع مصر في سبيل تحقيق الاهداف والوصول للاستقلال ، وكان قد مثل هذا الطرف إسماعيل الأزهري (^(٥٢) .

وفي السادس عشر من تموز/ يوليو لعام ١٩٤٢م، اجتمع السكرتير الاداري للحاكم العام مع أعضاء المؤتمر كل من ابراهيم أحمد وعوض ستالي ، وذلك لتخفيف الإهانة التي وجهتها للمؤتمر من خلال رده على المذكرة التي رفعها إليه المؤتمر؛ ولكن هذا عزز الانقسام بين صفوف الخريجين ؛ ظهرت عناصر من مؤيدين لخطوة ابراهيم أحمد الذين وصفوا بالمعتدلين وشجعوا الحوار مع الحكومة ، وطرف آخر ممن وصفوا بالمتطرفين الذين لا يؤيدون الحوار مع الحكومة السودانية المتمثلة بالإدارة البريطانية بأي شكل من الأشكال وكان هؤلاء بزعامة إسماعيل الأزهري الذين اتهموا الحكومة السودانية والإدارة البريطانية بإنكار حق تقرير المصير وأدى هذا إلى رفض المذكرة التي رفعت إلى الحكومة التي كانت تضمن مطالب الشعب السوداني (^(٥٣) .

وفي الحادي والعشرين من كانون الأول / ديسمبر عام ١٩٤٢م، اجريت الانتخابات لمؤتمر الخريجين وفاز الأزهرى وجماعة الأشقاء بنسبة كبيرة على الفريق الآخر هو أحمد إسماعيل^(٥٤) ، المدعوم من طائفة الأنصار برئاسة عبد الرحمن المهدي، بدأ تشكل التحالفات بين أعضاء مؤتمر الخريجين، إذ بدأت جماعة الأشقاء تبحث عن دعم يكون موازياً لطائفة الأنصار التي كانت تدعم الفريق المعتدلين من أعضاء المؤتمر، فوجدت من علي المرغني زعيم طائفة الختمية ، ليكون مسانداً لهم من أجل الحصول على التأييد الشعبي لأهدافهم المعلنة ، وبهذا أصبح المعسكرين يحصلان دعم طائفي من قبل زعماء الطوائف السودانية^(٥٥). وبحلول عام ١٩٤٢م، أصبح مؤتمر الخريجين يمثلون أول هيئة شعبية تطالب باستقلال السودان بشكل علني، لكن دبت روح التفرقة بين أعضاء المؤتمر لكل منهم يريد السيطرة على المؤتمر^(٥٦) . بدأت السياسة الخارجية البريطانية تتغير وخاصة بعد عقد ميثاق الاطلنطي ، بين الدول الكبرى، شجع هذا الميثاق القوة السياسية في السودان إلى ان تتطلع إلى الاستقلال السودان هذا واعطى ارتياح لدى عامة الشعب ويعد نقطة تحول في تاريخ العالم المعاصر عامة ، والسودان خاصة ، لان كان هناك وحدات من قوات الدفاع السودانية تقاثل إلى جانب بريطانيا في الحرب العالمية الثانية^(٥٧).

وبعد الحرب العالمية الثانية وتوقيع ميثاق الاطلنطي بدأ مؤتمر الخريجين يطالب بقوة نحو استقلال السودان بعد الوعد الذي عبر عنه زعماء العالم بضرورة تحرير الشعوب ، وبدأ الصحف السودانية تكتب وتوجه النقد إلى حكومة السودان، وادى ذلك إلى ارسال مؤتمر الخريجين مذكرة اشار فيها إلى انهاء الاحكار للتجارة الخارجية السودانية من قبل بريطانيا، رفض القائد العام هذه المذكرة وعدها المؤتمر لا تمثل السودانيين كلهم؛ وانما يمثل شريحة معينة من الشعب السوداني^(٥٨). وبدأ مؤتمر الخريجين يعد مذكرة أخرى تطالب الحكومة السودانية المتمثلة بالإدارة البريطانية بحق تقرير المصير، الذي أصبح الوجود البريطاني مهدداً داخل السودان، وأخذت الإدارة البريطانية تفكر في اشتراك السودانيين في مستوى أعلى من جهاز الحكم ، وذلك من أجل ان تمتص بها طموح المتعلمين الذين كانوا يطالبون بالدخول

بالعملية السياسية ، وتريد بريطانيا من هذه المشاركة ، الدعم الذي حصل من قبل المتعلمين في الحرب العالمية الثانية ضد ألمانيا ؛ وبدأت تفكر بإنشاء مجلس يكون ممثل للسودانيين في الحكم (٥٩) . وفي غضون ذلك بذلت الإدارة البريطانية جهوداً في سبيل إثارة الخلافات بين الخريجين من داخل المؤتمر، عندما رأت توجه بعضاً من الأعضاء للتضامن مع مصر والمطالبة بالوحدة ، وحدث انشقاقات وخلافات بين الأعضاء ودبت الطائفية بين المتعلمين السودانيين وساعد هذا على الصراع داخل صفوف المؤتمر الخريجين العام (٦٠).

الخاتمة:

أولاً : كان الأزهرى أحد المحاور والاقطاب الرئيسة في عملية تأسيس مؤتمر الخريجين العام وهذا كان واضح من خلال ترأسه لأهم اجتماع له في الثاني عشر من شباط عام ١٩٣٨، وعدت جلسة مهمة كادت أن تنهي هذا الاجتماع التأسيس لمؤتمر الخريجين بسبب الصراعات الطائفية التي كانت بين الخريجين، لكن مهارات الأزهرى الذي كان رئيس الاجتماع التأسيسي، في إدارة دفة النقاش ، وطلب من المؤتمرين ضبط النفس حتى يواصل المؤتمر أعماله، وبعد بدأ المؤتمر ينظم صفوفه ويدخل مرحلة التنظيم.

ثانياً: كان موقف الإدارة البريطانية من المؤتمر الخريجين محل ترحيب ، وخاصة بعد فوز الهيئة القيادية في المؤتمر من العناصر القداماء الذين عملوا موظفين مع حكومة السودان السودانية المتمثلة بالإدارة البريطانية، وشجعت بريطانيا هذا المؤتمر من اجل ابعاد المتعلمين عن النفوذ المصري، وعدت مصر إن هذا المؤتمر هو صنيعا بريطانيا غرضه هو وقوف الخريجين بوجه مصر، لكن بعد عام ١٩٤٠، وزيارة رئيس الوزراء المصري علي ماهر إلى الخرطوم والاجتماع مع الخريجين تغيرت وجهة النظر المصرية اتجاه المؤتمر وأصبح مرحب به مصرياً.

ثالثاً: دور الأزهرى من التطورات التعليمية والثقافية والاجتماعية والسياسية ، لمؤتمر الخريجين إذ كان للأزهرى خلال ترأسه مؤتمر الخريجين له العديد من التطورات التعليمية وقام ببناء العديد من المدارس والفعاليات الاجتماعية التي كانت واضحة على المجتمع.

رابعاً: الانقسامات التي دخلت إلى السودان وبين الخريجين عن طريق الطائفتين التي كان كل طرف يمثل طائفة معينة وبهذا حدث انقسام كبير بين هؤلاء المتعلمين إذ كان طائفة الختمية القريبة من مصر تضم مجموعة من المتعلمين وكانت تطالب بالوحدة مع مصر، والطرف الآخر كانت تضم طائفة الانصار (المهدي) والتي كانت تطالب بالخروج البريطانيين والمصريين من السودان ، ولكن كانت تدعو إلى التعاون مع الإدارة البريطانية من أجل الاستقلال وبدأ هذا الانقسام في بداية الحقبة (١٩٤٠-١٩٤٢)، تأخذ طابعاً قومياً طائفيّاً؛ انقسم على اثرها أعضاء المؤتمر الخريجين العام إلى قسمين كل قسم أصبح يدعوا إلى افكار معينة.

هوامش البحث:

- ١) صحيفة النيل ، صحيفة السودانية ، العدد ٧٥٥، الخرطوم ، ١٢ ديسمبر ١٩٣٧.
- ٢) إسماعيل الأزهرى (١٩٠٠-١٩٦٩): ولد في مدينة أم درمان في الخرطوم ، وتخرج من كلية غردون- قسم المعلمين- عام ١٩٢٣، ثم بعد ذلك ارسل في بعثة دراسية إلى الجامعة الأمريكية في بيروت وبعدها عاد متخصصاً في مادة الرياضيات، وأصبح من مؤسسي مؤتمر الخريجين، انتخب عضواً في الهيئة الستينية لمؤتمر الخريجين في جميع دوراته الانتخابية الخمسة عشر، ثم انتخب اول رئيس لمؤتمر الخريجين(١٩٣٨-١٩٤٠)، وبعدها شارك في صياغة مذكرة المؤتمر عام ١٩٤٢، وثم اختير رئيساً لحزب الاثقاء في عام ١٩٤٢، عندما توحدت الاحزاب الاتحادية وسقوط النظام الملكي في مصر تم اختياره رئيساً للحزب الوطني الاتحادي في عام ١٩٥٢، ثم انتخب رئيساً لأول حكومة وطنية عام ١٩٥٤، وبعده تم أعلن الاستقلال من داخل البرلمان عام ١٩٥٥، و اطلق عليه لقب الزعيم بعد ان رفع علم السودان ايداناً بمولد جمهورية السودان في عام ١٩٥٦، وقد توفي عام ١٩٦٩. للمزيد ينظر: المعتصم احمد الحاج، معجم شخصيات مؤتمر الخريجين، مركز محمد عمر بشير للدراسات السودانية، أم درمان، ٢٠٠٩، ص ١٠٩-١١٣.

(٣) مكي شبكية : (١٩٠٥-١٩٨٠) ولد عام ١٩٠٥م، في مدينة الكاملين وسط السودان، وأكمل التعليم فيها الابتدائي والاولى ، بعدها دخل إلى كلية غردون، وارسل إلى بعثة دراسية إلى بيروت في الجامعة الأمريكية، وفي عام ١٩٣١م، وتخرج منها عام ١٩٣٥م، وحصل على البكالوريوس في الادب ، ويعد من المؤسسين لمؤتمر الخريجين عام ١٩٣٨م، وفي عام ١٩٤٣م، أصبح استاذ للتاريخ والوطنية في مدرسة الاداب العليا ، وفي عام ١٩٤٧م، حصل على بعثة إلى بريطانيا ، التحق بجامعة لندن ، وأكمل الدراسة فيها وحصل على الدكتوراه في فلسفة التاريخ ، وهو أول سوداني يحصل هذه الدرجة العلمية في هذا الاختصاص ، واحيل إلى التقاعد في الستينات ، وتفرغ لكتابة التاريخ ، وله العديد من المؤلفات ، وتوفي في عام ١٩٨٠م. للمزيد ينظر: عون الشريف قاسم ، موسوعة القبائل والانساب في السودان واشهر اسماء الاعلام والاماكن، ج٦، ط١، شركة افروقراب للطباعة والتغليف ، الخرطوم، السودان، ١٩٩٦، ص٢٣٧٥.

(٤) عبد الماجد أحمد : (١٩٠١ - ١٩٨٤) ولد عام ١٩٠١م ، في مدينة بربر، أكمل تعليمه الأولي فيها ، بعدها دخل إلى كلية غردون ، ودخل قسم المحاسبين في عام ١٩١٩م، ويعد من المؤسسين في المؤتمر الخريجين وانتخب عضو في اللجنة الستينية ، رفض التعيين في المجلس الاستشاري التزام بقرار مؤتمر الخريجين بالمقاطعة ، وفي عام ١٩٤٤م، عين عضو في المجلس التنفيذي وفي عام ١٩٤٨م، عين وكيلا لوزارة التجارة والاقتصاد، توفي عام ١٩٨٤م، عمل كمستقل لم ينتمي إلى الأحزاب. للمزيد ينظر : المعتصم احمد الحاج، المصدر السابق ، ص١٠٩-١١٢.

(٥) أحمد عثمان القاضي : (١٨٨٥-١٩٦٣) ولد في عام ١٨٨٥م، في مدينة شندي شمال السودان ، ودخل المدرسة الدينية وتخرج منها بعدها واصل الدراسة ودخل كلية غردون التكرارية ، وتخرج منها وعمل قاضياً شرعياً، وتمت احواله إلى التقاعد عام ١٩٢٤م، وتوجه للعمل في الصحافة وأصبح رئيس تحرير (جريد الحضارة) ودخل العمل السياسي وشارك في المؤتمر الخريجين وعمل في الهيئة التأسيسية للمؤتمر وانتخب ضمن اللجنة الستينية للمؤتمر ، ويعد من ضمن المؤسسين لحزب الأمة عام ١٩٤٥م، وتوفي عام ١٩٦٣م. للمزيد ينظر: محاسن عبد القادر حاج صافي، أحمد عثمان القاضي والحركة الوطنية السودانية ، مجلة الدراسات السودانية ، مج ٢، الخرطوم، شباط ، ١٩٨٨، ص٢١.

(٦) تهناني العيبي كاطع ، مؤتمر الخريجين العام ودوره في الحركة الوطنية في السودان ١٩٣٨-١٩٥٢، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، كلية الاداب ، جامعة البصرة ، ٢٠١٧ ، ص٦٨.

٧ طائفة الخنمية : وهي من اكبر الطوائف الدينية في السودان ، إذ أسسها محمد عثمان المرغني (الختم) وينحدر نسبها إلى الإمام الحسين (عليه السلام) تدعو للعلم والاصلاح وعمل عثمان الختم على تأسيس تيار صوفي انشره هذا التيار في الشمال والشرق السوداني واستطاع ان يجمع له اتباع تحت عنوان نسبه إلى الرسول وآل بيت النبوة ، وقد كان تقلد

الطرق الصوفية في القرن التاسع عشر . للمزيد ينظر : طارق أحمد عثمان ، تاريخ الختمية في السودان ، منشورات دار ساقنا والمأمون ، الخرطوم ، ١٩٩٨ ، ص ١٥-٢١ .

٨ علي المرغني : (١٨٧٣- ١٩٦٨) ولد في عام ١٨٧٣م ، وهو علي بن محمد عثمان المرغني ، وهو ابن زعيم الطائفة الختمية في السودان وكانت معارضة للحكم الدولة المهديية في السودان وبدعم بريطاني بادئ الأمر وبعد تأسيس حزب الأشقاء كان من المناصرين له لكن حصل خلاف مع إسماعيل الأزهري عام ١٩٥٦م ، وتحالف مع حزب الامة لأسقاط حكومة الأزهري الثانية، وبعد ذلك قام بدعم حزب الشعب الديمقراطي، الذي أصبح من ند قوي لحزب الوطني الاتحادي لأنه أخذ معظم مناصري الحزب من الطائفة الختمية ، وقام بإسقاط حكومة إسماعيل الأزهري وتكوين حكومة من الأنصار والختمية حتى تم اسقاطها بواسطة الانقلاب العسكري الأول في السودان برئاسة ابراهيم عبود ومجيء الحكم العسكري عام ١٩٥٨م، وتوفي علي المرغني عام ١٩٦٨م، في العاصمة السودانية الخرطوم . للمزيد ينظر : محبوب عمر باشري ، رواد الفكر السوداني ، ط١، دار الجبل، بيروت ، ١٩٩١، ص ٢٥٩-٢٦٢ .

٩ طائفة الأنصار (المهديية) : وهو الاسم الذي اطلق على الثورة المهديية في السودان وانصار هذه الثورة قادها محمد أحمد المهدي ضد الاحتلال العثماني في السودان عام ١٨٨٥م ، واستطاع تحرير السودان من التواجد العثماني، واستمر في الحكم السودان حتى عام ١٨٩٩م ، وتم اسقاط هذه الدولة المهديية على يد القوات البريطانية، حيث كانت تدعوه هذه العقيدة بانها هي الثورة ضد الظلم والاستبداد وان هناك قائد يخلص المجمع من هذا الظلم هوالمهدي المنتظر حيث لاقت هذه الافكار رواجاً في المجتمع السوداني وانضم إليها الكثير من الاتباع والمناصرين إلى ان وصلت للحكم وتم اسقاط هذه الدولة على القوات البريطانية ودخل السودان في مرحلة جديدة من تاريخه الحديث والمعاصر . للمزيد ينظر : عبد العزيز حسين الصاوي وآخرون ، الثورة المهديية في السودان مشروع رؤية جديدة ، شركة الفارابي للنشر ، ١٩٩٠، ص ٢٣٦ .

١٠ عبد الرحمن المهدي : (١٨٨٥- ١٩٥٩) ، ولد عام ١٨٨٥م ، في مدينة ام درمان السودانية ودرس فيها العلوم الإسلامية التي كانت سائدة في تلك الحقبة وكانت اسرته دينية وكانت المدارس تابعة إلى الخليفة المهدي في ذلك الوقت ، وبعد سقوط الخلافة المهديية بالاحتلال البريطاني تم اسره من قبل الجيش البريطاني وبعد ان تم اخراجه من الاسر، بدأ ينتقل بين المدن السودانية وعمل بالزراعة بعدما تم منحه ارضا زراعية من قبل الحكومة ، ومع بداية الحرب العالمية الأولى وقف مع بريطانيا ضد الدولة العثمانية وحلفائها ، وبعد ذلك حاول تجديد العلاقة بينه وبين انصاره من المؤمنين بالدولة المهديية، وفي الحرب العالمية الثانية استطاعت بريطانيا من كسب ود عبد الرحمن المهدي من أجل الوقف معها بوجه التيارات المعارضة للوجود البريطاني في السوداني ، ومع ذلك استطاع من جمع انصاره من دعم بريطانيا له وانتقل

إلى ام درمان واستقر فيها، وقام بإنشاء رابطة الأنصار وجمع حوله الشباب من اتباعه ، وبدأ يطالب إلى ضرورة استقلال السودان عن مصر وبريطانيا واعطاء حق تقرير المصير للسودانيين وسافر إلى لندن ومصر بهذا الخصوص ، وبعد انتخابات عام ١٩٥٣م، حصل حزبه على ٢٢ مقعداً مما جعله يشكل معارضة في مجلس النواب حتى الاستقلال عام ١٩٥٦م، وتوفي عام ١٩٥٩م. للمزيد ينظر: أحمد ابراهيم دياب ، موسوعة الرموز والشخصيات الوطنية السودانية ١٩٠٠-١٩٦٩ ، ، الدار العربية للنشر والتوزيع، دم، د.ت ، ص٨٨-١٠٠.

(١١) نقلا عن: عبد الفتاح محمد علي البصير، الدور السياسي للزعيم اسماعيل الأزهرى، ط١، الدار العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٦ ، ص٨٧-٨٨.

(١٢) المصدر نفسه ، ص٨٨.

(١٣) ناصر السيد ، تاريخ السياسية والتعليم في السودان ، ط٢، دار جامعة الخرطوم ، السودان ، ١٩٩٠ ، ص١٦٠.

(١٤) عبد الله المرغني : ولد عام ١٩١٠م ، في مدينة ام درمان السودانية ، درس فيها وبعد أكمل درسته في كلية غردون ، ودخل فيها قسم المحاسبين عام ١٩٢٩م، وشارك في تأسيس جمعية ابو روف الأدبية ، وانتخب مساعد السكرتير في مؤتمر الخريجين ، وعضو اللجنة الستينية من أعضاء مؤتمر الخريجين من الدورة الأولى حتى السابعة ، وقدم استقالته من العمل الحكومي ١٩٤٦م، وتوفي عام ١٩٦٤م، في السودان. للمزيد ينظر: يحيى محمد عبد القادر، شخصيات من السودان واسرار وراء الرجال، ج٢، ط٢، دار المطبوعات العربية للتأليف والترجمة، السودان، ١٩٨٧ ، ص ١٠٦-١٠٧.

(١٥) محمد عمر بشير، تاريخ الحركة الوطنية في السودان ١٩٠٠-١٩٦٩م، ترجمة هنري رياض واخرين، الدراسات السودانية، الخرطوم، ١٩٨٠، ص١٨٠.

(١٦)حسان ريسان خلف الديلمي ، العلاقات المصرية السودانية ١٩٥٢- ١٩٧٠، اطروحة دكتوراه (غير منشورة)، معهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا ، بغداد ، ٢٠٠٥ ، ص١٦-١٧. ؛ ضرار صالح ضرار، تاريخ السودان الحديث، ط٤، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٨، ص٢٦٧.

١٧ جورج ستوارت سايمز : (١٨٨٢-١٩٦٢) ولد عام ١٨٨٢م، شارك في الحملة ضد ثورة ود حبوبة عام ١٩٠٨، وكان مساعد للحاكم لشؤون الجيش في الحقبة (١٩٠٨-١٩١٩)، ثم عمل مساعد لمدير المخابرات ثم مساعد إلى الجنرال وجنت ، وتوفي عام ١٩٦٣م. للمزيد ينظر: جعفر محمد علي بخيت ، الإدارة البريطانية والحركة الوطنية في السودان ١٩١٩-١٩٣٩م ، ترجمة هنري رياض ، ط١، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٧٢ ص ١٧١.

(١٨) نوال عبد العزيز مهدي راضي ، رياح الشمال دراسة في العلاقات المصرية - السودانية ، في التاريخ الحديث والمعاصر، دارالمعارف ، القاهرة ، ١٩٨٥. ص٥٣.

(١٩) سهام محمد علي بخيت واخرين، الزعيم الأزهرى حياة زاخرة ومواقف خالدة، مركز الدراسات السودانية والدولية للنشر، د.م، ٢٠١٧ ، ص٤٩.

(20) M. W. DalY, Imperial sudan: The Anglo – Egyptian Condominium (1934–1956), Cambridge University press,1991,pp.82.

(٢١) ابراهيم احمد العدوي ، يقظة السودان ، ط٢، مكتب الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٩ ، ص٨١.

(٢٢) مكي شبكية ، السودان عبرالقرون ، دار الجبل، بيروت ، ١٩٩١، ص٥٤٤.

(٢٣) بشير محمد سعيد ، الزعيم إسماعيل الأزهرى وعصره ، ط١، مطبعة القاهرة الحديث للطباعة، د.م، ١٩٩٠، ص٧٠-٧٢.

(٢٤) ميثاق الاطلنطي : وهو الميثاق الذي صدر في اب من عام ١٩٤١م، من قبل الرئيس الأمريكي روزفلت ورئيس الوزراء البريطاني ونستون تشرشل ، لرسم السياسة العالمية ، بعد الحرب العالمية الثانية ، وتضمنت هذه الإتفاقية من ثمان نقاط وكانت ضمن هذه النقاط ، حق تقرير الشعوب التي كانت تحت تصرف بريطانيا، وعدم استعمال القوة كوسيلة حل النزعات بين الشعوب ، وتجريد الدول المعتدية من السلاح من أجل تخليص العالم من الحروب مستقبلا ، ودعوا إلى التعاون الإقتصادي بين الشعوب العالم المختلفة. للمزيد ينظر: أحمد عطية الله ، القاموس السياسي ، ط٣، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٦٨ ، ص٨٠.

(٢٥) ضرار صالح ضرار ، المصدر السابق ، ص٣٦٩.

(٢٦) علي ماهر: (١٨٨٢-١٩٦١) ولد عام ١٨٨٢م، رئيس وزراء مصر ورئيس الديوان الملكي كان ابوه وكيل وزيرالحربية عام ١٨٩٤م ، وتخرج من الحقوق وعمل بالمحاماة وثم عمل بالقضاء ومن ثم أصبح نائب ، شارك في ثورة عام ١٩١٩م، ضد بريطانيا، شارك في كتابة مسودة الدستور عام ١٩٢٣م، وأصبح وزيرللمعارف عام ١٩٢٥م، وانظم لحزب الاتحاد الملكي واطهر اهتمامه في اصلاح نظم التعليم وأصبح وزير للمالية في عام ١٩٢٨م، ورئيس الديوان الملكي عام ١٩٣٥م، ورئيس وزراء مصر ١٩٣٦م، حتى عام ١٩٤٠م، وفي عام ١٩٤٥م، واعتبر هو من ابرز السياسيين الذين ساعدوا على تكوين النظيم السياسي في مصر وفي عام ١٩٥٢م، تولى رئاسة الوزراء وبعدها خرج من الوزارة عدة مرات،

- واعترال السياسة إلى توفى عام ١٩٦١م. للمزيد ينظر: عبدالوهاب الكيالي، موسوعة السياسية ، ج٤، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت، د.ت ، ص١٩٠.
- (٢٧) روبرت . أو. كولينز ، تاريخ السودان الحديث، ترجمة مصطفى مجدي الجمال ، المركز القومي للترجمة ، دار العين للنشر، القاهرة، ٢٠١٥ ، ص٦٧.
- (٢٨) فيصل عبد الرحمن علي طه ، الحركة السياسية السودانية والصراع المصري البريطاني بشأن السودان ١٩٣٦-١٩٥٣، ط١، دار الامين للطباعة والنشر، الجيزة ، مصر، ١٩٩٨، ص١٣٠.
- (٢٩) تهناني العيبي كاطع، المصدر السابق ، ص٨٦.
- (٣٠) غالب حامد النجم ، تطورالحركة الوطنية في السودان ١٩٢٤-١٩٥٦، ط١، مؤسسة ايف للطباعة ، بيروت ، ١٩٨١ ، ص١٢٥.
- (٣١) صحيفة النيل ، صحيفة سودانية ، العدد ١١٩ ، الخرطوم ، ٢٢ ابريل ١٩٣٩.
- (٣٢) بشير محمد سعيد وأحمد خير المحامي ، عطاء وبذل في خدمة السودان من وثائق لجنة الاحتفال باليوبيل الذهبي لمؤتمر الخريجين ١٩٣٨-١٩٨٨م، اللجنة احياء نكرى المؤتمر ، د.مط ، الخرطوم ، د.ت ، ص٤٩.
- ٣٣ حمادي توفيق : (١٩٠٦- ١٩٨٠) ولد عام ١٩٠٦م ، ودرس في كلية غردون قسم المحاسبة وتخرج منها وعين موظف حكومي ، ودخل إلى الجمعيات الأدبية في مدينة وادي مندي ، وكان من أول المؤيدين لمؤتمر الخريجين ، وترأس تحرير مجلة المؤتمر ولما تفرعت الأحزاب السياسية من المؤتمر أصبح هو رئيس الحزب الاتحادي وفي عام ١٩٥٣م، حيث اندمج هذا الحزب مع الحزب الوطني الاتحادي وفي عام ١٩٥٨م، عين مدير البنك الزراعي إلى عام ١٩٦٢م، كان بعيد عن الانقلابات إلى ان توفى عام ١٩٨٠م. للمزيد ينظر: محجوب عمر باشري ، المصدر السابق ، ص١٥٠-١٥٢.
- (٣٤) محمد عمر بشير ، المصدر السابق ، ص٢٠٣.
- (٣٥) المصدر نفسه ، ص٢١٤.
- (٣٦) الفاتح الشيخ يوسف ، الخريجين في السودان واسهاماتهم في الحركة الوطنية والعمل الاجتماعي والاهلي في الفترة من ١٩١٨- ١٩٤٥ (دراسة تحليلية تاريخية)، مجلة الجزيرة للعلوم التربوية والانسانية، مجلد ١٣، العدد ١، ٢٠١٦م ، ص١٧.
- (٣٧) محمد عمر بشير ، تطور الحركة الوطنية في السودان ١٩٠٠-١٩٦٩، المصدر السابق ، ص٢٠٢.

- (٣٨) محمد ابو القاسم حاج حمد ، السودان المأزق التاريخي وفاق المستقبل ، مج ١ ، ط٢، دار بن حزم للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٦ ، ص٤٠٢ .
- (٣٩) عبد الفتاح محمد علي البصري ، المصدر السابق ، ص٩٧ .
- (٤٠) أحمد خير المحامي ، كفاح جيل ، ط٣، دار جامعة الخرطوم للنشر والتوزيع ، الخرطوم ، السودان ، ١٩٩١ ، ص١١٢-١١٣ .
- (٤١) عبد الفتاح محمد علي البصير، المصدر السابق ، ص٩٩ .
- (٤٢) المعتصم أحمد الحاج ، المصدر السابق ، ص٤١ ؛ أحمد ابراهيم دياب ، مؤتمر الخريجين و تطورالحركة الوطنية في السودان ١٩٣٨-١٩٥٣ ، الدار العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٦ ، ص١٢١ .
- (٤٣) أحمد خير المحامي ، كفاح جيل ، المصدرالسابق، ص١٢٨-١٢٩ .
- (٤٤) ابراهيم أحمد : (١٨٩٨ - ١٩٨٩)، ولد عام ١٨٩٨م، بمدينة حلفا شمال السودان، درسة المدارس الأولية في مدينة حلفا، وبعدها انتقل إلى كلية غردون درس قسم الهندسة ، وأصبح استاذًا فيها ويعد من المؤسسين مؤتمر الخريجين ورئيس المؤتمر لدورتين ، من مؤسسين حزب الأمة وأصبح وزيراً للمالية عام ١٩٥٦م، وكان له الدور الكبير في تجاوز الازمة المالية للبلد الذي حدثت عقب اعلان الاستقلال حيث أصبح مديراً عاماً ومدير بنك السودان ، توفي عام ١٩٨٩م، للمزيد ينظر : عون الشريف قاسم ، المصدر السابق، ج١، ص٢٧-٢٨ .
- (٤٥) محمد عمر بشير ، المصدر السابق ، ص٢٠٩ .
- (٤٦) مدثر عبد الرحيم ، الامبريالية والقومية في السودان دراسة للتطورات الدستورية ، والسياسية ١٨٩٩-١٩٥٦، دار النهار للنشر ، بيروت ، ١٩٧١ ، ص١١٣-١١٤ .
- (٤٧) هيوبرت هدلستون (١٨٨٠-١٩٥٠) : ولد في بريطانيا عام ١٨٨٠ ، وتلقى تعليمه الأولي في مدرسة فياستلد ومدرسة بيرفورد ، وقد انضم هدلستون إلى الجيش البريطاني وتم تكلفه برتبة ملازم ثانٍ في الحرس (كول ستريم) في عام ١٨٩٨ ، وقد شارك في حرب البوير الثانية ، وتم ترقيته إلى رتبة ملازم أول في الجيش البريطاني عام ١٩٠١ ، و شارك في الحرب العالمية الأولى وأصبح القائد العام للسودان عام ١٩٢٤ ، عين حاكماً عاماً على السودان في عام ١٩٤٠ ، إلى ان تقاعد من المنصب عام ١٩٤٧م، وتوفي عام ١٩٥٠ . للمزيد ينظر: تهاني اللعبيي كاطع ، المصدر السابق ، ص٨٥ .

(٤٨) جيمس روبرتسون، السودان من الحكم البريطاني المباشر إلى فجر الاستقلال ، تعريب مصطفى عابدين الخانجي ، ط١، دارالجيل ، بيروت ، ١٩٩٦ ، ص١٣٥ .

(٤٩) محمد أحمد محجوب : (١٩٧٦-١٩٠٨) ولد عام ١٩٠٨م، في مدينة الدويم ، درس وتخرج من كلية غردون عام ١٩٢٩م، وعمل مهندساً وبعد ذلك درس القانون عام ١٩٣٦م، وعمل قاضياً واستقال وتفرغ للعمل السياسي ، عام ١٩٤٧م، وعمل بالمحاماة حتى وفاة وتسلم مراكز وزارية ، منها وزير للخارجية عام ١٩٥٦م، وبعدها وتم انتخابه رئيساً للوزراء عام ١٩٦٥م ، وأصبح رئيس للوزراء بين ١٩٦٧-١٩٦٩م، وتوفي عام ١٩٧٦م. للمزيد ينظر : محجوب عمر باشري ، المصدر السابق ، ص٢٩١ .

(٥٠) محمد أحمد محجوب ، الديمقراطية في الميزان ، منشورات الخرطوم عاصمة الثقافة العربية ، الخرطوم ، ٢٠٠٥ ، ص٤٠ .

(٥١) المصدر نفسه ، ص٤٠ .

(٥٢) محسن محمد ، مصر والسودان الانفصال بالوثائق السرية البريطانية والأمريكية ، ط١، دارالشروق ، القاهرة ، ١٩٩٤م، ص٢٠١ . عثمان عبد الحليم عثمان ، فصول في تاريخ العلاقات السودانية المصرية (١٨٢١-١٩٩٩) ، رسالة ماجستير (غيرمنشورة) ، جامعة الخرطوم، كلية الدراسات الاقتصادية ، ٢٠٠٤م، ص٦٣-٦٤ .

(٥٣) تهاني العيبي كاطع ، المصدر السابق ، ص١١٧ .

(٥٤) أحمد إسماعيل : (١٩٠٣-١٩٨١) ولد في مدينة القطينة السودانية ، وأكمل دراسة الابتدائية فيها، ودرس في كلية غردون ، واسب جمعية ثقافية وإدبية وهو طالب عام ١٩٢٢م، ودرس قسم الطب ، وأكمل دراسة في القاهرة، وبعدها سافر إلى بريطانيا في جامعة ليدز البريطانية وتخرج منها عام ١٩٣٤م، وهو يحمل الماجستير في القانون ، وبعد ان عاد إلى السودان لم يكن أي سوداني محامي فواجه مشكلة ، وبعده قام بتأسيس حزب وحدة وادي النيل، ثم بعدها قام بالانصهار مع الحزب الوطني الاتحادي بزعامة الأزهرى، في عام ١٩٥٣م، وبعدها تم اختياره وكيل شؤون السودان بالقاهرة ، وبعد أصبح المنسق شؤون الجامعات الجامعات في السودان والطلبة في مصر حتى توفي من عام ١٩٨١م. للمزيد ينظر : محمد عمر باشري ، المصدر السابق ، ص٧٦-٧٨ .

(55) Beter Wood Ward, Condominium and Sudanese Nationalism Pex Colling Lod, London, 1979.p.41.

- (٥٦) الدرديري محمد عثمان ، مذكرات الدرديري محمد عثمان ١٩١٤ - ١٩٥٨ ، مطبعة التمدن ، الخرطوم، د.ت ، ص٢١ .
- (٥٧) بشير محمد سعيد وأحمد خير المحامي ، المصدر السابق ، ص٥٢ .
- (٥٨) أحمد حمروش ، مصر و السودان كفاح مشترك ، مؤسسة دار الهلال ، د.م ، ١٩٧٠ ، ص٤٩ .
- (٥٩) محمد سعيد القدال ، تاريخ السودان الحديث ١٨٢٠-١٩٥٥ ، ط٢ ، مركز عبد الكريم مرغني ، الخرطوم، ٢٠٠٢ ، ص٣٥٢ .
- (٦٠) حسان ريكان خلف ، التنافس المصري- البريطاني ١٩٣٦-١٩٥٢ ، الجامعة العراقية ، كلية الاداب ، مجلة مدد الاداب ، العدد الخامس ، د.ت ، ص٥٧٧ .

المصادر والمراجع:

أولاً: الكتب العربية والمعربية:

١. محمد سعيد القدال ، تاريخ السودان الحديث ١٨٢٠-١٩٥٥ ، ط٢ ، مركز عبد الكريم مرغني ، الخرطوم، ٢٠٠٢ .
٢. أحمد حمروش ، مصر و السودان كفاح مشترك ، مؤسسة دار الهلال ، د.م ، ١٩٧٠ .
٣. الدرديري محمد عثمان ، مذكرات الدرديري محمد عثمان ١٩١٤ - ١٩٥٨ ، مطبعة التمدن ، الخرطوم، د.ت .
٤. محمد أحمد محجوب ، الديمقراطية في الميزان ، منشورات الخرطوم عاصمة الثقافة العربية ، الخرطوم ، ٢٠٠٥ .
٥. جيمس روبرتسون، السودان من الحكم البريطاني المباشر إلى فجر الاستقلال ، تعريب مصطفى عابدين الخانجي ، ط١ ، دار الجبل ، بيروت ، ١٩٩٦ .
٦. مدثر عبد الرحيم ، الاميرالية والقومية في السودان دراسة للتطورات الدستورية ، والسياسية ١٨٩٩-١٩٥٦ ، دار النهار للنشر ، بيروت ، ١٩٧١ .
٧. أحمد ابراهيم دياب ، مؤتمر الخريجين و تطور الحركة الوطنية في السودان ١٩٣٨-١٩٥٣ ، الدار العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٦ .
٨. أحمد خير المحامي ، كفاح جبل ، ط٣ ، دار جامعة الخرطوم للنشر والتوزيع ، الخرطوم ، السودان ، ١٩٩١ .
٩. بشير محمد سعيد وأحمد خير المحامي ، عطاء وبذل في خدمة السودان من وثائق لجنة الاحتفال باليوبيل الذهبي لمؤتمر الخريجين ١٩٣٨ - ١٩٨٨م، اللجنة احياء ذكرى المؤتمر ، د.مط ، الخرطوم ، د.ت .

١٠. محمد ابو القاسم حاج حمد ، السودان المأزق التاريخي ووافق المستقبل ، مج ١ ، ط٢ ، دار بن حزم للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٦.
١١. غالب حامد النجم ، تطور الحركة الوطنية في السودان ١٩٢٤-١٩٥٦ ، ط١ ، مؤسسة ايف للطباعة ، بيروت ، ١٩٨١ .
١٢. فيصل عبد الرحمن علي طه ، الحركة السياسية السودانية والصراع المصري البريطاني بشأن السودان ١٩٣٦-١٩٥٣ ، ط١ ، دار الامين للطباعة والنشر ، الجيزة ، مصر ، ١٩٩٨ .
١٣. روبرت . أو. كوليز ، تاريخ السودان الحديث، ترجمة مصطفى مجدي الجمال ، المركز القومي للترجمة ، دار العين للنشر ، القاهرة، ٢٠١٥ .
١٤. ابراهيم احمد العدوي ، يقظة السودان ، ط٢ ، مكتب الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٩ .
١٥. مكي شبكية ، السودان عبر القرون ، دار الجبل ، بيروت ، ١٩٩١ .
١٦. بشير محمد سعيد ، الزعيم إسماعيل الأزهري وعصره ، ط١ ، مطبعة القاهرة الحديث للطباعة ، دم، ١٩٩٠ .
١٧. نوال عبد العزيز مهدي راضي ، رياح الشمال دراسة في العلاقات المصرية - السودانية ، في التاريخ الحديث والمعاصر ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٥ .
١٨. سهام محمد علي بخيت واخرين، الزعيم الأزهري حياة زاخرة ومواقف خالدة، مركز الدراسات السودانية والدولية للنشر ، دم، ٢٠١٧ .
١٩. ضرار صالح ضرار، تاريخ السودان الحديث، ط٤ ، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٨ .
٢٠. محمد عمر بشير، تاريخ الحركة الوطنية في السودان ١٩٠٠-١٩٦٩م، ترجمة هنري رياض واخرين، الدراسات السودانية، الخرطوم، ١٩٨٠ .
٢١. ناصر السيد ، تاريخ السياسية والتعليم في السودان ، ط٢ ، دار جامعة الخرطوم ، السودان ، ١٩٩٠ .
٢٢. عبد الفتاح محمد علي البصير، الدور السياسي للزعيم اسماعيل الأزهري، ط١ ، الدار العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٦ .
٢٣. عبد العزيز حسين الصاوي وآخرون ، الثورة المهديية في السودان مشروع رؤية جديدة ، شركة الفارابي للنشر ، ١٩٩٠ .
٢٤. طارق أحمد عثمان ، تاريخ الختمية في السودان ، منشورات دار ساقنا والمأمون ، الخرطوم ، ١٩٩٨ .

٢٥. محسن محمد ، مصر والسودان الانفصال بالوثائق السرية البريطانية والأمريكية ، ط١، دار الشروق ، القاهرة ، ١٩٩٤.

ثانياً: الكتب الاجنبية:

1- Beter Wood Ward, Condominium and Sudanese Nationalism Pex Colling Lod, London, 1979.p.41.

2- M. W. DalY, Imperial sudan: The Anglo – Egyptian Condominium (1934-1956), Cambridge University press,1991,pp.82.

ثالثاً: الموسوعات:

١. المعتمد احمد الحاج، معجم شخصيات مؤتمر الخريجين، مركز محمد عمر بشير للدراسات السودانية، ام درمان، ٢٠٠٩.

٢. عون الشريف قاسم ، موسوعة القبائل والانساب في السودان واشهر اسماء الاعلام والاماكن، ج٦، ط١، شركة افروقراب للطباعة والتغليف ، الخرطوم، السودان، ١٩٩٦.

٣. عون الشريف قاسم ، موسوعة القبائل والانساب في السودان واشهر اسماء الاعلام والاماكن ، ج١، ط١، شركة افروقراب للطباعة و التغليف ، الخرطوم ، السودان ، ١٩٩٦.

٤. احمد ابراهيم دياب، موسوعة الرموز والشخصيات الوطنية السودانية ، ١٩٠٠-١٩٦٩، الدار العربية للنشر والتوزيع، د.م، د.ت.

٥. يحيى محمد عبد القادر، شخصيات من السودان واسرار وراء الرجال، ج٢، ط٢، دار المطبوعات العربية للتأليف والترجمة، السودان، ١٩٨٧ .

٦. عبد الوهاب الكيالي، موسوعة السياسية ، ج٤، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت، د.ت .

٧. أحمد عطية الله ، القاموس السياسي ، ط٣، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٦٨ .

٨. محجوب عمر باشري ، رواد الفكر السوداني ، ط١، دار الجبل، بيروت ، ١٩٩١ .

رابعاً: الرسائل والاطاريح الجامعية:

١. عثمان عبد الحليم عثمان ، فصول في تاريخ العلاقات السودانية المصرية (١٨٢١ - ١٩٩٩)، رسالة ماجستير (غيرمنشورة)، جامعة الخرطوم، كلية الدراسات الاقتصادية ، ٢٠٠٤.

٢. حسان ريكان خلف الديلمي ، العلاقات المصرية السودانية ١٩٥٢-١٩٧٠ ، اطروحة دكتوراه (غير منشورة) ، معهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا ، بغداد ، ٢٠٠٥ .
٣. تهناني العيبي كاطع، مؤتمر الخريجين العام ودوره في الحركة الوطنية في السودان ١٩٣٨-١٩٥٢، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، كلية الاداب، جامعة البصرة، ٢٠١٧ .
- خامساً: البحوث والدراسات:
١. حسان ريكان خلف ، التنافس المصري- البريطاني ١٩٣٦-١٩٥٢ ، الجامعة العراقية ، كلية الآداب ، مجلة مدد الآداب ، العدد الخامس ، د.ت .
٢. الفاتح الشيخ يوسف ، الخريجين في السودان واسهاماتهم في الحركة الوطنية والعمل الاجتماعي والاهلي في الفترة من ١٩١٨-١٩٤٥ (دراسة تحليلية تاريخية) ، مجلة الجزيرة للعلوم التربوية والانسانية، مجلد ١٣ ، العدد ١ ، ٢٠١٦ .
٣. محاسن عبد القادر حاج صافي، أحمد عثمان القاضي والحركة الوطنية السودانية ، مجلة الدراسات السودانية ، مج ٢ ، الخرطوم، اشباط ، ١٩٨٨ .
- سادسا : الصحف العربية:
١. صحيفة النيل ، صحيفة سودانية ، العدد ١١٩ ، الخرطوم ، ٢٢ ابريل ١٩٣٩ .
٢. صحيفة النيل ، صحيفة السودانية ، العدد ٧٥٥ ، الخرطوم ، ١٢ ديسمبر ١٩٣٧ .

رؤية الدكتور حسن عيسى الحكيم للدراسات الاستشراقية الإسلامية

أ.م. كاظم جواد المنذري

الباحث ماجد حميد نهاي

كلية التربية/ جامعة القادسية

المقدمة:

تعد الدراسات الاستشراقية الإسلامية من اهم حقول المعرفة التاريخية ، نظراً لكتابة بعض المستشرقين عن القرآن الكريم والسيرة النبوية الشريفة وال البيت (ع) والتاريخ والادب وغيرها من العلوم المعرفية المهمة ، واختص بعضهم في دراسة جزء من تلك العلوم ، والبعض الاخر بعدة مجالات .

اذ درس الدكتور حسن الحكيم بعض من تلك الدراسات الاستشراقية الإسلامية ، وخاصة الدراسات القرآنية والسيرة النبوية وال البيت (ع) ، والحضارة العربية الإسلامية والمدن وابرز الشخصيات المهمة في الارث الإسلامي .

لعل اخطر تلك الدراسات هو تناول بعض المستشرقين القرآن الكريم والسيرة النبوية بالدراسة ، لانهما اساس التشريع الإسلامي ومركز الشريعة الإسلامية السحاء ، فمنهم من اصاب واخطأ البعض الاخر، اذ قسم الدكتور الحكيم تلك الدراسات الى قسمين الاول: الدراسات العلمية التي اتصفت بالاتزان والانصاف والنمو المعرفي، اما الثاني: الدراسات المعادية التي ابتعدت عن الحقيقة العلمية ، وهذا ناتج من عدم هضمهم للإسلام من جانب، وقصورهم الذهني باللغة العربية وحروفها وتعصبهم الديني من جانب اخر، فوقف على تلك الدراسات بالحياد العلمي وعدم التعصب والانحياز المذهبي والقومي والديني من اجل ابراز الحقيقة العلمية والتاريخية ، والتخلص من بعض الهفوات والتخبطات التي تحملها تلك الدراسات .

-رؤية الدكتور حسن الحكيم للدراسات الاستشراقية الإسلامية:

يعد كتاب (الدراسات الاستشراقية رؤية وايضاح في المنهج) من أهم مؤلفات الدكتور الحكيم في الاستشراق ، اذ ضم (٢٧١) صفحة شمل: المقدمة ، وستة فصول ، الخاتمة ، وقوائم المصادر والمراجع ، والفهرس .

اعتمد المؤلف وبشكل اساسي في تأليف الكتاب على القرآن الكريم ، وثمانية وثمانين من المصادر الاولية والمراجع ، وطبع الكتاب في مطبعة العارف ، لبنان بيروت ، الطبعة الاولى كانون الثاني/يناير ٢٠١٢م استهل كتابه بالمقدمة ، و اشار الى تصدي فريق من المستشرقين ، والكتاب الغربيين للتراث الاسلامي ، فكتبوا وتحدثوا في القرآن الكريم^(*)، والحديث الشريف ، والعقائد الاسلامية والتاريخ والحضارة والادب في العصور المختلفة ، وتناول بعض المستشرقين رجال العلم والفكر من عرب ومسلمين في مجالات اختصاصاتهم المعرفية ، ومنهم من تناول التاريخ السياسي او الاجتماعي او الحضاري او الفكري ، وقد صنف المؤلف الحكيم سلوك هذه الدراسات الى طريقتين: احدهما طريق الدراسات المنهجية العلمية ذات الاتجاه المحايد المنصف والبعيد عن الانحياز الديني والمذهبي ، في حين ابتعد بعضها الاخر عن الحقيقة والواقع العلمي^(١) .

بحث الدكتور الحكيم في الفصل الاول الموسوم (القرآن الكريم والسيرة النبوية في الدراسات الاستشراقية)، اذ اشار في مقدمة الفصل الى بعض المستشرقين تناولوا القرآن الكريم بالدراسة والبحث العلمي وقد اصاب بعضهم ، وأخطأ آخرون ، وتناول آخرون السيرة النبوية الشريفة وصلتها بالقرآن الكريم من جانب ، ومن جانب اخر بالتشريع الاسلامي ، ودرس المؤلف في هذا الفصل عن ثقافة المستشرقين ومدى تعمقهم في فهم النص الاسلامي ، في حين تخبط بعض المستشرقين في دراسة (ظاهرة الوحي)، اذ يقول نولدكه: ان سبب الوحي النازل على محمد والدعوة التي قام بها، ما كان ينتابه من داء الصرع^(٢)، وهذا ناتج من عدم هضمهم للإسلام كدين سماوي ، وان محمداً (ص) نبي مرسل وخاتم الانبياء والمرسلين ، وان الشخصية المحمدية تحتاج الى دراسات محايدة منصفة وبعيدة عن التعصب الديني ، ووضع

النصوص القرآنية والحديثية والتاريخية موضع التحليل والتدقيق بعيداً عن التبشير واهدافه والسياسة ومراميها ، وذكر المؤلف ستة دراسات استشراقية وعلمية نشرها في المجالات الجامعية والقي بعضها في مؤتمرات علمية وهي^(٣):

- ١- دراسات المستشرقين للقران الكريم بين الموضوعية وسوء القصد ، قيد النشر .
- ٢- المستشرقون ودراساتهم للسيرة النبوية، شارك في المؤتمر العلمي (المستشرقون وموقفهم من التراث العربي الاسلامي) الذي اقامته كلية الفقه النجف الاشرف ١٤٠٧هـ-١٩٨٦ م .
- ٣- ظاهرة الوحي في الدراسات الاستشراقية ، مجلة سبا ، جامعة عدن ، ٢٠٠٢م .
- ٤- تخرصات المستشرقين للسيرة النبوية (واشنطن ارفنج انموذجاً) ، ٢٠٠٤م .
- ٥- اشراقات محمدية في الادب الاستشراقي، جريدة الزمان البغدادية، العدد ٢٠٧١، ٢٩/٣/٢٠٠٥ .
- ٦- ماذا كتب المستشرقون الروس عن السيرة النبوية الشريفة ، جريدة الزمان ، العدد ٢٢٥٠، تاريخ ٢٠٠٥/١١/١ .

وقسم المؤلف الحكيم الفصل الاول الى ستة مواضيع آنفه الذكر أولها: دراسات المستشرقين للقران الكريم^(*) بين الموضوعية وسوء القصد، وذكر أهم الدراسات العالمية التي تناولت شخصية الرسول محمد (ص) ومنها: الدراسات البريطانية، الامريكية ، الالمانية ، الفرنسية ، الايطالية ، البلجيكية ، الهولندية ، الروسية ، دراسات استشراقية من دول مختلفة ، وبحث في الموضوع الثاني المستشرقون ودراساتهم للسيرة النبوية وقسمها الى^(٤): الدراسات المحايدة والدراسات المعادية^(*) التي ناقش ابرز الاتهامات التي وجهها المستشرقون للرسول (ص) وهي: ظاهرة الوحي، وظاهرة الاثر الديني، ظاهرة تعدد الزوجات ، ونسبة القرآن الكريم الى النبي (ص) ، الديانة المحمدية ، مغالطات من هنا وهناك^(٥)، وبحث في ثالث المواضيع ظاهرة الوحي في الدراسات الاستشراقية^(١)، والرابع تخرصات المستشرقين للسيرة النبوية ودرس (واشنطن ارفنج انموذجاً)^(٧)، وأشار الى خامس المواضيع الاشراقات المحمدية في الادب الاستشراق^(٨) ، واخر

العناوين التي بحثها في هذا الفصل هو ماذا كتب المستشرقون الروس عن السيرة النبوية الشريفة، التي كانت قليلة قياساً بدراسات المستشرقين من الأوروبيين والامريكان^(٩).

تطرق الى عنوان (ال البيت (ع) في الدراسات الاستشراقية) في الفصل الثاني، ووقف على دراسات المستشرقين الذين تناولوا شخصية الامام علي بن ابي طالب (ع)، وشخصية السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام)، وراء المستشرق (دونلدسن) في الامام الصادق (ع)^(١٠).

وقد اختار الحكيم جوانب محددة من هذه الشخصيات الاسلامية الكبيرة وهي كالتالي^(١١):

- ١- فروسية الامام علي (ع) في كتابات المستشرقين ، مجلة العترة ، العدد الاول ، لسنة ٢٠٠٦ م .
- ٢- الصديقة فاطمة الزهراء (ع) في الفكر الاستشراقي ، مجلة ينابيع، العدد ١٢، السنة الثالثة ٢٠٠٦ م.
- ٣- المستشرق (دونلدسن) الامام الصادق (ع) وتلامذته كونوا مدرسة في علم الكلام والفقهاء، جريدة الفرات ، العدد ١٣ ، بتاريخ ١٩/٧/٢٠٠٠ م .

فقد جاءت مضامين بعض اراء المستشرقين عن اهل البيت (ع) من خلال الكتب المؤلفة في السيرة النبوية الشريفة ، اذ اكدت النصوص الى الصولات الحيدرية والمنازلات الفروسية في المعارك التي خاضها المسلمون مع المشركين في عهد الرسالة ، فقد استحق ان يقال ان امير المؤمنين (ع) هو (بطل الابطال) ، اما السيرة الفاطمية فقد وقف بعض المستشرقين عليها ، مستعرضين بعض الجوانب الحساسة في التاريخ الاسلامي، في مقدمتها مسألة (فدك)، وقد استعان بعضهم بالآيات القرآنية الكريمة التي نزلت في السيدة فاطمة الزهراء وال البيت (ع)، وخص المستشرق (دونلدسن) الامام جعفر بن محمد الصادق (ع) بالدراسة لكونه صاحب مدرسة علمية كبيرة في التاريخ الاسلامي، وكان تلاميذه قد حافظوا على مدرسته في علم الكلام والفقهاء، اذ وجد المؤلف الحكيم المستشرقين موضوعين في دراستهم للمواضيع الثلاثة انفا الذكر، ومحايدين الى حد ما في عرض آرائهم، دون ان يكون خطأ ساخناً في مضامين دراساتهم^(١٢).

اما الفصل الثالث الذي جاء بعنوان (الحضارة العربية الاسلامية في الدراسات الاستشراقية) ، تناول فيه المؤلف الحضارة العربية الاسلامية التي اخذت مساحة واسعة من الدراسات الاسلامية ، لأنها اخذت طابعاً عالمياً ، وامتدت الى بلاد الغرب في مراحل عديدة من تاريخنا ، فقد اخص بعض المستشرقين بدراسة التراث الاسلامي بألوانه المعرفية ، او التخصص بدراسة جانب معين وقد درس المؤلف ستة محاور في هذا الفصل وهي كالآتي^(١٣) :

١- الحضارة العربية الاسلامية في فلسفة توينبي للتاريخ ، مجلة (المورخون العرب) ، العدد ٢١ ، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م .

٢- المستشرقون ودراسة التراث العربي الاسلامي ، جريدة الزمان البغدادية ، العدد ٢٠٦٦ ، بتاريخ ٢٣/٣/٢٠٠٥ م .

٣- مراجعة في منجز المستشرقين الالمان ، جريدة الزمان ، العدد ٢١١٢ ، تاريخ ١٧/٥/٢٠٠٥م .

٤- الاستشراق والنموذج العربي ، جريدة الزمان ، العدد ١٩٦٥ ، تاريخ ١١/١١/٢٠٠٤م .

٥- دراسات علماء الغرب للموسيقى العربية ، جريدة الزمان ، العدد ٢٠٤٩ ، تاريخ ٢/٣/٢٠٠٥م .

٦- الحضارة العربية في الفكر الاستشراقي ، جريدة الزمان ، العدد ٢١٠٠ ، تاريخ ٣/٥/٢٠٠٥م .

وذكر المؤلف الحكيم ان بعض المستشرقين كشف عن صور الابداع في الحضارة العربية الاسلامية ، وقد اكدت الصلات بين الشرق والغرب على هذا الجانب ، وقد استوعب جماعة من المستشرقين جذور الحضارة الاسلامية ومعطياتها الانسانية ، في حالة المامهم العميق بأصول الدين الاسلامي وفروعه وباللغة العربية ومفرداتها ، فقد تخصص بعضهم بالأدب والفن والموسيقى ، في حين تخصص الآخرون بالطب والكيمياء والهندسة ، وتخصص فريق بالفقه والتفسير والحديث والتاريخ وهذه التخصصات المتعددة وغيرها جعلت الحضارة العربية الاسلامية تحتل المقام الاوفى في الفكر الاستشراقي .

بحث الدكتور الحكيم الفصل الرابع بعنوان (مدينة النجف الاشرف والكوفة في دراسات المستشرقين والغرب) ، وأشار الى تصدي بعض المستشرقين والكتاب الغربيين وتحديثا عن مدينة النجف والكوفة ،

وفق اطوارها التاريخية ، وقد تناولوا بعضهم العراق ، ومدينة بغداد على وجه التحديد ، وتأتي النجف من ضمن هذه الدراسة^(١٤) فانهم وقفوا على اثار المنطقة وقدمها التاريخي ، ومنها مدينة الحيرة في عصر ما قبل الاسلام ، واثار الكوفة في العصر الاسلامي ، وكان لمدينة النجف الاشرف نصيب وافر في هذه الدراسة في عصرها الاسلامي ، واخذت النصيب الاوسع في تاريخها الحديث والمعاصر ، فقصدتها الرحالة الاوربيون ووصفوا معالمها التاريخية ، وكان المرقد الحيدري الشريف ، والحوزة العلمية في مقدمة دراساتهم ، ودرس بعضهم الحياة الاجتماعية والاقتصادية ، وتوغلوا في منطقة بحر النجف فوصفوا العيون والينابيع فيها ، وطريق الحج البري الذي يربط النجف الاشرف مع الديار المقدسة ، وما فيه من ابار تاريخية قديمة والتي تعرف بابار زبيدة ، و اشار المؤلف محاولة بعض الكتاب الغربيين دراسة المجتمع النجفي عن طريق اتصالاتهم بالشخصيات الاجتماعية المرموقة ولاشك في ان بعض كتابات هؤلاء كانت سليمة وصحيحة ، وبعضها منحازة للسلطة وبعيدة عن الواقع^(١٥)، اما الكوفة فانها حظيت باهتمام بعض المستشرقين فكتبوا عن اثارها التاريخية وخططها القديمة وقد درسها المؤلف بمحورين الاول: المستشرق الفرنسي لويس ماسنيون وكتابه خطط الكوفة، اما الثاني: اثار الكوفة في دراسة المستشرقين^(١٦)، اذ اراد المؤلف من خلال هذا الفصل ابراز الصورة التاريخية لمدينتي النجف والكوفة وفق العصور التاريخية التي عاشتها كل من المدينتين.

ان الفصل الخامس درسه بعنوان (مفكرون اسلاميون في الدراسات الاستشراقية) ، ذكر به بعض المستشرقين الذين تناولوا شخصيات اسلامية لها مواقع متقدمة في الفقه والتفسير والتاريخ والادب، وقد كانت بعض دراساتهم غير مستفيضة وبعضها مختزلة وسطحية ، وقد وقف المؤلف الحكيم في هذا الفصل على ثلاثة من الشخصيات الكبيرة الذين تناولهم المستشرقين بالبحث والدراسة وهم: (المؤرخ الطبري (ت٣١٠هـ)^(*) ، المؤرخ الصولي (ت٣٣٥هـ) ، الفقيه الطوسي (ت٤٦٠هـ) ، وبين لنا المؤلف الحكيم محاولة بعض المستشرقين من هذه الدراسات ، كشف النصوص الضعيفة والمضافة على الحقائق التاريخية ، وانهم تتبعوا روايات الاخباريين سلباً وايجاباً من خلال كتب التاريخ المعتمدة وابرزها (تاريخ

الرسل والملوك) وكتاب (الكامل في التاريخ) وغيرهما ، ويتفق الباحث مع ما ذهب اليه الحكيم ، اذ وردت بعض النصوص السلبية في كتاباتهم، اذ ذهب الاستاذ (جب) الى رأي مفاده: ان الطبري لم يبد اي اهتمام بتاريخ المجتمعات غير الاسلامية منذ اللحظة التي ظهر فيها الاسلام^(١٧)، فيما وجدت نصوص ايجابية تحاكي الواقع الاسلامي آنذاك ، مثلما اوضح دونلسن دور الشيخ الطوسي في تنمية الفقه الامامي على اعتباره (ثالث المحدثين الثلاثة)^(١٨)، وبعض المستشرقين تصدى للتحقيق وكانوا اصحاب ريادة في هذا الجانب ، فقاموا باستخراج من خزائن الكتب مخطوطات مهمة وعملوا على تحقيقها ونشرها ، وبذلك اسدوا للعلم خدمة كبيرة ، ولم يغفل بعض المستشرقين مواضع الوهم في بعض النصوص فاحاطوها بالنقد والتمحيص والتحليل ، واذا كان المؤرخ الطبري (ت ٣١٠هـ) قد كتب في التاريخ العام^(١٩)، فان المؤرخ الصولي (٣٣٥هـ) قد كتب في اخبار بني العباس وشعراء خلفائهم ، وهذا لون من ألوان الكتابة التاريخية ، وموقف بعض المؤرخين من السلطة الحاكمة ، وهذه الصلة تعطي فرصة للوقوف على وثائق البلاط ،^(٢٠) اما الفقيه الامامي الكبير الشيخ الطوسي (٤٦٠هـ) فقد احاطه بعض المستشرقين^(*) بالدراسة ، وبما انه متنوع الثقافة فقد درسوا مفسراً وفقهياً ومحدثاً واصولياً ورجالياً وكلامياً ، وبعض دراساتهم لا تخلوا من السطحية وعدم الوقوف على المصادر الاساسية سوى ما تيسر لهم في المكتبات الغربية من مخطوطات ، وبلاشك ان بعضها يعود لأزمنة تقترب من عصر الشيخ الطوسي ، واستخلص المؤلف في هذا الجانب ، ان المستشرقين الذين تناولوا الشيخ الطوسي من امثال اضراب براون ودونلدسن وماريا نالينو وبروكلمان وسيرنكر وغيرهم ، لم تكن دراساتهم مفصلة وعميقة ، بل تضمنت القاء نظرات بسيطة عنه ولم يستوعبوا المصادر الاساسية التي تناولت حياته ، ولم يركزوا على مؤلف من مؤلفاته واحاطته بالبحث والتدقيق^(٢١)، اذ وقف الحكيم في الفصل الاخير وهو السادس بعنوان (دراسات نقدية لآراء المستشرقين) تناول جهود جماعة من المستشرقين في دراساتهم للتاريخ الاسلامي ورجال العلم والادب والفكر ، ويشير المؤلف الى انها تستحق الثناء والتقدير ، ولكنها لم تسلم من النقد الموضوعي شأنها شان دراسات العرب والمسلمين ، وبعض دراساتهم افرزت في الخروج عن الموضوعية والواقع التاريخي ، فعلى سبيل المثال لا للحصر ما

ذهب به تولستوف، اذ نفى وجود النبي محمد (ص) اصلاً وعده شخصية اسطورية^(٢٢)، ولربما كان ناتجاً من اسباب دينية او سياسية ، وبعضها الاخر يتسم بالعمق والتحليل، تلك الدراسات التي تناولها موير في كتابه (حياة محمد) اذ قال: "امتاز محمد بوضوح كلامه ويسر دينه ، وقد اتم من الاعمال ما يدهش العقول ، ولم يعهد التاريخ مصلحا ايقظ النفوس واحيا الاخلاق ، ورفع شان الفضيلة في زمن قصير كما فعل محمد"^(٢٣)، وقد وقف المؤلف الحكيم في هذا الفصل على هذين الجانبين من خلال كتاباته الاتية:^(٢٤)

١- المورخ مونتنغومري وات والنقد التاريخي ، جريدة الزمان البغدادية ، العدد ٢١٢٤ ، تاريخ ٣١/٣/٢٠٠٥ .

٢- نظرة في اراء المستشرق لفهوزن، جريدة الزمان ، العدد ٢٢٧١ ، تاريخ ٢٩/١١/٢٠٠٥^(٢٥).

٣- وقفة تأملية مع الشاعر الالمانى غوته، جريدة الزمان، العدد ٢٠٦٠، تاريخ ١٥/٥/٢٠٠٥^(٢٦).

٤- المرويات التاريخية الاولى عن المستشرق هورفتس ، جريدة الزمان ، العدد ٢٦١٨ ، تاريخ ١٣/٢/٢٠٠٧^(٢٧) .

٥- جهود المستشرقين الالمان في دراسة التاريخ والادب العربي والاسلامي .

٦- جهود المستشرقين الالمان في حقل الدراسات الاسلامية .

٧- العالم الاسلامي في كتابات المستشرقين^(٢٨) .

٨- المستشرقون ودراسة التراث العربي الاسلامي ، جريدة الزمان ، العدد ٢٠٦٦ ، تاريخ ٢٣/٣/٢٠٠٥^(٢٩) .

ان نقد المؤلف الحكيم لجماعة من المستشرقين من خلال كتاباتهم الاسلامية جاء لتوضيح الحقائق التاريخية عن طريق النقد البناء والتحليل التاريخي الموضوعي ، اذ لم يغفل المؤلف الحكيم عن جوانب الاصاله والابداع ، وسمات الاتزان في بعض الدراسات ، سواء في التاريخ الاسلامي او الحضارة والنظم او الادب العربي .

الخاتمة:

بحث الدكتور حسن الحكيم اراء بعض المستشرقين الذين تناولوا التراث الاسلامي ، سواء في ايجابياتهم او في سلبياتهم ، وأشار على الجانبين المتناقضين بروح محايدة بعيدة عن التعصب ، اذ اكد الحكيم على ان الحقيقة يجب ان تقال وفق المنظور العلمي للتراث الاسلامي ، والتاريخ وفق عصوره المتعاقبة ، وان كان لبعض المستشرقين فضل على احياء جانب من التراث ، وهذا امر لا مناص عنه ، فكان هناك آخرين من اساء للفكر الاسلامي ورجاله ، وان توجيه النقد لهذا الفريق من المستشرقين جاء من استقصاء النصوص وتحليلها ومن ثم نقدها وفق المعايير البحث العلمي .

يضاف ان المؤلف الحكيم تعامل مع الدراسات الاستشراقية بحيادية دون تجرد وتعصب لطرف على حساب الآخر، وان دراسته في هذا الكتاب ، اعتمدت على النقد والتحليل ، لما فيها من اهمية تاريخية ، واستخدم المنهجية العلمية في ايضاح بعض المغالطات التاريخية الاسلامية عند المستشرقين لدى دراستهم للتاريخ والتراث الاسلامي .

الهوامش:

(*) ينظر: الحكيم ، مواقف استشراقية في القرآن الكريم ، مجلة الكلية الاسلامية الجامعة - النجف الاشرف ، العدد ٣١ ، ٢٠١٥ م .

(١) الحكيم ، حسن عيسى ، الدراسات الاستشراقية رؤية وايضاح في المنهج ، العارف ، بيروت ، ٢٠١٢م ، ص ٥٥ .
(٢) شكيب ارسلان ، حاضر العالم الاسلامي ، ترجمة : عجاج نويهض ، مطبعة عيسى البابي ، القاهرة ، ١٣٥٣هـ/١٩٣٤ ، ج ١ ، ص ٢٤٠ .

(٣) الحكيم ، الدراسات الاستشراقية ، ص ٩- ١٢ .

(*) ينظر: الحكيم ، جريدة الزمان ، العدد ٢٠٣٢ ، تاريخ ١٠ / ٢ / ٢٠٠٥ .

(٤) الحكيم ، الدراسات الاستشراقية ، ص ١٧- ٢٦ .

(*) ينظر : الحكيم ، مجلة المصباح ، العدد الخامس ، ٢٠١١م .

(٥) الحكيم ، الدراسات الاستشراقية ، ص ٢٨ - ٥٩ .

- (٦) الحكيم ، الدراسات الاستشراقية ، ص ٦٥ .
- (٧) الحكيم ، الدراسات الاستشراقية ، ص ٧٤ .
- (٨) الحكيم ، الدراسات الاستشراقية ، ص ٨٥ .
- (٩) الحكيم ، الدراسات الاستشراقية ، ص ٨٩ .
- (١٠) الحكيم ، الدراسات الاستشراقية ، ص ٩٣ - ٩٥ .
- (١١) الحكيم ، الدراسات الاستشراقية ، ص ٩٥ .
- (١٢) الحكيم ، الدراسات الاستشراقية ، ص ٩٦ .
- (١٣) الحكيم ، الدراسات الاستشراقية ، ص ١١٣ - ١١٤ .
- (١٤) الخياط ، جعفر ، النجف في المراجع الغربية ، موسوعة العتبات المقدسة ، (النجف - د.ت) ، ج ١ ، ص ١٩٢ - ٣٢٨ .
- (١٥) الحكيم ، الدراسات الاستشراقية ، ص ١٦٣ .
- (١٦) الحكيم ، حسن عيسى ، جريدة الزمان ، العدد (٢٢٩٣) ، تاريخ ١٩/١٢/٢٠٠٥ والعدد ، (٢٤٥٥) بتاريخ ٢٠٠٦/٧/١٧ .
- (*) ينظر: الحكيم ، المؤرخ الطبري من منظور استشراقي ، مجلة الجامعة الإسلامية، (النجف الاشرف- د.ت).
- (١٧) الحكيم ، الدراسات الاستشراقية ، ص ١٨٦ .
- (١٨) دونالدسن ، دوايت ، عقيدة الشيعة ، ترجمة ع.م ، مطبعة السعادة ، مصر ، ١٣٦٥ هـ / ١٩٤٦ م ، ص ٢٨٣ .
- (١٩) الحكيم ، الدراسات الاستشراقية ، ص ١٨١ .
- (٢٠) الحكيم ، الدراسات الاستشراقية ، ص ١٨١ - ١٨٢ .
- (*) ينظر : الحكيم ، مع المستشرقين في دراساتهم للشيخ الطوسي ، مجلة الرابطة ، العدد الرابع ، ١٩٧٧ م .
- (٢١) الحكيم ، الدراسات الاستشراقية ، ص ١٨٢ ص ٢١٢ .
- (٢٢) جواد علي ، تاريخ العرب قبل الاسلام ، دار العلم للملايين ، (بيروت-١٩٦٨م)، ج ١، ص ٩-١١ .
- (٢٣) محمد كرد علي ، الاسلام والحضارة العربية ، ط ٣ ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٨ م ، ج ١ ، ص ٦٧ .
- (٢٤) الحكيم ، الدراسات الاستشراقية ، ص ٢١٧ - ٢١٨ .

- (٢٥) للمزيد ينظر ، جريدة الزمان ، العدد ٢٢٧١ ، تاريخ ٢٩/١١/٢٠٠٥ م
- (٢٦) للمزيد ينظر ، جريدة الزمان ، العدد ٢٠٦٠ ، تاريخ ١٥/٥/٢٠٠٥ م
- (٢٧) للمزيد ينظر ، جريدة الزمان ، العدد ٢٦١٨ ، تاريخ ١٣/٢/٢٠٠٧ م
- (٢٨) الحكيم ، الدراسات الاستشراقية ، ص ٢١٨
- (٢٩) الحكيم ، جريدة الزمان ، العدد ٢٠٦٦ ، تاريخ ٢٣/٣/٢٠٠٥ م

المراجع:

أولاً: المراجع العربية:

- ١- جواد علي ، تاريخ العرب قبل الاسلام ، دار العلم للملايين ، (بيروت-١٩٦٨م).
- ٢- الحكيم ، حسن عيسى ، الدراسات الاستشراقية رؤية وايضاح في المنهج ، العارف ، بيروت ، ٢٠١٢م.
- ٣- الخياط ، جعفر ، النجف في المراجع الغربية ، موسوعة العتبات المقدسة ، (النجف - د.ت).
- ٤- شكيب ارسلان ، حاضر العالم الاسلامي ، ترجمة : عجاج نويهض ، مطبعة عيسى البابي ، القاهرة ، ١٣٥٣هـ/١٩٣٤م.
- ٥- محمد كرد علي ، الاسلام والحضارة العربية ، ط ٣ ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٨ م .

ثانياً: المراجع المعربة:

- ١- دونالدسن ، دوايت ، عقيدة الشيعة ، ترجمة ع.م ، مطبعة السعادة ، مصر ، ١٣٦٥هـ / ١٩٤٦ م .

ثالثاً: الصحف والمجلات:

- ١- الصحف :
 - جريدة الزمان ، الحكيم ، العدد ٢٠٣٢ ، تاريخ ١٠ / ٢ / ٢٠٠٥
 - جريدة الزمان ، الحكيم ، العدد ٢٠٦٦ ، تاريخ ٢٣/٣/٢٠٠٥ م
 - جريدة الزمان ، الحكيم ، العدد ٢٠٦٠ ، تاريخ ١٥/٥/٢٠٠٥ م
 - جريدة الزمان ، الحكيم ، العدد ٢٢٧١ ، تاريخ ٢٩/١١/٢٠٠٥ م
 - جريدة الزمان ، الحكيم ، العدد (٢٢٩٣) ، تاريخ ١٩/١٢/٢٠٠٥ والعدد (٢٤٥٥) بتاريخ ١٧/٧/٢٠٠٦ .
 - جريدة الزمان ، حكيم ، العدد ٢٦١٨ ، تاريخ ١٣/٢/٢٠٠٧ م
- ٢- المجلات :

- مجلة الرابطة ، الحكيم ، مع المستشرقين في دراساتهم للشيخ الطوسي ، العدد الرابع ، ١٩٧٧م.
- مجلة المصباح ، الحكيم ، العدد الخامس ، ٢٠١١م .
- مجلة الكلية الاسلامية الجامعة - النجف الاشرف ، الحكيم ، مواقف استشراقية في القرآن الكريم ، العدد ٣١ ، ٢٠١٥م
- مجلة الجامعة الاسلامية ، الحكيم ، المؤرخ الطبري من منظور استشراقي ، (النجف الاشرف- د ت).

تداعي الحروف في الحديث النبوي الشريف

أ.م.د. فلاح رزاق جاسم

كلية الفقه/ جامعة الكوفة

المقدمة:

لم تنزل الحاجة إلى دراسة علم الحديث فهي لا تنتهي أو تقف عند حد وكلما تطور الزمان واتسعت حياة الانسان وحاجاته تزداد الحاجة إلى ذلك كون الحديث الشريف إلى جنب القرآن الكريم خلاصة تعاليم السماء وبعد ثبوت صدوره فهو معصوم من الخطأ والاشتباه فلا بد أن تتطابق علومه مع الواقع في كل مكان وأوان فضلاً عن دوره في الحياة البشرية إذ لا يقتصر بكونه كلاماً مقدساً فحسب بل لشموله ابعاداً تمس حياة الانسان وفي مجال التأكيد على المزوجة بين المعرفة اللغوية والمعرفة الشرعية لابد إذن من توجيه القضية اللغوية بالسعي نحو تحقيق الهدف المنشود ألا وهو خدمة القرآن العظيم والحديث الشريف بالإسهام في فهم النصوص الشرعية عقيدةً وفقهاً وفهم مقاصد ذلك الخطاب ومع ظهور الأبحاث اللسانية والمعرفية الحديثة المتجهة لقصد المتكلم يضاف إلى مناهج تحليل الخطاب ينشأ ما يعرف ب(لسانيات النص) وهو أحد العلوم اللغوية المعنية بدراسة النص وإظهار عناصر تماسكه وانساقه وربطه بمحتواه الابلاغي التواصلي الاجرائي بالاعتماد على آليات تحليل الخطاب ومعه صار الرجوع الى مقاصد الدراسات النحوية واللغوية ضرورياً في فحص الخطاب وتفسيره تفسيراً علمياً صحيحاً وموضوعياً واحتلت النصية مكاناً متميزاً في هذا الاطار فهي تسعى إلى تحديد وسائل بناء النص وآليات انسجام الخطاب وانساقه وتحقيق التماسك النصي بين وحدات الابنية اللغوية^(١) ، واشتدت الحاجة كذلك إلى تأسيس نحو نصي يعنى بالكشف عن قواعد بناء النصوص ومعايير تمييزها^(٢)، وبناء مفاهيم جديدة للنص بكونه وحدة كبرى شاملة تربط بينها علاقات نحوية وتصورات كلية تتمثل بعلاقات التماسك الدلالي^(٣) ، ورسمت للنحو صورة جديدة بوصفه أداة دقيقة في تحليل النصوص ووسيلة مهمة من وسائل فهمها^(٤) ، وفي هذا السياق

ذاته اهتم التداوليون الاصوليون بالتركيز على موضوع المقام والمرجع في أبواب نحوية مقصودة بعينها في كتبهم فدرسوا المعاني في الحروف والطرق في الدلالة والاستعمال في الالفاظ ما يظهر أن النحو تجاوز مع الاصوليين الاطار الذي وضعه أهل الفن منهم بكونه الاداة الكاشفة عن أبعاد النص المختلفة بإدراك معانيه ومراد قائله على أنه توجد إشارات عند القدماء فيما يخص اهتمام الاصوليين بقضايا النحو وأغراضه يقول ابن فارس (رأيت أصحابنا من الفقهاء يضمنون كتبهم في أصول الفقه حروفاً من حروف المعاني)^(٥) ، وقال الشوكاني (وقد نكر جماعة من أهل الاصول في المبادئ مباحث في بعض الحروف التي ربما يحتاج إليها الاصولي وأنت خبير بأنها مدونة في فن مستقل مبينة بياناً تاماً)^(٦)، وتأسيساً على ما تقدم انبثقت فكرة البحث بالتعاطي مع الحديث الشريف في ضوء دلالة هذه الحروف وانعكاساتها سواء على صعيد الحكم الشرعي أم ببيان افادتها الاخرى وانتظم البحث في مطلبين تناول الاول منه التعريف بمبحث الحروف وما يدور في فلكها وتخصص الثاني ببيان الجانب التطبيقي منه في ضوء الحديث الشريف، ولخصت الخاتمة مجمل مفاصل البحث وختمته بقائمة المصادر والمراجع المعتمدة.

المطلب الاول: التعريف بتداعي الحروف ومآلاته:

يتصل هذا المطلب بقضية يثيرها علماء اللغة والاصول ولها علاقة بالقصد اللغوي في فهم الكلام ألا وهو موضوع توارد الخواطر أو ما يسمى بالتداعي وهو موضوع له امتداداته في الابحاث اللسانية الحديثة باعتبار علاقته المباشرة بالقصد اللغوي ورغم قدم الموضوع فإن إشكالاته المعرفية تمثل تحدياً مباشراً في دراسة الخطاب وتفسيره خصوصاً في الدراسات الاسلامية أو التراث الاسلامي بصفة عامة ، لأن جزءاً مهماً من هذا التراث يستند على النص الحديثي ودلالاته وأن فهم مقاصده يتوقف على المعرفة الكاملة بمجمل قضايا اللغة العربية باعتبارها اللغة التي اختارها النص القرآني للتعبير عن وحيه وإبلاغه وبالطبع هي لغة الحديث الشريف في عرض القرآن العظيم وبما أن منهج الحديث الشريف من أهم المناهج المعتمدة في العلوم الشرعية باعتماده التأمل والدقة والنقد والاستقراء والمقارنة فيما يتصل بمتن الحديث أو

سنده بقصد ضبطه على الوجه الاكمل فقد تحققت نتائج هذا المنهج عند اهل الفن لدى ممارستهم الحديثية في هذا الاطار ذلك أن المعرفة والاطلاع والادراك التي يستند إليها منهج المحدثين كلها وسائل منهجية هامة تتوقف على قدر واسع من معرفة اللغة ومقاصدها للمساعدة على معرفة الواقع وإدراك القرائن الباحثة عن الصحة والصواب وبالفعل بدأ امداد اللغة لمنهج الحديث وعلومه وكان دورها في تقويم منهج الحديث الشريف حاضرا (كون اللغة أداة المجتمع الذي يخاطبه الحديث و لها علاقه بأوضاع الناس واعرافهم كما ترشد نقاد الحديث الى مقاصدها في الاشتقاقات والأبنية ومواضع الكلام الذي يرومه الحديث وطرق التواصل في مخاطبة الناس^(٧)) وبالتالي فيتسم امدادها بالإسهامات التالية^(٨)

١- الاسهام في التنظير لقواعد الحديث وتأطير مصطلحاته طبقا لقواعد اللغة بما يساعد على سرعة الفهم ومع اقتضاء عرف المجتمع المخاطب .

٢- الاسهام في ضبط المجال الدلالي لمعاني النصوص بقصد تدقيق المعنى المتبادر من الالفاظ و المصطلحات .

٣- الاسهام في تقويم منهج الحديث للمساعدة في فهم محتوى السنة بما يسهم في علم تحليل النص بقصد الفهم والاستيعاب لذا امسى القصد اللغوي في بناء منهج الحديث مستندا على قضية السياق المهتم بشروط النقل للرواية والاستدلال الواقعي المستند على المقام المقتضي لغرض الكلام المنقول عن نبي الفصاحة والبلاغة الرسول الاعظم (ص) وقد حمل مبدأ الاهتمام بسياقات الكلام في الحديث الشريف علماء اللغة والحديث على الكتابة في مواضيع امثال الاغلاط والتصحيقات ونحوها والفت كتب متنوعة في هذا الشأن بقصد التنبيه على اختلاف اللفظ وبيان الصواب والخطأ والتحريف والسياق وكل ذلك لأجل الوصول الى تقويم سليم في المنهج المتبع بقصد استقامة الالسنة ومراعاة التفسير السليم كي لا يؤول كلام النبي بغير مراده وقد اثار البحث اللساني الحديث في هذا الصدد عدة اشكالات منها عدم وضوح نظرية نحوية نصيه في كتب النحو العربي واغفال النحاة الوحدة النصية في تحليل النصوص^(٩) واتضح الدرس

النحو النصي في كتب البلاغة واعجاز القرآن الكريم^(١٠) يضاف الى ان النحو العربي التزم بـ(نحو الجملة) واقتصر عليه لكن الانصاف يقتضي ان ننعم النظر في ما خلفه العلماء الاوائل في اللغة والنحو والبلاغة والتفسير من نظرة عميقة كلية شاملة تقريباً لدراسة النص الديني فقد قدم النحو العربي نظرية نحوية نصية تقترب في معطياتها من الدرس اللساني الحديث كما اتضح عند القدامى امثال الفراهيدي (١٧٥هـ) وسيبويه (١٨٠هـ) والفراء (٢٠٧) والاختفش (٢١٥هـ) وعبد القاهر الجرجاني (٤٧١هـ) وابن هشام (٧٦١هـ)^(١١) وقد ظهر اتجاه قوي في الدرس النحوي يعنى بالمعاني والاساليب والتراكيب ونظم الكلام بالاعتماد على قواعد بحسب الاستقراء الا ان هذه النظرة لم تتضح معالمها فجأة بل مرت بمراحل وكشفت جهود النحاة عن تبلور هذه النظرية بالسعي لتأسيس نحو نصب ومع أن الأوائل لم يبحثوا (نحو النص) بقصدية البحث عن النصوص الا مؤخراً إلا أنهم درسوا مفهومه وتناولوا علاقاته ومكوناته في إطار علاقات النظم والتأليف وفي هذا الملحظ فإن الفضل يعود للنحاة العرب في الاهتمام المبكر الى مواطن فصل الكلام أو وصله أو انقطاعه وإن لم ترق الإرهاصات الأولى الي التععيد^(١٢) وقد أثارت البنيوية الحديثة أو اللسانيات المعاصرة فيما اثارته قضيه توارد الخواطر او التداعي وبدورنا سنتناول هذا الموضوع بكونه متجذراً عند القدماء ولكنه مبعوث في مباحث متفرقه سواء عند النحاة القدامى ام عند الاصوليين في مباحثهم اللفظية وقد عنيت التداولية بهذا الامر واعطته اهمية بارزة والمهم ابتداء معرفة التداعي وهو حالة (يرتبط فيها معنى بمعنى اخر وينساق في الذاكرة من جرائها مجرى حر من تداعي الافكار وصور المخيلة وحالة التداعي تنطلق من وضع نفساني عفوي يتصف بالتلقائية بعيدا عن الرقابة العقلية الواعية)^(١٣) وفي التحليل النفسي ان التداعي الحر غير المقيد او المشروط بإثارات سابقة هو وسيلة للكشف عن المكبوت من الرغبات والصراعات و الصدمات والذكريات لان عوامل الترابط والحالة هذه هي الدوافع اللاشعورية لدى الانسان لكن ما يعيننا في هذا البحث بقضية التداعي هو الجزء الخاص بانقداح الذهن لتتوارد منه خواطر يصطلح عليها تداعي المعاني فيما هو مبعوث عند البلاغيين والمهم في الامر

معرفة هذا التداعي وانعكاساته ومالاته من خلال الحروف وتمثلاتها في ضوء الحديث الشريف وهو العنوان الذي انعقد لأجله البحث ذلك ان تداعي هذه الحروف لأجل استظهار معانيها بالنظر اليها توهم الباحث في الاحاطة بمادتها إلا (ان المقتفي سبيل طلبها يجدها ثقافة عالية متجذرة لا يمكن قصر موضوعها على مادة دون أخرى)^(١٤) بل يجد المتأمل في موضوعها أنها هي اللبنة الاولى لهيكل اللغة واساسها ولا غرابة حينئذ إن تفتن القدامى الى خطورة الجهل بها كما يقول ابو سعيد السيرافي (ومن جهل حرفاً أمكن ان يجهل حروفاً ومن جهل حروفاً جاز ان يجهل اللغة بكاملها)^(١٥) وعليه فان معرفة مفاد هذه الحروف ورفصها يعني ادراك لقضية الاعجاز سواء القرآني منه ام النبوي وفي الصدد يقول الباقلاني (فليس الأعجاز في نفس الحروف وانما هو في نظمها واحكام رصفها وكونها على وزن ما اتى به النبي (ص) وليس نظمها اكثر من وجودها متقدمة ومتأخرة ومرتبنة في الوجود وليس لها نظم سواها وهو كتتابع الحركات الى السماء ووجود بعضها قبل بعض ووجود بعضها بعد بعض)^(١٦) فلم تأت هذه الحروف الا لقصد وليس من الصحيح مطلقاً القول باعتبارية مجيئها كما يدعي البعض بكون بعضها زائداً وإنما كل موقع له منها قصد وفق النظرية القصدية في الاستعمال^(١٧) وإن الوحدة المتكاملة لمعاني الحروف لا يمكن إدراكها إلا بمنهج متكامل يحاول ضبط مادتها بعرضها في وجوها الدقيقة كي تظهر معاني الجدة وإشارات الاستكشاف فيها وإظهار دقائقها للتأمل في تراكيبها المختلفة ومعاني اطلاقاتها بأساليب وخطابات متنوعة وفق المقصود من المعاني المتبادرة يضاف الى ان دراسة المعاني للحروف وتوجه النظر اليها ما يعني خدمة تراث اللغة العربية وتطوير آلياتها من الاقتصار على المعطى المعجمي للحرف ذاته فقط من باب إنزال الحروف منازل معانيها فضلاً عن دراستها في إطار مقاربات نظرية للبعد الاستدلالي التداولي لتعلقها بالخطاب وبالأغراض اللغوية المباشرة وغير المباشرة يضاف الى المقاربات الحجاجية لبعض المحاولات من خلالها ولعل دليل ذلك أن القرآن الكريم في عمارة السور والآيات المباركة في غضوناتها قد نسجت بإحكام وبقصديّة تامة فتراه يحسب للحرف أين يضعه وأين لا يضعه ثم

ان في دلالات الحروف فوق دلالات الكلمات فتجد أن هذا الحرف يدل على نوع من الأحداث وهذا يدل على نوع وذاك على آخر وبالرجوع إلى الكتب المختصة بالشأن القرآني في مجال الاسلوب نلاحظ ذلك بوضوح. وعليه يمكن القول في هذا الجانب انه لو (اعتهد النحويون على الحديث الشريف في رصد التراكيب والاساليب بقدر اعتمادهم على الشعر لحصلوا على وافر منها ولسدوا جانباً من ثغرات استقراءهم غير التام مع أن لغة النثر أولى من لغة الشعر في تعديد القواعد)^(١٨) إذ النثر لغة العموم والشعر لغة الخصوص لذا جذب هذا الجانب من موضوعات اللغة العربية - أي لغة الحديث - نظر الباحثين المعاصرين وأثار عنايتهم فكتبوا عنه دراسات وبحوثاً مستقلة نظير ما كتبه محمد الخضر حسين في (الاستشهاد بالحديث في اللغة) وكتاب (الحديث النبوي الشريف وأثره في الدراسات اللغوية والنحوية) لمحمد ضاري حمادي وكتاب (موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث الشريف) للدكتورة خديجة الحديثي وكتاب (الحديث النبوي في النحو العربي) لمحمود فجال وغيرها كثير أضف إلى ذلك ما دأب عليه الباحثون على دراسة تراكيب الحديث الشريف وأساليبه ككتاب (بناء الجملة في الحديث النبوي الشريف) للدكتور عودة خليل وكتاب (القضايا النحوية في كتب الحديث وإعرابه) للدكتور سليمان القضاة ونحوها ولا غرابة في ذلك بعد معرفة ان الحديث الشريف وعلمه هو الاصل الذي تفرعت عنه سائر العلوم وفي أحضانه نشأت العلوم الاسلامية ومنه انبثقت فكان الاصل الذي تداعت تلك العلوم إلى الأخذ بمناهجه والاستضاءة بأنواره في توثيق الاخبار وتحقيق النصوص ودراسة الرجال حسبما جاء به علم مصطلح الحديث من قواعد وصف ابن جني أصحاب الحديث من خلالها بالقول (وهم عيار هذا الشأن وأساس هذا البنيان)^(١٩) وهكذا في سائر العلوم كالفقه والتفسير والكلام ونحوها الناشئة في ظلالة ويحسن بنا بعد هذا الاستعراض بيان مدى الحاجة لمعرفة قضية الحروف وتداعياتها في هذا المجال.

- مادة الحروف في إطارها العام :

يبدو إن المراد من معاني الحروف نابغ من المادة المتضمنة في (حروف المعاني) وهذا الموضوع يدلنا مباشرة على أن هناك أصنافاً للحروف تتميز بكونها متمحضة للمعاني واخرى تسمى حروف المباني يدعي بعض النحاة أنها مجردة من المعاني وهذا الأمر يتضمن نظرية لغوية أصولية من خلال ارتباطه بالمعنى وما يثيره في علاقته بالخطاب حيث تتجسد هذه العلاقة في الربط الاستدلالي الحاصل في هذه الحروف التي تعد روابط استدلالية هامة في الدرس اللغوي والاصولي معاً فمن المسلّم به ان اللغة وحروفها هي الوسيط في نقل الخطاب ومضمونه فلا بد ان تكون هي المرتكز الاول والاساسي في عملية فهم النص بشرياً كان أم وحيانياً ذلك ان الفهم ينطلق بالأساس من معرفة خصوصيات اللغة و اساليب البيان والتعبير ما يفرض علينا موضوعياً فهم المضمون الخاص بالنص الممثل لإرادة الباري تعالى لأجل ابراء الذمة بتطبيق الفروض والواجبات المفترضة ثم أن تحقيق فهم النص الوحياني يتعلق بتكليف الانسان وذلك بالعودة الى لغة النص في عصر التنزيل وفهمه الفهم الصحيح وبالإمكان إظهار بعض الجوانب الهامة في هذه النظرية الاستدلالية بعد معرفة مجال تداعي الحروف.

- مفهوم الحروف أو الاداة:

تمهيد: احتلت العناية بدراسة الحروف جزءاً من توجيهات علماء اللغة كونهم وجدوا ان للأدوات في اللغة العربية اهمية كبيرة ففيها يفهم كثير من الأساليب ويدرك ما في اللغة من روعة وجمال ولعل كشف اسرار الأساليب المتعددة هو سر اهتمامهم بدراستها وتعدد اساليبها راجع الى ما تفيده الأدوات من معان متعددة عند وضعها في تراكيب لغوية مختلفة وقد فصلوا الكلام في مبانيها و معانيها واختلفوا في تعدد معانيها فضلا عن اصل مباني بعضها وتباينت مناهجهم لدراسة هذه الادوات وقبل التطرق الى بيان ذلك يحسن معرفة مفهوم الحرف ففي كلام العرب يرادف اطلاقات منها حدّ الشيء وحدته ووجهه وحافته وطرفه وشفيره وغيرها من الاطلاقات التي تفيد المعنى المتبادر من حروفه (ح-ر-ف) أي حرف الشيء^(٢٠) وهذه المعاني المعجمية منبثقة من الاستعمالات القرآنية ففي الآية (ومن الناس من يعبد الله على حرف)^(٢١) أي

على وجه واحد والآية (يحرّفون الكلم عن مواضعه)^(٢٢) ومعنى التحريف في الكلام الميل والانحراف كما يطلق الحرف ويراد به الخط وهناك من بحث في الصورة الذهنية للحرف أي أن كلمة (حرف) تتألف من ثلاثة أحرف فالحاء هي صورة الحبل والراء هي صورة الرأس والفاء هي صورة الفم ويستنتج من هذا التحليل ان الحرف هو امتداد التفكير في التعبير^(٢٣) كما نجد وصفاً آخر للحروف يتضمن وظائف أساسية مرتبطة بمادته يقول رمضان عبد التواب (الحرف هو اللغة التي يرى فيها القدماء بأنها أنواع ثلاثة : فكرية ولفظية وخطية فالفكرية معانيها الألفاظ واللفظية اصوات محمولة في الهواء ومُلْتَقَطَةٌ بعضو السمع والخطية مرسومة باليد ومُلْتَقَطَةٌ بعضو النظر للدلالة على الحروف اللفظية التي وضعت بدورها للدلالة على الحروف الفكرية التي هي الاصل)^(٢٤) أما المعنى الاصطلاحي للحرف فقد اعتبر بعض النحاة أنه (ما دل على معنى في غيره ومن ثم لم ينفك من اسم أو فعل يصحبه)^(٢٥) إلا أنهم اختلفوا في معنى الحرف المستعمل للدلالة عليه فهو معنى قائم في الحرف نفسه أم هو قائم على غيره؟ على تفصيل لا يسعه المقام وبالإمكان الرجوع الى معرفة الامر من مظانه والمهم معرفة دلالة الحرف بمعناه في نفسه الذي لأجله انعقد البحث فالمراد به ان الحرف يدل على معناه كما يدل نظيره الاسم والفعل بمعنى دلالاته على معناه بنفسه داخل الجملة او خارجها فمثلاً كلمة (فوق) هي اسم دل على معنى (العلو) سواء بالانفراد أم في انتظامها في جملة كقولنا (الطائر فوق الغصن) كذلك بالنسبة للفعل (علا) فيفيد معنى العلو سواء في معناه المنفرد ام في الجملة كقولنا (علا الطائر الغصن) فأصحاب هذا الفريق يذهبون بهذا اللحاظ إلى ان الحرف يدل على معناه بنفسه سواء كان منفرداً أم داخل الجملة وممن يمثل هذا المذهب النحاس النحوي الحلبي الشهير (٦٩٨ هـ) وتابعه في هذا الرأي أبو حيان الاندلسي (٧٤٥ هـ)^(٢٦) والحق ان النحاة قديمهم وحديثهم تجاهل جمهورهم مقولة قديمة شهيرة تحقق المعنى الدقيق لمفهوم الحرف فقد عرفته تعرضها للاسم والفعل بأنه (ما جاء لمعنى) ثم فسرت ذلك بأنه (ما أتى عن معنى ليس باسم ولا فعل)^(٢٧) ويقول خلف الاحمر في هذا الصدد (العربية على ثلاثة اسم وفعل وحرف جاء لمعنى)^(٢٨) ويقول

سيبويه (فالكلم اسم وفعل وحرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل)^(٢٩) فهو ذو دلالة معنوية كما نلاحظ ويحمل دلالة نحوية خاصة له تتجسد في الذهن مع غيره ليميز بها بين المعاني في التركيب والبيان ولعل دليل ذلك ما حققه ابن فارس في تفسيره لعبارة سيبويه بأننا (إذا قلنا: زيد ينطلق. ثم قلنا: هل زيد ينطلق؟ نكون قد أفدنا ب(هل) ما ليس في (زيد) ولا في (ينطلق)^(٣٠) وهذا يعني ان الحرف ليس له معنى معجمي بل معنى تركيبى عام وآخر يحدده السياق الذي يتضمنه فالباء مثلاً ذات دلالة عامة على الالتصاق تُتوهم فيها وهي مفردة عن الاسماء والافعال^(٣١)؟ إلا أن هذه المتوهمة غالباً ما يصاحبها توجهات مختلفة حتى تنتظمها عبارة تخصصها لمقصد معين وتزيل عنها سائر الاحتمالات وهكذا يتعين إدراك مفهوم حرف المعنى ليميز بخصوصيته وتتعين معالم مضامينه في السياقات المتباينة ومن الواضح جداً ان التعبير عن الحرف في مؤدى معناه بنفسه هو تعبير فلسفي يعني المعنى الاستقلالي أي بما يدل عليه اللفظ إذا كان مستقلاً بنفسه أي منفرداً وبدون أن ينضم إلى غيره من الألفاظ^(٣٢) مقابل المعنى الآلي للحرف إذا كان مؤداه في غيره وقد وقع الخلاف بين الاصوليين في منشأ هذا المعنى الآلي للحرف من أنه ناتج من تقييد الواضع استعمال الحرف بالآلية أو الاستقلالية بما لم يكن هنا محل لذكره^(٣٣) ومن ذلك ان البعض حاول تصنيف الحروف من حيث المعنى الى ايجادي وإخطاري ويعنون بالأول وهي الحروف الياجادية هي حروف الجر والنداء والتمني والترجي والشرط وغيرها ويمثل الموضوع لإيجاد النسبة او العلاقة بين الالفاظ حسن استعمالها في الجملة على حين تعني الاخطارية انها ما تكون حاكية عن معنى مخطر او محضر في الذهن اي ان شأنها في الاستعمال مثل الاسماء والافعال فكما ان الاسماء والافعال عندما تستعمل تدل على المعنى المفهوم منها والمتقرر في الذهن او الخاطر والحاضر فيه كذلك الحروف الاخطارية^(٣٤) وبناء عليه ان الحرف نوعان عندهم

١- حرف معناه في نفسه وهو جميع الحروف غير حرف الجر

٢- حرف معناه في غيره وهي حروف الجر فقط ومنهم من قسمها الى حروف المباني وحروف المعاني وفي كل الاحوال يمكن استخلاص نظرية نحوية اصولية تركز على دلالة معنى الحرف وذلك ان النحاة قد حللوا العوامل النحوية بدقة وامعان وركزوا على الدور الاساس للحروف منظرين من خلال ذلك للدلالة الوظيفية لها ولا يخفى ان كل حرف من الحروف خصوصا المتعلقة بحروف المعاني يمكن ان يكون وحده نظرية نحوية متميزة كاملة فمثلا الفارابي قسم الحروف الى اصناف اخرى وفقا للتحديد المنطقي لها فيقول (انه من الالفاظ الدالة تلك التي يسميها النحويون الحروف التي وضعت للدلالة على معان وأهل اللسان اليوناني صنفوها بالخوالف والواصلات والواسطات والحواشي والروابط^(٣٥) وطبيعي ان هذه الإطلاقات من الفارابي على الحروف يتأكد من خلال موقعها من الكلام وكذلك لارتباطها بمعطيات اصطلاحية منطقية تستفاد من الدلالة الواضحة في الاستعمال ومادام موضوع معاني الحروف من (المقاصد التي جاءت لإقرار مصالح العباد انطلاقا من الفهم الصحيح المبني على الاستشهاد من الدليل^(٣٦)) فإنها ليست لغوا ولا شططا في الاستعمال لذلك نجد موضوع معاني الحروف في الحقل الاصولي يستعان به على فهم مدلول الكلام بالوصول الى نقطة تستفاد من النظم الناتج من استعمال الحرف وهي البنية الاستدلالية المستخلصة من نظرية النظم عند الجرجاني وذلك ان مقتضى المعنى يستند اليها ثم الوقوف على مرتبة التداول التي تتوخى مقتضيات مقام الكلام وهو النقل الذي وصل اليه الجرجاني من الدلالة المجردة^(٣٧) بدراسة موقع المعاني من الحروف وذلك بالوقوف على بعدها الاستدلالي المعنوي وبعدها التداولي لتحقيق انماط من الاوصاف وتحصيلها في مجالها اللغوي والاصولي والمصطلح عليها عند الاصوليين ب(المعنى الحرفي) اي كل ما دل على نسبة وله وظيفة ربط بين طرفين ويشمل الحروف وهيئات الجمل التامة والناقصة^(٣٨) ومن هنا كان (المعنى الحرفي) عند الاصوليين اعم منه واوسع عند النحويين وان كان قد توسع عند المحدثين من اهل اللغة والنحو فشمّل النواسخ نحو (كان وكاد واخواتهما) والمصادر والظروف واصبح يطلق على الجميع مصطلح (الادوات)^(٣٩) وجدير ذكره ان

وظيفة الربط التي جعلها الاصوليون من مقومات المعنى الحرفي كانت هي ايضا من الوظائف الهامة التي اكدها ائمة اللغة والنحو لهذه الحروف وبها يتحقق الربط بين الاسماء نفسها او بين الاسماء والافعال او الجمل فيما بينها^(٤٠) ومما يجدر اثباته ان السيد الصدر لدى مناقشته اراء الاصوليين في اتجاه المعنى الحرفي تحت عنوان (الاتجاهات المعروفة في المعنى الحرفي) يستعرض السيد اهم الآراء والاتجاهات التي قيلت في دلالة الحرف على المعنى عند الاصوليين محاولاً مناقشتها وانتقادها بعد ذكر اهم الاعتراضات الموجهة اليها وما تخللها من تفسيرات وردود ليخلص الى الرأي القائل بنسبية المعنى الحرفي ويعدده الرأي الاصوب من بين الآراء الاخرى وهو الرأي المتبنى عند اكثر الاصوليين المتأخرين وان تحقيق هذا الرأي عنده يتم عن طريق خمس مراحل من الكلام بينها بشكل مفصل بحيث يثبت فيه المدعى برهانياً^(٤١) بما لا مجال لذكره هنا وبالإمكان الاطلاع عليه في مضانه.

اجل ان ما يجدر اثباته هنا بعد هذا الاستعراض والتأكيد عليه هو خصوصية اداء الحرف للمعنى بنفسه او استقلاله بهذا الاداء ما يعني انقداح المعنى او تداعيه كما اسميناه في غضون هذه الاستقلالية بقطع النظر عن الراي المقابل القائل بتأدية الحرف لمعناه بغيره بدعوى عدم تداعيه بمفرده ولعل الغوص في ماهية الحرف والتعمق في اسراره وابعاده يسلط لنا الضوء على هذه الناحية ذلك انه منذ انبثاق الحرف اولا في لغة العرب ولأهميته فقد توجهت الانظار لدراسته وتحليل خواصه كل من زاويته فقد جعل الفراهيدي مثلاً كتابه العين في الحروف مبيناً قيمتها ومن بعده سلك ابن هشام في كتاب مغني اللبيب مبيناً افادة الحروف في استعمالاتها المختلفة وهكذا نهج اصحاب الكتب المعنونة بالحرف كالرمانى والجنى الداني وغيرهم هذا ومن وجه عنايته لدراسة هذه الحروف على نحو ادق والتعمق فيها هم اصحاب المدرسة العرفانية والمشتغلون بالعلوم الغريبة او الروحانية بدقائق بارعة وجهود نافعة اطلقوا على تفرعات منها بعنوان (علم الحروف) او الطلاسم وعلم الاوفاق والرمل ونحوها وهي شذرات تنتمي الى هذه المدرسة الواسعة المظان المترامية الاطراف والمفروض ان علم الحروف وما يكشفه من اسرار استهوى بعض

العارفين والباحثين منذ العصور الاولى لظهور لغة التخاطب وما يتوقف عليها من معرفة الكلمة وحروفها وما تحتويه من اسرار وكلما زادت الحاجة الى ذلك ازداد البحث في دقتها معنى وتركيباً بل انهم قد ادركوا بانها ليست قوالب جامدة واشكال هامة وانما هي مؤشر هام وكشاف لمعاني وحقائق حاضرة او مستقبلية بل وماضية وما يؤسف له ان هذا العلم قد اهل الى حد كبير ولم يكشف عن قدره رغم اهميته الدنيوية والأخروية كونه (اساس لمعرفة جميع العلوم والحروف مظهرة وكاشفة للمقاصد وفهم معاني الكتب السماوية لاسيما القرآن الكريم متوقف على معرفة الحروف وكذلك الاخبار الشريفة)^(٤٢) لذا بات البحث في هذا العلم من ناحية صفات وحالات كل حرف من حيث اللفظ والمعنى ومن حيث تجويده وتبديل شكله ومادته وكذا تركيبه مع بقية الحروف وتفسيره وتأويله لتحصيل المعاني في كل حرف ذلك أن (كل اسم من اسماء الله تعالى له حروف واعداد ولكل عدد وفق فمن جمع من حروف كل اسم وعدد ما في كل وفق كشف اسرار عظيمة)^(٤٣) فإن للحروف والاعداد اسراراً وهي من مخلوقات الله تعالى فأسرار الحروف في الاعداد وتجليات الاعداد في الحروف العلويات للروحانيات والحروف للدوائر الجسمانية والملكوئية وفيها اسرار جميع الكتب والصحف المنزلة ولولا ان هذا العلم سر مصان ما أنزل الله القرآن بألفاظه وحروفه، وللحروف كذلك دلالات رمزية في التراث الديني خاصة عند مدرسة أهل البيت (ع) وللأئمة (ع) إسهامات ثرية في هذا الحقل يستحق الاعتناء والتأمل فيه يقول أحد الباحثين في هذا الشأن (إن الاستعمال الرمزي للغة عامة وللحرف بشكل خاص وهو استعمال راجع عند الشيعة فأصبحت فيه الحروف كيانات رمزية يجب الوقوف عندها وتأويلها لاستخراج مرموزاتها بصورة أخرجت الى معان ودلالات مختلفة كلياً عن الفهم السني الشائع لها ولاشك أن للشيعة فضل تعجير هذا التأويل الرمزي للنصوص ولهم فضل زيادة هذا العلم وأسبقية فتح الطريق لمن جاء بعدهم من المتصوفة حتى اتسع ذلك الباب)^(٤٤) وطبيعي جداً أو من الثابت أنه توجد ثمة روايات تثبت هذا الادعاء نورد بعضاً منها على سبيل المثال فقد روى الصدوق بإسناده عن الأصبع بن نباتة قال: قال أمير المؤمنين (ع) سأل عثمان بن عفان رسول الله

(ص) فقال يا رسول الله ما تفسير أبجد؟ فقال رسول الله (ص): تعلموا تفسير أبجد فإن فيه الأعاجيب كلها ويل لعالم جهل تفسيره. فقيل يا رسول الله ما تفسير أبجد؟ فقال: أما الألف فألاء الله - حرف من أسمائه- وأما الباء فبهجة الله وأما الجيم فجنة الله وجلال الله وجماله وأما الدال فدين الله وأما هوز فالهاء هاء الهاوية فويل لمن هوى في النار وأما الواو فويل لأهل النار وأما الزاي فزاوية في النار فنعوذ بالله مما في الزاوية يعني زوايا جهنم وأما حطي فالحاء حطوط الخطايا عن المستغفرين في ليلة القدر وما نزل به جبريل مع الملائكة الى مطلع الفجر وأما الطاء فطوبى لهم وحسن مآب وهي شجرة غرزها الله عز وجل ونفخ فيها من روحه وإن أغصانها لترى من وراء سور الجنة تنبت بالحلي والحلل متدلّية على أفواههم وأما الياء فيد الله فوق خلقه سبحانه وتعالى عما يشركون وأما كلمن فالكاف كلام الله لا تبديل لكلمات الله ولن تجد من دونه ملتحداً وأما اللام فالإمام أهل الجنة بينهم في الزيارة والتحية والسلام وتلاوم أهل النار فيما بينهم وأما الميم فملك الله الذي لا يزول ودوام الله الذي لا يفنى وأما النون فنون والقلم وما يسطرون فالقلم قلم من نور وكتاب من نور في لوح محفوظ يشهده المقربون وكفى بالله شهيداً وأما صغفص فالصاع بصاع وفص بفص يعني الجزاء بالجزاء وكما تدين تدان. إن الله لا يريد ظلماً للعباد. وأما قرشت يعني قرشهم فحشرهم ونشرهم الى يوم القيامة فقضى بينهم بالحق وهم لا يظلمون) (٤٥)

ومن ذلك إنه (جاء يهودي الى النبي (ص) وعنده أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (ع) فقال له: ما الفائدة في حروف الهجاء؟ فقال رسول الله (ص) لعلي (ع) اجبه وقال اللهم وفقه وسدده فقال علي عليه السلام ما من حرف الا وهو اسم من أسماء الله عز وجل ثم قال أما الالف فالله الذي لا اله الا هو الحي القيوم وأما الباء فباق بعد فناء خلقه وأما التاء فالتواب يقبل التوبة من عباده أما الثاء فالثابت الكائن يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت أما الجيم فجل ثناؤه وتقدست أسماءه وأما الحاء فحق حي حليم وأما الخاء فخبير بما يعمل العباد وأما الدال فديان يوم الدين أما الذال فذو الجلال والإكرام وأما الراء فرؤوف بعباده وأما الزاي فزين المعبودين وأما السين فالسميع البصير وأما الشين فالشاكر بعباده المؤمنين وأما الصاد

فصادق في وعده ووعيده وأما الضاد فالضار النافع وأما الطاء فالطاهر المطهر وأما الظاء فالظاهر المظهر لآياته وأما العين فعالم بعباده أما الغين فغيث المستغيثين وأما الفاء ففالق الحب والنوى وأما القاف فقادر على جميع خلقه وأما الكاف فالكافي الذي لم يكن له كفواً أحد ولم يلد ولم يولد وأما اللام فلطيف بعباده أما الميم فمالك الملك وأما النون فنور السماوات والأرض من نور عرشه وأما الواو فواحد صمد لم يلد ولم يولد وأما الهاء فهادي لخلقها أما (اللام الف) فلا إله إلا الله وحده لا شريك له وأما الياء فيد الله بأسطة على خلقه. فقال رسول الله (ص) هذا هو القول الذي رضي الله عز وجل لنفسه من جميع خلقه فأسلم اليهودي^(٤٦) وتأسيساً على ما تقدم فإن حروف المعجم أو حروف الهجاء لاشك ليست حروفاً وضعت لتكون مباني للألفاظ والكلمات فحسب وانما هي كائنات ذات دلالات دينية بارعة وهذه الدلالات هي التي تزيد من أهميتها وتخرجها عن مجرد كونها علامات وإشارات جافة وتجعلها تتبع منها الحياة فهي تنطق بالحق ثم ان هذه الحروف لا توحى بمعانيها الإلهية إلا لمن كان له الانس بسماع رنين الحق والخير والجمال وائمة اهل البيت عليهم السلام لاشك هم فقط يدركونها ثم يوضحونها احسن توضيح ولعل صيرورة الحروف هذه في هيئتها الجديدة بذات معاني مستقلة قد اضحت مادة خصبة للأدباء والشعراء للتعبير عن ما يجيش في خواطرهم ومكونات ضمائرهم بدقة اكثر وللموضوع امثلة اخرى كثيرة لا يسع البحث ذكرها واستنادا على ما تقدم يقسم المشتغلون بهذا العلم الحروف الى انواع اصطلحوا عليها عدة مسميات منها: الحروف الشرقية - الحروف الغربية - المنكورة الملقوطة المسروقة ولكل حرف من هذه الحروف ما يسمى بالزبر والبيئات ومنها الحروف النورانية والظلمانية^(٤٧) وهكذا وأشاروا الى اهمية هذه الحروف واستخداماتها عند الانبياء والاولياء والائمة عليهم السلام وعند اصحاب الامام المهدي (ع) ومدى ارتباطها الشديد بقيام ظهوره ورؤية طلعه الرشيدة ومن الاشارة في هذا الملحظ ان الائمة (ع) قد عقدوا مناظرات مع طوائف متعددة بخصوص علم الحروف ومعانيها واسرارها^(٤٨) ومن هنا وردت روايات متظافرة في الحث على ثواب قراءة الحروف^(٤٩) مذكورة في مظانها ولذلك تناولها العرفاء الشامخون

والسالكون هذا المنحى بكونها القطب المعتمد في هذه الصناعة ببيان اثارها النافعة بادخالها في دوائر ووافق ذات سمات خاصة لمعرفة خصوصية كل حرف من هذه الحروف وترشح منها مصطلحات واعمال خاصة من قبيل علم الرمل والطلسمات اي جمع بعض الحروف والخطوط والنقاط لاستمداد الغيب بواسطة هذه الحروف وتسليط للقوى السماوية على القوى الارضية وهو علم شهير من خلال تسخير هذه الحروف^(٥٠) للحصول على المراد بطرق خاصة ومنها قانون العزائم وتتم كيفية الاستفادة من الحروف والاعداد بطرق ثلاثة تسمى الطريقة الكتابية - الكلامية التخيلية^(٥١) لاستخراج المطالب من حروف اسماء الله تعالى بمراعاة الاحتياطات الخاصة وبناء عليه صارت الاستخارة بالحروف^(٥٢) من الطرق الدقيقة والهامة لاستمداد الغيب المجهول بقصد الحصول على المراد ومن ذلك علم الجفر بطريقة ما يسمى بالحروف المستحصلة^(٥٣) وهي عملية دقيقة وشاقة والغرض منها ايضا الحصول او الوصول الى نيل المراد والغرض المطلوب وبعد كل ما مر ذكره والغرض من هذه الاطالة نسبيا كان بهدف بيان اثبات قيمة واهمية الحروف واستقلاليتها عند المختصين بهذا الشأن لإظهار معانيها ودقة أسرارها وليس بالضرورة ان يتم التوصل الى ذلك من خلال علماء النحو واللغة فحسب وانما يتم بالرجوع الى اهل الفن والصناعة لبيان محتواها واكتناه اسرارها ومضامينها وحسبنا قد اعطينا لمحة مركزة حول موقعية الحروف واهدافها لعلها تفي بالغرض لننتقل بعدها الى المطالب التالي:

المطلب الثاني: الحروف وتداعيتها في إطار الحديث الشريف - أمثلة تطبيقية:

سيقتصر البحث في عنوان هذا المطلب على الجانب التطبيقي من معاني الحروف ذلك ان الحديث الشريف في حاجة ماسة الى الدراسات التطبيقية المتأمله التي تخوض بوعي في تراكيبه فتحللها تحليلاً دقيقاً لإبراز ما يكمن فيها من اسرار بلاغية او تشريعية وبيان ما وراء مفرداته وصيغته من دقائق ومزايا يتجلى فيها المعنى المراد والخوض في تصويره للكشف عن دقائقه ومعانيه وتوضيح ما يكتنز من إichاءات بلاغية وايماءات الى المعاني الدقيقة بالتأني والتأمل بالحروف وانعكاساتها في مفردات الحديث

الشريف بإمعان النظر في الصيغ والتراكيب وفي خصائص التعبير ومنازع التصوير ذلك ان لتراكيب الحديث الشريف خصائص وسمات يدركها المتقطن المتمرس الخبير بطرق القول والتعبير ففيها من الالماعات واللطائف والاسرار ما لا يكون لغيرها من التراكيب في كلام البشر تكمن وراء المفردات والجمل وتتنوع الاساليب في اغراض متشعبة ومقاصد متنوعة ولاريب ان للحروف وتداعيا او انعكاساتها حصة وافرة في هذا الجانب ولنتناول حديث الثقلين المتواتر كشاهد اول هنا في قوله (ص) (إني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي ابدًا وقد نبأني اللطيف الخبير أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض)^(٥٤) وقد ورد بطرق متعددة نظرا لتعدد مجالس القول فيه وبناءً عليه تتبثق منه عدة دلالات وإيحاءات توضح ما يكمن من دقة التعبير والاطلاق فيه بمستويات متعددة ولعل من أظهر تلك الدلالات المستوحاة هي الدلالة النفسية للإيحاء من خلال هذا الاهتمام المتزايد بالعترة بظهور الغيب بالتنبه بما سيجري عليهم وكأن النبي (ص) قد حذر بطريقة خفية الى رعايتهم والحفاظ عليهم وصون حقوقهم ومراعاة مقامهم بالتأكيد منه (ص) في الوصية بأهل البيت (ع) ثلاثا وفي أحد طرقه نجد (ان النبي (ص) قد نبه بأداتي التنبيه (ألا وأما) وهياً النفوس لتلقي المعاني الواردة بعدهما لأنها من المعاني المهمة التي ينبغي ان ينتبه لها الناس وان تتمكن في نفوسهم وقد تضاعفت وسائل التوكيد والتنبيه في هذا الحديث الشريف حيث بدأ (ص) بقوله: أما بعد ثم ثنى بالأداة (ألا) ثم النداء (أيها الناس) ثم أخبر بأنه بشر يخلو كما خلت الرسل من قبله ويوشك ان يأتي رسول ربه فيجيب بذلك التشويق الى معرفة ما سيخبر به (ص) ويوجه اليه ولم يقف التنبيه عند هذا الحد بل كرر (ص) الاداة (ألا) ثم أبهم الثقلين (ألا واني تارك فيكم الثقلين) واعقب بإيضاحهما: وتوحي تلك التنبيهات التي تضاعفت بعظم الامر الذي نبه اليه (ص) وشوق لمعرفته أرأيت مدى اهمية تلك المعاني التي نبه (ص) وشوق الى معرفتها وهو يهدف (ص) من وراء هذا التنبيه الى ان تتمكن تلك المعاني في نفوسهم فيشتد بذلك حرصهم على امتثالها وحسن اجابتها)^(٥٥) يضاف الى ان هذا التأكيد منه (ص) عليهم انه سيسألهم

عند الحوض عن معاملتهم مع الثقلين وانهم كيف خلفوه فيهما فلعله اراد بذلك (ص) أن (يشير بهذا الموعد والملتقى الى ان امير المؤمنين (ع) هو الساقى على هذا الحوض وهو الذي يزود المنافقين عنه وايضا لعله كان يريد الاشارة الى حديث الحوض الشريف)^(٥٦) القائل كما في الصحاح (سيرد علي اصحابي وانهم يذاون عن الحوض واقول يا رب هؤلاء اصحابي فيقول: انك لا تدري ما احدثوا من بعدك)^(٥٧) ومع كل هذه التأكيدات الناصعة منه (ص) في الوصية بالعترة لكن المؤسف ان المسلمين تعاملوا معهم بخلاف الوصية بهم وكأنه (ص) اراد العكس فنجد منهم عليهم السلام من قتل ومنهم من جزر ونحر ومن سم ومن اودع السجن وهكذا والمهم هنا انه تمت الاشارة الى بيان اهمية مجيء الحرف وكيفية تداعيه لانبثاق المعاني الكامنة فيه والسر الذي لأجله انطلق الحديث الشريف من فلق فمه (ص) بهذا التركيب وبهذا الوضع للحروف كي تتوضح الصورة ويتم المعنى ويتوارد القصد من خلال قصدية النص الشريف وما هو الا امر تعبدي بصيغة الاخبار لألقاء الحجة والزام الناس بالتبليغ المتضمن للإيضاح والخطاب المعرب عن الافصاح ولله ورسوله الحجة البالغة.

ومثال نبوي آخر يحمل من الدلالة النحوية في إطار تعدد الواجه الاعرابية ما يفصح عن تداعي الحرف او انعكاسه في تأدية المعنى بهذا الشأن ما جاء عن جابر بن عبد الله قال (كان رسول الله في سفر فرأى زحماً ورجلاً قد ظلل عليه فقال ما هذا؟ فقالوا: صائم فقال: ليس من البر الصيام في السفر)^(٥٨) فيحتمل ان (من) في الحديث تكون زائدة على ما ذهب اليه القرطبي وان تكون تبعيضية فالاحتمال الاول اذا كانت (من) زائدة فزيادتها من لتوكيد النفي^(٥٩) ويكون معنى الحديث ليس البر الصيام في السفر وهو موافق لرواية الطبري التي ذكرها ابن حجر^(٦٠) والى هذا المعنى صار الظاهرية فقالوا من سافر في رمضان ففرض عليه الفطر اذا تجاوز ميلاً بل يبطل صومه حينئذ^(٦١) وقالوا العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب لأن البر والصوم معرفان بـ(ال) فدل على انه نص في العموم واليه تشير الآية الكريمة (ومن كان مريضاً او على سفر فعدة من ايام اخر)^(٦٢) فالآية تنص على قضاء ايام المرض والسفر اما من يذهب

الى تقدير كلمة (فأفطر) فالتقدير هنا خلاف الظاهر على ان دلالاته مستفادة من خارج اطار النص واجاب المجيزون للفطر او باستحبابه بأنه قد ورد مع الحديث قرائن تبين ان النص مخصص ولهذا قال النووي (معناه اذا شق عليكم وخفتم الضر)^(٦٣) فكأنه قال ليس من البر فلا عموم في لفظ (الصوم) بل هو مخصوص بهذه الحالة فلا ينبغي حمل حديث المسألة على عمومه ويقطع عن سببه والحديث مخصص وتخصيصه عرف بقرينة السياق بعد معرفة سبب وروده^(٦٤) الاحتمال الثاني ان تكون (من) تبعيضية واليه ذهب بعض العلماء ولم يرتضه القرطبي فقال ليس بشيء^(٦٥) ويدعي الدكتور نشأت علي صحة جريان (من) التبعيضية في هذا الحديث وتكون (ال) في البر لاستغراق الصفات فيدل اللفظ على الفرد الكامل اي ليس من البر الكامل الصوم في السفر فلا يدل على ان الصائم اثم بل غاية الامر انه لم يأت بأفضل انواع البر وهو الظاهر^(٦٦) فالملاحظ هنا ان الاستفادة من الدلالات جاءت بالاتكاء على الادوات النحوية او الحروف وانعكاسها في تأدية المعنى ما عبرنا عنه بتداعي الحروف ونظير هذا المثال كذلك ما جاء في قول النبي (ص) (كل ذي ناب من السبع فأكله حرام)^(٦٧) فقد قيل انه من اضافة المصدر لمفعوله اي فما اكله حرام فقدروا المضممر (ما) المصدرية والمعنى مأكوله حرام فيكون الحديث مفسرا للآية الكريمة (وما اكل السبع الا ما ذكيتم)^(٦٨) والظاهر ان المراد تحريم اكل لحم السباع لان الاصل عدم الاضرار ما دام يصح اجراء اللفظ على ظاهره^(٦٩) فإن استفادة ذلك كان نتيجة الدلالة المنتزعة من خارج النص موافقة لظاهر الآية الشريفة في تفسير الحديث والمهم في الموضوع هنا هو التعرف الى كيفية عمل الحروف لتداعيها في تشخيص المعنى المراد. وفي مجال تقدير الحذف في باب (لا) النافية للجنس يتأول النحويون نصوصاً على أن اسم (لا) محذوف فيها وذلك عندما تدخل (لا) على اسم معرفة فيقدرون محذوفاً قبله وهذا المحذوف المقدر يشترط فيه الا يكون مما يتعرف بالإضافة نحو كلمة (مثل) فمما وقع فيه اسم (لا) معرفة قول النبي الأعظم (ص) (قضية ولا أبا حسن لها)^(٧٠) قال ابن مالك (وللنحويين في تأويل العلم المستعمل هذا الاستعمال قولان: احدهما: أنه على تقدير اضافة (مثل) إلى العلم ثم حذف (مثل) فخلفة

المضاف اليه في الاعراب والتكثير. الثاني: انه على تقدير لوحد من المسميات هذا الاسم الوجه في هذا الاستعمال ان يكون على قصد لا شيء يصدق عليه هذا الاسم كصدقه على المشهور به فضمن العلم هذا المعنى وجرّد لفظه مما ينافي ذلك^(٧١) وقد اشار سيبويه الى الوجهين من التأويل مملحاً بالأول ومصرحاً بالآخر^(٧٢) وبناء عليه فان تقدير الاسم بدخول (لا) النافية للجنس في هذا الحديث الشريف يبرز لنا المعنى المتحقق في الرواية انه لا يوجد مثل علي (ع) او مثل له في اي قضية وقد اطلق الحديث ذلك في كل المواقف والقضايا بما يعني ان الامام عليه السلام كان المتفرد يومذاك في جملة الصفات والسمات التي جعلته ان يتسّم المراتب العليا ويتبوأ المراقي النادرة واليه تشير مقولة الفراهيدي باحتياج الكل اليه واستغنائه عن الكل دليل امامته فالواقع العملي له عليه السلام يثبت ذلك وقد رجع اليه الصحابة في كثير من المواقف وفي قضائه (ع) بعد عجزهم عن الحلول وافتقارهم للصواب في ما تناقلته السنة الكتب وسطرته اروقة التاريخ والمهم هنا هو التعرف على المعنى المتبادر من استعمال الحرف وتداعيه في هذا الجانب ولنأخذ نموذجاً اخر تتعين فيه اوجه دخول الحرف لتأدية المعنى المتسق ففي قول النبي (ص) (والله في عون العبد ما كان العبد في عون اخيه)^(٧٣) قال السيوطي: قال الشيخ اكمل الدين (ما) بمعنى المدة اي مدة كون العبد في عون اخيه ويجوز ان تكون (ما) موصولة وتقديره: والله في عون العبد الذي في عون اخيه ويجوز ان تكون (كان) زائدة وتقديره: والله في عون العبد الذي كان في عون أخيه)^(٧٤) والذي يبدو والله العالم التكلف في التقدير الثاني والثالث ففيه من التقدير ما يخرج عن تركيبه ويبقى الوجه الاول فسياق الحديث يوحي به اي (مدة كون) كما تفسر (ما دام) بـ(مدة دوام) والمهم في الامر اننا تعرفنا على قضية عمل الحروف وانعكاساتها في الاستعمال الذي تمخض عن معان متعددة بما يكسب المراد من غيره وتجليه المقصود في الحديث الشريف وقد يأتي الحرف (على) بمعنى (في) كي يستظهر منه معنى معين فقد (قال رسول الله (ص) عندما سئل: اي العمل احب الى الله؟ قال: الصلاة على وقتها)^(٧٥) قال السيوطي (استعمل (على) وان كان القياس في وقتها بالنظر الى ارادة الاستعلاء على

الوقت والتمكن على ادائها في اي جزء من اجزائها مع ان حروف الجر يقوم بعضها مقام الآخر^(٧٦) ولعل ما ذكره السيوطي من نكتة استعمال (على) في الحديث هو انها جاءت بالنظر الى ارادة الاستعلاء على الوقت والتمكن من ادائها في وقتها المحدد ينفي الحاجة للقول انها جاءت بمعنى (في) برأي البعض مع انه يمكن ان يلحق من التركيب فيكون من باب جمع معنيي الحرفين في تركيب واحد لأجل التوسع في الكلام والله اعلم والمهم ملاحظة كيفية استعمال الحرف وانقداحه لمعرفة المعنى المتحقق. ولتأخذ مثالا اخر نحاول فيه معرفة كيفية عمل الحرف في تأدية المقصود ففي الحديث الشريف (انما يرحم الله من عباده الرحماء)^(٧٧) ويجوز هنا في (الرحماء) النصب والرفع اما النصب فله وجهان

١- ان تكون (ما) كافة (ان) عن العمل فلا يكون في الرحماء على هذا الا النصب لان (ان) إذا كُفِت عن العمل وقعت بعدها الجملة من الفعل والفاعل والمبتدأ والخبر ولم يبق لها عمل فتعين حينئذ ان تنصب (الرحماء) ب(يرحم) اذ لم يبق له تعلق بإن والفائدة في دخول (ما) على هذا الوجه اثبات المذكور ونفي ما عداه ومعنى ذلك ان نثبت رحمة الله للرحماء دون غيرهم

٢- والوجه الثاني ان تكون (ما) زائدة و(ان) بمعنى نعم وزيادة (ما) كثير ووقوع (ان) بمعنى نعم كثير ايضا فأن قيل: انما يجيء ذلك بعد كلام تكون (إن) جوابا له ولم يسبق ما يجاب عنه بنعم. قيل ان لم يسبق لفظا فهو سابق تقديرا فكان قائلا لرسول الله (ص): أيرحم الله من عباده من يرحم الخلق وان كان مقصرا فيما بينه وبين الله؟ فقال نعم وهذا مما يجوز ان يسأل عنه لان تقصيره فيما بينه وبين الله ربما اوهم انه لا يحى برحمته للخلق وعلى هذا الوجه ايضا لا يجوز في الرحماء غير النصب. واما الرفع فجائز جوازاً حسناً وفيه عدة اوجه: احدها: ان تكون (ما) بمعنى الذي والعائد اليها محذوف والرحماء خبر (ان) والتقدير: ان الفريق الذي يرحمه الله من عباده الرحماء فان قيل يلزم من ذلك ان تكون (ما) ههنا لمن يعقل ففيه جوابان احدهما: ان (ما) قد استعملت بمعنى (من) وهو كثير في القران والثاني ان (ما) تقع بمعنى الذي بلا خلاف و(الذي) تستعمل فيمن يعقل وفيما لا يعقل وانما تعرف ذلك بما يتصل بها فإن

اتصل بها ما يدل على أنها لمن يعقل حملت عليه وامن دل على انها لما لا يعقل حملت عليه وكذلك في (ما) لا سيما اذا اتصل بها ما تصير به وصفا وانما تقترق ما والذي في ان (الذي) توصف بلفظها و(ما) لا توصف بلفظها فان قيل كيف يصح هذا والرحماء جمع و(ما) بمعنى الذي مفردة والمفرد لا يخبر عنه بالجمع قيل (ما) يجوز ان يخبر عنها بلفظ المفرد تارة وبلفظ الجمع اخرى ولا خلاف في ذلك واما الذي فقد استعملت مفردة للجنس الوجه الثاني من وجوه (ما) التي يجوز معها رفع (الرحماء) ان تكون (ما) نكرة موصوفة في موضع فريق او قبيل و(يرحم) وصف لها و(الرحماء) الخبر والعائد من الصفة الى الموصوف محذوف تقديره ان فريقاً يرحمه الله الرحماء .. والوجه الثالث ان تكون (ما) مصدرية وفي تصحيح الاخبار عنها بالرحماء ثلاثة اوجه احدها ان يكون المصدر هنا بمعنى المفعول تقديره ان مرحوم الله من عباده الرحماء والوجه الثاني ان المضاف الى المصدر او الى الخبر محذوف فيجوز ان يكون التقدير ان ذوي رحمة الله من عباده الرحماء اي المستحقون لها ويجوز ان يكون التقدير ان رحمة الله حق الرحماء والوجه الثالث الا تقدر حذف مضاف غير انك تجعل الرحماء هم الرحمة على المبالغة كما قالوا رجل عدل ورجل علم ورجل زور اذاكثر ذلك منهم^(٧٨) وفي سياق عمل الحروف ايضا لتجليه المقصود ما جاء في الحديث الشريف قوله (ص) (من اطاعني فقد اطاع الله ومن يعصيني فقد عصى الله تعالى) ففيه وجهان احدهما ان تجعل (من) بمعنى الذي فلا تجزم ان الذي يطيعني يطيع الله فالماضي بمعنى المستقبل والوجه الثاني ان تكون شرطية ولكنه اثبت الياء في (يعصيني) اما للشباع او إما قدر الحركة على الياء وحذفها بالجازم فبقيت الياء لاحتكاكها عليها مقدرة واما (من) التي في باقي الحديث فشرطية^(٧٩) ولعل سر مجيء الحرف في الدعوة الى تهئية النفوس لتلقي الامر والاستعداد للتدبر فيه ما يخلق معه نوعا من التشويق للمبادرة ومثاله دخول حرف الاستفهام في الحديث الشريف بقصد تنبيه المخاطبين وتهيئتهم لتلقي المعاني المذكورة فعندما يكرر النبي (ص) (الا انبئكم بأكبر الكبائر) ثلاثا تنتبه الاذهان وتتطلع النفوس وتشتاق الى معرفة اكبر الكبائر فاذا ما اخبر بها (ص) بعد ذلك وقال: الاشراك بالله

وعقوق الوالدين وقول الزور وشهادة الزور ترسخت هذه المعاني في النفوس التي هيئت لتلقيها وتشوقت لمعرفتها كما تعود المبالغة في التحذير من قول الزور وشهادته الى تكرار النبي (ص) للإخبار بهما فظل يكرر هذه العبارة (الا وقول الزور وشهادة الزور) وذلك راجع الى (تصدير الاخبار عنهما بأداة التنبيه (ألا) دون الخبرين السابقين (الإشراك بالله وعقوق الوالدين) فهي حرف استفتاح يؤتى به لتنبيه المخاطب من غفلته حتى يتجه لسماع ما يلقي فيقر في قلبه ولذا لا يؤتى بها الا في الامور المهمة^(٨٠) والحق ان المبالغة في التحذير من قول الزور وشهادة الزور لا تعني التهوين من شأن الإشراك بالله وعقوق الوالدين كون تلك المبالغة قد اقتضتها غفلة الناس عن خطر قول وشهادة الزور لذا اقتضى المقام الاهتمام بذلك (كون قول الزور وشهادة الزور اسهل وقوعا على الناس والتهاون بها اكثر فأن الإشراك ينبو عنه قلب المسلم والعقوق يصرف عنه الطبع واما الزور فالحوامل عليه كثيرة كالعداوة والحسد وغيرها فاحتيج الى الاهتمام بتعظيمه وليس ذلك لعظمتها اي لعظم شهادة الزور بالنسبة الى ما ذكر معها من الإشراك والعقوق قطعاً)^(٨١) وفي السياق ذاته يأتي عنصر التشويق باستخدام ادوات او حروف التنبيه لترسيخ المعاني في النفوس وتركيز المراد لدى المخاطب ففي الخطاب الذي القاه الرسول الكرم (ص) في حجة الوداع واراد منه التأكيد على حرمة الدماء والاموال والاعراض فقد جاءت فيه الاستفهامات التي كان يسكت (ص) بعد كل استفهام منها ومنه قوله (ص) اي شهر هذا؟ ليس ذا الحجة؟ اي بلد هذا؟ ليس البلد الحرام؟ فأى يوم هذا؟ ليس يوم النحر؟ حتى اخذ المسلمون يتطلعون بعد هذه الاستفهامات الى ما يريد ان يخبر به (ص) وتشوقوا الى معرفته وعندئذ قال (ص) فإن دماءكم واموالكم واعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا وقد اراد (ص) من ذلك ان (تقر هذه المعاني في وجدانهم وان يؤكد تحريمها حتى لا يكون عدواناً على الدماء والاعراض والاموال ولذا قدم لها بالتنبيه والتهيئة والتشويق بتلك الاستفهامات ثم اعقبها بمزيد من التحذير والتخويف والردع)^(٨٢) بقوله (ص) وستلقون ربكم فيسألکم عن اعمالکم الا فلا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض الا ليلبغ الشاهد الغائب فلعل

بعض من يبلغه ان يكون اوعى له من بعض من سمعه الا هل بلغت؟ فقالوا جميعا نعم فقال (ص) اللهم اشهد. ويكون بذلك انه (ص) ينبههم الى لقاء ربهم وسؤاله اياهم عن اعمالهم ويحذرهم من الارتداد الى الكفر من بعده يضرب بعضهم رقاب بعض ويأمرهم ان يبلغ الشاهد منهم الغائب ويقررهم الا هل بلغت؟ فيقولون بانه (ص) قد بلغ فيشهد الله على ذلك وقد (استخدم (ص) اداة التنبيه (الا) وكررها مع هذه المعاني (فلا ترجعوا).. ألا هل بلغت ليلفت الى عظم هذه الامور ولينبه ويوقظ حتى تقر هذه المعاني في الوجدان فيحذروها ويكونوا عنها بمنأى ومعزل^(٨٣) وكفى بذلك موعظة وأعظم به من زاجر يستوجب أن يفعل فعله في النفوس ويقر قراره في الوجدان لا جل حمله على التلقي وشحن الهمم بترويضها على تقرير ما يراد: وشاهد اخر وفيه نلمح كيفية انقذاح الحروف بقصد توجيه المعنى فقد جاء في حديث النبي (ص) (ان الزمان قد استدار كهيأته يوم خلق الله السماوات والارض)^(٨٤) فقد قيل ان (قوله (كهيأته) صفة مصدر محذوف اي استدار استدارة مثل حالته يوم خلق الله السماوات والارض)^(٨٥) وليس هذا المذكور هو الوجه الوحيد اذ يذكر النحويون وجها اخر في امثال هذا التركيب وهو ان تكون الكاف حالا من ضمير المصدر ولا يخلو من تقدير وتأويل ولا بد من ان يكون للسياق نصيب في ترجيح احدهما وسياق الحديث يشير الى بيان هيئة الزمان وحالته وانه قد (عاد كهيئته وحالته يوم خلق الله السماوات والارض لذا نقول: إن إعراب (كهيئته) على الحالية اولى من كونه صفة لمصدر محذوف)^(٨٦) وهو الاوفق والانسب لجو الحديث الشريف والحق ان عمل الحرف وانعكاسه هنا هو الذي جعل التوجه للمقصود بنحو الترجيح ونموذج اخر وفيه يتوسع النحويون بالإشارة الى عمل (ثم) والالوجه الاعرابية الواردة فيها للاسترشاد الى المعنى المتحقق ومن ذلك قول النبي (ص) (لا يبولن احدكم في الماء الدائم الذي لا يجري ثم يغتسل فيه)^(٨٧) قال ابن مالك (يجوز في (ثم يغتسل)، الجزم عطفًا على (يبولن) لأنه مجزوم الموضع بـ(لا) التي للنهي ولكنه بني على الفتح لتوكيده بالنون ويجوز فيه الرفع على تقدير: ثم هو يغتسل فيه ويجوز فيه النصب على اضمار (ان) واعطاء (ثم) حكم واو الجمع)^(٨٨) وقال ابن هشام: اجري الكوفيون

(ثم) مجرى الفاء والواو في جواز نصب المضارع المقرون بها بعد فعل الشرط واجراها ابن مالك مجراها بعد الطلب فأجاز في قوله (ص) : لا يبولنّ احدكم في الماء الذي لا يجري ثم يغتسل فيه. ثلاثة اوجه: الرفع بتقدير: ثم هو يغتسل وبه جاءت الرواية والجزم بالعطف على موضع فعل النهي والنصب قال بإعطاء (ثم) حكم واو الجمع فتوهم تلميذه الامام ابو زكريا النووي رحمه الله ان المراد اعطاؤها حكمها في افادة معنى الجمع فقال لا يجوز النصب لأنه يقتضي ان المنهي عنه الجمع بينهما دون افراد احدهما وهذا لم يقله احد بل البول منهي عنه سواء اراد الاغتسال فيه او منه أم لا وانما اراد ابن مالك اعطاء حكمها في النصب لا في المعية ايضا ثم ما اورده انما جاء من قبل المفهوم لا المنطوق وقد قام دليل اخر على عدم ارادته واذا لم تثبت رواية النصب فما حاجتنا الى هذا التقدير الذي يوقعنا في اللبس الذي قد تترتب عليه احكام شرعية^(٨٩) ومن الاشارة الى ان منزع هذا الاختلاف في الاحكام الشرعية نابع من اختلاف العلماء كذلك في قوله (ص) (لا يجري) فقد ذهب البعض الى انه صفة مخصوصة او موضوعة ل(الدائم) فان الدائم من الدوام، والدوام الدوار الذي يعرض في الرأس ومنه (دوم بي في اسماء) اي ادار بي في الجو^(٩٠) وذكر ابن الانباري ان (الدائم) من الاضداد فانه يقال للساكن دائم وللمتحرك الدائر^(٩١) ويكون المعنى حينئذ النهي عن البول في الماء الدائر الذي لا يجري فيكون بعضه يجري مع بعض كما هو معلوم من صفة الدائر ويشمل النهي على هذا التوجيه البول في البرك وان كانت كبيرة^(٩٢) وذهب البعض الاخر من العلماء الى ان قوله (ص) (الذي لا يجري) صفة مؤكدة فان الدائم هو الساكن^(٩٣) وقال ابن نثير: (هو الراكذ الساكن)^(٩٤) فالدائم هو الثابت الواقف الذي لا يجري ولهذا قال ابن دقيق العيد (وقوله: الذي لا يجري تأييد لمعنى الدائم)^(٩٥) وفي كل الاحوال فان الحديث الشريف يحمل من تعدد الدلالات كونها ناشئة من انعكاسات الحروف اثر تداعيها ما انعكس على الحكم الشرعي ومن ذلك قوله (ص) (يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه اغض للبصر واحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء)^(٩٦) فقد قيل ان (الباء زائدة في المبتدأ ومعناه: الخبر لا الامر اي والا

فعلية الصوم^(٩٧) ويمكن حمل الحديث على ان الباء للاستعانة وليست زائدة فيكون معنى الحديث ان (من لم يستطع الزواج فعليه ان يستعين بالصوم وكأنه جعل الصوم كآلة التي يستعان بها على قضاء الحاجات على نحو: كتبت بالقلم وفي الحديث تضمنت لفظة (عليه) الفعل (ليلزم) اي: ليلتزم بالصوم)^(٩٨) ومن هذا نستشعر ان هذا الانزياح من خلال انعكاس الحرف لتأدية المعنى في اطار الحديث الشريف جاء ضمن تداعيه لأداء الدلالة المترشحة من ذلك. ومن طريف ما يذكر وما يصب في خانة العجب ما رووه في الحديث المزعوم: نحن معاشر الانبياء لا نورث (ما تركناه صدقة)^(٩٩) ومن الواضح الاكيد ان هذا المروي انفرد بروايته ابو بكر فقط وعنه اخذه اوس بن ملك وبالتالي فهو من الاخبار الاحاد التي تطرق اليها الاحتمال وما تطرق اليه الاحتمال سقط به الاستدلال كونه اولاً يتعارض مع عمومات آيات القرآن الكريم القائلة بالميراث بلا استثناء من نبي او غيره وهو المتبادر لغة وواقعاً من مفهوم الميراث لتعلقه بالناحية المادية وعليه تبنتي مواضع الناس عادة ما دعى عم النبي (ص) العباس للمطالبة بميراثه من الرسول (ص) على ما رواه المؤرخون وبه استدلت السيدة الزهراء (ع) في خطبتها القاصعة الشهيرة بالاحتجاج على ابي بكر وفي محضر الانصار بهذا الخصوص اما الدعوى القائلة على لسانه (ص) :نحن ورثنا العلم والحكمة^(١٠٠) المزعومة فلا دليل عليها بالمطلق بل مما تضحك التكلية فمن ذا الذي يصدق بهذا الشيء وهل سمعنا يوماً ان العلم والحكمة تورث؟ اللهم الا ان يقول بهذا جاهل لا يفقه من العلم قيد انملة وليس له نصيب من الفهم والمعرفة ومع كل ذلك يمكن مناقشة هذا المروي والاشكال فيه (فمن جعل (ما) الموصولة مبتدأ و(صدقة) خبره كان معناه ان كل ما تركه النبي (ص) لا يورث ومن جعل (ما) مفعولاً به او نائب فاعل لـ(يورث) بالياء لا بالنون و(صدقة) حال فعلى ان الكلام كله جملة واحدة ومعناه انه لا يورث ما تركه على سبيل الصدقة واما غيره من مال رسول الله (ص) فيورث)^(١٠١) ذلك ان ما تصدق به (ص) في حياته خارج تخصيصاً من الميراث لعدم شموله اياه لعنوان الصدقة الحاجبة للميراث اما ما عداه فيورث من كل تركاته المادية وهذا ما فهمه المسلمون والصحابه الاقتحاح

واستفاده اللغويون والفقهاء والمحدثون اما عداه فلا يؤخذ بنظر الاعتبار او يعتد به كونه معارضا للقرآن والسنة والاعراف ومواضع الناس المتعارفة وسوف نكتفي بهذا المثال لنختم البحث والا فالشواهد والامثلة كثيرة جدا المتعلقة باستعمالات الحروف وانعكاساتها او تداعيها في اطار الحديث الشريف لبيان المعنى المقصود.

خاتمة البحث:

بظهور الابحاث اللسانية والمعرفية الحديثة التي تركز على قصد المتكلم وعلى اليات جديدة لتحليل الخطاب بات الرجوع الى مقاصد الدراسات النحوية واللغوية ملحا في التحليل والتفسير تفسيراً علمياً صحيحاً وموضوعياً وهذه المقاصد نابعة من الاستعمال اللغوي التداولي وقد اشار اليها النحاة كثيراً في مباحثهم وتحليلاتهم وهي مبنوثة في ابواب نحوية متنوعة كونها ترشد نقاد الحديث الى مقاصدها في الاشتقاق والابنية ومواضع الكلام الذي يرومه الحديث وطرق التواصل في مخاطبة الناس فاتسم امدادها بإسهامات اشار اليها البحث لذا احتلت العناية بدراسة الحروف جزءاً من اهتمام علماء اللغة لانهم وجدوا ان للأدوات في اللغة العربية اهمية كبيرة ففيها تفهم الاساليب ويدرك ما في اللغة من روعة وجمال وربما يكون كشف اسرار الاساليب المتعددة هو سر اهتمامهم بدراستها وتعدد اساليبها الباعث على افادة الادوات هذه من معانٍ متعددة عند وضعها في تراكيب لغوية مختلفة ففصلوا القول في مبانيها ومعانيها وتباينت مناهجهم ازاء دراسة هذه الادوات فيما خصص الاخر منهم دراسات موسعة فصلت القول فيها بالإشارة الى ان قسماً منها مشترك مع حروف المعاني مبنى ومعنى وجدير ذكره ان النص الحديثي لا شك يزخر بسلسلة من الدلالات السياقية والتداولية والحجاجية اقناعاً وتأثيراً فضلاً عن كونه يحمل وظائف سياقية متنوعة نصية كانت ام داخلية ام مقامية خارجية وينبغي ان يكون ضابط الاعراب هو اول مقصد لغوي امدادي في تقويم منهج المحدثين وتحسينه في صياغة المعاني على الحقيقة التي يفهم بها الخطاب ونحو ذلك وقد تكفل البحث ببيان كل تلك المقاربات بما هو مبنوثة في غضون الله ولي القصد.

هوامش البحث:

- (١) ينظر: محمد خطابي: لسانيات النص ص١٦، مارغوت هانيمات: اسس لسانيات النص ص١٣
- (٢) ينظر: الصبيحي محمد الاخضر: مدخل الى علم النص ص٦٩
- (٣) ينظر: سعيد بحيري: علم لغة النص ص١٠٨
- (٤) ينظر: حسين خمري: نظرية النص ص٢٢٧
- (٥) ابن فارس: الصاحبى في فقه اللغة ص١٢٥
- (٦) الشوكاني: ارشاد الفحول ص٢٨٠
- (٧) احمد كروم: مقاصد اللغة واثراها في فهم الخطاب الشرعي ص٢٦٧
- (٨) ينظر: المرجع نفسه والصفحة
- (٩) ينظر عمر ابو خرمة: نحو النص ص٨٠
- (١٠) ينظر: اشرف عبد البديع: الدرس النحوي النصي في كتب اعجاز القران ص٣٢
- (١١) ينظر الصبيحي: مدخل الى علم النص ص٣٦
- (١٢) ينظر: محمد خطابي: لسانيات النص ص٩٩
- (١٣) اميل بديع يعقوب: المعجم المفصل في اللغة والادب ١/٤٦٣
- (١٤) احمد كروم: الاستدلال في معاني الحروف ص٥
- (١٥) السيرافي: اخبار النحويين البصريين ص٤٢
- (١٦) الباقلاني: التمهيد ص١٧٧
- (١٧) ينظر: عالم سبيط اللغة الموحدة ص٣٧٢
- (١٨) الفهدي فلاح ابراهيم: التأويل النحوي في الحديث الشريف ص٨
- (١٩) ابن جني: الخصائص ٣/٣١٣
- (٢٠) ينظر ابن منظور لسان العرب ٥/٩٧، ابن فارس معجم مقاييس اللغة ص٢٧١ الزمخشري: اساس البلاغة ١٩٦
- (٢١) الحج / ١١
- (٢٢) النساء / ٤٦

- (٢٣) ينظر: احمد زرقة: اسرار الحروف ص١٢
- (٢٤) ابن السكيت: ثلاثة كتب في الحروف مقدمة المحقق رمضان عبد التواب
- (٢٥) ابن يعيش: شرح المفصل ٨/٢
- (٢٦) ينظر: السيوطي، بغية الوعاة ٣٢/١، ابن هشام: شرح اللحة البدرية ٢١٤/١
- (٢٧) القفطي: انباه الرواة ٥/٤ ابن الانباري .. نزهة الالباء ص٤، السيوطي: الاشباه والنظائر ٧/١، الحموي ياقوت: معجم الادباء ٤٨/١٤، الامالي الزجاجي ص٢٣٨
- (٢٨) الاحمر خلف: مقدمة في النحو ص٣٥
- (٢٩) سيبويه: الكتاب ٤٩/١
- (٣٠) ابن فارس: الصاحب ص٨٦
- (٣١) ينظر: شرح المفصل ٨/٣
- (٣٢) ينظر الزجاجي: كتاب اللامات ص٥٥
- (٣٣) ينظر: الاخوند الخراساني: كفاية الأصول ١٥/١
- (٣٤) ينظر: البجنوردي: منتهى الاصول ٤٢/١
- (٣٥) الفارابي: الالفاظ المستعملة في المنطق ص٤٢
- (٣٦) احمد كروم: الاستدلال في معاني الحروف ص٤٨
- (٣٧) ينظر: طه عبد الرحمن: اللسان والميزان او التكوثر العقلي ص٣٠٤ - ٣٠٧
- (٣٨) ينظر: جمال الدين مصطفى: البحث النحوي عند الاصوليين ص١٠٨
- (٣٩) ينظر: النحاس مصطفى: دراسات في الادوات النحوية ص٢٤
- (٤٠) ينظر: المرجع نفسه ص٢٦
- (٤١) ينظر: الصدر محمد باقر: بحوث في علم الاصول ٢٥٢/١
- (٤٢) علي بو صخر: اسرار الحروف والاعداد ص٩
- (٤٣) المرجع نفسه والصفحة.
- (٤٤) حسن طلب: بحث حول: رمزية الحروف دينيا وجماليا، مجلة فصول العدد(٣) ص٤٢

- (٤٥) الصدوق: الامالي ص ٣٩٥، معاني الاخبار ص ٤٦، الخصال ٣٣١/١
- (٤٦) المجلسي: بحار الانوار ٣٢٠/٢
- (٤٧) ينظر: علي بو صخر: اسرار الحروف والاعداد ص ٢٥ وما بعدها، المقدم محمد تقي: خزنة الاسرار في الختوم والانكار ٥٣٣/٢ وما بعدها
- (٤٨) ينظر: المرجعين المتقدمين
- (٤٩) ينظر: المجلسي: بحار الانوار ٢٧/٨٩
- (٥٠) ينظر: المقدم: خزنة الاسرار ٤٧٧/١
- (٥١) ينظر: علي بو صخر: اسرار الحروف والاعداد ص ٦٧
- (٥٢) ينظر: الافشاري حبيب: جامع الفوائد في اسرار المقاصد ص ٢٦ وما بعدها
- (٥٣) ينظر: الافشاري حبيب: العلوم الغريبة ص ١٩١ وما بعدها
- (٥٤) اخرجه مسلم في صحيحه ٣٦٢/٢ وغيره الكثير من صحاح وسنن ومسانيد المسلمين.
- ينظر العلوي عادل: في رحاب حديث الثقلين ص ٨ وما بعدها لمعرفة مصادر الحديث وقد اوصلها الى مئة واثنين وتسعين مصدرا، كذا الميلاني: خلاصة عبقات الانوار ١٧/١
- (٥٥) بسبوني بعد الفتاح: التشويق في الحديث النبوي ص ٦٨
- (٥٦) الميلاني: حديث الثقلين ص ٣٤
- (٥٧) البخاري: الصحيح ٢٠٦/٧ ، مسلم: الصحيح ١٥٠/١ ، ٦٦/٧
- (٥٨) النووي: شرح صحيح مسلم ٢٢٩/٧
- (٥٩) ينظر: القرطبي : المفهم ١٨١/٣
- (٦٠) ينظر: ابن حجر: فتح الباري ٢٣٥/٤
- (٦١) ينظر: ابن حزم: المحلى ٣٨٤/٤
- (٦٢) البقرة / ١٨٥
- (٦٣) النووي : شرح صحيح مسلم ٤٥٣/٤
- (٦٤) ينظر: الدمشقي ابن حمزة: البيان والتعريف في اسباب ورود الحديث الشريف ١٠٣/٣

- (٦٥) ينظر: القرطبي: المفهم ١٨١/٣
- (٦٦) ينظر: نشأت علي: التوجيه النحوي واثره في دلالة الحديث الشريف ص ١١٠
- (٦٧) مسلم: الصحيح ٦٠/٦
- (٦٨) المائدة ٣/
- (٦٩) ينظر: التلمساني: مفتاح الوصول الى بناء الفروع على الاصول ص ٦٣
- (٧٠) الفهدي: التأويل النحوي ص ١١٢
- (٧١) ابن مالك: شرح الكافية الشافية ٢٣٥/١
- (٧٢) سيويه: الكتاب ٣٠٨/٢
- (٧٣) الطبراني المعجم الاوسط ١٨/٦
- (٧٤) السيوطي: عقود الزبرجد ٢٨٨/٢
- (٧٥) احمد ابن حنبل: المسند ٤٠٥/١
- (٧٦) السيوطي: عقود الزبرجد ٢٣٠/١
- (٧٧) مسلم ٢٨٧/١
- (٧٨) ينظر: العكبري: اعراب الحديث النبوي ص ٦٣ وما بعدها
- (٧٩) ينظر: المصدر نفسه. ص ٢٦٤
- (٨٠) بسويني عبد الفتاح: التشويق في الحديث النبوي ص ٢٧
- (٨١) ابن حجر: فتح الباري ٢٦٣/٥
- (٨٢) بسويني: المرجع السابق ص ٣٢
- (٨٣) المرجع نفسه والصفحة.
- (٨٤) ابن حبان : صحيح ابن حبان ٣١٤/١٣
- (٨٥) ينظر: ابن حجر: فتح الباري ٣٢٥/٨
- (٨٦) الفهدي: التأويل النحوي ص ١٤٠
- (٨٧) البخاري: الصحيح ٦٩/١

- (٨٨) ابن مالك: شواهد التوضيح ص ٢٤٣
(٨٩) ابن هشام: مغني اللبيب ١/١٦١
(٩٠) ابن الاثير: النهاية في غريب الحديث والاثر ٢/١٤٢
(٩١) ابن الانباري: الاضداد ص ٨٣
(٩٢) ينظر: ابن حجر: فتح الباري ١/٤٥١
(٩٣) الجوهرى: الصحاح ٥/٩٢٢
(٩٤) ابن الاثير: النهاية في غريب الحديث والاثر ٢/١٤٢
(٩٥) ابن دقيق العيد: احكام الاحكام شرح عمدة الاحكام ١/١١٧
(٩٦) البخاري: الصحيح ٧/٣
(٩٧) السيوطي: عقود السبرجد ١/٢٣٦
(٩٨) النهدي: التأويل النحوي ص ٢٩٧
(٩٩) البخاري: الصحيح ٤/٩٦ السيوطي: عقود الزبرجد ١/٣٠٢ ، العكبري: اعراب الحديث النبوي ص ٩١- ابن مالك: شواهد التوضيح ص ١٥٢
(١٠٠) ينظر: الرازي اسئلة القرآن المجيد واجوبتها ص ٧٦
(١٠١) ينظر: السيوطي: عقود الزبرجد ١/٣٠٢ ، سلمان القضاة: القضايا النحوية ص ٦٢

المصادر والمراجع:

-القرآن الكريم.

- ١- احمد كروم: مقاصد اللغة واثرها في فهم الخطاب الشرعي، دار كنوز المعرفة، عمان -ط- ٢٠١٥م
- الاستدلال في معاني الحروف، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١- ٢٠٠٩م
- ٢- احمد زرقه: اسرار الحروف، دار الحصاد، دمشق، ط١- ١٩٩٣
- ٣- الاحمر خلف: مقدمة في النحو، وزارة الثقافة والارشاد - دمشق - ١٩٦١م
- ٤- احمد بن حنبل: المسند، تحقيق احمد محمد شاكر، دار المعارف-مصر-١٣٧٥هـ

- ٥- ابن الاثير مجد الدين المبارك، النهاية في غريب الحديث والاثر. دار اجياء الكتب العربية- عيسى البابي الحلبي- ١٣٨٣هـ
- ٦- اشرف عبد البديع: الدرس النحوي النصي في كتب اعجاز القرآن، مكتبة الاداب- القاهرة- ط١- ٢٠٠٨م
- ٧- الافشاري حبيب: جامع الفوائد في اسرار المقاصد، مط بهمن، قم، ط١- ٢٠٠٥م
- العلوم الغريبة: مؤسسة البلاغ-بيروت- ط٢- ٢٠٠٥م
- ٨- اميل بديع+ميشيل عاصي: المعجم المفصل في اللغة والأدب- دار العلم للملايين- بيروت - ط١ - ١٩٨٧م
- ٩- ابن الانباري: محمد بن القاسم-نزهة الالباء في طبقات الادباء- مطبعة المدني-القاهرة-١٩٦٧م
- الاضداد-سلسلة التراث العربي - ٢ طبع الكويت- ١٩٦٠م
- ١٠- الباقلاني ابو بكر التمهيد، مؤسسة الكتب الثقافية، ط١- ١٤٠٧هـ
- ١١- بحيري سعيد: علم لغة النص، مؤسسة المختار، القاهرة - ط١- ١٤٢٤هـ
- ١٢- البنجوردي حسن: منتهى الاصول-مطبعة الاداب- النجف - ١٣٧٩هـ
- ١٣- بو صخر علي: اسرار الحروف والاعداد، دار الغدير، قم- ط١- ٢٠٠٣م
- ١٤- البخاري محمد بن اسماعيل: الصحيح، اعداد محمد المختار- القاهرة- ط١- ١٤٢٨هـ
- ١٥- بسبوني عبد الفتاح: التشويق في الحديث النبوي: مؤسسة المختار-القاهرة، ط١- ٢٠١٩م
- ١٦- التلمساني محمد بن احمد: مفتاح الوصول الى بناء الفروع على الاصول، دار الكتب العلمية-بيروت- ١٩٨٣م
- ١٧- جمال الدين مصطفى: البحث النحوي عند الاصوليين مشورات وزارة الثقافة والاعلام، العراق، ١٩٨٠م
- ١٨- ابن جني الخصائص - مطبعة دار الكتب المصرية- ط٢- ١٣٧١هـ
- ١٩- الجوهري اسماعيل بن حماد: الصحاح، تحقيق احمد عبد الغفور ،نشر حسن شربتلي.. مطابع دار الكتاب العربي بمصر.
- ٢٠- ابن حبان صحيح ابن حبان، تحقيق شيب الارناؤوط- بيروت ط٢، ١٤١٤هـ
- ٢١- ابن حجر شهاب الدين: فتح الباري-مطبعة مصطفى البابي الحلبي - ط١- ١٣٧٨هـ
- ٢٢- حسن طلب: رمزية الحروف دينيا وجماليا، مجلة فصول، المجلد (١٢)، العدد (٣) - ١٩٩٣م
- ٢٣- ابن حزم: المحلى بالاثار تحقيق عبد الغفار البنداري، دار الكتب العلمية، بيروت- ١٤٠٨هـ

- ٢٤- الحموي ياقوت: معجم الادباء، مطبعة هندية بمصر، ط٢- ١٩٢٣م
- ٢٥- الخراساني الاخوند: كفاية الاصول- مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، ١٤٢٧هـ
- ٢٦- ابو خرمة عمر: نحو النص، عالم الكتب الحديث، اريد، ط١- ١٤٢٥هـ
- ٢٧- خطابي محمد: لسانيات النص، المركز الثقافي العربي- المغرب، ط٢- ٢٠٠٦م
- ٢٨- خمري حسين: نظرية النص، الدار العربية للعلوم، الجزائر، ط١- ١٤٢٨هـ
- ٢٩- ابن دقيق العيد: إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام- مؤسسة الرسالة- بيروت، ط١- ١٤٢٦هـ
- ٣٠- الدمشقي ابن حمزة: البيان والتعريف في اسباب ورود الحديث الشريف، المكتبة العلمية- بيروت- ط١- ١٤٠٢هـ
- ٣١- الرازي ابو بكر اسئلة القرآن المجيد واجوبتها، مكتبة فياض مصر- ط١- ١٤٣٤هـ
- ٣٢- الزمخشري جار الله: اساس البلاغة، دار مطابع الشعب- القاهرة - ١٩٦٠م
- ٣٣- الزجاجي عبد الرحمن ابن اسحاق امالي الزجاجي - مطبعة المدني - القاهرة - ١٣٨٢هـ
- كتاب اللامات. المجمع العلمي العربي- دمشق - ١٣٨٩هـ
- ٣٤- السيرافي الحسن بن عبد الله: اخبار النحويين البصريين، دار الاعتصام- القاهرة. ١٩٨٥م
- ٣٥- سلمان القضاة: القضايا النحوية في مخطوطات وكتب اعراب الحديث النبوي: دار الكتاب الثقافي- الاردن- ٢٠٠٦م
- ٣٦- سيبويه عمرو بن عثمان: كتاب سيبويه، الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة، ١٩٧٥م
- ٣٧- ابن السكيت ثلاثة كتب في الحروف تحقيق رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٩٨٢م
- ٣٨- السيوطي جلال الدين: بغية الوعاة، مطبعة عيسى البابي الحلبي- القاهرة- ١٩٦٤م
- الاشباه والنظائر في النحو، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر اباد الدكن- ١٣٥٩هـ
- عقود الزبرجد، تحقيق احمد عبد الفتاح وسمير حسين- بيروت - ١٩٨٧م
- ٣٩- الشوكاني محمد بن علي: ارشاد الفحول، مطبعة مصطفى البابي الحلبي- مصر- ١٣٥٦هـ
- ٤٠- الصبيحي محمد الاخضر: مدخل الى علم النص، الدار العربية للعلوم، الجزائر، ط١، ١٤٢٩هـ
- ٤١- الصدر محمد باقر: بحوث في علم الاصول، دار الكتاب اللبناني- بيروت، ط٢، ١٤٠٦هـ
- ٤٢- الصدوق محمد بن علي: امالي الصدوق، منشورات مؤسسة الاعلمي- بيروت، ط١- ١٤٠٠هـ
- معاني الاخبار مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم- ١٤١٨هـ

- الخصال: منشورات جامعة المدرسين- قم - ١٣٦٢هـ ش
- ٤٣- طه عبد الرحمن: اللسان والميزان او التكوثر العقلي - المركز الثقافي العربي - بيروت - ١٩٩٨م
- ٤٤- الطبراني: المعجم الأوسط تحقيق قسم التحقيق بدار الحرمين، دار الحرمين للطباعة والنشر - ١٤١٥هـ
- ٤٥- العلوي عادل: في رحاب حديث الثقلين، مطبعة النهضة، قم ، ط١ - ١٤٢٣هـ
- ٤٦- العكبري عبد الله بن الحسين: اعراب الحديث النبوي ، دار الفكر ، دمشق، ط٤ - ٢٠١٤م
- ٤٧- الفارابي ابو نصر: الالفاظ المستعملة في المنطق، تحقيق محسن مهدي، دار المشرق - بيروت
- ٤٨- ابن فارس احمد بن فارس معجم مقاييس اللغة مطبعة مصطفى البابي الحلبي - القاهرة - ١٩٧١م
- الصحابي في فقه اللغة - مؤسسة بدران للطباعة والنشر - بيروت - ١٩٦٤م
- ٤٩- الفهدي فلاح ابراهيم: التأويل النحوي في الحديث الشريف، دار النوادر، لبنان، ط١ - ٢٠١٢م
- ٥٠- القرطبي احمد بن عمر: المفهم لما اشكل من تلخيص كتاب مسلم- دار ابن كثير - دمشق ، ط٢ - ١٤٢٠هـ
- ٥١- القفطي علي بن يوسف: انباه الرواة- مطبعة دار الكتب المصرية- القاهرة- ١٣٦٩هـ
- ٥٢- مارغوت هانيمات: اسس لسانيات النص، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط١ - ٢٠٠٦م
- ٥٣- المجلسي محمد باقر: بحار الانوار، دار احياء التراث العربي - بيروت، ط٢ - ١٤٠٣هـ
- ٥٤- ابن مالك جمال الدين: شواخذ التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح - دار افاق عربية - وزارة الاوقاف - العراق - ١٩٨٥م
- شرح الكافية الشافية، دار المأمون للتراث- مكة المكرمة، ط١، ١٤٠٢هـ
- ٥٥- المقدم محمد تقي: خزانة الاسرار في الختوم والانكار - مطبعة سليمان زادة، قم، ط٦ - ١٤٢٧هـ
- ٥٦- الميلاني علي: خلاصة عبقات الانوار، مجمع البحوث الاسلامية- بيروت- ١٤١٥هـ
- حديث الثقلين: مركز الابحاث العقائدية، قم - ط١ - ١٤٢١هـ
- ٥٧- ابن منظور جمال الدين: لسان العرب، تقديم عبد الله العلايلي، نشر دار لسان العرب- بيروت
- ٥٨- النحاس مصطفى: دراسات في الادوات النحوية، شركة الربيعان، الكويت، ط٢ - ١٩٨٦م
- ٥٩- نشأت علي: التوجيه النحوي واثره في دلالة الحديث الشريف، المكتبة العصرية، بيروت - ط١ - ٢٠١١م
- ٦٠- النيسابوري مسلم بن الحجاج: الصحيح، مطبعة محمد علي صبيح - دار الفكر - بيروت (د.ت)

السيولة المصرفية وأثرها على الناتج المحلي الإجمالي

د. غسان طارق طاهر

الباحث سلام هاشم محمد

المقدمة:

مع التطور السريع الذي شهده العالم في ظل التغيير التكنولوجي الهائل والحركة السريعة للرؤوس الاموال، انعكس ذلك على تطور اقتصادات الدول التي اصبحت تطارد تلك التغييرات بنفس السرعة، ولم يتعدى الامر القطاع المصرفي وعمله اذ شهد القطاع المالي تطورات حديثة كعمليات الاندماج، ولاستثمارات الضخمة، فضلا عن التطور الالكتروني للتعاملات المصرفية وتنامي التحولات ولاعتمادات وغيرها لذا تحول عمل تلك المؤسسات المصرفية من الحالة البدائية التقليدية السائدة الى وظائف ومهام اكثر اندماجا مع التغييرات الاقتصادية، اذ لم يقتصر دور تلك المؤسسات على الاقراض فقط وانما جرت عملياتها بشكل عابر للقومية اذ اصبحت تمول المشاريع الخارجية فضلا عن الداخلية ويدخل في هذا الاطار تمويل السوق المالي، فضلا عن عمليات التدويل والتمويل الحديث ومن هذا الجانب لعبت السيولة بشكل عام دور اساسي في خضم التطورات الحديثة واصبحت مقياس للنمو الاقتصادي.

اذ تعتمد المصارف اليوم ومنها البنك المركزي الى تحفيز النمو على الصعيد الاقتصاد الكلي والجزئي اي ما يخص المؤسسات الصغيرة وهذا تطلب تطورا في مكونات السيولة اذ تشير النظريات الحديثة الى اهمية جانب السيولة، وقد اولت دراسات عدة الى تسليط الضوء على اهمية ادارة جانب السيولة الذي يعكس في نهاية المطاف على الناتج المحلي الاجمالي، اذ ان غاية وطموح الدول ينصب بدرجة الاساس على الوصول في حالة من التوازن والتي تتمحور بأثر السيولة على المتغيرات الاقتصاد الكلي كتحفيز ومتغيرات اخرى، فضلا على انعكاس ذلك فالمؤسسات والمشاريع الخاصة او ما يسمى بالتحليل الجزئي، اذن فالسيولة دور مهم في ضبط حركة الاقتصاد القومي للدول جميعها على اختلاف مستويات تطورها ونموها الاقتصادي، لذا انصبت موضوعة الدراسة أثر السيولة على الناتج المحلي الاجمالي في العراق لاسيما مع التطورات

الكبيرة الذي شهدها القطاع المصرفي في العراق ونمو سوق العراق للأوراق المالية بشكل كبير والدور المهم المناطق بها لتحفيز الاقتصاد العراقي فيما يخص جانب التمويل بدرجة الاساس والخدمات العامة بالدرجة الثانية.

اولاً :- مشكلة الدراسة:

صيغت المشكلة بمجموعة اسئلة ستكون مدارا للبحث خلال الدراسة وهي:-

- ١) هل هنالك علاقة بين السيولة المصرفية والناتج المحلي الاجمالي.
- ٢) هل ان ادارة وتحليل السيولة تنعكس بشكل ايجابي على الناتج المحلي الاجمالي.
- ٣) هل ان انخفاض حجم السيولة لها تأثير سلبي على الناتج المحلي الاجمالي.
- ٤) هل تعاني المصارف التجارية من ازمة سيولة حادة.
- ٥) هل للسياسة النقدية دور فعال في تحضير البنوك التجارية على ادارة السيولة.

ثانياً :- اهمية الدراسة:

تكسب الدراسة اهميتها من الافكار الاقتصادية والفلسفة المتعلقة في ادارة السيولة وعرض لهيكليتها ومؤشراتها وتحليلها فضلا عن الاسهامات المصرفية في زيادة اجمالي الناتج المحلي الاجمالي ، والبحث في المخاطرة في ضل الازمات الحادة التي تتعرض لها المصارف التجارية العراقية ، لذا تناولت الدراسة بحث وتحليل للعلاقة بين السيولة وإدارتها وتقليل الناتج المحلي الاجمالي في ضل تزايد الدور الرقابي للسياسة النقدية.

ثالثاً :- فرضية الدراسة

يقوم البحث على فرضية مفادها ((ان ادارة وتحليل السيولة في ضل الازمات الحادة التي يمر بها الاقتصاد العراقي لها دوراً فعالاً على الناتج المحلي الاجمالي لاسيما في تنامي الدور الرقابي للبنك المركزي العراقي في رسم معالم السياسة الائتمانية للبنوك التجارية)).

رابعاً : اهداف الدراسة:

ترمي الدراسة للتحقيق مجموعة من الاهداف اهمها:

- (١) تحليل مفهوم السيولة المصرفية ومكوناتها وأهميتها فضلاً عن السيولة المحلية.
 - (٢) تحليل الناتج المحلي الاجمالي في العراق للمدة بين ٢٠٠٤_٢٠١٦.
 - (٣) دراسة العلاقة بين السيولة المصرفية والناتج المحلي الاجمالي .
 - (٤) عرض وتحليل مخاطر السيولة في ظل التقلبات الحادة التي يستهدفها الاقتصاد العراقي.
- خامساً :- الحدود الزمانية

شملت الحدود الزمانية الدراسة سلسلة زمنية امتدت من عام 2004-٢٠١٦ .

الفصل الأول الإطار النظري:

اولاً: مفهوم السيولة المحلية

نظراً للدور الذي تلعبه السيولة المحلية في الاقتصادات المتقدمة، الامر الذي دفع العديد منها الى توفير جزء كبير من الموجودات المالية التي يمكن ان تتحول الى وسائل دفع بأقصى سرعة وسهولة فضلاً عن العائد الذي تدره هذه الموجودات ، كما وتحل بعض الوسائل محل النقود كمخزون للقيمة و يمكن استخدامها كقوة شرائية ، استطاعت الدول المتقدمة من خلال اعتمادها المفرط على وسائل الدفع الاخرى كالنقود الالكترونية وبعض الموجودات المالية من التقدم وضعف العملية الاستثمارية وادامة دفة الاقتصاد. يفضل الاقتصاديين امثال ميلتون فريدمان وساييرز (Milton Friedman, Sayers) اعتبار اشباه النقود (المتمثلة بالودائع الأجل والتوفير) جزءاً اساسياً من وسائل الدفع على اساس امكانية تحويلها وبسهولة الى ودائع جارية وبدون خسائر ،الا ان اخرون امثال ديزينبري (Disinbury) يرى ان اشباه النقود حتى وان كانت تتمتع بسيولة عالية الا انها لا يمكن ان تستخدم كوسيط للتبادل بشكل مباشر ،بل يجب ان تحول الى ودائع تحت الطلب (الجارية) بعد اذ تنجز تلك الوظيفة (James,1998)

عرفت السيولة المحلية بانها "عرض النقد بالمعنى الواسع (m2) وهي مفهوم اوسع نسبياً من مفهوم عرض النقد m1 ويتناول اجمالي وسائل الدفع في عرض النقد بالمعنى الضيق (m1) فضلاً عن الودائع الزمنية (ودائع الاجل) في المصارف التجارية" اي يمكن اعتبار المفهوم الواسع (m2) يتكون من (m1) فضلاً عن

حسابات الادخار لدى مؤسسات الايداع واسهم صناديق النقد المشتركة وموازين صناديق سوق المال المتبادلة وحسابات ودائع سوق المال والودائع تحت الطلب والعملية في التداول، مضافا اليها ودائع الاجل في المصارف التجارية . (اسماعيل، ١١٤). و عرفت أيضا السيولة المحلية بانها لا تقتصر فقط على الحساب الجاري في المصارف والنقد المعدني ولكنها تشمل الودائع المصرفية التي تبقى في المصارف خلال فترة لا تقل عن (٧) ايام فما فوق فضلا عن ودائع الجمهور في البلد. وبذلك تمثل السيولة المحلية كافة الموجودات المالية التي يمكن تحويلها الى نقد بأقصى سرعة وسهولة بخسائر معدومة او وجود خسائر ضئيلة (Ebele,2015:p292)

ثانياً: مفهوم السيولة المصرفية

يمكن ان تعرف على انها مقياساً لقدرة المصرف على إيجاد السيولة بسهولة التي يحتاجها في تلبية التزاماته. ويمكن أن يتم الحصول على السيولة من حيازته للنقد المباشر بالعملية أو بالحساب لدى البنك المركزي international (bankforsettlements,2013,p21) ويمكن الاشارة الى مفهوم السيولة في الأدبيات الاقتصادية الى انها تتعلق بقدرة الاداة الاقتصادية على امكانية تبادلها او جودها بوفرة مقابل السلع والخدمات أو الأصول الأخرى. وفي هذا التعريف، يمكن ان ملاحظة مسألتين. الاولى، هي يمكن فهم السيولة من حيث التدفقات (بدلاً من الأسهم)، فهي من خلال مفهوم التدفق، تشير الى الوصول إلى تدفقات النقدية دون عوائق بين عناصر النظام المالي، مع التركيز بشكل خاص على التدفقات بين البنك المركزي والبنوك التجارية والأسواق. اما ثانياً، فأنها تشير إلى القدرة على تحقيق هذه التدفقات. حيث ان العجز على القيام بذلك أن يجعل الكيان المالي اقل قدرة على توفير السيولة. وكما يمكن أن تعود ضعف القدرة الى عدم التماثل في المعلومات ووجود أسواق غير مكتملة. (Nikolaou, 2009,p10)

١- مخاطر السيولة المصرفية

مخاطر السيولة تظهر عندما يطلب الدائنون (المودعين على سبيل المثال) بنقد سريع ومباشر وذلك لسد احتياجاتهم المالية ، حينها ينبغي على المصرف توفير اموال اضافية من خلال بيع بعض موجوداته او

الاقتراض لتلبية الطلب على سحب الاموال، وبما ان النقد هو اكثر الموجودات سيولة يمكن استخدامها من قبل المصرف لتلبية المباشرة والفورية لطلبات المودعين عند سحب الاموال ، فعلى الرغم من عدم احتفاظ المصارف بنسب كبيرة للنقد لأنه لا يدر عائد للمصارف الا ان الاحتفاظ بهذا الاصل امر عادي لا يسبب اي مشاكل لان السحب اليومي للودائع يعد امراً متوقعاً (Saunders, 1997, p83) .

وقد يقع المصرف بما يسمى مركز الازمات المالية المنتظمة والذي من اهم مسبباته حالات السحب الغير المتوقعة والكبيرة للنقد او عند انتشار الشائعات بين المودعين بعدم توفر سيولة فيترتب على ذلك طلب المودعين لودائعهم (Rajan,2003,p1) . هذا وقد يقوم المصرف ببيع موجوداته الاقل سيولة لتلبية طلبات السحب الكبيرة فينتج عن ذلك مخاطر كبيرة، تباع الموجودات بأسعار اقل في الاسواق الضعيفة عند البيع الانبي مما لو كان للمصرف وقت اطول للتفاوض على البيع و نتيجة لذلك فان التصفية بأسعار منخفضة يهدد قدرة المصرف على الايفاء بديونه. وتعرف مخاطر السيولة المصرفية هي عدم قدرة المصرف على الوفاء بالالتزامات عند الاستحقاق ، دون أن يؤثر ذلك على الوضع المالي للمصرف التجاري. وتتمثل اسباب مخاطر السيولة المصرفية هي حجم السيولة ، والأصول الاقل سيولة ، والأصول السائلة ذات مخاطر عالية، والاعتماد على تمويل خارجي.. يجب على إدارة المصرف فهم حساسيات مقدمي الودائع ، وأدوات التمويل التي يستخدمونها، والعلاقة بين تكاليف التمويل والأصول والعائدات، وأي قيود تنظيمية على التمويل. لكي تحقيق ذلك، يجب على الادارة فهم التسعير، والتدفقات النقدية، والتعرض للمخاطر الناتجة عن موجودات ومطلوبات المصرف فضلا عن المصادر الأخرى المتاحة للأموال والاستخدامات المحتملة لتدفق النقد الزائد. كما يجب على الإدارة أن تكون في حالة تأهب للمخاطر الناشئة عن التركيزات في مصادر التمويل.(Zapodeanu ,2010,p38)

ثالثاً: النمو الاقتصادي.

يعرف النمو الاقتصادي على انه الزيادة المطردة الطويلة الاجل في الدخل الحقيقي للفرد، فنصيب الفرد من الدخل يعبر عن النمو . كما عرف النمو الاقتصادي بانه (ارتفاع معدل الدخل الفردي او الناتج المحلي

الاجمالي بين فترتين) (الوادي ، واخرون ، ٢٠٠٧ ، ٣٣١). لكي يحدث النمو ينبغي ان تكون زيادة الدخل اكبر من الزيادة السكانية . اما الزيادة في دخل الفرد بعد ان يتخلص الاقتصاد من الكساد تعد هذه الزيادة دورية وليس مضطربة وبهذا لا يعد نمواً في الاقتصاد. (مايكل ، ١٩٩٩ ، ٢٥٤). وقد اشار كينز في نموذجه الى الامكانية ان تؤدي زيادة الإنفاق الحكومي إلى النمو الاقتصادي بمستويات أعلى. اما نموذج النمو النيوكلاسيكي يرى بأن السياسة المالية الحكومية لا تؤثر على نمو الناتج المحلي. ويمكن ان يعتمد على العمل في تكوين أرضية جديدة في تأثير (الإنفاق الحكومي) على النمو الاقتصادي. وتمشيا مع هذا، أن النشاط الحكومي يؤثر على اتجاه النمو الاقتصادي. وبالمثل، فان نماذج النمو الداخلي، تعد السياسة المالية بالغة الأهمية في التنبؤ باتجاهات النمو الاقتصادي في المستقبل (Usman,2010,p3).

الاطار العملي

أولاً: السيولة المحلية :

بعد ان حصل البنك المركزي العراقي على الاستقلالية حسب قانون (٥٦) لعام ٢٠٠٤ ، اتبع مجموعة من الاجراءات للإدارة عرض النقد والتحكم به، بما يضمن الوصول الى نظاماً مالياً سليماً من اجل تحقيق استقراراً سعرياً ، أذ ان الغرض من هذه الاجراءات هو تعزيز الثقة بالعملة المحلية من ناحية و الجهاز المصرفي من ناحية اخرى، كمحاولة لتخفيض الكتلة النقدية، وحتى يتحقق الهدف المنشود اتاح الحرية للمصارف في تحديد اسعار الفائدة كأداة لجذب الودائع الادخارية . وعلى الرغم من كل هذه الإجراءات التي قام بها البنك المركزي الا ان السيطرة على حجم الكتلة النقدية بقيت محدودة ، إذ اخذت معدلات النمو في عرض النقد تتزايد مع معدلات نمو الانفاق بشكل طردي الامر الذي يؤكد قوة تأثير دالة الطلب الحكومي على عرض النقد المتأثر بالدخل النفطي للحكومة .(عاشور ، واخرون ، ٢٠١٤ ، ٢١٩) ويمكن الاستدلال لتطور حجم السيولة المحلية من خلال البيانات :

الجدول (١) مكونات السيولة المحلية خلال الفترة (٢٠٠٤-٢٠١٦)

(مليار دينار)

| السنوات | العملة في التداول | معدل النمو | الودائع الجارية | معدل النمو | الودائع الزمنية | معدل النمو | السيولة المحلية | معدل النمو |
|---------|-------------------|------------|-----------------|------------|-----------------|------------|-----------------|------------|
| ٢٠٠٤ | 8.020 | -- | 857 | -- | 7.162 | -- | 12.254 | -- |
| 2005 | 10.256 | 27.8 | 1.143 | 33.3 | 9.112 | 27.2 | 14.684 | 19.8 |
| ٢٠٠٦ | 11.916 | 16.1 | 948 | -13.9 | 10.968 | 20.3 | 21.080 | 43.5 |
| 2007 | 15.632 | 31.1 | 1.400 | 47.6 | 14.231 | 29.7 | 26.956 | 27.8 |
| 2008 | 21.304 | 36.2 | 2.811 | 100.7 | 18.492 | 29.9 | 34.920 | 29.5 |
| 2009 | 24.169 | 13.4 | 2.393 | -14.8 | 21.775 | 17.7 | 45.438 | 30.1 |
| 2010 | 27.507 | 13.8 | 3.165 | 32.2 | 24.342 | 11.7 | 60.386 | 32.8 |
| 2011 | 32.157 | 16.9 | 3.870 | 22.2 | 28.287 | 16.2 | 72.178 | 19.5 |
| 2012 | 35.784 | 11.2 | 5.191 | 34.1 | 30.593 | 8.1 | 75.466 | 4.5 |
| 2013 | 40.630 | 13.5 | 5.634 | 8.5 | 34.995 | 14.3 | 87.679 | 16.1 |
| 2014 | 39.883 | -1.8 | 3.812 | -32.3 | 36.071 | 3.0 | 90.728 | 3.4 |
| 2015 | 38.585 | -3.2 | 3.729 | -2.1 | 34.855 | -3.3 | 82.595 | -8.9 |
| ٢٠١٦ | 45.231 | 17.2 | 3.156 | -15.3 | 42.075 | 20.7 | 88.082 | 6.6 |

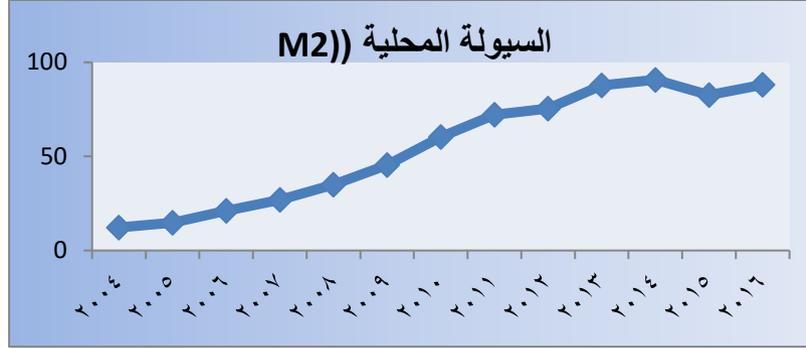
المصدر : اعداد الباحث بالاعتماد على البنك المركزي العراقي، نشرات متفرقة.

يتضح من بيانات الجدول (١) ان العملة في التداول اتخذت مساراً تصاعدياً، أذ سجلت في عام ٢٠٠٥ معدل نمو (27.8%) وستمترت في هذا المسار حتى سجلت في عام ٢٠١٠ معدل نمو (13.8%) خلال مدة الدراسة والذي يعود الى التوسع الحكومي في الانفاق الممول من إيرادات الحكومية، الا انها انخفضت في السنوات اللاحقة، أذ سجلت في عام ٢٠١٥ معدل نمو سالب (-3.2) يعزى ذلك الى ضعف دور

الاستثمار ولأسواق النقدية الأمر الذي دفع الافراد الى الاحتفاظ بالنقود في ظل حالة الركود الاقتصادي، الا ان العملة في التداول عادة للارتفاع في عام ٢٠١٦ إذ سجلت معدل نمو موجب (17.2%) الذي يعود الى اقتراض الداخلي للحكومة عن طريق اصدار السندات لتلبية الاحتياجات التمويلية للموازنة العامة، اما الودائع الجارية فقد سجلت في عام ٢٠٠٥ معدل نمو موجب بلغ (33.3%) والذي يعود الى رغبة الافراد في الاحتفاظ بأرصدهم النقدية لدى المصارف وتقليل التعرض للمخاطر الامنية(البنك المركزي العراقي ٢٠٠٣، ٢٠٠٤)، الا ان هذا الارتفاع في معدل النمو لم يستمر فقد انخفض في عام ٢٠٠٦ إذ بلغ (- 13.9%) والذي يعزى الى انخفاض الودائع الحكومية المركزية لأنه اغلب الودائع الجارية تعود للقطاع الحكومي بسبب الوضع الامني في هذا العام والذي اثر على كافة مرافق الحياة (البنك المركزي العراقي ٢٠٠٧، ٢٠٠٨)، هذا وسجلت في عام ٢٠٠٨ اعلى معدل نمو موجب إذ بلغ (١٠٠%) والذي يعود الى توجه السياسة النقدية نحوه سحب السيولة من السوق فضلا عن تحسن الظروف الامنية ، وستمرت هذه الودائع بين الانخفاض والارتفاع الى ان سجلت في عام ٢٠١٦ اعلى معدل نمو سالب بلغ (-15.3%) يعزى ذلك الى تردي الوضع الامني فضلا عن انخفاض اسعار النفط ادى الى انخفاض الودائع المؤسسات والودائع الحكومية على الرغم من ارتفاع الطفيف للقطاع الخاص الا ان نها سجلت اعلى معدل نمو سالب في هذا العام . هذا وسجلت الودائع الزمنية معدلات نمو موجب في بداية الفترة، إذ سجلت في عام ٢٠٠٥ معدل نمو موجب بلغ (27.2%) نتيجة قيام البنك المركزي بإصدار تعليمات حول قبول الودائع بالدينار العراقي من المصارف لغرض استثمار هذه الودائع بمعدلات فائدة مختلفة (٦% لليوم واحد، و ٧% في ٣٠ يوم) فضلا عن رغبة لدى الجمهور بالاحتفاظ بأرصدهم لدى المصارف لتقليل المخاطر الامنية ، وستمر هذا الارتفاع في السنوات اللاحقة الى ان بدء في الانخفاض وسجل انخفاض ملحوظ في عام ٢٠١٠ بلغة على اثرها معدل النمو (11.7%) نتيجة زيادة الائتمان في هذا العام المقدم للقطاع الخاص في كافي الانشطة الاقتصادية بنسبة (77.4%) قيام البنك المركزي بتخفيض الاحتياطي القانوني على الودائع مرتين خلال العام من ٢٥% الى ٢٠% ثم الى ١٥% بغية تشجيع المصارف على منح الائتمان

، اما في عام ٢٠١٥ سجلت هذه الودائع اعلى معدل نمو سالب خلال فترة الدراسة أذ بلغ (3.3- %) يعزى ذلك الى مقتضيات السياسة النقدية ازاء الوضع الاقتصادي بتوجيه المصارف نحو توظيف مواردها بتجاه السوق لتعزيز السيولة في الاقتصاد، الا ان في عام ٢٠١٦ عادة الودائع الزمنية الى الارتفاع لتسجل معدل نمو موجب بلغ (20.7%) نتيجة قيام البنك المركزي بمنح (٥%) من نسبة الاحتياطي القانوني المفروض على الودائع للمصارف التي تواجه مشاكل في السيولة بسبب تمويلها للمشاريع الصغيرة او مواجهة سحب ودائع من قبل الزبائن. ونتيجة لزيادة مكونات السيولة المحلية فقد سجلت السيولة المحلية خلال فترة الدراسة نمو تصاعدي أذ سجلت في عام ٢٠٠٥ معدل نمو (19.8%) والذي يعود الى زيادة الايرادات النفطية التي يتم الاعتماد عليها في الانفاق الحكومي الذي ازداد خلال العام بزيادة الايرادات النفطية، واستمرت السيولة المحلية في هذه الزيادة خلال السنوات اللاحقة الى ان بلغت في عام ٢٠١٢ انخفاض في معدل النمو والبالغ (4.5%) بسبب اثر المطلوبات الغير النقدية الانكماشية كالودائع الحكومية والودائع الاخرى ، وفي عام ٢٠١٥ فقد سجل معدل نمو سالب بلغ (8.9- %) و يعود هذا الى زيادة الاحتياطيات الاجنبية على اثر انخفاض اسعار النفط والعوامل التوسعية المؤثرة في السيولة المحلية المتبعة من قبل البنك المركزي ، (البنك المركزي العراقي ، ٢٠١٥ ، ١٠) وبعد ذلك في عام ٢٠١٦ بالتحديد عادت السيولة المحلية الى الارتفاع وذلك نتيجة قيام البنك المركزي العراقي بتحفيز التنمية الاقتصادية ودعم السيولة من خلال تبني اجراءات منها دعم المشاريع الصغيرة والمتوسطة عن طريق تقديم (9.200) مليار دينار الى المصارف لدعم هذه المشاريع ، كذلك شراء حوالات خزينة بمبلغ (٧) ترليون دينار لدعم سيولة الجهاز المصرفي ، فضلا عن اطلاق نسبة (٥%) من الاحتياطي الالزامي على اجمالي الودائع بالعملة العراقية و (١٥%) على العملة الأمريكية والعمل على توجيهها الى المصارف التي تواجه مشاكل في السيولة،(صندوق النقد العربي ، ٢٠١٧ ، ١٢٢) . و كما هو موضح في الشكل التالي :

الشكل (١) السيولة المحلية في العراق للمدة (٢٠٠٤-٢٠١٦)



المصدر : اعداد الباحث بالاعتماد على الجدول (١)

ثانياً: السيولة المصرفية

يقصد بالسيولة سرعة تحويل الاصول المالية الاخرى الى نقود وبأقل تكلفة ، فالهدف من السيولة الحصول على نقد سائل. أذ ان مفهوم السيولة المصرفية ينصرف الى الفرق بين الموارد المتاحة للمصرف والاموال المستخدمة في مختلف انواع الموجودات. كذلك يقصد بالسيولة قدرة البنك التجاري على مواجهة التزاماته ، والمتمثلة بعنصرين اساسيين هما : تلبية طلبات الائتمان ، اي القروض و التسليفات لتلبية الاحتياجات، وتلبية طلبات المودعين للسحب على الودائع. (سعيد، وآخرون، ٢٠١٤ ، ١٠٢-١٠٣) تمر الصيرفة التجارية في العراق بمشكلة فائض السيولة المصرفية والتي تعد احدى مظاهر تخلف الجهاز المصرفي، أذ ان بقائها دون استثمارها يضيف تكلفة المصارف التجارية بصورة خاصة والاقتصاد بصورة عامة ، فعدم قيام المصارف باستثمار هذه الاموال على شكل قروض يشكل عبئاً كبيراً ، إذ انها تتحمل تكلفتين تتحمل الاولى في تكلفة الفرص البديلة للاحتفاظ بالنقود مع توفر فرص للاستثمار ها والامر الاخر ترتيب الفوائد على الودائع والتي تعد جزءاً من مطلوبات المصارف التجارية (الصفار، وآخرون ، ٢٠) وكما يتضح من بيانات الجدول التالي :

الجدول (٢) السيولة المصرفية في العراق للفترة (٢٠٠٤-٢٠١٦)

| السنوات | السيولة المصرفية % |
|---------|--------------------|
| 2004 | ١٦ |
| 2005 | ١٠ |
| 2006 | ١٠ |
| 2007 | 14 |
| 2008 | 16 |
| 2009 | 22 |
| 2010 | 23 |
| 2011 | 48 |
| 2012 | 54 |
| 2013 | 66 |
| 2014 | 68 |
| 2015 | 68 |
| 2016 | 68 |

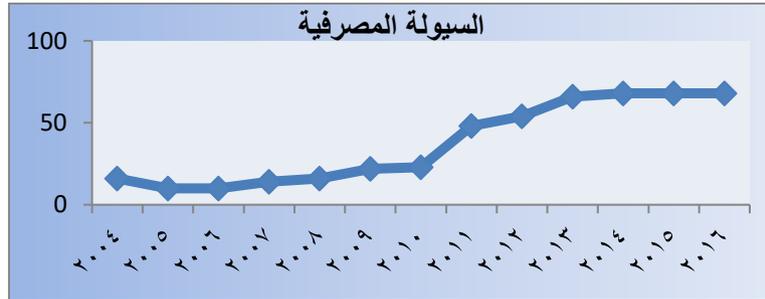
المصدر:- اعداد الباحث بالاعتماد على البنك المركزي العراقي ، الجهاز المركزي للإحصاء ، النشرات الإحصائية السنوية، اعداد متفرقة.

يتضح من خلال الجدول (٢) ان مستويات السيولة المصرفية في ارتفاع مستمر خلال مدة الدراسة (٢٠٠٤-٢٠١٦) ، أذ سجلت نسبة (١٠%) في الاعوام (٢٠٠٥-٢٠٠٦) والذي يعود الى توجه السياسة النقدية نحو تشجيع الاستثمار والعمل على تحفيز المصارف بالتوجه نحو السوق لهذا قلقت من الاحتياطي القانوني على الودائع حكومية كانت او ودائع قطاع خاص بواقع (١٠%) ، الا انها ارتفعت في الاعوام اللاحقة وبشكل مستمر فقد سجلت في عام ٢٠١١ ما نسبته (48%) والذي يعزى الى زيادة التركيز من قبل البنك المركزي على الرقابة المصرفية وتوجيه المصارف باتخاذ المزيد من الاجراءات والتدابير الرامية

الى زيادة متانة الجهاز المصرفي لهذا فقد تم الزام المصارف بزيادة رؤوس اموالها ورفع ملائمتها المالية وفق المعايير الدولية كما ركزت على توفير السيولة اللازمة لضمان استمرارية قدرة المصارف على منح الائتمان، الى ان استقرت عند نسبة (٦٨%) في السنوات الاخيرة من فترة الدراسة ويعزى ذلك الارتفاع في نسبة السيولة المصرفية الى انعدام الثقة لدى المصارف في منح الائتمان نتيجة الوضع الامني المتردي ، والرؤية الغامضة للاستثمارات المتاحة للمصارف فضلا عن ان تلك المصارف تتبع عقلية الاستثمار قصير الاجل لارتفاع الضمانات في منح ذلك الاستثمارات وتجنب التعثر المصرفي .اما انخفاض النسب في بداية الفترة فذلك يعزى الى الاجراءات التي اتبعها البنك المركزي المتمثلة في توظيف السيولة في الاوراق المالية و مزادات العملة ونظام تسهيلات القائمة فضلا عن المصارف التجارية تحظى بثقة الافراد لأنها مسندة من جانب الحكومة الامر الذي يجعل احتمالية تعرضها للإفلاس مستبعد. (مطوق، ٢٠١٥، ٧٠).

ويمكن ملاحظة تغير نسبة السيولة المصرفية من خلال الشكل البياني ٢:

الشكل (٢) نسبة السيولة المصرفية خلال المدة (٢٠٠٤-٢٠١٦)



المصدر : اعداد الباحث بالاعتماد على الجدول (٢)

ثالثاً: الائتمان النقدي للمصارف التجارية

يقوم البنك المركزي العراقي بالدور الاشرافي والرقابي والتنظيمي على المؤسسات المالية الوسيطة والمصارف للحفاظ على النظام المالي القائم على اساس التنافس في السوق واتاحة الفرصة للعمل وتحقيق الاستقرار في الاسعار فضلا عن تامين نظاماً فعالاً للمدفوعات .كما يقوم بالحفاظ على الاستقرار النقدي من خلال

عمليات السوق المفتوحة ، اذ ان يمكن للبنك المركزي التأثير على السيولة المصرفية من خلال بيع وشراء الاوراق المالية الحكومية ، فعملية البيع تؤدي الى سحب السيولة اي تخفيض الارصدة المصارف ، في حين عمليات الشراء تؤدي الى زيادة السيولة فضلا عن ذلك يقوم البنك المركزي العراقي بمهمة المستشار المالي للدولة ، اذ يسعى الى توسيع نطاق الائتمان بما يحقق الاهداف التنموية الاقتصادية. ولتحقيق هذه الاهداف قام البنك المركزي بالعديد من الإجراءات منها تخفيض سعر الفائدة (سعر السياسة) الى ٦% كأداة من ادوات السياسة النقدية ، والسماح للمصارف بتقديم القروض المشتركة لزيادة التعاون فيما بينها ، وتحرير سعر الفائدة الذي تقبضه المصارف او تدفعه . وذلك لحث المصارف على التوجه نحو اقتصاد السوق (جميل ، ٢٠١٦ ، ٦٤) . ويمكن بيان الائتمان النقدي للمصارف التجارية من خلال الجدول التالي :

الجدول (٣) لائتمان النقدي الممنوح من قبل المصارف التجارية للمدة (٢٠٠٤-٢٠١٦)

(مليار دينار)

| السنوات | اجمالي الائتمان النقدي | الائتمان القطاع العام | نسبة القطاع العام من الائتمان % | الائتمان القطاع الخاص | نسبة القطاع الخاص من اجمالي الائتمان % |
|---------|------------------------|-----------------------|---------------------------------|-----------------------|--|
| ٢٠٠٤ | ٨٢٤ | 206 | 25 | 620 | 75 |
| ٢٠٠٥ | 1.717 | 772 | 45 | 950 | 55.3 |
| ٢٠٠٦ | 2.667 | 786 | 29.5 | 1.881 | 70.5 |
| ٢٠٠٧ | 3.459 | 1.072 | 31 | 2.387 | 69 |
| ٢٠٠٨ | 4.587 | 610 | 13.3 | 3.978 | 86.7 |
| ٢٠٠٩ | 5.690 | 1.024 | 18.4 | 4.646 | 81.6 |
| ٢٠١٠ | 11.722 | 8.838 | 75.4 | 2.884 | 24.6 |
| ٢٠١١ | ٥,٤١٥ | 1.660 | 81.6 | 3.755 | 18.4 |
| ٢٠١٢ | ٧,٤٢٩ | 2.331 | 82.1 | 5.098 | 17.9 |

السيولة المصرفية وأثرها على الناتج المحلي الإجمالي

| | | | | | |
|------|-------|------|-------|--------|------|
| 21.9 | 6.565 | 78.1 | 2.336 | ٨,٩٠١ | ٢٠١٣ |
| 14.2 | 7.245 | 85.8 | 4.367 | ١١,٦١٢ | ٢٠١٤ |
| 18.9 | 7.675 | 81.1 | 3.283 | ١٠,٩٥٨ | ٢٠١٥ |
| 19.7 | 7.330 | 80.3 | 2.974 | ١٠,٣٠٤ | ٢٠١٦ |

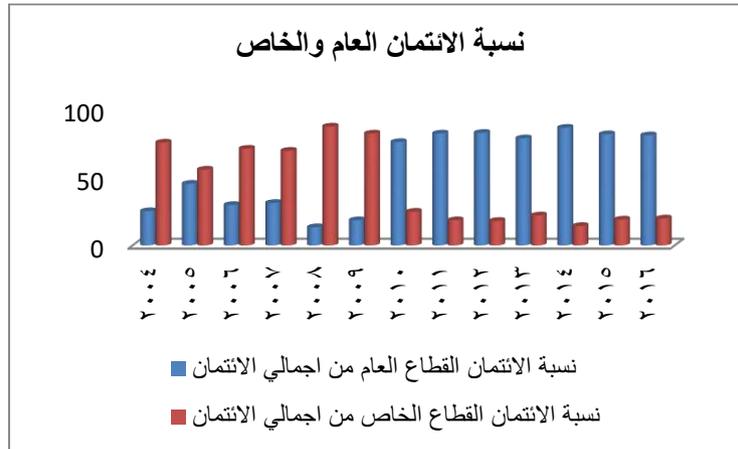
المصدر البنك المركزي العراقي ،دائرة الاحصاء والابحاث، النشرة الاحصائية السنوية ،اعداد متفرقة.

النسب من اعداد الباحث بالاعتماد على نفس المصدر .

من خلال الجدول (٣) يتبين ان نسبة الائتمان الممنوح من قبل المصارف التجارية الى القطاع العام في تصاعد مستمر، اذ بداية بنسبة (٢٥%) في عام ٢٠٠٤ يعود ذلك الى قيام المصارف الحكومية بمنح سلف الى منسبها وقروض سكنية لشرائح كبيرة من المواطنين فالمصارف الحكومية تسيطر على (٧٦%) من الائتمان الممنوح (البنك المركزي العراقي ،٢٠٠٨ ،٣١) الا ان في عام ٢٠٠٨ انخفضت النسبة الى (13.3%) يعزى الى اغلب الائتمان كان يمنح الى القطاع الخاص ، توقف المصارف الحكومية في منح القروض للموظفين .(البنك المركزي العراقي ، ٢٠٠٨ ،٤٥)، بعد ذلك عادة الى الارتفاع في السنوات اللاحقة الى ان بلغ في عام ٢٠١٦ الى (80.3%) وهذا ان دلة على شيء فقد يدل على وجود مساهمة حقيقية من جانب المصارف الحكومية الى دعم النشاط الاقتصادي فقد خصصت الحكومة في هذا العام (21.4) ترليون دينار كقروض الى القطاع المطاع والتجارة والفنادق. (البنك المركزي العراقي ، ٢٠١٦ ،٤٠-٤٢). اما القطاع الخاص فقد كان متذبذبا باستثناء السنوات الاخيرة اتخذ مسار تنازلي على عكس القطاع الحكومي ، اذ سجل في عام ٢٠٠٤ ما نسبته (75%) يعزى ذلك الى الحرية التي منحها البنك المركزي للمصارف في تحديد اسعار الفائدة سواء كان في الايداع او في منح الائتمان، وستم الارتفاع الى ان سجل اعلى نسبة في عام ٢٠٠٨ بلغت (86.7%) في هذا العام قامت المصارف بمنح القروض لشرائح كبيرة من المواطنين . على الرغم من التحدي الذي امام السياسة النقدية في تقوية الائتمان على نحو يساهم خلاله النظام المصرفي في زيادة النمو الاقتصادي ،الا ان الائتمان بعد ذلك انخفض في السنوات اللاحقة ،اذ بلغ (21.9%) في عام ٢٠١٣ اذ تعد هذه النسبة ضعيفة تعكس ضعف الوساطة المالية

للمصارف وابتعادها عن العمليات المصرفية المفضية الى تعميق السوق المالية ، فالمصارف تتنوع بمخاطر السوق بالإضافة الى الاخفاق في التسديد، وستمّر الانخفاض الى ان بلغ (19.7%) عام ٢٠١٦ بسبب تردد المصارف في منح الائتمان بسبب ضعف التصنيف الائتماني للمقترضين وضعف الضمانات هذا وان اغلب المصارف الخاصة لا تتمتع بالملاءة العالية التي تمكنها من التوسع في نشاطها (البنك المركزي العراقي، ٢٠١٣، ٢٩) . اذ يتبين ان المصارف الحكومية مازالت تمارس سياسة تتسم بالمجازفة وعدم المبالاة بالمخاطرة المصرفية في تقديم الائتمان ،اذ تشكل نسبة (٧٢%) من اجمالي الائتمان الممنوح ، هذا وان تردد المصارف الخاصة في تقديم لائتمان، يعود الى ضعف التصنيف الائتماني للمقترضين كذلك ضعف الضمانات مقابل الائتمان فضلا عن اغلب المصارف الخاصة لا تتمتع بملاءة عالية تمكنها من التوسع في نشاطها الائتماني ، كما يمكن الاشارة الى ان الائتمان النقدي الممنوح من قبل المصارف الخاصة تعد ضئيلة في التاثير على التمويل للتحقيق النمو الاقتصادي المطلوب ازاء المشاريع التنموية الكبيرة التي يحتاجها البلد في الحاضر والمستقبل . (البنك المركزي ، ٢٠١٠، ٥-٦) والشكل البياني ادنا يوضح ذلك:

الشكل (٣) نسبة الائتمان العام والخاص للمدة (٢٠١٦-٢٠٠٤)



الشكل من اعداد الباحث بالاعتماد على بيانات الجدول (3)

رابعاً: النمو الاقتصادي

لا يتحدد النمو الاقتصادي بالعوامل الاقتصادية فقط ، بل ان هناك عوامل ديموغرافية وجغرافية وسياسية وثقافية واجتماعية، منها ما يتعلق بالكفاءات والعلاقات البشرية الهادفة الى زيادة الانتاج عن طريق استخدام الموارد الزراعية والنباتية والمعدنيةالخ. (السماك ، ١٩٧٩ ، ١٧) ويمكن الوقوف على معدلات النمو الاقتصادي العراقي عن طريق تحليل بيانات الناتج المحلي الاجمالي . أذ يعكس حجم الناتج الكلي من السلع والخدمات لمواطني البلد فضلا عن الاجانب المقيمين خلال فترة سنة ، أيضا يعكس المساهمة الفعلية للقطاعات الاقتصادية كافة في تكوين ذلك الناتج ، أذ ان يشكل انتاج النفط ٢٨% من اجمالي الناتج المحلي الاجمالي ، والذي تعرض لسلسلة من الانخفاضات المتوالية نتيجة اهتزازات السوق النفطية في فترة الحصار الاقتصادي من ناحية ، وتوقف مستلزمات الانتاج المستوردة وعدم وصولها الى القطاعات السلعية الانتاجية من ناحية اخرى. بالرغم من تحقيق طفرة نوعية في زيادة معدلات الناتج المحلي الاجمالي في السنوات الاخيرة لمدة الدراسة الا ان الموجود لا يحقق الطموح بالرغم من تحقيق اكتفاء ذاتي في بعض المنتجات كالأسمك والدجاج والاملاح والاسمنت.....الخ ، الا ان ذلك يبقى محط تساؤل ماذا عن بقية القطاعات كالزراعة والصناعة بكافة اشاكلها وسنتعرض الى مساهمة كل قطاع في تكوين الناتج المحلي . ويمكن ايضاح مساهمة هذا القطاعات في تكوين الناتج المحلي من خلال الجدول التالي :

الجدول (٤) نسبة مساهمة القطاعات الاقتصادية في تكوين الناتج المحلي الاجمالي للمدة (٢٠٠٤-)

(٢٠١٦)

| السنوات | القطاع الزراعي % | القطاع الصناعي % | القطاع النفطي % | القطاعات الاخري % | المجموع |
|---------|---------------------|---------------------|--------------------|----------------------|---------|
| 2004 | 11 | 2 | 48 | 39 | 100 |
| 2005 | 14 | 2 | 42 | 42 | 100 |
| 2006 | 13 | 2 | 41 | 44 | 100 |

| | | | | | |
|-----|-------|-------|-----|------|------|
| 100 | 46 | 43 | 2 | 9 | 2007 |
| 100 | 45 | 45 | 2 | 8 | 2008 |
| 100 | 46 | 44 | 3 | 7 | 2009 |
| 100 | 48.5 | 41.5 | 2.9 | 7.1 | 2010 |
| 100 | 47.3 | 42.3 | 3.3 | 7.3 | 2011 |
| 100 | 47.6 | 43.3 | 3.1 | 6.9 | 2012 |
| 100 | 48.6 | 41.6 | 3.0 | 6.9 | 2013 |
| 100 | 46 | 44 | 3 | 7 | 2014 |
| 100 | 59 | 33 | 3 | 5 | 2015 |
| 100 | 64.65 | 29.64 | 2 | 3.71 | 2016 |

المصدر :- وزارة التخطيط والتعاون الانمائية ، المجموعة الاحصائية السنوية ، الجهاز المركزي للإحصاء بغداد، نشرات مختلفة

أ- القطاع النفطي

شهد هذا القطاع طفرة نوعية لاسيما بعد تحقيق العراق معدلات انتاجية عالية فاقت ٤ مليون برميل يومياً نتيجة رفع العقوبات عن العراق بعد عام ٢٠٠٣ والسماح له بالتصدير النفط الا ان هذا القطاع يبقى تحت طائلة تغيرات وتجاذبات اسواق النفط العالمية ، إذ ان هذه السلعة اقتصادية تتأثر بعوامل العرض والطلب الا انها سلعة استراتيجية تتأثر بشكل اكبر بالقضايا السياسية فقد ترتفع اسعار البرميل الى ما يفوق ١٠٠ دولار وتنخفض بشدة الى ما تحت ٣٠ دولار .

إذ يتبين من خلال الجدول (٤) ان مساهمة القطاع النفطي بداءة مرتفعة في عام ٢٠٠٤ سجلت نسبة مساهمة (48%) يعزى ذلك الى رفع العقوبات الاقتصادية عن العراق والسماح للعراق بالتصدير العراقية بعد ٢٠٠٣ ، الا ان هذه النسبة اخذت بالانخفاض خلال السنوات اللاحقة حتى عام ٢٠١٠ بلغت نسبة المساهمة 41.5% على الرغم من ارتفاع اسعار النفط وانخفاض الدولار يعزى ذلك الى تحقيق الاقتصاد

العراقي معدلات نمو مقبولة ومعتدلة في مختلف القطاعات الاقتصادية وبوشر هذا العام بأطلاق خطة التنمية الوطنية ٢٠١٠-٢٠١٤ والتي تستخدم لتتبع الاقتصاد العراقي (البنك المركزي العراقي ، ٢٠١٠ ، ٥)، و اخذت نسبة مساهمة القطاع النفطي تذبذب بين الارتفاع البسيط والانخفاض البسيط ، الا ان في عام ٢٠١٦ انخفضت هذه النسبة بشكل كبير بلغت (29.64%) يعزى ذلك الى انخفاض اسعار النفط في الاسواق العالمية نتيجة للزيادة المتحققة للإنتاج النفطي. وعلى الرغم من كل ذلك الانخفاض يبقى القطاع النفطي المساهم الاكبر في الناتج المحلي الاجمالي أذ تم وصفه المصدر الرئيسي للإيرادات الدولية . (البنك المركزي العراقي ، ٢٠١٦ ، ١٤)

ب- القطاع الزراعي

نرى ان مساهمة القطاع الزراعي اتخذت مساراً تنازلياً أذ بلغت في عام ٢٠٠٤ من (11%) وستمريت في الزيادة في عام ٢٠٠٥ (١٤%) يعزى ذلك الى معالجة وتحسين نوعية التربة واسترداد الآلات حديثة وانواع من الاسمدة باعتباره القطاع الثاني الذي يوفر النقد الاجنبي للعراق، وستمريت في الانخفاض الى ان بلغت نسبة المساهمة 7.1% لهذا القطاع في عام ٢٠١٠ يعزى ذلك الى الاختلالات التي عاناها هذا القطاع تمثلت في انخفاض انتاجية عوامل الانتاج و عدم استخدام الآلات الحديثة تدهور خصوبة الارض نتيجة التعرية والملح فضلا عن تدني مستوى الادارة المزرعية للفلاحين، واستمر هذا الانخفاض خلال فترة الدراسة الى ان بلغت نسبة المساهمة (3.71%) في عام ٢٠١٦ يعزى ذلك الى انخفاض المساحة المزروعة بسبب خضوع بعض المحافظات لسيطرة عصابات داعش (البنك المركزي العراقي ، ٢٠١٦ ، ١٧)، كذلك يعزى ذلك الى ما يعاناه القطاع الزراعي من مشاكل جمة منها هجرة الفلاح و شحة المياه وانخفاض الدعم الحكومي وارتفاع ملوحة التربة فضلاً عن سوء الاحوال الجوية (انتشار الامراض و هبوب العواصف الترابية وانخفاض سقوط الامطار وعدم استخدام الاساليب الحديثة) فضلاً عن صعوبة الاوضاع الامنية... الخ . (مجيد، ٢٠٠٦ ، ١٣٥) لذا وبالرغم من انفاق مبالغ عالية للنهوض به الا انه مازال لا يحقق الطموح . و ما زال العديد من المعوقات والتحديات امام هذا القطاع والتي يجب معالجتها فضلاً عن

الحاجة الماسة الى الكثير من الاستثمارات لان يعاني من انخفاض الاستثمار في نشاطه سواء كان الاستثمار عام او خاص، فالأخير محصور غالباً في الثروة الحيوانية (تربية الدواجن والاسماك) لان هذه الاستثمارات تدر عائد سريع من النشاط الزراعي النباتي. (البنك المركزي العراقي ، ٢٠١٣ ، ١٤).

ت- القطاع الصناعي

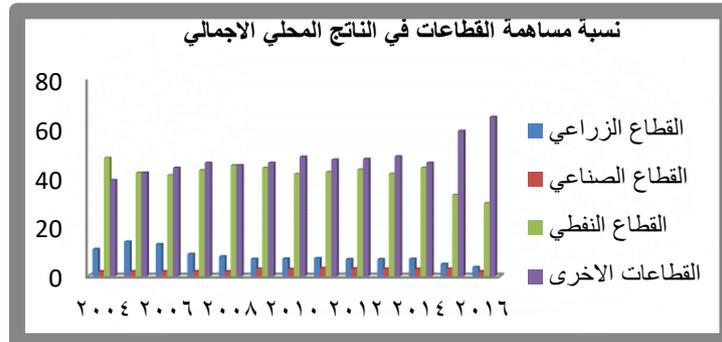
يعد قطاع الصناعات التحويلية من الدعائم الاقتصاد الوطني والذي يلعب دور حيوي في التنمية الاقتصادية لان يرتبط مع بقية القطاعات الاقتصادية ويساهم في زيادة الانتاج المحلي والذي يساعد على سد حاجات الاستهلاك المحلي وتحسين ميزان المدفوعات من خلال التصدير ،ومن ثم يقلل الاعتماد على مساهمة النفط ، الا ان الواقع الامر مازال هذا القطاع يعاني من العديد من التحديات والمعوقات التي ينبغي تحديدها ومعالجتها.

يتضح ذلك من خلال الجدول (٤) نجد نسبة مساهمة هذا القطاع متدنية في تكوين الناتج المحلي الاجمالي خلال فترة الدراسة فتراوحت نسبة مساهمة هذا القطاع في السنوات الدراسة بين (٢% - ٣%) ،أذ يرجع ذلك الى العديد من المشاكل منها العقوبات الاقتصادية الدولية والحروب على العراق فضلا عن لا توجد حماية للصناعات المحلية من المنافسة الاجنبية .كذلك افتقاد العراق للبنية التحتية الداعمة لهذه الصناعة كالنقص في توفير الطاقة الكهربائية والغاز الطبيعي المستخدم للأغراض الصناعية فبعد عام ٢٠٠٣ شكلت هذا القطاع نسبة (٣%) في عام ٢٠٠٩ وهي نسبة منخفضة وهذا بسبب تلكا بعض المصانع وتوقف البعض الاخر نتيجة التحديات بسبب مشاكل عدم تسديد مستحقات المستثمرين والمقاولين وتردي الوضع الامني وارتفاع تكاليف الانتاج ، وهذا بدوره ادى الى تراجع القطاع باستثناء بعض الصناعات التي حصلت على تحسن طفيف والتي ساهمت بدورها الى استقرار النسبة عند (٣%) للفترة المحصورة بين (٢٠٠٩ - ٢٠١٥) (البنك المركزي العراقي ، ٢٠١٣ ، ١٥)

يتبين مما سبق ان نسبة مساهمة القطاع الزراعي والقطاع الصناعي منخفضة في الناتج المحلي الاجمالي وهذا ينعكس على الاختلال الهيكلي للاقتصاد العراقي. اما بقية القطاعات فبعد ان تم رفع العقوبات

الاقتصادية بعد عام ٢٠٠٣ وكذلك النمو الحاصل في قطاع الكهرباء والبناء والتشييد فضلا عن تحسن قطاع النقل والمواصلات جعلت نسبة مساهمتها تشهد تحسن حيث ارتفعت في عام ٢٠٠٤ من (٣٩%) الى (٤٥%) في عام ٢٠٠٨ واستمر هذا الارتفاع بعد ٢٠٠٨ حيث وصلت الى (٥٩%) في عام ٢٠١٥ (البنك المركزي العراقي، ٢٠٠٧، ٥-٧)، الا ان اغلب الانشطة الاقتصادية غير النفطية لم تساهم مساهمة فعالة في التنمية الاقتصادية، لذلك ينبغي التركيز على هذه الانشطة لكي لا يكون التوازن الاقتصادي مرهون بالانتاج النفط الذي يخضع للمتغيرات خارجية. والذي حصل عليه في السنوات الاخيرة الكثير من التغيرات فانخفاض سعر النفط الى أدنى مستويات لم يسبق ان وصل لها في السابق. حيث يهيمن القطاع النفطي في مساهمته في الناتج المحلي الاجمالي على كافة القطاعات فنجد قد حقق اعلى النسبة لاسيما في سنة ٢٠٠٤ بنسبة (٤٨%) بسبب ارتفاع اسعار النفط، حيث يمثل هذا القطاع المصدر الرئيسي للنقد الاجنبي في البلد والذي يتم الاعتماد عليه في تمويل المصروفات الاستهلاكية والاستثمارية للحكومة وعمليات الاستيراد التي ازدادت خلال عام ٢٠٠٤. اما ادنى مساهمة حققها هذا القطاع فكانت خلال عام ٢٠١٦ بنسبة (29.64%) نتيجة الاوضاع الامنية المتمثلة في الحرب على داعش، واستمرار انخفاض للأسعار النفط في الاسواق العالمية والذي يعود الى زيادة الانتاج النفط. (البنك المركزي العراقي، ٢٠١٦، ١٧) ويتضح ذلك من خلال الشكل (٤) :-

الشكل (٤) نسبة مساهمة القطاعات في الناتج المحلي الاجمالي للمدة (٢٠١٦-٢٠٠٤)



المصدر: اعداد الباحث بالاعتماد على الجدول (٤)

خامساً: علاقة السيولة مع النمو الاقتصادي

يمكن بيان العلاقة بين السيولة والنمو الاقتصادي من خلال ما يعرف بالعمق المالي ، أذ ينظر اليه على انه مجموعة ودائع المصارف التجارية الى الناتج المحلي الاجمالي ، جاء هذا المفهوم منسجم مع التصور التقليدي المتمثل بمساهمة القطاع المالي في النشاط الاقتصادي، عن طريق تعبئة المدخرات وتحويلها الى استثمار منتج ، وفي هذا الاتجاه يرى (show-mckinnon) بإمكانية تحفيز الادخار المالي من خلال اسعار الفائدة الحقيقية الموجبة ، ومن ثم زيادة درجة تنقيد الاقتصاد واتساع الوساطة المالية . (السعدي، ٢٠١١، ٢١٩) ويتمحور العمق المالي حول النقاط الآتية :-

- ❖ تزايد نسبة السكان الذين يحصلون على فرص الوصول الى الخدمات المالية والائتمان.
- ❖ تحسين القطاع المالي من حيث الاستقرار والتنظيم والاشراف وكذلك من حيث القدرة التنافسية والكفاءة
- ❖ زيادة راس المال الذي تقدمه المؤسسات الخاصة للقطاع الخاص بدل الاقراض الحكومي المباشر.
- ❖ تزايد حجم المؤسسات العاملة في القطاع المالي.
- ❖ تنوع الخدمات المتاحة وكمية الاموال التي يتم فيها الوساطة في جميع منافذ القطاع المالي . (الشدود، واخرون، ٢٠١٣، ٧٢)

وحتى يتسنى لنا بيان العلاقة بين السيولة والنمو يمكن استخدام مؤشر (نسبة السيولة المحلية (عرض النقد بالمعنى الواسع)، الى الناتج المحلي الاجمالي ، أذ يقيس هذا المؤشر درجة او نسبة تنقيد الاقتصاد ، من خلال بيانات الجدول الآتي :

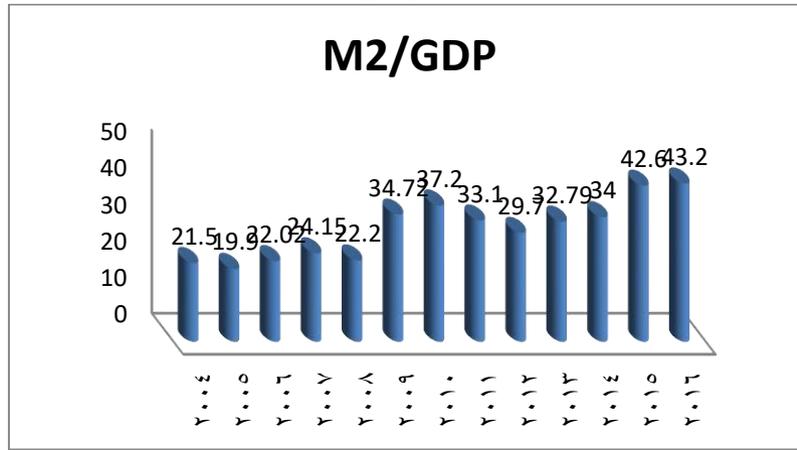
الجدول (٥) نسبة السيولة الى الناتج المحلي الاجمالي للمدة (٢٠٠٤-٢٠١٦)

| السنة | السيولة المحلية M2 (مليار دينار) | الناتج المحلي الجارية (مليار دينار) | M2/GDP |
|-------|----------------------------------|-------------------------------------|--------|
| ٢٠٠٤ | 11.498 | 53.235 | 21.5 |
| ٢٠٠٥ | 14.659 | 73.533 | 19.9 |
| ٢٠٠٦ | 21.050 | 95.588 | 22.02 |
| ٢٠٠٧ | 26.919 | 111.455 | 24.15 |
| ٢٠٠٨ | 34.861 | 157.026 | 22.2 |
| ٢٠٠٩ | 45.355 | 130.642 | 34.72 |
| ٢٠١٠ | 60.289 | 162.064 | 37.2 |
| ٢٠١١ | 72.067 | 217.327 | 33.1 |
| ٢٠١٢ | 75.536 | 254.225 | 29.7 |
| ٢٠١٣ | 87.679 | 271.091 | 32.79 |
| ٢٠١٤ | 90.728 | 266.420 | 34.0 |
| ٢٠١٥ | 85.180 | 199.715 | 42.6 |
| 2016 | 88.082 | 203.869 | 43.20 |

المصدر : البنك المركزي العراقي ،المديرية العامة للإحصاء والابحاث، النشرة السنوية مختلفة. من بيانات الجدول (٥) نلاحظ ان هذا المؤشر سجل تحسناً ملحوظاً نتيجة الاصلاحات على المستوى النقدي و رفع العقوبات الاقتصادية الدولية مع تطور نظام الصيرفة وبالرغم من ذلك انخفض خلال السنوات الاولى إذ سجل (19.9 %) في عام ٢٠٠٥ يعزى ذلك الى تدهور الوضع الامني الذي اثر على كافة مرافق الحياة ، ثم اخذ بعد ذلك منحى تصاعدياً حتى وصل في عام ٢٠١٠ الى (37.2 %) يعود ذلك الى زيادة مكونات السيولة المحلية في هذه الاعوام نتيجة زيادة الانفاق الحكومي بشقيه الاستثماري والاستهلاكي بزيادة الرواتب او الزيادة في الاصلاحات التي تستلزم الانفاق (تقرير السياسة النقدية ، ٢٠١٠ ،

(٥) اخذت بعد ذلك مسار تصاعدياً نسبياً الى ان وصلت في عام ٢٠١٦ الى (43.20%) يأتي هذا نتيجة التأكيد على الصيرفة التجارية لاسيما من قبل المنظمات الدولية كصندوق النقد الدولي والبنك الدولي ، أذ ان المصارف عصب الحياة الاقتصادية النقدية وهي عبارة عن تيار نقدي متدفق ترفد المستثمرين والمؤسسات بالمال. (البنك المركزي العراقي، ٢٠١٤، ٣٠) ويمكن بيان ذلك من خلال الشكل (5) :

الشكل (٥) مؤشر العمق المالي في العراق (٢٠٠٤-٢٠١٦)



المصدر :- اعداد الباحث بالاعتماد على الجدول (٥)

التحليل القياسي

يعاني اغلب الباحثين من بروز مشاكل احصائية عديدة والحصول على نماذج قياسية مشوهة نتيجة التحليل الغير سليم فضلا عن ان اغلب النماذج التي يجربها الباحثين ذات مشاهدات صغيرة تبرز نتيجتها تلك المشاكل الاحصائية فتنعكس اشارات المعلمات بعكس منطق النظرية الاقتصادية ،أذ يحصل اولئك الباحثين على نموذج انحدار مزيف ترتفع فيه قيمة R^2 واحصاءات t و F فيما يحصل ارتباط ذاتي وربما يحصل الباحث على معنوية من الناحية الاحصائية لبعض الاختبارات الا ان النموذج بشكل عام مشوه ويأتي ذلك كما اسلفنا الى صغر حجم المشاهدات ، لذلك حتى تتمكن من تلافي الانحدار الزائف و الحصول على دقة

في التقدير تم تحويل البيانات لـ ١٣ سنة الى بيانات ربع سنوي باستعمال على برنامج E_VIEWS للحصول على نماذج قياسية معنوية من الناحية الاحصائية وحسب الجدول الاتي :

جدول (٦) تحويل بيانات متغيرات الدراسة الى ربع سنوي

| السنوات | الناتج المحلي | الائتمان الممنوح للقطاع الخاص | السيولة المصرفية | السيولة المحلية | اجمالي الائتمان النقدي |
|---------|---------------|-------------------------------|------------------|-----------------|------------------------|
| 2004Q1 | 46.00759 | 0.627719 | 7.054719 | 12.21031 | 0.500938 |
| 2004Q2 | 50.75266 | 0.597531 | 7.721531 | 12.07419 | 0.714063 |
| 2004Q3 | 55.60753 | 0.604906 | 8.352406 | 12.18594 | 0.930563 |
| 2004Q4 | 60.57222 | 0.649844 | 8.947344 | 12.54556 | 1.150438 |
| 2005Q1 | 65.64672 | 0.732344 | 9.506344 | 13.15306 | 1.373688 |
| 2005Q2 | 70.83103 | 0.852406 | 10.02941 | 14.00844 | 1.600313 |
| 2005Q3 | 76.12516 | 1.010031 | 10.51653 | 15.11169 | 1.830313 |
| 2005Q4 | 81.52909 | 1.205219 | 10.96772 | 16.46281 | 2.063688 |
| 2006Q1 | 88.28425 | 1.598281 | 10.97219 | 18.76275 | 2.332625 |
| 2006Q2 | 93.41125 | 1.804469 | 11.51581 | 20.32925 | 2.559875 |
| 2006Q3 | 98.1515 | 1.984094 | 12.18781 | 21.86325 | 2.777625 |
| 2006Q4 | 102.505 | 2.137156 | 12.98819 | 23.36475 | 2.985875 |
| 2007Q1 | 100.8636 | 2.027719 | 13.93209 | 24.42625 | 3.108844 |
| 2007Q2 | 106.6869 | 2.222031 | 14.98316 | 26.02575 | 3.328406 |
| 2007Q3 | 114.3666 | 2.484156 | 16.15653 | 27.75575 | 3.568781 |
| 2007Q4 | 123.9029 | 2.814094 | 17.45222 | 29.61625 | 3.829969 |
| 2008Q1 | 151.1798 | 3.525594 | 19.61459 | 31.53444 | 4.167906 |
| 2008Q2 | 158.0754 | 3.865656 | 20.85716 | 33.68506 | 4.448344 |
| 2008Q3 | 160.4738 | 4.148031 | 21.92428 | 35.99531 | 4.727219 |

السيولة المصرفية وأثرها على الناتج المحلي الإجمالي

| | | | | | |
|----------|----------|----------|----------|----------|--------|
| 5.004531 | 38.46519 | 22.81597 | 4.372719 | 158.375 | 2008Q4 |
| 4.506375 | 40.80156 | 23.01956 | 4.775188 | 131.5038 | 2009Q1 |
| 5.090125 | 43.70794 | 23.76544 | 4.790312 | 128.5207 | 2009Q2 |
| 5.981875 | 46.89119 | 24.54094 | 4.653562 | 129.1504 | 2009Q3 |
| 7.181625 | 50.35131 | 25.34606 | 4.364937 | 133.3931 | 2009Q4 |
| 11.38703 | 55.27363 | 26.05003 | 3.133344 | 146.5556 | 2010Q1 |
| 12.12372 | 58.81338 | 26.96672 | 2.857406 | 155.9012 | 2010Q2 |
| 12.08934 | 62.15588 | 27.96534 | 2.746031 | 166.7368 | 2010Q3 |
| 11.28391 | 65.30113 | 29.04591 | 2.799219 | 179.0625 | 2010Q4 |
| 6.47975 | 69.08475 | 30.57309 | 3.354625 | 199.4729 | 2011Q1 |
| 5.42325 | 71.50125 | 31.67166 | 3.601875 | 212.1408 | 2011Q2 |
| 4.88675 | 73.38625 | 32.70628 | 3.878625 | 223.661 | 2011Q3 |
| 4.87025 | 74.73975 | 33.67697 | 4.184875 | 234.0333 | 2011Q4 |
| 6.758438 | 72.83847 | 34.23356 | 4.575 | 243.5183 | 2012Q1 |
| 7.228063 | 74.21828 | 35.21644 | 4.9185 | 251.4908 | 2012Q2 |
| 7.663813 | 76.15591 | 36.27544 | 5.26975 | 258.2113 | 2012Q3 |
| 8.065688 | 78.65134 | 37.41056 | 5.62875 | 263.6798 | 2012Q4 |
| 8.155406 | 84.531 | 39.68572 | 6.137844 | 268.1314 | 2013Q1 |
| 8.600844 | 87.0115 | 40.54753 | 6.455406 | 271.0018 | 2013Q2 |
| 9.123719 | 88.91925 | 41.05991 | 6.723781 | 272.5262 | 2013Q3 |
| 9.724031 | 90.25425 | 41.22284 | 6.942969 | 272.7045 | 2013Q4 |
| 11.12116 | 91.33181 | 40.24916 | 7.029063 | 277.8644 | 2014Q1 |
| 11.58859 | 91.39519 | 40.02809 | 7.183438 | 272.8196 | 2014Q2 |
| 11.84572 | 90.75969 | 39.77247 | 7.322188 | 263.8976 | 2014Q3 |

| | | | | | |
|----------|----------|----------|----------|----------|--------|
| 11.89253 | 89.42531 | 39.48228 | 7.445313 | 251.0984 | 2014Q4 |
| 11.20325 | 83.51675 | 37.82956 | 7.634844 | 213.6577 | 2015Q1 |
| 11.03975 | 82.33475 | 38.00144 | 7.693906 | 201.4101 | 2015Q2 |
| 10.87625 | 82.004 | 38.66994 | 7.704531 | 193.5912 | 2015Q3 |
| 10.71275 | 82.5245 | 39.83506 | 7.666719 | 190.201 | 2015Q4 |
| 10.54925 | 83.89625 | 41.49681 | 7.580469 | 191.2395 | 2016Q1 |
| 10.38575 | 86.11925 | 43.65519 | 7.445781 | 196.7067 | 2016Q2 |
| 10.22225 | 89.1935 | 46.31019 | 7.262656 | 206.6026 | 2016Q3 |
| 10.05875 | 93.119 | 49.46181 | 7.031094 | 220.9272 | 2016Q4 |

المصدر : اعداد الباحث بالاعتماد على مخرجات برنامج E-Views

تم في الجدول (٦) تحويل البيانات من سنوية الى ربع سنوي وذلك لتخصل من مشكلة الانحدار الزائفي كون الفترة الزمنية للمتغيرات الدراسة قصيرة فبعد ان كانت السلسلة الزمنية تتكون من ١٣ مشاهدة اصبحت بعد التحويل تتكون من ٥٣ مشاهدة وكما هو مبين في الجدول اعلاه.

اولاً: تحليل الاستقرار

سيتم هنا التعرض لتحليل استقراريه السلسلة الزمنية للمتغيرات الاقتصاد العراقي قيد البحث للمدة ٢٠٠٤-٢٠١٦، وذلك من خلال تحليل جذر الوحدة Unit Root، فضلا عن اللجوء الى تحليل دالة الارتباط الذاتي الكلية والجزئية لبيان خلو السلاسل من معاملات الارتباط الذاتية بالاعتماد على تحليل Correlogram ، اما الاختبار الاخر الخاص بتحليل الكشف عن الاتجاه العام للسلاسل الزمنية فتم الاعتماد على اختبار Dickey-Fuller ، بعد ذلك سيتم صياغة وتوصيف النموذج لبيان اثر المتغيرات المستقلة على المتغير التابع وهي كما يلي:

أ- تحليل دالة الارتباطات الجزئية والكلية

تم اخضاع البيانات الخاصة بالمتغيرات قيد البحث وهي :

الجدول (٧) متغيرات الدراسة

| ت | المتغيرات | الرمز |
|---|--------------------------------|-------|
| ١ | الناتج المحلي الاجمالي | GDP |
| ٢ | اجمالي الائتمان النقدي الممنوح | T.C |
| ٣ | السيولة المصرفية | L.B |
| ٤ | السيولة المحلية | M2 |

المصدر: من اعداد الباحث

وبعد اجراء اختبار Correlogram لكل متغير حصل الباحث على النتائج الاتية :

١- الناتج المحلي الاجمالي

من خلال النتائج الموضحة ادناه يتضح ان السلسلة الزمنية خالية من معاملات الارتباط الذاتي، ويتطلب استقرار السلسلة ان يكون معامل الارتباط مساوي للصفر او ان لا يختلف جوهريا عن الصفر ، وبعبارة اخرى ان يقع معامل الارتباط الذاتي بين حدود الثقة (١، -١)، ويمكن ملاحظة ان القيم داخل حدود الثقة وهي تقترب من الصفر اي ان علاقة القيم الحالية مع القيم السابقة لتخلف ٢٤ سنة تأخذ في التناقص أذ تبدأ ب ٩٥% ثم تتخفض بشكل تدريجي لتصل الى ٠,٢٧ حسب دالة الارتباط الكلية AC في الفترة الاخيرة، وكذلك تشير دالة الارتباطات الجزئية PAC الى توزع القيم بشكل قريب من الصفر، ومن الناحية الاحصائية وللاستدلال بجوهرية الدالة من الناحية الاحصائية نلجأ الى اختبار Q-Stat من خلال مقارنة قيم Q-Stat البالغة ٣٢٧ والتي اظهرت بانها اكبر من القيم المحتسبة لاختبار كاي سكوير χ^2 البالغة ٩,٨٨ عند مستوى معنوية ٩٥% وعلية نقبل الفرضية البديلة الدالة على عدم وجود ارتباط بين القيم السابقة واللاحقة.

السيولة المصرفية وأثرها على الناتج المحلي الإجمالي

Date: 08/08/18 Time: 10:46
Sample: 2004Q1 2016Q4
Included observations: 52

| Autocorrelation | Partial Correlation | AC | PAC | Q-Stat | Prob |
|-----------------|---------------------|----------|--------|--------|------|
| 1 | 0.955 | 0.955 | 50.184 | 0.000 | |
| 2 | 0.900 | -0.13... | 95.647 | 0.000 | |
| 3 | 0.838 | -0.09... | 135.90 | 0.000 | |
| 4 | 0.773 | -0.05... | 170.86 | 0.000 | |
| 5 | 0.710 | -0.00... | 201.02 | 0.000 | |
| 6 | 0.648 | -0.02... | 226.69 | 0.000 | |
| 7 | 0.588 | -0.02... | 248.24 | 0.000 | |
| 8 | 0.528 | -0.03... | 266.04 | 0.000 | |
| 9 | 0.463 | -0.10... | 280.05 | 0.000 | |
| ... | 0.398 | -0.04... | 290.62 | 0.000 | |
| ... | 0.332 | -0.04... | 298.15 | 0.000 | |
| ... | 0.266 | -0.04... | 303.13 | 0.000 | |
| ... | 0.200 | -0.06... | 306.01 | 0.000 | |
| ... | 0.137 | -0.02... | 307.40 | 0.000 | |
| ... | 0.078 | -0.00... | 307.87 | 0.000 | |
| ... | 0.026 | 0.003 | 307.92 | 0.000 | |
| ... | -0.01... | 0.118 | 307.93 | 0.000 | |
| ... | -0.04... | -0.01... | 308.08 | 0.000 | |
| ... | -0.07... | -0.03... | 308.52 | 0.000 | |
| ... | -0.10... | -0.05... | 309.41 | 0.000 | |
| ... | -0.14... | -0.17... | 311.23 | 0.000 | |
| ... | -0.18... | -0.06... | 314.43 | 0.000 | |
| ... | -0.23... | -0.06... | 319.59 | 0.000 | |
| ... | -0.27... | -0.07... | 327.38 | 0.000 | |

المصدر : اعداد الباحث بالاعتماد على مخرجات برنامج E-Views

٢- الائتمان النقدي

تم تحليل استقرارية السلسلة الزمنية للائتمان النقدي وبالاعتماد على الاختبار السابق تم التوصل الى النتائج الاتية:

Date: 08/10/18 Time: 21:21
Sample: 2004Q1 2016Q4
Included observations: 52

| Autocorrelation | Partial Correlation | AC | PAC | Q-Stat | Prob |
|-----------------|---------------------|----------|--------|--------|------|
| 1 | 0.851 | 0.851 | 39.851 | 0.000 | |
| 2 | 0.593 | -0.47... | 59.632 | 0.000 | |
| 3 | 0.294 | -0.22... | 64.598 | 0.000 | |
| 4 | 0.023 | -0.05... | 64.629 | 0.000 | |
| 5 | -0.07... | 0.497 | 64.953 | 0.000 | |
| 6 | -0.09... | -0.28... | 65.492 | 0.000 | |
| 7 | -0.06... | -0.11... | 65.740 | 0.000 | |
| 8 | -0.01... | -0.00... | 65.748 | 0.000 | |
| 9 | -0.01... | 0.141 | 65.756 | 0.000 | |
| 1... | -0.01... | -0.03... | 65.772 | 0.000 | |
| 1... | -0.02... | 0.000 | 65.798 | 0.000 | |
| 1... | -0.01... | 0.036 | 65.813 | 0.000 | |
| 1... | 0.029 | 0.086 | 65.875 | 0.000 | |
| 1... | 0.079 | 0.005 | 66.333 | 0.000 | |
| 1... | 0.122 | 0.000 | 67.463 | 0.000 | |
| 1... | 0.147 | -0.00... | 69.148 | 0.000 | |
| 1... | 0.124 | -0.05... | 70.391 | 0.000 | |
| 1... | 0.079 | 0.016 | 70.912 | 0.000 | |
| 1... | 0.020 | -0.01... | 70.947 | 0.000 | |
| 2... | -0.04... | -0.04... | 71.113 | 0.000 | |
| 2... | -0.10... | -0.17... | 72.029 | 0.000 | |
| 2... | -0.14... | 0.029 | 74.105 | 0.000 | |
| 2... | -0.18... | -0.00... | 77.406 | 0.000 | |
| 2... | -0.20... | -0.03... | 81.602 | 0.000 | |

المصدر : اعداد الباحث بالاعتماد على مخرجات برنامج E-Views

حسب معطيات النتائج اعلاه اتضح عدم وجود ارتباط بين القيم السابقة واللاحقة بالاعتماد على دالة الارتباطات الكلية والجزئية والتي اتخذت مساراً تنازلياً، اذ بلغت دالة الارتباط الكلية (AC) خلال الفترة الاولى (٨٥%) واستمرت بالانخفاض حتى بلغت في نهاية الفترة (٢٠%) اما دالة الارتباط الجزئي (PAC) هي الاخرى اتخذت مسار تنازلي، اذ بلغت في الفترة الاولى (٨٥%) وانخفضت خلال الفترة اللاحقة حتى بلغت في نهاية الفترة ما يقارب (٣%) وهذه القيم هي اقل من (٠) فضلا عن مقارنة قيم اختبار Q-Stat وال ٢٤ سنة من خلال مقارنته قيمه التي بلغت ٨٢ وهي اكبر من القيم المتحسبة لاختبار كاي سكوير $\times 2$ البالغة ٩,٨٨ عند مستوى معنوية ٩٥%.

٣- السيولة المصرفية

وبنفس الاختبار المعتمد في المتغيرات السابقة تم التوصل الى النتائج :

Date: 08/10/18 Time: 21:44
Sample: 2004Q1 2016Q4
Included observations: 52

| Autocorrelation | Partial Correlation | AC | PAC | Q-Stat | Prob | |
|-----------------|---------------------|------|----------|----------|--------|-------|
| | | 1 | 0.939 | 0.939 | 48.520 | 0.000 |
| | | 2 | 0.881 | -0.00... | 92.130 | 0.000 |
| | | 3 | 0.827 | -0.00... | 131.32 | 0.000 |
| | | 4 | 0.776 | -0.00... | 166.53 | 0.000 |
| | | 5 | 0.727 | -0.00... | 198.12 | 0.000 |
| | | 6 | 0.680 | -0.01... | 226.37 | 0.000 |
| | | 7 | 0.634 | -0.01... | 251.48 | 0.000 |
| | | 8 | 0.588 | -0.02... | 273.58 | 0.000 |
| | | 9 | 0.536 | -0.08... | 292.31 | 0.000 |
| | | 1... | 0.481 | -0.05... | 307.79 | 0.000 |
| | | 1... | 0.425 | -0.05... | 320.15 | 0.000 |
| | | 1... | 0.367 | -0.05... | 329.60 | 0.000 |
| | | 1... | 0.305 | -0.08... | 336.30 | 0.000 |
| | | 1... | 0.242 | -0.06... | 340.64 | 0.000 |
| | | 1... | 0.180 | -0.05... | 343.10 | 0.000 |
| | | 1... | 0.120 | -0.04... | 344.21 | 0.000 |
| | | 1... | 0.068 | 0.022 | 344.58 | 0.000 |
| | | 1... | 0.020 | -0.01... | 344.61 | 0.000 |
| | | 1... | -0.02... | -0.01... | 344.67 | 0.000 |
| | | 2... | -0.07... | -0.02... | 345.10 | 0.000 |
| | | 2... | -0.11... | -0.04... | 346.39 | 0.000 |
| | | 2... | -0.15... | -0.02... | 348.65 | 0.000 |
| | | 2... | -0.20... | -0.02... | 352.53 | 0.000 |
| | | 2... | -0.23... | -0.02... | 358.27 | 0.000 |

المصدر : اعداد الباحث بالاعتماد على مخرجات برنامج E-Views

يتضح من خلال النتائج المبينة اعلاه لا يوجد ارتباط بين القيم السابقة واللاحقة حسب دالة الارتباطات الكلية والجزئية فتخذ كلاهما مساراً تنازلياً فضلاً عن مقارنة قيم اختبار Q-Stat البالغة ٣٥٨ بتأخر ٢٤ سنة بأنها أكبر من قيم اختبار كأي سكوير البالغة ٢٧ عند مستوى معنوية ٥%.

٤- السيولة المحلية

بنفس الاختبار المعتمد في المتغيرات اعلاه تم التوصل الى النتائج :

Date: 08/10/18 Time: 21:48
Sample: 2004Q1 2016Q4
Included observations: 52

| Autocorrelation | Partial Correlation | AC | PAC | Q-Stat | Prob | |
|-----------------|---------------------|------|----------|----------|--------|-------|
| | | 1 | 0.959 | 0.959 | 50.627 | 0.000 |
| | | 2 | 0.916 | -0.04... | 97.713 | 0.000 |
| | | 3 | 0.870 | -0.04... | 141.14 | 0.000 |
| | | 4 | 0.824 | -0.04... | 180.82 | 0.000 |
| | | 5 | 0.776 | -0.03... | 216.77 | 0.000 |
| | | 6 | 0.726 | -0.04... | 248.97 | 0.000 |
| | | 7 | 0.675 | -0.04... | 277.44 | 0.000 |
| | | 8 | 0.623 | -0.05... | 302.20 | 0.000 |
| | | 9 | 0.565 | -0.09... | 323.06 | 0.000 |
| | | 1... | 0.505 | -0.06... | 340.10 | 0.000 |
| | | 1... | 0.443 | -0.06... | 353.52 | 0.000 |
| | | 1... | 0.378 | -0.06... | 363.58 | 0.000 |
| | | 1... | 0.312 | -0.07... | 370.60 | 0.000 |
| | | 1... | 0.245 | -0.05... | 375.05 | 0.000 |
| | | 1... | 0.179 | -0.05... | 377.47 | 0.000 |
| | | 1... | 0.113 | -0.04... | 378.47 | 0.000 |
| | | 1... | 0.053 | 0.010 | 378.70 | 0.000 |
| | | 1... | -0.00... | -0.02... | 378.70 | 0.000 |
| | | 1... | -0.06... | -0.02... | 379.00 | 0.000 |
| | | 2... | -0.11... | -0.02... | 380.11 | 0.000 |
| | | 2... | -0.16... | -0.06... | 382.58 | 0.000 |
| | | 2... | -0.21... | -0.02... | 386.91 | 0.000 |
| | | 2... | -0.26... | -0.01... | 393.56 | 0.000 |
| | | 2... | -0.30... | -0.01... | 402.84 | 0.000 |

المصدر : اعداد الباحث بالاعتماد على مخرجات برنامج E-Views

من خلال النتائج اعلاه اتضح عدم وجود ارتباط للقيمة السابقة واللاحقة حسب دالة الارتباطات الكلية والجزئية المتخذة مساراً تنازلياً ، فدالة الارتباط الكلي (AC) بلغت في بداية الفترة (٩٥%) واستمرت في الانخفاض حتى وصلت في نهاية الفترة الى (٣٠%) كذلك الحال مشابه مع دالة الارتباطات الجزئية (PAC) بدئت بـ (٩٥%) استمرت في الانخفاض الى ان انتهت بـ (١%) وهذه القيم اقل من (٠) وبالتالي انعدام وجود الارتباط اما اختبار Q-Stat وال ٢٤ سنة من خلال مقارنته قيمه التي بلغت ٤٠٣ وهي اكبر من القيم المتحسبة لاختبار كاي سكوير ٢ × البالغة ٩,٨٨ عند مستوى معنوية ٩٥%. لذا نرفض الفرضية البديلة و نقبل فرضية العدم الدالة على عدم وجود جذر الوحدة وبالتالي الحكم على استقرارية السلسلة الزمنية للمتغير M2.

ثانيا : اختبار Dickey-Fuller

للكشف عن عدم وجود اتجاه زمني بين قيم السلاسل الزمنية للمتغيرات قيد البحث تم اللجوء الى اختبار ديكي-فولر بالاعتماد على البرنامج الاحصائي E-ViewsV8، وبعد اجراء الاختبار للسلاسل الزمنية

للمتغيرات بأنها غير مستقرة عن المستوى ومع الفرق الاول مع جميع الحدود لذا تم اعادة الاختبار بعد اخذ الفرق الثاني (II) وأظهرت النتائج الاتي:

جدول (٨) نتائج اختبار الاستقرار Dickey-Fuller

| المتغيرات | القيم المحتمسبة | القيم الجدولية | | |
|-----------|-----------------|----------------|--------|--------|
| | | %١٠ | %٥ | %١ |
| GDP(II) | -8.879 | -2.599 | -2.922 | -3.571 |
| T.C(II) | -7.382 | -2.601 | -2.926 | -3.581 |
| L.B(II) | -6.292 | -2.604 | -2.933 | -3.596 |
| M2(II) | -4.529 | -2.604 | -2.933 | -3.596 |

المصدر : اعداد الباحث بالاعتماد على مخرجات برنامج E-Views

من بيانات الجدول (8) يتضح ان السلسلة الزمنية خالية من وجود جذر وحدة حسب اختبار ديكي-فولر، اذ عند مقارنة القيم المحتمسبة عند مستوى معنوية (1%,5%,10%) يتضح انها اصغر من قيمها الجدولية حيث ان القيم الجدولية تجاوزت المحتمسبة لذا نقبل الفرضية البديلة ونرفض العدم الدالة على وجود جذر وحدة لقيم السلاسل الزمنية لجميع المتغيرات قيد البحث، اذ نلاحظ ان القيمة المحتمسبة للناتج المحلي الاجمالي اصغر من القيم الجدولية عند المستويات المبية في الجدول وكذلك بقية القيم لذا نحكم على استقرارية السلسلة الزمنية وهذا ما اثبتته الاحتمالية التي كانت اصغر من مستوى معنوية ٥%، وبالتالي فهي صالحة ان تدخل نموذج انحدار.

توصيف و تقدير النموذج القياسي

بعد ان تم اختبار استقرارية السلاسل الزمنية لبيان خلوها من جذر الوحدة وثبت ان السلاسل الزمنية مستقرة بعد اخذ الفرق الثاني فضلا عن اجراء اختبار Q-Stat لبيان عدم وجود ارتباط بين معاملات أنموذج لذا فان السلاسل الزمنية اثبتت قدرتها على ان تدخل معادلة الانحدار بعد التخلص من مشكلة الاتجاه الزمني

ومشكلة الارتباط الذاتي بين المتغيرات العشوائية وخصص هذا المبحث لتوصيف وتقدير المتغيرات التوضيحية وإثرها في المتغيرات التابعة وكما يلي :

جدول (9) المتغيرات التفسيرية والتابعة

| المتغيرات | |
|-------------------|----------------------------|
| المتغير التابع | الناتج المحلي الاجمالي GDP |
| المتغيرات المفسرة | السيولة المحلية M2 |
| | السيولة المصرفية LB |
| | اجمالي الائتمان النقدي TC |

المصدر: من اعداد الباحث

اولا: بناء نموذج انحدار اثر المتغيرات المفسرة على الناتج المحلي الاجمالي بعد مرحلة التوصيف تم اجراء تحليل الدوال عدة وتوصل الباحث الى ان النموذج اللوغاريتمي اعطى افضل تقدير وبالاعتماد على البرنامج الاحصائي Minitab.14 وكالاتي:

The regression equation is

$$\log GDP = 2.29_{(t=10.94)(p=0.00)} + 0.38 \log LB_{(t=1.33)(p=0.19)} + 0.40 \log M2_{(t=1.79)(p=0.09)} - 0.21 \log TC_{(t=0.31)(p=0.76)}$$

$$S = 0.137979 \quad R-Sq = 92.9\% \quad R-Sq(adj) = 92.5\% \quad F=210$$

اولا: اختبارات النموذج

١- الاختبارات الاقتصادية:

دلت اشارات المعلمات المقدرة على توافق اشارات تلك المعلمات مع منطق النظرية الاقتصادية فيما يتعلق بالسيولة المصرفية و المحلية، أذ ان ارتفاع نسب الودائع المصرفية تشكل ظاهرة ايجابية على الاقتصاد العراقي بشكل خاص وعلى الاقتصاد العالمي بشكل عام ولا سيما فيما يتعلق بالعملية الاستثمارية والعراق

يشهد اليوم تحسنا ملموسا على صعيد العمليات الاستثمارية مع تنامي القطاع المصرفي ودوره التمويلي حتى مع عدم الوصول الى الهدف المنشود وتحقيق الطموحات إلا انه في تحسنا ملموساً، اما ما يتعلق بالسيولة المحلية فهذا واضحا جدا إذ تصدى البنك المركزي للقضايا التمويلية من خلال اقراض السوق فضلا عن تشكيله قوة دافعة ومحفزة للنمو الأقتصادي ويتضح ذلك جليا من خلال ما حققه من استقرار نقدي ملموس ولا سيما في سعر صرف العملة الحلية وتحقيق معادلات تضخم منخفضة وصلت الى مرتبة عشرية واحدة وهذا بحد ذاته انجازا كبيرا، ويأتي ذلك مع منح الحكومة المركزي الاستقلالية للبنك المركزي حسب قانون ٥٦ لسنة ٢٠٠٤، وبالرجوع الى الدالة اعلاه نلاحظ ان زيادة السيولة المصرفية بمقدار وحدة واحد سيؤدي الى زيادة الناتج المحلي بمقدار ٣٨%، اما زيادة السيولة المحلية بمقدار وحدة واحدة سيؤدي الى ارتفاع الناتج المحلي بمقدار ٤٠%، إلا ان الامر جاء مغايرا فيما يتعلق بالائتمان النقدي الممنوح لكلا القطاعين العام والخاص والذي نخص به القروض النقدية المقدمة من قبل القطاع المصرفي فقد اتخذت علاقة عكسية إذ ان زيادة تلك القروض ستؤدي الى انخفاض نسب الناتج المحلي الاجمالي بمقدار ٢١%، وهذه النتيجة قد لا تحتاج الى اثبات رياضي إذ ان جل القروض الممنوحة طويل الاجل تذهب للأغراض عالية الاستهلاك كقروض السيارات والزواج..... الخ، اي ان تلك المبالغ لن تجد طريقا لتميمتها في ظل توافر الفرص الربحية الممكنة وربما هذه السمة الاستهلاكية تعاني منها اغلب الدول النامية إذ تشهد ارتفاع الميل نحو الاستهلاك وهذا احد اسباب تراجع النمو في هذه الدول.

ثانيا: الاختبارات الإحصائية:

١- اختبار (t-Test): من خلال مقارنة قيمة t^* المحتسبة للمتغيرات التفسيرية البالغة:

السيولة المصرفية ١,٣٣ ، السيولة المحلية ١,٧٩ مع مثيلتها الجدولية لمتغيرات النموذج وبدرجة حرية $n-k-1$ وعند مستوى معنوية:

$$1\% = 2.39$$

$$5\% = 1,67$$

$$10\% = 1.29$$

نجد بأنها (t^*) اكبر القيم الجدولية عند مستوى معنوية ١٠%، ٥% لذا نقبل الفرض البديل $H_1: bi \neq 0$ ونرفض فرض العدم $H_0: bi = 0$ مما يدل على معنوية معاملات النموذج اما اختبار t لإجمالي الائتمان النقدي الممنوح فقد دلت على عدم معنويتها عند كافة المستويات ويتضح ذلك من اشارة المعلمة ومدى تأثيرها المنخفض في المتغير التابع .

٢- معامل التحديد (Coefficient of Determination (R^2) فسر معامل التحديد ما يقارب ٩٣% من اجمالي التغيرات الحاصلة في المتغير التابع GDP اما ٧% فتعود الى متغيرات اخرى خارجية لم تدخل في النموذج.

٣- اختبار معامل التحديد (Adjusted Coefficient of Determination (\bar{R}^2) يشير هذا الاختبار الى الحد الاعلى المسموح لبيان التغيرات الحاصلة في معامل التحديد اذ ان اعادة الاختبار لن تعطي اضافة الى القوة التفسيرية وربما تنخفض مع اعادة تكرار المحاولة، وقد دلت على القوة التنبؤية العالية للنموذج بـ ٩٢% .

٤- اختبار F-Test : من خلال النتائج التي تم التوصل اليها تشير الى تجاوز القيم المحسبة لاختبار (F^*) والتي بلغت ٢١٠ مع القيمة الجدولية عند مستوى معنوية :

$$1\% = 5.18$$

$$5\% = 3.23$$

نجد أن $F^* < F$ لذا نقبل الفرضية البديلة $H_1: bi \neq 0$ ونرفض فرض العدم $H_0: bi = 0$ الدالة على جوهرية المعالم المقدره للنموذج ككل، وبالتالي توفيق الباحث في اختيار المتغيرات.

-الاستنتاجات:

١. ان المصارف التجارية العراقية فيها نسب سيولة عالية كان من الاجدر استثمارها مع توافر فرص ربحية عالية في العراق لاسيما مع تطور العمليات الاستثمارية في الآونة الاخيرة ويعود ذلك الى رغبة المصارف التجارية العراقية للتلافي المخاطر العالية لاسيما المخاطر الزمنية.
٢. لم تأخذ المصارف التجارية العراقية دورها الفعال والحقيقي في توجيه مدخراتها نحو قنواتها الاستثمارية في القطاعات الاقتصادية كافة بل اعتمدت بشكل رئيسي على منح الائتمان النقدي الاستهلاكية العالية.
٣. ساهمت السياسة النقدية بشكل فعال في ردف النمو الاقتصادي من خلال رفع حجم السيولة المحلية عن طريق اقراض السوق ،اذ اتخذت السيولة المحلية مساراً تصاعدياً خلال مدة البحث مما انعكس على زيادة الناتج المحلي الاجمالي .
٤. ارتبطت كل من السيولة المحلية والمصرفية بعلاقة طردية مع الناتج المحلي الاجمالي وهو مطابق للنظرية الاقتصادية ،اذ ان زيادة السيولة المحلية ادى الى ارتفاع حجم الناتج المحلي الاجمالي ،اما السيولة المصرفية فان زيادة ادخارات المصرف قلصت من حجم القروض الاستهلاكية العالية في حين ارتبط حجم الائتمان الممنوح بعلاقة سلبية مع الناتج المحلي الاجمالي يعزى ذلك كما اسلفنا توجه اغلب المصارف التجارية العراقية نحو القروض الاستهلاكية .

-التوصيات:

١. ينبغي على المصارف التجارية اتباع الطرق والإجراءات الممنهجة التي تساعد على ادارة وتحكم في السيولة المصرفية لاسيما في ظل توافر فرص ربحية للاستثمار تلك الاموال.
٢. توجيه القروض الممنوحة الى قنوات استثمارية وتقليص او تخفيض القروض الممنوحة للأغراض الاستهلاكية من خلال ضبط السياسة الاستثمارية بما يتناسب مع التطورات المصرفية الحديثة.
٣. تخفيض نسب السيولة العالية تماشياً مع متطلبات صندوق النقد الدولي والبنك المركزي العراقي .

٤. التركيز على الية اقرض السوق لتسريع عجلة النمو الاقتصادي وذلك من خلال تقديم الحكومة المركزية الى المصارف المتخصصة قروض الى المشاريع الاكثر انتاجية .
٥. تفعيل الدور الرقابي على البنوك التجارية اذ ان اغلب المصارف التجارية تعمل بسياسة ائتمانية غير خاضعة الى رقابة البنك المركزي العراقي بل تهيمن وتتحكم بالسوق النقدية.
٦. تخفيض الفجوة بين نسب مساهمة القطاعات الاقتصادية في تكوين الناتج المحلي الاجمالي من خلال التوزيع العادل للقروض الممنوحة للقطاعات الاقتصادية.

المراجع:

أولاً: المراجع العربية:

١. عاشور ،محمود محمد محمود داغر ، احسان جبر ، العلاقة السببية بين عرض النقد والتضخم وسعر الصرف في العراق للمدة (١٩٩٠-٢٠١١) ، بحث مستل من اطروحة دكتوراه ، مجلة العلوم الاقتصادية والادارية ،المجلد ٢٠، العدد ٧٨، ٢٠١٤.
٢. سعيد ،أحلام بو عبدلي ،حمزة عمي ، دعم تسيير مخاطر السيولة المصرفية في ظل إسهامات اتفاقية بازل الثالثة، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، الجزائر، العدد ٢، ٢٠١٤.
٣. ألفصار ،وحيدة جبر آل منشود ، عدنان عودة صالح. فائض السيولة في المصارف التجارية وامكانيات الاستثمار مع اشارة خاصة للعراق، مجلة دنانير / العدد السابع .
٤. ألوادي ،محمود ، الاساس في علم الاقتصاد، دار اليازوري للنشر والتوزيع، عمان، الاردن، 2007.
٥. جميل ،أسماء خضير ياس، احمد صبحي، اثر الاحتياطي القانوني على حجم الائتمان النقدي في العراق ،مجلة الدنانير، المجلد ١ ،العدد التاسع، ٢٠١٦.
٦. ألسمك ،محمد أزهري سعيد ، الموارد الاقتصادية ، دار الكتب للطباعة و النشر، الموصل، ١٩٧٩.
٧. ألسعيدي ،صبحي حسون، مؤشرات قياس العمق المالي ، دراسة تحليلية في عينة من الدول المختارة (١٩٨٠-٢٠٠٨) ، مجلة العلوم الاقتصادية والادارية جامعة بغداد كلية الادارة الاقتصاد ، المجلد(١٧) العدد(٦٣) ، ٢٠١١.
٨. ألشود ،عدنان محمد حسن، صادق زوير الجلاج السعدي، تحديد اتجاهات العلاقة بين العمق المالي والنمو الاقتصادي في العراق للمدة (١٩٩٠-٢٠١٠) ، مجلة القادسية للعلوم الادارية والاقتصادية ،المجلد ١٥، العدد ١، ٢٠١٣.

٩. لبنك المركزي العراقي . ٢٠٠٩ . المديرية العامة للإحصاء والابحاث . اتجاه السياسة النقدية للبنك المركزي العراقي . الربع الرابع لعام.

ثانيا: المراجع الأجنبية:

- 1) James .Deusenberry , 1998, foundation of a Palestinian currency, a Paper submitted to the First Palestine Banking Conference.
- 2) Ebele. Ifionu, 2015, Macroeconomic Variables and Money Supply:Evidence from Nigeria, An International Multidisciplinary Journal, Ethiopia , Vol. 9(4), Serial No. 39,:288–307:288–307.
- 3) Bank for International Settlements, 2013, Basel III: The Liquidity Coverage Ratio and liquidity risk monitoring tools, Basel Committee on Banking Supervision.
- 4) Nikolaou .Kleopatra, 2009,Liquidity (Risk) Concepts Definitions And Interactions , Working Paper Series No 1008 / February,all ECB Publication.
- 5) Saunders.Anthony, 1997,"Financial Institutions Management: A Modern Perspective", 2nd ed, Irwin/McGraw–Hill, Inc.
- 6) Rajan .Douglas W. Diamond & Raghuram G.,2003. "Liquidity shortages & Banking Crises, American Finance Association, vol. 60(2),," NBER Working Paper No. 10071.
- 7) Zapodeanu,D.;Cociuba,M.I.2010,FINANCIAL SOUNDNESS INDICATORS, Annals of the University of Petroşani, Economics, 10(3), 365–372.
- 8) Usman .Abu Nurudeen, Abdullahi, Government Expenditure And Economic Growth In Nigeria,Business and Economics Journal, Volume:BEJ–41,1970–2008: A Disaggregated Analysis Department of Economics, University of Abuja, PMB 117Nigeria,2010

السيمائية بين المفهوم والدلالة

د. سيد حسين سيدي

د. مصطفى كرم الموسوي

الباحث أحمد عبود شنشول

جامعة فردوسي في مشهد/ إيران

المقدمة:

تعددت النظريات النقدية ومن بين تلك النظريات السيمائية ذات الجذور العربية من حيث اللفظ فقد وردت في القرآن الكريم في قوله تعالى (وسيماهم في وجوههم من أثر السجود)، إلا أنها نشأت كنظرية نقدية في الادب الحديث على يد سوسير ومجموعة من المنظرين الغربيين .

من هنا فان البحث يتساءل عن ماهية اللفظ ونشأته وجذوره اللغوية وعلاقته باللغة العربية والنقد الأدبي.

وقد وجدت ان ينتظم البحث على مبحثين موجزين هما :

١- المبحث الاول السيمائية في المفهوم

٢- المبحث الثاني السيمائية في الدلالة

المبحث الأول: السيمائية في المفهوم:

السيمائية من الالفاظ المتداولة منذ زمن بعيد لكنها لم تكشف عن نفسها بشكل واضح الا من خلال المتن الادبي فقد ركز كثيرا على مفهوم السيمياء والسيمائية والسيمولوجيا ويهدف ملاحظة هذا اللفظ وادراك معانيه لابد من التطرق لتعريفاته

اولا : السيمائية تعريفها :

السيمائية لفظة اغريقية مشتقة من لفظ (SEMEIOM) وهي تعني السجة وتعني السيمولوجيا (SEMIOLOGIE) وقد أطلق مفردة سيمولوجيا عالم اللغة سوير في بداية القرن العشرين للدلالة على علم العلاقات (١).

وقد انطلق سوسير في تسميته هذه من علم اللسانيات بصفتها قرعا او نموذجا في الوقت الذي نجد ان اعتماد المقطع الثاني (SEMIOTIC) كان من لدن من الفيلسوف الامريكى بيرس ليدل من خلاله على علم عام للعلامات يصدر عن المنطق او الفلسفة (٢) وتعددت تعريفات السيمائية او السيمولوجية فقيل إنها ((علم الاشارات وعلم العلامات)) (٣).

فاذا تحددت السيمائية بالعلاقة او الاشارات وقد ذهب كل من بيرس وسوسير الى أن السيمياء تهتم بالعلامات وتدرس الاشارات وتوضح العلاقة القائمة بين المتون فقد جاءت الاشارات والعلامات بصيغة الاطلاق أي انها تشتمل على مختلف الحالات التي ترد فيها تلك العلاقات .

والسيمياء عرفت بعلم العلامات وعلم الدلالات بحسب تعريف غير يماس و دهنية الى راي ان كل شيء حولنا يبث اشارات متواصلة وغير متقطعة .

فما ذهب اليه غريماس ضعيف يستحق التوقف عنده، ففي قوله: (إن كل ما حولنا يبعث هو واقع فعلا) لم ماهية هذه الاشياء ولا ماهية الاشارات غير اننا نفهم من زعمه هذا ان كل الاشياء المحيطة بنا تنطلق اشاراتها في العلاقة القائمة بيننا وبينها، ومثال ذلك فان حاجتنا الى الكرسي هي إشارة يبعثها الكرسي نرتبط معها بمدة الحاجة . وإن ما ذهب اليه غيريماس في هذا الرأي إنما هو مجسد في الواقع من خلال حاجتنا للأشياء المحيطة بنا والتي بعث تلك الاشارات كل حاجة حسب اختصاصها واشارتها . (٤)

وقد تقارب غريماس مع سوسير فقد ذهب الى ان اللغة هي عبارة عن ((نظام علامات يعبر عن الافكار لذا يمكن مقارنتها بالكتابات الابدعية للصم والبكم وبأشكال العلامات الارشادية العسكرية التي يتفق عليها مسبقا فتكون لشخص العسكري لكل الاشارة دلالة مستقلة بذاتها او مجموعة الاشارات التي تدل على

تطبيق في الطقوس وبقصد توضيح ما ذهب اليه سوسير هو تلك الطقوس التي تطلها الصلاة من سجود او ركوع او تسليم ودلالاتها الشائعة وهو الخضوع والاذعان لله سبحانه وتعالى . (٥)

ثم ذهب سوسير الى رأي آخر لا يتخلف عن رأيه الاول حينما قال ((إن اللغة نظام من العلامات يعبر عن الافكار وهي نظام ثنائي يتألف من الدال والمدلول ولو سلمنا ان النص الاول من التعريف فعلا هو علامات تعبر عن الافكار لكن مصر اللغة في ثنائية بين دال ومدلول هي امر يستحق التوقف عنده لان اللفظ الواحد قد المدلول الواحد . فقد يكون لفظا واحدا ومدليل متعددة وهذا يحده في الفاظ بعينها اكثر من مدلول فلو اخذنا على سبيل المثال لا الحصر لفظة (عين) لوجدنا انها لفظة واحدة ولها مدليل مختلفة فتدا العين على عين الانسان وعلى عين الماء علامات تعبر عن الافكار ولا يمكن القطع بكونها نظاما ثنائيا يعتبر العلاقة بين الدال والمدلول .

وذهب سوسير بعيدا الى إمكانية أن يؤسس لعلم يأخذ على عاتقه دراسة العلامة داخل الحياة الاجتماعية فيكون موضوع هذا العلم هو العلامة في الحياة الاجتماعية . (٦)

ودلالته هذا القول أن العلامات والاشارات في الحياة الاجتماعية تستوجب التأسيس لعلم يدرس هذه الاشارات لكل مجتمع في المجتمعات دون ان يكون عاما وشاملا لكل المجتمعات لان الذي يصطلح عليه مجتمع آخر . ولا يمكن لنا ان نوجد لغة مشتقة من الاشارات يفهمها المجتمع . (٧)

ثم أعطى خلاصة رأيه بالسيمياء ، فقال عنها : ((السيمياء علم يعني بدراسة العلامات وبينية الاشارات وعلاقتها في الكون يعني ان لكل اشارة مدلول يستوجب ايضاحه لفظيا من الاشارة الى اللفظ وهنا تجدر الاشارة الى ان مدلولات تلك الاشارات تختلف من مكان لآخر لذا استدرك قائلا بمفردة توزيعها او توزيعها أي جغرافيتها وما تعينه من مدلولات تتعلق بخصائص كل مجتمع من المجتمعات وان الاشارات المتفق عليها في مجتمع معين بالضرورة تختلف عن مجتمع اخر وبناء على هذا يصل سوسير الى التعريف الوافي حينما يقول : ((السيمائية هي العلاقات المستخدمة في المجتمع كاللغة والعادات والطقوس)) (٨).

لم يوقف في تعريفه هذا السيميائية على اللغة بل ذهب انها تشتمل على الصادات والطقوس وفسر لنا علم الاشارة بكونه وسيلة التفاهم بين أبناء المجتمع عازيا ذلك التفاهم الى امرين اولهما : ان هذا التفاهم هو نص بين مرسل ومتلقي والآخر هو تلك العلاقات الرابطة بين الالفاظ لتوصيل الرسالة من باعث الى مبعوث له ان (النص عبارة عن شيفرة مختصرة بين القارئ والكاتب ، وفي واجب السيميائية ايجار العلامات التي تربط بين عناصر هذا النص حتى يتفاهم الناس فيما بينهم عن طريق تلك العلامات).^(٩)

هو يستطرد سوسير بعرض آرائه فيفسر لنا جدلية الدال والمدلول التي نوه عنها في تعريف سابق بان الدال هو الصورة السمعية والمدلول هو الاثر النفسي الذي يتركه الصوت المسموع في ذهنية السامع^(١٠). ومن خلال هذا الربط فان سوسير قد قسم الكلام الى اذني وذهني اذا صح التعبير أي اثر تركه الاسماع هو صوت فعقله الذهن ويضرب على ذلك مثلا من الواقع لو قلنا : (عجلة) فان المقصور منها هو تلك الوسيلة المتخيلة ذهنيا والتي ينعكس اثرها على شكل صور مختلفة (سيارة ، حسان ...) او أي وسيلة اخرى تمثل العجلة.

كذلك ذهب سوسير الى التركيز على تفسير رايه حول مسالة الدال والمدلول فقال : ((الدال هو الصورة السمعية وليس الصوت المسموع المادي بل هو الاثر النفسي الذي يتركه الصوت في المسموع))^(١١) وقد عن في ذلك ان الدال هو تلك الصورة التي يتركها المسموع في الذهن وتجسيد لمخيلة السامع صورة متكاملة لكنها شاخصة في البصرة وان كانت بعيدة عن البصر وهذا ما عني بتعريفها بانها صورة سمعية . فيما ذهب ان المدلول ((لا يمثل الشيء العياني بل يمثل الجانب النفسي الذي يتركه داخل النفس وترك لها تخيله ورسمه وفقا لما تراه . ثم يذهب سوسير ابعد من ذلك فيفصل لما ماهية الدال المدلول من خلال دخوله في معرفة تفصيلاته فيقول : ((ان الدال هو الصورة الصوتية المؤلفة من حروف ، اما المدلول فهو مركب عقلي يشير بطريقة غير مباشرة الى الاشياء في الوجود))^(١٢).

إن تأليف الحروف وتشكلها لإعطاء صورة صوتية دالة على شيء معين تشكل الدال بينما التصور الذهني لهذا الشيء والذي يفرض على ذهن المتلقي الاحتفاظ به هو المدلول .

ثم يذهب سوسير لتفسير العلاقة القائمة بين الدال والمدلول وهل ان هذه العلاقة هي علاقة قصدية تعني المعنى المحدود للمفردة ان انها تعطينا مداليل اعتبارية فقال : ((إن العلاقة بين الدال والمدلول علاقة اعتبارية لا تخضع كعالية او السببية في الذهن هو الذي ينتج عنه الاثر النفسي للمدلول وعليه فان العلاقة القائمة بينهما هي علاقة اعتبارية غير قائمة على اساس علمي ينظمها ذلك يعني ان الدال يشير الى المدلول عن طريق الفهم الجماعي وليس عن طريق التحديد العلمي أي ان العلاقة القائمة بين اللفظ ودالته هي علاقة اعتبارية أي انها وكما يقول سوسير ((تحمل بعد ان ثالثاً))^(١٣) وهذا يعني ان هناك ثلاثة ابعاد لكل عملية من علميات الفهم تبنى على اساس ((دال - اعتبار - مدلول)) فالمتوسط بين الابعاد الثلاثة هو بعد اعتباري بالتأكيد وعلى هذا الفهم تظل العلاقة احتمالية ومتوقعة لأكثر من نتيجة أي انها لم تحدد بنتيجة واحدة وهذا مذهب سوسير في العلاقة بين اللفظ ودالة ومدلوله.

وعلى الرغم من ان بيرس قد اختلف نوعاً ما عما وجده سوسير الى ان العلاقة القائمة بقيت ثلاثية الابعاد وانطلقت في هذا المرة من بعد فلسفي ينظر الى الادراك المصرفي على انه قائم على ثلاثة مراحل ليس كقيامه عن سوسير بل هو يأخذ ينظر هي مرحلية الامكان هي نقطة الانطلاق نحو ماهية وجود الشيء ومنها يتحدد البرهان وتكتمل هذه الدور الثلاثية بوجود البرهان أي ان هذه المراحل الثلاثة تمثل وعي الانسان لما حوله ولذاته ، وهذا التقسم هو تقسيم اعتمده فلاسفة اليونان وصولاً الى الفلسفة الحديثة، أي انهم فسروا العملية العلامية بانها تنزع نزوعاً فلسفياً وتفسر وقف رؤية فلسفية تبناها الفلاسفة قبل علماء اللسانيات فجعلوا من العلامة والتي اطلقوا عليها ايضاً (المصورة) على انها شيء ما تتوب عن شخص ما وفي وجهة نظر ما ويصفه ما - ان هذه المجاهيل التي ذكرت انما هي تعبير عن متخيل في ذهنية شخص ما عن شيء ما^(١٤) .

وليس بالضرورة ان تتفق الذهنيات على اختلافها على تلك الصورة بل ان كل مخيلة ان تتخيل تلك الصورة وضوحا او ضبابية ولا تتشابه تلك المخيلات مع بعضها ، وبعبارة اخرى فان متخيلا واضحا في ذهنية شخص ما قد يكون مهما في ذهنية شخص آخر .

وخلاصة القول هو الوصول الى حقيقة مفادها ان دار العلامة تنوب عن شيء ما وهذا الشيء هو موضوعتها وهي لا تنوب عنها بالرجوع الى نوع من الفكرة التي تسمى ركزة المصورة (١٥).

وعلى الرغم من ان العلامة المتشابكة التي ذهب اليها بيرس الا انها تعطي ذات النتائج التي توصل جزء اليها سوسير وسواه حول العنوان حينما وجدوا ان العنونة هي جزء دال على الكل ولا يمكن ان تكون الكل متعدد الا جزاء أي انه اشارات غير مرمزة واضحة ترتبط بعلامة وثيقة مع بعضها وتتصل بجزء من المتن مكتفية بهذا الجزء اشارة الى الكل . وفي الحقيقية فان التعريف الذي اوردته بيرس يشير الى امرين الاول : هو ان العلامة رموز صوتية مادية يصطلح عليها باختلاف الترجمات تصل الى تسميتها بالممثل والماثول ويقابله عند سوسير الدال والامر الاخر تمثل بالصورة الذهنية التي ترسمها المخيلة فتشكل المؤول والمفسر وقد قابلت المدلول عند سوسير (١٦) وتجدر الاشارة الى ان الاختلاف بين سوسير وبيرس ليس اختلافا في النتائج بل اختلافا في الاساليب الموصولة لتلك النتائج ولا يعني اختلاف الى الدال والمدلول فمثلا تصول سوسير توصل بيرس الى ان العلامة ((هي الممثل او الماثول ومن الموضوع ومن المفسرة وهو تقسيم ثلاثي المستوة)) (١٧)

المبحث الثاني: دلالة السيمائية عند بيرس:

لم يبتعد بيرس عن الثلاثية التي اعتمدها سوسير إلا أن بيرس قد أكد على ان كل شيء كان في الذهن انما هو داخل ضمن المقولات الثلاثة الاولى والثانوية والثالثة (١٨) ثم فسر الاولانية بكونها الممثل او ما اطلق عليه بالماثل والثانية قصد بها الموضوع و الثالثة فعمد بها المؤول - وهذا يعني ان تبسيطها

للمراحل الثلاثة انما هو يدل على (العنوان كلفظ ، العنوان كمعنى ظاهر ، العنوان كتاويل) وبعبارة اخرى فان العنوان بصيغته اللفظية هو ركن مستقبل عن العنوان بصيغته المعنوية اما تاويله فياتي كمرحلة ثالثة. وعلى هذا الاساس فان الصيرورة السيميائية تستدعي وجود (الماثول و هو اداة للتمثيل والموضوع باعتباره الشيء للتمثيل ، والمؤول وهو الرابط بين التمثيل والشيء))^(١٩) وهذا يقتضي ان تكون العلاقة بين الماثول والموضوع هي علاقة غير مباشرة بل انها تنتج عن طريق مرورها بالمؤول . وعلى هذا الاساس فان استعرضا لثلاثية بيرس نجد ان هناك تفصيلات دقيقة قد لحقت هذا الموضوع فجعلته افقا واسعا لوضع دراسات عديدة حول تفصيلاته ومن بين المفردات التي واكبت ثلاثية بيرس :-

١- الايقون : ((هي علامة تحيل على الموضوع وفقا للخصائص التي يمتلكها ذلك الموضوع سواء كان موجودا او غير موجود وان هذه العلاقة قائمة على اساس التشابه))^(٢٠). فالايقون اذن عبارة عن علامة وهذه العلامة ترتبط ارتباطا وثيقا بالموضوع وتشير اليه سواء كان هذا الموضوع مقتسر بشكل مباشر او مرمز داخل المتن فالايقون اذن هو دالة من دلالات العنوان وليس كل الدلالات .

الامارة : وهي علامة او تمثيل يحيل على الموضوع بصرف النظر عن وجود أي تشابه معه ولا لكونه مرتبط بالخصائص العامة التي يمتلكها هذا الموضوع فقط لأنه يقوم على اساس الارتباط الدينامي ومثال ذلك (الارتباط القضائي) مع الموضوع الفردي من جهة دمج المعنى او ذاكرة الشخص الذي يشغل عنده هذا الموضوع كعلامة من جهة ثانية^(٢١) فلو قلنا مثلا مفردة (تاريخ) دون ان نكمل ماهية هذا التاريخ فان الذهن سينصرف بالضرورة الى علم قائم بحد ذاته هو علم التاريخ دون الخوض في التفصيلات والماهيات فوجود المفردة المجردة اعطت لنا امانة ما تستهدفه اللفظة كذلك لو قلنا (قانون) فان هذا اللفظ يدل على حقل مصرفي معين دون التجديد التفصيلي لذلك من اركان هذا القانون . أي أن ((العلامة داخل العلاقة الامارية على التجاور الوجودي))^(٢٢).

٢- الرمز : هو ماثول يلحق طابعة التمثيلي في كونه قاعدة تجدد مؤولة فكل الكلمات والجمل والكتبة وكل العلامات الصرفية الاخرى تشتغل كره فحن نتحدث عن كتاب او نطق كلمة رجل ولكن في واقع الامر لا ننطق ولا نكتب الأنسنة وتجسيد لهذه الكلمة (٢٣) .

أي ان المفردات هي عبارة ن مدلولات عرفية اجمع عليها ابناء مجتمع ما دون غيره فأصبحت رمزية دالة على شيء محدد فيما بينها رجل عرف ما تعينه المفردة يقابله في مجتمع اخر غير هذه المفردة كذلك هي معرفة لديهم لذا فان للرمزية دالة عرفية مجتمعية لا تحتاج الى تأويل لأنها مفردات يتفق بين ابناء المجتمع الواحد أي ان فهمها هو فهم مشترك .

سيمياء العنوان :

اهتم السيميائيون ومن خلال طروحاتهم اهتماما كبيرا بالفنون باعتباره احد المصطلحات الاجرائية والتي تستهدف مقارنة النص الادبي وهي بالضرورة تعد مفتاحا من مفاتيح الولوج لعالم النص ومحاكاته والسير قدما في تاويله وقد اعتبر البعض ان بمقدور العنوان ان يقوم بتفكيك النص بقصد ترتيبه بعد استكناه متباينة الدلالية والرمزية لذا وجدنا ((اول عتبة يطؤها الباحث السيميولوجي هي استنطاق العنوان واستقراؤه افقيا وعموديا)) (٢٤)

وبهذا المفهوم فان العنوان قد اصبح خطوة اولى في طريق الارتقاء الى قمة النص وادراك موضوعاته من ناحية اللفظ والمعنى وتاويله بالشكل الذي يوضح لنا اهدافه ورسائله ويفك بذلك العديد من شفراته الداخلية وليس بالضرورة ان يكون العنوان كل العتبات لكنه بالضرورة ان يكون العتبة الاولى .

فالعنوان كما يرى عدد من الباحثين انه ((علامة لغوية وقواعد تركيبه تشكل دلالاته على الموضوع وهو هوية العمل الابداعي وهو بالتالي تشكل مفارقة بما بعنوان)) (٢٥)

عليه فان العنوان في الادب هو نص مستقل يحمل دلالات و اشارات على ما يتضمنه المتن مشيرا الى مستوى من مستوياته الكثيرة وقد اعتبر البعض ان المقاطع النصية التي تلي العنوان هي تعريفات منه وان العلاقة القائمة بين العنوان وتلك المقاطع هي علاقة طبيعية منطقية مبينة على اساس تكاملي^(٢٦) عليه فان العنوان وبجميع الاحوال هو اول خطوة في طريق الكشف الدلالي لاي متن من المتون الادبية وان هذه العلامة التكاملية بينه وبين تفاصيل المتن مشترط وجودها بل هي لازمة لا يمكن الغنى عنها لامكانية حل شيفرات النص .

وقد ذهب البعض الى القول التي يستقطبها فيتم تردها في مقطع داخل النص فتاتي تلك المقاطع متواشجة مع العنوان عبر تشكلات وتقابلات وصولا الى الهدف الذي وضع من اجله كل من العنوان والمتن في ان واحد^(٢٧)

ويسهم العنوان بشكل مباشر في شيوع النص او انحسارها لذا نجد ان منشئ النصوص قد اهتموا اهتماما كبيرا بإثارة وجاذبية عناوينهم مستهدفين بذلك استشارة المتلقي وكسبه لفهم بقصد اقحامه كطرف اساسي وفاعل في منطقة العمل الادبي^(٢٨) وعليه فان العنوان هو المنبر الاولي للمتلقي على اساسه يتم قبول النص او رفضه لذا نجد التسابق على انتقاء العناوين واثرها البلاغي والادهاشي قد اخذ جزا كبيرا من جهد الكتاب على ان هذا العنوان يفترض ان يكون خير تعبير عن بعض المتون وارتبطت قوة العنوان وافر النص ارتباطا وثيقا بالمتلقي و قد نجد ان بعض العناوين الموجزة بمفردة او مفردتين او جملة بسيطة غالبا ما تستشير بها القارئ للوهلة الاولي فتحمله على الولوج فيها ومن بعثها ولا يشترط في ذلك ان يكون المتن بمستوى العنوان لان بعض الاعمال الادبية وان وضعت لها عناوين كبيرة الا انها ومن خلال المتن تظل قاصرة عن ادراك مستوى العنوان والمبالغة فيه وقد يحصل العكس فيكون العنوان متواضعا بينما يشكل المتن اهمية كبيرة وتظل هذه العملية خاضعة للمستوى الثقافي والادراك لأهمية العنوان وقفا على ثقافة ووعي الكاتب وقد وجد البعض ان العنوان هو العلاقة بين الدال والمدلول ملفوظا او مكتوبا وهو يمثل

الدال اللغوي ويحمل طاقة تعبيرية هادفة على المحتوى))^(٢٩) والبعض قد ذهب الى ان العنوان ((يقوم بمهمة تسمية النص والتعريف به كشفة وهو بهذا يشكل علاقة سيميائية تمارس فعل التدليل وتموقع على الحد الفاصل بين النص والعالم))^(٣٠) ولعل التعريفات اعلاه وضعت العنوان في مقدمة اهتمامات ولعل التعريفات اعلاه وضعت العنوان في مقدمة اهتمامات النقاد والباحثين من خلاله يستطيعون استكناه النص والدلالة عليه بل ان لمتلقي لا ينزع نحو العنوانات التي تقتصر للدلالة والرمزية وتبتعد عن الفهم وتؤسس العلاقة بين مدلولها والمتن الادبي وهذا يعني ان العنوان يشكل الحلقة الحيوية ضمن حلقات النص المتعددة .

ولعل ليو هوك الذي شغل نفسه كثيرا في دراسة سيميائية العنوان وجد في نهاية الامر انه عبارة عن مجموعة علامات لسانية تصور وتشير الى المحتوى العام^(٣١)

بيد ان المؤاخذة على هذا التعريف انه قد اهمل غير اللساني وحدد العنوان بكونه لساني فقد يكون العنوان ذا ابعاد معنوية ودلالات الصورة كما ذهب الى ذلك علوش قائلا : العنوان مقطع لغوي من الجملة نسا))^(٣٢)

فيما ذهب حيث الى ان العنوان ((ليس مجموعة الكلمات تتوسط اعلى صفحات النص انما هو نص تتناسل ايحاءاته الدلالية نسا لخطه ووظيفته بل هو نص اخي يوازي النص الذي يقع تحته))^(٣٣) وعلى هذا تتأسس حقيقة مفادها ان العنوان جزء غير مستقل من النص بل يندرج ضمن هذا النص ويشكل الجزء الاهم منه .

وعلى اية حال فان بإمكاننا النظر الى ان العنوان علامة سيميائية يؤدي بلاغية وتواصلية .^(٣٤) وان الزوايا التي تشكل من خلال العنوان هي زاوية السياق داخل السياق و السياق خارج السياق) أي ان العنوان ينطلق من السياق ويدخل فيه ثم يخرج دلالاته من السياق وتؤسس خارجه ويدخل فيه ثم يخرج مع العمل على المستوى السيميائي ويملك وظيفة مرادفة للتأويل .^(٣٥)

ووفقا لما تقدم فاننا نرى العنوان هو الجزء الاساس من النص سواء كان هذا الجزء لفظيا او بلاغيا فانه يشكل المدخل الاول لتفاصيل ولايخرج في دلالته لموضوع اخر تساهم في جذب المتلقي والامسالك متواشجة قائمة ولا ينفرد منه كذلك يؤسس عملية متواشجة على اساس التكامل اللفظي والبلاغي وهو مسالة بنسبة كاتب واخر تعتمد على مستوى ادراكه لما يكتب .

الخاتمة:

خلص البحث الى ما يأتي:

- ١- إن السيمائية جاءت نتاج عالم اللسانيات السويسري دي سوسير الذي بشر بميلاد علم جديد أطلق عليه اسم (السميولوجيا) ستكون مهمته "دراسة حياة العلامات داخل الحياة الاجتماعية".
- ٢- الفيلسوف الأمريكي شارل سندرس بيرس الذي دعا الناس إلى تبني رؤية منطقية جديدة في التعاطي مع الشأن الإنساني وقد أطلق على هذه الرؤية (اسم السميوطيقا).

الهوامش:

- ١ - ينظر: السيمياء العامة وسمياء الادب: ١٧
- ٢ - ينظر: م ن : ١٧
- ٣ - السيمياء ، بيرو غيرو ، تر ، انطوان ابي زيد: ٦٢
- ٤ علم اللغة العان سوسير ، تر ، يوثيل عزيز، ٨٧
- ٥ - المصدر نفسه ، ص ٨٦ .
- ٦ - ينظر : الاتجاه السيميائي في نقد السرد العربي الحديث: ٥٣
- ٧ - مقدمة في علم الاشارة - السيميولوجيا ، بيرو جير ، تر ، منذر عياشي: ٩
- ٨ - اللسانيات النشأة والتطور: ١٣٢
- ٩ - في الادب الحديث ونقده: ٢٩٦
- ١٠ - ينظر: السيميائية الاصول والقواعد والتاريخ : ٣٣.

- ١١ - نفسه: ٣٣
- ١٢ - أسس السيميائية ، دانيال تشاندلر : طلال وهبة: ٤٧.
- ١٣ - الاتجاه السيميائي في نقد السرد الحديث : ٧
- ١٤ - السيميائية ونظرية العلامات ، جدار دلوال ، تر ، عبد الرحمن بدعلي: ٩٥ - ٩٦.
- ١٥ - السيميائية ونظرية العلامات : ٩٦
- ١٦ - الاتجاه السيميائي في نقد السرد العربي الحديث : ٧٦
- ١٧ - السيميائية والتأويل : ٣٨.
- ١٨ - السيميائيات ونظرية العلامات : ٧٩
- ١٩ - السيميائية والتأويل : ٧٧
- ٢٠ - ينظر: السيميائية ونظرية العلامات : ١٥٦.
- ٢١ - ينظر: مدخل الى المناهج النقدية : ٨٢
- ٢٢ - م. ن : ١٢٢
- ٢٣ - ينظر: السيميائيات والتأويل : ١٢١- و السيميائية ونظرية العلامات : ١٥٦.
- ٢٤ - السيميوطيقا والعنونة: ٩٦
- ٢٥ - العنوان وسيميوطيقا الاتصال الادبي : ٢٣
- ٢٦ - سيميائية العنوان واستراتيجية المفارقة لقصيدة المسدلون لنزار قباني ، بشير تاويريت ، جامعة محمد خنجر ، ١.
- ٢٧ - المقاربة السيميائية للنص الادبي ادوات ونماذج ، عبد الجليل منقور ، محاضرات الملتقى الاول السيميائية والنص الادبي ، جامعة محمد خضير ، ٢٠٠١ : ٦١
- ٢٨ - ينظر العنوان في الشعر العراقي المعاصر ، انماطه ووظائفه ، ضياء راضي الناصري ، مجلة القادسية للآداب والعلوم والتربية ، ج ٩ ومج ٢٤ ، ٢٠٠٩
- ٢٩ - العنوان وسيميوطيقا الاتصال الادبي : ٢٤
- ٣٠ - الطاقة الدلالية للعنوان في القصة ، خالد حسين ، جريدة الاسبوع الادبي . ١٠٧ ، ٢٠٠٧.
- ٣١ - ينظر : هوية العلامات : ١٢

- ٣٢ - معجم المصطلحات الادبية : ١٥٥
- ٣٣ - في نظرية مغامرة تأويلية في شؤون العتبات النصبية ، خالد دار التكوين ، ٢٠٠٧ : ٧٦ .
- ٣٤ - ينظر: عتبة العنوان في الرواية الفلسطينية دراسة في النص الموازي ، فرج عبد الحسيب، جامعة الحاج الوطنية : ٢٤ .
- ٣٥ - معجم مصطلحات الادبية : ١٥٥ .
- المراجع:**
١. السيمياء العامة وسمياء الأدب ، عبد الواحد المرابط ، بيروت ، الدار العربية ، ط١ ، ٢٠١٠ :
 ٢. السيمياء ، بيرو غيرو ، تر ، انطوان ابي زيد ، منشورات ادراينا ، ط١ ، ١٩٨٤
 ٣. علم اللغة العان سوسير ، تر ، يوثيل عزيز ،
 ٤. الاتجاه السيميائي في نقد السرد العربي الحديث ، د. محمد فليح الجبوري ، دار الامان ، الرباط ، ط١ ، ٢٠١٣ .
 ٥. مقدمة في علم الاشارة - السيميولوجيا ، بيرو جير ، تر ، منذر عياشي ، دار طلاس الترجمة والنشر ، ط١ ، ١٩٨٩ :
 ٦. اللسانيات النشأة والتطور أحمد مؤمن ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ط١ ، ٢٠٠٢ ،
 ٧. في الادب الحديث ونقده، د. عماد على سليم الخصيب ، دار المسيرة ، عمان ، ط١ ، ٢٠٠٩ ،
 ٨. أسس السيميائية ، دانيال تشاندلر : طلال وهبة ، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٨ :
 ٩. السيميائية ونظرية العلامات ، جدار دلوال ، تر ، عبد الرحمن بدعلي ، دار الحوار ، ط١ ، ٢٠٠٤ ،
 ١٠. العنوان وسيميوطيقيا الاتصال الادبي :
 ١١. سيميائية العنوان واستراتيجية المفارقة لقصيدة المسدلون لنزار قباني، بشير تاويرت، جامعة محمد خنجر
 ١٢. المقاربة السيميائية للنص الادبي ادوات ونماذج ، عبد الجليل منقور ، محاضرات الملتقى الاول السيميائية والنص الادبي ، جامعة محمد خضير ، ٢٠٠١ :
 ١٣. ينظر العنوان في الشعر العراقي المعاصر ، انماطه ووظائفه ، ضياء راضي الناصري ، مجلة القادسية للأداب والعلوم والتربية ، ج٩ ومج ٢٤ ، ٢٠٠٩
 ١٤. الطاقة الدلالية للعنوان في القصة ، خالد حسين ، جريدة الاسبوع الادبي . ٢٠٠٧ .
 ١٥. في نظرية مغامرة تأويلية في شؤون العتبات النصبية ، خالد دار التكوين ، ٢٠٠٧ :
 ١٦. عتبة العنوان في الرواية الفلسطينية دراسة في النص الموازي ، فرج عبد الحسيب محمد مالكي ، جامعة الحاج الوطنية.

الفحص الطبي قبل الزواج مفاهيمه، إيجابياته وسلبياته، وما ينبغي مراعاته فيه من وجهة شرعية

م.د. رزاق محسن محمد شريف

كلية التربية الأساسية/ جامعة الكوفة

المقدمة:

تضمن البحث أربع فقرات، تناولت في الفقرة الأولى مفهوم الزواج، وفي الثانية مفهوم الفحص الطبي، في حين خصصت الفقرة الثالثة لبيان أنواع الأمراض التي لها ضرر كبير على المقبلين للزواج، أما الفقرة الرابعة فتناولت فيها الشروط والآداب التي ينبغي مراعاتها عند الفحص الطبي قبل الزواج.

أولاً: مفهوم الزواج:

الزواج في اللغة: لفظٌ يُعبّر به عن شأنٍ أو نوع علاقة أو ارتباط واقتران^١، فقوله تعالى: (وَإِذَا النُّفُوسُ رُوِّجَتْ)^٢، بمعنى قرنت كل نفس بمن يشاكلها من النفوس الأخرى، أو بما يشاكلها من أعمال، وقيل هو اقتران الأرواح بالأجساد، أو اقتران نفوس الصالحين بالحوار العين ونفوس الطالحين بالشياطين^٣، وذلك يعني ضم شيء إلى مثله.

و (الزواج، بالفتح، من الترويح: كالسلام من التسليم، والكسر فيه لغة، كالنكاح وزناً ومعنى، وحملوه على المفاعلة)^٤، وهي كلمة مشتقة من زوج، ولهذه الكلمة دلالات عدّة تختلف بحسب السياق، فتارة تعني؛ ما يقابل الفرد، فالزوج: خلاف الفرد، يقال؛ زوج أو فرد، كما يقال: شفع أو وتر^٥، أو الاقتران، وأخرى تدل على المرأة، أو امرأة رجل ما، أو بعل الأنثى، قال الجوهري: (زوج: زوج المرأة؛ بعلها، وزوج الرجل: امرأته قال الله تعالى: (يَا أَدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَرَوْجُكَ الْجَنَّةَ)^٦، وقال تعالى: (أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ)^٧، ويصح أن يقال لامرأة الرجل؛ زوجته، إلا عند الأصمعي، فلم يرتضه، إلا أنهم ردّوا قوله، وحملوه على التعسر والتشدد^٨، وأخرى تدل على اللون أو الشكل أو صفة خاصة^٩، وأخرى، وقد تستخدم لاثنتين مقترنين مجتمعين، وقد تستخدم بالثنائية للدلالة على متساكِلين مقترنين، قال الله تعالى: (فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ

وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ رَوْحٍ بِهِيجٍ^{١٠}، (سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا)^{١١}، (وَأَخَّرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ)^{١٢}، (احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ)^{١٣}، (وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ)^{١٤}، فكل مورد تأتي لدلالة بحسب السياق. وقد يطلق لفظ النكاح مراداً به الزواج، والإنكاح مراداً به التزويج، وقد يأتي الأخير بمعنى الرغبة أو الشروع في التزويج أو إرادة وقوعه، قبل أن يتحقق، قال تعالى: (قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ)^{١٥}، أي أزوجك إحداهما، أو أرغب في تزويجك ابنتي ومصاهرتك^{١٦}، ومنه يُسمى عقد الزواج، عقد النكاح.

الزواج في الاصطلاح - يُطلق على اتفاق يُنشأ جراه علاقة الارتباط والاقتران بين الرجل والمرأة عادة، وعلى الوطئ أيضاً.

ففي الاصطلاح القانوني: (الزواج عقد بين رجل وامرأة تحل له شرعاً غايته انشاء رابطة للحياة المشتركة والنسل)^{١٧}، ويتم العقد بالإيجاب والقبول، وأوضحه المشرع العراقي، بقوله: (ينعقد الزواج بإيجاب - يفيد لغة أو عرفاً - من أحد العاقدين، وقبول من الآخر، ويقوم الوكيل مقامه)^{١٨}.

وظاهر أن المشرع العراقي عرّف الزواج بالعقد الذي يتقوم بالإيجاب والقبول، وهو وجه راجح فقهيًا، لما يترتب عليه من آثار، ثم عرض جملة من شروطه وموانعه، من أهلية وعدم إكراه، وإن يعي كل من طرفي العقد المراد من ألفاظه، واشترط الإشهاد استلهاً من بعض المذاهب الإسلامية، ولعله لما يستتبع من ضمان الحقوق ولحاجته عند التداعي والتنازع.

وهو في الاصطلاح الفقهي: (عقد بين رجل وامرأة يفيد حلّ استمتاع كل منهما بالآخر، ولا يمنع من ذلك مانع شرعي)^{١٩}، فهو عقد يؤدي إلى إنشاء علاقة زوجية عن طريق صيغة خاصة مشتملة على الإيجاب والقبول.

والزواج منشأ استقرار ومبدأ تكاثر منظم منضبط بضوابط خاصة، وهو آية من آيات النظام الذي أبدعه الله جلّ وعلا، قال تعالى: (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً

وَرَحْمَةً^{٢٠}، فالزواج يحقق السكن والاستقرار النفسي للزوج ذكراً وأنثى، وهذا من عوامل رقي الفرد والمجتمع، ولاسيما بالنظر إلى ما جعله الله تعالى من المودة بين الزوجين، ولاسيما إذا أخذت بنحو الجعل التشريعي، بمعنى أنه تعالى فرض على الزوجين أحدهما لآخر؛ إبداء المودة والرحمة، وهذا مما يعطي ارتياحاً نفسياً يفسح المجال أمام الإنسان لأداء ما عليه بصورة جيدة، والتعامل بإيجابية مع مشاق الحياة. ولذا نجد الشريعة الإسلامية تحت على الزواج، وبما أنه ضرورة من ضروريات استدامة الإنسان في الحياة الدنيا، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً)^{٢١}، فهو سبيل الحِفاظ على النسل وانتشاره ولاسيما الذرية الطيبة الناتجة من زواج شرعيّ يقترن فيه عنصران طيبان، لرفد المجتمع الإنساني بالصالحين المصلحين، روي عن أبي جعفر الباقر "عليه السلام"، أنه قال: قال رسول الله "صلى الله عليه وآله": (ما يمنع المؤمن أن يتخذ أهلاً لعل الله أن يرزقه نسمة تنقل الأرض بلا إله إلا الله)^{٢٢}.

والزواج لا يعني إفراغ الغريزة، فذلك يمكن أن يحصل بطرق أخرى غير منضبطة، لكن الزواج طريق الفطرة السليمة وسنة الحياة القويمية الكريمة، وهو الذي دعا له القرآن الكريم والسنة الشريفة، قال جلّ من قائل: (فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَتْنَى وَثَلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا)^{٢٣}، فالزواج الذي يدعو إليه القرآن العدل من أهم أسسه، ويوسع الأمر ليشمل العبيد والإماء، ليدفع توهم عدم اندراجهم في هذا النظام، قال أحسن القائلين: (وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُعْزِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)، فأمر بتزويجهم ووعد وهو الصادق القادر بإغنائهم لدفع القلق من الكلفة والمؤنة الزائدة التي قد يتصور أن بعض الناس غير قادرين على اجتيازها.

وقد أبدع التعبير القرآني برسم صورة فنية للعلاقة بين الزوجين، إذ يمثلها باللباس؛ (هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ)^{٢٤}، فاللباس ستر وزينة وحصن، وجعلها تكاملية فكلّ من الزوجين زينة وسائر وحصن للآخر،

ومن هذا يظهر الحث على الزواج عن طريق صورة الحاجة والتكامل، ويُلمع إلى أهمية حسن الاختيار؛ كاختيار اللباس..

وروي عن النبي الأكرم "صلى الله عليه وآله"، أنه قال: (من كان يحب أن يتبع سنتي فإن من سنتي التزويج)^{٢٥}، وعن أمير المؤمنين "عليه السلام": (تزوجوا فان رسول الله "صلى الله عليه وآله"، قال: من أحب أن يتبع سنتي فإن من سنتي التزويج)^{٢٦}.

وواضح أن المنسوب إلى السنة النبوية الشريفة من الزواج هو القائم على ضوابط بناء الأسرة والمجتمع على الأسس السليمة، وإلا فالزواج المنفلت المبني على داعي الغريزة سنة كونية تدعو لها غريزة الحفاظ على النوع وتدفع إليها الشهوة.

ولذا نجد الروايات اهتمام الشريعة بقضية الزواج منذ أن يُفكر الرجل أو المرأة بالارتباط، وقد وردت روايات تتصح بحسن الاختيار، بل إن بعضها أشارت إلى أمور دقيقة، تتعلق بالأوصاف الجسدية أو الصحية أو الفكرية أو الأخلاقية أو غيرها مما له الأثر في الاستيلاء أو الانسجام، بل حتى ما يتعلق بالأمور الاقتصادية، وما ذلك إلا لأهمية الأسرة التي ينتجها الزواج ثم يقوم عليها المجتمع، فقد روي في ذلك روايات بعضها يخص أوصاف أو حالات عند الرجل أو المرأة.

فالزواج رباط يوجب الشركة والإفضاء بما في النفس للطرف الآخر، لذا ورد في جواب أبي عبد الله الصادق "عليه السلام" إبراهيم الكرخي، إذ قال: قلت لأبي عبد الله "عليه السلام": (إن صاحبتني هلكت وكانت لي موافقة، وقد هممت أن أتزوج؟ فقال لي: انظر أين تضع نفسك، ومن تشركه في مالك، وتطلعه على دينك وسرك)^{٢٧}.

فلا بد من الفحص والاختيار بما يكشف عنه، وليس ذلك مختصاً بجانب دون آخر، فقد تقدم ما يدل على أهمية الفحص عن الدين والخُلق والأمانة، وكذلك بالنسبة للقابلية على الإنجاب الذي هو هدف مهم في الزواج، فقد روي عن النبي "صلى الله عليه وآله" أنه قال: (تزوجوا بكرة ولودا ، ولا تزوجوا حسناء جميله

عاقراً^{٢٨}، وقال: (إن خير نسائك الولود الودود العفيفة العزيزة في أهلها، الذليلة مع بعلمها، المتبرجة مع زوجها الحصان على غيره)^{٢٩}، فقد استجمع هذا النص الشريف جملة من الأوصاف المهمة التي ينبغي تقصّيها، وتجنب من العناصر المغرية إذا تجردت عن الصفات المهمة، فالمغريات كالجمال وإن كان ذا قيمة عالية، إلا أنها تتلاشى فيما إذا لم توازرها أمور أخرى، وقد ورد تشبيه النبي "صلى الله عليه وآله"، للمرأة الجميلة التي تحمل صفات أخلاقية ذميمة بخضراء الدمن^{٣٠}، وهذا بطبيعة الحال يمكن سحبه على الرجل أيضاً، فهو وإن تمتع بجاه أو قوة أو مال، إلا أنه سيكون كخضراء الدمن إذا اتصف بصفة ذميمة كالبخل، أو بعاهة تمنعه عن سد ما هو ضروري للمرأة، فالرجل قلادة تأسر المرأة، كما أن المرأة قلادة تزين الرجل أو تشينه^{٣١}، فالزواج يربط الزوجين حتى شبه بالرق، في ما روي من قول رسول الله "صلى الله عليه وآله": (النكاح رق، فإذا أنكح أحدكم وليدة فقد أرقها، فلينظر أحدكم لمن يرق كريمته)^{٣٢}.

فالمراة أن ينبغي لها ان تفحص عن ميزات الرجل لتختار الجيد المناسب، بنفسها أو بواسطة وليها، كالرجل على السواء، وقد روي عن رسول الله "صلى الله عليه وآله"، أنه قال: (أنكحوا الأكفاء وأنكحوا فيهم واختاروا لنطفكم)^{٣٣}، وهذا واضح في البحث عن كفاية الرجل والمرأة، وليس فقط الكفاية الاقتصادية واليسار أو الوجاهة والقوة البدنية وغير ذلك، بل التبيين والتفحص عن الأمراض لتجنب المصابين إلى ان يتعافوا، ومثال ذلك مدمن الخمر، فقد ورد بيان ذلك في ما روي عن الرسول الأكرم "صلى الله عليه وآله" أنه قال: (قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): شارب الخمر إن مرض فلا تعودوه - إلى أن قال:- وإن خطب فلا تزوجه)^{٣٤}، وعن أبي عبد الله الصادق "عليه السلام" : (من زوج كريمته من شارب خمر فقد قطع رحمها)^{٣٥}، وكذلك بالنسبة للأمراض الوراثية، على اعتبار أن "العرق دساس" كما روي^{٣٦}، والتحذير من التزويج بالحمقاء والمجنونة، فإن تزوجها فلا يستولدها، وهذا ينطبق على الأنثى والذكر بمناط واحد، وغير ذلك كثير من هذه الأحاديث^{٣٧} التي استند إليها الفقهاء في الكراهة لبعض حالات الأمراض، وكذلك الأحاديث التي تعرضت لبيان حكم التدليس والعيوب الموجبة لفسخ عقد النكاح^{٣٨}.

ومما تقدم يتضح أهمية حسن اختيار الشريك في الزواج، ومن مقدمات الاختيار الاطلاع على جملة من الأمور، ولعل من أهمها اليوم الفحص الطبي.

ثانياً: مفهوم الفحص الطبي قبل الزواج:

الفحص في اللغة.

الفحص: كشف المغطى، ومثلوا له بفحص الطائر؛ إذ يدفع برجليه التراب إلى أمام ويقبله يميناً وشمالاً^{٣٩}، و(فحص المطر التراب: قلبه)^{٤٠} ومثله البحث، ومثلوا له بحركة الطائر وغيره شبه الحفر؛ بدفع التراب إلى الخلف^{٤١}، واستخدمت مفردة الفحص للدلالة على استكشاف الأمر من المعنويات، لأنه يحمل معنى (شدة الطلب خلال كل شيء..فحصت عنه وعن أمره لأعلم كنه حاله)^{٤٢}، وفحصت عن الأمور (إذا أكثرت المسألة عنها والنظر فيها حتى تصير منها إلى أن تتكشف لك إلى ما تقنع به وتطمئن إليه منها)^{٤٣}.

فالفحص مما يتوسع في استخدامه للدلالة -ولاسيما المعنوية منها- فيما يعني البحث عن الشيء وبسطه للكشف عما فيه، والحفر والتنقيب عما يكتنه ويضمّر، ولذا يقال: (فاحصني فلان فاحصاً: كأن كل واحد منهما يفحص عن عيب صاحبه وعن سره)^{٤٤}.

ومن تلك السعة استخدمت مفردة الفحص بعد إضافتها للطبي، أو نسبته إليه؛ لاستقصاء أمور طبية معينة لأجل الكشف عما يحمل من حالات لها علاقة بالأمراض.

والطب في اللغة:

أصله العلم بالشيء، والاستطالة، ويعني أيضاً الحذق والمهارة^{٤٥}، والطبيب هو العالم الحاذق بالأمور والعارف بها، واستخدم في علاج النفس والجسم^{٤٦}، ولعل إطلاق الطبيب على من اتخذ صنعة الطب لأنه من المصاديق الظاهرة للعلم والحذق والمهارة.

الفحص الطبي في اللغة:

من تركيب المفهوم اللغوي للفحص والطبي، نعرف بأنه يدل على البحث في جسم الشخص أو نفسه، يجريه الماهر العارف في صناعة الطب، للكشف عما يعتريه من الحالات المرضية أو السلامة منها. الفحص الطبي في الاصطلاح.

عرف الفحص الطبي بتعريفات عدة، يدور مجملها حول الإجراءات التي تساعد الطبيب في الوصول إلى الكشف عن أمور تعين في تشخيص الحالات المرضية أو مقدماتها، إذ هو (اختبار طبي لتشخيص الأمراض واكتشاف مسبباتها)^{٤٧}.

ومن هذه الإجراءات؛ الكشف السريري والتحليلات المخبرية والصور الإشعاعية التي تجرى للمقبلين على الزواج، وهو ما يكون قبل عقد الزواج بهدف الكشف عن احتمال حمل احد الزوجين أو كلاهما لأمراض وراثية أو معدية أو قصور الأهلية للزواج؛ مما قد تؤدي إلى اضطراب الحياة الزوجية.

لأن الفحص الطبي: هو عملية كشف يجريها الطبيب، بقصد معرفة علة مرض، أو تشخيصه، لتحديد العلاج وطريقة تناوله، ويكون ذلك عن طريق إجراءات عدة، مثل سؤال المريض عما يعتريه من الحالات، وعن التاريخ المرضي الشخصي والعائلي، والكشف السريري، وقد يتطلب أخذ عينات مخبرية من الدم أو غيره، أو التصوير الشعاعي، أو المسح بالأمواج فوق الصوتية وما أشبهها من الوسائل^{٤٨}.

وبعبارة أخرى: هو عمل يقوم به مختص، يتمثل بما يجريه المختص بما يتمتع به من علم وخبرة وما يتاح له من أجهزة تساعد في الكشف عن الحالة أو المرض وتشخيصه ومسبباته، وإعطاء العلاج لأجل شفائه إن أمكن، وحينئذ تكون النتائج مجتمعة مما يساعد الطبيب في تشخيص المرض، أو العلة، أو العلاج^{٤٩}.

فالفحص الطبي قبل الزواج: كشف يجريه المختصون للخاطبين، تجتمع نتائجه لدى الطبيب، لمعرفة وتحديد مدى قدرتهما على إمكان إجراء زواج ناجح صحياً بينهما، ويجرى في مراكز طبية متخصصة، بهدف الحصول على بيانات صحية، تتعلق بصحة الخاطبين، عن طريق مجموعة كشوفات لهذا الغرض.

وبحسب تتبع الباحث ميدانياً لما يقوم به العاملون في المختبر التابع لدائرة الصحة، تبين أن الفحص الطبي للخاطبين يتناول تحليلاً مختبرية للدم، منها: تحليل (hb) وهو اختبار الهيموغلوبين لقياس نسبة الهيموغلوبين في الدم، و (mcv) وهو لمعرفة حجم كريات الدم الحمر في الدم، ويساعد هذا التحليل في معرفة مسبب فقر الدم، وهو جزء من تحليل تعداد كريات الدم (CBC)، و (MCH) وهو تحليل يقيس معدل كمية الهيموغلوبين الموجودة في واحدة من كريات الدم الحمر، ويتم الحصول على نتائج التحليل من خلال القيام بفحص تعداد الدم الشامل أيضاً، و (Blood group) وهو تحليل الدم للكشف عن زمرة الدم أو ما يسمى الفصيلة، وذلك للبحث عن مدى توافق دم الزوجين، عن طريق معرفة أحد العوامل المسمى عامل ريسس (Rh Factor) هو جين يكون في دم الإنسان، إذ يمثل الاختلاف -غالباً- مشكلة في حالة الحمل فيما إذا كان الأب من فصيلة موجبة والأم من فصيلة سالبة، إذ يكون الطفل موجباً مخالفاً لأمه، وهنا تكمن المشكلة، إلا أن معرفتها ضرورية من أجل تفاديها بحقن الأم بالمصل المضاد (Anti-D) أثناء الحمل أو بعد الولادة الأولى مباشرة وأيضاً بعد كل ولادة تالية، وحتى بعد حالات الإجهاض وفقد الجنين، لتفادي الأضرار التي قد تلحق الأم أو الجنين أو الطفل بعد الولادة.

وكذلك تحليل الدم (HIV) وهو تحليل للكشف عن وجود أجسام مضادة ينتجها جهاز المناعة كرد فعل على عدوى فيروس نقص المناعة البشري، أو أي دليل على وجود الفيروس، وهو فيروس يُضعف جهاز المناعة ويمكن أن يؤدي إلى الإصابة بمتلازمة العوز المناعي المكتسب (الإيدز).

وكذلك تحليل (Hcv) وهو للكشف عن الأجسام المضادة التي ينتجها الجسم استجابة لعدوى التهاب الكبد الوبائي، وهو مهم لتشخيص الإصابة وإمكان المعالجة قبل الزواج لأنه سيكون أداة انتشار للشريك وللأطفال، و التحليل (Hbs) للكشف عن التهاب الكبد نوع ب، عن طريق الأجسام المضادة السطحية لهذا المرض.

ثالثاً: أنواع الأمراض التي لها ضرر كبير على المقبلين للزواج:

هناك -عادة- نوعان من الأمراض التي لها ضرر كبير على المقبلين للزواج:
الأول: الأمراض الوراثية.

وهي الأمراض التي يتناولها علم الوراثة، بأنها تشتمل على انتقال الصفات الآباء للأبناء من جيل لآخر^{٥٠}.

الثاني: الأمراض المعدية.

وهي الأمراض الناجمة عن مكونات مرضية قادرة على الانتشار بصورة مباشرة أو غير مباشرة، بطرق عدة من شخص لآخر، أو من مصادر حاملة أو مستودعات التلوث المختلفة إلى الإنسان^{٥١}.

والأمراض الوراثية كثيرة، من أهم ما يبحث عنها لدى المقبلين على الزواج:

١- فقر الدم المنجلي: (أنيميا الخلايا المنجلية).

وهي حالة وراثية تمثل اضطراباً ينتمي إلى مجموعة من الاضطرابات تُعرف بأمراض الخلايا المنجلية، متسبب عن اضطراب وراثي في خلايا الدم الحمر، تكون فيه خلايا الدم الحمر غير طبيعية الشكل؛ مثل الهلال أو المنجل، غير قادرة على العيش للمدة الطبيعية المقدرة ١٢٠ يوماً، إذ تعيش هذه الخلايا من ١٠ إلى ٢٠ يوماً فقط؛ ونتيجة لذلك يقل عدد خلايا الدم الحمر الصحية الكافية لأداء الوظيفة مما يسبب مشاكل صحية كبيرة، ويمكن اكتشاف هذا المرض عن طريق تحاليل الدم، وتكون الوقاية منه عن طريق الحد من اقتران زوجين حاملين للمرض، أو أحدهما لتلافيه بإعطاء علاج خاص قبل طفل لهما^{٥٢}.

٢- مرض الثلاسيميا، (فقر دم حوض البحر الأبيض المتوسط).

وهو أحد اضطرابات الدم الوراثية، ويشيع في مناطق البحر الأبيض المتوسط وجنوب آسيا وأفريقيا، وهو يسبب اختلالاً في بروتين الهيموغلوبين (خضاب الدم)، وهو من مكونات خلايا الدم الحمر التي تنقل الأكسجين للجسم، وتؤدي الإصابة بهذا المرض إلى ما يسمى بفقر الدم، لما ينتج عنه من خلل في

نضوج كريات الدم الحمر ويجعلها تتحلل مبكراً، مما يؤثر على عمرها وأدائها الوظيفي، وينقسم هذا المرض على قسمين رئيسيين:

أ- الألفا ثلاثيميا.

ب- البيتا ثلاثيميا.

ويعتمد ذلك على المورثات الحاملة.

ومما يجدر ذكره؛ إن التقديرات العلمية تتحو في الغالب إلى أنه: إذا كان الوالدان غير حاملين فالمولود يكون سليماً، أما إذا كان أحد الزوجين حاملاً فنسبة إصابة المولود بينهما ٥٠ بالمائة، أما إذا كان أحد الزوجين سليماً والآخر مصاباً، فيكون كل المولودين حاملين، وأما إذا كان الزوجان حاملين للمرض من دون إصابة، فنسبة المصابين في المولودين ٢٥ بالمائة، ونسبة السليمين ٢٥ بالمائة، ونسبة الحاملين ٥٠ بالمائة، أما إذا كان أحد الزوجين حاملاً والآخر مصاباً فالنسبة في المولودين ستكون ٥٠ بالمائة حاملين و ٥٠ بالمائة مصابين، أما إذا كان كلا الزوجين مصاباً فستكون نسبة الإصابة في المولودين ١٠٠ بالمائة، وتختلف الإصابة في الشدة والضعف بصورة عامة^٣، ولما للأخير من الخطورة منعت بعض التشريعات في العراق من إجراء عقد الزواج في محاكم كردستان^٤.

والأمراض المعدية: وهي كثيرة أيضاً، أهمها بالنسبة للمقبلين على الزواج:

١- التهاب الكبد، وينتج عن عدوى مرضية تخص الكبد، وهي على درجة عالية من الإضرار وسرعة الانتشار، لذا يوسم بالوبائي، وينتج عن أنواع عدة من الفايروسات، إذ تقول منظمة الصحة العالمية^٥، ما ملخصه:

كشف العلماء عن خمسة فيروسات تخص التهاب الكبد، يُشار إليها بالأحرف A و B و C و D و E، وبين هذه الأنواع اختلافات في دورة حياتها وطرق انتشارها ومدى تأثيرها شدة وضعفاً، فالنوع A ينتقل بواسطة الماء والغذاء الملوث لأنه يوجد غالباً في براز الأشخاص الحاملين للمرض، كما يمكن أن ينتقل

بواسطة بعض الممارسات الجنسية، والشفاء من الإصابة الخفيفة سهلة وتورث المناعة، ويوجد لقاح ضد الإصابة به.

والنوع B، ينتقل عن طريق التعرض للدم والسائل المنوي وأي سائل من سوائل الجسم الملوثة به، ويمكن أن ينتقل الفيروس من الأمهات اللاتي يحملنه إلى أطفالهن الرضع أثناء الولادة أو من أحد أفراد الأسرة إلى الرضيع في مرحلة الطفولة المبكرة، ويمثل فيروس التهاب الكبد B خطراً على الكوادر الصحية لإمكان تعرضهم للإصابات بالإبر التي يناولونها لدى تقديم الخدمات الصحية للمصابين بذلك الفيروس، ويوجد لقاح للوقاية منه.

والنوع C، ينتقل بمثل طريقة النوع B، عن طريق المعدات الصحية والاتصال الجنسي، ولكن ذلك الانتقال أقل شيوعاً، إلا أنه لا يوجد أي لقاح للوقاية من فيروس التهاب الكبد C.

والنوع D، ولا تحدث الإصابات بهذا الفيروس إلا بين المصابين بفيروس التهاب الكبد B، وقد تسفر العدوى المزدوجة بالفيروسين D و B عن وقوع مرض أكثر وخامة وتؤدي إلى مضاعفات صحية أسوأ، وتوفر اللقاحات المأمونة والناجعة المضادة لفيروس التهاب الكبد B الحماية أيضاً ضد عدوى فيروس التهاب الكبد D.

والنوع E، ينتقل في الغالب كما في النوع A، عن طريق المياه أو الأغذية الملوثة به، وهو من الأسباب الشائعة لتفشي التهاب الكبد في البلدان النامية من العالم، وقد تم استحداث لقاحات مأمونة وناجعة للوقاية من فيروس التهاب الكبد E ولكنها ليست متوافرة على نطاق واسع.

٢- مرض العوز المناعي؛ الأيدز: هو مرض مزمن يشكل خطراً على الحياة، وهو ناجم عن فيروس يسبب قصوراً في الجهاز المناعي لدى البشر، ويستهدف فيروس العوز المناعي البشري، جهاز مناعة الفرد ويضعف دفاعه ضد كثير من أشكال العدوى وبعض أنواع السرطان، وبعد تدميره للخلايا المناعية وتقويضه لوظيفتها، يعاني الأفراد المصابون بعدواه تدريجياً من العوز المناعي، ويعدّ السل من الأمراض

الأكثر شيوعاً بين الأشخاص المتعايشين مع الفيروس، وهو يفتك بالمصابين به إن لم يُشخّص أو يُعالج، وهو من أسباب الوفاة الرئيسية بين المصابين بالفيروس،، ويمكن انتقال الفيروس بواسطة مجموعة متنوعة من سوائل جسم المصابين بعدواه، مثل؛ الدم، وحليب الأم، والمني، والإفرازات المهبلية، كما يمكن نقله من الأم إلى طفلها أثناء الحمل والولادة والرضاعة الطبيعية، ولا زالت الدراسات جارية لاكتشاف اللقاحات المفيدة ضد الإصابة بهذا المرض، أو لقاحات الأمراض الأخرى للمتعايشين مع هذا المرض، وقد توصل العلماء إلى بعض الأدوية للمصابين بعدوى الفيروس عن طريق مضادات للفيروسات القهقرية التي تكبت الفيروس لديهم، وعندئذ لا ينقلون عدواه إلى شركائهم الجنسيين. لذلك يتّسم الحصول المبكر على هذا العلاج والدعم اللازم لمواصلته بأهمية حاسمة، لا لتحسين صحة المصابين بالعدوى فحسب، بل لمنع انتقالها أيضاً^{٥٦}.

ولذا من المهم الكشف المبكر عن الإصابة، ولا سيما للمقبلين على الزواج لتفادي ما يمكن تفاديه من أخطار جسيمة لهذا المرض تضر بالشريك والأولاد والمجتمع.

٣- الزهري عدوى بكتيرية تنتشر غالباً عن طريق الاتصال الجنسي، تبدأ الإصابة بالمرض كالتهاب غير مؤلم يظهر على بصورة قرح صغيرة على مناطق الاتصال الجنسي، ثم يحدث طفح جلدي، وحمى، وإرهاق، وصداع، وفقدان شهية، كمرحلة ثانية، وفي حال عدم العلاج، فيمكن في المرحلة الثالثة من المرض أن يلحق الضرر بالشريان الأبهر، والدماغ، والنخاع الشوكي، وغيرها من الأعضاء، وتسري أنواع العدوى المنقولة جنسياً بين البشر عن طريق الاتصال الجنسي بالدرجة الأولى، وقد تسري بعض منها من الأم إلى طفلها أثناء فترة الحمل وخلال الولادة، ومن سبل سرايتها أيضاً نقل مشتقات الدم أو زراعة النّسج، وتؤثر عدوى هذه الأمراض المنقولة جنسياً تأثيراً جسيماً على صحة البالغين والأطفال بأنحاء العالم كافة، فإن إهمال المعالجة يمكن أن يخلف آثاراً صحية خطيرة ومزمنة، تشمل؛ الإصابة بالأمراض العصبية وأمراض القلب والأوعية الدموية والعقم والحمل خارج الرحم وحالات الإجهاض وزيادة خطورة

الإصابة بفيروس العوز المناعي البشري، وترتبط أيضاً عدوى هذه الأمراض بارتفاع معدلات الوصم والعنف داخل المنزل^{٥٧}.

فالزهري أحد الأمراض الخطيرة التي تنتقل جنسياً، داء المشعرات هو من عدوى الأمراض المنقولة جنسياً الأكثر شيوعاً والقابل للشفاء في العالم، ويسبب عدواه أحد أنواع الطفيليات أثناء ممارسة الجماع، أما الكلاميديا والزهري والسيلان فهي من حالات العدوى البكتيرية، ويمكن أن تشمل أعراض الإصابة بعدوى هذه الأمراض الأعضاء التناسلية بالآفات وإفرازات الإحليل أو المهبل والشعور بالألم عند التبول وتعرض المرأة للزيف في الفترة الواقعة بين دورتيها الشهريتين، بيد أن معظم حالات الإصابة بعدوى هذه الأمراض غير مصحوبة بأعراض، ما يعني أن الفرد قد لا يعرف أنه مصاب بعدواها قبل إجراء فحص الكشف عنها^{٥٨}.

ومن هذا نجد أن منظمة الصحة العالمية WHO تعد الفحص الطبي قبل الزواج من أهم الإجراءات الوقائية التي تحد من انتشار الأمراض الجينية، والأمراض الوراثية، والمعدية في العالم وتتناول هذه الفحوصات الزمرة الدموية، والتحاليل الوراثية، والمسح الفيروسي والجرثومي^{٥٩}، على أن هذه الأمراض لا تمنع من الزواج مطلقاً، وإنما تمنعه من شخص معين بشخص معين في أكثر الحالات؛ فمثلاً؛ إذا كان الطرفان حاملان ومصابان بالهيموفيليا أو الثلاسيميا؛ فلا ينصح بزواجهما من بعض، بل ينصح بالبحث عن طرف سليم، وبذلك يضمننا عدم تأثر الأبناء بهذين المرضين، كما أشار البحث فيما تقدم، أو أخذ التطعيم للطرف السليم، أو أخذ العلاجات اللازمة لحامل المرض أو المصاب بحسب المرض بموجب نصائح وإرشادات الطبيب ليتم الزواج من دون مخاطر للشريك أو الأطفال^{٦٠}، بل إن هناك تقنيات جديدة للتعديل الوراثي يمكن الاستفادة منها في درء هذا المرض.

وقد نظر مشرعو القانون العراقي إلى أهمية الفحص الطبي قبل الزواج كون بعض الأمراض تشكل مانعاً لاستيفاء حق الزوجية من ناحية، وللضرر الخاص والعام من جهة أخرى، فقد أعطت مفهوماً كلياً ممكن

أن يدرج تحته جملة من الأمراض أو قصور الأهلية، فمن ذلك معرفة قدرة الخاطب والمخطوبة بديناً على إتمام الزواج، والتأكد من سلامتهما من الأمراض الجنسية والعيوب العضوية التي تحول دون ممارسة العلاقة الزوجية بصورة عادية، لما استشعره المشرع من إصابة أحد الزوجين وذريتهما بأمراض خطيرة، لذ فإن تعبيره بالموانع الصحية الواردة في الفقرة الثانية من المادة العاشرة كان شاملاً للحالة البدنية وما يعترىها من الأمراض كالتناسلية منها والجذام والتدرن الرئوي، والأمراض العقلية التي يمكن أن يندرج تحتها الأمراض والعاهات العقلية مما يصيب يخرج العقل عن وضعة الطبيعي كالجنون أو حالات التخلف العقلي الذي يصل إلى درجتي العته والبله، وما ينتقل من الأمراض عن طريق الاتصال الجنسي مثل الايدز، والأمراض التي تؤدي إلى ولادة أطفال مشوهين ومعاقين، ولذا ألزم المشرع العراقي الراغبين في الزواج بإجراء الفحص الطبي، إلا أن تخلف شرط الفحص لا يستلزم بطلان العقد فيما إذا وقع العقد خارج المحكمة ثم رفعت دعوى لتصديقه^{٦١}.

رابعاً: الشروط والآداب التي ينبغي مراعاتها عند الفحص الطبي قبل الزواج:

لا بد من أن يكون القائمون على إجراء الفحوصات الطبية كالطبيب والمساعدين والإداريين من المتخصصين العارفين أصحاب الخبرة والتجربة والدقة والحفاظ على سرية الفحوصات في عملهم، وكذا تحليهم بالصدق والعفة والأمانة، والنزاهة والإيمان؛ فقد يضطر ببعض الفحوصات عدم التماثل بين الفاحص والمفحوص في حال عدم توفر المماثل، أو عجز الطبيبة -مثلاً- عن التمكن والقدرة من القيام بالواجب فيضطر الطبيب الرجل الرجل لإجراء الفحوصات للمرأة أو غير ذلك من الأمور الطبية. كما ينبغي يجب أن يتمتع بالخلق العالي وهدهو الطباع، ومعرفة سبل التعاون والتوافق الاجتماعي بين طرفي الفحص والقدرة عليها ليتعامل بود وأريحية، وخلق جو إيجابي يمكّن من شرح الحالة يبعث الطمأنينة في نفس المفحوص بأن فاحصه يريد مصلحته.

ولا بد من توفر مختبرات الفحص الحديثة والأجهزة التي تواكب التطور الطبي في كل النواحي؛ موازاة مع ما يتعلق بالتنمية والتطوير للكوادر البشرية العاملة في هذا المجال، وكذلك تأسيس مراكز بحوث الهندسة الوراثية لتطويرها، وتنظيم سجلات للمرضى المصابين بأمراض وراثية، وإدخال المعلومات في الحاسبات الإلكترونية مما يجدي في إجراء التحاليل الإحصائية لمعرفة احتمال أن يكون بين أقاربهم من يكون حاملاً لهذا المرض، ليتسنى التأكد من ذلك بالفحوص الوراثية.

ومما يجدر ذكره أن هناك وصايا وإرشادات حفلت بها الروايات عن النبي الأكرم وآله الطاهرين "صلوات الله عليهم أجمعين"، تخص العاملين في المجال الطبي، تتعلق بالجانب العلمي والأخلاقي، فالطب شرط العلم، فعن أمير المؤمنين "عليه السلام"، انه قال: "العلم علمان: علم الأديان، وعلم الأبدان"^{٦٢}، فلا بد أن يكون محط اهتمام الوصايا الدينية لما له الأثر في حفظ الإنسان والمجتمع، مما يحتم على العامل في هذا المجال تطوير قدراته العلاجية ومواكبة البحوث والدراسات والمكتشفات الطبية الحديثة والعلاجات المستحدثة، والاجتهاد في المعرفة لتفاصيل هذا العلم ودقائقه، وأن يلتزم جانب التقوى والنصيحة في عمله، فقد روي عن أمير المؤمنين "عليه السلام": أنه قال: "من تطب فليتق الله، ولينصح، وليجتهد"^{٦٣}، بل روي أنه "عليه السلام" أمر بمنع مزوالة الطبابة إلا لمن عُرف الحذق والخبرة: "يجب على الإمام أن يحبس الفساق من العلماء، والجهال من الأطباء"^{٦٤}

وعن الإمام الصادق "عليه السلام"، أنه قال: "كل ذي صناعة مضطر إلى ثلاث خصال يجتلب بها المكسب، وهو أن يكون حاذقاً بعمله، مؤدياً للأمانة فيه، مستمياً لمن استعمله"^{٦٥}، فإن الطب كسائر الأعمال يستلزم الأمانة ومراعاة الجانب النفسي في أدائه، بل أن الطب أولى الأعمال باستلزام ذلك، فلو لم يشعر المريض بأمانة الطبيب ولم يلمس منه الرفق والحنان لا يتمكن من البوح بأسرار مرضه مما لا يجب أن يُعرف عنه، فقد يكون المرض من أسرار المريض، التي لا يرغب أن يطلع عليها الآخرون، وذلك يستدعي الاطمئنان من كتمان ذلك وعدم إفشائه من قبل الطبيب، وإذا لم يحصل ذلك الاطمئنان

ولم يخبر المريض الطبيب بما يتعلق بالمرض من أسرار عجز الطبيب عن اكتشاف أسبابه وصعب التوصل إلى علاجه سره أو الحديث عن مرضه؛ لأهمية ذلك في التشخيص، فمن دون التشخيص لا يمكن العلاج، بل هو مما نُهي عنه، فقد روي عن رسول الله "صلى الله عليه وآله"، أنه قال للشمردل المتطبب: "لا تداو أحدا حتى تعرف داءه"^{٦٦}، فإن الدواء من دون تشخيص قد يكون ضرره أكثر من نفعه، فقد روي عن الإمام زين العابدين "عليه السلام"، أنه قال: "من لم يعرف دأؤه، أفسده دواؤه"^{٦٧}، ومثله ما روي عن جده أمير المؤمنين "عليه السلام": "من كتم مكنون دائه عجز طبيبه عن شفائه"^{٦٨}.

كما أن حفظ سرّ المريض مما يندرج تحت حفظ الأمانة فالسر الطبي هو المعلومات التي اطلع عليها الفريق الطبي، أثناء ممارستهم لمهنة الطب؛ سواء أكان نتيجة فحوصات وكشف على المريض، أم إخبار من المريض نفسه، أم استنتاجات الفريق الطبي، وغير ذلك مما له علاقة بصحة المريض أو نوع مرضه أو سيرته الذاتية أو تأريخه الصحي أو محيطه، ويطلق على ذلك في المصطلح الطبي خصوصية المريض^{٦٩}.

ولا شك أن هذه الخصوصية سر ائتمنه المريض لدى الطبيب، وقد أمر الله تعالى بأداء الأمانات إلى أهلها، إذ يقول: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا)^{٧٠}، وقد روي عن أبي عبد الله الصادق "عليه السلام"، عن جده رسول الله "صلى الله عليه وآله"، أنه قال: (أد الأمانة إلى من أئتمنتك ولا تخن من خانك)^{٧١}، فكشف سر المريض منهي عنه، إلا إذا كان ذلك يتعلق بمصلحة تفيد حكماً ثانوياً يبيح ذلك، وقد روي عن أبي عبد الله الصادق "عليه السلام"، انه قال: (المجالس بالأمانة، وليس لأحد أن يحدث بحديث يكتمه صاحبه إلا بإذنه إلا أن يكون ثقة أو ذكرا له بخير)^{٧٢}.

وليستشعر العاملون في هذا المجال ما لهم من الله تعالى من الأجر العظيم، فعن النبي الأكرم "صلى الله عليه وآله" أنه قال: "من سعى لمريض في حاجة، قضاها، أو لم يقضها، خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه"^{٧٣}، وعنه "صلى الله عليه وآله": "من قام على مريض يوماً وليلة بعثه الله مع إبراهيم الخليل الرحمن،

فجاز على الصراط كالبرق اللامع"^{٧٤}، وشاهد ذلك أن مجال التطبيب ورعاية المرضى فيه إحياء للنفس، وقد قال الله تعالى: (وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا)^{٧٥}.

ومن ناحية أخرى فهناك أمور لا بد للعامل في المجال الطبي أن يعرفها لتفادي ما يمكن أن يلحقه من تبعات وجرائر، ومنها؛ أخذ البراءة لنفسه، وروي أن أمير المؤمنين "عليه السلام"، خطب الناس، فقال: "يا معشر الأطباء البياطرة والمتطبيين، من عالج منكم إنساناً أو دابة، ولم يأخذ لنفسه البراءة، فإنه إن عالج شيئاً ولم يأخذ لنفسه البراءة، فعطب فهو ضامن"^{٧٦}.

إلى غير ذلك من الالتزام بالقوانين النافذة والآداب العامة التي ألزمت بها الشريعة الغراء وحثت عليها. إيجابيات الفحص الطبي.

تبرز أهمية الفحص الطبي قبل الزواج كرد فعل لانتشار الأمراض الوراثية والمعدية في جميع دول العالم، وفي بلدان ما يسمى بالعالم العربي بوجه خاص؛ إذ تشكل الأمراض الوراثية والتشوهات الخلقية نسبة عالية من أمراض المواليد الجدد، كما يظهر ذلك واضحاً في الإحصائيات المعتمدة، من أجل ذلك اعتبرت منظمة الصحة العالمية (WHO) أن الفحص الطبي قبل الزواج من أهم الإجراءات الوقائية التي تحد من انتشار الأمراض الجينية والوراثية في العالم^{٧٧}.

فمن الأمور الإيجابية للفحص قبل الزواج:

الكشف المبكر عن الأمراض التي يمكن تؤثر على حياة الأسرة والطفل والمجتمع، والتأكد من خلو الجسم من الأمراض العضوية، والوراثية، أو العوائق التي تضعف القدرة الجنسية التي تحقق إشباع رغبات الآخر، أو الأمراض التي تقلل من فرص القدرة على الإنجاب لتفاديها والوقاية منها، أو إتاحة الفرصة للتداوي قبل الزواج، فيما لو كان أحدهما بحاجة إليه، وذلك لغرض منع حدوث المرض في الأسرة، والحد أو التقليل من انتشار الأمراض الوراثية والمعدية في المجتمع، مما يحقق حفظ الصحة والتقليل من الأعباء المالية، وإيجاد الرفاهية؛ إذ إن الحياة الزوجية من أهم مقوماتها الدوام والاستمرار بعيداً عن

المنغصات التي فيها مرض الأطفال والتشوهات الخلقية التي تؤدي إلى تعاسة العائلة وخلق المشاكل النفسية، أو انهاء الزواج، مما يؤثر على الفرد والأسرة والمجتمع^{٧٨}. وعلى ذلك فلا بد من اتخاذ الاجراءات الطبية اللازمة من الأمراض التي يبرزها الفحص الطبي، وذلك من الوسائل الوقائية المهمة والفاعلة في الحد من انتشار الأمراض الوراثية والمعدية الخطرة ولا سيما لدى العائلات التي لها تاريخ مرضي وراثي معين^{٧٩}. ومما تقدم يظهر أن الفحص قبل الزواج فيه مصلحة الطرفين في حال اكتشاف المرض عند أحدهما، فهو أما ما يمكن معالجته، أو مما لا يمكن وفيه خطورة، فمقتضى مصلحة الطرف الآخر أن لا يتم الزواج ويغنى الله كلا منهما من سعته. سلبيات الفحص الطبي.

عند تتبع ما كُتب من البحوث والدراسات في مضمار جدوى الفحص الطبي قبل الزواج، او لدى المتابعة الميدانية والاستفسار من ذوي الاختصاص، وتقصي جملة من تجارب جملة عينات من الزوجات، يلحظ البحث، امور قد تعدّ من السلبيات، أو قلة جدوى الفحص الطبي مع مزامنته والمعاناة المترتبة عليه، فمن ذلك:

- ١- احتمالية نتائج الفحص، فقد تكون بعض نتائج الفحوصات سبباً في حرمان بعض المقبلين على الزواج من فرصة الارتباط حتى بزواج آخر، مع أن بعض نتائج الفحوصات غير دقيقة أو غير مؤكدة.
- ٢- احتمالية الإصابة وعدمها، إذ إن نسبة الإصابة من الشريك المصاب بل حتى الحامل؛ متذبذبة بحسب المناعة أو الأمور الأخرى، ولذا فهي ليست دليلاً صادقاً أو قاطعاً في التنبؤ بحدوث الأمراض في المستقبل.
- ٣- إيهام الناس بالوقاية، إذ أن يتصور بعض الناس أن إجراء الفحص سيقمهم من الأمراض الوراثية، إلا أن الفحص لا يبحث في الغالب إلا عن أمراض محددة.

- ٤- حرجية المصادقية، تشوب أداء الفحص الطبي مسألة الفساد والمحسوبية في اعطاء النتيجة قبل الزواج، باعتبار أن اكتشاف بعض الأمراض الوراثية قد يؤدي إلى إفشاء لأسرار الناس الشخصية مما قد يسبب حرجاً اجتماعياً لعزوف الناس عنهم، فيتوقف إعطاء النتائج على دواعٍ لها علاقة بذلك.
- ٥- خلق حالة من الوهم، وذلك بإيهام الناس بمسببات معينة، منها: التوهم بأن زواج الأقارب هو السبب الرئيس والمباشر في بعض الأمراض المنتشرة، في حين أن نسبة من الإصابات غير ناتجة عنه.
- ٦- التكلفة المادية، فإن بعض الفحوصات تكلف أجوراً عالية، مما يتعذر أو يتعسر على محدودي الدخل دفع الأجرور زيادة على ما في الزواج من كلفة مالية بحد ذاته.
- ٧- إيجاد حالة من القلق والإحباط، وذلك أن بعض نتائج الفحص مما يخلق حالة نفسية تعكس صفو حياة بعض الناس، كما إذا ما أُخبر الشخص بأنه سيصاب هو أو ذريته بمرض عضال.
- إلا أن الذي يظهر لدى البحث أن هذه أمور نسبية، لا بد من مقارنتها بما يترتب من إيجابيات على الفحص وجدواه والترجيح بينهما، عن طريق مراجعة أدلة الطرفين^{٨٠}.
- الموازنة بين السلبيات والإيجابيات.

إن الأمور الإيجابية في إجراء الفحص كبيرة الأهمية وعلى مستوى عالٍ من الخطر والخطورة، فمع التسليم بوجود نسبة من السلبيات، لا بد من ملاحظة أن ترك الفحص فيه يؤدي إلى مفسدة، والفحص يشتمل على مفسدة أيضاً، فالمعيار المحكم هو أنه (إذا دار الأمر بين ضررين: أحدهما أخف وأقل من الآخر كماً أو كيفاً، فاللزم ارتكاب الأخف، لنفس قاعدة الضرر والضرار)^{٨١}، وذلك (لوجوب ارتكاب أخف الضررين عند التعارض)^{٨٢}، فمن المسلّمات أنه (إذا تعارضت مفسدتان روعي أعظمهما بارتكاب أخفهما)^{٨٣} وإن (الضرر الأشد يُزال بالضرر الأخف.. ويدفع أعظم الضررين باحتمال أخفهما)^{٨٤}.

فمن المهم الاهتمام بقضية التثقيف الصحي والتعريف بفوائد الفحص الطبي قبل الزواج وبيان ما يتعلق به من جدوى، عن طريق إعداد هيئات وجمعيات مؤهلة علمياً، ودينياً، لنشر مثل هذا الوعي المطلوب،

واستخدام الوسائل المتاحة التي تقوم على التوعية بنشر المعلومات الصحية، ليكون واضح الأثر في ضوء تقديم نتائج الدراسات بما تحمل من مقارنة بين نسب السلبى والإيجابى وآثارهما. البدائل الممكنة عن الفحص الطبي.

قد يحدث الحرج من خلال اكتشاف نتيجة الفحص الطبي السلبية، بوجود مرض وراثى، وقد يولد عوامل نفسية، تضر أحد الطرفين وتؤثر على مستقبلهم؛ كالأعراض عنهم، وعدم التقدم لزواجهم، أو قبول زواجهم، ويمكن أن يلجأ بعض الناس لطرق ووسائل قبل الخطبة، قد تنفع في التعرف على بعض الأمور التي يمكن أن يؤديها الفحص الطبي، فمنها:

الاستفسار عما يخص الشريك المُختار من الحالات الصحية في الأسرة، بموازة الاستفسار والتقصي عن الدين والأخلاق والوضع المالى، فكما دأبت الأسر في مجتمعنا في السؤال عن هذه الأمور يمكن جعل تقصي الوضع الصحى رديفا لها، عن طريق ما تعارف عليه في مجتمعاتنا من سؤال الأصدقاء والجيران والموظفين أو العاملين معه، عما يتعلق بجملة هذه الأمور وكل ما هو معتبر فالعرق دساس، فينبغي للمجتمع اعتماد معايير التنبيه والتثقيف في مجالات الحياة ولاسيما الجانب الصحى، وضرورة نشر الجوانب التوعوية بأهمية الفحص الطبي قبل الزواج، والحفاظ على السرية وعدم الإضرار بالآخرين، واعتماد المشورة الطبية كزيارتهم للعيادات المتخصصة، والاستفادة من التوجيهات والنصائح والإرشادات الطبية، التي تفضي إلى الارتقاء بالثقافة الصحية والطبية مما يعد من الضمانات للعناية الصحية الفردية والاجتماعية التي تؤهل الأفراد للقيام بدور بناء جيل صالح يساهم في عمارة الأرض بعيدا عن الفساد والإفساد^{٨٥}.

تزوير الإجراءات.

كسائر التعاملات قد تتعرض عملية الفحص أو نتائجه للتزوير بدواعٍ شتى، فقد تكون إجراءات الفحص الطبي أما لاعتبارها شكلية غير مهمة أو أنها روتينية تكميلية غير أساسية، أو تندرج تحت باب العاطفة

والإنسانية من قبل العاملين في المجال الطبي مراعاةً للوضع الاجتماعي الذي قد لا يحتمل تخريب عملية الزواج، فمن هذا وغيره قد يُلتجأ للتزوير النتائج أو التهاون في الفحص. إلا إنه لا بد من ملاحظة حجم الضرر الذي سيلحق بالحياة الأسرية، حال ثبوت أن أحدهما يحمل مرضاً معدياً أو وراثياً، وما يترتب على ذلك مستقبلاً من معاناة للأبناء وتكلفة اقتصادية تضر بالأسرة والمجتمع، ومقتضى الأمانة الطبية رفض تقديم أي فحص طبي شكلي للمقبلين على الزواج، أو تزوير نتائجه، فهذه الممارسات تعد خيانة للمهنة، وقد تؤدي إلى تدمير حياة أسر بأكملها أو مجتمع بأكمله. ويشار إلى إن التحايل وتزوير شهادات الفحص الطبي، قبل الزواج ظاهرة منتشرة بالعالم العربي، بكثرة مع غياب الضمير، والرقابة وفساد بعض موظفي المؤسسات التي تمنح هذه الوثيقة، ولابد من التصدي لفكرة تزيف أوراق الفحص لكشف العجز الجنسي للرجل، سواء كان بدنياً أو نفسياً، فهي حماية من انهيار الحياة الزوجية؛ فالمشكلات الجنسية تنصدر قائمة أسباب دعاوى الخلع والطلاق في دول عربية كثيرة.

ويظهر أن قلة الوعي وراء "صورية" الفحص، فالمقبلون على الزواج لديهم قناعة بأنها "تحصيل حاصل" ولا تختص بذلك فئة دون غيرها، وهو ما يستدعي نشر الوعي من النواحي الصحية والدينية والاجتماعية مما يتعلق بهذا الفحص، كما لا بد من التصدي لحالات تزيف أوراق الفحص لكشف العجز الجنسي للرجل، سواء كان بدنياً أو نفسياً، لما في ذلك من أثر في حماية الحياة الزوجية من الانهيار وما يستتبعه من خطر على المجتمع؛ فالمشكلات الجنسية مما يتصدر قائمة أسباب دعاوى الخلع والطلاق في دول عربية كثيرة، ومنها العراق^{٨٦}.

الهوامش:

- ١ - ابن فارس- معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الإعلام الإسلامي، ١٤٠٤هـ، طهران: ٣/٣٥.
- ٢ -التكوير: ٧.
- ٣ -ظ: فخر الدين الطريحي- مجمع البحرين، تحقيق: السيد أحمد الحسيني، مكتب النشر الثقافة الإسلامية، ط/٢، ١٤٠٨هـ، إيران، ٢/٣٠١.
- ٤ - الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني- تاج العروس، تحقيق: علي شيري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٤١٤هـ، بيروت، ٣/٣٩٦.
- ٥ - ينظر: الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح، تحقيق: أحمد عبد الغفور العطار، دار العلم للملايين ط/٤، ١٤٠٧هـ، بيروت، ١/٣٢٠.
- الأعراف: ١٩.
- ٦ - الجوهري- الصحاح، مصدر سابق، ١/٣٢٠.
- ٧ - الأعراف: ٣٧.
- ٨ -ظ: ابن منظور، محمد بن مكرم الأفرقي-لسان العرب، منشورات أدب الحوزة، ١٤٠٥هـ، قم، ٢/٢٩٢.
- ٩ - ابن فارس- معجم مقاييس اللغة، مصدر سابق، ٣/٣٥.
- ١٠ - الحج: ٥.
- ١١ - يس: ٣٦.
- ١٢ - ص: ٥٨.
- ١٣ - هود: ٤٠.
- ١٤ - البقرة: ٢٥.
- ١٥ - القصص: ٢٧.

- ١٦ - ظ: الطوسي، محمد بن الحسن - التبيان، تحقيق: أحمد حبيب قصير العاملي، مكتب الإعلام الإسلامي ، ط/١، ١٤٠٩هـ، إيران، ٨ / ١٤٥، أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف - البحر المحيط في تفسير القرآن العظيم، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود - و جماعة، دار الكتب العلمية، ط/١، ١٤٢٢هـ، بيروت، ٧ / ١١٠.
- ١٧ - الفقرة: ١، المادة ٣ من قانون الأحوال الشخصية العراقي لسنة ١٩٥٩م، الوقائع العراقية، عدد ٢٨٠، ٣٠ / ١٢ / ١٩٥٩م، ج ١.
- ١٨ - المصدر السابق، المادة: ٤.
- ١٩ - أحمد فتح الله - معجم ألفاظ الفقه الجعفري، مطابع المدوخل - الدمام ، ط/١، ١٤١٥ هـ، ص ٤٢٩.
- ٢٠ - الروم: ٢١.
- ٢١ - النساء: ١.
- ٢٢ - الحر العاملي، محمد بن الحسن - الوسائل (وسائل الشيعة، في تحصيل أحكام الشريعة)، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط/٢، ١٤١٤هـ، قم، ٢٠ / ١٤.
- ٢٣ - النساء: ٣.
- ٢٤ - البقرة: ١٨٧.
- ٢٥ - الحر العاملي - الوسائل، مصدر سابق، ٢٠ / ١٥.
- ٢٦ - المصدر نفسه، ٢٠ / ١٧ - ١٨.
- ٢٧ - المصدر نفسه، ٢٠ / ٢٧ - ٢٨.
- ٢٨ - المصدر نفسه، ٢٠ / ٥٤.
- ٢٩ - المصدر نفسه، ٢٠ / ٢٩.
- ٣٠ - ظ: المصدر نفسه، ٢٠ / ٣٥.
- ٣١ - ظ: المصدر نفسه، ٢٠ / ٣٣.
- ٣٢ - المصدر نفسه، ٢٠ / ٧٩.
- ٣٣ - المصدر نفسه، ٢٠ / ٤٨.
- ٣٤ - المصدر نفسه، ٢٠ / ٨٠.

- ٣٥ - المصدر نفسه، ٢٠ / ٧٩.
- ٣٦ - المتقي الهندي، علي المتقي بن حسام الدين-كنز العمال، تحقيق: بكري حيان، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٩هـ، بيروت، ١٥ / ٨٥٥. ابن سلامة، محمد القضاعي-مسند الشهاب، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، ط/١، ١٤٠٥م، بيروت، ١ / ٣٧٠ - ٣٧١.
- ٣٧ - ظ: الكليني، محمد بن يعقوب -الكافي، تحقيق: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، ط/٥، ١٣٦٣هـ، ش، قم، ٥ / ٤٠٤ - ٤١٢، الحر العاملي- وسائل الشيعة، مصدر سابق، ٢٠ / ٨٤ - ٨٥، المتقي الهندي- كنز العمال، مصدر سابق، ١٦ / ٢٩٢ - ٢٩٥.
- ٣٨ - الطوسي، محمد بن الحسن، المبسوط في فقه الإمامية، تحقيق: محمد تقي الكشفي، المكتبة المرتضوية لإحياء آثار الجعفرية، ١٣٨٧هـ، ش، طهران، ٤ / ٢٤٧ - ٢٥١، ابن إدريس الحلبي، محمد بن منصور، تحقيق: لجنة التحقيق، مؤسسة النشر الإسلامي، ط/٢، ١٤١٠هـ، قم، ٢ / ٥٥٨ - ٥٦٠، البكري الدمياطي، أبو بكر محمد السيد شطا، إعانة الطالبين، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط/١، ١٤١٨هـ، بيروت، ٣ / ٣١٢ - ٣١٣، العظيم آبادي، محمد شمس الحق، عون المعبود، دار الكتب العلمية، ط/٢، ١٤١٥هـ، بيروت، ١٠ / ٣٥٩ - ٣٦٠، المرادوي، علي بن سليمان- الإنصاف، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار إحياء التراث العربي، ط/٢، ١٤٠٦هـ، ٨ / ١٩٢ - ١٩٤.
- ٣٩ - ظ: تاج العروس، مصدر سابق، ٩ / ٢٥٧.
- ٤٠ - الجوهرى- الصحاح، مصدر سابق، ٣ / ١٠٤٨.
- ٤١ - ظ: تاج العروس، مصدر سابق، ٣ / ١٦٩.
- ٤٢ - الخليل بن أحمد الفراهيدي- العين، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، مؤسسة دار الهجرة، ٣ / ١٢٣.
- ٤٣ - ابن سلام، القاسم، غريب الحديث، تحقيق: محمد عبد المعيد خان، دار الكتاب العربي، ط/١، ١٣٨٤هـ، بيروت، ٣ / ١٣١ - ١٣٢.
- ٤٤ - ابن منظور - لسان العرب، مصدر سابق، ٧ / ٦٤.
- ٤٥ - ظ: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة: ٣ / ٤٠٧.
- ٤٦ - ظ: ابن منظور- لسان العرب، مصدر سابق، ١ / ٥٥٣، ٥٥٤، تاج العروس، مصدر سابق، ٢ / ١٧٦.
- ٤٧ - مجموعة مؤلفين -الموسوعة الطبية، دار أسامة للنشر والتوزيع، ٢٠٠٥م، مصر، ٩ / ١٦٦٢.

- ٤٨ - ظ: مجموعة أطباء- الموسوعة الطبية الحديثة، مؤسسة حورس الدولية للنشر والتوزيع، ١٩٩٨م، ٣١١/٢، أحمد كنعان- الموسوعة الطبية الفقهية، دار النفائس، ٢٠١٠م، ص ٧٦٣.
- ٤٩ -ظ: منال محمد رمضان العشي- أثر الأمراض الوراثية على الحياة الزوجية، دراسة فقهية مقارنة، أطروحة ماجستير، كلية الشريعة والقانون، الجامعة الإسلامية، ١٤٢٩هـ، غزة، ص ٥٢-٥٣، خالد المصلح- إخبار الطبيب أحد الزوجين بنتائج الفحوص الطبية للآخر، رؤية شرعية، مجلة المجمع الفقهي الإسلامي، المجلد ٢٥، العدد، ٢٩، منشورات رابطة العالم الإسلامي - المجمع الفقهي الإسلامي، ١٤٣٤هـ، ص ١٧ من البحث.
- ٥٠ - ظ: مها علي فهمي صدقي- أساسيات علم الوراثة (الصفات والأمراض الوراثية)، دار الفكر العربي، ٢٠١٣م، القاهرة، ص ١٧.
- ٥١ - ظ: سراب عبد الستار محمد الجنابي- التربية الصحية والبيئة، جامعة تكريت، كلية التربية الأساسية، ٢٠٢٠م، ص ٤٠.
- ٥٢ - فقر الدم المنجلي- تقرير الأمانة العامة للصحة العالمية- ج٩/٥٩/١١-١٤، ٢٤ نيسان / ٢٠٠٦م.
- ٥٣ - ظ: علي كامل محمد- التلاسيميا: قسم العلوم البايولوجية- جامعة كربلاء، <http://www.mediafire.com/?kggho702xb5oyd4m>، ص: ٣-١٠.
- ٥٤ - ظ: المادة: ٣ من قانون رقم (٣٠) لسنة ٢٠٠٧ قانون فحوصت الدم الوراثية (فقر دم البحر الابيض المتوسط - التلاسيميا) قبل الزواج، وقائع كردستان | رقم العدد: ٧٧ | تاريخ: ٢٥/١٢/٢٠٠٧ م.
- ٥٥ - ظ: موقع منظمة الصحة العالمية، الصفحة: <https://www.who.int/features/qa/76/ar>.
- ٥٦ - ظ: المصدر نفسه، والصفحة نفسها.
- ٥٧ - ظ: المصدر نفسه، الصفحة: <https://www.who.int/ar/news/item/03-10-1440-more-than-1-million-new-curable-sexually-transmitted-infections-every-day>، https://www.who.int/features/factfiles/sexually_transmitted_diseases/facts/ar
- ٥٨ - ظ: المصدر نفسه، الصفحة: <https://www.who.int/ar/news/item/03-10-1440-more-than-1-million-new-curable-sexually-transmitted-infections-every-day>
- ٥٩ - ظ: المصدر نفسه، الصفحة: <https://www.who.int/bulletin/volumes/90/8/12-030812/ar>

- ٦٠ - ما هو مرض الهيموفيليا- الاتحاد العلمي للهيموفيليا: ٦-٧، كتيب بصيغة pdf منشور على صفحة الاتحاد، <http://www1.wfh.org/publications/files/pdf-1327.pdf>.
- ٦١ - ظ: كاظم عبد جاسم الزيدي - مجلس القضاء الأعلى في العراق، الصفحة: [./https://www.hjc.iq/view.3654](https://www.hjc.iq/view.3654).
- ٦٢ - الكراجكي، أبو الفتح محمد بن علي- كنز الفوائد، مكتبة مصطفىوي، طبع حجر، ط/٢، ١٣٦٩هـ، ش، قم، ص ٢٣٩.
- ٦٣ - القاضي النعمان، أبو حنيفة المغربي- دعائم الإسلام، تحقيق: آصف بن علي أصغر فيضي، دار المعارف، ١٣٨٣هـ، القاهرة، ١٤٤/٢.
- ٦٤ - الريشهري، محمد- موسوعة الأحاديث الطبية، تحقيق ونشر: مركز بحوث دار الحديث للطباعة والنشر، ط/١، ١٤٢٥هـ، قم، ١/٥٤.
- ٦٥ - الريشهري، محمد- ميزان الحكمة، تحقيق ونشر: دار الحديث، ط/١، ١٤١٦هـ، قم، ١٦٧٠/٢.
- ٦٦ - الريشهري- موسوعة الأحاديث الطبية، مصدر سابق، ١/٥٣.
- ٦٧ - الريشهري- موسوعة الأحاديث الطبية، مصدر سابق، ١/٥٤.
- ٦٨ - الواسطي، علي بن محمد- عيون الحكم والمواعظ، تحقيق: حسين الحسيني البيرجندي، دار الحديث، ط/١، إيران، ٤٦٠.
- ٦٩ - ظ: خالد عبد الله المصلح- إخبار الطبيب أحد الزوجين بنتائج الفحوص الطبية للآخر، مصدر سابق، ٨.
- ٧٠ - النساء: ٥٨.
- ٧١ - الطوسي، محمد بن الحسن- الاستبصار، تحقيق: حسن الموسوي الخرسان دار الكتب الإسلامية، ط/٤، ١٣٦٣هـ، ش، طهران، ٣/٥٣.
- ٧٢ - الحر العاملي- وسائل الشيعة، مصدر سابق، ١٢/١٠٤.
- ٧٣ - الشيخ الصدوق، محمد بن علي ابن بابويه القمي- من لا يحضره الفقيه، تحقيق: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي، ط/٢، قم، ١٦/٤.

- ٧٤- المجلسي، محمد باقر- البحار (بحار الأنوار، الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار)، مؤسسة الوفاء، ط/٢ المصححة، ١٤٠٣هـ، بيروت، ٧٨/ ٢٢٥.
- ٧٥ - المائدة: ٣٢.
- ٧٦ - الصنعاني، عبد الرزاق- المصنف، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، ب.م، ٤٧١.
- ٧٧ - مجموعة من الأطباء- الفحص قبل الزواج مدخل الأسرة الآمن، وزارة الصحة مملكة البحرين، رقم الناشر الدولي ISBN 99901-18-12-4، رقم الإيداع بإدارة المكتبات العامة: د.ع ٤٢٣٨/٤٢٠٤م، منشور على صفحة موقع الوزارة: (https://www.moh.gov.bh/Content/Files/Publications/X_2712013104850.pdf).
- ٧٨ - ظ: علي أبو يحيى- الفحص الطبي قبل الزواج في الفقه الإسلامي، مجلة الميزان للدراسات الفقهية والقانونية، المجلد/٧، عدد/٢، آب، ٢٠٢٠م،
- ٧٩- ظ: أسامة عمر الأشقر- مستجدات فقهية في قضايا الزواج والطلاق، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠٠٠، ص: ٨٤، عارف علي عارف القره داغي- مسائل شرعية في الجينات البشرية، مطبوع ضمن كتاب (دراسات فقهية في قضايا طبية معاصرة) دار النفائس، ط١، ٢٠٠١، عمان، الأردن، ج١/ ٧٨٥.
- ٨٠ - عبد الرحمن بن حسن النفيسة- الفحص الطبي قبل الزواج ومدى مشروعيته، مستودع موقع المكتبة الشاملة، [/https://www.shamela.ws](https://www.shamela.ws)، ص: ٦-٩.
- ٨١ - المراغي، مير عبد الفتاح الحسيني- العناوين الفقهية، تحقيق ونشر: مؤسسة النشر الإسلامي، ط/١، ١٤١٧هـ، ١/ ٣٢٥.
- ٨٢ - الكركي، علي بن الحسين- جامع المقاصد، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط/١، ١٤٠٨هـ، قم، ٦/ ٣٠٦، وينظر: السيستاني، علي الحسيني- قاعدة لا ضرر، مكتب آية الله العظمى السيد السيستاني، ط/١، ١٤١٤هـ، - قم، ص ٣٢٠.
- ٨٣ - محمد مصطفى الزحيلي- القواعد الفقهية وتطبيقاتها في المذاهب الأربعة، دار الفكر ط/١، ٢٤٢٧هـ، دمشق، ١/ ٢٢٠.
- ٨٤ - المصدر نفسه: ١/ ٢١٩.
- ٨٥ - ظ: منال محمد رمضان العشي- أثر الأمراض الوراثية على الحياة الزوجية، مصدر سابق، ٩.

٨٦ - ظ: غني ناصر حسين- الطلاق بين الممكن والمحذور - دراسة اجتماعية تحليلية، مجلة كلية التربية الأساسية، جامعة بابل، العراق، عدد/١٥، آذار/٢٠١٤م، ص: ٢٥٦، هناء جاسم السبعوي- الطلاق وأسبابه في مدينة الموصل، دورية أضواء موصلية، عدد/ ٧٤، رمضان ١٤٣٤هـ، آب ٢٠١٣، ص: ٨-١٠، مهتاب أحمد إسماعيل أبو زنت، الطلاق، أسبابه ونتائجه، دراسة ميدانية في محافظة نابلس، اطروحة ماجستير، جامعة النجاح، نابلس، فلسطين، ٢٠١٦م، ص: ٣٢، علاء لازم العيسى- أسباب إزدياد ظاهرة الطلاق في العراق، مقال منشور على صفحة مجلة الزمان الإلكترونية: <https://www.azzaman.com>